دعوة المسلمين النصارى

في عصر الحروب الصليبية

تأليف الدكتور
سليمان بن عبد الله بن صالح الغروي
عضو هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

الجزء الأول

مكتبة الرشد
ناشرون

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م

مكتبة الرشد ـ ناشرون
المملكة العربية السعودية ـ الرياض
شارع الأمير عبد الله بن عبد الرحمن (طريق الحجاز)
ص.ب.: ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ ـ هاتف: ٤٥٩٣٤٥١ ـ فاكس: ٤٥٧٣٣٨١
E-mail: alrushd@alrushdryh.com
Website: www.rushd.com

فروع المكتبة داخل المملكة

★ الريـــــــاض: فـرع طريـق الملـك فهـد: هاتف: ٢٠٥١٥٠٠ ـ فاكس: ٢٠٥٢٣٠١

★ فـرع مكة المكرمـة: شـــارع الطائـــف: هاتف: ٥٥٨٥٤٠١ ـ فاكس: ٥٥٨٣٥٠٦

★ فرع المدينة المنورة: شـارع أبـي ذر الغفــاري: هاتف: ٨٣٤٠٦٠٠ ـ فاكس: ٨٣٨٣٤٢٧

★ فـــرع جـــدة: ميـــدان الطـائـــرة: هاتف: ٦٧٧٦٣٣١ ـ فاكس: ٦٧٧٦٣٥٤

★ فـــرع القصيـــم: بريـــدة ـ طريـــق المدينـة: هاتف: ٣٢٤٢٢١٤ ـ فاكس: ٣٢٤١٣٥٨

★ فـــرع أبهـــا: شـــارع الملـــك فيصـــل: تلفاكس: ٢٣١٧٣٠٧

★ فـــرع الدمـــام: شـــارع الخـــزان: هاتف: ٨١٥٠٥٦٦ ـ فاكس: ٨٤١٨٤٧٣

★ فـــرع حائـــل: هـــاتـــف: ٥٣٢٢٢٤٦ ـ فـــاكس: ٥٦٦٢٢٤٦

مكاتبـــنا بالخـــارج

★ القـاهـــرة: مدينـــة نصـــر: هاتف: ٢٧٤٤٦٠٥ ـ موبايل: ٠١٠١٦٢٢٦٥٣

★ بـــيروت: بئر حسن: هاتف: ٠١/٨٥٨٥٠١ ـ موبايل: ٠٣/٥٥٤٣٥٣ ـ فاكس: ٠١/٨٥٨٥٠٢

دعوة المسلمين للنصارى

في عصر الحروب الصليبية

تأليف الدكتور
سليمان بن عبد الله بن صالح الرومي
عضو هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

الجزء الأول

مكتبة الرشد
ناشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[1].

وقال جلّ شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[2].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[3].

أما بعد:

فإن نبيّنا محمداً ﷺ بعث برسالة الإسلام إلى الناس كافةً كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[4] فبلغ الرسالة ونصح الأمة

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء، الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب، الآية: (٧٠ ـ ٧١).

(٤) سورة سبأ، الآية: (٣٢).

وجاهد في الله حق جهاده، وقام بذلك من بعده صحابته الكرام رضوان الله عليهم وتابعهم سلف هذه الأمة بهدي من كتاب الله ومن سنة المصطفى ﷺ فكانت الدعوة إلى الإسلام هي رسالة هذه الأمة ومهمتها في هذه الأرض على مر العصور.

ولا شك إن دراسة أحوال الدعوة في تاريخ الأمة واستجلاء ما يتعلق بها من مناهج وأساليب ووسائل، وإيضاح عوامل نجاحها وسبل مواجهتها للمشكلات التي تعوق استمرارها يفيد في حاضر الأمة؛ إذ يوفر لها دروساً وتجارب تساعدها في الوقت الحاضر على النهوض بواجب الدعوة بنجاح بإذن الله.

لذلك جعلت بحثي في مرحلة الدكتوراة ـ بإذن الله ـ يتناول فترة تاريخية مهمة في التاريخ الدعوي للأمة، وهي فترة الحروب الصليبية وبالتحديد دعوة المسلمين للنصارى في هذه الفترة.

١ ـ التعريف بمفردات عنوان البحث.

أولاً: تعريف الدعوة:

أ ـ التعريف اللغوي للدعوة:

الدعوة في اللغة مصدر للفعل الثلاثي دَعَا يَدْعُو دَعْوَةً. وتطلق هذه الكلمة ويراد بها عدة معانٍ منها:

١ ـ الابتهال والدعاء، فهي المرة الواحدة من الدعاء، والدعاء واحد الأدعية[(١)]. وهو «الرغبة إلى الله تعالى»[(٢)]. و«دعوت الله أدعوه دعاءً ابتهلت إليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير»[(٣)]. ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ

---

(١) انظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤ م، مادة / دعا، (١٤/٢٥٨).

(٢) القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م، مادة/ دعا، ص (١٦٥٥).

(٣) المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧ م، ص (٧٤).

﴿رَبُّكُمُ ادْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ﴾[1].

٢ ـ النداء والطلب. يقال: دعا الرجل دعواً، ودعاه أي ناداه، والاسم الدعوة. ودعوت فلاناً أي صحت به واستدعيته[2]. و«دعا بالشيء دعواً ودعوةً ودعاءً ودعوى: أي طلب إحضاره»[3]. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ﴾[4].

٣ ـ وتطلق الدعوة على ما دعوت إليه من طعام وشراب[5].

٤ ـ ويقصد بها الآذان. فعن جابر بن عبدالله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«من قال حين يسمع النداء: اللهمّ رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته. حلت له شفاعتي يوم القيامة»**[6].

٥ ـ وتأتي كلمة الدعوة بمعنى محاولة إمالة الناس إلى دين أو مذهب أو نحلةٍ. جاء في معجم مقاييس اللغة: «(دَعَوَ) الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد هو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك. تقول: دعوت أدعو دعاءً»[7].

وجاء في اللسان: «الدعاة قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، واحدهم داعٍ ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين. أدخلت الهاء فيه

---

(١) سورة غافر، الآية: (٦٠).

(٢) انظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، مادة/ دعا (١٤/ ٢٥٨).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، (١/ ٢٨٦).

(٤) سورة القصص، الآية: (٢٥).

(٥) انظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، مادة/ دعا (١٤/ ٢٦٠).

(٦) أخرجه البخاري، الصحيح، كتاب الأذان، باب الدعاء عند الأذان، رقم الحديث (٦١٤)، ص (١٣٤)، وكتاب التفسير، باب ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾ سورة الإسراء، الآية: (٧٩). رقم الحديث: (٤٧١٩)، ص (٩٠٨).

(٧) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق د. عبد السلام هارون، دار الفكر، مادة: دعو (٢/ ٢٧٩).

للمبالغة. والنبيّ ﷺ داعي إلى الله تعالى، وكذلك المؤذن»[1]. و«دعاه إلى الدين والمذهب حثه على اعتقاده»[2].

وتكون الدعوة إلى الحق كما تكون إلى الباطل.

فمن الدعوة إلى الحق، قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾[3].

أي: «يدعوكم إلى داره وهي جناته التي أعدها لأوليائه»[4]. وكتاب النبيّ ﷺ إلى هرقل[5] الروم يدعوه فيه إلى الإسلام، وفيه: «... أدعوك بدعاية الإسلام...»[6] أي إلى اعتناق الإسلام.

ومن الدعوة إلى الباطل حكاية القرآن عن يوسف عليه السلام قوله: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ﴾[7] أي طاعة النسوة والوقوع في الإثم.

ومن خلال ما سبق يتضح أن المعنى اللغويّ للدعوة يدور حول الطلب والمناداة والدعاء والحث على فعل الشيء وقصده.

ب ـ التعريف الاصطلاحي للدعوة:

يمكن التمييز في تعريف الدعوة بين ثلاثة مصطلحات هي: دعوة الإسلام، والدعوة إلى الإسلام، وعلم الدعوة.

---

(١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، مادة/ دعا (١٤/ ٢٥٩).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مادة/ دعا (١/ ٢٨٦).

(٣) سورة يونس، الآية: (٢٥).

(٤) جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ١٤٠٨ هـ، المجلد السابع، الجزء الحادي عشر، ص (١٠٣).

(٥) هِرْقِل. من ملوك الروم، أو هو ملك الروم ويقال: هِرَقْل. انظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة /هرقل، (١١/ ٦٩٤)، والهِرْقِل المنخُل وهِرَقَل اسم لملك الروم. انظر: المعجم الوسيط، إعداد: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (٢/ ٩٨٢).

(٦) أخرجه البخاري، الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب حديث جبريل عند هرقل، رقم الحديث (٧)، ص (٢٤). وكتاب الجهاد والسير، باب دعوة اليهود والنصارى، رقم الحديث (٢٩٤١)، ص (٥٦٥).

(٧) سورة يوسف، الآية: (٣٣).

فدعوة الإسلام تعني الدين الإسلامي بعمومه.

وبهذا المعنى عرفها بعضهم بقوله: «هي دين الله الذي بعث به الأنبياء جميعاً تجدد على يد محمد ﷺ خاتم النبيّين كاملاً وافياً لصلاح الدنيا والآخرة...»[١].

وقيل: «هي الدين الذي ارتضاه الله للعالمين وأنزل تعاليمه وحياً على رسول الله ﷺ وحفظها في القرآن الكريم وبينتها السنة»[٢].

والدعوة إلى الإسلام بمعنى النشر والتبليغ عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية[٣] بقوله: «هي الدعوة إلى الإيمان بالله وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره والدعوة إلى أن يعبد الله ربه كأنه يراه»[٤].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ

---

(١) الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، محمد الراوي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١١ هـ، ص (٣٩).

(٢) الدعوة إلى الله، توفيق الواعي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ، ص (١٨ ـ ١٩).

(٣) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبدالله بن تيمية الحراني الدمشقي، ولد في حران بالشام سنة ٦٦١ هـ، ومات في دمشق سنة ٧٢٨ هـ. آية في التفسير والأصول والعقيدة، والفقه وكثير من الفنون الأخرى، أفتى ودرس وهو دون العشرين، جاهد بنفسه وقلمه في قمع البدعة والدعوة إلى منهج السلف في العقيدة، وتصدى للمبتدعة في زمنه.
انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م، (١٤/ ١٤١ ـ ١٤٦)، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، (١/ ٦٣)، وما بعدها.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة (١٥/ ١٥٨).

﴿ٱتَّبَعَنِى﴾[1]. قال الشوكاني[2]: «أي الدعاء إلى الإيمان به وتوحيده والعمل بما شرعه لعباده»[3].

وقال ابن سعدي[4]: «أدعو إلى الله أي أحث الخلق والعباد على الوصول إلى ربهم وأرغبهم في ذلك، وأرهبهم مما يبعدهم عنه»[5].

وقيل: «هي إبلاغ الناس دعوة الإسلام في كل زمان ومكان بالأساليب والوسائل التي تتناسب مع أحوال المدعوين»[6].

---

(١) سورة يوسف، الآية: (١٠٨).

(٢) هو محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني، ولد بقرية شوكان في اليمن، سنة ١١٧٣ هـ ومات سنة ١٢٥٠ هـ. عالم جليل كثير المؤلفات في الحديث والتفسير والفقه، من كتبه: نيل الأوطار في الحديث، وفتح القدير في التفسير، وإرشاد الثقات وغيرها. (انظر: معجم المفسرين من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م، ص (٥٩٣)، ومقدمة سعيد محمد لحام في تحقيقه لكتاب فتح القدير، المكتبة التجارية، مكة المكرمة (١/ ٩).

(٣) فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، تعليق سعيد بن محمد اللحام، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ، (٣/ ٨٥).

(٤) هو عبد الرحمن بن ناصر بن عبدالله آل سعدي التميمي، ولد في عنيزة عام ١٣٠٧ هـ ومات فيها سنة ١٣٧٦ هـ. عالم جليل برع في التفسير والفقه. من أبرز مؤلفاته في التفسير كتابه تيسير الكريم الرحمن، ومن كتبه: القواعد الحسان لتفسير القرآن، والحق الواضح المبين في شرح توحيد المرسلين، والقول السديد في مقاصد التوحيد وغيرها.
انظر: الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة للدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ، ١٩٩٠ م، والأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٩٨٩ م، (٣/ ٣٤٠)، وترجمته بقلم أحد تلاميذه في تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، طبع مركز صالح بن صالح الثقافي، عنيزة، الطبعة الثانية، ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م، (١/ ٥ ـ ٩).

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، (٤/ ٦٣).

(٦) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي صالح المرشد، مكتبة لينة، دمنهور، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م، ص (٢١).

ومن خلال التعريفات السابقة وغيرها يمكن أن تعرف الدعوة بمعنى النشر بأنها تبليغ الإسلام للناس وترغيبهم فيه بالوسائل والأساليب المشروعة ابتغاء مرضاة الله والفوز بسعادة الدارين.

حيث يُنَص في هذا التعريف على عملية تبليغ الإسلام والترغيب فيه، وأن يكون ذلك بوسائل وأساليب منضبطة بالضابط الشرعي احترازاً مما سواها، مع بيان الغاية والمقصد من عملية التبليغ وذلك إخراجاً لما قد يكون من استغلال في كثير من الجهود الدعوية في تحقيق مقاصد أخرى.

أما الدعوة بوصفها علم قائم بذاته فقيل: «فن يبحث في الكيفيات المناسبة التي نجذب بها الآخرين إلى الإسلام أو يُحافظ على دينهم بواسطتها»[1].

وقيل: «العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق»[2].

وقد جاء معنى الدعوة في هذا البحث بمعنى النشر والتبليغ.

فالمقصود بالعنوان: ـ دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية ـ الجهود المختلفة التي بذلها المسلمون في فترة الحروب الصليبية تجاه النصارى إعلاءً لكلمة الله بطلب هدايتهم إلى الإسلام، أو رغبة في إظهار محاسنه لهم، أو إبطال شبهاتهم حوله، أو رد كيدهم عنه. سواء كانت هذه الجهود مباشرةً أو غير مباشرة، أو أنهم تأثروا بها أو لم يتأثروا.

ثانياً: تعريف المسلمين:

أ ـ التعريف اللغوي للمسلمين:

«المسلمون» لغةً جمع «مسلم»، اسم الفاعل من الفعل الرباعي «أسلم»

---

(١) الدعوة والإنسان، د. عبدالله الشاذلي، المكتبة القومية الحديثة، طنطا، الطبعة الأولى، ص (٣٩).

(٢) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، أحمد غلوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٧م، ص (١٠).

بمعنى: انقاد وصار مسلماً[1]، و«الإسلام والاستسلام: الانقياد»[2].

فالمسلم هو المستسلم لأمر الله، المخلص له العبادة، من قولهم سَلَّمَ له الشيء أي أخلص له[3].

فعلى المعنى اللغوي للإسلام، كل ما في السموات والأرض منقاد خاضع لأمر الله تحت مشيئته وحكمه كما قال تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾[4].

أي: «استسلم وانقاد وخضع وذل، وكل مخلوق فهو مستسلم؛ لأنه مجبول على ما لا يقدر أن يخرج عنه»[5].

وإذا كان المسلم هو المستسلم لأمر الله المخلص العبادة له، فأتباع الأنبياء جميعاً المخلصون العبادة لله يطلق عليهم مسلمون.

حيث قال سبحانه وتعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٣١﴾[6] أي: «أَخْلِص لي العبادة واخضع لي بالطاعة»[7]. معنى قوله: «أسلمت لرب العالمين» أي «أخلصت العبادة لمالك جميع الخلائق ومدبرها دون غيره»[8].

وبهذه الكلمة وهي قوله: ﴿أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أي: «إخلاص العبادة

---

(١) القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مادة/ سَلَمَ، ص (١٤٤٨).

(٢) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، مادة/ سَلَمَ (١٢/ ٢٩٣).

(٣) انظر: المصدر السابق، مادة/ سَلَم (١٢/ ٢٩٣).

(٤) سورة آل عمران، الآية: (٨٣).

(٥) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٦ م، المجلد الثامن، الجزء الرابع، ص (٨٢).

(٦) سورة البقرة، الآية: (١٣١).

(٧) جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، المجلد الأول، الجزء الأول، ص (٥٦٠).

(٨) المصدر السابق، المجلد الأول، الجزء الأول، ص (٥٦٠).

والتوحيد لله وخضوع القلب والجوارح لله»[1]، بهذه الكلمة وصى إبراهيم بنيه وكذلك يعقوب عليه السلام[2]. قال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾[3].

وعن يوسف عليه السلام يقول سبحانه وتعالى: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ﴾[4]. أي: «توفني على طاعتك»[5].

وعن الحواريين أتباع عيسى عليه السلام قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾[6]. أي: «واشهد علينا بأننا خاضعون لك بالذلة سامعون مطيعون لأمرك»[7].

وعلى ذلك فالمسلمون لغة هم المنقادون المستسلمون لأمر الله المخلصون العبادة له سبحانه سواء كانوا من أتباع محمد ﷺ أو من أتباع الأنبياء السابقين.

ب ـ التعريف الاصطلاحي للمسلمين:

المسلمون اصطلاحاً نسبة إلى دين الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ.

وعلى هذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ﴾[8] أي: «ما أنت عليه يا محمد من التوحيد والتصديق بالرسل»[9].

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[10] أي: من

---

(١) جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، المجلد الأول، الجزء الأول، ص (٥٦٠).
(٢) انظر: المصدر السابق، المجلد الأول، الجزء الأول، ص (٥٦٠).
(٣) سورة البقرة، الآية: (١٣٢).
(٤) سورة يوسف، الآية: (١٠١).
(٥) جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، المجلد الثامن، الجزء الثالث عشر، ص (٧٤).
(٦) سورة المائدة، الآية: (١١١).
(٧) جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، المجلد الخامس، الجزء السابع، ص (١٢٨).
(٨) سورة آل عمران، الآية: (١٩).
(٩) جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، المجلد الثالث، الجزء الثالث، ص (٢١٢).
(١٠) سورة آل عمران، الآية: (٨٥).

يبتغ غير ما جاء به محمد ﷺ. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾[1]. قال القرطبي: «والإسلام في هذه الآية هو الذي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُۗ﴾ وهو الذي يفسر في سؤال جبريل للنبيّ ﷺ، وهو الإيمان والأعمال والشعب»[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فالإسلام الخاص هو الذي بعث به محمد ﷺ. والإسلام المتضمن لشريعة القرآن، ليس عليه إلا أمة محمد ﷺ. والإسلام اليوم عند الإطلاق يتناول هذا...»[3].

إذن فكلمة الإسلام عند الإطلاق تعني شريعة محمد ﷺ.

وعلى ذلك فالمسلمون اصطلاحاً هم المتبعون لمحمد ﷺ المؤمنون برسالته سواء كانوا ملتزمين بذلك أو مفرطين.

حيث إن هؤلاء الذين أثبت لهم القرآن والسنّة الإسلام دون الإيمان اختلف العلماء فيهم، هل هم مسلمون أم منافقون، ورأي الجمهور من السلف والخلف بأن معهم بعض الإسلام المقبول[4].

فالمسلم يبقى في دائرة الإسلام ومنتسباً إليه وإن كان مفرطاً ما لم يأت بما يخرجه من الملة.

---

(١) سورة المائدة، الآية: (٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، المجلد الثالث، الجزء السادس، ص (٤٣).

(٣) التدمرية، أحمد بن تيمية، تحقيق محمد بن عودة السعوي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، ص (١٧٣).

(٤) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد (٧/ ٤٧٥ - ٤٧٦).

ثالثاً: تعريف النصارى:

أ ـ التعريف اللغوي للنصارى:

النصارى جمع نصراني، وهم المنسوبون إلى نصرى وناصرة ونصورية[(١)] قرية بالشام[(٢)].

وقال في القاموس: «نصرانة، ويقال لها: ناصرة ونصورية ينسب إليها النصارى»[(٣)].

قال ابن جرير الطبري[(٤)]: «النصارى جمع، واحدهم نصران، كما واحد سكارى سكران... إلا أن المستفيض من كلام العرب في واحد النصارى نصراني...»[(٥)].

---

(١) الناصرة: مدينة تقع في شمال فلسطين في الوقت الحاضر جنوب مدينة الجليل وفيها كان مولد المسيح عليه السلام.
انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، تحقيق فريد الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م، (٥/ ٢٩١)، وأطلس تاريخ العالم، د. حسين مؤنس، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م، ص (٤١٦) وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، مكتبة لبنان، بيروت، ص (٤٧).

(٢) انظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، مادة/ نصر (٥/ ٢١١).

(٣) القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مادة /نصر، ص (٦٢٢).

(٤) هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري، مولده في آمل في طبرستان سنة ٢٢٤ هـ، ومات في بغداد سنة ٣١٠ هـ، كان مجتهداً في أحكام الدين نبغ في التفسير والتاريخ، من أشهر كتبه: جامع البيان في التفسير، وأخبار الرسل والملوك في التاريخ، وله كتاب اختلاف الفقهاء، والقراءات وغيرها.
انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الحادية عشرة، ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦ م، (١٤/ ٢٦٧)، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م، (٤/ ١٩١).

(٥) جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، المجلد الأول، الجزء الأول، ص (٣١٨).

وقولهم: إن النصارى جمع نصراني ونصرانة إنما ذلك على الأصل، والمستعمل في الكلام نصراني ونصرانية[1].

وسبب تسميتهم (النصارى)، قيل: لتناصرهم فيما بينهم، وقيل: لقول عيسى عليه السلام: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[2]. وقيل: نسبة إلى قرية عيسى عليه السلام واسمها ناصرة، وكان أصحابه يسمون بالناصريين، وكان يقال لعيسى: الناصري[3].

ب ـ التعريف الاصطلاحي للنصارى:

وبما أن كلمة ـ النصارى ـ في التعريف اللغوي نسبة إلى قرية الناصرة قرية عيسى عليه السلام، أو نسبة إلى نصرته؛ فإن كل من أعلن انتماءه لديانة عيسى عليه السلام فهو نصراني سواء كان متمسكاً بدينه أو مفرطاً فيه[4].

لذلك يمكن أن يقال في التعريف الاصطلاحي للنصارى:

هم أتباع ديانة المسيح[5] عيسى ابن مريم عليه السلام سواء كانوا متمسكين بديانتهم أو مفرطين.

---

(١) انظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، مادة/ نصر (٥/ ٢١٢).

(٢) سورة الصف، الآية: (١٤).

(٣) انظر: جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، المجلد الأول، الجزء الأول، ص (٣١٨). والجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، المجلد الأول، الجزء الأول، ص (٢٩٤)، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي، «أبو السعود»، دار إحياء التراث، بيروت، المجلد الأول، الجزء الأول، ص (١٠٨).

(٤) قد عدّ ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ اليهودي والنصراني من أهل الكتاب سواء كان متمسكاً بدينه أو مفرطاً فيه. انظر: أحكام أهل الذمة، ابن القيم، ص (٦٥).

(٥) سمي عيسى ابن مريم عليه السلام بالمسيح، قيل: لأن الله مسحه فطهره من الذنوب، وقيل: مُسح بالبركة، انظر: جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، المجلد الثالث، الجزء الثالث ص (٢٧٠). وقيل: لأنه كان لا يمسح ذا عاهةٍ إلا برىء، أو لأنه مسح الأرض أي ذهب فيها فلم يستكن بكن. انظر: الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، المجلد الثاني، الجزء الرابع، ص (٥٧).

وقد أُطلق على أتباع عيسى عليه السلام في القرآن والسنّة ـ النصارى ـ فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾[١]، وقال: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾[٢] إلى غير ذلك من الآيات.

وفي السنّة قوله ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، وينصرانه أو يمجسانه...**»[٣]، فينصرانه نسبة إلى النصرانية، والمنتسبون إليها يسمون نصارى.

والنصارى يسمون أنفسهم بالمسيحيين نسبة إلى المسيح عليه السلام. ويسمون ديانتهم بالمسيحية، ولم ترد هذه التسمية في القرآن ولا في السنّة.

وأول إطلاق هذه التسمية عليهم قيل: في القرن الثالث الميلادي[٤]، وقيل: قبل ذلك في عام ٤٢ م في أنطاكية[٥]. ويرى البعض أن ذلك كان من باب الشتم لهم[٦].

ولذلك إنهم فرقة مخالفة للمجتمع الذي ظهر فيه عيسى عليه السلام وأتباعه، حيث

---

(١) سورة البقرة، الآية: (٦٢).

(٢) سورة البقرة، الآية: (١١٣).

(٣) أخرجه البخاري، الصحيح، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، حديث رقم (١٣٨٥)، ص (٢٦٨)، وفي صحيح مسلم بنحوه، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، حديث رقم (٢٦٥٨)، ص (١٠٦٦).

(٤) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف: د. مانع الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، ١٤١٨ هـ (٢/١١٥٦).

(٥) مدينة تاريخية تقع حالياً في الشمال الغربي لسوريا قرب الحدود التركية (انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، تحقيق فريد الجندي، (١/٣١٦)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون ص (٤١)، والمنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، الطبعة الحادية والعشرون، ص (٧٦ ـ ٧٧).

(٦) انظر: قاموس الكتاب المقدس، نخبة من علماء اللاهوت النصارى، دار الثقافة المسيحية، الطبعة الثانية، ص (٨٨٩).

سيطرة الرومان الوثنيين وعداء اليهود الشديد لعيسى عليه السلام وأتباعه، وسعيهم لدى الرومان في قتله.

وللك فالأولى أن يسموا بما سماهم القرآن ـ النصارى ـ قال سماحة الشيخ ابن باز[1] ـ رحمه الله تعالى ـ «. . . فالأولى أن يقال لهم: نصارى كما سماهم الله سبحانه وتعالى»[2].

رابعاً: تعريف الحروب الصليبية:

يتفق المؤرخون على إطلاق مصطلح ـ الحروب الصليبية ـ على تلك الحروب التي انبعثت من غرب أوربا باتجاه الشرق الإسلامي خلال فترة العصور الوسطى[3]. ويختلفون في تحديد مدتها.

---

(١) هو عبد العزيز بن عبدالله بن عبد الرحمن بن محمد آل باز، ولد في الرياض سنة ١٣٣٠ هـ، وتوفي في مكة ودفن بها سنة ١٤٢٠ هـ. عالم زاهد متبحر في الحديث والفقه، قضى حياته في التعليم والإفتاء والدعوة، عمل في القضاء والتدريس، ثم عين رئيساً للجامعة الإسلامية ثم تولى رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء حيث تغير مسمى هذه الوظيفة إلى مفتي عام المملكة. إلى جانب ذلك كله فقد كان ـ رحمه الله تعالى ـ عضواً في كثير من مجالس الهيئات والمؤسسات الإسلامية.

انظر: الشيخ عبد العزيز بن باز نموذج من الرعيل الأول، عبد المحسن بن حمد العباد البدر، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠ م. وأمة في رجل، ملحق خاص عن سماحة الشيخ ابن باز في جريدة المدينة بتاريخ الرابع من شهر صفر عام ١٤٢٠ هـ، الموافق التاسع عشر من شهر مايو لعام ١٩٩٩ م.

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، جمع وإشراف: محمد بن سعد الشويعر، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض ١٤١٢ هـ (٥/٤١٦).

(٣) انظر: جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، د. فايد حماد عاشور، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م، ص (٧٧). والوحدة وحركات اليقظة العربية إبان العدوان الصليبي، د. جوزيف نسيم، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١ م، ص (٧)، والحركة الصليبية، د. سعيد عاشور، مكتبة الإنجلو مصرية، القاهرة، الطبعة السادسة، ١٩٩٤ م، ص (٢٦)، والدعوة إلى الإسلام، توماس آرنولد، ترجمة د. حسن

فبينما ذهب الأغلبية إلى أن فترة هذه الحروب كانت لقرنين من الزمان ـ السادس والسابع الهجريين، الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين[1] ـ يذهب آخرون إلى أنها امتدت إلى القرن الخامس عشر الميلادي[2].

وجعل بعض الباحثين كل حرب بين المسلمين والنصارى حروباً صليبيةً، فأدخل كل الحروب التي وقعت بين الطرفين إلى الوقت الحاضر تحت هذا المصطلح[3].

وعد البعض الحروب الصليبية بأنها الحروب التي ترعاها البابوية غير مرتبطة بزمن معين أو مكان محدد[4].

ثم اختلف الباحثون في تفسير هذه الحروب بالنظر إلى أسبابها هل هي دينية أم سياسية أم اجتماعية واقتصادية.

فالمؤرخون المسلمون والأوروبيون المعاصرون لها أو بعدها بفترة زمنية قصيرة يرون أنها حرب دينية قام بها النصارى لاستخلاص بيت المقدس من المسلمين[5].

إبراهيم حسن وآخرين مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٧٠ م، ص (١٠٨)، والحروب الصليبية، آرنست باركر، ترجمة د. السيد الباز العريني، دار النهضة، بيروت، الطبعة الرابعة، ص (٩).

(١) انظر: تاريخ الحروب الصليبية، د. محمود سعيد عمران، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٨ م، ص (١٧)، وأثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوربي خلال الحروب الصليبية، د. عبدالله بن عبد الرحمن الربيعي، الرياض، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٤ م، (ص ٢٢).

(٢) انظر: جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، د. فايد حماد عاشور، ص (٧٧).

(٣) انظر: الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، د. علي عبد الحميد محمود، شركة عكاظ للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الثانية، ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م، ص (١٣)، والحروب الصليبية في المشرق والمغرب، محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٢ م، ص (١٤٠). والحرب الصليبية الأولى، د. حسن حبشي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٤٧ م، ص (١٧ ـ ١٨).

(٤) انظر: العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى، د. جوزيف نسيم، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١ م.

(٥) سيأتي تفصيل ذلك في المبحث الرابع في الفصل التمهيدي.

أما المؤرخون المعاصرون فرأى البعض منهم أنها نابعة من حركة الإحياء الديني في أوربا التي بلغت أوجها خلال القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي مما أدى إلى تقوية مركز البابوية وإثارة الحماس الديني في نفوس الناس[١]. فاستغلت البابوية هذا الحماس في الدعوة إلى شنّ حروب دينية شعارها الصليب ضد المسلمين في الشرق بدعوى تحرير قبر المسيح، ونجدة النصارى في الشرق، ورد الخطر الإسلامي المحدق بالقسطنطينية[٢].

ويؤيد هذا الرأي موقف البابوية في أوربا من هذه الحروب. فقد دعا البابا سلفستر الثاني[٣] في عام ٣٩١ هـ - ١٠٠١ م إلى مثل هذه الحروب وذلك من أجل إنقاذ بيت المقدس[٤][٥]. أي قبل بداية هذه الحروب الفعلية بأربع وتسعين سنة تقريباً.

---

(١) انظر: الحروب الصليبية، آرنست باركر، ترجمة: السيد الباز العريني، ص (٩).

(٢) القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية، تقع على مضيق البسفور، أسسها قسطنطين الأول سنة ٣٣٠ م، وفتحها العثمانيون سنة ٨٥٧ هـ على يد السلطان محمد الفاتح الذي جعلها عاصمة للدولة العثمانية وسماها - إسلام بول - أي مدينة الإسلام.
انظر: بدائع الزهور في وقائع الدهور، محمد بن أحمد الحنفي، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ (٢/ ٣١٦)، وتاريخ الدولة العثمانية، أور نايلماز، ترجمة عدنان محمود سليمان وزميله، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، إستانبول ص (١٤٠)، وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس، ص (٥٤٣)، وص (٣٥٨).

(٣) سلفستر الثاني تولى البابوية من عام ٣٨٩ هـ - ٩٩٩ م إلى ٣٩٣ هـ - ١٠٠٣ م، كان من علماء عصره وقد شجع ترجمة الكتب العربية إلى اللاتينية.
انظر: شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكه، ترجمة فاروق بيضون وزميله، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، ص (٨٠)، والمنجد في اللغة والأعلام، ص (٣٠٥).

(٤) انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة محمد بدران، طبع الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية الجزء الرابع من المجلد الرابع، ص (١٤).

(٥) القدس أو بيت المقدس هي أورشليم القديمة أي مدينة السلام - بالعبرية - تقع في وسط فلسطين تقريباً، سماها الرومان إيليا، وأطلق عليها المسلمون بيت المقدس أو القدس، وكان فتحها في عهد عمر بن الخطاب ﵁ سنة ١٦ هـ.

ثم ثورة البابوية لما قام الحاكم بأمر الله العبيدي[1] سنة٣٩٨ هـ (١٠٠٧ م) بهدم كنيسة القيامة في القدس[2].

ثم تحريض البابا بنيدكت[3] الثامن على استيلاء البيازنة[4] على سردينية[5] الجزيرة الإسلامية عام ٤٠٦ هـ ـ ١٠١٦ م ومباركة الكنيسة لذلك.

ثم تزعم البابا إسكندر الثاني[6] حرب الاستيلاء على صقلية[7] المسلمة عام

انظر: فتوح البلدان، أحمد بن يحيى البلاذري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨ هـ، ص (١٤٤ ـ ١٤٥)، وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس، ص (٤١٥)، ووثيقة القدس، منظمة المؤتمر الإسلامي، لجنة القدس، ١٩٨٤ م، ص (٢٩)، وما بعدها.

(١) هو منصور بن العزيز نزار بن المعز معد بن المنصور إسماعيل العبيدي الزنديق صاحب مصر، كان مولده سنة ٣٧٥ هـ، كان شيطاناً مريداً عنيداً عظيم المكر كثير التلون ولي أمر مصر بعد وفاة أبيه وله إحدى عشرة سنة، اغتيل واختفى أثره سنة إحدى عشرة وأربعمائة.
انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، (١٥/ ١٧٣)، وما بعدها، والكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م، (٧/ ٦٥٨) وما بعدها.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٥/ ١٧٤)، وتاريخ الحروب الصليبية، د. محمود سعيد عمران، ص (٢١).

(٣) بنيدكت الثامن تولى البابوية من سنة ٤٠٢ هـ ـ ١٠١٢ م إلى سنة ٤١٤ هـ ـ ١٠٢٤ م.
انظر: الحروب الصليبية، آرنست باركر، ص (١٨)، وأوربا العصور الوسطى، د. سعيد عبد الفتاح عاشور (١/ ٦٦١).

(٤) نسبة إلى مدينة بيزا في شمال إيطاليا، وكان لهذه المدينة في فترة الحروب الصليبية نشاط تجاري واسع.
انظر: أوربا العصور الوسطى، د. سعيد عبد الفتاح عاشور، مكتبة الإنجلو مصرية، القاهرة، الطبعة العاشرة، ١٩٨٦ م (١/ ٤٤١)، والمنجد في اللغة والأعلام، ص (١٥٩).

(٥) هي جزيرة تقع مقابل الساحل الغربي لإيطاليا وتتبع لها سياسياً في الوقت الحاضر.
انظر: أطلس العالم، د. محمد سيد نصر وآخرون، ص (٧٩)، والمنجد في اللغة والأعلام، ص (٢٩٩).

(٦) إسكندر الثاني، تولى البابوية من سنة ٤٥٢ هـ ـ ١٠٦١ م إلى سنة ٤٦٥ هـ ـ ١٠٧٣ م.
انظر: أوربا العصور الوسطى، د. سعيد عبد الفتاح عاشور (١/ ٦٦١).

(٧) جزيرة تقع جنوب إيطاليا في البحر المتوسط. انظر: أطلس العالم، محمد سيد نصر

٤٨٢ هـ ـ ١٠٩٠ م. أي قبل بداية الحروب الصليبية بخمس سنوات تقريباً.

وأخيراً فزع الكنيسة في روما[(١)] من سيطرة السلاجقة[(٢)] المسلمين على آسيا الصغرى[(٣)] وتهديدهم المباشر للقسطنطينية مما جعل البابا جريجوري السابع[(٤)] يدعو الغرب إلى إرسال حملة كبيرة لاسترداد آسيا الصغرى من السلاجقة

وآخرون، ص (٧٩)، والمنجد في اللغة والأعلام، ص (٣٤٦)، فتحها المسلمون سنة ٢١٢ هـ وزال نفوذهم منها سنة ١٠٥٢ م.

(١) تقع في وسط إيطاليا، وهي عاصمتها بل وعاصمة النصرانية حيث تضم الفاتيكان مقر البابوية.
انظر: أطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، ص (٧٩)، والمنجد في اللغة والأعلام، ص (٢٧٠).

(٢) السلاجقة: أسرة تركية الأصل من بلاد ما وراء النهر، تنسب إلى جدها الأول سلجوق، وكان مبدأ ظهورهم سنة ٤٢٩ هـ على يد طغرل بك الذي عظم سلطانه واستولى على بلاد فارس والعراق، وكان دخوله بغداد سنة ٤٤٧ هـ نجدة للخليفة العباسي ضد سلاطين بني بويه حيث تولى السلطنة وأزال البويهيين وأحسن للخليفة وأعاد هيبة الخلافة ومكن للسنة، وتتابع بعد ذلك السلاطين من السلاجقة في بغداد حتى زال سلطانهم منها عام ٥٤٧ هـ وورثهم في أطراف الخلافة ما يعرف بدول الأتابكة.
انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٥، و١٥٥)، والبداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٢/ ٤٦ و٧٠). وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، (١٨/ ١٠٧).

(٣) شبه جزيرة تقع في غرب آسيا تشمل حالياً معظم الأراضي التركية.
انظر: أطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون ص (٦٨)، والمنجد في اللغة والأعلام، ص (٥٠).

(٤) البابا جريجوري السابع تولى البابوية من عام ٤٦٥ هـ ـ ١٠٧٣ م، إلى ٤٧٧ هـ ـ ١٠٨٥ م، وكان له جهود كبيرة فيما يعرف بإصلاح الكنيسة، ومعالجة مشاكلها في العصور الوسطى والمتمثلة بزواج القسيس، وبيع المناصب الدينية، والتقليد العلماني.
انظر: أوربا العصور الوسطى، د. سعيد عبد الفتاح عاشور، (١/ ٣٤٦) وما بعدها. والمنجد في اللغة والأعلام، ص (٣٩٠).

المسلمين، حيث نجح في تجهيز هذا الجيش غير أن النزاع بينه وبين الإمبراطور الألماني حال دون إرسال هذا الجيش. وكان ذلك في عام ٤٦٦ هـ - ١٠٧٤م[١].

هذه كلها تعد مقدمات للحروب الصليبية يتبين منها مدى الشعور الديني السائد في أوربا قبيل قيام هذه الحروب، والذي كان له الأثر الكبير في حدوثها.

حيث جاء البابا أوربان الثاني[٢] في عام ٤٨٧ هـ - ١٠٩٥ م، وأعلن في عدة مجامع في أوربا الدعوة إلى هذه الحروب. خصوصاً في مجمع كليرمونت[٣] والذي ألقى فيها خطابه المشهور المتضمن إيضاح ما أسماه بالخطر الإسلامي المحدق بأوربا من جهة القسطنطينية ووجوب إيقافه، وبيان معاناة النصارى في الشرق من ظلم المسلمين، وما تتعرض له الأديرة والكنائس هناك من إهانة ووجوب الانتقام لذلك وانتزاع الأراضي المقدسة من أيدي الأعداء[٤].

لذلك بعد هذا المجمع بفترة قصيرة بدأت تتجمع أعداد كبيرة من العامة ليشرعوا بالزحف إلى الشرق[٥]. حاملين صلبانهم على أكتافهم[٦]. وذلك في عام

---

(١) انظر: الحروب الصليبية، آرنست باركر، ترجمة، السيد الباز العريني، ص (١٨ - ١٩).

(٢) أوربان الثاني: ولد في فرنسا عام ١٠٤٢ م، وعين بابا في روما عام ٤٨٠ هـ - ١٠٨٨ م واسمه أودو. من أشد المتحمسين للحروب الصليبية حيث دعا إليها في مجمع كليرمونت عام ٤٨٧ هـ - ١٠٩٥ م. مات سنة ٤٩٢ هـ - ١٠٩٩ م.

انظر: الموسوعة العربية الميسرة، إشراف محمد شفيق غربال، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥ م، ص (١١٠)، والوجود الصليبي في الشرق العربي، فوشيه شارتر، ترجمة د. قاسم عبده قاسم، ذات السلاسل، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، ص (٨٧).

(٣) مدينة في وسط فرنسا قاعدة محافظة بوي دودوم: انظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص (٤٦٦).

(٤) انظر نص الخطاب في: الوجود الصليبي في الشرق العربي، فوشيه شارتر، ترجمة د. قاسم عبده قاسم، ص (٩٢ - ٩٤).

(٥) انظر: الحركة الصليبية، د. سعيد عاشور (١/ ١٣٢).

(٦) انظر: الحروب الصليبية، وليم الصوري، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩١ م (١/ ١٠٨ - ١١١).

٤٨٨ هـ ـ ١٠٩٦ م. وهذا ما دعا البعض إلى القول بأن الحملات الصليبية كانت استمراراً لحملات الحج الكبرى من أوربا إلى بيت المقدس(١).

ثم كانت الحملة الشعبية والتي حدد وقت سيرها البابا أوربان الثاني في عام ٤٨٨ هـ ـ ١٠٩٦ م والمتجهة إلى القسطنطينية، ثم تلتها الحملة المنظمة في عام ٤٨٩ هـ ـ ١٠٩٧ م(٢). وذلك يمثل الحملة الصليبية الأولى.

ويرى فريق آخر أن الحروب الصليبية حلقة من حلقات الصراع بين الشرق والغرب الذي يثور أحياناً ويهدأ أحياناً أخرى غير مرتبط بأي عامل ديني، فكان في فترة سابقة بين الفرس واليونان ثم بين الفرس والروم ثم جاءت فترة العصور الوسطى فتمثل هذا الصراع بالحروب الصليبية(٣).

ويرى آخرون أن الحروب الصليبية آخر الهجرات الكبرى من أوربا بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية(٤). وهي الإمبراطورية التي أسسها شارلمان(٥) معاصر هارون الرشيد(٦) واستمرت من بعده متنقلة من عائلة إلى

(١) انظر: المصدر السابق (١/ ٧٩)، والحركة الصليبية، د. سعيد عاشور (١/ ٢٤ ـ ٢٥).

(٢) انظر: تاريخ الحروب الصليبية، د. محمود سعيد عمران، ص (٢٦).

(٣) يرى ذلك المؤرخ الفرنسي جورسيه ود. عزيز سوريان في كتابه نقد مؤلفات جورسيه عن الحروب الصليبية، انظر: العرب والروم واللاتين، د. جوزيف نسيم يوسف، ص (٤٠).

(٤) ممن يرى ذلك المؤرخ الأوربي كنج، انظر: تاريخ الحروب الصليبية، د. محمود سعيد عمران ص (١٣).

(٥) شارلمان الذي عاصر هارون الرشيد هو ملك فرنسا أعظم ملوك أوربا في تلك الفترة. حيث سيطر على فرنسا، وضم إليه ألمانيا. وقد أعلن إمبراطوراً في عام ١٨٣ هـ ـ ٨٠٠ م على الإمبراطورية الغربية في أوربا مقابل الإمبراطور الشرقية في بيزنطة. كان مولده سنة ١٢٤ هـ ـ ٧٤٢ م ووفاته سنة ١٩٨ هـ ـ ٨١٤ م. انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة محمد بدران، المجلد الرابع، الجزء الثالث، ص (٢٢٦)، وما بعدها، وأوربا العصور الوسطى، د. سعيد عبد الفتاح عاشور (١/ ٢٠٤)، وما بعدها.

(٦) هو هارون بن محمد بن عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس، أشهر خلفاء بني العباس، كان مولده في الري سنة ١٤٩ هـ، وتولى الخلافة سنة ١٧٠ هـ، وكانت وفاته في طوس سنة ١٩٣ هـ، كان كريماً، باذلاً، يحج عاماً، ويغزو عاماً، ازدهرت الدولة في عهده ازدهاراً كبيراً.

أخرى ومن قطر إلى آخر في أوربا[1].

ويرى البعض أن الحروب الصليبية ظاهرة سياسية فهي بالدرجة الأولى نتيجة مباشرة للأحداث السياسية الكبرى في العالم الإسلامي والمتمثل في زحف السلاجقة المسلمين واكتساحهم لآسيا الصغرى واقترابهم من القسطنطينية، الأمر الذي دفع الأوربيين للنجدة، متمثلاً ذلك بالحروب الصليبية[2].

وكذلك للأوضاع السياسية والاقتصادية في داخل أوربا من تنافس الملوك والإقطاعيين على مناطق النفوذ مما دفع إلى الحروب الصليبية وجعلها ذريعة لتحقيق أطماع هؤلاء. فهي مظهر من مظاهر التوسع الاقتصادي والاستعماري في العصور الوسطى[3].

هذا الاختلاف في تفسير الحروب الصليبية جعل غالب المؤرخين العرب في العصر الحديث يعدون الحروب الصليبية حركة استعمارية[4] ولدت في غرب أوربا واتخذت شكل هجوم مسلح على البلاد الإسلامية بتأثير من الأوضاع الدينية

انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٥/ ٢٧٣ و٣٨٧)، وما بعدها، وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٩/ ٢٨٦)، وما بعدها.

(١) انظر: الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، محمد العروسي المطوي، ص (٣٣).

(٢) انظر: الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، محمد العروسي المطوي، ص (٣٠)، والحروب الصليبية، آرنست باركر، ترجمة د. السيد الباز العريني، ص (١٨ ـ ١٩).

(٣) ممن يرى ذلك المؤرخ الفرنسي المعاصر لفترة الحروب الصليبية فوشيه دي شارتر، انظر: الإسلام والمسيحية، د. جوزيف نسيم، ص (١٨٧)، وانظر: تاريخ الحروب الصليبية، ستيفن رنسيمان ـ ترجمة د. السيد العريني (١/ ١٨٠ ـ ١٨١).

(٤) وهذه نظرة بعض الكتاب الأوربيين مثل: برنارد لويس في كتابه: العرب في التاريخ، حيث ذهب إلى أن الحروب الصليبية كانت أول محاولة مبكرة للتوسع الاستعماري للغرب تحركها اعتبارات مادية دنيوية. كذلك الكاتب الإنجليزي جورج تريفليان فقد وضح في كتابه ـ تاريخ إنجلترا ـ أن الحركة الصليبية هي حركة اتساع خارجي قامت بها أوربا المسيحية الإقطاعية ضد العرب. انظر: العرب والروم واللاتين، د. جوزيف نسيم يوسف، ص (١٠٤).

والاجتماعية والاقتصادية والسياسية السائدة في أوربا في القرن الحادي عشر الميلادي متخذة هذه الحركة الدين ستاراً لها[1].

وفيما يتعلق بتحديد القرن الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين السادس والسابع الهجريين فترة للحروب الصليبية فإن هذه الفترة تعد الدور النشط لهذه الحروب[2].

وذلك من تاريخ وصول أول حملة صليبية إلى أنطاكية عام ٤٩٢ هـ ـ ١٠٩٨م ثم دخول الصليبين القدس في ٢٢ شعبان عام ٤٩٢ هـ ٢٢ يوليو عام ١٠٩٩م. إلى رحيل الصليبيين من الشرق الإسلامي وطردهم من آخر معاقلهم عكا[3] في عام ٤٩١ هـ ـ ١٢٩١م.

علماً أن مصطلح الحروب الصليبية والصليبيين لم يظهرا في كتابات المؤرخين المسلمين المعاصرين لهذه الحروب كابن واصل وابن شداد وأبي شامة وغيرهم؛ إذ كانوا يطلقون على الصليبيين ـ الإفرنج ـ أو ـ النصارى ـ أما في المصادر الغربية فلم تظهر هذه التسمية إلا بعد خطاب أوربان الثاني في كليرمونت في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي حيث حمل المحتشدون الصليب واتجهوا إلى الشرق. ومن هنا سميت بالحروب الصليبية[4].

ولا ينفي ذلك اعتبار كل الحروب التي قامت بها أوربا ضد البلاد الإسلامية بدافع ديني وبرعاية من الباباوات حروباً صليبيةً، كتلك التي كانت ضد

---

(١) انظر: الحركة الصليبية، د. سعيد عبد الفتاح عاشور، ص (٢٢)، وتاريخ الحروب الصليبية، د. محمود سعيد عمران، ص (١٥).

(٢) انظر: الحركة الصليبية، د. سعيد عبد الفتاح عاشور، ص (٢٢).

(٣) تقع في شمال فلسطين على ساحل البحر المتوسط قرب الحدود اللبنانية، وكانت آخر القلاع الصليبية في الشام التي طردوا منها.
انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي (٤/ ١٦٢)، وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس، ص (٤١٥).

(٤) انظر: العرب والروم واللاتين، د. جوزيف نسيم يوسف، ص (٤٧).

المسلمين في صقلية أو الأندلس[1] أو غيرهما.

وبناءً على ما سبق يمكن تعريف الحروب الصليبية بأنها حركة كبرى انبعثت من الغرب الأوربي ضد الشرق الإسلامي بقصد الاستيلاء عليه خلال القرنين السادس والسابع الهجريين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين بدافع ديني بحت، حيث جعلت هذه الحركة الصليب شعاراً لها، مع وجود دوافع أخرى ساعدت على ذلك سياسية واقتصادية واجتماعية.

وعلى ذلك فاعتبار التحديد الزمني لهذه الحروب في هذه الدراسة بهذين القرنين؛ لإجماع الباحثين على تسمية الحروب التي جرت فيهما بالحروب الصليبية واختلافهم في إطلاق هذا الاسم على ما جرى من حروب فيما سواهما.

ولكون هذان القرنان يمثلان الدور النشط للحروب الصليبية، فما جرى قبلهما يعد مقدمات لهذه الحروب وما صار بعدهما فهو من تبعاتها وآثارها[2].

أما التحديد الدقيق لتاريخ بدء هذه الحروب ونهايتها في هذه الدراسة فهو على ما جرى العرف عليه في كتب التاريخ من اعتبارها عام ٤٩٢ هـ ـ ١٠٩٨م تاريخاً لبدئها والذي يمثل تاريخ وصول الصليبيين إلى أنطاكيا ثم دخولهم بيت المقدس بعد ذلك. وعام٦٩١ هـ ـ ١٢٩١م تاريخاً لنهايتها والذي يمثل تاريخ رحيل الصليبيين من آخر معاقلهم في الشام ومصر وهو مدينة عكا.

أما عن المجال المكاني لهذه الدراسة فهو ما امتدت إليه آثار هذه الحروب فهو غير مرتبط بمنطقة معينة. فيشمل البلاد التي جرت عليها أحداث هذه الحروب ـ وهي مصر والشام وشمال إفريقيا ـ ويشمل غيرها من البلاد. وذلك

---

(١) الاسم الذي أطلق المسلمون على إسبانيا والبرتغال في جنوب غرب أوربا، وقد كانت بداية الفتح الإسلامي للأندلس في رمضان سنة ٩٢ هـ على يد طارق بن زياد.
انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، (١/ ٣١١)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون ص (٧٧)، وأطلس تأريخ الإسلام، د. حسين مؤنس، ص (١٧١).

(٢) انظر: أوربا العصور الوسطى، د. سعيد عبد الفتاح عاشور (١/ ٤٣٧).

لإظهار جهود المسلمين بشكل متكامل في دعوة النصارى في هذه الفترة، يضاف إلى ذلك وجود حروب أخرى في الفترة نفسها في مناطق أخرى من العالم الإسلامي رعتها الكنيسة وشجعت عليها مما جعل بعض الباحثين بعدها حروباً صليبيةً كتلك التي جرت في الأندلس[1].

(٢) أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

«دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية»، لعل أهمية هذا الموضوع وأسباب اختياره تظهر من خلال النقاط التالية:

أ ـ ما يختص به عصر الحروب الصليبية الممتد من سنة ٤٩٢ هـ إلى ٦٩١ هـ من أهمية كبيرة في التاريخ الأمة اكتسبها نتيجة لما صار فيه من أحداث عظيمة بُليت فيها الأمة بتسلط النصارى على البلاد الإسلامية وانتشار الفرق الفكرية المنحرفة التي ساعدت على تفرق الأمة ومن ثم ضعفها في البداية عن مقاومة العدوان الصليبي، ثم الجهود الدعوية المباركة الموجهة إلى النصارى الغازين للبلاد الإسلامية سواء كانت هذه الجهود بشكل مباشر أو غير مباشر، والتي أدت إلى وحدة الأمة وتحقيقها للنصر على الصليبيين وطردهم من البلاد الإسلامية، بل وإسلام بعضهم وتغيير نظرتهم الأولى للإسلام والمسلمين، ولا شك أن ذلك كله علامات دعوية بارزة في التاريخ الدعوي للأمة تستحق البحث والدراسة.

ب ـ عدم وجود بحوث أو دراسات دعوية تناولت عصر الحروب الصليبية بشكل مباشر، على الرغم من هذه الأهمية الكبيرة له في تاريخ الأمة.

---

(١) انظر: الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، محمد العروسي المطوي، ص (١٨٥)، وما بعدها، حيث تحدث عن الحروب التي قام بها النصارى الإسبان في فترة الحروب الصليبية ضد المسلمين بالأندلس باعتبارها حروباً دينية صليبيةً تشجع عليها البابوية وترعاها. وانظر: أثر العامل الديني في توجيه الحركة الصليبية، د. محمد صالح منصور، جامعة قارنيوس، بنغازي، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ص (٢٣٩) وما بعدها.

جـ - تجاهل كثير من المستشرقين، وإغفال كثير من الباحثين المسلمين لتأثير المسلمين على النصارى بل وعلى أوربا بشكل عام في فترة الحروب الصليبية، والتركيز فقط على دراسة الناحية العسكرية.

د - ما قد يعتقده البعض من توقف الجهد الدعوي في هذه الفترة بسبب الحروب بين المسلمين والنصارى.

هـ - أهمية إبراز الجهود الدعوية في الحفاظ على منهج السلف في هذه الفترة التي أصبحت فيها التيارات الفكرية المنحرفة عقبة أمام استمرارية الدعوة، بل وتكالبت مع العدوان الصليبي ضد المسلمين.

و - وهذا البحث يعد حلقة في سلسلة التاريخ الدعوي للأمة فهو متمم لدراسات دعوية سابقة تناولت صدر الإسلام والخلافة الراشدة، والدولة الأموية، والدولة العباسية بعصريها الأول والثاني، ومساعد لجهود لاحقة في مجال دراسة التاريخ الدعوي للأمة الإسلامية.

(٣) التراكمات النظرية السابقة:

لا توجد كتابات مستقلة تناولت فترة الحروب الصليبية تناولاً مباشراً من الناحية الدعوية، ولا سيما دعوة المسلمين للنصارى، وكل ما كتب حول موضوع الدراسة فهو على جانبين:

الجانب الأول:

جانب تاريخي عني بسرد الأحداث لهذه الفترة أو بعض منها. وهذا الجانب على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: كتب معاصرة لفترة الحروب الصليبية أو لجزء منها، ومن أهم هذه الكتب:

أ - كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير المتوفّى سنة ٦٣٠ هـ[١]، والذي بدأه

---

(١) هو علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، الجزري، ولد في جزيرة ابن عمر في أقصى جنوب شرق تركيا على الحدود السورية سنة ٥٥٥ هـ، وتوفي بالموصل

من أول الزمان إلى آخر سنة ثمان وعشرين وستمائة، حيث عاصر المؤرخ فترة طويلة من الصراع بين المسلمين والصليبيين سجل كثيراً من أحداثها في كتابه الكامل.

ب ـ كذلك كتاب الروضتين[1]، والذيل على الروضتين[2] لأبي شامة المتوفّى سنة ٦٦٥ هـ[3]، حيث يشتمل كتاب الروضتين على تفاصيل واسعة عن الحروب الصليبية وسيرة كل من نور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي.

جـ ـ كتاب النوادر السلطانية[4] لابن شداد المتوفّى سنة ٦٣٢ هـ، من المؤرخين المعاصرين لهذه الفترة، والذي تولى عدة مناصب لصلاح الدين الأيوبي بين سفارة وقضاء وتدريس، وقد سجل في كتابه النوادر السلطانية كثيراً من الأحداث التي عاصرها.

سنة ٦٣٠ هـ، من العلماء بالنسب، والأدب، والتاريخ، من كتبه: الكامل في التاريخ، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، وتاريخ الدولة الأتابكية وغيرها.

انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٣/ ١٤٩ ـ ١٥٠) ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن خلكان (٣/ ٣٤٨ ـ ٣٥٠).

(١) الروضتين في أخبار الدولتين، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي «أبو شامة»، دار الجيل، بيروت.

(٢) الذيل على الروضتين، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٤م.

(٣) هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي، أبو شامة، لشامة كبيرة فوق حاجبه الأيسر، أصله من القدس، ومولده في دمشق سنة ٥٩٩ هـ ووفاته بها سنة ٦٦٥ هـ. عالم بالحديث والفقه والتاريخ. من كتبه مختصر تاريخ دمشق وشرح الشاطبية والباعث على إنكار البدع والحوادث وغيرها.

انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٣/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥). وطبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق عبد الفتاح الحلو وزميله، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (٨/ ١٦٥ ـ ١٦٨).

(٤) النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق د. جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٤م.

د ـ كتاب زبدة الحلب في تاريخ حلب[1] لابن العديم المتوفّى سنة ٦٦٠ هـ[2].

هـ ـ كتاب مفرج الكروب[3] لابن واصل المتوفّى سنة ٦٩٧ هـ[4]، والذي تولى القضاء للظاهر بيبرس وكذلك السفارة إلى صاحب صقلية.

ومن الكتب الإفرنجية المهمة والمعاصرة لفترة الحروب الصليبية أو لبعض منها:

أ ـ كتاب أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس[5] لمؤلف مجهول صحب الحملة الصليبية الأولى[6].

---

(١) زبدة الحلب في تاريخ حلب، عمر بن أحمد العقيلي «ابن العديم» تحقيق سامي الدهان، دمشق، ١٩٦٨م.

(٢) هو عمر بن أحمد بن هبة الله العقيلي، مؤرخ ومحدث، ولد بحلب سنة ٥٨٨ هـ وكانت وفاته بالقاهرة سنة ٦٦٠ هـ، من كتبه: بغية الطلب في تاريخ حلب، والتذكرة ووصف الطيب وغير ذلك. (انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٣/ ٢٤٩)، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي الأتابكي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر، القاهرة (٧/ ٢٠٨).

(٣) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، محمد بن سالم بن واصل، تحقيق د. جمال الدين الشيال، دار العلم، القاهرة.

(٤) هو محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم بن واصل التميمي الحموي، مولده في حماة بسوريا سنة ٦٠٤ هـ ووفاته بها سنة ٦٩٧ هـ. مؤرخ عالم بالمنطق من فقهاء الشافعية، اتصل بالملك الظاهر بيبرس وأرسله بسفارة إلى ملك صقلية، ومن مؤلفاته: نخبة الفكر في المنطق، والتاريخ الصالحي وتجريد الأغاني وكتب أخرى في المنطق.
انظر: الوافي بالوفيات، خليل بن أيبك الصفدي، إصدار جمعية المستشرقين الألمانية بعناية جماعة من العرب والمستشرقين، بيروت، ١٩٦٢م ـ ١٩٨٣م (٣/ ٨٥).

(٥) أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، المؤلف المجهول، ترجمة حسن حبشي، دار الهناء للطباعة، القاهرة، ١٩٥٨م.

(٦) المؤلف المجهول: نورماني الأصل، من جنوب إيطاليا، توجه مع الحملة الصليبية الأولى مع بوهمند ـ أول حاكم صليبي لأنطاكية بعد احتلالها ـ واشترك في القتال ضد المسلمين. وكتب تاريخ هذه الحملة من بدايتها إلى نهايتها كشاهد عيان.

ب ـ كتاب لويس التاسع[1] وحملته على مصر والشام[2].

جـ ـ كتاب الوجود الصليبي في الشرق العربي[3].

د ـ كتاب الحروب الصليبية لوليم الصوري[4] الصليبي الذي ولد في القدس بعد أن صارت مملكة صليبية.

القسم الثاني: كتب جاءت في فترة لاحقة لفترة الحروب الصليبية وتعرضت لتاريخ هذه الفترة ومن هذه الكتب:

انظر: الحروب الصليبية، آرنست باركر، ترجمة: د. السيد الباز العريني، ص (١٨٨).

(١) لويس التاسع: من ملوك فرنسا بين عام (٦١٠ هـ ـ ١٢١٤م ـ ٦٦٨ هـ ـ ١٢٧٠ م) قاد الحملتين الصليبيتين السابعة والثامنة، أسره المسلمون في معركة المنصورة وفدى نفسه، وتوفي في مرض الطاعون في تونس خلال حملته عليها سنة ٦٦٩ هـ، وكان يطلق عليه لشدة تدينه: القديس لويس، وكان قيامه بحملاته الصليبية ـ كما يقول ـ شكراً لله على مرض شفي منه في أوربا.
انظر: أطلس التاريخ الإسلامي، د. حسين مؤنس، ص (٢٧٠ ـ ٢٧١م)، والحروب الصليبية، آرنست باركر، ترجمة: د. السيد الباز العريني، ص (١٢١)، والمنجد في اللغة والأعلام، ص (٥٠١)، والعدوان الصليبي على مصر، د. جوزيف نسيم، دار النهضة العربية، بيورت، ١٩٨١م، ص (٢٩)، وما بعدها.

(٢) لويس التاسع وحملته على مصر والشام، جان دي جوا نفيل، ترجمة حسن حبشي، القاهرة.

(٣) تأليف فوشيه شارتر، ترجمة د. قاسم عبده قاسم، ذات السلاسل، الكويت، ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣م.

(٤) وليم الصوري أحد أشهر مؤرخي الحروب الصليبية، ولد في القدس سنة ٥٢٤ هـ ـ ١١٣٠ م، ودرس فيها ورحل إلى فرنسا وإيطاليا طلباً للدراسات الدينية ثم عاد وتولى ديوان الرسائل في مملكة بيت المقدس الصليبية. ثم رئيس أساقفة صور. وأصبح مستشاراً للملك عموري الصليبي، له العديد من المؤلفات حول تأريخ الحملات الصليبية المتقدمة.
انظر: مقدمة د. حسن حبشي في ترجمته لكتاب: الحروب الصليبية، لوليم الصوري ص (٩) وما بعدها.

أ ـ كتاب البداية والنهاية لابن كثير المتوفّى سنة ٧٧٤ هـ[١].

ب ـ كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر[٢]. . . لابن خلدون المتوفّى سنة ٨٠٨هـ[٣].

جـ ـ كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي المتوفّى سنة ٨٧٤ هـ[٤]، إلى غير ذلك.

القسم الثالث: كتب حديثة ألفها متخصصون بتاريخ العصور الوسطى بعامة والحروب الصليبية بخاصة ومن هذه الكتب:

---

(١) هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو القرشي الدمشقي، ولد قرب بُصرى الشام سنة ٧٠١ هـ وتوفي بدمشق سنة ٧٧٤ هـ. صاحب التصانيف الكثيرة في التفسير والحديث والتاريخ، من كتبه تفسير القرآن، والاجتهاد في طلب الجهاد، واختصار علوم الحديث وغيرها.

انظر: البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، (١/ ١٥٣)، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن علي العسقلاني، حيدرآباد، ١٩٤٥م (١/ ٣٧٣).

(٢) العبر وديوان المبتدأ والخبر، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ٣٩١ هـ ـ ١٩٧١م.

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون الحضرمي الإشبيلي، أصله من إشبيلية، ومولده ونشأته في تونس واستقر بالقاهرة، ولد سنة ٧٣٢ هـ وتوفي بالقاهرة سنة ٨٠٨ هـ. كان فيلسوفاً مؤرخاً عالماً بالاجتماع، من أشهر كتبه: العبر ومقدمته في علم الاجتماع، والتي ترجمت إلى عدة لغات.

انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، القاهرة، ١٣٥٣ هـ ـ ١٣٥٥ هـ (٤/ ١٤٥)، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني (١/ ٣٣٧ ـ ٣٣٩).

(٤) هو يوسف بن تغري بردي بن عبدالله الظاهري الحنفي، ولد سنة ٨١٣ هـ بالقاهرة، ووفاته فيها سنة ٨٧٤ هـ، مؤرخ بحاثة كان والده من مماليك الظاهر برقوق، ومن كتبه: النجوم الزاهرة ومورد الطاقة فيمن ولي السلطنة والخلافة، ونزهة الرأي في التأريخ، وحوادث الدهور في مدى الأيام والشهور وغيرها.

انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، محمد بن عبد الرحمن السخاوي (١٠/ ٣٠٥ ـ ٣٠٨).

أ ـ كتاب أضواء جديدة على الحروب الصليبية[1].

ب ـ كتاب الحركة الصليبية[2].

جـ ـ كتاب العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى[3].

د ـ كتاب العدوان الصليبي على مصر[4].

هـ ـ كتاب الإسلام والمسيحية وصراع القوى بينهما في العصور الوسطى[5].

و ـ كتاب العدوان الصليبي على بلاد الشام[6].

وهناك كتب إفرنجية حديثة عن تاريخ الحروب الصليبية ومترجمة إلى العربية ومن هذه الكتب:

أ ـ كتاب تاريخ الحروب الصليبية[7].

ب ـ كتاب الحروب الصليبية[8].

الجانب الثاني:

كتابات تناولت جوانب الحضارة الإسلامية وتعرضت فيما تعرضت له للحضارة الإسلامية في فترة الحروب الصليبية. ومن هذه الكتب:

أ ـ كتاب الإسلام والحضارة الغربية[9].

---

(١) لسعيد عبد الفتاح عاشور، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٤م.

(٢) لسعيد عبد الفتاح عاشور، مكتبة الإنجلو مصرية، القاهرة، ط السادسة، ١٩٩٤م.

(٣) لجوزيف نسيم يوسف، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨١م.

(٤) لجوزيف نسيم يوسف، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م.

(٥) لجوزيف نسيم يوسف، دار الفكر الجامعي، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

(٦) لجوزيف نسيم يوسف، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م.

(٧) لستيفن رانسيمان، ترجمة السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٨م.

(٨) آرنست باركر، ترجمة السيد الباز العريني، دار النهضة، بيروت، الطبعة الرابعة.

(٩) لمحمد كرد علي، القاهرة.

ب ـ كتاب الحضارة العربية الإسلامية[1].

ومن الكتب التي تناولت الجوانب الحضارية في فترة الحروب الصليبية بشكل خاص:

أ ـ كتاب الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر[2].

ب ـ كتاب المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية[3].

وهناك كتب أبرزت أثر الحضارة الإسلامية على أوربا. ومن هذه الكتب:

أ ـ كتاب أثر العرب في الحضارة الأوربية[4].

ب ـ كتاب أثر العرب في الحضارة الأوربية[5]. وغير ذلك.

ومن الكتب المترجمة التي أبرزت أثر الإسلام على الحضارة الأوربية وفي ثناياها تعرضت لفترة الحروب الصليبية:

أ ـ كتاب الدعوة إلى الإسلام[6].

ب ـ كتاب شمس العرب تسطع على الغرب[7].

جـ ـ كتاب حضارة العرب[8].

---

(١) لعلي حسن الخربوطلي، القاهرة، ١٩٦٣م.

(٢) لمحمود محمد علي الحويري، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٩م.

(٣) لأحمد رمضان محمد، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٧م.

(٤) لجلال مظهر، أثر العرب في الحضارة الأوربية، دار الرائد، بيروت، ١٩٦٧م.

(٥) لعباس محمود العقاد، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٣م.

(٦) لتوماس آرنولد، ترجمة د. حسن إبراهيم حسن وآخرين.

(٧) لزيغريد هونكه، ترجمة فاروق بيضون وكمال الدسوقي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨١م.

(٨) لغوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٤٥م.

د ـ كتاب فضل الإسلام على الحضارة الغربية[1]. وغير ذلك.

إلا أن هذه الكتب ركزت على الجانب المادي المتمثل في الفنون المعمارية والفنون العسكرية وما إلى ذلك وإذا تعرضت للجانب الفكري فبشكل مختصر وبتركيز على الأثر العلمي والطبي والأدبي.

ويمكن أن يستقرأ من كتب التراجم[2] والرحلات[3] والسير الشخصية الخاصة[4] والتي ظهرت في فترة الحروب الصليبية جوانب دعوية لها أثرها على النصارى في هذه الفترة.

لذلك يلاحظ أن الكتابات السابقة لم تتعرض بشكل مباشر لدعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية. وعليه فتأتي هذه الدراسة تحت هذا العنوان «دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية» مستفيدة من الكتابات السابقة لتلقي الضوء على جهود المسلمين الدعوية الموجهة إلى النصارى في هذه الفترة مبرزة هذه الجهود بموضوعاتها المختلفة وأثرها على النصارى، ومبينة أبرز أساليب المسلمين ووسائلهم في ذلك، وموضحة أوجه الاستفادة من دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية في وقتنا الحاضر.

(٤) مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

يسعى الباحث من خلال هذه الدراسة إلى الكشف عن جهود المسلمين الدعوية بموضوعاتها المختلفة الموجهة للنصارى. واستجلاء ما يتعلق بها من أساليب ووسائل، وأيضاً عوامل نجاحها وكيف كانت مواجهتها للمشكلات التي

---

(١) لمونتجمري وات، ترجمة حسين أحمد أمين، دار الشروق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م.

(٢) كسير أعلام النبلاء في المجلدات ٢١، ٢٢، ٢٣.

(٣) كرحلة ابن جبير الذي زار الشام في فترة الغزو الصليبي وسجل فيها كثيراً من مشاهداته.

(٤) ككتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ والذي ذكر فيه سيرته الخاصة ورحلاته وصداقاته ومشاهداته في الشام ومصر إبان فترة الغزو الصليبي.

اعترضتها وكيفية الاستفادة من ذلك في العصر الحاضر، ولذلك فإن هذه الدراسة تهدف إلى الإجابة على التساؤلات التالية:

١ ـ من القائمون بدعوة النصارى في عصر الحروب الصليبية؟ وما جهودهم في هذا المجال؟.

٢ ـ ما أبرز موضوعات دعوة المسلمين للنصارى في ذلك العصر؟.

٣ ـ ما أبرز وسائل المسلمين وأساليبهم في دعوة النصارى في ذلك العصر؟.

٤ ـ ما معوقات دعوة المسلمين للنصارى في ذلك العصر؟ وكيف كانت سبل مواجهتها؟.

٥ ـ ما آثار دعوة المسلمين للنصارى في ذلك العصر سواء في البلاد الإسلامية أو في أوربا؟.

٦ ـ ما أوجه الاستفادة من دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية في عصرنا الحاضر؟.

(٥) حدود الدراسة:

النطاق الزمني لفترة الدراسة هو فترة الحروب الصليبية الممتدة من سنة ٤٩٢ هـ إلى سنة ٦٩١ هـ. والمجال المكاني لها هو ما امتدت إليه آثار هذه الحروب سواء في البلاد الإسلامية أو في أوربا.

وسوف تقتصر هذه الدراسة على دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية وما يتصل بها بشكل مباشر أو غير مباشر.

ولن تتعرض للجانب التاريخي أو الاجتماعي أو غيرهما إلا بما يخدم موضوع الدراسة.

(٦) منهج البحث:

لن تكون هذه الدراسة تاريخية وصفية فحسب، بل سوف تعتمد المنهج التاريخي في توفير البيانات والمعلومات اللازمة لمشروع البحث، ومن ثم تحليل

هذه المعلومات والبيانات ـ أي فحصها واستقراء دلالاتها[1] ـ للوصول إلى الإجابة على الأسئلة الواردة في تحديد مجال البحث.

إذ إن المنهج التاريخي ليس سرداً فحسب بل إنه يعتمد على دراسة الأحداث الماضية للإفادة منها في فهم الحاضر والتخطيط للمستقبل[2].

وسوف يعني الباحث بالنقاط التالية:

١ ـ عزو الآيات إلى مواضعها في المصحف، وتخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية، ونقل ما ذكره العلماء في الحكم عليها إذا لم تكن في الصحيحين.

٢ ـ توثيق النصوص والشواهد من مصادرها المعتمدة.

٣ ـ النصوص المقتبسة من غير الكتاب والسنّة تعزى إلى مصادرها في الحاشية، وإذا كان فيها اختصار أو تصرف يكتب أمام المصدر أو المرجع كلمة: «انظر».

٤ ـ نصوص التوراة والإنجيل التي أوردها علماء هذه الفترة وثقتها من النسخة العربية الحالية للكتاب المقدس، وذلك لعدم إمكانية الوقوف على النسخ التي اعتمد عليها هؤلاء العلماء.

٥ ـ الترجمة للأعلام باستثناء الأنبياءعليهم السلام وكبار الصحابة ممن استفاضت شهرته.

٦ ـ التعريف بإيجاز بالأماكن والبلدان الواردة في ثنايا البحث.

٧ ـ شرح الألفاظ الغريبة أو المصطلحات التي ترد في ثنايا البحث بشكل موجز.

---

(١) مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ديوبولدب فان دالين، ترجمة د. محمد نبيل نوفل وآخرون، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م، ص (٣٢٥).

(٢) انظر: البحث العلمي مفهومه، أدواته، أساليبه، د. ذوقان عبيدات وآخرين، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان ١٩٨٩م، ص (١٧٣).

٨ ـ في مبحث الردود على شبه النصارى سوف يُقتصر على ما أورده علماء هذه الفترة في ردودهم على الرغم من أن هناك الكثير مما يمكن قوله في ذلك. وإن رأيت الحاجة ماسة إلى إضافة شيء فإني أضعه في الهامش.

٩ ـ لن يكون هناك حصر شامل لجميع الجهود الدعوية المبذولة من المسلمين تجاه النصارى في هذه الفترة، وإنما هي نماذج مختارة روعي فيها التوزيع المكاني على امتداد رقعة البلاد الإسلامية، وكذلك الفترة الممتدة لمائتي سنة. بحيث يعطي ذلك صورة واضحة شاملة للجانب الدعوي تجاه النصارى في فترة الحروب الصليبية.

(٧) تقسيم الدراسة:

المقدمة:

وتشمل:

١ ـ مدخل.

٢ ـ التعريف بمفردات عنوان البحث.

٣ ـ أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

٤ ـ التراكمات النظرية السابقة.

٥ ـ مشكلة الدراسة وتساؤلاتها.

٦ ـ حدود الدراسة.

٧ ـ منهج البحث.

٨ ـ تقسيم الدراسة.

الفصل التمهيدي:

المبحث الأول: عالمية الدعوة الإسلامية وأهمية دعوة النصارى إلى الإسلام.

المبحث الثاني: حال البلاد الإسلامية قبيل الحروب الصليبية.

المبحث الثالث: حال النصارى قبيل الحروب الصليبية.

المبحث الرابع: أسباب الحروب الصليبية.

الفصل الأول: موضوعات دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية.

المبحث الأول: الدعوة إلى العقيدة الإسلامية.

المبحث الثاني: مناقشة عقائد النصارى.

المبحث الثالث: الردود على شبه النصارى.

الفصل الثاني: القائمون بدعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية.

المبحث الأول: القائمون بدعوة المسلمين للنصارى من الولاة والقادة.

المبحث الثاني: القائمون بدعوة المسلمين للنصارى من العلماء.

المبحث الثالث: قيام العامة بدعوة النصارى.

الفصل الثالث: أساليب دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية ووسائلها.

المبحث الأول: أساليب دعوة المسلمين للنصارى.

المبحث الثاني: وسائل دعوة المسلمين للنصارى.

الفصل الرابع: معوقات دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية وكيف كانت مواجهاتها.

المبحث الأول: معوقات دعوة المسلمين للنصارى.

المبحث الثاني: الجهود المبذولة للتغلب على هذه المعوقات.

الفصل الخامس: آثار دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب

الصليبية وأوجه الاستفادة منها في الوقت الحاضر.

المبحث الأول: آثار دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية.

المبحث الثاني: أوجه الاستفادة من دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية في الوقت الحاضر.

الخاتمة.

وتشمل خلاصة البحث وأهم النتائج والتوصيات.

الفهارس.

هذا وختاماً الشكر لله أولاً وآخراً على ما يسره لي من إتمام هذه الرسالة، ثم الشكر الجزيل والدعاء الصادق لوالدي الكريمين «وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا»، والشكر والدعاء لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر المشرف على هذه الرسالة الذي لم يبخل عليّ بوقته وعلمه وتوجيهاته السديدة. كما لا يفوتني أن أشكر قسم الدعوة والاحتساب بكلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية إذ أتاح لي فرصة مواصلة الدراسة بمرحلة الدكتوراة. كما لا أنسى أن أدعو لكل من تعاون معي في إعداد هذه الرسالة سواء بتوجيه أو تقديم معلومة أو إعارة كتاب. فلجميع مني الدعاء الصادق والشكر الجزيل. والله أسأل أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه، وأن يجعلنا هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفصل التمهيدي

المبحث الأول

عالمية الدعوة الإسلامية
وأهمية دعوة النصارى

المطلب الأول

عالمية الدعوة الإسلامية

العالمية لغـةً:

العالمية لغةً نسبة إلى ـ العالَم ـ والتاء للتأنيث حيث يقال: عالميٌّ للمذكر وعالمية للمؤنث.

والعالم جمع لا واحد له من لفظه، وهو الخلق كله، وقيل: ما حواه بطن الفلك[(١)].

وجمع الجمع عالمون، ولا يجمع شيء على وزن فاعل بالواو والنون إلا هذا[(٢)]. فهو من جملة الألفاظ الملحقة بجمع المذكر السالم[(٣)].

العالمية في الاصطلاح:

لكون العالمية في اللغة نسبةً إلى كلمة ـ عالم ـ فقد وردت عدة تعاريف لهذه الكلمة:

١ ـ إن العالم كل موجود سوى الله سبحانه.

---

(١) انظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، مادة عَلِمَ (١٢/ ٤٢٠).

(٢) انظر: المصدر السابق مادة عَلِمَ (١٢/ ٤٢٠).

(٣) انظر: جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، راجعه عبد المنعم خفاجه، المكتبة العصرية، صيدا وبيروت، الطبعة الحادي والعشرون، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٧م (٢/ ١٨).

قال قتادة[1]: «العالمون جمع عالم وهو كل موجود سوى الله[2]».

وقال الطبري: «والعالم اسم لأصناف الأمم، وكل صنف منها عالم، وأهل كل قرن من كل صنف منها عالم» فالإنس عالم، والجن عالم، وكذلك سائر أجناس الخلق[3].

قال الزجاج[4]: «العالم كل ما خلقه الله في الدنيا والآخرة»[5].

٢ ـ قيل: إن العالم: الإنس والجن والملائكة والشياطين: أي خُصصت بمن يعقل.

٣ ـ وقيل: إن المراد بالعالم: الإنس والجن فقط.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ الإنس والجن»[6]. «ودليله قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[7]»[8].

---

(١) هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز البصري، حافظ العصر وقدوة المفسرين. قال عنه الذهبي: كان من أوعية العلم، وممن يضرب به المثل في قوة الحفظ. كان ميلاده سنة ٦١ هـ ووفاته سنة ١١٨ هـ.

انظر: الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، دار صادر، بيروت، (٧/ ٢٢٩)، وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٥/ ٢٦٩) وما بعدها.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، المجلد الأول، الجزء الأول، ص (٩٧).

(٣) انظر: جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، المجلد الأول، الجزء الأول (٦٢ ـ ٦٣).

(٤) هو إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل الزجاج، نسبةً إلى عمله في خرط الزجاج في بداية حياته، ولد في بغداد سنة ٢٤١ هـ ومات بها سنة ٣١١ هـ. عالم باللغة وصاحب المصنفات الكثيرة، منها: معاني القرآن، وإعراب القرآن والاشتقاق وغيره.

انظر: طبقات النحويين واللغويين، محمد بن الحسن الزبيدي، القاهرة، ١٩٥٤م، ص (١١١ ـ ١١٢)، وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٤/ ٣٦٠).

(٥) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، المجلد الأول، الجزء الأول، ص (٩٧).

(٦) جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، المجلد الأول، الجزء الأول، ص (٦٣).

(٧) سورة الفرقان، الآية: (١).

(٨) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، المجلد الأول، الجزء الأول، ص (٩٧).

وعلى ضوء ما تقدم يمكن أن يقال: إن لفظ العالمين كل موجود سوى الله سبحانه وتعالى لقوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾[1].

وبما أن المكلفين من العالمين هم الإنس والجن فعالمية الدعوة الإسلامية تعني إن رسالة محمدﷺ عامة لهما. وأن الدعوة إلى هذه الرسالة متوجهة إليهما.

الأدلة على عالمية الدعوة الإسلامية:

أولاً: من الكتاب: حيث وردت آيات كثيرة تدل على عالمية الدعوة الإسلامية، فمن ذلك.

أ ـ بعض الآيات التي ورد فيها لفظ ﴿ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾:

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[2]. أي: «وما أرسلناك يا محمد بالشرائع والأحكام إلا رحمة لجميع الناس»[3].

وقال سبحانه: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾[4].

قال الطبري: «. . . أي ليكون محمد لجميع الجن والإنس»[5].

وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَـٰلَمِينَ﴾[6].

وقال: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾[7] إلى غير ذلك من الآيات.

---

(١) سورة الشعراء، الآيتان: (٢٣، ٢٤).

(٢) سورة الأنبياء، الآية: (١٠٧).

(٣) فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني (٣/ ٦١٦).

(٤) سورة الفرقان، الآية: (١).

(٥) جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، المجلد الأول، الجزء الثامن عشر، ص (١٧٩).

(٦) سورة الأنعام، الآية: (٩٠).

(٧) سورة التكوير، الآية: (٢٦ ـ ٢٧).

ووجه الاستدلال بهذه الآيات ظاهر من جهة كون الإنس والجن هم المكلفون من العالمين، فالدعوة إذن متوجهة إليهما.

ب ـ بعض الآيات التي ورد فيها لفظ ﴿ٱلنَّاسِ﴾:

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[1]. قال الطبري: أي: «قل يا محمد للناس كلهم ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ لا إلى بعضكم دون بعض كما كان من قبلي من الرسل»[2].

وقال أبو السعود[3]: «لما حكي ما في الكتابين من نعوت رسول الله ﷺ وشرف من يتبعه من أهلها ونيلهم لسعادة الدارين، أمر عليه الصلاة والسلام ببيان أن تلك السعادة غير مختصة بهم بل شاملة لكل من يتبعه كائناً من كان ببيان عموم رسالته للثقلين»[4].

ومن الآيات أيضاً: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[5]. وقوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾[6]. وقوله: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾[7]. إلى غير ذلك.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: (١٥٨).

(٢) جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، المجلد الأول، الجزء التاسع، ص (٨٦).

(٣) هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، مفسر، وشاعر، من علماء الترك المستعربين، ولد قرب إستانبول سنة ٨٩٨ هـ ووفاته فيها سنة ٩٨٢ هـ، من كتبه: إرشاد العقل السليم في التفسير ورسالة في المسح على الخفين ورسالة في الأوقاف وغير ذلك.
انظر: طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي، تحقيق د. سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧م، ص (٣٩٨ ـ ٣٩٩)، والأعلام، خير الدين الزركلي (٧/ ٥٩).

(٤) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، المجلد الثاني، الجزء الثالث، ص (٢٨٠).

(٥) سورة النساء، الآية: (١٧٤).

(٦) سورة يونس، الآية: (١٠٨).

(٧) سورة إبراهيم، الآية: (٥٢).

ووجه الاستدلال بهذه الآيات هو توجه الخطاب إلى عموم الناس.

والناس جمع لا واحد له من لفظه، وإنما واحده إنسان، وواحدته إنسانة[١].

«والإنسان من الناس اسم جنس يقع على الذكر والأنثى الواحد والجمع»[٢].

ولا يدخل في عموم الناس هنا الإنس فقط، بل تشمل الإنس والجن. «فإن قال قائل: فالجن ناس. فيقال: الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس. قيل: قد سماهم الله في هذا الموضع ناساً كما سماهم في موضع آخر رجالاً... فجعل الجن رجالاً وكذلك جعل منهم ناساً»[٣].

وقد ذكر عن بعض العرب أنه قال وهو يحدث إذ جاءه قوم من الجن فوقفوا، فقيل: من أنتم؟ فقالوا: ناس من الجن، فجعل منهم ناساً[٤].

ومن أدلة شمول دعوته ﷺ للجن قوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾[٥]. قال الطبري: «يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هؤلاء النفر من الجن ﴿يَٰقَوْمَنَآ﴾ من الجن ﴿أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾ قالوا: أجيبوا رسول الله محمداً إلى ما يدعوكم إليه من طاعة الله»[٦].

ولا أدل على إرسال النبيّ ﷺ إلى الجن أيضاً من إيمانهم بالقرآن كما ورد

---

(١) انظر: جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، المجلد الأول، الجزء الأول، ص (١١٦).

(٢) المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي، ص (١٠).

(٣) جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، المجلد الخامس عشر، الجزء الثلاثون، ص (٣٥٦).

(٤) انظر: المصدر السابق، المجلد الخامس عشر، الجزء الثلاثون، ص (٣٥٦).

(٥) سورة الأحقاف، الآية: (٣١).

(٦) جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، المجلد الثالث عشر، الجزء السادس والعشرون، ص (٣٤).

في سورة الجن: ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ۝٢﴾[1]. فإيمانهم بالقرآن دليل على أنهم مخاطبون به، وأن من جاء به وهو محمد ﷺ مرسل إليهم أيضاً.

جـ - الآيات التي ورد فيها لفظ ﴿كَآفَّةٗ﴾ أو ﴿جَمِيعٗا﴾:

ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾[2]. ومعنى ﴿كَآفَّةٗ﴾ عامة[3] وعامةً من الألفاظ الدالة على الشمول[4].

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾[5]. فكلمة ﴿جَمِيعٗا﴾ من ألفاظ التوكيد التي ترفع توهم عدم إرادة الشمول[6].

د - أخذ الميثاق على النبيين بالإيمان بنبوة محمد ﷺ ورسالته:

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٨١﴾[7].

قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: «لم يبعث الله عزّ وجلّ نبياً، آدم فمن بعده، إلا أخذ عليه العهد في محمد: لئن بُعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، ويأمره فيأخذ العهد على قومه»[8].

---

(١) سورة الجن، الآيتان: (١ - ٢).

(٢) سورة سبأ، الآية: (٢٨).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، المجلد السابع، الجزء الرابع عشر، ص (١٩٢).

(٤) انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، عبدالله بن عقيل العقيلي، المكتبة العصرية، صيدا وبيروت، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م، (٢/ ١٩٣).

(٥) سورة الأعراف، الآية: (١٥٨).

(٦) انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، عبدالله بن عقيل العقيلي (٢/ ١٩٢).

(٧) سورة آل عمران، الآية: (٨١).

(٨) جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، المجلد الثالث، الجزء الثالث، ص (٣٣٢).

وقال ابن عباس: «... ثم ذكر ما أخذ عليهم يعني أهل الكتاب، وعلى أنبيائهم من الميثاق بتصديقه، يعني بتصديق محمد ﷺ إذا جاءهم وإقرارهم على أنفسهم»[١].

هـ - أن القرآن حجة على من بلغه كائناً من كان:

قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾[٢]، فليس الإنذار بهذا القرآن مقتصراً على قوم النبيّ ﷺ، بل يشملهم ويشمل كل من بلغه القرآن.

قال ابن عباس: ﴿لِأُنذِرَكُم﴾ يعني أهل مكة ﴿وَمَن بَلَغَ﴾ يعني من بلغه القرآن فهو النذير له»[٣]. وقال الطبري: «أي لأنذركم بالقرآن أيها المشركون، وأنذر من بلغه القرآن من الناس كلهم»[٤].

ثانياً: من السنّة: حيث ورد الكثير من الأحاديث التي تدل على عالمية الدعوة الإسلامية منها:

حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**... وكان النبيّ يبعث إلى قومه خاصةً وبعثت إلى الناس كافةً...**»[٥].

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: «**... وأرسلت إلى الخلق كافةً، وختم بي النبيّون**»[٦].

---

(١) المصدر السابق، المجلد الثالث، الجزء الثالث، ص (٣٣٢).

(٢) سورة الأنعام، الآية: (١٩).

(٣) جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، المجلد الخامس، الجزء السابع، ص (١٦٣).

(٤) المصدر السابق، المجلد الخامس، الجزء السابع، ص (١٦٣).

(٥) أخرجه البخاري، الصحيح، كتاب التيمم، الباب الأول، حديث رقم ٣٣٥، ص (٨٦)، ومسلم، الصحيح، ولفظه «وبعثت إلى كل أحمر وأسود»، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، حديث رقم ٥٢١، ص (٢١١).

(٦) أخرجه مسلم، الصحيح، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، حديث رقم ٥٢٣، ص (٢١١ - ٢١٢).

وأيضاً حديث أبي هريرةﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**»(١).

ودلت السنّة كذلك على شمول دعوته ﷺ للجن. فمن ذلك ما ورد في الحديث عن جابر بن عبدالله ﷺ قال: «خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا. فقال: «**لقد قرأتها على الجن ليلة الجن، فكانوا أحسن مردوداً منكم، كنت كلما أتيت على قوله:** ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ **قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد**»(٢).

فهذا الحديث يدل على مخاطبة رسول الله ﷺ الجن، وقراءته القرآن عليهم، وإنصاتهم له، وإيمانهم بنعم الله سبحانه وتعالى عليهم والتي من أعظمها الإسلام.

وفعله ﷺ كذلك يدل على عالمية الدعوة، فبعد دعوته عليه الصلاة والسلام لقومه وعشيرته الأقربين أخذ يعرض نفسه على القبائل في أسواق العرب وفي المواسم. فعن رجل من بني مالك بن كنانة قال: رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز يتخللها يقول: «**أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا...**»(٣).

ثم إرساله الكتب والرسائل إلى الملوك والأمراء. فعن أنس بن مالك ﷺ «أن النبيّ ﷺ كتب إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى...»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته، حديث رقم ١٥٣، ص (٨٥).

(٢) أخرجه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، تفسير سورة الرحمن، (٧٣ ـ ٧٤)، قال الألباني: حسن، صحيح سنن الترمذي (٣/ ٣٤٢).

(٣) أخرجه الإمام أحمد، المسند، حديث رقم ١٦٠٢٣، (٢٥/ ٤٠٤ ـ ٤٠٥)، قال محققوه: صحيح لغيره.

(٤) أخرجه مسلم، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب كُتُب النبيّ ﷺ إلى ملوك الكفار، حديث رقم ١٧٧٤، ص (٧٣٧).

ثالثاً: فعل الصحابة رضي الله عنهم بعده ﷺ:

فبعد وفاته ﷺ واستلام أبي بكر رضي الله عنه الخلافة وبعد قضائه على فتنة الردة في السنة الحادية عشرة من الهجرة بدأ بالفتوحات الإسلامية نشراً للدعوة. حيث أرسل الجيوش إلى العراق ضد الدولة الفارسية، وإلى الشام ضد الروم[1]. ثم متابعة ذلك من قبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه[2]، ومن بعده عثمان بن عفان رضي الله عنه[3]، حيث امتدت الدولة الإسلامية من حدود الصين[4] إلى طرابلس الغرب[5] شرقاً وغرباً، ومن أرمينية[6] إلى اليمن شمالاً وجنوباً[7].

ولما ارتضى سبحانه وتعالى دين الإسلام للثقلين الإنس والجن، وكانت

---

(١) انظر نبذةً عن الفتوحات في عهد الصديق في: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٢/ ٢٣٤ ـ ٢٦١).

(٢) انظر نبذةً عن الفتوحات في عهد الفاروق في: المصدر السابق (٢/ ٢٦٨) وما بعدها.

(٣) انظر نبذة عن الفتوحات في عهد عثمان في: المصدر السابق (٢/ ٤٥٧) وما بعدها.

(٤) بلاد الصين تشغل مساحة واسعة في وسط آسيا وتحد شمالاً بروسيا ومنغوليا، وجنوباً ببحر الصين وفيتنام وبورما ونيبال والهند وتمتد من المحيط الهادي شرقاً إلى كشمير وطاجكستان وقرقيزيا وقازقستان من الناحية الغربية والتي امتدت إلى مناطق منها الفتوحات الإسلامية في آخر خلافة عثمان رضي الله عنه.

انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٣/ ٥٠٠) وما بعدها، وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس، ص (١١٦ ـ ٢١٩)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، ص (٦٧).

(٥) طرابلس الغرب عاصمة ليبيا حالياً تقع في شمالها على ساحل البحر المتوسط. (انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٤/ ٢٨)، وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس، ص (٣٠ ـ ٣١). وأطلس العالم، محمد سيد نصر، ص (٥٨).

(٦) منطقة جبلية بين هضبة الأناضول في تركيا ومرتفعات إيران، تقع على أجزاء منها حالياً دولة أرمينية. (انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (١/ ١٩٠)، وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس ص (١٤٦ ـ ١٤٧)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، ص (٦٧).

(٧) انظر: خريطة الفتوحات الإسلامية في عهد الخلافة الراشدة في: أطلس التاريخ الإسلامي، د. حسين مؤنس، ص (١٤٦).

الدعوة الإسلامية إليه متوجهة إليهما كما سبق إيضاحه؛ لذلك ميّز جلّ وعلا هذا الدين لكي يصلح لهذه العالمية بمميزات أهمها:

١ ـ سلامته من التحريف بحفظ الكتاب والسنّة:

فالإسلام دين محفوظ بحفظ الله سبحانه وتعالى، فلم تدخله تحريفات البشر، ولم يخالطه شيء من آرائهم. فالقرآن بحمد الله قد نقل إلينا بالتواتر واعتنت الأمة بكتابته ودراسته وحفظه، فلم تختلف لفظة من ألفاظه منذ نزل على محمد ﷺ. قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[1].

قال يحيى بن أكثم[2]: «إنه كان للمأمون[3] مجلس نظر، فدخل في جملة الناس رجل يهودي حسن الثوب طيب الرائحة، فتكلم فأحسن الكلام والعبارة، فلما أن تقوض المجلس دعاه المأمون فقال له: إسرائيلي؟ قال: نعم، قال له: أسلم حتى أفعل بك وأصنع ووعده. فقال ديني ودين آبائي وانصرف. فلما كان بعد سنة جاءنا مسلماً، فتكلم على الفقه فأحسن الكلام فلما تقوض المجلس دعاه

---

(١) سورة الحجر، الآية: (٩).

(٢) هو يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن التميمي يتصل نسبه بأكثم بن صيفي حكيم العرب. كان مولده بمرو سنة ١٥٩ هـ وتوفي في الربذة في طريق عودته من الحج سنة ٢٤٢ هـ. اتصل بالمأمون فولاه قضاء البصرة ثم بغداد، وبلغ عنده منزلة عالية، حتى كان وزراء الدولة لا يبتون بشيء إلا بعد عرضه عليه.
انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٢/ ٥)، وما بعدها، والنجوم الزاهرة يوسف بن تغري بردي (٢/ ٢١٦)، وما بعدها.

(٣) هو عبدالله بن هارون بن محمد بن أبي جعفر المنصور، سابع خلفاء بني العباس، ولد سنة ١٧٠ هـ ومات في بذندون قرية قرب طرسوس سنة ٢١٨ هـ حيث حمل إليها ودفن بها، تولى الخلافة بعد خلع أخيه الأمين سنة ١٩٨ هـ وازدهرت الدولة في عهده ازدهاراً كبيراً، كان عالماً حليماً مهتماً بالعلم والعلماء وفي عهده شجع على ترجمة كتب الفلسفة والحكمة وامتحن الناس بخلق القرآن.
وانظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، (٥/ ٥٧٩) وما بعدها، وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٠/ ٢٧٧) وما بعدها.

المأمون وقال: ألست صاحبنا بالأمس؟ قال له: بلى قال: فما كان سبب إسلامك؟ قال: انصرفت من حضرتك فأحببت أن أمتحن هذه الأديان، وأنت مع ما تراني حسن الخط، فعمدت إلى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها البيع فاشتريت مني، وعمدت إلى الإنجيل فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها البيع فاشتريت مني، وعمدت إلى القرآن فعمدت ثلاث نسخ وزدت فيها ونقصت، وأدخلتها الوراقين فتصفحوها، فلما أن وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بها ولم يشتروها، فعلمت أن هذا الكتاب محفوظ فكان هذا سبب إسلامي. قال يحيى بن أكثم: فحججت تلك السنّة فلقيت سفيان بن عيينة[1] فذكرت له الخبر فقال لي: مصداق هذا في كتاب الله عزّ وجلّ، قال: قلت في أي موضع؟ قال: في قوله تعالى في التوراة والإنجيل: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[2] فجعل حفظه إليهم فضاع، وقال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[3]. فحفظه الله عزّ وجلّ علينا فلم يضع»[4].

والسنّة النبويّة نقلها الصحابة عن الرسول ﷺ، وتلقاها عنهم التابعون حتى حفظت بمصادرها بالسند إلى رسول الله ﷺ في القرن الثالث الهجري تقريباً، حيث اهتم العلماء بجمعها ودراسة سند كل رواية منها ومتنها، فتميز المقبول من المردود، واطمأنت الأمة على هذا المصدر لدينها أن سلم من عبث العابثين.

---

(١) هو سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، ولد بالكوفة سنة ١٠٧ هـ وتوفي بمكة سنة ١٩٨ هـ، محدث الحرم المكي، كان حافظاً ثقةً واسع العلم كبير القدر، قال عنه الشافعي: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز، ألف الجامع في الحديث، وله كتاب في التفسير.

انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٨/ ٤٥٤)، وما بعدها. والصفات الكبرى، محمد بن سعد (٥/ ٤٩٧).

(٢) سورة المائدة، الآية: (٤٤).

(٣) سورة الحجر، الآية: (٩).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، المجلد العاشر، الجزء العاشر، ص (٦).

٢ ـ شموله الموضوعي والزماني والمكاني:

والمقصود بالشمول الموضوعي أي وفاؤه بجميع حاجات الإنسان الاعتقادية والعملية. قال سبحانه وتعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١]. وقال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[٢] قال الشافعي[٣] عن هذه الآية: «فليست تنزل بأحدٍ من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها»[٤]. وقال القرطبي: «والدلالة مبينة مشروحة، وإما مجملة يتلقى بيانها من الرسول عليه الصلاة والسلام، أو من الإجماع، أو من القياس الذي ثبت بنص الكتاب»[٥]. بعكس المذاهب والقوانين الوضعية، فلا تتميز بخاصية الشمول الموضوعي إذ تهتم بجوانب وتهمل أخرى. فيركز البعض على الجانب الروحي مثلاً، والبعض على الجانب الاقتصادي، والبعض على الجانب السياسي، والآخر على الجانب الاجتماعي، إلى غير ذلك. فهي متأثرة بفكر واضعيها وظروفهم الآنية.

أما الشمول الزماني فيقصد به استمرارية صلاحية الدين الإسلامي للبشرية

---

(١) سورة المائدة، الآية: (٣).

(٢) سورة النحل، الآية: (٨٩).

(٣) هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي، أحد الأئمة الأربعة الفقيه المحدث الأصولي، صاحب المصنفات، ولد في غزة سنة ١٥٠ هـ، وتوفي بمصر سنة ١٩٩ هـ. من مؤلفاته الأم في الفقه، والرسالة في الأصول، والمسند في الحديث وغير ذلك. قال عنه الإمام أحمد: إن الله قيضه للناس في رأس المائتين.

انظر: مناقب الشافعي، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة. وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٠/ ٥) وما بعدها.

(٤) الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، المكتبة العلمية، بيروت، ص (٢٠).

(٥) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، المجلد الثالث، الجزء السادس، ص (٢٧٠).

إلى قيام الساعة. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[1]، وقال: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾[2].

والشمول المكاني يعني عدم تحديد انتشاره بإقليم معين أو بلد مخصوص، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[3]، وقال: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾[4].

والشمول المكاني والزماني ليس من خصائص دعوات الرسل السابقين لمحمدﷺ؛ إذ أن دعواتهم كانت لأقوام مخصوصين، وفي أقاليم محددة، وفي أزمنة معينة، كما ورد في حديث جابر بن عبداللهرضي الله عنهما قال: قال رسول اللهﷺ: «**... وكان النبيّ يبعث إلى قومه خاصةً وبعثت إلى الناس كافةً**»[5]. وكذا الشمول الزماني، فدعوات الرسل السابقين نسخت بشريعة الإسلام التي أصبحت بعد مبعث محمدﷺ الدين الذي يجب على كل من بلغه أن يدين به إلى قيام الساعة. قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[6].

٣ ـ الوسطية:

ومن خصائص الإسلام الوسطية في شرائعه المختلفة بين الإفراط والتفريط. قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[7] والمتأمل في جميع شرائع الإسلام تظهر له هذه الوسطية ولا سيما عند المقارنة مع الأديان الأخرى.

ففي الاعتقاد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «. . . والمسلمون وسط في التوحيد بين اليهود والنصارى، فاليهود تصف الرب بصفات النقص التي يختص

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٩).

(٢) سورة آل عمران، الآية: (٨٥).

(٣) سورة الأنبياء، الآية: (١٠٧).

(٤) سورة الأنعام، الآية: (١٩).

(٥) سبق تخريجه، ص ٤٦.

(٦) سورة آل عمران، الآية: (٨٥).

(٧) سورة البقرة، الآية: (١٤٣).

بها المخلوق كما قالوا: إنه بخيل، إنه فقير... والنصارى يصفون المخلوق بصفات الخالق التي يختص بها...»[1].

«... وكذلك في النبوات فاليهود تقتل بعض الأنبياء وتستكبر على أتباعهم... والنصارى يجعلون من ليس بنبيّ ولا رسولاً نبيّاً ورسولاً... فالنصارى تصدق بالباطل واليهود تكذب بالحق...»[2]. والمسلمون يؤمنون بالرسل جميعاً من غير غلو في أحد منهم ولا تكذيب.

ومن مظاهر هذه الوسطية في العبادات قال ـ رحمه الله تعالى ـ: «... فالنصارى يعبدونه ببدع ابتدعوها ما أنزل الله بها من سلطان، واليهود معرضون عن العبادات حتى في يوم السبت الذي أمرهم الله أن يتفرغوا فيه لعبادته...»[3]. أما أهل الاستقامة من هذه الأمة فلا يعبدوا الله إلا بما شرع ملتزمين بذلك ما ورد في الكتاب والسنّة معرضين عن البدع والمحدثات.

ووسطية الإسلام حتى في المأكولات، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «... إن النصارى لم تحرم ما حرم الله، ويستحلون النجاسات والخبائث الميتة والدم ولحم الخنزير، واليهود حرمت طيبات أحلت لهم...»[4]. والإسلام أحل الطيبات وحرم الخبائث.

وهكذا في كل شرائع الإسلام تظهر هذه الوسطية بين جانبي الإفراط والتفريط رحمةً من الله تعالى؛ لتتحقق بهذا الدين مصالح العباد الدينية والدنيوية.

٤ ـ أنه دين الفطرة:

والفطرة هي: «سلامة القلب وقبوله وإرادته للحق الذي هو الإسلام»[5].

---

(١) منهاج السنة، ابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ (٥/ ١٦٨).

(٢) المصدر السابق (٥/ ١٦٩).

(٣) المصدر السابق (٥/ ١٧١).

(٤) المصدر السابق (٥/ ١٧١).

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد (٤/ ٢٤٧).

فالإسلام بتعاليمه السمحة، متسق مع الفطرة السليمة، فكل إنسان يولد مستعداً لقبول الإسلام مهيأ له. قال ﷺ: **«ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه...»**(١). فتعاليم الإسلام لا تصطدم بغرائز الإنسان التي جبله الله عليها، بل تهذبها وتوجهها الوجهة التي تحقق الهدف من وجود الإنسان على هذه الأرض، مع تلبية حاجاته المختلفة وإشباع هذه الغرائز. وكذلك لا تقف غرائز الإنسان الجبلية عقبة في قبوله الإسلام، إذ إن تعاليمه متسقة مع الفطرة السليمة.

٥ ـ الوضـوح:

حيث فصلت النصوص الأمور الاعتقادية والعبادية فأصبحت واضحة لا مجال للضلال فيها لمن وقف عندها. فأراحت الإنسان بذلك من الحيرة في الفلسفات المختلفة، وحفظته من الانسياق فيما لا حد له من البدع والمحدثات.

٦ ـ الكمـال:

لكي يعالج أي تشريع كل الأمور المتعلقة بالإنسان فكرية أو عملية، فإنه يمكن أن يشمل جميع هذه الأمور، لكنه ولا شك بعد تطبيقه سيظهر فيه القصور في كثير من تشريعاته وعدم تحقيقها الأهداف التي وضعت لها. وهذه حال القوانين الوضعية الدائمة التغيير والتبديل. لكن الدين الإسلامي بشموله جميع حاجات الإنسان الفكرية والعملية، الدينية والدنيوية فإنه وفّى كل هذه الحاجات بتشريعاته وبشكل كامل متوازن لا عيب فيه ولا نقص. كيف لا وهو من عند خالق الخلق سبحانه وتعالى والذي يعلم ما يصلح لهم. قال تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾(٢)، وقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾﴾(٣).

---

(١) أخرجه البخاري، الصحيح، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، حديث رقم (١٣٥٨)، ص (٢٦٣)، ومسلم، الصحيح، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، حديث رقم (٢٦٥٨)، ص (١٠٦٦).

(٢) سورة فصلت، الآية: (٤٢).

(٣) سورة الكهف، الآية: (١).

وقد اتصفت الدعوة إلى هذا الدين العظيم أيضاً بالخصائص المميزة له. فانفردت بالشرعية لأنها منضبطة بالحكم الشرعي، فلا يجوز أن تخالف بوسائلها وأساليبها ومناهجها وأهدافها النصوص الشرعية. وتميزت بالعالمية وتوجهها إلى الناس كافةً، واتصفت بالشمول، كشمول الإسلام نفسه، فكما أن الدعوة تكون للعقائد فهي للعبادات والأخلاق والمعاملات وجميع شرائع الإسلام، وهي تتوجه إلى كافة الأعمار والأجناس، وإلى مختلف المستويات العلمية والعملية، وتمتد إلى كافة البلدان، وتستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وتتميز بالوضوح الذي هو من سمات الدين الإسلامي، فلا غموض بأهدافها ولا تعقيد بوسائلها وأساليبها.

المطلب الثاني

أهمية دعوة النصارى إلى الإسلام

لا شك في أهمية دعوة جميع الخلائق إلى الإسلام بغض النظر عن دياناتهم وأجناسهم، وبلدانهم، حيث إن رسالة الإسلام عامة للثقلين الإنس والجن كما سبق إيضاحه.

لكن يمكن أن تبرز أهمية دعوة النصارى خاصةً من خلال النقاط التالية:

١ ـ دخول النصارى في عموم الدعوة:

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[1]، وقال: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[2].

وقوله ﷺ: «... **وكان النبيّ يبعث إلى قومه خاصةً وبعثت إلى الناس عامةً**»[3]. والأدلة في ذلك كثيرة جداً[4].

ولا شك أن النصارى لا يخرجون عن كونهم من العالم، كما أنهم لا يخرجون عن مدلول لفظ الناس.

٢ ـ توجيه الخطاب في القرآن في كثير من الآيات لأهل الكتاب

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: (١٠٧).

(٢) سورة الأعراف، الآية: (١٥٨).

(٣) سبق تخريجه، ص ٤٦.

(٤) انظر: ما سبق بيانه في عالمية الدعوة الإسلامية.

وتخصيصهم في ذلك أمراً لهم بالتوحيد، أو الإيمان بمحمدﷺ، أو بياناً لتحريفهم الكلام عن مواضعه، أو رداً على شبههم، أو غير ذلك.

ومن هذه الآيات:

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾[2]، وقوله: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾[3]، وقوله: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ﴾[4]، وقوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[5] إلى غير ذلك.

ولا شك أن النصارى من أهل الكتاب.

٣ ـ حث القرآن على مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن. كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[6]. أي: «إلا بالجميل من القول وهو الدعاء إلى الله بآياته، والتنبيه على حججه»[7] وذلك تقديراً لما عندهم من بقية أثر الرسل.

٤ ـ تخصيص القرآن للنصارى وتوجيه الخطاب لهم وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾[8]، قيل: «هذا أمر للنصارى الآن بالإيمان بمحمد ﷺ»[9].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (٦٤).
(٢) سورة آل عمران، الآية: (٧٠).
(٣) سورة آل عمران، الآية: (٧١).
(٤) سورة المائدة، الآية: (١٩).
(٥) سورة آل عمران، الآية: (٩٩).
(٦) سورة العنكبوت، الآية: (٤٦).
(٧) جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، المجلد الحادي عشر، الجزء الحادي والعشرون، ص (١).
(٨) سورة المائدة، الآية: (٤٧).
(٩) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، المجلد الثالث، الجزء السادس، ص (١٣٦).

٥ ـ تخصيص النبيّ ﷺ أهل الكتاب في كثير من الأحاديث دعوة لهم. ومن ذلك قوله ﷺ: **«والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»**(١). وقوله: **«ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ...»**(٢).

٦ ـ تمييز النبيّ ﷺ لأسلوب دعوة أهل الكتاب بمراعاة التدرج حسب الأهمية وذلك في وصيته لمعاذ بن جبل حينما أرسله إلى اليمن، حيث قال له ﷺ: **«إنك ستأتي قوماً أهل كتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد افترض عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»**(٣).

والشاهد من هذا الحديث هو أسلوب عرض الدعوة عليهم، وأن سبب اتباع هذا الأسلوب معهم هو كونهم أهل كتاب.

٧ ـ تخصيص النبيّ ﷺ للنصارى في الدعوة كما في قصة وفد نصارى نجران(٤).

---

(١) سبق تخريجه، ص (٤٦).

(٢) أخرجه البخاري، الصحيح، كتاب العلم، باب تعليم الرجل أمته وأهله، حديث رقم (٩٧)، ص (٤٤)، ومسلم بنحوه، الصحيح، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبيّنا محمد ﷺ إلى جميع الناس، حديث رقم (٢٤١)، ص (٨٥).

(٣) أخرجه البخاري، الصحيح، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء، حديث رقم (١٤٩٦)، ص (٢٩١)، ومسلم بنحوه، الصحيح، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، حديث رقم (٢٩)، ص (٤٢).

(٤) تقع في جنوب غرب الجزيرة العربية قرب الحدود السعودية اليمنية، (انظر أطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون ص (١٧). وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس، ص (٧٨)، وكانت نجران من المناطق النصرانية في الجزيرة العربية حتى دخلها الإسلام في

فعن حذيفة رضي الله عنه قال: «جاء العاقب والسيد(١) صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ، يريدا أن يلاعناه، قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل، فوالله لئن كان نبياً فلاعناه لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا، قال: إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلاً أميناً، ولا تبعث معنا إلا أميناً، فقال: لأبعثن معكم رجلاً أميناً، حق أمين، فاستشرف لها أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: قم يا أبا عبيدة بن الجراح، فلما قام قال رسول الله ﷺ: هذا أمين هذه الأمة»(٢).

٨ ـ عناية الإسلام بمعاملة أهل الذمة. ومصطلح أهل الذمة يشمل اليهود والنصارى.

ومن نماذج عناية الإسلام بأهل الذمة: حرمة ذمة المعاهد، ووجوب الوفاء له، لقوله ﷺ: «**من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً**»(٣)، وحرم الإسلام ظلم المعاهد أو تكليفه فوق طاقته أو أخذ شيء من ماله بغير طيب نفس؛ لقوله ﷺ: «**ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفسٍ فأنا حجيجه يوم القيامة**»(٤).

آخر عهد النبيّ ﷺ.

(١) العاقب واسمه الأيهم، وقيل: شرحبيل، وكان صاحب رحالهم ومجتمعهم ورئيسهم والسيد واسمه عبد المسيح وكانا صاحبا مشورتهم. (انظر: سيرة ابن هشام، عبد الملك بن هشام الحميري، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ (٣/ ١١٢). وفتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني، دار الريان، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٦م، (٧/ ٦٩٦).

(٢) أخرجه البخاري، الصحيح، كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران، حديث رقم (٤٣٨٠)، ص (٨٢٨)، ومسلم مختصراً، الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح، حديث رقم (٢٤٢٠)، ص (٩٨٥).

(٣) أخرجه البخاري، الصحيح، كتاب الجزية والموادعة، باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم، حديث رقم (٣١٦٦)، ص (٦٠٧).

(٤) أخرجه أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات، حديث رقم (٣٠٥٢)، (٣/ ٤٣٧)، قال الألباني: صحيح، صحيح سنن أبي داود، (٢/ ٢٦١).

٩ ـ أن دين النصارى دين عالمي ـ بمعنى أنه يعده أتباعه ديناً للبشرية جمعاء[1] ـ ولذلك ينشطون في الدعوة إليه، بعكس كثير من الديانات والمذاهب الأخرى التي يراها أتباعها ديناً لهم وحدهم ولذلك لا يسعون لنشرها. كاليهودية والهندوسية، وعلى ذلك ففي دعوة النصارى واهتداء البعض منهم حد لانتشار النصرانية في مجتمعات غير نصرانية، ومن ثم إتاحة الفرصة لنشر الإسلام في مثل هذه المجتمعات.

١٠ ـ كون النصارى ذوي قوة وكثرة وانتشار في الوقت الحاضر. وكثير من المجتمعات غير النصرانية تسعى لتقليدهم ومتابعتهم منخدعة بما بلغوه من حضارة مادية وقوة عسكرية، وبهداية هؤلاء النصارى أو البعض منهم وهم بهذا النفوذ بالنسبة للعالم سوف يكون في ذلك صلاح أقوام كثيرين كانوا يرونهم المثال لهم.

١١ ـ أن أكثر الشبه التي تثار حول الإسلام خصوصاً في الوقت الحاضر إنما هي من قِبَلهم. وباهتداء البعض منهم فيه رد على مثل هذه الشبه.

١٢ ـ أن اهتداء بعض النصارى يساعد كثيراً في فضح باطل إخوانهم السابقين في الديانة، لخبرتهم فيها، وما في ذلك من مساعدة للدعاة ودعم لجهودهم.

١٣ ـ أن حروب المسلمين في أغلب فترات التاريخ الإسلامي كانت مع النصارى: كحروب المسلمين في الأندلس، وصقلية، والحروب الصليبية في الشام ومصر. بل لا تزال هذه الحروب مستمرة في بعض الجهات من العالم. وباهتداء بعض النصارى يساعد ذلك في كشف عدوان إخوانهم السابقين في الديانة وربما يساعد في إزالة ذلك العدوان.

---

(١) والصحيح أن عيسى عليه السلام بعث إلى بني إسرائيل خاصةً لحديث النبيّ ﷺ: «**وكان النبيّ يبعث إلى قومه خاصةً وبعثت إلى الناس كافةً**» سبق تخريجه في ص ٤٦، وقد دل الإنجيل أيضاً على هذه الخصوصية بقول المسيح عليه السلام للحواريين: «إلى طريق أمم لا تمضوا، إلى مدينة السامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة». إنجيل متى (١٠/ ٥ ـ ٦).

١٤ ـ وبالإضافة إلى ما سبق فإن النصارى أهل ملة سماوية قبل أن يطرأ عليه النسخ والتحريف، وهي آخر الملل قبل رسالة الإسلام وفي كتبهم من البشارات بنبوّة محمدﷺ. فإذا تصدى المختصون لإبراز هذه البشارات وشرحها فربما يكون ذلك سبباً في إسلام الكثيرين منهم، بل ويكون هؤلاء أيضاً عوناً في دعوة بني ملتهم السابقة.

المبحث الثاني

حال البلاد الإسلامية
قبيل الحروب الصليبية

بدأت الحروب الصليبية في العقد الأخير من القرن الخامس الهجري، وفي هذه الفترة والعقود القليلة التي سبقتها شهد العالم الإسلامي في شرقه وغربه تفرقاً بين المسلمين، وصراعاً بين القوى الإسلامية، تجزأ على إثرها إلى دويلات اشتد الصراع فيما بينها حتى أدى في البعض منها إلى القتال، بل والاستنصار بالكفرة على المسلمين. فكان ذلك من العوامل المشجعة للنصارى على غزو البلاد الإسلامية.

والمطالب التالية عرض موجز لأحوال العالم الإسلامي في هذه الفترة.

المطلب الأول

الأحوال السياسية

انقسم العالم الإسلامي في القرن الخامس الهجري إلى عدة دول، تقسمت هذه الدول أيضاً إلى مجموعة من الدويلات المتصارعة.

فالخلافة العباسية في بغداد[1] تحت سيطرة الوزراء البويهيين[2] الشيعة الذين استبدوا بالأمر، وتسلطوا على العامة من السنة.

بل وقد بلغ الأمر أنه لم يبق للخليفة العباسي إلا اسم الخلافة فقط. والأمر كله بيد وزير الدولة البويهي[3]. وتمادى البويهيون الشيعة في تحكمهم بالخلافة العباسية حتى حاولوا إخراج الخلافة من العباسيين في بغداد وإعلانها للعبيديين؛

---

(١) تقع على نهر دجلة في العراق، بناها المنصور عاصمة للخلافة العباسية، وهي في الوقت الحاضر عاصمة لدولة العراق. (انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (١/ ٥٤١)، وما بعدها. وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، ص (٣٦).

(٢) البويهيون أسرة فارسية حكمت في بلاد فارس، وكان مبدأ ظهورها سنة ٣٢١ هـ، أسسها بويه بن فنا خسرو بن تمام بن كوهي ليتصل النسب بيزدجرد الملك الفارسي، كان دخولهم بغداد سنة ٣٣٤ هـ نجدة للخليفة العباسي ضد تسلط الأتراك، ناصروا الشيعة ومكنوا للتشيع حتى أزالهم السلاجقة سنة ٤٤٧ هـ. (انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٧/ ٥ و١٥٧)، والبداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١١/ ١٨٥ و٢٢٥).

(٣) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٧/ ١٦٠).

مما جعل الخليفة العباسي يستنجد بالسلاجقة الذين دخلوا بغداد سنة ٤٤٧ هـ[١]. وأزالوا بذلك سلطة بني بويه، وكانت السلطة الفعلية للدولة العباسية في عهد البويهيين لم تتجاوز العراق وأجزاء من بلاد فارس[٢].

وبعد دخول السلاجقة الأتراك بغداد وإزالتهم للبويهيين أعادوا هيبة الخلافة، فامتد نفوذ الدولة العباسية من بلاد الصين إلى سواحل الشام شرقاً وغرباً، ومن بلاد القوقاز[٣] إلى اليمن شمالاً وجنوباً.

إلا أن هذه القوة التي أضافها السلاجقة للدولة العباسية في بغداد لم تدم طويلاً، إذ تفككت الدولة التي أعاد السلاجقة لملمة أجزائها إلى مجموعة من الدول.

فبعد مقتل الوزير السلجوقي نظام الملك[٤]، ثم وفاة السلطان السلجوقي ملكشاه[٥] سنة ٤٨٥ هـ تجزأت السلطنة السلجوقية فانحلت الدولة ووقع السيف[٦].

---

(١) انظر: المصدر السابق (٨/ ١٢٥).

(٢) تضم مجموعة أقاليم في غرب وجنوب غرب إيران في الوقت الحاضر. (انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٤/ ٢٥٦). وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون ص (٦٩)، والمنجد في اللغة والأعلام ص (٤٠٢).

(٣) اسم بلاد القوقاس أو القوقاز يطلق على جمهوريات أرمينية وجورجيا وأذربيجان في الوقت الحاضر. (انظر: المنجد في اللغة والأعلام ص (٤٤٤)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، ص (٦٦ ـ ٦٧).

(٤) نظام الملك: هو الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي، كان فيه خير وتقوى وميل إلى الصالحين، محب للعلم والعلماء، أنشأ المدرسة النظامية ببغداد وغيرها في الولايات العباسية، تولى الوزارة لسلاطين السلاجقة ألب أرسلان ثم لابنه ملكشاه نحواً من ثلاثين سنةً. كان مولده سنة ٤٠٨ هـ ومقتله على يد أحد الباطنية سنة ٤٨٥ هـ. (انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٣٥٤)، وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٩/ ٩٤).

(٥) هو ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي التركي، تملك بعد أبيه وحسنت سيرته وأمنت الطرق في دولته، كان مولده سنة ٤٤٧ هـ ووفاته ٤٨٥ هـ. (انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٣٥٩ ـ ٣٦١).

(٦) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٣٥٦).

وبعد طول صراع وتنافس بين أفراد البيت السلجوقي آلت بغداد وفارس إلى السلطان بركياروق[1] بن ملكشاه[2]، وخراسان[3] وبلاد ما وراء النهر[4] إلى سنجر[5] بن ملكشاه[6]، وسوريا[7]...........................

---

(١) هو بركياروق بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي التركي تولى السلطنة وعمره ثنتا عشرة سنة، ومكث بها ثلاث عشرة سنة حيث توفي مريضاً سنة ٤٩٨ هـ بعد أن عهد بالسلطنة لابنه ملكشاه. وقد كانت مدة سلطنته حافلة بالاختلاف والحروب فما استقام له الأمر إلا في آخرها. (انظر: المنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥م (١٧/ ٩٠)، والكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٥٠٢)، وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٩/ ١٩٥).

(٢) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٣٦٧)، و(٨/ ٣٧٦).

(٣) تضم الأجزاء الشمالية الشرقية من إيران في الوقت الحاضر، وأهم مدنها مشهد ومرو ونيسابور وغيرها. (انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، (٢/ ٤٠١)، وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس ص (١١٦ ـ ١١٧)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، ص (٦٩).

(٤) النهر يقصد به نهر جيحون (أمو داريا في الوقت الحاضر) والبلاد التي وراءه تضم حالياً أوزبكستان وطجكستان. (انظر: أطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس، ص (٢٢٢)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، ص (٧٠ ـ ٧١).

(٥) هو سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي التركي، تولى السلطنة بعد أخيه محمد فاستقام له الأمر وخطب له على أكثر منابر الإسلام بالسلطنة نحو أربعين سنة، كانت قاعدة سلطنته خراسان، كان مولده بسنجار سنة ٤٧٩ هـ ووفاته مريضاً سنة ٥٥٢ هـ بمرو. (انظر: المنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله (١٨/ ٢١)، والكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٩/ ٢٤٠). وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢٠/ ٣٦٢).

(٦) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٤٠٨).

(٧) قال ياقوت الحموي: (سوريا موضع بالشام بين خناصرة وسلمية) معجم البلدان (٣/ ٣١٨)، وخناصرة في شمال دولة سوريا في الوقت الحاضر، وسلمية في وسطها الغربي.

لتتش[1] بن ألب أرسلان ثم انقسمت بعد مقتله بين ولديه. فرضوان[2] بن تتش في حلب[3] وأخوه دقاق[4] في دمشق[5][6] حيث أدى هذا الوضع في النهاية إلى ظهور بعض البيوت الحاكمة بما يعرف بنظام الأتابكيات[7].

انظر: أطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، ص (٣٨ ـ ٣٩)، وغلب هذا الاسم على الأجزاء الوسطى والشمالية من بلاد الشام بشكل عام والتي تحويها دولة سوريا في الوقت الحاضر.

(١) تتش بن ألب أرسلان السلجوقي التركي، تملك دمشق وأعمالها سنة ٤٧١ هـ ثم تحارب مع السلطان بركيابروق ببلاد الري، فقتل سنة ٤٨٨ هـ فخلفه ابنه رضوان على حلب وأخوه دقاق على دمشق.

انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٩/ ٨٣)، والبداية والنهاية، إسماعيل ابن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٢/ ١٥٩).

(٢) رضوان بن تتش بن ألب أرسلان السلجوقي التركي استقل بحلب بعد أبيه وأخذت منه الفرنج أنطاكية، قرب الباطنية وكان موالياً للعبيديين في مصر، كانت وفاته سنة ٥٠٧ هـ. (انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٥٩٨)، وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٩/ ٣١٥).

(٣) مدينة في شمال دولة سوريا في الوقت الحاضر، تعرف بالشهباء وقد كانت عاصمة للحمدانيين في القرن الرابع الهجري. (انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٢/ ٣٢٤) وما بعدها، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، ص (٣٩).

(٤) هو دقاق بن تتش بن ألب أرسلان السلجوقي التركي، استقل بدمشق بعد وفاة أبيه ومكث بها عشر سنين، حتى وفاته مريضاً وقيل مسموماً سنة ٤٩٧ هـ.

انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٤٩٨)، وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٩/ ٢١٠).

(٥) من أهم مدن الشام، تقع حالياً في جنوب غرب دولة سوريا، وهي عاصمتها، وكانت عاصمة للدولة الأموية.

انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٢/ ٥٢٧) وما بعدها، وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس، ص (٤١٧).

(٦) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٣٩٠).

(٧) الأتابكيات: نسبة إلى كلمة «أتابك» وهي لفظة تركية مركبة من «أتا» وتعني الأب، و«بك»

أما مصر وساحل شمال إفريقية حتى تونس[1]، وبلاد الحجاز، فكانت خاضعة للدولة العبيدية الشيعية المستقلة عن الخلافة العباسية، بل أنشأت خلافة في القاهرة[2] منافسة بذلك للخلافة العباسية في بغداد.

وكانت قد امتدت دولة العبيديين من شمال إفريقية والمغرب إلى مصر سنة ٣٥٨ هـ[3]، وزالت في عام ٥٦٧ هـ بعد أن أعاد صلاح الدين الأيوبي الخطبة في مصر لبني العباس[4].

وتعني الأمير. وكان الأتابك يكلف من قبل السلطان بالوصاية على أحد أبنائه الذين لم يبلغوا سن الرشد، فكان السلطان إذا أوصى بالولاية من بعده لابنه الصغير جعل عليه من يقوم على شؤونه ويدبر مملكته حتى يقوى على ذلك، فكان بعض هؤلاء الأوصياء يستقلون بالحكم والتدبير فنشأ عن ذلك ولايات استقلوا بها تعرف بالأتابكيات.

انظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد بن علي القلقشندي، دار الكتب، القاهرة (٤/ ١٨)، ووفيات الأعيان، أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق د. إحسان عباس (١/ ٣٦٥).

(١) مدينة تونس عاصمة دولة تونس في الوقت الحاضر تقع في شمالها على ساحل البحر المتوسط.

انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٢/ ٧٠)، وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس، ص (٤١٩).

(٢) القاهرة، أو قاهرة المعز، عاصمة جمهورية مصر العربية، أول من بناها جوهر الصقلي غلام المعز العبيدي، سنة ٣٥٨ هـ حيث صارت بعد ذلك عاصمة للدولة العبيدية والدول التي تتابعت على مصر، وموقعها في الشمال الغربي من مصر.

انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، (٤/ ٣٤١)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون ص (٥٢).

(٣) انظر: المنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله (١٨/ ١٩٧) والكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٧/ ٢٨٠).

(٤) انظر: النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ص (٨٦)، والكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٩/ ٣٦٤).

وكانت أحوال هذه الدولة مضطربة أيضاً خلال العقود القليلة التي سبقت مجيء الصليبيين.

ففي بداية القرن الخامس الهجري كان على إفريقية باديس بن منصور الصنهاجي[١] الذي أرسل عمه حماد[٢] إلى بلاد المغرب لمحاربة قبائل زناتة وبسط نفوذه عليها.

حيث حارب حماد هذه القبائل واختط مدينة القلعة[٣] وجعلها مركزاً له[٤]، واستقل بذلك في المغرب عن دولة باديس.

ولما مات باديس وجاء ابنه المعز[٥] حارب حماد ولم يستطع القضاء عليه

---

(١) باديس بن منصور بن بلكين بن زيري الصنهاجي من ملوك الدولة الصنهاجية في القيروان التابعة للدولة العبيدية في مصر، كانت ولايته فترة اضطراب وفتن بينه وبين بعض أقربائه، كان مولده عام ٣٧٤ هـ ووفاته بالقيروان سنة ٤٠٦ هـ. (انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٧/ ٦٠٣).

(٢) هو حماد بن بلكين بن زيري الصنهاجي صاحب قلعة حماد حيث اختطها وصارت قاعدة له، كان من أبرز قواد دولة ابن أخيه باديس، ثم استقل عنه، توفي مريضاً سنة ٤١٧ هـ ودفن بالقلعة. (انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٧/ ٦٩٥).

(٣) مدينة القلعة وتسمى قلعة أبي طويل تقع بولاية سوسة في دولة تونس حالياً في الشمال الشرقي منها.

انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٤/ ٤٤٢)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، ص (٦١).

(٤) انظر: العبر، عبد الرحمن بن خلدون (٦/ ١٥٨)، وللتوسع في أخبار هذه الدولة انظر: العبر، عبد الرحمن بن خلدون (٦/ ١٧١).

(٥) هو المعز بن باديس بن منصور بن بلكين الصنهاجي، صاحب إفريقيا خلع طاعة العبيديين وخطب للعباسيين في القيروان، كان شجاعاً محباً للعلم كثير البذل، مولده في سنة ٣٩٨ هـ ووفاته بالمهدية سنة ٤٥٤ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٨/ ١٤٠)، والعبر، عبد الرحمن بن خلدون (٦/ ١٥٨ ـ ١٥٩).

فعاد أدراجه إلى إفريقية[١]. ومكن حماد بذلك استقلاله بالمغرب.

ثم لم يلبث المعز بن باديس أن استقل بإفريقية عن العبيديين عام ٤٤٠ هـ[٢]. مما دفع العبيديين إلى تشجيع قبائل الهلاليين[٣] على اكتساح إفريقية حيث انساحوا بها وخربوا الكثير من حواضرها كبرقة[٤] وأجدابيا[٥] وسرت[٦] وغيرها. فعاثوا في الأرض فساداً ونادوا بشعار العبيديين. ولم يبق للمعز إلا القيروان[٧].

وبعد وفاة المعز خلفه ابنه تميم[٨] ....

---

(١) انظر: العبر، عبد الرحمن بن خلدون (٦/ ١٥٨).

(٢) انظر: العبر، عبد الرحمن بن خلدون، (٦/ ١٥٩)، وللتوسع عن دولة المعز بن باديس انظر: العبر، عبد الرحمن بن خلدون (٦/ ١٥٧)، وما بعدها.

(٣) من بني هلال من مضر كانت منازلهم مما يلي الطائف، ظاهروا القرامطة ولما تغلب العبيديون على مصر والشام نقلوهم إلى صعيد مصر واستعملوهم ضد أعدائهم وكان ذلك في حدود المائة الرابعة.
انظر: العبر، عبد الرحمن بن خلدون (٦/ ١٣).

(٤) برقة منطقة واسعة في ليبيا شرقي خليج سرت على البحر المتوسط.
انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (١/ ٤٦٢)، وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس ص (١٢٠ ـ ١٢١)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، ص (٥٨).

(٥) مدينة تقع في الشمال الشرقي من دولة ليبيا بالغرب من الساحل الشرقي لخليج سرت على البحر المتوسط.
انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (١/ ١٢٥)، وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس ص (١٢٠ ـ ١٢١)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، ص (٥٨).

(٦) مرفأ بحري في شمال دولة ليبيا على خليج سرت في البحر المتوسط.
انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٣/ ٢٣٢)، وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس ص (١٢٠ ـ ١٢١)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، ص (٥٨).

(٧) القيروان مدينة تقع حالياً في دولة تونس في الشمال الشرقي منها مقابل مدينة المهدية على البحر المتوسط حيث تبعد عنها حوالي ٣٠٠ كم.
انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٤/ ٤٧٦ ـ ٤٧٧)، وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس ص (٤١٩)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون ص (٦١).

(٨) هو تميم بن المعز بن باديس بن المنصور الحميري الصنهاجي، ولد سنة ٤٢٢ هـ، تملك

سنة ٤٥٣ هـ[١] والذي كانت مدته مضطربة في إفريقية حيث ثارت عليه الكثير من المدن كإمارات مستقلة. مثل مدينة سوسة[٢]، وصفاقس[٣] وقابس[٤][٥].

ومن الدول ذات النزعة الاستقلالية في المغرب الأقصى دولتي برغواطة[٦]، وغمارة[٧] وما كان منهما من فتن وقلاقل[٨].

ثم كان ظهور المرابطين[٩] واكتساحهم لإفريقية وبلاد المغرب وذلك في

إفريقية بعد أبيه إلى وفاته سنة ٥٠١ هـ. كان كريماً شجاعاً مهيباً.

انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٩/ ٢٦٤)، والعبر، عبد الرحمن بن خلدون (٦/ ١٥٧ ـ ١٥٩)، والكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٥٥٦).

(١) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٧٢).

(٢) سوسة: مدينة تقع في شمال شرق دولة تونس على خليج الحمّامات في البحر المتوسط شمال مدينة المهدية.

انظر: أطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس ص (٤١٩)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون ص (٦١)، والمنجد في اللغة والأعلام ص (٣١٥).

(٣) صفاقس: مدينة تقع حالياً في دولة تونس على خليج قابس في البحر المتوسط جنوب مدينة المهدية.

انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٣/ ٢٥٢)، وأطلس تاريخ الإسلام د. حسين مؤنس ص (٤١٩)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، ص (٦١).

(٤) مدينة ساحلية تونسية تقع على خليج قابس في البحر المتوسط.

انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٤/ ٣٢٨)، وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس ص (٤١٩)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، ص (٦١).

(٥) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ١٧٢).

(٦) سيأتي نبذة عنها في المطلب الثاني من هذا المبحث.

(٧) سيأتي نبذة عنها في المطلب الثاني من هذا المبحث.

(٨) انظر: العبر، عبد الرحمن بن خلدون (٦/ ١٨٢ ـ ١٨٥).

(٩) إحدى قبائل لمتونة من صنهاجة البربرية. أسسوا لهم دولة سنية في شمال إفريقية

النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، حيث وحدوا إفريقية وبلاد المغرب تحت سيطرتهم بعد حروب طاحنة مع قبائل هذه المنطقة ودويلاتها[1].

أما الأندلس فكان خلال القرن الخامس الهجري وحتى قبيل قيام الحروب الصليبية يعيش في فترة ما يعرف بملوك الطوائف.

قال ابن الأثير عن هذه الفترة في الأندلس: «... ثم إن الأندلس اقتسمه أصحاب الأطراف والرؤساء، فتغلب كل إنسان على شيء منه، فصاروا مثل ملوك الطوائف. وكان ذلك أضر شيء على المسلمين، فطمع بسببه العدو الكافر»[2].

ومن أبرز هذه الدويلات أو الممالك في الأندلس: قرطبة[3]، وإشبيلية[4]،

والمغرب والأندلس، حكمت من سنة ٤٤٨ هـ ـ ٥٤١ هـ. نشرت الأمن والعدالة ومكنت للإسلام في هذه المناطق، وتسميتهم بالمرابطين لإقامتهم الرباطات للجهاد والعبادة، وأطلق عليهم الملثمون لالتزام رجالهم باللثام في سائر أحوالهم. (انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ١٣٤)، والعبر، عبد الرحمن بن خلدون (٦/ ١٨٢)، وما بعدها، والأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، علي بن عبدالله بن أبي زرع، دار المنصور، الرباط ١٩٧٢م، ص (١٢٤ ـ ١٢٥).

(١) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ١٣٤).

(٢) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٧/ ٦٢٨).

(٣) قرطبة: يطلق عليها حالياً ـ كوردوبه ـ تقع في جنوب إسبانيا على الوادي الكبير، وقد كانت عاصمة للدولة الأموية بالأندلس ثم عاصمة لدولة بني هود من ملوك الطوائف. (انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٤/ ٣٦٨)، وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس ص (١٧٢)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، ص (٧٨).

(٤) إشبيلية: يطلق عليها حالياً ـ سيفيليا ـ تقع في جنوب غرب إسبانيا على الوادي الكبير وقد كانت عاصمة لدولة بني عباد من ملوك الطوائف. (انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (١/ ٢٣٢)، وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس ص (١٧٢)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون ص (٧٨).

وطليطلة[1]، وسرقسطة[2]، وبلنسية[3]، ومرسية[4]، وغرناطة[5][6] وغيرها.

حيث كانت هذه الدويلات تتصارع فيما بينها، بل وتستعين في بعض الأحيان بالنصارى ضد بعضها، فظهر لذلك سلطان النصارى بالأندلس وهددوا وجود المسلمين فيها، فعبَّر عن ذلك أحد الشعراء الأندلسيين[7] بأبيات منها:

يا أهل أندلس حثوا مطيكم   فما المقام بها إلا من الغلط

---

(١) طليطلة: يطلق عليها حالياً - توليدو - تقع في وسط إسبانيا جنوب العاصمة مدريد، كانت عاصمة لدولة بني ذنون من ملوك الطوائف.
انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٤/ ٤٥). وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس ص (١٧٣). وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون ص (٧٨).

(٢) سرقسطة: وتسمى حالياً - سرغوسة - تقع في إسبانيا شمال شرق العاصمة مدريد، كانت عاصمة لبني نجيب من ملوك الطوائف.
انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٣/ ٢٤٠)، وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس ص (١٧٢)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، ص (٧٨).

(٣) بلنسية: يطلق عليها حالياً - فلنسية - تقع في شرق إسبانيا على ساحل البحر المتوسط، كانت عاصمة لبني عامر من ملوك الطوائف.
انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (١/ ٥٨١)، وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس ص (١٧٣)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، ص (٧٨).

(٤) مرسية: تقع في جنوب شرق إسبانيا قريباً من ساحل البحر المتوسط، سيطر عليها العامريون من ملوك الطوائف.
انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٥/ ١٢٥)، وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس ص (١٧٣)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، ص (٧٨).

(٥) غرناطة: يطلق عليها حالياً - غراناده - تقع في جنوب إسبانيا، حكمها خلال دول الطوائف بنو زيري، وقامت بها مملكة بني الأحمر آخر المعاقل الإسلامية في الأندلس، حيث سقطت عام ٨٩٧ هـ.
انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٤/ ٢٢١)، وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس ص (١٧٧)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، ص (٧٨).

(٦) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٧/ ٦٢٨).

(٧) الأبيات للشاعر عبدالله اليحصبي المعروف بابن العسال.

الثوب ينسل من أطرافه وأرى ثوب الجزيرة منسولاً من الوسط
ونحن بين عدو لا يفارقنا كيف الحياة مع الحيات في سفط[1]

وإزاء هذا الضعف استفحل أمر أحد ملوك الإفرنج في الأندلس وهو الإذفونش[2] وصار يستذل ملوك الطوائف ويرغمهم على دفع الجزية إليه. بل وأخذ يزحف على هذه الممالك واحدة بعد الأخرى ليضمها إليه[3]؛ مما جعل المعتمد بن عباد[4] يستنجد بالمرابطين الذين هبوا لنجدة إخوانهم المسلمين في الأندلس حيث انتصروا على الإذفونش في معركة الزلاقة عام ٤٧٩ هـ[5] ومن ثم بسطوا نفوذهم على الأندلس.

ومما زاد من ضعف المسلمين في هذه الفترة ـ إضافة إلى انقسام بلادهم

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر بيروت، ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨م (٦/ ٨٤).

(٢) وهو ألفونسو السادس بن فردلند أحد ملوك قشتالة النصرانية، يعرف بالمصادر الإسلامية بالإذفونش، زحف على ملوك الطوائف بالأندلس فاكتسح مناطقهم حتى هزمه المرابطون في معركة الزلاقة المشهورة وأوقفوا الزحف النصراني وذلك سنة ٤٧٩ هـ. وقد كانت وفاة ألفونسو سنة ٥٠٢ هـ. (انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٣٠٧)، وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس، ص (١٨١).

(٣) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٢٩٨ ـ ٣٠٧).

(٤) هو محمد بن عباد بن محمد اللخمي، ثالث سلاطين بني عباد في إشبيلية وآخرهم. كان شهماً كريماً أديباً شاعراً، ولد سنة ٤٣١ هـ وتولى بعد أبيه سنة ٤٦١ هـ ولم يزل في صفاء ودعة حتى سنة ٤٧٨ هـ حينما استولى ملك الروم على طليطلة وزحف على إشبيلية مما دعا المعتمد أن يستنجد بالمرابطين الذين هبوا لمساعدته لكنهم قبضوا على المعتمد وسجنوه في أغمات بالمغرب حتى مات سنة ٤٨٨ هـ. (انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٣٣٩ ـ ٣٤٤). وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٩/ ٥٨).

(٥) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٣٠٧).

إلى دويلات ـ ما يحدث من نزاع وحروب بين ولاة وسلاطين هذه الدويلات مما أدى إلى عجز المسلمين في البداية عن صد زحف النصارى على البلاد الإسلامية.

فعلى سبيل المثال في الشرق الإسلامي وبعد موت السلطان السلجوقي ألب أرسلان[١] سنة ٤٦٥ هـ والذي كان يغازي في جيحون[٢]، وسار أخوه قاروت بك[٣] من كرمان[٤] ليستولي على الري[٥] فوقعت الحرب بينه وبين ملكشاه بن ألب أرسلان الذي خلف والده في السلطنة وأجازه الخليفة العباسي بذلك[٦].

---

(١) هو محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق التركي. ولقبه ألب أرسلان أي أسد شجاع بالتركية. خطب له بالسلطنة على العراق وخراسان وفارس، كان رحيم القلب رفيقاً بالرعية محباً للجهاد، من أعظم سلاطين السلاجقة وأقواهم، له الوقائع المشهورة مع الروم، ومن أبرزها هزيمته لهم في موقعة ملاذكرت سنة ٤٦٣ هـ وأسر ملكهم. كان مولده عام ٤٢٤ هـ ووفاته سنة ٤٦٥ هـ حيث دفن في مرو. انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٢٢٣ ـ ٢٣١)، وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٨/ ٤١٤).

(٢) جيحون: هو نهر أمور داريا في الوقت الحاضر، والذي يبلغ طوله ٦٦٢٠ كم تقريباً حيث ينبع من جبال بامير ويتجه شمالاً ليصب في بحيرة آورال ماراً بطجكستان وتركمانستان وأوزبكستان. (انظر: أطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس ص (٢٢٢ ـ ٢٢٣)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون ص (٧١)، والمنجد في اللغة والأعلام ص (٦٩).

(٣) هو قاروت وقيل: قارون أو قارود ـ بن داود بن ميكائيل بن سلجوق التركي، طلب السلطنة بعد وفاة أخيه ألب أرسلان ووقعت الحرب لذلك بينه وبين ملكشاه بن ألب أرسلان حيث قبض على قاروت وقتل سنة ٤٦٥ هـ. (انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٢٣٥)، والمنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله (١٦/ ١٤٥ ـ ١٤٦).

(٤) كرمان إقليم واسع في جنوب شرق إيران على الحدود الباكستانية، قاعدته مدينة كرمان. (انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٤/ ٥١٥). وأطلس تاريخ الإسلام د. حسين مؤنس ص (١١٦ ـ ١١٧)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، ص (٦٩).

(٥) الري: مدينة تاريخية ازدهرت في عصر الخلافة العباسية، تقع حالياً في ضاحية مدينة طهران عاصمة إيران.

انظر: أطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس ص (١١٦ ـ ١١٧)، والمنجد في اللغة والأعلام ص (٢٧٢).

(٦) انظر: المنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله

وصاحب دمشق تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان يزحف على بغداد في سنة ٤٨٧ هـ طلباً للسلطنة حيث ضم إلى نفوذه حلب والجزيرة[١] وديار بكر[٢][٣]. حتى انتهى الأمر بقتله إثر حربه مع السلطان بركيارق سنة ٤٨٨ هـ[٤]. ثم تنقسم منطقة نفوذه بين ولديه رضوان بن تتش ومركزه في حلب ودقاق بن تتش ومركزه في دمشق وتقع الحرب بينهما على مناطق النفوذ سنة ٤٩٠ هـ[٥].

وهكذا ففي الوقت الذي كانت تتعين فيه الوحدة بين المسلمين وحشد جهودهم لمواجهة النصارى الذين بدأوا الزحف إلى البلاد الإسلامية وأعلنوا المسير للاستيلاء على بيت المقدس، نجد النزاع والقتال على أشده بين ملوك الشام.

ولا يخفى أثر النزاع المستمر بين الخلافة العباسية في بغداد وخلافة العبيديين في مصر في إضعاف المسلمين وصرف قواهم بين بعضهم، منشغلين بذلك عن العدو المتربص بهم[٦].

ولم يسلم الغرب الإسلامي من النزاع والقتال بين دويلاته. فكثيراً ما

(٦/ ١٤٤ ـ ١٤٦)، والكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٢٣٥).

(١) الجزيرة: هضبة صحراوية تقع بين نهري دجلة والفرات لتضم شمال غرب العراق وشمال شرق سوريا وجنوب شرق تركيا. (انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٢/ ١٥٦)، وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس ص (١١٤ ـ ١١٥)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون ص (٦٨).

(٢) تقع في جنوب شرق تركيا حالياً وقاعدتها مدينة آمد التاريخية. (انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٢/ ٥٦١ ـ ٥٦٢)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون ص (٦٨)، والمنجد في اللغة والأعلام ص (٢٥٢)).

(٣) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٣٣٨).

(٤) انظر: المصدر السابق (٨/ ٣٩٠).

(٥) انظر: المصدر السابق (٨/ ٣٩١)، و(٨/ ٤١٢).

(٦) انظر أمثلة على هذا النزاع بين الخلافة العباسية في بغداد وخلافة العبيديين في مصر. في: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ١٥٣)، و(٨/ ٢٦٠)، و(٨/ ٣٥٢).

يصاحب الحركات الاستقلالية في إفريقية وبلاد المغرب الحروب الطاحنة.

فمن ذلك الحرب بين المعز بن باديس وعمه حماد إثر استقلاله بالمغرب. وثورة المعز بن باديس على العبيديين. وحروب المرابطين إثر بداية تكوين دولتهم في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري في إفريقية وبلاد المغرب مع القوى القبلية والاستقلالية حتى وحدوا هذه البلاد تحت سيطرتهم[1].

ومما يزيد الاضطراب وسوء الأحوال الداخلية في العقود القليلة التي سبقت قيام الحروب الصليبية انعدام الأمن وترويع الناس بكثرة سطو الأعراب وقطاع الطرق واللصوص على المدن والقوافل. وذلك نتيجة لضعف هيبة السلطة في ذلك الوقت. وانشغال هذه الدويلات بالحروب فيما بينها.

ففي شرق البلاد الإسلامية عاث ـ من يطلق عليهم ابن الجوزي «العيارون» فساداً في الأرض. إذ قال في أحداث سنة ٤١٦ هـ: «. . . إن العيارين انبسطوا انبساطاً أسرفوا فيه، وخرقوا هيبة السلطان، وواصلوا العملات، وأراقوا الدماء. . .»[2] ثم قال: «. . . وفي هذه السنة زاد أمر العيارين وكبسوا دور الناس نهاراً وفي الليل. . . وكانوا يدخلون على الرجل فيطالبونه بذخائره ويستخرجونها منه بالضرب. . .»[3].

وهكذا لا يغْفَل ابن الجوزي عن ذكر شغب هؤلاء طوال القرن الخامس الهجري وحتى مع بداية دخول النصارى بلاد المسلمين[4].

وفي إفريقية وبلاد المغرب ازدادت الأحوال الأمنية سوءاً بدخول الأعراب الهلاليين إليها وذلك بما أحدثوه من فوضى واضطراب.

فما وصلوا إلى مدينة إلا استباحوها، ولا مروا بشيء إلا أتوا عليه[5].

(١) انظر: العبر، عبد الرحمن بن خلدون (٦/ ١٨٢ ـ ١٨٥).
(٢) انظر: المنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله (١٥/ ١٧٠).
(٣) انظر: المصدر السابق (١٥/ ١٧١).
(٤) انظر أمثلة على ذلك: المصدر السابق (١٥/ ٢٠٤)، و(١٥/ ٢٢٢)، و(١٥/ ٢٣٩)، و(١٥/ ٢٤٥)، و(١٥/ ٢٥٦)، و(١٧/ ٥٤).
(٥) انظر: العبر، عبد الرحمن بن خلدون (٦/ ١٤).

المطلب الثاني

الأحوال الدينية

في الوقت الذي مزقت فيه الخلافات السياسية وحدة الأمة الإسلامية إلى دول متنازعة وذلك في العقود القليلة التي سبقت العدوان الصليبي، فإن الاختلافات الدينية والتيارات الباطلة قسمت أجزاء هذه الدولة أيضاً إلى تكتلات متنافرة يصل الحال ببعضها إلى القطيعة بل وإلى القتال فيما بينها في بعض الأحيان.

ففي العراق حاضرة الخلافة العباسية كان البويهيون الشيعة في آخر القرن الرابع الهجري وحتى منتصف القرن الخامس هم المسيطرون على مقاليد الحكم، بل ويسعون إلى نشر المذهب الشيعي مصادمين بذلك الخلفاء العباسيين وعامة الناس الذين كانوا على المذهب السني. حيث ذكر ابن الجوزي نماذج كثيرة من مظاهر تشجيع السلطة وتسامحها مع إظهار بدع التشيع. فمن ذلك ما كان يقوم به الشيعة من احتفالات في مناسباتهم بإقرار البويهيين.

ففي بداية توليهم ذكر ابن الجوزي: «... أنه عُمل ببغداد ما قد صار الرسم به جارياً في كل يوم عاشوراء من غلق الأسواق وتعطيل البيع والشراء وتعليق المسوح...»[1].

---

(١) انظر: المنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله، أحداث سنة ٣٦٠ هـ (١٤/ ٢١٠)، وانظر أمثلة على مظاهر دعم البويهيين لبدع التشيع في: المنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله (١٤/ ١٥٠، ١٧٤، ١٩٦).

وهكذا قرر ابن الجوزي المتوفّى سنة ٥٩٧ هـ أن ذلك أصبح عادة جارية طوال فترة البويهيين.

بل إنه لشدة انتصارهم للتشيع حاولوا إزالة الخلافة العباسية السنيّة من بغداد وإعلان التبعية للخلافة العبيدية الشيعية في مصر[١]. حتى كانت إزالتهم على يد السلاجقة السنّة.

وكثيراً ما كانت الفتن تنشب بين الشعة والسنّة نتيجة لإظهار الشيعة بدعهم ومجاهرتهم بها ومصادمتهم بذلك للسواد العام من أهل السنّة[٢].

ولم ينتهِ النزاع بين الطائفتين بزوال البويهيين، بل استمرت الفتن بينهما بسبب مشاغبات الشيعة المتكررة وإظهارهم لبدعهم. وإن خف ذلك بسبب سلطة السلاجقة ودعمهم لكيان أهل السنّة وفقد الشيعة السلطة المناصرة لهم والمتمثلة بالبويهيين[٣].

وللشيعة وجود في هذه الفترة بالشام. خصوصاً بين البقاع[٤] والبحر المتوسط، وفي حمص[٥] وحلب ودمشق وشمال لبنان[٦]. وهذا الوجود للشيعة

---

(١) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ١٥٤).

(٢) انظر أمثلة على هذه الفتن في: المنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله (١٥/ ١٥٣، ٢٠٤، ٢٧٧، ٣٠٨، ٣٢٠، ٣٢٩، ٣٣٥).

(٣) انظر أمثلة على فتن الشيعة في العصر السلجوقي في: المصدر السابق (١٦/ ٣٢، ١٤٥، ٢٥٦، ٢٥٩، ٢٧٠).

(٤) البقاع: سهل مستطيل يمتد من الشمال إلى الجنوب بطول ١٢٠ كم تقريباً يقع بين سلسلتي جبال لبنان الشرقية والغربية. (انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (١/ ٥٥٦ - ٥٥٧)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون ص (٤٢ - ٤٣)، والمنجد في اللغة والأعلام، ص (١٣٢).

(٥) حمص: تقع في الوسط الغربي لدولة سوريا، في الوقت الحاضر على نهر العاصي بين دمشق وحماة. انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٢/ ٣٤٧)، وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس ص (١١١)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، ص (٣٩).

(٦) انظر: المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، د. أحمد رمضان أحمد ص (٦٦ - ٦٧).

في بلاد الشام في هذه الفترة جعل ابن جبير[1] الذي زار بلاد الشام في القرن السادس الهجري يقول: «... وهم أكثر من السنيين، وقد عموا البلاد بمذاهبهم، وهم فرق شتى...»[2].

وفي مصر كانت الخلافة العبيدية الشيعية القائمة على أساس هذه البدعة والتمكين لها. فكانت القوة الظاهرة في هذه الفترة للشيعة هناك. حتى أزال ذلك صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٧ هـ وأعاد شعار أهل السنّة[3].

وفي إفريقية كان للشيعة وجود بسبب تبعية دولة باديس بن منصور الصنهاجي للعبيديين حتى نبذ المعز ذلك ومكن للسنة سنة ٤٤٠ هـ[4].

وكان للفرق الباطنية[5] نشاط في نشر بدعها قبيل قيام الحروب الصليبية، مما كان له الأثر الأكبر في تفريق المسلمين وصرف الكثير من جهود القادة والعلماء في محاربتهم وفضح ضلالاتهم. وكان انتشار هذه الفرق الضالة من عوامل الضعف الرئيسة للأمة في هذه الفترة.

ومن هذه الفرق: الإسماعيلية: الذين ظهروا في بلاد فارس ثم امتد فسادهم إلى العراق والشام. فهؤلاء بالإضافة إلى سعيهم في نشر نحلتهم، اتخذوا القتل وسيلة للتخلص من أعدائهم. فكان من ضحاياهم عدد من القادة والعلماء الذين

---

(١) هو محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، ولد في بلنسية بالأندلس سنة ٥٣٩ هـ، وتعلم بها، وكان من علماء الأندلس في الفقه والحديث، وله مشاركة في التاريخ والأدب، وكانت وفاته بالإسكندرية سنة ٦١٤ هـ.
انظر: مقدمة كتابه: رحلة ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني، بيروت، ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م ص (٥)، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري، تحقيق إحسان عباس، (١/ ٥١٥ ـ ٥٧٥).

(٢) رحلة ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني، ص (٢٥٢).

(٣) انظر: النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق د. جمال الدين الشيال ص (٨٦).

(٤) انظر ما سبق بيانه حول ذلك في بداية هذا المبحث.

(٥) سيأتي التعريف بالفرق الباطنية في فصل قادم.

لهم جهود كبيرة في مجال وحدة الأمة ودعم قوتها.

ومن أبرز أعمال هؤلاء في هذه الفترة: اغتيالهم للوزير السلجوقي نظام الملك سنة ٤٨٥ هـ[(١)]، والذي كان له جهود كبيرة في محاربة الشيعة ومناصرة السنّة.

وممن اغتاله الباطنية كذلك عبد الرحمن السميرمي[(٢)] وأرغش النظامي[(٣)] والأمير برسق[(٤)] وغيرهم.

وفي أحداث سنة ٤٩٢ هـ ذكر ابن الأثير أنه «توالى منهم ـ أي الباطنية ـ قتل الأمراء الأكابر من الدولة السلطانية...»[(٥)].

ومن الفرق الباطنية في بلاد الشام في هذه الفترة النصيرية، خصوصاً في جبال اللاذقية[(٦)]..............................

(١) انظر: المنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله (٢٩٩/١٦).

(٢) هو وزير أم السلطان السلجوقي بركياروق.
انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٤١٣/٨).

(٣) أرغش النظامي من كبراء دولة بركياروق وقد زوجه بنت عمه، قتلته الباطنية بالري.
انظر: تاريخ الإسلام، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤م، حوادث سنة ٤٨١ ـ ٤٩٠، ص (٣٣٢).

(٤) برسق الأمير أول شحنة من قبل السلاجقة لبغداد ـ أي صاحب الشرطة ـ وهو من كبار قادة السلاجقة.
انظر: تاريخ الإسلام، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، حوادث سنة ٤٨١ ـ ٤٩٠، ص (٣٣٢).

(٥) الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٤٣٠).

(٦) مدينة كبيرة تقع في منتصف الساحل السوري على البحر المتوسط.
انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٦/٥)، وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين

وطرابلس[1] وحماة[2]، وحمص إلى ما وراء أنطاكية[3].

وهذه الفرقة عاشت منبوذة من المسلمين لوضوح باطلها وشدة عدائها للإسلام، ولذلك كانت غالب مساكنهم في المناطق الجبلية.

يقول ابن تيمية: «... ومن المعلوم عندنا أن السواحل الشامية إنما استولى عليها النصارى من جهتهم...»[4]. فهذا النص يوضح أن للنصيرية جهوداً في محاربة المسلمين قبل قيام الحروب الصليبية. وأن ذلك مستفيض لدى الناس في عصر ابن تيمية ـ أي بعد قرنين تقريباً من دخول النصارى بلاد المسلمين.

وهم مع كل عدو للمسلمين، ومن أعظم مصائبهم انتصار المسلمين، وفرحهم واستبشارهم باستيلاء النصارى على البلاد الإسلامية[5].

وطائفة باطنية أخرى لها وجود في بلاد الشام في هذه الفترة، وهي طائفة الدروز خصوصاً قرب حلب وأجزاء من السهل الساحلي للبنان[6].

وهذه الطائفة ـ كحال غيرها من الفرق الباطنية ـ معادية للإسلام

مؤنس، ص (١١١)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، ص (٣٩).

(١) سماها ياقوت الحموي طرابلس الشام، تقع حالياً في شمال لبنان على ساحل البحر المتوسط شمال مدينة بيروت.
انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٤/ ٢٩)، وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس ص (١١٢)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، ص (٤٢ ـ ٤٣).

(٢) تقع حالياً في الوسط الشرقي لدولة سوريا بين حمص وحلب.
انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٢/ ٣٤٤)، وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس ص (١١١)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، ص (٣٩).

(٣) انظر: الأوضاع الحضارية في بلاد الشام، د. محمود محمد الحويري (٢/ ٢٦٨).

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد (٣٥/ ١٥٠).

(٥) انظر: المصدر السابق (٣٥/ ١٥٠).

(٦) انظر: المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، أحمد رمضان أحمد ص (٧٩ ـ ٨١).

والمسلمين، ولها وقائع في ذلك في هذه الفترة.

فمن ذلك أنهم في سنة ٤٢٣ هـ اجتمعوا في جبل السُّمَّاق[1] وجاهروا بمذهبهم وخربوا ما كان هناك من المساجد[2].

وكان للفكر الخارجي وجود في إفريقية وبلاد المغرب خصوصاً الإباضية الذين أقاموا لهم دولة في تاهرت[3] في المغرب الأوسط.

وكانت لهم وقائع كثيرة مع دولة بني الأغلب[4][5]. حيث استمرت دولتهم مائة وخمسين سنة تقريباً. من منتصف القرن الثاني الهجري إلى نهاية القرن الثالث الهجري. ومع زوال هذه الدولة لم يُزل الفكر الخارجي بل ظلَّ موجوداً في هذه المناطق يقوى أحياناً ويخمد في أحيان أخرى.

وفي أقصى بلاد المغرب كانت دولتا برغواطة وغمارة، حيث اعتنقت هاتان الدولتان نحلتين ليستا من الإسلام في شيء.

---

(١) جبل السُّمَّاق: قرب مدينة حلب في سوريا.
انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٢/ ١١٩).

(٢) انظر: التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، سعيد بن بطريق، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٥م، ص (٧٩).

(٣) مدينة تاريخية داخلية تقع في شمال الجزائر قرب مدينة تيارت الحالية.
انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٢/ ٨)، وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس ص (١٥٧)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون ص (٦٢).

(٤) نسبة إلى أسرة الأغالبة التي حكمت إفريقية من سنة ١٨٤ هـ إلى سنة ٢٩٦ هـ، وكانت قاعدتهم القيروان، وقد أسس هذه الأسرة إبراهيم بن الأغلب التميمي عامل هارون الرشيد على إفريقية حيث استمرت هذه الأسرة في حكم إفريقية للعباسيين حتى أزالها أبو عبدالله الشيعي داعي العبيديين سنة ٢٩٦ هـ.
انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٦/ ٥٧٤).

(٥) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٥/ ٤٣٥).

فالأولى ظهر فيها رجل في أول المائة الثانية يقال له طريف أبو صبيح ادعى النبوّة وشرع لقبيلته الشرائع ثم هلك فتولى ابنه صالح الذي ادعى النبوّة أيضاً وشرع لبرغواطة الديانة التي كانوا عليها بعد ذلك. فادعى نزول قرآن عليه فيه سورة الديك وسورة الحمر وسورة آدم وغيرها[(١)]. وقد وقعت بينهم وبين مجاوريهم الكثير من المعارك بسبب نحلتهم الضالة، حتى قضى عليهم المرابطون في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري[(٢)].

أما دولة غمارة في المغرب «. . . فمغرقون في الجاهلية بل الجهالة، والبعد عن الشرائع بالبداوة، والانتباذ عن مواطن الخير. . .»[(٣)]، وهؤلاء أيضاً تنبأ فيهم رجل يدعى حاميم بن من الله[(٤)] في بداية القرن الرابع قرب تطوان في بلاد المغرب، وتبعه قومه الذين شرع لهم عبادات وأحكام بقرآنه الذي يدعي نزوله عليه[(٥)]. وقد قضى على هذه الدولة ونحلتها المرابطون في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري.

وقد أشار ابن خلدون إلى انتشار السحر في هذه المناطق وللناس براعة فائقة فيه[(٦)].

---

(١) انظر: العبر، عبد الرحمن بن خلدون (٦/ ٢٠٧) وما بعدها.

(٢) انظر: المصدر السابق (٦/ ٢٠٩)، وللتوسع حول ديانة برغواطة انظر: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ألفرد بل، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٠ م، ص (١٧٣) وما بعدها.

(٣) العبر، عبد الرحمن بن خلدون (٦/ ٢١٦).

(٤) هو حاميم بن من الله بن جرير بن عمر بن زحفو بن محكة، تنبأ سنة ٣١٣ هـ بجبل حاميم قرب تطوان في المغرب الأقصى وادعى أنه نزل عليه قرآناً، كان يلقب بالمفتري، قتل في حروب قبائل مصمودة سنة ٣١٥ هـ في طنجة.
انظر: العبر، عبد الرحمن بن خلدون (٦/ ٢١٦).

(٥) انظر: المصدر السابق (٦/ ٢١٦)، وللتوسع حول ديانة غمارة انظر: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ألفرد بل، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ص (١٨٠)، وما بعدها.

(٦) انظر: العبر، عبد الرحمن بن خلدون (٦/ ٢١٦).

وفي أجزاء من بلاد المغرب أيضاً امتد نفوذ دولة زناتة «... وهي دولة ردية مذمومة سيئة السيرة، لا سياسة ولا ديانة...» مما دعا المغاربة أن يستنجدوا بالمرابطين الذين زحفوا على المغرب وقضوا على هذه الدولة. وصلحت بذلك أحوال المغرب.

أما الحال في الصحراء الإفريقية وحتى بلاد المغرب فيعم الجهل بأحكام الإسلام وشرائعه، حيث وضح ذلك المؤسس لحركة المرابطين[١]. والذي مر بالقيروان إثر عودته من الحج سنة ٤٤٨ هـ وبعد أن استمع إلى درس من أحد فقهائها قال: «... ما عندنا في الصحراء من هذا شيء غير الشهادتين والصلاة في بعض الخاصة...»[٢].

ولذلك رافقه إلى قومه ـ قبيلة جدالة ـ الفقيه عبدالله بن ياسين الكزولي[٣] ليعلمهم الإسلام. حيث أجابوه إلى الصلاة والزكاة فقط، وأنكروا الحدود ورفضوا الأخذ بها[٤]. فرحل عنهم إلى غيرهم إذ تكونت بعد ذلك دولة المرابطين التي تحسنت بها الأحوال الدينية والسياسية في إفريقية والصحراء وبلاد المغرب

(١) ويقال له: الجوهر، انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ١٣٤).

(٢) الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ١٣٤).

(٣) هو عبدالله بن ياسين بن مكو الجزولي، المصمودي، الفقيه، المؤسس الفعلي لدولة المرابطين حيث أخضع قبائل صنهاجة في الصحراء الإفريقية، ثم مد نفوذه شمالاً وغرباً حتى أخضع شمال إفريقية وبلاد المغرب تحت راية دولة إسلامية سنية قوية، وقد مات رحمه الله إثر جروح أصابته في إحدى المعارك مع قبائل برغواطة في المغرب سنة ٤٥١هـ.

انظر: الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى، أحمد بن خالد الناصري السلاوي، تحقيق جعفر الناصري وزميله، مطبعة دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٤م (٢/ ٧ ـ ١٨). والعبر، عبد الرحمن بن خلدون (٦/ ١٨٢ ـ ١٨٣).

(٤) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ١٣٤ ـ ١٣٥).

وذلك في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري.

وقد قال ابن الأثير عن مؤسس هذه الدولة وأتباعه: «... وكان أمير المسلمين وطائفته على نهج السنّة واتباع الشريعة...»[1].

وللبدع الكلامية[2] وجود خلال العقود القليلة التي سبقت مجيء الصليبيين حيث طغت العقيدة الأشعرية على كثير من علماء هذه الفترة. ومن هؤلاء القاضي أبو بكر الباقلاني المتوفّى سنة ٤٠٣هـ[3]، وأبو إسحاق الشيرازي المتوفّى سنة ٤٧٦هـ[4] وأبو حامد الغزالي المتوفّى سنة ٥٠٥هـ[5]، وأبو إسحاق الإسفراييني

---

(١) الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ١٣٧).

(٢) سوف يأتي التعريف بها في مبحث قادم.

(٣) هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر «أبو بكر الباقلاني» من كبار علماء الكلام، انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة. ولد في البصرة سنة ٣٣٨ هـ، وسكن بغداد وتوفي بها سنة ٤٠٣ هـ. من كتبه: إعجاز القرآن، دقائق الكلام، هداية المرشدين، وغير ذلك.

انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٧/ ١٩٠) وما بعدها. والبداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٣/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤).

(٤) هو إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الشيرازي، العلامة المناظر ولد في فيروزآباد سنة ٣٩٣ هـ ومات ببغداد سنة ٤٧٦ هـ. اشتهر بقوة الحجة في المناظرة، من تصانيفه: اللمع في أصول الفقه، والتبصرة والمهذب وغيرها.

انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٨/ ٤٥٢)، وما بعدها. وطبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق عبد الفتاح الحلو وزميله (٤/ ٢١٥) وما بعدها.

(٥) هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي، صاحب التصانيف والذكاء المفرط، ولد سنة ٤٥٠ هـ، ومات بطوس سنة ٥٠٥ هـ. درس بالنظامية في بغداد ورحل إلى دمشق، برع في الفقه ومهر في الكلام. من تصانيفه: إحياء علوم الدين، والتهافت في ذم الفلاسفة، والمستصفى في أصول الفقه وغير ذلك.

انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٩/ ٣٢٢)، وما بعدها. وطبقات

المتوفّى سنة ٤١٨ هـ[١]، وأبو المعالي الجويني المتوفّى سنة ٤٧٨ هـ[٢]، ومحمد بن عمر الرازي المتوفّى سنة ٦٠٦ هـ وغيرهم.

كذلك نشط المعتزلة في عصر سلاطين بني بويه في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري وحتى منتصف القرن الخامس الهجري.

ومن أشهر أئمتهم في القرن الخامس الهجري: القاضي عبد الجبار المتوفّى سنة ٤١٥ هـ[٣]، وأبو الحسين البصري المتوفّى سنة ٤٣٦ هـ[٤]، وابن زنجويه

الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق عبد الفتاح الحلو وزميله (٦/ ١٩١) وما بعدها.

(١) هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران الإسفراييني أحد المجتهدين في عصره، متكلم أصولي، كانت وفاته في إسفرايين سنة ٤١٨ هـ. من تصانيفه: الجامع في أصول الدين، ورسالة في أصول الفقه وغير ذلك.
انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٧/ ٣٥٣) وما بعدها، وطبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق عبد الفتاح الحلو وزميله (٤/ ٢٥٦ ـ ٢٦٢).

(٢) هو عبد الملك بن عبدالله بن يوسف بن عبدالله الجويني، نسبة إلى جوين من قرى نيسابور، يلقب بإمام الحرمين، مولده في جوين سنة ٤١٩ هـ، وكانت وفاته سنة ٤٧٨ هـ في نيسابور. من مصنفاته: الشامل في أصول الدين على مذهب الأشاعرة، العقيدة النظامية، الورقات، وغير ذلك.
انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٨/ ٤٦٨)، وما بعدها. وطبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق عبد الفتاح الحلو وزميله (٥/ ١٦٥).

(٣) هو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار، القاضي المتكلم، شيخ المعتزلة، من كبار فقهاء الشافعية، مات بالري سنة ٤١٥ هـ، من كتبه: شرح الأصول الخمسة، والمغني في أبواب التوحيد والعدل، والأمالي وغيرها.
انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٧/ ٢٤٤)، وطبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق عبد الفتاح الحلو وزميله (٥/ ٩٧ ـ ٩٨).

(٤) هو محمد بن علي بن الخطيب البصري المتكلم، شيخ المعتزلة، والمنتصر لهم بتصانيفه الكثيرة التي منها: المعتمد في أصول الفقه، وكتاب تصفح الأدلة وغيرها. كانت وفاته ببغداد سنة ٤٣٦ هـ.

المعروف بالسمان المتوفّى سنة ٤٤٥ هـ[١]، وأبو علي بن الوليد شيخ المعتزلة في عصر المتوفّى سنة ٤٧٨ هـ[٢]، والزمخشري صاحب الكشاف المتوفّى سنة ٥٣٨هـ[٣] وغيرهم.

والتصوّف كان له وجود في هذه الفترة. ومن أشهر أعلامه: أبو عبد الرحمن السلمي المتوفّى سنة ٤١٢هـ[٤]، وأبو حامد الغزالي المتوفّى سنة ٥٠٥هـ وغيرهما.

وكذلك حديث شيخ الإسلام ابن تيمية عن الصوفية والتصوف في عصره

انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٧/ ٥٨٧ ـ ٥٨٨)، والبداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٢/ ٥٧ ـ ٥٨).

(١) هو إسماعيل بن علي بن الحسين بن زنجويه، من شيوخ المعتزلة في عصره، من مؤلفاته: الموافقة بين أهل البيت والصحابة، وسفينة النجاة وغيرها. كانت وفاته بالري سنة ٤٤٧ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٨/ ٥٥ ـ ٦٠)، والبداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٢/ ٦٩ ـ ٧٠).

(٢) هو محمد بن أحمد بن عبدالله بن أحمد بن الوليد المتكلم المعتزلي، من دعاة الاعتزال، كان مولده سنة ٣٩٦ هـ، ووفاته سنة ٤٧٨ هـ في بغداد.

انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٨/ ٤٨٩ ـ ٤٩٠)، والبداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٢/ ١٣٧ ـ ١٣٨).

(٣) هو محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشري، كبير المعتزلة، كان مولده في زمخشر في خوارزم سنة ٤٦٧ هـ. ووفاته سنة ٥٣٨ هـ. من كتبه الكشاف في التفسير، والفائق في غريب الحديث، وأساس البلاغة، وغير ذلك.

انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢٠/ ١٥١)، وما بعدها والبداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٢/ ٢٣٥) ووفيات الأعيان، أحمد بن محمد بن خلكان (٥/ ١٦٨ ـ ١٧٤).

(٤) هو محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدي السلمي، إمام محدث، شيخ خراسان، وكبير الصوفية، كان مولده في نيسابور سنة ٣٢٥ هـ ووفاته بها سنة ٤١٢ هـ، من تصانيفه: حقائق التفسير ـ على الطريقة الصوفية ـ، وطبقات الصوفية، ومناهج العارفين وغير ذلك.

ونقده لأحوالهم يستنتج منه وجود ذلك قبل عصر ابن تيمية بوقت طويل، يرجع إلى القرن الثالث الهجري مع أبي يزيد البسطامي المتوفّى سنة ٢٦٣هـ[١]، وذي النون المصري المتوفّى سنة ٢٤٥هـ[٢]، والحلاج المتوفّى سنة ٣٠٩هـ[٣][٤].

وهكذا عاشت الأمة الإسلامية في العقود القليلة التي سبقت قيام الحروب الصليبية انقسامات كثيرة جزأتها إلى دويلات متصارعة فيما بينها في بعض الأحيان. واختلافات دينية فرقتها إلى شيع وأحزاب متناحرة. حيث أدى ذلك إلى حالة من الضعف لم تستطع الأمة في البداية مواجهة النصارى وصدهم عن البلاد الإسلامية.

وعلى الرغم من وجود هذه الانقسامات السياسية والاختلافات الدينية فإن

انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٧/ ٢٤٧)، وما بعدها. والبداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٢/ ١٤).

(١) هو طيفور بن عيسى البسطامي ـ أبو يزيد ـ زاهد مشهور، ولد في بسطام في جنوب عرب خراسان سنة ١٨٨ هـ، ووفاته بها سنة ٢٦١ هـ. له شطحات كبيرة تأولها فقهاء الصوفية وحملوها على محامل بعيدة.
انظر: طبقات الصوفية، محمد بن الحسين السلمي، تحقيق نور الدين شربيه، القاهرة، ص (٦٧ ـ ٧٤). وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٣/ ٨٦ ـ ٨٩).

(٢) هو ثوبان بن إبراهيم الإخميمي المصري، زاهد من العباد المشهورين، اتهمه المتوكل العباسي بالزندقة فاستحضره وسمع كلامه ثم أطلقه، توفي بالجيزة بمصر سنة ٢٤٥ هـ.
انظر: طبقات الصوفية، محمد بن الحسين السلمي، تحقيق نور الدين شربيه، ص (١٥)، وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١١/ ٥٣٢ ـ ٥٣٦).

(٣) هو الحسين بن منصور الحلاج، فيلسوف ملحد يقول بالحلول، أصله من فارس ونشأ بالعراق، ودخل بغداد فقبض عليه المقتدر بالله العباسي وقتله سنة ٣٠٩ هـ. من كتبه علم البقاء والفناء، كيف كان وكيف يكون، واليقين وغيرها.
انظر: طبقات الصوفية، محمد بن الحسين السلمي، تحقيق نور الدين شربيه، ص (٣٠٧ ـ ٣١١)، وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٤/ ٣١٣) وما بعدها.

(٤) انظر مثلاً حديث شيخ الإسلام ابن تيمية عن الصوفية وأحوالهم في مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد (١١/ ٤٤٥).

القطاع العريض من الأمة ملتف حول الكتاب والسنّة.

هذا القطاع بولاته وعلمائه ظل الحارس الأمين لكيان الأمة الإسلامية الفكري والسياسي على مر التاريخ. فكلما اعترى جسم الأمة ضعف لأي سبب من الأسباب وتخلفت لذلك عن مكانتها، هب هذا القطاع ليعيد للأمة وحدتها وقوتها.

المبحث الثالث

حال النصارى قبيل الحروب الصليبية

كان انطلاق الحروب الصليبية التي قام بها النصارى ضد المسلمين من أوربا. وكان أبرز أهدافهم نصرة إخوانهم في العقيدة الذين يعيشون تحت الحكم الإسلامي. فما حال النصارى في ذلك الوقت سواء في أوربا أو في البلاد الإسلامية؟.

المطلب الأول

النصارى في أوربا قبيل الحروب الصليبية

عاش النصارى في أوربا قبيل قيام الحروب الصليبية في المرحلة الثانية من فترة العصور الوسطى، التي أطلق عليها في أوربا: العصور المظلمة. وتمتد العصور الوسطى بالمصطلح التاريخي من القرن الرابع الميلادي إلى القرن الخامس عشر الميلادي[1].

ويقسمها بعض المؤرخين إلى ثلاث مراحل رئيسة، لكل مرحلة منها ما يميزها عن غيرها، فالمرحلة الأولى تبدأ من القرن الرابع الميلادي حتى القرن العاشر، والمرحلة الثانية من القرن الحادي عشر وتستمر حتى القرن الثالث عشر. والمرحلة الثالثة تنحصر بالقرن الرابع عشر[2].

والذي يتعلق بهذه الدراسة المرحلة الثانية، حيث شهدت أوربا قيام الحروب الصليبية في نهاية القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي باتجاه البلاد الإسلامية. وفيما يلي عرض للأحوال السائدة في أوربا قبيل هذه الحروب:

---

(١) انظر: معالم تاريخ أوربا في العصور الوسطى، د. محمود سعيد عمران ص (٢٧)، وأوربا العصور الوسطى د. سعيد عاشور (١/٣) وما بعدها.

(٢) انظر: معالم تاريخ أوربا في العصور الوسطى، د. محمود سعيد عمران ص (٢٥ ـ ٢٦).

أولاً: الأحوال السياسية:

وتتمثل في سيطرة الإمبراطورية الرومانية على ألمانيا[1] وشمال إيطاليا[2]. وكانت هذه الإمبراطورية ذات نفوذ كبير في غرب أوربا، حتى بلغت قوتها أن أصبح البابا ألعوبة في أيدي أباطرة روما. مما دفع دعاة الإصلاح من رجال الدين إلى العمل على وضع حد لهذه الفوضى وضعف مركز البابوية الأمر الذي أدى إلى صراع بين الأباطرة والباباوات[3].

وإلى الغرب من الإمبراطورية الرومانية تقع فرنسا التي تعيش تحت حكم أسرة آل كابيه[4]، حيث بلغ منها الضعف مبلغاً بسبب الحروب المستمرة مع الأمراء الإقطاعيين داخل فرنسا. بل ليس للملك فيها سلطة فعلية وإنما السلطة بيد أمراء الإقطاع[5].

وفي جنوب إيطاليا وصقلية أقام النورمان لهم دولة قوية[6]، حتى إن بعض المؤرخين أرجع تشجيع البابوية للنورمان على المشاركة في الحروب الصليبية إلى

---

(١) ألمانيا: وتضم حالياً معظم أراضي دولة ألمانيا في شمال غرب أوربا، وكانت في العصور الوسطى تسمى مملكة الفرنجة الشرقية في مقابل مملكة الفرنجة الغربية ـ فرنسا حالياً ـ.

انظر: أوربا العصور الوسطى، د. سعيد عاشور، (١/ ٢٨٨)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون ص (٧٧).

(٢) انظر: العصور الوسطى الأوربية، د. عبد القادر أحمد اليوسف، المكتبة العصرية، صيدا وبيروت، ١٩٦٧م، ص (١٣٩).

(٣) انظر: أوربا العصور الوسطى، د. سعيد عبد الفتاح عاشور (١/ ٣٢٣ ـ ٣٢٥).

(٤) أسرة آل كابيه: نسبة إلى مؤسسها هيو كابيه الذي أصبح ملكاً على فرنسا سنة ٣٧٦ هـ ـ ٩٨٧م.

انظر: أوربا العصور الوسطى، د. سعيد عبد الفتاح عاشور (١/ ٢٥٠).

(٥) انظر: العصور الوسطى الأوربية، د. عبد القادر اليوسف (١٩١).

(٦) انظر: الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، كلود كاهن، ترجمة أحمد شيخ، سينا للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م، ص (٥٧).

خوفهم من توسعهم على حساب أملاكها فأرادت إشغالهم بهذه الحروب.

وقد برزت في أواسط القرن (السادس الهجري، الحادي عشر الميلادي) في شمال إيطاليا ظاهرة استقلال المدن كجمهوريات مستقلة كالبندقية[١]، وجنوا[٢] وبيزا[٣] وغيرها، والتي كان لها دور في الحروب الصليبية[٤].

وفي شرق أوربا تقع مجموعة من الممالك منها: دولة كييف[٥] التي كانت خلال القرن الحادي عشر والثاني عشر مشغولة بتنافس أمرائها وحروبهم الأهلية فيما بينهم[٦]. وبولندا[٧]..........................

---

(١) مدينة تجارية في عصر الحروب الصليبية تقع في شمال شرق إيطاليا على البحر الأدرياتي. (انظر: أطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون ص (٧٩)، والمنجد في اللغة والأعلام ص (١٣٨).

(٢) جنوا أو جنوة مدينة تجارية في عصر الحروب الصليبية تقع في شمال غرب إيطاليا على البحر التيراني. (انظر: أطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون ص (٧٩)، والمنجد في اللغة والأعلام، ص (٢٠٥).

(٣) بيزا من المدن التجارية في عصر الحروب الصليبية تقع في شمال غرب إيطاليا جنوب مدينة جنوه على ساحل البحر التيراني (انظر: أطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون ص (٧٩). والمنجد في اللغة والأعلام، ص (١٥٩).

(٤) انظر: أوربا العصور الوسطى، د. سعيد عبد الفتاح عاشور (١/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣).

(٥) كييف: هي في الوقت الحاضر عاصمة لدولة أوكرانيا التي تقع بين أوربا وآسيا وتحد من الجنوب بالبحر الأسود ومن الشرق بروسيا ومن الشمال بروسيا وروسيا البيضاء ومن الغرب ببولندا والمجر ورومانيا. وقد أقامت بها بعض شعوب السلاف الشرقيين دولة لهم خلال فترة الحروب الصليبية. (انظر: أوربا العصور الوسطى، د. سعيد عبد الفتاح عاشور (١/ ٦١٤). وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، ص (٧٧).

(٦) انظر: العصور الوسطى الأوربية، د. عبد القادر اليوسف، ص (٣٢٥).

(٧) بولندا: إقليم واسع في الوسط الشرقي لأوربا. تسكنه شعوب من السلاف الغربيين وقد قامت لهم دولة على أجزاء منه في فترة الحروب الصليبية. وعلى هذه الأجزاء أيضاً قامت دولة بولندا في العصر الحاضر.

انظر: أوربا العصور الوسطى، د. سعيد عبد الفتاح عاشور (١/ ٦١١ ـ ٦١٤). وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون ص (٧٦ ـ ٧٧)، والمنجد في اللغة والأعلام ص (١٥٠).

التي لم تكن أحسن حالاً من كييف[1]. ومملكة بوهيميا[2] المتأثرة بأباطرة ألمانيا[3].

أما في شبه جزيرة إيبريا[4] ففي الشمال الغربي منها نشأت عدة ممالك نصرانية هي: ليون[5]، وقشتالة[6]، وأرغونه[7]، ....

---

(١) انظر: العصور الوسطى الأوربية، د. عبد القادر اليوسف ص (٣٢٥).

(٢) بوهيميا: إقليم واسع في وسط أوربا بين النمسا وبولندا وألمانيا وتشيكيا وقد نشأت في أجزاء منه دولة بوهيميا في عصر الحروب الصليبية.
انظر: أوربا العصور الوسطى، د. سعيد عبد الفتاح عاشور (١/ ٦١١ ـ ٦١٤). وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون ص (٧٦ ـ ٧٧)، والمنجد في اللغة والأعلام ص (١٥٤).

(٣) انظر: أوربا العصور الوسطى، د. سعيد عبد الفتاح عاشور (١/ ٦١٢).

(٤) شبه جزيرة إيبريا تقع في جنوب غرب قارة أوربا، وتضم حالياً دولتي إسبانيا والبرتغال. وحينما فتحها المسلمون أطلقوا عليها الأندلس.
انظر: أطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس، ص (١٧٤ ـ ١٧٥). وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون ص (٧٨). والمنجد في اللغة والأعلام ص (٩١).

(٥) إحدى الممالك النصرانية قاعدتها مدينة ليون في شمال غرب إسبانيا ـ الأندلس ـ امتدت هذه المملكة شمالاً حتى خليج بسكانية في المحيط الأطلسي وجنوباً حتى اتحدت مع مملكة قشتالة النصرانية.
انظر: أطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس ص (١٧٤). والمنجد في اللغة والأعلام ص (٥٠٧).

(٦) قشتالة: إحدى الممالك النصرانية في الأندلس، وتقع على خريطة إسبانيا في الوقت الحاضر في وسطها. اتحدت مع مملكة ليون إلى الشمال منها وذلك ضد المسلمين.
انظر: أطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس ص (١٧٤). والمنجد في اللغة والأعلام، ص (٤٣٩).

(٧) أرغونه أو أرجونه: من الممالك النصرانية في شمال شرق الأندلس ـ إسبانيا حالياً ـ على الحدود مع فرنسا، وقد اتحدت مع مملكة قطالونية ضد المسلمين.
انظر: أطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس ص (١٧٤ ـ ١٧٥)، ودولة الإسلام في الأندلس، محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١١ هـ ـ

ونافارة[1]، وقطلونية[2][3]. وكانت نواتها الأولى فلول النصارى المتقهقرة إلى الجبال أمام تقدم المسلمين إبان الفتح الإسلامي وانتشاره في الأندلس، حيث نمت هذه الممالك بسبب ضعف المسلمين إثر سقوط الخلافة الأموية بالأندلس عام (٤٢١ هـ ـ ١٠٣١م)، وتعدد الدويلات الإسلامية فيها إثر ذلك، حتى أصبح يطلق على ذلك العصر بعصر ملوك الطوائف، وهجرة كثير من أمراء الإقطاع في فرنسا لقتال المسلمين هناك[4].

وعلى الحدود الشمالية للدولة الإسلامية يمتد نفوذ الدولة البيزنطية النصرانية. والتي كانت تسيطر على أجزاء واسعة من جنوب شرق أوربا وآسيا الصغرى وأرمينية وبلاد الشام وشمال إفريقية.

حيث أدت الفتوحات الإسلامية إلى ضم بلاد الشام وشمال إفريقية إلى الدولة الإسلامية[5]. ثم بعد ذلك اجتاح السلاجقة المسلمون آسيا الصغرى حتى

١٩٩٠ م، ص (٦٠١).

(١) نافارة أو نبرة: من الممالك النصرانية في شمال الأندلس ـ إسبانيا حالياً ـ على خليج بسكاية في المحيط الأطلسي.
انظر: أطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس، ص (١٧٤ ـ ١٧٥). ودولة الإسلام في الأندلس، محمد عبدالله عنان، ص (٦٠٧). وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون ص (٧٨).

(٢) قطلونية: من الممالك النصرانية في شمال شرق الأندلس ـ إسبانيا حالياً ـ على البحر المتوسط بالقرب من الحدود مع فرنسا.
انظر: أطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس، ص (١٧٤ ـ ١٧٥). وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون ص (٧٨)، ودولة الإسلام في الأندلس، محمد عبدالله عنان، ص (٦٠١)..

(٣) انظر: الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، محمد العروسي المطوي، ص (٢١٠).

(٤) انظر: المرجع السابق، ص (٢١٠)، وما بعدها. والعصور الوسطى الأوربية، د. عبد القادر الويسف ص (٣٣٤).

(٥) انظر: الشرق الإسلامي والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين، د. زبيدة محمد عطا، دار الأمين، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤م، ص (٢٩).

سيطروا على أجزاء واسعة منها خصوصاً بعد معركة ملاذكرت[١] التي وقعت في عام (٤٦٣ هـ ـ ١٠٧١م) بل أشرفوا على القسطنطينية[٢]؛ لذلك تقلص نفوذ الدولة البيزنطية إلى أجزاء محدودة من آسيا الصغرى وجنوب شرق أوربا.

الأحـوال الدينيـة:

امتدت حالة الفوضى التي تعيشها أوربا في فترة العصور الوسطى إلى الحياة الدينية وعمّ الفساد الجهاز الكنسي ورجال الدين. خصوصاً في القرنين (الثالث والرابع الهجريين، التاسع والعاشر الميلاديين). هذا الفساد الذي تمثل في ثلاثة أمراض عانت منها الكنسية، وهي:

١ ـ **السيمونية**: والتي تعني شراء المناصب الدينية بالمال، مما أدى إلى وصول كثير من رجال الدين النصارى غير الصالحين[٣] إلى مناصب في الكنيسة، وأساؤوا بتصرفاتهم المشينة إلى سمعة الكنيسة ورجال الدين[٤].

٢ ـ **زواج رجال الدين**[٥]: والذي انتشر بين رجال الدين مما أدى إلى توريث المناصب الدينية[٦].

٣ ـ **التقليد العلماني**: ويقصد به أن تعيين رجال الدين في الكنيسة كان من شأن رجال الدين وحدهم، واعتماد البابا هذا الاختيار. ثم تحول إلى أنه أصبح الحكام العلمانيون في أوربا ـ من أباطرة وملوك وأمراء ـ يقومون بهذه

---

(١) انظر عن هذه المعركة: المنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق د. محمد بن عبد القادر عطا وزميله، (١٦/ ١٢٣ ـ ١٢٨)، والكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٢٢٣ ـ ٢٢٧).

(٢) انظر: الشرق الإسلامي والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين، د. زبيدة محمد عطا، ص (٢٩).

(٣) هذا بطبيعة الحال من وجهة نظر الكنيسة.

(٤) انظر: العصور الوسطى الأوربية، د. عبد القادر اليوسف، ص (١٤٩ ـ ١٥٠).

(٥) منع رجال الدين من الزواج بطبيعة الحال من البدع التي استحدثها النصارى في ديانتهم.

(٦) انظر: العصور الوسطى الأوربية، د. عبد القادر اليوسف، ص (١٤٩).

المهمة ويقلدون رجال الدين مناصبهم الدينية في الكنائس. فأصبح لا يعين إلا من يخدم أغراضهم المختلفة؛ مما أدى إلى ضعف الكنيسة وتفككها وعدم ارتباطها تحت زعامة البابا. فانصرف بذلك رجال الدين عن مهامهم الدينية[1]. بل وأصبحت هذه الأعمال متأثرة بالصراعات السياسية الداخلية بين الأباطرة والملوك والأمراء[2].

وتعدى الأمر إلى أن أصبح البابا نفسه في روما تحت سيطرة الأباطرة العلمانيين[3].

ولذلك حذر البابا أوربان الثاني في خطابه الذي دعا فيه إلى الحروب الصليبية وذلك في مجمع كليرمونت عام (٤٨٨ هـ ـ ١٠٩٥م) من سيطرة السلطة العلمانية على الكنيسة والمناصب الدينية. وذلك إشارة إلى انتشار هذه الظاهرة قبيل فترة الحروب الصليبية. «. . . واحفظوا الكنيسة بكل مستوياتها حرة تماماً من السلطة العلمانية. . .»[4].

وقد أدت هذه الفوضى في الكنيسة في أوربا إلى ظهور ما يعرف بحركة الإصلاح الكلونية[5] التي من ثمارها أن دعا الباب نيقولا الثاني[6] إلى مجمع

---

(١) انظر: أوربا العصور الوسطى، د. سعيد عبد الفتاح عاشور (١/ ٣٤٣ ـ ٣٤٤).

(٢) انظر: أثر العامل الديني في توجيه الحركة الصليبية، د. محمد صالح منصور، ص (٤١).

(٣) انظر: أوربا العصور الوسطى، د. سعيد عبد الفتاح عاشور (١/ ٣٤٤).

(٤) الوجود الصليبي في الشرق العربي، فوشيه الشارتري، ترجمة د. قاسم عبده قاسم، ص (٩١).

(٥) نسبة إلى دير كلوني بالقرب من الحدود الفرنسية الألمانية والذي بدأت به الدعوة إلى ما يسمى بإصلاح الكنيسة وذلك سنة ٣٠٢ هـ ـ ٩١٤م ثم انتشرت في أوربا. (وانظر: أوربا العصور الوسطى، د. سعيد عبد الفتاح عاشور (١/ ٣٣٩)، وما بعدها. وأثر العالم الديني في توجيه الحركة الصليبية، د. محمد صالح منصور، ص (٧٧).

(٦) البابا نيقولا الثاني تولى البابوية من عام ٤٤٨ هـ ـ ١٠٥٧م إلى ٤٥٢ هـ ـ ١٠٦١م، وكان له جهود كبيرة في مجمع دينس الذي حصر اختيار البابا من قبل الكرادلة وحدهم وهم أساقفة روما وضواحيها.

دينسي في روما سنة (٤٥١ هـ ـ ١٠٥٩م) لتنظيم أوضاعها خاصة فيما يتعلق باختيار البابا وإنقاذ البابوية من سلطة الملوك والأباطرة[١]. ثم جاء البابا جريجوري السابع الذي عقد مجمعاً في روما سنة (٤٦٧ هـ ـ ١٠٧٤م) لمعالجة مشاكل الكنيسة التي من أهمها: السيمونية، وزواج رجال الدين، والتقليد العلماني، حيث أصدر هذا المجمع عدة قرارات لمعالجة هذه المشاكل[٢].

وإزاء موقف البابوية هذا خصوصاً البابا جريجوري السابع، والرامي إلى استعادة مكانة الكنيسة وهيبتها في المجتمع الأوروبي، ولا سيما ما يتعلق بمسألة التقليد العلماني إزاء هذا الموقف حدث النزاع بين الإمبراطورية والبابوية.

وقد بلغ هذا النزاع مداه حينما قام الإمبراطور الألماني هنري الرابع[٣] بعقد مجمعاً في ـ ورمز ـ عام (٤٦٩ هـ ـ ١٠٧٦م) قرر فيه بطلان انتخاب جريجوري السابع، ثم عزله من منصبه. حيث رد عليه البابا بعقد مجمع في الفاتيكان في السنة نفسها (٤٩٦ هـ ـ ١٠٧٦م) قرر فيه توقيع عقوبة الحرمان على هنري الرابع وعزله من منصبه وتحرير جميع أتباعه ورعاياه من أيمان الطاعة التي أقسموها له[٤].

لذلك تقلص سلطان الإمبراطور هنري الرابع بسبب خلع طاعته من قبل أعداد كبيرة من شعبه، بل إن كثيراً من ذوي المكانة من رجال الدين والأمراء ناصروا البابا في موقفه من الإمبراطور.

انظر: أوربا العصور الوسطى، د. سعيد عاشور (٣٤٥/١)، والمنجد في اللغة والأعلام ص (٥٨٣).

(١) انظر: تاريخ أوربا في العصور الوسطى، هـ.ا.ل. فشر، ترجمة محمد مصطفى ود. السيد الباز العريني، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٠ م، (١٤٤/١).

(٢) انظر: أوربا العصور الوسطى، د. سعيد عبد الفتاح عاشور (٣٤٦/١).

(٣) أحد أباطرة ألمانية الأقوياء كان ميلاده (٤٤٢ هـ ـ ١٠٥٠ م) وتسلم الحكم وعمره خمس عشرة سنة واستمر به حتى تنازل عام (٤٩٩ هـ ١١٠٥م) لابنه هنري الخامس، وكانت وفاته عام ١١٠٦م. (انظر: أوربا العصور الوسطى، د. سعيد عبد الفتاح عاشور (١/ ٣٥٠) وما بعدها. والمنجد في اللغة والأعلام، ص (٥٩٩).

(٤) انظر: العصور الوسطى الأوربية، د. عبد القادر اليوسف، ص (١٥٢).

حيث عقد جمع من رجال الدين والأمراء في ألمانيا سنة (٤٩٦ هـ - ١٠٧٦م) مجمعاً قرروا فيه الخروج على طاعة هنري الرابع وإنذاره باختيار ملك غيره إن لم يغفر له البابا[١].

ذلك الأمر جعل هنري الرابع يأتي إلى البابا جريجوري السابع ويخضع بين يديه ويغفر له البابا بشرط التسليم للبابوية بكل ما تطلبه[٢].

وهكذا انتصر البابا الذي يمثل السلطة الدينية على الإمبراطور الذي يمثل كذلك أعلى سلطة علمانية في أوربا.

وقد تجدد هذا النزاع بين الإمبراطور هنري الرابع والبابا جريجوري السابع حتى أدى إلى الحرب بينهما[٣].

وقد ظل النزاع بين الأباطرة والباباوات قائماً بسبب مسألة التقليد العلماني حتى بعد وفاة الإمبراطور هنري الرابع والبابا جريجوري السابع. ومع استمرار هذا النزاع ازدادت قوة البابوية واكتسبت المزيد من النفوذ في المجتمع الأوربي[٤].

وهكذا يتبين مدى القوة التي بلغتها البابوية في هذه الفترة، ويظهر مدى تأثيرها في المجتمع الأوربي لدرجة أنها إذا اصطدمت بالسلطة العلمانية والقوى السياسية في أوربا انتصرت البابوية؛ وذلك نتيجة لميول الغالبية من شعوب أوربا إلى جانب الكنيسة وتأييدهم لها. يدفعهم لهذا الناحية الدينية.

حيث ساد خلال هذه الفترة في أوربا شعور بقرب نهاية العالم مع نهاية القرن العاشر الميلادي وبداية القرن الحادي عشر. وظهرت لذلك الكثير من

---

(١) انظر: تاريخ أوربا في العصور الوسطى، هـ.ا.ل. فشر، ترجمة محمد مصطفى زيادة ود. السيد الباز العريني، القسم الأول ص (١٤٦).

(٢) انظر: المرجع السابق، القسم الأول، ص (١٤٦).

(٣) انظر: العصور الوسطى الأوربية، د. عبد القادر اليوسف، ص (١٥٤ - ١٥٥).

(٤) انظر: تفاصيل هذا النزاع بين الأباطرة والبابوات في: أوربا العصور الوسطى، د. سعيد عبد الفتاح عاشور (١/ ٣٥٠) وما بعدها.

التنبؤات. الأمر الذي دفع الكثيرين إلى التوبة، والرجوع إلى تعاليم الكنيسة، والتكفير عن الذنوب[1]. حيث استغلت الكنيسة هذا الشعور ودعت إلى أن يكون التكفير بالحج إلى بيت المقدس والمشاركة في الحروب الصليبية.

بل إن الكنيسة سعت جاهدة إلى إيقاف الصراعات والحروب بين الملوك والإقطاعيين في أوربا وذلك بما يعرف بسلام الرب. وتوجيه هذه الحروب لأغراض مثالية متمثلاً ذلك بحرب المسلمين والمشاركة بالحروب الصليبية[2].

وقد دعيت هذه الفترة في أوربا ـ بعصر الإيمان ـ نتيجة لتزايد سلطة الكنيسة، مع تزايد الشعور الديني العام لدى شعوب هذه القارة[3].

هذه هي الأحوال الدينية للنصارى في وسط أوربا وجنوبها وشمالها الغربي.

أما في شبه جزيرة أيبيريا فقد كان الإسبان على المذهب الأريوسي[4]، وباعتناق الملك «ريكارد»[5] المذهب الكاثوليكي[6] بدأ هذا

---

(١) انظر: ماهية الحروب الصليبية، د. قاسم عبده قاسم، ص (١٨ ـ ٢٠).

(٢) انظر: الحروب الصليبية، آرنست باركر، ترجمة د. السيد الباز العريني، ص (١١ ـ ١٢).

(٣) انظر: جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، د. فايد حماد عاشور، ص (٧٨) والحركة الصليبية، د. سعيد عبد الفتاح عاشور (١/ ٣٢).

(٤) المذهب الأريوسي نسبة إلى أريوس الذي كان قسيساً بالإسكندرية، والذي عاش بين عامي ٢٥٦ ـ ٣٣٦م وكان يقول بوحدانية الله، ويقر بنبوّة المسيح، فحرَمه المجمع النيقاوي سنة ٣٢٥ هـ وكفره. (انظر: مجموعة الشرع الكنسي، جمع: حنانيا إلياس كساب، منشورات النور، بيروت، ص (٤٠ ـ ٤٣)، والمنجد في اللغة والأعلام، ص (٤١).

(٥) ريكارد: ملك قوطي غربي حكم إسبانيا بين سنتي (٥٨٦ ـ ٦٠١م) اعتنق الكاثوليكية وكان أريوسيا فأدى ذلك إلى نشرها في إسبانيا (انظر: الموسوعة العربية الميسرة، ص (٩١١).

(٦) الكاثوليكي نسبة إلى الكاثوليك. Cathliqe ـ وهي كلمة يونانية معناها العالمي أو العام وهو اصطلاح ظهر في القرن الثاني الميلادي، ويرأس هذه الكنيسة بابا الفاتيكان في روما، ويعتقد أتباعها أن الروح القدس منبثق عن الأب والابن معاً وبالمساواة الكاملة بين الأب والابن. وهم منتشرون في معظم بلدان العالم. (انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة محمد بدران، الجزء الأول من المجلد الرابع، ص (٩٢ ـ ٩٣)،

المذهب ينتشر في إسبانيا[1].

وفي بادىء الأمر لم يكن النصارى الإسبان معترفين بسيادة بابا روما عليهم، ولكن في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي ـ أي قبيل قيام الحروب الصليبية ـ أصبحت أديرة مملكة أرغونة في إسبانيا تحت سيطرة البابا. وفي عهد البابا جريجوري السابع (٤٦٦ هـ ـ ١٠٧٣م و٤٧٨ هـ ـ ١٠٨٥م) اعترفت جميع الممالك النصرانية في إسبانيا بسلطة البابوية وإشرافها[2].

ثم جاء البابا أوربان الثاني صاحب الدعوة للحروب الصليبية في مجمع كليرمونت ـ والذي أصبح له نفوذ كبير في إسبانيا ـ ودعا إلى مساندة الإسبان في حروبهم ضد المسلمين وذلك في سنة (٤٨٢ هـ ـ ١٠٨٩م) حيث استجاب لندائه كثير من فرسان جنوب فرنسا وهبوا للقتال مع النصارى الإسبان ضد المسلمين[3].

وأثناء دعوة البابا أوربان الثاني للحروب الصليبية في مجمع كليرمونت طلب المطران برنارد[4] وعدد من القساوسة الإسبان المشاركة في القتال ضد المسلمين في الشرق فمنعهم البابا أوربان بحجة وجود حروب صليبية في بلادهم. بل إن الأمر تجاوز ذلك إلى أن أصدر البابا أوربان مرسوماً حرم فيه على رجال الدين

والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف د. مانع حماد الجهني، دار الندوة للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، ١٤١٨ هـ، (٢/ ٦١٠).

(١) انظر: الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، شكيب أرسلان، المطبعة الرحمانية، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٥ هـ ـ ١٩٣٦م، (١/ ٣٦٣).

(٢) انظر: الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، يوسف أشياخ، ترجمة عبدالله عنان (١/ ١٤٦).

(٣) انظر: الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، محمد العروسي المطوي، ص (١٩٠).

(٤) المطران برنارد عينه البابا أوربان الثاني رئيساً أعلى للكنيسة الإسبانية، وقد عرف هذا المطران بشدة تعصبه ضد المسلمين، فعلى الرغم من تعهد ألفونسو السادس بالأمان للمسلمين في طليطلة وعدم المساس بأنفسهم وممتلكاتهم سعى هذا المطران إلى تحويل جامع طليطلة الشهير إلى كنيسة بعد استسلام المدينة. (انظر: الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، محمد العروسي المطوي، ص (١٨٩ ـ ١٩١).

والفرسان الإسبان المشاركة في صليبيات المشرق[1].

وهكذا يتضح مدى تأثير البابوية الكاثوليكية على النصارى الإسبان، وكذلك عمق الحقد النصراني الإسباني على المسلمين، حتى اتخذت حروبهم ضد المسلمين الصليب شعاراً لها. كما هي الحال في حروب النصارى الأوربيين في المشرق.

فهذا الملك خاييم الأول[2] ملك أرغونة لما اعتزم احتلال جزيرة ميورقة[3] جعل الصليب شعاراً له. بل إنه قام بحملة للمشاركة في حرب المسلمين في المشرق عام ٦٦٨ هـ. لكن حملته عادت أدراجها لعاصفة بحرية قوية[4].

في مقابل ذلك كان هناك الكثير من النصارى الإسبان الذين احتفظوا بدياناتهم النصرانية مع تمتعهم بقدر كبير من التسامح في ظل حكم الدول الإسلامية في أنحاء إسبانيا؛ مما دفع الكثيرين منهم إلى الدخول في الإسلام، وفضل البعض ممن بقي على نصرانيته حكم المسلمين على حكم الإفرنج أو القوط[5][6].

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص (١٩١).

(٢) الملك خاييم الأول أو جمس من ملوك أرغونة النصرانية في الأندلس، عاش بين سنتي ٦٠٩ هـ ـ ١٢١٣م و٦٧٤ هـ ـ ١٢٧٦م، يلقب بالفاتح لأنه استولى على كثير من المناطق التي فتحها المسلمون خاصة جزر البليار في البحر المتوسط ومنها جزيرة ميورقة. (انظر: أوربا العصور الوسطى، د. سعيد عبد الفتاح عاشور (١/ ٥٥٩).

(٣) ميورقة: إحدى جزر البليار في البحر المتوسط مقابل الساحل الإسباني حالياً. (انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٥/ ٢٨٥). وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس ص (١٧٤ ـ ١٧٥). وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، ص (٧٨).

(٤) انظر: الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، محمد العروسي المطوي، ص (١٩١ ـ ١٩٢).

(٥) القوط: شعب جرماني قديم إسكندنافي الأصل ـ أي من أقصى شمال أوربا ـ ويقسمون إلى قوط شرقيين، استقروا في البلقان، وقوط غربيين استقروا في جنوب فرنسا وإسبانيا في حوالي القرن الخامس الميلادي. وكانوا على المذهب الأريوسي. (انظر: أوربا العصور الوسطى، د. سعيد عبد الفتاح عاشور (١/ ٨٣ ـ ٨٨)، والمنجد في اللغة والأعلام، ص (٣٣٤).

(٦) انظر: العرب في إسبانيا، لين بول، ترجمة علي الجارم، ص (٤١ ـ ٤٢).

أما في شرق أوربا فيتنازعه تأثيران: تأثير الكنيسة اللاتينية الكاثوليكية، وتأثير البيزنطيين الأرذوذكس[١].

فبتأثير الإمبراطورية الألمانية يسود المذهب الكاثوليكي لدى السلاف الغربيين[٢] كالبوهيميين[٣] والتشيك[٤] والبولنديين[٥][٦].

وأما السلاف الشرقيون[٧] فيسود بينهم المذهب الأرذوذكسي بتأثير الدولة

---

(١) الأرذوذكس: كلمة يونانية مركبة من كلمتين ـ Orthos أي الحق والثانية ـ Doxa ـ أي المذهب ـ أي إن معنى أرذوذكس المذهب الحق، أو الرأي الصحيح، وقد ظهر هذا المصطلح في القرن الرابع الميلادي وقد أخذت به كنائس الحبشة ومصر وبعض كنائس آسيا وأرمينية. وتذهب الكنيسة الأرذوذكسية إلى أن روح القدس منبثق عن الأب وحده وأن المسيح طبيعة واحدة من طبيعة لاهوتية وناسوتية. وقد انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية الغربية بشكل نهائي عام ٤٤٥ هـ ـ ١٠٥٤م. ولا يجتمع الأرذوذكس تحت لواء رئيس واحد بل كل كنيسة مستقلة بنفسها. (انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة محمد بدران، الجزء الأول من المجلد الرابع، ص (٩٦، ١٠٢، ١٠٣، ٢٣٣). والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف د. مانع الجهني، (١/ ٥٩٣).

(٢) السلاف الغربيين: هم سكان الوسط الشرقي لأوربا والذي يشمل بولندا وإقليم بوهيميا وسلوفاكيا، وكانت هذه المناطق تابعة للإمبراطورية الألمانية في فترة الحروب الصليبية. (انظر: أوربا العصور الوسطى، د. سعيد عبد الفتاح عاشور (١/ ٦٠٨)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، ص (٧٧).

(٣) نسبة إلى إقليم بوهيميا في وسط أوربا وقد سبق التعريف به.

(٤) التشيك: سكان جمهورية تشيكيا في الوقت الحاضر والتي انفصلت عن سلوفاكيا مؤخراً وكانت في عصر الحروب الصليبية تابعة لألمانيا. والتشيك من السلاف الغربيين. (انظر: أوربا العصور الوسطى، د. سعيد عبد الفتاح عاشور (١/ ٦٠٨)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، ص (٧٧). والمنجد في اللغة والأعلام، ص (١٧٥).

(٥) البولنديون: نسبة إلى بولندا في شرق أوربا. وقد سبق التعريف به.

(٦) انظر: أوربا العصور الوسطى، د. سعيد عبد الفتاح عاشور (١/ ٦١١).

(٧) السلاف الشرقيون: المقصود بهم الروس وتمثل مناطقهم في الوقت الحاضر: أجزاء من الجزء الأوربي لدولة روسيا، وجمهورية روسيا البيضاء، ولتوانيا وغيرها من دول شرق

البيزنطية[(١)] التي تسيطر على الأجزاء الجنوبية الشرقية من أوربا وآسيا الصغرى حيث تدين بالمذهب الأرذوذكسي.

الأحوال الاجتماعية والاقتصادية:

تألف المجتمع الأوربي النصراني قبيل قيام الحروب الصليبية من ثلاث طبقات هي:

طبقة رجال الدين، وطبقة المحاربين من النبلاء والفرسان، وطبقة الفلاحين من الأقنان ورقيق الأرض[(٢)].

ونظراً لسيطرة البابوية وقوة نفوذها في المجتمع الغربي أصبحت طبقة رجال الدين الطبقة المقدمة في المجتمع، والتي تتمتع بنفوذ كبير حتى على الأمراء والقادة. فعاشت لذلك هذه الطبقة نتيجة لمواردها الكبيرة حياة البذخ والنعيم.

فالبابا يعيش في بلاط أشبه ببلاط الأباطرة والملوك، تحيط به جميع مظاهر العظمة والفخامة[(٣)]. ومَنْ دونه من رجال الدين يتمتعون بحياة مترفة ويسرفون في تناول الفاخر من الطعام والشراب وارتداء الثمين من الملابس[(٤)].

فأصبحت الوظائف الدينية لذلك مطمعاً يُتسابق عليه، بل صارت هذه الوظائف تباع وتشترى.

حيث انتشرت في هذه الفترة ظاهرة المتاجرة بالمناصب الدينية. وقد أطلق على هذه الظاهرة ـ السيمونية[(٥)].

ومع انتشار هذه الظاهرة انحط المستوى الخلقي لرجال الدين، حيث وصل

أوربا. (انظر: أوربا العصور الوسطى، د. سعيد عبد الفتاح عاشور (١/ ٦١٤).

(١) انظر: أوربا العصور الوسطى، د. سعيد عبد الفتاح عاشور (١/ ٦١٤).

(٢) انظر: الحركة الصليبية، د. سعيد عبد الفتاح عاشور (١/ ٣٧ ـ ٣٨).

(٣) انظر: أوربا العصور الوسطى، د. سعيد عبد الفتاح عاشور (١/ ٢١٩).

(٤) انظر: المرجع السابق (٢/ ٢٤٤)، (٢٥٢).

(٥) انظر: العصور الوسطى الأوربية، د. عبد القادر اليوسف، ص (١٤٩).

إلى أعلى المناصب الدينية بهذه الطريقة الكثير من غير المؤهلين لها. مع ما يتصفون به من بذخ وإسراف في ملاذ الحياة. مما أدى بعد ذلك إلى حركة الإصلاح الكلونية.

أما طبقة المحاربين من النبلاء والفرسان فهم الطبقة الإقطاعية التي تعيش مرفهة على حساب طبقة الفلاحين من الأقنان، ورقيق الأرض، فأفراد هذه الطبقة هم الذين يمتلكون القصور، والضياع، وهم وحدهم الذين يتمتعون بوسائل الحياة المرفهة التي توفرت في عصرهم، فالسيد الإقطاعي يمتلك أراضي واسعة قد تشمل عدة قرى بل مدن. يكون في وسطها في الغالب حصن خصص الطابق الأسفل منه كمخزن للتموين والأسلحة، والطابق الأعلى للرماية وقذف السهام في وقت الحرب، والطابق الأوسط يعيش به السيد الإقطاعي مع أسرته. حيث يوجد به كنيسة صغيرة، وقاعة فسيحة للهو وتلقى فيه فروض التبعية والخضوع من إقطاعيين دونه يقعون تحت نفوذه. وفي وقت السلم يتنقل الإقطاعي بين ضياعه الواسعة وتنتقل معه احتياجات الترف والراحة[(١)].

وكل هذا البذخ والإسراف والتمتع بملاذ الحياة من طبقة رجال الدين وطبقة الإقطاعيين يقع أمام الغالبية الكادحة طبقة الفلاحين وأقنان الأرض.

فهذه الطبقة غالبها من الأقنان المسخرين في خدمة السيد الإقطاعي ـ الذي هو بدوره تابع لإقطاعي أكبر منه ـ وهؤلاء قد وزع بينهم السيد قطعاً صغيرة من الأرض يعيشون منها مقابل خدمات يقدمونها له تتمثل في العمل في مزرعته الواسعة عدداً من الأيام، ودفع رسوم له تسمى ـ ضريبة الرأس ـ، وعشر نتاج الأرض التي يستثمرها القن، إضافة إلى ما يكلفهم به السيد من أعمال أخرى[(٢)].

والسيد وحده هو الذي يمتلك الطاحونة والمعصرة والبئر. وعلى هؤلاء الأقنان الاستفادة من هذه الأشياء مقابل ما يدفعونه للسيد. وويل لمن يحاول

---

(١) انظر: أوربا العصور الوسطى، د. سعيد عبد الفتاح عاشور (٢/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠).

(٢) انظر: أوربا العصور الوسطى، د. سعيد عبد الفتاح عاشور (٢/ ٢٩١).

منافسة السيد بامتلاك مثل هذه الأشياء. إذ يعرض نفسه للطرد من الضيعة هو وأسرته[1].

وعلاقة السيد بالأقنان والفلاحين لا تتوقف عند حدود العمل، بل إنه يتحكم حتى بالأمور الشخصية لأفراد هذه الطبقة التابعين له.

فلا يستطيع القن أو الفلاح أن يتزوج إلا بإذن السيد، وتزداد المشكلة تعقيداً حينما يكون أحد الزوجين تابع لسلطة إقطاعي آخر. ففي هذه الحالة يفرض على الزوج أعباء مالية كبيرة تدفع للسيد، حتى يتمكن من تعويض الإقطاعي الآخر مقابل انتقال الزوجة إلى إقطاعيته تبعاً لزوجها[2].

وقد كان المجتمع في إسبانيا قبل الفتح الإسلامي امتداداً لما عليه مجتمعات أوربا من سوء في الأحوال، خاصةً الاجتماعية والاقتصادية.

فالثروة بيد النبلاء والفرسان ورجال الدين، أما طبقة عبيد الأرض من الفلاحين والأقنان فتحيى حياة سيئة في ظل النظام الإقطاعي السائد في أوربا بشكل عام[3].

واستمر هذا الوضع حتى قبل قيام الحروب الصليبية وذلك في الممالك النصرانية في شمال إسبانيا، أما الأجزاء التي دخلت تحت سيطرة المسلمين فقد زالت عنها هذه الأوضاع السيئة، وتخلص النصارى فيها من سيطرة رجال الدين واضطهاد أمراء الإقطاع، فاشتغل معظم الناس فيها بفلاحة الأرض في الأرياف، وبالصناعة في المدن، وجنوا من وراء ذلك أرباحاً طائلة، وأسهم البعض منهم في النهضة العلمية التي تعيشها الأندلس في ظل الحكم الإسلامي[4].

---

(١) انظر: العصور الوسطى الأوربية، د. عبد القادر اليوسف، ص (١٢٩).

(٢) انظر: المرجع السابق، ص (١٢٧)، وللتوسع في علاقة السيد الإقطاعي بالفلاحين والأقنان الذين يعملون في إقطاعيته، انظر: أوربا العصور الوسطى، د. سعيد عبد الفتاح عاشور (٢/ ٢٩٣ ـ ٢٩٦).

(٣) انظر: التاريخ الأندلسي، د. عبد الرحمن علي الحجي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ، ص (٢٩ ـ ٣٠).

(٤) انظر: أوربا العصور الوسطى، د. سعيد عبد الفتاح عاشور (١/ ٥٣٧).

أما الدولة البيزنطية فكانت أكثر استقراراً وحضارةً وتنظيماً من الإمبراطورية اللاتينية الغربية، بل إن نظرة البيزنطيين إلى شعوب وسط أوربا وغربها على أنها شعوب متبربرة لا ترقى إلى الحضارة البيزنطية[١].

وقد وضح فوشيه الشارتري[٢] ـ وهو ممن دخل القسطنطينية في الحملة الصليبية الأولى ـ مظاهر الحضارة والرقي سواء في البناء والقصور، أو توفر البضائع والسلع أو مظاهر الثروة لدى البيزنطيين[٣].

وهذا يعني أن شعوب الدولة البيزنطية خصوصاً في القسطنطينية لا تعاني مما تعانيه شعوب وسط وغرب أوربا من جراء الطبقية في ظل النظام الإقطاعي السائد في وسط وغرب أوربا في تلك الفترة.

وفيما يتعلق بالأخلاق والآداب العامة في المجتمع الأوربي النصراني في هذه الفترة، فقد انحطت إلى أدنى مستوياتها، فانتشرت الرذيلة من عهر، وانحلال، واغتصاب، وفشت السرقة والغش، والكذب، وغيرها من الأخلاق السيئة في مختلف طبقات المجتمع.

حيث أشار إلى انتشار ذلك البابا أوربان الثاني في خطابه الذي دعا فيه إلى الحروب الصليبية في مجمع كليرمونت[٤].

---

(١) انظر: العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى، د. جوزيف نسيم يوسف، ص (١١٩).

(٢) هو فوشيه دي شارتر مؤرخ فرنسي ورجل دين في الوقت نفسه، كان مولده عام ٤٤٩ هـ ـ ١٠٥٨م ووفاته ٥٢١ هـ ـ ١١٢٨م. حضر مجمع كليرمونت الذي دعا فيه أوربان للحروب الصليبية وشارك في الحملة الأولى بل وكان القس الخاص لبلدوين الأول حاكم الرها في الحملة الصليبية الأولى، ألف ما يعرف بتاريخ أورشليم، سجل فيه أخبار الحملة الصليبية الأولى. ترجمه الدكتور قاسم عبده قاسم تحت عنوان: الوجود الصليبي في الشرق العربي. (انظر: الوجود الصليبي في الشرق العربي، ص (٢٣) وما بعدها. والمنجد في اللغة والأعلام، ص (٤٢٠).

(٣) انظر: الوجود الصليبي في الشرق العربي، فوشيه شارتر، ص (١٠٧).

(٤) انظر: المصدر السابق، ص (٩١).

وتحدث صاحب قصة الحضارة بإسهاب عن المظاهر الأخلاقية السيئة في المجتمع الأوربي في هذه الفترة[١].

---

(١) انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة محمد بدران، المجلد الرابع، الجزء الخامس، ص (١٧٩ ـ ١٨٠)، وص (١٩٣)، وما بعدها. والمجلد الرابع، الجزء السادس، ص (٥١ ـ ٥٢).

المطلب الثالث

النصارى في البلاد الإسلامية
قبيل الحروب الصليبية

النصارى في البلاد الإسلامية خاصةً في بلاد الشام ومصر في مجملهم ينتسبون إلى الكنيسة الشرقية الأرذوذكسية. «... ومع ذلك لم يكن لبطريرك القسطنطينية شيء من الولاية على زملائه بالمشرق. لم يكن ذلك إلا تعبيراً عاطفياً قوياً عن استمرار فكرة أن العالم المسيحي لا زال وحدة لا تتجزأ...»[١].

لذلك نظر إليهم الأوربيون الكاثوليك أثناء الحروب الصليبية على أنهم منشقون عن الكنيسة الكاثوليكية وملحدون[٢].

ومن أهم فرقهم في البلاد الإسلامية: النساطرة[٣] ويتركزون في بغداد،

---

(١) تاريخ الحروب الصليبية، ستيفن رنسيمان، ترجمة د. السيد الباز العريني (١/ ٤٣ ـ ٤٤).

(٢) انظر: الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد، د. محمود محمد الحويري، ص (٨٨).

(٣) النساطرة: نسبة إلى نسطوريوس الحكيم الذي ولد بسوريا سنة ٣٨٠ م، وكانت وفاته ٤٥١م، كان نسطور بطريركاً للقسطنطينية وكان رأيه أن مريم العذراء لم تلد الإله بل ولدت الإنسان فقط. فانعقد لذلك مجمع أفسس سنة ٤٣١م وتقرر فيه أن مريم العذراء والدة الله وأن للمسيح طبيعتان لاهوتية وناسوتية، وتقرر أيضاً خلع نسطور وتسفيه مقالته ونفيه إلى مصر. (انظر: مجموعة الشرع الكنسي، حنانيا إلياس كساب، ص (٢٨٨ ـ ٢٩٣). والموسوعة الفلسفية العربية، رئيس التحرير: معن زيادة، معهد الإنماء العربي،

وطرابلس، وعكا، وبيروت[١]، وجبيل[٢][٣]، واليعاقبة[٤]، وهم غالبية النصارى في الشام خاصةً أنطاكية، وكفرطاب[٥] وسمسياط[٦]، وسروج[٧]، ومرعش[٨]،

بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م، (٢/ ١٢٣٨) وما بعدها.

(١) بيروت: عاصمة لبنان في الوقت الحاضر تقع في منتصف الساحل اللبناني على ساحل البحر المتوسط.
انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، (١/ ٦٢٣)، وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس، ص (٤١٣).

(٢) جبيل: مدينة على ساحل البحر المتوسط في لبنان حالياً شمال مدينة بيروت. (انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٢/ ١٢٧)، وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس، ص (٢٦٤)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، ص (٤٢ ـ ٤٣).

(٣) انظر: الأوضاع الحضارية في بلاد الشام، د. محمود محمد الحويري، ص (٩٧).

(٤) اليعاقبة: هم أتباع يعقوب البرادعي الذي ظهر في القرن السادس الميلادي، والذي يرى أن للمسيح طبيعة واحدة من طبيعتين لاهوتية وناسوتية ولم يكن يعقوب القائل الأول لذلك وإنما هو أكثر الداعين له، أما القائل الأول فهو أوطاخي (أوتيكيس) ورئيس أحد الأديرة قرب القسطنطينية. ولذلك عقد مجمع خلدونية سنة ٤٥١م لاتخاذ قرار برفض هذه العقيدة ولعن القائلين بها. (انظر: مجموعة الشرع الكنسي، جمع حنانيا إلياس كساب، ص (٣٦٤) وما بعدها. والنصيحة الإيمانية، نصر بن يحيى المتطبب، تحقيق د. محمد الشرقاوي، دار الصحوة، القاهرة، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م، ص (٥٨).

(٥) يقع في شمال غرب سوريا بين معرة النعمان ومدينة حلب.
انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٤/ ٥٣٤)، وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس، ص (٤١٧).

(٦) سمسياط: «مدينة على شاطىء الفرات في طرف بلاد الروم على غربي الفرات».
انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٣/ ٢٩٣)، أي أنها تقع حالياً في جنوب شرق تركيا. (انظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص (٣٠٩)).

(٧) سروج: بلدة قريبة من حران تقع حالياً في جنوب شرق تركيا على الحدود السورية. (انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٣/ ٢٤٤)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، ص (٣٨ ـ ٣٩).

(٨) مرعش: تقع حالياً في جنوب شرق تركيا قرب الحدود السورية.
انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٥/ ١٢٦)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر

وطوروس[1][2]. والموارنة[3]، وينتشر في وادي العاصي[4]، ومعرة النعمان[5]، وشيزر[6]، وحماة، وحمص، وقنسرين[7]،..................

وآخرون، ص (٦٨)، والمنجد في اللغة والأعلام، ص (٥٢٩).

(١) طوروس: منطقة جبلية في جنوب تركيا حالياً قرب البحر المتوسط.
انظر: أطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، ص (٦٨)، والمنجد في اللغة والأعلام، ص (٣٥٩).

(٢) انظر: الأوضاع الحضارية في بلاد الشام، د. محمود محمد الحويري، ص (٩٧).

(٣) الموارنة: نسبة إلى القديس مارون المتوفّى سنة ٤١٠ م، وهم طائفة من الكاثوليك الشرقيين ولذلك تعرضوا كثيراً لاضطهاد اليعاقبة والنساطرة مما اضطرهم إلى النزوح لجبال لبنان. ومن هذا الاضطهاد ما حدث سنة ٥١٧م من قتل اليعاقبة لثلاثمائة وخمسين راهباً مارونياً في دير أفامية على نهر العاصي. وذلك بسبب موافقتهم لمقررات مجمع خلدونية في شأن طبيعة المسيح عليه السلام. وقد كانوا من أقرب نصارى البلاد الإسلامية للصليبيين خلال فترة الحروب الصليبية.
انظر: الجامع المفصل في تاريخ الموارنة المفصل، يوسف الدبس، بيروت، ١٩٠٥م، ص (٣)، وتاريخ الطائفة المارونية، إسطفان الدويهي، بيروت، ١٨٩٠ م، ص (١٩ ـ ٢٠)، ولبنان في التاريخ، فيليب حتي، ترجمة د. أنيس فريحة، بيروت، ١٩٥٩م، ص (٣٠٣ ـ ٣٠٥).

(٤) وادي العاصي: أي وادي نهر العاصي الذي ينبع من منطقة الهرمل شمال البقاع اللبناني، ويتجه شمالاً إلى بحيرة العمق قرب إنطاكية في شمال سوريا.
انظر: أطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس ص (١١٢)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، ص (٣٩)، والمنجد في اللغة والأعلام، ص (٣٦٢).

(٥) معرة النعمان: تقع حالياً في شمال غرب سوريا بين حماة وحلب. (انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٥/ ١٨٢)، وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس، ص (١١٢)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، ص (٣٩).

(٦) شيزر: تقع حالياً في شمال غرب سوريا إلى الشمال من مدينة حماة، كان حكامها فترة الحروب الصليبية أسرة آل منقذ.
انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٣/ ٤٣٤)، وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس، ص (١١٢)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، ص (٤١).

(٧) بلدة في شمال غرب سوريا جنوب مدينة حلب.

وأجزاء من جبال لبنان[1] والأرمن[2] ومن أهم أماكن وجودهم أرمينية، وأنطاكية، واللاذقية، وتل باشر[3] وغيرها والأقباط[4]، ويوجدون في مصر خاصةً الإسكندرية[5].

وقد تمتع النصارى بصفة عامة بقسط وافر من التسامح في ظل الدولة الإسلامية حتى فضل كثير منهم سلطة المسلمين على سلطة إخوانهم النصارى في

انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٤/ ٤٥٧)، وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس، ص (١١٢)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، ص (٤١).

(١) انظر: الأوضاع الحضارية في بلاد الشام، د. محمود محمد الحويري، ص (٨٩).

(٢) الأرمن: نسبة إلى الكنيسة الأرمنية التي تأسست في القرن الثالث الميلادي على يد القديس غريغوريوس المنوّر حيث رفضت هذه الكنيسة مقررات مجمع خلدونية عام ٤٥١م وأصبحت كنيسة وطنية في القرن السادس الميلادي. انظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص (٣٩). وكانت طائفة الأرمن في أعالي الشام من أشد المناصرين للصليبيين في بداية تقدمهم في الحملات الأولى. انظر: الأوضاع الحضارية في بلاد الشام، د. محمود محمد الحويري، ص (٩٢ ـ ٩٥).

(٣) تل باشر: قلعة صليبية تقع حالياً في أقصى شمال سوريا على الحدود التركية.
انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٢/ ٤٧)، وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس، ص (٢٦٣)، والمنجد في اللغة والأعلام، ص (١٧٨).

(٤) الأقباط والقبط: كلمة يونانية معناها: سكان مصر، وهم سلالة قدماء المصريين، ويمتد أصل الكنيسة القبطية إلى النصرانية في عهودها الأولى حيث أسسها القديس مرقس.
وأول أسقف لها هو أثنايوس (٦٢ ـ ٨٢م)، وهو أول من بنى كنيسة في الإسكندرية.
انظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، مادة «قبط» (٧/ ٣٧٣)، والموسوعة الميسرة، إشراف محمد شفيق غربال، ص (١٣٦٩)، والموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٩م، (٢/ ٤٠٩ ـ ٤١٠).

(٥) ميناء مهم تقع في شمال مصر على ساحل البحر المتوسط، وهي مدينة قديمة أسسها الإسكندر الأكبر سنة ٣٣٢ ق.م.
انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (١/ ٢١٧)، وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس، ص (٣٢٩).

الدولة البيزنطية[١]. فحين رد أبو عبيدة عامر بن الجراح ﷺ الجزية على نصارى الشام لعدم استطاعة المسلمين حمايتهم، قالوا: «... ردكم الله علينا ونصركم عليهم، فلو كانوا هم لم يردوا علينا شيئاً، وأخذوا كل شيء بقي لنا حتى لا يدعوا لنا شيئاً...»[٢].

يقول أحد المؤرخين الأوربيين: «... ولذا ليس ثمة ما يدعو المسيحيين لأن يأنفوا لانتصار الإسلام... فإن المسيحيين أصابوا من الثراء ما يزيد على ما كانوا عليه زمن الأباطرة المسيحيين. إذ استتب الأمن، ونشطت التجارة، وازداد هبوط الضرائب...»[٣].

وكتب أحد بطاركة بيت المقدس (في نهاية القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي) إلى زميله في القسطنطينية يخبره عن سلطة المسلمين حيث قال له: «... إنها عادلة، ولم تنزل بنا الضرر، ولم تظهر شيئاً من العنف نحونا...»[٤].

وقد بين أحد الكتاب الغربيين الحياة الطبيعية التي كان يعيشها نصارى البلاد الإسلامية قبيل قيام هذه الحروب حيث قال: «... وبشكل عام فإن أوضاع المسيحيين في كل البلدان المندمجة داخل إمبراطورية السلاجقة كانت طبيعية...»[٥].

وقال عن سهولة حياة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي في هذه الفترة: «... لا يظهر أن الحياة كانت شاقة بالنسبة للطوائف غير الإسلامية، فمن كان

---

(١) ذكرت طرفاً من حسن معاملة المسلمين للنصارى في البلاد الإسلامية؛ لتفنيد ما يدعيه الصليبيون من سوء معاملة المسلمين لإخوانهم النصارى حتى جعلوا ذلك حجةً للاستيلاء على البلاد الإسلامية.

(٢) كتاب الخراج، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٩ هـ، ص (١٣٩).

(٣) تاريخ الحروب الصليبية، ستيفن رنسيمان، ترجمة د. السيد الباز العريني (١/ ٤٧ ـ ٤٨).

(٤) المرجع السابق (١/ ٤٩).

(٥) الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، كلودكاهن، ترجمة أحمد الشيخ، ص (٤٨).

يستطيع الهجرة من المقيمين على الحدود لم يفعل ذلك...»[1].

بل إن كثيراً من أهل الذمة قد تقلدوا أعمالاً في الدولة الإسلامية ابتداءً من الدولة الأموية وحتى قيام الحروب الصليبية. ما بين وزارة، وكتابة، وطب، وغير ذلك[2].

وهكذا وبشهادة النصارى أنفسهم لم تكن حياة غير المسلمين شاقة في ظل الدولة الإسلامية ـ خصوصاً النصارى ـ حتى يتخذ ذلك الصليبيون ذريعة للاستيلاء على بلاد المسلمين.

---

(١) المرجع السابق، ص (٣٥).

(٢) انظر: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع الهجري، عبد المجيد الشرقي، الدار التونسية للنشر، ١٩٩٦م، ص (١٧١)، وللتوسع في إيضاح حسن معاملة المسلمين للنصارى في البلاد الإسلامية، انظر: أثر العامل الديني في توجيه الحركة الصليبية، د. محمد صالح منصور، من ١٧٥ ـ ١٨٥. والمجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، د. أحمد رمضان أحمد محمد، ص (٦٠) وما بعدها. وتاريخ الحروب الصليبية، ستيفن رنسيمان، ترجمة: د. السيد الباز العريني، (١/٤٣) وما بعدها.

المبحث الرابع

أسباب الحروب الصليبيـــة

يتفق معظم المؤرخين على أن أسباب هذه الحروب التي قامت بها أوربا في القرنين السادس والسابع الهجريين - الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين - باتجاه الشرق الإسلامي ترجع إلى دوافع دينية، وسياسية، واقتصادية، واجتماعية، ويختلفون في تحديد قيمة كل دافع من هذه الدوافع وتغليبه على غيره.

ولا شك أن دراسة هذه الدوافع توضح أن الدافع الديني هو الذي حرك جموع الصليبيين من أوربا باتجاه الشرق الإسلامي. ولا ينفي ذلك استغلال بعض المنتفعين في أوربا هذه الحملات الصليبية لتحقيق أطماع سياسية، أو اقتصادية، أو أن يجذبها البعض من الأوربيين علاجاً لأوضاعهم الاجتماعية السيئة.

والمطالب التالية دراسة تفصيلية لهذه الدوافع:

المطلب الأول

الدافع الديني

لا شك أن الدافع الأول للحروب الصليبية هو عداء النصارى الأوربيين للمسلمين، وحقد البابوية على الإسلام الذي اكتسح مناطق واسعة كانت تسود فيها النصرانية كالشام ومصر والأندلس وصقلية. فهدف هذه الحروب الأول هو الانتقام من هذا الدين الذي قضى على نفوذ النصارى في هذه المناطق، وإيقاف المد الإسلامي الزاحف على أوربا من الشرق، بسبب سيطرة السلاجقة المسلمين على آسيا الصغرى وتهديدهم للقسطنطينية، ومن الغرب بسبب تقدم المرابطين ثم الموحدين في الأندلس وتهديدهم لجنوب فرنسا. ومن الجنوب سيطرة المسلمين على صقلية والجزر القريبة من جنوب أوربا ومن ثم الاقتراب من مركز البابوية في إيطاليا.

وقد تذرعت أوربا لتبرير هذا الهدف بالمعاملة السيئة التي يتعرض لها حجاج بيت المقدس من النصارى، وما تتعرض له الكنائس في الشرق من تخريب أو إغلاق أو مصادرة.

هذا، ويتجلى الدافع الديني لهذه الحروب بشكل واضح من خلال ما يلي:

١ ـ إن فكرة الحرب الدينية من النصارى ضد المسلمين قديمة جداً، قبل الحروب الصليبية. وما قيام هذه الحروب إلا نتيجة لإرهاصات سابقة، وحقد عاشته الأجيال النصرانية في بيزنطة أو أوربا ضد المسلمين.

فهذا نقفور فوقاس[1] الإمبراطور البيزنطي يعد حروبه ضد المسلمين حروباً مقدسة لاستعادة بيت المقدس.

فعندما دخل هذا الإمبراطور طرسوس[2] وصعد منبرها قال لمن حوله: أين أنا؟ قالوا: على منبر طرسوس، فقال: لا، ولكن على منبر القدس[3].

وهذا ما يبين حلم نقفور في الاستيلاء على بيت المقدس.

وفي رسالة على شكل قصيدة أنشأها أحد كتاب نقفور العرب وبعث بها إلى الخليفة العباسي المطيع لله[4] سنة ٣٥٢ هـ. أفصح عن حقده الدفين للإسلام

---

(١) نقفور: لقب يطلق على أباطرة بيزنطة. وصاحب الترجمة هو: نقفور بن فوكاس ينتمي إلى إحدى الأسر الكبرى في آسيات الصغرى، تولى الحكم في ٣٥٢ هـ وكان قبل ذلك يطلق عليه الدمستق بمعنى القائد العام للقوات البيزنطية في آسيا الصغرى، واشتهر في وقته بحروبه العنيفة ضد المسلمين خاصةً مع سيف الدولة الحمداني. استمر في الحكم حتى اغتيل سنة ٣٥٩ هـ. (انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٧/ ٢٣٦)، والبداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١١/ ٢٥٩) وما بعدها. والموسوعة العربية الميسرة، إشراف: محمد شفيق غربال، ص (١٨٤٤).

(٢) مدينة تركية تقع حالياً في جنوب غرب تركيا على ساحل البحر المتوسط.

انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٤/ ٣١ ـ ٣٢)، وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس، ص (٣٨٦ ـ ٣٨٧)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، ص (٣٩).

(٣) انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١١/ ٢٥٥ ـ ٢٥٧)، والإمبراطور نقفور فوقاس واسترجاع الأراضي المقدسة، عمر كمال توفيق، القاهرة، ١٩٧٩م، ص (١٧).

(٤) هو الفضل بن جعفر المقتدر، بويع له بالخلافة لما خُلع المستكفي بالله في جمادى الآخرة سنة ٣٣٤ هـ واستمر في الحكم إلى أن تنازل لابنه الطائع بالله عن الخلافة آخر سنة ٣٦٣ هـ ثم توفي في محرم من السنة التالية.

انظر: الأنباء في تاريخ الخلفاء، محمد بن علي بن العمراني، تحقيق قاسم السامرائي، دار العلوم، الرياض، الطبعة التالية، ١٩٨٢م، ص (١٧٧ ـ ١٧٩). وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٥/ ١١٣ ـ ١١٨).

والمسلمين، حيث يظهر من هذه القصيدة الطابع الديني لحروبه تلك والمتمثل في رغبته الاستيلاء على بيت المقدس، وإقامة عرش للمسيح في مكة، وتدمير بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية. ومن هذه القصيدة:

سأفتح أرض الله شرقاً ومغرباً ... وأنشر ديناً للصليب بصارمي
فعيسى علا فوق السموات عرشه ... يفوز الذي والاه يوم التخاصم

ثم يقول:

أعود إلى القدس التي شرفت بنا ... بعز مكين ثابت الأصل قائم

ويقول مخاطباً أهل بغداد ومهدداً لهم:

فعودوا إلى أرض الحجاز أذلة ... وخلوا بلاد الروم أهل المكارم
سألقي جيوشاً نحو بغداد سائراً ... إلى باب طاق حيث دار القماقم
وأحرق أعلاها وأهدم سورها ... وأسبي ذراريها على رغم راغم

ثم يهدد بغزو مكة وامتلاكها:

وأخرج منها نحو مكة مسرعاً ... أجر جيوشاً كالليالي السواجم
فأملكها دهراً عزيزاً مسلماً ... أقيم بها للحق كرسي عالم[1]

ثم إن هذه الرغبة الحاقدة في محاربة المسلمين والاستيلاء على بلادهم ظلت ملازمة للهاجس النصراني في بيزنطة وأوربا. تظهر تارة وتختفي تارة أخرى سواء على مستوى القادة السياسيين، أو على مستوى الباباوات.

فهذا البابا سلفستر الثاني (٣٨٩ هـ - ٣٩٣ هـ، ٩٩٩م - ١٠٠٣م) وقبل قيام هذه الحروب بقرن تقريباً يدعو إلى إنقاذ بيت المقدس من أيدي المسلمين[2].

وبعده بفترة يأتي البابا جريجوري السابع (٤٦٥ هـ - ٤٧٧ هـ، ١٠٧٣ - ١٠٨٥م) ليقول: «إن تعريض حياتي للخطر في تخليص الأماكن المقدسة أفضل

---

(١) انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١١/ ٢٦٠ - ٢٦٣).

(٢) انظر: تاريخ الحروب الصليبية، د. محمود سعيد عمران، ص (٢١).

عندي من حكم العالم بأسره»[1].

وهكذا فإن عداء النصارى في أوربا للمسلمين قديم جداً، والرغبة لديهم في الاستيلاء على بلاد المسلمين خصوصاً بيت المقدس ظلت تراودهم إلى أن جاءت الحروب الصليبية لتحقق ذلك.

٢ ـ استنجاد إمبراطور القسطنطينية ميخائيل السابع[2] في سنة ٤٦٥ هـ ـ ١٠٧٣م بالبابا جريجوري السابع[3]. بعد انحسار نفوذ البيزنطيين عن آسيا الصغرى وهزيمتهم الساحقة من قبل السلاجقة المسلمين في معركة مانزكرت في عام ٤٦٣ هـ ـ ١٠٧١م، ثم وصولهم بعد ذلك إلى نيقية[4] على بحر مرمرة في مقابل عاصمة البيزنطيين ـ القسطنطينية.

هذا الخطر المحدق بالعاصمة البيزنطية جعل الإمبراطور البيزنطي يستنجد مباشرة بالزعيم الديني للنصارى في ذلك الوقت ـ البابا جريجوري السابع ـ ولم يستنجد بأحد ملوك أوربا على الرغم من الاختلاف الشديد بين الكنيستين الأرذوذكسية والغربية الكاثوليكية والخلاف بينهما، حتى أدى الأمر إلى الانفصال التام بين الكنيستين وعدم خضوع الكنيسة الشرقية لسلطة البابا في روما.

هذه الاستغاثة من الإمبراطور البيزنطي جعلت البابا جريجوري السابع يستثير حماس أوربا ضد المسلمين بخطاباته ورسائله إلى الملوك والأمراء في أنحاء

---

(١) تاريخ الحروب الصليبية، د. محمود سعيد عمران، ص (٢١).

(٢) ميخائيل السابع واسمه دوكاس، حكم بين سنتي ٤٦٣ هـ ـ ٤٧١ هـ/ ١٠٧١ ـ ١٠٧٩م) وكان قد تولى الحكم بعد هزيمة الروم في معركة ملاذكرت وأسر الإمبراطور البيزنطي رومانونس الرابع من قبل المسلمين. (انظر: أوربا العصور الوسطى، د. سعيد عبد الفتاح عاشور (١/ ٤٣٤ ـ ٤٣٥). والمنجد في اللغة والأعلام، ص (٥٦١).

(٣) انظر: الحروب الصليبية، أرنست باركر، ترجمة د. السيد الباز العريني، ص (١٩).

(٤) نيقية: هي مدينة إزنيك التركية والتي تقع شمال غرب تركيا على بحر مرمرة. (انظر: أطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، ص (٦٨)، والمنجد في اللغة والأعلام، ص (٥٨٤).

أوربا نجدة للإمبراطور البيزنطية. ومن ذلك: ـ رسالة البابا جريجوري السابع في (٢٦/ ٥/ ٤٦٦ هـ، ٢/ ٢/ ١٠٧٤م) إلى وليم الأول[١] يدعوه فيها للمساعدة وجمع النورمان لقتال الكفار الذين يهددون القسطنطينية[٢].

وفي (٢٣/ ٦/ ٤٦٦ هـ، ١/ ٣/ ١٠٧٤م) أصدر البابا بياناً خاطب فيه كل من يريد الدفاع عن العقيدة النصرانية وحثهم على القدوم نجدة للإمبراطورية البيزنطية التي تتعرض لتهديد الكفار الذين تقدموا حتى وصلوا أسوار القسطنطينية[٣].

وفي (٤/ ١١/ ٤٦٦ هـ، ٧/ ٧/ ١٠٧٤م) أرسل البابا جريجوري السابع رسالةً إلى الإمبراطور الألماني هنري الرابع أخبره فيها أنه مستعد لإنقاذ البيزنطيين، وتخليص الضريح المقدس بجيش قوامه خمسون ألف رجل[٤].

ـ وكتب البابا جريجوري السابع خطاباً للإمبراطور البيزنطي بين فيه أنه عازم على القدوم إلى الشرق على رأس جيش لمحاربة السلاجقة وأنه سوف يعقد خلال ذلك مجلساً في القسطنطينية لتسوية المشكلات المعلقة وتحقيق الوحدة بين الكنيستين.

وهكذا يتضح من هذه المواقف للبابا جريجوري السابع أن إثارة هذه

---

(١) وليم الأول ويعرف بوليم الفاتح، كان دوقاً لنورماندي تقع حالياً في شمال غرب فرنسا، قاد النورمان واحتل إنجلترا وصار أول ملوك نورماندي عليها وذلك سنة ٤٥٨ هـ ـ ١٠٦٦م، مات سنة ٤٧٩ هـ ـ ١٠٨٧م.
انظر: أوربا العصور الوسطى، د. سعيد عاشور، (١/ ٤٦٨ ـ ٤٦٩)، والمنجد في اللغة والأعلام، ص (٦١٤)، وأثر العامل الديني في توجيه الحركة الصليبية، د. محمد صالح منصور، ص (١٦٧).

(٢) انظر: العلاقات بين الشرق والغرب، د. عزيز سريال عطية، ترجمة فليب جابر سيف، دار الثقافة، ١٩٧٢م، ص (٣٥).

(٣) انظر: بناء الجبهة الإسلامية المتحدة وأثرها في التصدي للصليبيين، محمود محمد الحويري، دار المعارف، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، ص (٢٨).

(٤) انظر: الخليفة الأيديولوجية للحروب الصليبية دراسة عن الحملة الأولى، د. قاسم عبده قاسم، دار المعارف ١٩٨٣م، ص (٢٦).

الحروب فيما بعد ضد المسلمين في الشرق ما كانت إلا لأهداف دينية بحتة، وهي إيقاف المد لإسلامي الزاحف على أوربا، والسيطرة على البلاد الإسلامية خاصةً الشام، ومد نفوذ الكنيسة الكاثوليكية على كنائس الشرق الأرذوذكسية.

٣ ـ دور بعض رجال الدين النصارى في الدعوة إلى هذه الحروب وتخليص نصارى الشرق من سيطرة المسلمين، وإذكاء مشاعر الحقد في أوربا ضد المسلمين.

ومن أبرز هؤلاء: بطرس الناسك[١] الذي قدم للحج والتقى مع أحد البطاركة النصارى في القدس وتذاكر معه شقاء النصارى في الشرق وما يتعرضون له من ظلم المسلمين وهدم كنائسهم وما إلى ذلك. وكان مما قال بطرس مخاطباً البطريرك: «. . اعلم أيها الأب المبارك أنه إذا توفر لكنيسة رومة وأمراء الغرب مُبَلِّغ ألمعي ثقة يخبرهم بالمصائب التي تكابدونها، فلا شك أنهم سوف يبادرون إلى بذل الجهد لتقديم العلاج بأسرع ما يمكنهم قولاً وعملاً لتخليصكم من هذه المشاق. وعليك أن تثابر في الكتابة إلى قداسة البابا وإلى الكنيسة في روما. . . وأما أنا فلن أتراجع من جهتي عن حمل هذه الرسالة رجاء خلاص روحي. كما أنني مستعد ـ مهتدياً بالله ـ لزيارة الجميع والتوسل إليهم. . . وأدعو الجميع أفراداً وجماعاتٍ ألا يتوانوا عن إسعافكم بما فيه خلاصكم. . .»[٢].

حيث عاد بطرس من القدس والتقى بالبابا أوربان الثاني ثم أخذ يطوف أوربا ملتقياً بالقادة ورجال الدين والشعوب يحثهم على الانتصار لإخوانهم النصارى في الشرق وتطهير الأماكن المقدسة ـ في زعمه ـ من الخبائث.

---

(١) بطرس الناسك عاش بين سنتي ٤٤١ هـ ـ ١٠٥٠ م و٥٠٨ هـ ـ ١١١٥م، كان ميلاده في مدينة ميان شمال فرنسا، كان رجلاً قصير القامة قبيح الوجه رث الهيئة. من أشد الداعين للحروب الصليبية حيث جال في أوربا لهذا الغرض قدم مع طلائع الحملة الصليبية الأولى. (انظر: الحروب الصليبية، وليم الصوري، ترجمة د. حسن حبشي (١/ ٩٠) وما بعدها. وتاريخ الحروب الصليبية، ستيفن رنسيمان، ترجمة د. السيد الباز العريني (١/ ١٧٩) وما بعدها.

(٢) تاريخ الحروب الصليبية، وليم الصوري، ترجمة د. حسن حبشي (١/ ٩٢).

وقد بين وليم الصوري هذه الحماسة الصليبية لدى بطرس بقوله: «حينذاك اشتعلت جذوة الحماسة الزكية في نفي بطرس الذي راح يذرع كافة أرجاء إيطاليا وعبر جبال الألب ولم يترك أميراً من الأمراء إلا زاره، غير مدخر وسعاً في حثهم جميعاً وتحذيرهم ولومهم. فنجحت تحذيراته بفضل الرب في حمل بعضهم على المبادرة إلى الخروج لمساعدة إخوانهم الذين مستهم البلوى ونزل بهم الضر؛ رغبة منهم في ألا يدعوا الأماكن المقدسة ـ وهي البقاع التي تعطف السيد فشرفها بحضوره وصانها ـ أن تدنس بالخبائث»(1).

وفي الحملة الصليبية الثانية (٥٤٠ هـ ـ ٥٤٢ هـ، ١١٤٦م ـ ١١٤٨م) كان من أهم الأسباب الدافعة لها استغاثة القديس برنار(2) بالبابا يوجنيوس(3) الثالث. حيث شجع البابا القديس برنار فقام هذا القديس بنفسه يدعو إلى حمل السلاح ضد المسلمين في الشرق ويقنع بذلك الملك لويس السابع(4) ويلح عليه بأن

---

(١) تاريخ الحروب الصليبية، وليم الصوري، ترجمة د. حسن حبشي (١/ ٩٦ ـ ٩٧).

(٢) برنار أوبرنردس. قديس فرنسي عاش بين سنتي ٤٨٢ هـ ـ ٥٤٧ هـ، ١٠٩٠ ـ ١١٥٣م. أسس دير كليرفو وتولى رئاسته حتى وفاته. أسهم في تكوين ما يسمى فرسان المعبد وله جهود كبيرة في الدعوة للحملة الصليبية الثانية في فرنسا وألمانيا. (انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة: محمد بدران، المجلد الرابع، الجزء الخامس ص (١١١). وتاريخ الحروب الصليبية، ستيفين رنسيمان، ترجمة د. السيد الباز العريني (٢/ ٤٠٦) وما بعدها. والمنجد في اللغة والأعلام، ص (١٢٢).

(٣) البابا يوجنيوس الثالث تولى البابوية من سنة ٥٣٩ هـ ـ ٥٤٧ هـ، ١١٤٥م ـ ١١٥٣م. وكان له جهود كبيرة في تحريض ملكي فرنسا وألمانيا للمشاركة في إنقاذ وإنجاد نصارى الشرق بزعمه بعد فتح المسلمين للرها واستعادتها من الصليبيين فكانت قيادتهما للحملة الصليبية الثانية. (انظر: تاريخ الحروب الصليبية، ستيفن رنسيمان، ترجمة د. السيد الباز العريني (٢/ ٤٠٥)، وما بعدها، و(٣/ ٨٥٩). وأوربا العصور الوسطى، د. سعيد عاشور (١/ ٦٦١).

(٤) لويس السابع: أحد ملوك فرنسا من أسرة آل كابيه عاش بين سنتي ٥٣١ هـ ـ ٥٧٥ هـ، ١١٣٧م ـ ١١٨٠ م شارك في الحملة الصليبية الثانية، حيث وصل إنطاكية على رأس الجيش الفرنسي ثم إلى بيت المقدس ثم حاصر دمشق مع جموع الصليبيين ثم ارتدوا عنها وغادر لويس السابع إلى بلاده.

يحمل الصليب ويتجه للمشرق. وقبل ذلك يقف برنار والملك بجانبه يخطب في الجموع المحتشدة[(١)] سنة ٥٤٠ هـ ـ ١١٤٦م، ويتطوع الجميع بعد خطبته بحمل الصليب وأخذ السلاح والاتجاه لقتال المسلمين في المشرق. حتى أن القديس برنار مزق مئزره ليعمل منه شارات الصليب التي يحملها المحاربون[(٢)].

ويتضح مدى عمق الدافع الديني للنصارى ضد المسلمين من كثرة المستجيبين لدعوة القديس برنار. حيث كتب هذا القديس إلى البابا بعد دعوته لهذه الحملة يشتكي من نقص الرجال في فرنسا، وأنه وصل الحد إلى أن لكل سبع نساء رجل واحد، وفي كل مكان ترى أرامل لأزواج لا يزالون أحياء[(٣)].

٤ ـ دعوة البابا أوربان الثاني (٤٨٠ هـ ـ ٤٩٢ هـ، ١٠٨٨م ـ ١٠٩٩م) الصريحة لشن هذه الحروب في مجمع كليرمون في فرنسا عام (٤٨٧ هـ، ١٠٩٥م).

يقول فوشيه شارتر[(٤)]: «. . . وعندما سمع ـ أي البابا أوربان الثاني ـ أن المناطق الداخلية من رومانيا قد احتلها الأتراك، وأن المسيحيين خضعوا لغزوٍ مدمر ساحق، اهتز أوربان كثيراً بفضل تقواه وتدينه العميق وزيادة حبه للرب، فعبر الجبال وهبط في بلاد الغال[(٥)] وأمر بعقد مجمع ديني في أوفريني بكليرمون وهو اسم المدينة وتمّ الإعلان عن هذا المجمع. . . وحضره ثلاثمائة وعشرة من الأساقفة ومقدمي الأديرة ممن يحملون العصا المعقوفة. . .»[(٦)].

انظر: أوربا العصور الوسطى، د. سعيد عبد الفتاح عاشور (١/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨)، وتاريخ الحروب الصليبية، ستيفن رنسيمان، ترجمة د. السيد الباز العريني (٢/ ٤٤٧) وما بعدها.

(١) وذلك في مدينة فيزلاي الفرنسية.

(٢) انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة محمد بدران، الجزء الرابع من المجلد الرابع، ص (٣٠).

(٣) انظر: المرجع السابق، الجزء الرابع من المجلد الرابع، ص (٣٠).

(٤) سبق التعريف به في المقدمة، وهو ممن حضر هذا المجمع.

(٥) بلاد الغال أو غاله: يعني حالياً وسط وجنوب فرنسا (انظر: أطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس ص (٢٧٦). والمنجد في اللغة والأعلام (٤٦٦)).

(٦) الوجود الصليبي في الشرق العربي، فوشيه الشارتري، ترجمة د. قاسم عبده قاسم، ص (٨).

وقد استمر هذا المجمع منعقداً لمدة عشرة أيام، ألقى فيه البابا أوربان خطابه المشهور الذي دعا فيه الأوربيين للقيام بهذه الحروب انتقاماً من المسلمين واستخلاصاً لبيت المقدس من أيديهم. وكان مما قال مخاطباً الحاضرين: «... إني بصلاة خاشعة أحثكم، بل إن الرب هو الذي يحثكم باعتباركم قساوسة المسيح أن تحضوا الناس من شتى الطبقات... بأن يسارعوا إلى استئصال شأفة هذا الجنس الشرير من أرضنا وأن تساعدوا السكان المسيحيين قبل فوات الأوان...»(١).

حيث يتضح من ذلك أن نظرة الباباوات في أوربا إلى البلاد الإسلامية خصوصاً الشام على أنها أرض لهم. فشنُّ هذه الحروب ما كان إلا لاستخلاص هذه الأراضي من المسلمين، وإنقاذ النصارى الخاضعين للمسلمين في هذه البلاد.

ويظهر الحقد والعداوة المتغلغلة لدى القيادات الدينية في أوربا والمحركة لهذه الحروب ضد المسلمين بقول أوربان الثاني في هذا الخطاب: «... يا له من عار إذ قام جنس خسيس مثل هذا، جنس منحل تستعبده الشياطين بهزيمة شعب يتحلى بإيمان عظيم بالرب...»(٢).

بل إن نظرة البابوية في ذلك الوقت إلى المسلمين على أنهم وثنيون، يستحق المغفرة كل مذنب يهب لقتالهم.

يقول البابا أوربان الثاني: «... إن ذنوب كل أولئك الذاهبين إلى هناك سوف تغتفر إذا انتهت حياتهم... أثناء مسيرتهم على الأرض أو عند عبورهم البحر أو في خضم قتالهم ضد الوثنيين. هذا الغفران أمنحه لكل من يذهب بمقتضى السلطة التي أسبغها الرب عليَّ...»(٣).

---

(١) الوجود الصليبي في الشرق العربي، فوشيه الشارتري، ترجمة د. قاسم عبده قاسم، ص (٩٣).
(٢) المرجع السابق، ص (٩٣).
(٣) المرجع السابق، ص (٩٣).

وقد بين وليم الصوري مدى استجابة الحاضرين لدعوة البابا بقوله: «... لقد تلقى الكثيرون ممن حضروا كليرمونت هذه الكلمة الراسخة بفرح عظيم...»[1]. وقال: «... ودبت نفس الحماسة كذلك في نفوس أمراء جميع الممالك الذين لم يحضروا الاجتماع. إذ راح كل واحد منهم يشجع صاحبه ويستعدون للسفر...»[2].

وتحدث فوشيه الشارتري ووليم الصوري بإسهاب وإعجاب عن انطلاق جموع النصارى بعد هذا المجمع مباشرة باتجاه الشرق وبأعداد كبيرة[3].

٥ ـ جعل الصليب شعاراً لهذه الحروب. والصليب هو الشعار الديني للنصارى والذي يرمز إلى عقيدة النصارى المتمثلة بإيمانهم بصلب المسيح.

فقد دعا البابا أوربان الثاني بنفسه جميع المشاركين بهذه الحملات إلى رسم شارة الخلاص على ثيابهم. ألا وهي الصليب[4].

وكانت راياتهم في جميع حروبهم ضد المسلمين تحمل شارة الصليب. بل ومن أعظم مصائبهم استيلاء المسلمين على شعارهم بعد معركة حطين والمسمى بـ«صليب الصلبوت»[5]. حيث تعددت رسل الإفرنج لاستعادة هذا الصليب.

فمن ذلك أنه لما قدمت رسل منهم إلى دمشق في التاسع من شهر رجب من سنة ٥٨٧ هـ؛ للتباحث في هذا الشأن. طلبوا مشاهدة الصليب، فلما أُحضر لهم

---

(١) الحروب الصليبية، وليم الصوري، ترجمة د. حسن حبشي (١/ ١٠٧).

(٢) المصدر السابق (١/ ١٠٨).

(٣) انظر: الوجود الصليبي في الشرق العربي، فوشيه الشارتري، ترجمة د. قاسم عبده قاسم، ص (٩٩)، والحروب الصليبية، وليم الصوري، ترجمة د. حسن حبشي (١/ ١٠٩).

(٤) انظر: الحروب الصليبية، وليم الصوري، ترجمة د. حسن حبشي (١/ ١٠٨ ـ ١٠٩).

(٥) يقول العماد الأصفهاني: «وهم يزعمون أنه من الخشبة التي صلب عليها معبودهم، وقد غلفوه بالذهب الأحمر، وكللوه بالدر والجواهر...». الروضتين في أخبار الدولتين، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (٢/ ٧٨).

عظموه ورموا بأنفسهم على الأرض، ومرغوا وجوههم على التراب، وخضعوا خضوعاً عظيماً[1].

وكانوا حينما يستولون على مدينة من مدن المسلمين يسارعون إلى رفع الصليب عليها كما حصل في القدس، وفي عكا[2] وغيرها. إظهاراً للصفة الدينية التي دفعت بهم إلى هذه الحروب.

٦ ـ حرص البابوية على رعاية هذه الحروب ومباركتها، ومتابعتها، ودعمها، مما يؤكد على الصفة الدينية لهذه الحروب. ونماذج ذلك كثيرة منها:

أ ـ حماية أموال المحاربين والمشاركين فيها طوال مدة غيابهم[3].

ب ـ اختيار الكنيسة لرجال الدين المشاركين في هذه الحملات لإضفاء الطابع الديني عليها، والذين كانت مهامهم الوعظ والتذكير بالهدف الذي جاءت من أجله هذه الحملات وهو استخلاص بيت المقدس، وإنقاذ النصارى من سلطة المسلمين وفض النزاعات التي قد تثور بين المشاركين في الحملات، أو التوفيق فيما بينهم[4].

بل إن بعض الحملات لم يقتصر الأمر فيها على مشاركة رجال الدين المعينين من قبل الكنيسة أو المتطوعين، بل تعداه إلى تعيين ممثل للكنيسة يسمى المندوب البابوي ومهمته الإشراف على الحملة كما حصل ذلك في الحملة الصليبية الأولى[5].

---

(١) انظر: النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ص (٢٦٠).

(٢) النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ص (٢٥٨).

(٣) انظر: الحركة الصليبية، د. سعيد عبد الفتاح عاشور (١/ ١٣٠).

(٤) انظر: أثر العامل الديني في توجيه الحركة الصليبية، د. محمد صالح منصور، ص (١٩٤ ـ ١٩٥).

(٥) العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى، د. جوزيف نسيم، ص (٦٨)، وتاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، د. سعيد عبد الفتاح عاشور، بيروت، ١٩٧٦م، ص (٨٦).

جـ ـ مراقبة أعمال الملوك والقادة الصليبيين المشاركين في هذه الحملات من قبل الكنيسة، ومعاقبة المقصرين منهم في قتال المسلمين.

ومن نماذج ذلك بعث البابا في سنة ٦٤٤ هـ برجال إلى الشام لقتل أحد قادة الفرنج لتهاونه في قتال المسلمين، وكان قبل ذلك قد أباح دمه ولم يفلح في قتله فأرسل جيشاً لهذه المهمة وفشل كذلك(١).

د ـ عندما تمّ استيلاء الصليبيين على بيت المقدس في الحملة الأولى اختاروا الأمير جودفري بوايون(٢) حاكماً لها، حيث تسمى بحامي بيت المقدس؛ إظهاراً للصفة الدينية لحكمه(٣).

هـ ـ إن من تردد وتقاعس بعد خروجه لقتال المسلمين فإنه يعرض نفسه لعقوبة الحرمان(٤).

و ـ جعل الكنيسة التكفير عن الذنوب بالحج إلى القدس، والمشاركة في القتال ضد المسلمين.

حيث قال البابا أوربان الثاني في خطبته في مجمع كليرمونت: «... وعلى ذلك فنحن محذروكم وموصوكم باسم الرب بالعمل على التطهر من خطاياكم وذلك بمشاطرة إخواننا سكان القدس ومن حولهم في مصائبهم وآلامهم... وعليكم أن تكبحوا بكل غضبة دينية وقاحة الكفار الذين يحاولون إخضاع

---

(١) انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٣/ ١٨٣).

(٢) هو جودفري ده بويون دوق إقليم اللورين من كبار رجال الإقطاع في ألمانيا ومن أبرز قواد الحملة الصليبية الأولى وأول حاكم لبيت المقدس بعد احتلاله حيث أطلق على نفسه ـ حامي بيت المقدس ـ كان ميلاده عام ٤٥١ هـ ـ ١٠٦٠ م ووفاته ٤٩٣ هـ ـ ١١٠٠ م.
انظر: الحروب الصليبية، وليم الصوري، ترجمة د. حسن حبشي، (١/ ١٠٩، ١٤٥)، وتاريخ الحروب الصليبية، ستيفن رنسيمان، ترجمة د. السيد الباز العريني (١/ ٢٢٤) وما بعدها.

(٣) انظر: الحركة الصليبية، د. سعيد عبد الفتاح عاشور (١/ ٢٤٤).

(٤) انظر: المرجع السابق (١/ ١٣٠).

الممالك، والولايات، والدول، وأن تحاربوا ما وسعكم الجهد هؤلاء الذين أجمعوا العزم على إزالة الاسم المسيحي...»[1].

ولذلك تتالت جموع النصارى على المشرق رغبةً في تكفير الخطايا وغفران الذنوب. وليس هذا على مستوى العامة فقط، بل إن كثيراً من القادة النصارى في أوربا كان هدفهم المعلن الذي دفعهم للقدوم إلى الشرق هو الرغبة في التكفير وغفران الذنوب.

وقد ذكر وليم الصوري أنه أثناء تقدم الصليبيين في الحملة الأولى ووصولهم إلى طرسوس رأوا أسطولاً يمخر البحر على مسافة قريبة من شاطىء المدينة، فلما وصل هذا الأسطول تبين أنهم نصارى من هولندا[2] ووسط أوربا يقودهم رجل يدعى جنمار، وقد ظل هؤلاء يمارسون القرصنة ثمان سنوات ثم صحت ضمائرهم فندموا على ما كان منهم وتابوا عن إثمهم، فاتجهوا للقدس من أجل الحج، حيث انضموا إلى إخوانهم النصارى في طرسوس واتجهوا معهم تحت قيادة بلدوين[3] إلى القدس[4].

كذلك فروتمون[5] أحد قادة النصارى في أوربا كان قد قتل عمه وأخاه

---

(١) الحروب الصليبية، وليم الصوري، ترجمة د. حسن حبشي (١/ ١٠٤).

(٢) تقع في شمال غرب أوربا حيث يحدها من الشرق ألمانيا، ومن الجنوب بلجيكا، ومن الشمال والغرب بحر الشمال. (انظر: أطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، ص (٧٧)، والمنجد في اللغة والأعلام، ص (٦٠٣).

(٣) المقصود ببلدوين هنا: هو بلدوين البولوني من قادة الحملة الصليبية الأولى، يدعى بلدوين الأول تولى إمارة الرها الصليبية ثم خلف أخاه جودفري بوايون في حكم بيت المقدس كأول ملك صليبي عليها.

(انظر: الحركة الصليبية، د. سعيد عبد الفتاح عاشور، ص (١٦٦)، وما بعدها وص (٢٧٠) وما بعدها. والوجود الصليبي في الشرق العربي، فوشيه شارتر، ترجمة د. قاسم عبده قاسم، ص (١١٧) وما بعدها.

(٤) انظر: الحروب الصليبية، وليم الصوري، ترجمة د. حسن حبشي (١/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤).

(٥) فروتمون أو فورمون أحد سادة الإقطاع في أوربا في أواخر القرن العاشر الميلادي ـ

الأصغر، فأراد أن يكفر عن فعلته فمثل أما محكمة من القساوسة الذين فرضوا عليه السفر إلى فلسطين حافي القدمين عاري الجسد وذلك شرط لقبول توبته. حيث وصل القدس ثم عاد إلى روما وقابل البابا الذي طلب منه العودة ثانية إلى فلسطين مرة أخرى فعاد. ولما رجع إلى أوربا بعد ذلك استقبله قومه باعتباره قديساً[(١)].

وهذا لويس السابع ملك فرنسا يقطع نذراً على نفسه للقيام بحملة صليبية إلى الشرق؛ ندماً على إحراقه إحدى المدن الأوربية، وذلك في حروبه مع بعض القادة الأوربيين فاستغل البابا يوحنيوس الثالث هذا النذر وأرسل إلى لويس السابع في الثالث عشر من جمادى الآخرة من سنة ٥٤٠ هـ رسالة تتضمن ذكر استيلاء المسلمين على الرها وما لذلك من سيىء الأثر على الكيان الصليبي في الشام، وبحثه في هذه الرسالة على سرعة النجدة للصليبيين في الشام[(٢)].

٧ ـ ظهور فرق الرهبان الفرسان ونشاطها في الحروب ضد المسلمين. وكان من أشهرها: الاسبتارية والداوية، والتيوتون.

وفيما يلي نبذة عن هذه الفرق ودورها في قتال المسلمين خلال فترة الحروب الصليبية تأكيداً على الروح الدينية النصرانية الحاقدة على المسلمين والباعثة لهم للقيام بهذه الحروب.

أ ـ هيئة الاسبتارية أو فرسان المستشفى. وهذه الهيئة عبارة عن مجموعة من الرهبان ورجال الدين الذين انقطعوا للعبادة وخدمة الحجاج النصارى في بلاد الشام. ثم تحولوا بعد ذلك إلى هيئة عسكرية قوية كان لها دورها في حرب المسلمين خلال فترة الحروب الصليبية.

عرف بسيد مدينة بريتوني. (انظر: تاريخ الحروب الصليبية، ستيفن رنسيمان، د. السيد الباز العريني (١/ ٨٢)، وأثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوربي خلال الحروب الصليبية، د. عبدالله الربيعي، ص (٢٧).

(١) انظر: أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوربي خلال الحروب الصليبية، عبدالله بن عبد الرحمن الربيعي، ص (٢٧).

(٢) انظر: الحروب الصليبية، د. محمود سعيد عمران، ص (٧٢ ـ ٧٣).

وكانت بداية نشأة الاسبتارية قبل قيام الحروب الصليبية وذلك في عام (٤٦٢ هـ ـ ١٠٧٠م)[١]. حيث قدم مجموعة من الحجاج النصارى وكونوا لهم مجموعة من الأديرة في بيت المقدس، وكان غالبهم من الرهبان من مدينة أماليفي[٢]، ثم انفصل عنهم بعد ذلك ما يعرف بهيئة الاسبتارية أو فرسان المستشفى. ونالوا اعتراف البابا ودعمه في عام (٥٠٦ هـ ـ ١١١٣م)، وأنشأوا لهم فروعاً في غالب المدن الشامية، وأصبحت الاسبتارية تتلقى الدعم الكبير من النصارى في أوربا وفي بلاد الشام[٣].

ثم تحولت هذه الهيئة إلى الحرب ضد المسلمين، وتأليب النصارى في أوربا وفي الشام لمواجهة المسلمين بدافع ديني بحت[٤].

ب ـ هيئة الداوية: ظهرت هذه الهيئة في القدس بعد إنشاء الاسبتارية بعشرين عاماً تقريباً، وقد أسسها مجموعة من رجال الدين النصارى الفرنسيين، وكانت مهمتهم منذ البداية محاربة المسلمين، وحماية طرق الحج. حيث نالوا على ذلك تصريحاً من بطيرك القدس ومن الملك بلدوين الثاني[٥]

---

(١) جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، د. فايد حماد محمد عاشور، ص (٩١).

(٢) مدينة أماليفي تقع في إيطاليا في الوقت الحاضر.

(٣) انظر: فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، د. نبيلة إبراهيم مقامي، مطبعة جامعة القاهرة، والكتاب الجامعي، القاهرة، ١٩٩٤م، ص (١٣ ـ ١٤).

(٤) المرجع السابق، ص (١٥).

(٥) بلدوين هنا: هو بلدوين دي بورج ـ بلدوين الثاني ـ من أبرز قادة الصليبيين في الشام، تولى إمارة الرها الصليبية وأسره المسلمون سنة ٤٩٧ هـ في معركة حران ومكث في الأسر أربع سنوات حيث أطلق بفدية كبيرة. وبعد وفاة بلدوين الأول ملك مملكة بيت المقدس الصليبية تُوج بلدوين الثاني ملكاً عليها سنة ٥١١ هـ ـ ١١١٨م، وكانت وفاته سنة ٥٢٤ هـ ـ ١١٣٠ م.

انظر: الحركة الصليبية، د. سعيد عاشور (١/ ٤٢٤) وما بعدها. و(١/ ٤٨٤) وما بعدها. والأسرى الصليبيون في أيدي الحكام المسلمين، د. محمود سعيد عمران، دار النهضة

وذلك في عام ٥١١ هـ ـ ١١١٨م[١].

جـ ـ هيئة الفرسان التيوتون: وقد أنشأ هذه الهيئة مجموعة من الحجاج الألمان في عام (٥٨٥ هـ ـ ١١٩٠م) وذلك أثناء حصار عكا خدمة للمحاربين، وتقديماً للعون والعلاج للجرحى[٢]، ثم ما لبثت هذه الهيئة في المشاركة الفعلية والمباشرة في حرب المسلمين، وتأليب النصارى ضدهم. وإن كان دورها في المجال العسكري أقل من دور الهيئتين السابقتين[٣].

وقد أصبحت هذه الهيئات تمتلك الإقطاعات الواسعة، وتنهال عليها التبرعات من الشعوب والقادة، سواء في أوربا أو في بلاد الشام دعماً لجهودها ضد المسلمين. وكل هذا الدعم ما كان إلا بدافع ديني خالص.

حتى إنه مما تفتخر به بعض العائلات الأوربية النبيلة هو أن يكون أحد أبنائها له شرف الانتماء إلى إحدى هذه الهيئات، خاصة الاسبتارية والداوية[٤].

وكان كل من ينضم إلى إحدى هذه الهيئات يتمتع برضى الكنيسة، خاصةً عندما يقوم بمنح الهيئة هبة من الأراضي أو القصور، حتى تسابق الأمراء والنبلاء إلى الاشتراك في إحدى هذه الهيئات كناحية شرفية لهم[٥].

أما عن دور هذه الهيئات في حروب الصليبيين للمسلمين فكان مهماً جداً خاصةً الاسبتارية والداوية.

العربية، بيروت، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م، ص (٢٥)، وما بعدها. وتاريخ الحروب الصليبية، ستيفن رانسيمان، ترجمة: د. السيد الباز العريني (٢/ ٨٢٨)، والحروب الصليبية، وليم الصوري، ترجمة: د. حسن حبشي (٢/ ٣٣٥) وما بعدها.

(١) انظر: فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، د. نبيلة إبراهيم مقامي، ص (١٧ ـ ١٨).

(٢) المرجع السابق، ص (١٦١).

(٣) انظر: المرجع السابق، ص (١٧٦).

(٤) انظر: المرجع السابق، ص (٣٠).

(٥) انظر: المرجع السابق، ص (٣٠).

حيث اشترك فرسان الداوية في حصار دمشق سنة ٥٤٢ هـ، وفي حصار عسقلان[١] مع فرسان الاسبتارية سنة ٥٤٨ هـ[٢]. واشتركت الهيئات في كثير من المعارك ضد صلاح الدين ـ رحمه الله تعالى ـ فمن ذلك: أنه حينما هاجم ـ رحمه الله تعالى ـ أحد حصون الإفرنج قرب بانياس[٣]، اشتركت الداوية والاسبتارية بشكل قوي في الدفاع عنه. وقد هزمهم صلاح الدين، وكان من ضمن الأسرى مقدم الداوية، ومقدم الاسبتارية[٤].

وفي آخر صفر سنة ٥٨٣ هـ أمر صلاح الدين ابنه أن يغير على عكا، «... فخرج إليه الإفرنج في جمع من الداوية والاسبتارية وغيرهما، فالتقوا هناك وجرت بينهم حرب تشيب لها المفارق السود، ثم أنزل الله تعالى نصره على المسلمين فانهزم الإفرنج وقتل منهم جماعة... وفيمن قتل مقدم الاسبتارية، وكان من فرسان الإفرنج المشهورين، وله النكايات العظيمة في المسلمين...»[٥].

ثم تحدث ابن الأثير عن هذا النصر فقال: «... فكان فتحاً كثيراً، فإن الداوية والاسبتارية هم جمرة الإفرنج...»[٦].

---

(١) تقع حالياً في جنوب فلسطين على ساحل البحر المتوسط بين غزة ويافا. (انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٤/ ١٣٧)، وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس، ص (١١٢).

(٢) انظر: الروضتين في أخبار الدولتين، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، أبو شامة (١/ ٢٢٣).

(٣) بانياس: بلدة تقع في جنوب غرب سوريا على الحدود مع فلسطين بالسفح الغربي لجبل الشيخ.
انظر: أطلس تاريخ الإسلام، د، حسين مؤنس، ص (٢٦٣)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، ص (٣٩)، والمنجد في اللغة والأعلام، ص (١١٠).

(٤) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٩/ ٤٣٩).

(٥) المصدر السابق (١٠/ ٢١).

(٦) المصدر السابق (١٠/ ٢١).

وفي معركة حطين في ربيع الآخر من سنة ٥٨٣ هـ. اشترك الداوية والاسبتارية ضد المسلمين فكانوا من أشد الإفرنج قتالاً وصبراً(١).

ولذلك فإن صلاح الدين بعد هذه المعركة كان يقبل فداء الأسرى الإفرنج ما عدا من ينتسب إلى الداوية أو الاسبتارية منهم. فهؤلاء مصيرهم القتل. «... وإنما خص هؤلاء بالقتل لأنهم أشد شوكة من جميع الإفرنج، فأراح الناس من شرهم، وكتب إلى نائبه بدمشق ليقتل من دخل البلد منهم...»(٢)(٣).

إذن فالداوية والاسبتارية وغيرهما من فرق الرهبان الفرسان كانت طوال فترة الحروب الصليبية تغذي الشعور الديني للنصارى ضد المسلمين، وكانت لهذه الفرقة الحضوة والمكانة لدى قواد النصارى سواء في أوربا أو في بلاد الشام. وكثيراً ما تشترك هذه الفرقة مع قادة الصليبيين في البلاد الإسلامية ضد المسلمين. كل ذلك يثبت الدور الأساس للدافع الديني في حرب النصارى للمسلمين في هذه الفترة.

٨ ـ ومما يثبت الصفة الدينية لهذه الحروب، والدوافع الدينية الباعثة لها من قبل النصارى؛ اعتبار المؤرخين الأوربيين المعاصرين لها، بل والمشاركين فيها أنها حملات حج انطلقت من أوربا، وفي خدمة الرب كان هذا الخروج.

فعلى سبيل المثال لا يتحدث وليم الصوري عن الحملات الصليبية إلا على أنها حملات حج خرجت من أوربا قاصدة بيت المقدس.

ففي مقدمة كتابه الحروب الصليبية صرح أن خروج زعماء أوربا إلى الشرق كان استجابة لنداء السيد حيث قال: «... فيبدأ الكتاب بسفر أولئك الرجال والزعماء المغاوير الذين أحبهم الله فخرجوا استجابة لنداء السيد من ممالك

---

(١) انظر: المصدر السابق (١٠/ ٢٤ ـ ٢٥).

(٢) المصدر السابق (١٠/ ٢٧).

(٣) للتوسع عن هذه الفرق ودورها في الحروب ضد المسلمين في فترة الحروب الصليبية، انظر: كتاب فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، د. نبيلة إبراهيم مقامي.

الغرب واستولوا بيد قوية على أرض الميعاد ومعظم بلاد الشام. ولقد تابعنا بإخلاص عظيم التأريخ ابتداء من هذه النقطة لفترة تجاوزت أربع وثمانين سنة...»[١].

ولا تختلف نظرة فوشيه الشارتري المؤرخ والقس المتابع لأحداث الحملات الصليبية الأولى، بل والمشارك بها، والشاهد على الدعوة إليها في مجمع كليرمونت. لا تختلف نظرته لهذه الحروب عن نظرة وليم الصوري. بل إنه بالغ في إضفاء الصفة الدينية على هذه الحملات، وتبجيل رجالها، وأنها في خدمة الرب. حيث قال في مقدمة كتابه الوجود الصليبي في الشرق العربي: «... ومن دواعي غبطة الأحياء، بل من المفيد للموتى أن تتلى أعمال الرجال الشجعان، لا سيما أولئك الذين يحاربون في سبيل الرب...»[٢]. ثم وصف هؤلاء المحاربين بقوله: «... كيف أنهم اتبعوا نهج الإنجيل فتخلوا عن أجمل الأشياء وهجروا الوالدين ونبذوا ممتلكاتهم مهما كبرت، سوف يدفعهم الإلهام إلى اتباع الرب وسوف يعانقونه في حماسة...»[٣].

وقرر أن كتابته لسير المحاربين الصليبيين، من أجل إغداق الصدقات التي تصحبها الصلوات عليهم من الأحياء[٤].

ولهذا السبب، وبناء على طلبات من رفاقه تحرك للكتابة عن هذه الحملات التي يراها حملات حج إلى بيت المقدس. «... لهذا السبب تحركت بناء على طلبات متكررة من رفاقي لكي أحكي في أسلوب منظم دقيق أعمال الفرنج الباهرة التي فعلوها عندما قاموا برحلة حج مسلح إلى بيت المقدس بأمر إلهي في سبيل المسيح المخلص...»[٥].

---

(١) تاريخ الحروب الصليبية، وليم الصوري (١/ ٥٤).

(٢) الوجود الصليبي في الشرق العربي، فوشيه الشارتري، ترجمة د. قاسم عبده قاسم، ص (٨١).

(٣) المصدر السابق، ص (٨١).

(٤) انظر: المصدر السابق (٨١).

(٥) المصدر السابق، ص (٨١).

٩ ـ والمؤرخون المسلمون المعاصرون لهذه الحروب، أو الذين كتبوا عنها في القرنين التاليين لفترتها نظروا إليها على أنها حروب دينية، هدفها الاستيلاء على بيت المقدس، وأن الباعث لها الحقد النصراني على المسلمين، وأن قتال المسلمين لهؤلاء الصليبيين جهاد في سبيل الله.

حيث قال العماد الأصفهاني[١] في مقدمة كتابه الفتح القسي في الفتح القدسي متحدثاً عن حال البلاد الإسلامية قبل فتح القدس سنة ٥٨٣ هـ: «... والكفار قد خشنت عرائكهم، واتسعت ممالكهم، واستبصروا في الضلال، واستصبروا للقتال، وخرجوا من ديارهم يخطبون غاشية الموت، ونفروا من وراء البحر يطلبون أمامهم من البر ناشية الصوت، وقاتلوا جنداً ورعيةً، واستباحوا الأنفس متورعين. فلا ترى أعجب من أن ترى استباحة ورَعِية،... وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون...»[٢].

فالعماد الأصفهاني المعاصر لفترة طويلة من هذه الحروب، والمشارك في الكثير من أحداثها، يعرض وجهة النظر الإسلامية السائدة في وقته من أن النصارى قد جاؤوا من وراء البحار للقتال والحرب، يدفعهم لذلك الورع، فهي في نظرهم حرب دينية تقربهم إلى الله. وتعجب العماد من استباحتهم القتل قربة وورعاً. ثم سجل أحداث فتح القدس وما بعدها، وقتال المسلمين للصليبيين على أنه جهاد في سبيل الله.

وتحدث ابن الجوزي عن استيلاء الفرنج على بيت المقدس، وما فعلوه

---

(١) هو محمد بن محمود بن محمد بن عباد، شمس الدين، الأصبهاني، مؤرخ، وكاتب وعالم بالأدب، قدم من أصبهان، وتفقه في بغداد، واتصل بنور الدين محمود ثم صلاح الدين، مولده كان في أصبهان سنة ٥١٩ هـ ووفاته في دمشق سنة ٥٩٧ هـ، من كتبه البرق الشامي، والفتح القسي وغيرها.
انظر: طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو وزميله، (٨/ ١٠٠ ـ ١٠٣)، والبداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرون (٣/ ٣٣ ـ ٣٤).

(٢) محمد بن محمود الأصفهاني «العماد الأصفهاني»، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص (٥١).

بالمسلمين من القتل والأسرة، وقعود المسلمين عن نصرتهم، مصوراً ذلك بأبيات الأبيوردي[1] المشهورة:

وكيف تنام العين ملء جفونها | على هفوات أيقظت كل نائم
وإخوانكم بالشام يضحي مقيلهم | ظهور المذاكي أو بطون القشاعم
تسومهم الروم الهوان وأنتم | تجرون ذيل الخفض فعل المسالم

إلى أن يقول مستنهضاً حمية المسلمين:

وليتهم إن لم يذودوا حمية | عن الدين ضنوا غيرة بالمحارم[2]

فالشاعر الأبيوردي وضح رأيه في مقاتلة الإفرنج بأنه بالدرجة الأولى حمية عن الدين. ولا شك أنه صور بذلك الرأي السائد في عصره. ونَقْل ابن الجوزي لهذه الأبيات في مثل هذه الحادثة العظيمة وهي استيلاء النصارى على بيت المقدس يدل أيضاً على مشاركة الأبيوردي في الرأي، واعتباره قتال المسلمين للإفرنج جهاد في سبيل الله.

وفي أحداث سنة ٥٤٣ هـ تحدث ابن الجوزي عن وصول ثلاثة من ملوك الإفرنج إلى بيت المقدس وصلاتهم فيه صلاة الموت، ثم تفريقهم كثيراً من المال في العساكر، وعزمهم على قصد المسلمين في دمشق، وبعد وصولهم إلى دمشق حدث القتال بينهم وبين المسلمين، ثم انسحبوا بعد ذلك خائبين. وكان معهم قسيس طويل بلحية بيضاء، فركب هذا القسيس حماراً وجعل في حلقه صليباً وفي

---

(١) هو محمد بن أحمد بن محمد القرشي الأموي، شاعر ومؤرخ، وعالم بالأدب، ولد في أبيورد بخراسان، ومات في أصبهان سنة ٥٠٧ هـ. من كتبه: تاريخ أبيورد، والمختلف والمؤتلف، وطبقات العلماء في كل فن، وديوان شعر وغير ذلك.
انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، (١٩/ ٢٨٣)، وطبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو وزميله، (٦/ ٨١ ـ ٨٤).

(٢) انظر: المنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله (١٧/ ٤٧ ـ ٤٨).

حلق حماره صليباً، وأخذ في يده صليباً، وقال للإفرنج: إني قد وعدني المسيح أن آخذ دمشق ولا يردني أحد. فاجتمعوا حوله فتقدم على حماره فغار المسلمون لذلك، وحملوا عليه وقتلوه هو وحماره وأحرقوا الصلبان[1].

فمن خلال عرض ابن الجوزي لهذه القصة، والتفصيل في دور القسيس ووصف حماره وصلبانه يبرز الدوافع الدينية للنصارى والتي تحركهم لقتال المسلمين، ويبدي ما يعتقده بنفسه من أنها حرب دينية ضد المسلمين.

وحينما تحدث ابن الأثير عن خروج الإفرنج إلى البلاد الإسلامية وأسهب في ذكر أحداثها؛ لا تختلف نظرته إلى قتال المسلمين للصليبيين عن نظرة العماد الأصفهاني وابن الجوزي. حيث رأى أن هذا القتال جهاد في سبيل الله، بل وأثنى كثيراً على القادة الذين كان لهم جهود في ذلك. ولا يغفل ابن الأثير الجوانب الدينية المحركة للنصارى ضد المسلمين؛ ليعبر عن رأيه بأن إشعالهم لهذه الحروب كان بدافع ديني بحت.

فمن ذلك: ما ذكره من تشاور زعمائهم حينما عزموا على حرب البلاد الإسلامية أي جهة يقصدون، وإشارة روجار صاحب صقلية[2] عليهم بقصد بيت المقدس لتخليصه من أيدي المسلمين؛ ليحصل الفخر لهم بذلك[3].

ثم قصة الحربة المقدسة التي اخترعها أحد رهبانهم والتي يعتقدون أنها حربة المسيح عليه السلام، وهي مدفونة في القسيان الذي في أنطاكية. فإن وجدوها فإنهم

---

(١) انظر: المصدر السابق (١٨/ ٦٣ ـ ٦٤).

(٢) المقصود به: روجار الأول، أول ملوك النورمان الذين حكموا صقلية، وكان مولده سنة ٤٣١ هـ ـ ١٠٤٠ م، وولايته الحكم سنة ٤٦٢ هـ ـ ١٠٧٠ م، أما وفاته ففي سنة ٤٩٤ هـ ـ ١١٠١م. فهذا الملك الصقلي هو المعاصر لبدايات الدعوة للحروب الصليبية وقيام الحملة الأولى منها. (انظر: المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، أحمد توفيق المدني، ص (١٦٧).

(٣) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٤١٥ ـ ٤١٦).

سوف يظفرون، وإن لم يجدوها فإن الدائرة عليهم[١].

فذكر ابن الأثير قصة هذه الحربة، وموقف النصارى منها، فيه إبراز منه للعاطفة الدينية لديهم.

وفي أحداث سنة ٤٩٦ هـ، ذكر ابن الأثير وصول أعداد كبيرة من الإفرنج لزيارة بيت المقدس. حيث ندبهم بغدوين[٢] للقتال معه ضد المسلمين، فساروا تحت قيادته إلى عسقلان[٣].

فهؤلاء الذين جاؤوا لغرض ديني وهو زيارة بيت المقدس ـ والذي دفعهم للقتال مع بغدوين ضد المسلمين. إنه الحقد على الإسلام والعداوة للمسلمين.

وابن الأثير في ربطه بين مجيئهم للحج وانصرافهم لقتال المسلمين يريد أن يوضح مدى عمق الدافع الديني الذي ينطلقون منه لقتال المسلمين.

وذكر ابن الأثير في أحداث سنة ٥٣١ هـ أنه عندما حاصر زنكي قلعة بعرين[٤].

وهزم الإفرنج فيها، فزع القسس والرهبان، ودخلوا بلاد الروم وبلاد الإفرنج مستنفرين على المسلمين. وأن المسلمين ليس لهم همة إلا قصد بيت المقدس. فحينئذٍ اجتمعت النصرانية على الصعب والذلول وقصدوا بلاد الشام[٥].

---

(١) انظر: المصدر السابق (٨/ ٤١٩).

(٢) بغدوين، المقصود به هنا بلدوين الأول ملك مملكة بيت المقدس الصليبية وقد سبقت ترجمته.

(٣) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٤٩٠).

(٤) بعرين أو بارين أو بيرين: تقع حالياً بين مدينتي حماه وحمص في شرق سوريا. (انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (١/ ٥٣٧)، وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس، ص (١٢٩).

(٥) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٩/ ٨٥ ـ ٨٦).

ففي هذه الحادثة أبرز ابن الأثير الدافع الديني لدى النصارى في حربهم المسلمين، وبين بما لا يدع مجالاً للشك أثره في حشد جموع النصارى وقدومهم إلى البلاد الإسلامية من خلال إبرازه لدور القسس والرهبان في ذلك، وإيضاحه استغلالهم لناحية دينية يؤمن بها النصارى ويضحون من أجلها - وهي القدس وخطر المسلمين عليها - وكيف استجاب النصارى لنداء القسس والرهبان واشتعلت عواطفهم ضد المسلمين بتأثير هذه الدعاية الدينية.

وفي أحداث سنة ٥٨٥ هـ ذكر أيضاً ابن الأثير اجتماع أعداد كبيرة من الإفرنج في صور[(١)]، وقد لبس قوادهم ورهبانهم وقساوستهم السواد حزناً على فتح المسلمين لبيت المقدس. وكان الرهبان والقساوسة وعلى رأسهم بطريرك القدس يسعون في حث الناس وإذكاء الحماسة الدينية في نفوسهم للأخذ بالثأر لبيت المقدس. حيث صوروا المسيح عليه السلام وجعلوه مع صورة عربي يضربه، وقد جعلوا الدماء على صورة المسيح، وقالوا: هذا نبي المسلمين يضربه، وقد جرحه وقتله، حيث عظم ذلك على الإفرنج فحشدوا حتى النساء لقتال المسلمين[(٢)].

ثم علق ابن الأثير على ذلك بقوله: «... وكان عند الفرنج من الباعث الديني والنفساني ما هذا حده، فخرجوا على الصعب والذلول براً وبحراً من كل فج عميق...»[(٣)].

وهكذا حينما تحدث ابن الأثير عن الوقائع بين المسلمين والإفرنج لا يغفل الجوانب الدينية الباعثة للإفرنج على القتال المسلمين؛ ليوضح نظرته، بل والنظرة السائدة في وقته إلى دوافع النصارى من وراء قدومهم إلى البلاد الإسلامية وقتالهم المسلمين.

---

(١) صور مدينة تقع حالياً في الجنوب الغربي لدولة لبنان على ساحل البحر المتوسط. انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٣/ ٤٩٢)، وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس، ص (٤١٣).

(٢) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٩/ ٧٠).

(٣) المصدر السابق (٩/ ٧٠).

وهذا ابن شداد عندما تحدث عن سيرة صلاح الدين الأيوبي وما قام به ضد الصليبيين، أبرز ذلك بشكل أعمال جهادية في سبيل الله ضد النصارى الغازين للبلاد الإسلامية.

ثم بين بشكل واضح في عرضه لأحداث هذه الفترة وفي مواضع كثيرة الدوافع الدينية التي جعلت النصارى يتوافدون على البلاد الإسلامية.

فمن ذلك ما فعله المركيس[1] صاحب صور النصراني الصليبي حين أراد أن يهيج جموع النصارى في أوربا ضد المسلمين، ويدفعهم إلى القدوم لقتال المسلمين، حيث قام بتصوير القدس في ورقة عظيمة، وصور فيها كنيسة القيامة التي يحجون إليها ويعظمون شأنها وفيها قبر المسيح بزعمهم، وصور عليه فرساً عليه مسلم وقد وطىء الفرس القبر وبال عليه. حيث نشر هذه الصورة وراء البحر، وفي الأسواق والمجامع. والقسس يحملونها مكشوفة رؤوسهم، وينادون بالويل والثبور، فيهيج لذلك خلائق لا يحصى عددهم، وكان من جملتهم ملك الألمان[2].

ففي هذه القصة وغيرها يظهر الدافع الديني واضحاً لهذه الحروب، ويتبين من خلال عرض ابن شداد لها إدراكه لهذه الدوافع الدينية النصرانية الحاقدة التي حركت جموع النصارى من أوربا باتجاه البلاد الإسلامية.

ويأتي ابن كثير بعد فترة من انقضاء هذه الحروب؛ ليوضح هذه الدوافع

---

(١) المركيس: هو صاحب صور كونراردي مونتفرات قدم من أوربا على رأس جيش صليبي نجدة للنصارى في عكا سنة ٥٨٢ هـ ـ ١١٨٧م ثم توجه إلى صور وأصبح منذ ذلك الوقت حاكماً لها، تحصن بها وبدأ يطلب الإمدادات من أوربا ضد المسلمين حيث جاءت لذلك الحملة الصليبية الثالثة. (انظر: الحركة الصليبية، د. سعيد عاشور (٢/ ٦٥٩، ٦٦٢، ٦٩٧). وتاريخ الحروب الصليبية، ستيفن رنسيمان، ترجمة د. السيد الباز العريني (٢/ ٧٦٢) وما بعدها).

(٢) انظر: النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ص (٢٠٨).

معبراً من خلال عرضه لكثير من أحداثها عن رأيه في سبب قدوم النصارى لحرب المسلمين، والذي لا يختلف عن رأي من سبقه من المؤرخين المسلمين في أن سبب ذلك كله ديني بحت يتمثل في عداء النصارى للإسلام، وحقدهم على المسلمين. وابن كثير يعكس بذلك الرأي السائد في وقته حول دوافع هذه الحروب.

فحينما تحدث ابن كثير عن معركة حطين وضح اتحاد النصارى ضد المسلمين رغم خلافهم، واستصحابهم صليب الصلبوت[1]. إبرازاً للطابع الديني لهذه الحرب.

كذلك أثناء حصار القدس تحدث ابن كثير عن المظاهر الدينية التي كانت لدى النصارى في المدينة ـ ويتمسكون بها في جميع حروبهم مع المسلمين ـ من رفع الصلبان على الأسوار وفوق قبة الصخرة وغير ذلك[2].

ثم قدوم ملك الألمان إلى الشام «. . . ومن نيته خراب البلد وقتل أهلها المسلمين، والانتصار لبيت المقدس، وأن يأخذ البلاد إقليماً بعد إقليم، حتى مكة والمدينة. . .»[3].

وفي موضع آخر أبرز ابن كثير الطابع الديني لحرب النصارى للمسلمين من خلال قصة جماعة من الرهبان والقساوسة الذين كانوا ببيت المقدس وبعد فتحه من قبل المسلمين خرجوا إلى جزر النصارى يطوفون بها يحرضون على المسلمين، وقد صوروا المسيح ﷺ وبجانبه عربي يضربه، وإذا سئلوا من هذا الذي يضرب المسيح قالوا: نبي العرب[4].

---

(١) انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٢/ ٣٤٢).

(٢) انظر: المصدر السابق (١٢/ ٣٤٤).

(٣) المصدر السابق (١٢/ ٣٥٨).

(٤) انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٢/ ٣٥٧).

وكل ذلك إذكاءً للعاطفة الدينية لدى النصارى ضد المسلمين، واستنهاضاً لهم بما يؤجج هذه العاطفة ويوجهها لحرب المسلمين.

وحينما تحدث ابن المغربي[1] أيضاً عن الحروب الصليبية أبرز هذه العاطفة الدينية المحركة للنصارى ضد المسلمين، والأحداث المثيرة للمشاعر الدينية لديهم.

فعلى سبيل المثال: يلحظ ذلك حينما تحدث عن قصة قتل صلاح الدين لأرناط[2] الصليبي الذي سب النبيّ محمداً ﷺ، وهم بأخذ المدينة المنورة[3].

وحينما عدد مظاهر دين النصرانية في القدس وإزالة هذه المظاهر بعد فتحها من قبل صلاح الدين[4].

وكذلك إبرازه لفزع النصارى في أوربا وجزائر البحر، واجتماعهم على

---

(١) هو أحمد بن علي بن أحمد الحريري، عاش بالشام، وكان حياً حتى سنة ٩٢٦ هـ، له اهتمام بالتاريخ، منها كتابه الإعلام والتبيين، وكتاب منتخب الزمان في تاريخ الخلفاء والعلماء والأعيان.
انظر: مقدمة الدكتور مهدي رزق الله في تحقيقه لكتاب الإعلام والتبيين، والأعلام، خير الدين الزركلي (١/ ١٧٩ ـ ١٨٠).

(٢) أرناط الصليبي أو البرنس أرناط: اسمه رينودي شاتيون من فرسان الفرنج في الشام ومن أكثرهم نقضاً للعهود وقطعاً للطريق. أسره المسلمون في حلب ثم أطلق سراحه بفدية، تولى إمارة إنطاكية الصليبية ثم تولى إمارة الأردن خاصة حصني الكرك والشوبك. شارك في حطين ضد المسلمين وأسره المسلمون حيث قتله صلاح الدين بعد المعركة لاستخفافه بالنبيّ ﷺ وكثرة نقضه العهود مع المسلمين.
انظر: النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ص (١٣٠)، والحركة الصليبية، د. سعيد عاشور (٢/ ٥٨٦، ٦٠٤ ـ ٦٠٥).

(٣) انظر: الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على بلاد المسلمين، أحمد بن علي ابن أحمد الحريري، تحقيق د. مهدي رزق الله أحمد، دار الدعوة، الإسكندرية، ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤م، ص (٣٤).

(٤) انظر: المرجع السابق، ص (٤٠ ـ ٤١).

حرب صلاح الدين بعد فتحه للقدس[1].

وهكذا فإن رأي المؤرخين المسلمين المعاصرين لهذه الحروب، أو القريبين من عهدها أنها حروب دينية، دافعها ديني بحت هدفه الحقد على الإسلام، وعداوة المسلمين واستخلاص بيت المقدس.

١٠ ـ ومما يؤكد أن الدافع الديني له الأثر الأكبر في خروج النصارى إلى البلاد الإسلامية وقتالهم المسلمين ـ بما يعرف بالحروب الصليبية ـ أن أوربا قبيل بدء هذه الحروب كانت تعيش ـ بما يعرف بعصر الإيمان ـ؛ نتيجة لحركة الإحياء الديني الكبرى التي ظهرت في القرنين الخامس والسادس الهجريين، العاشر والحادي عشر الميلاديين.

وقد ترتب على حركة الإحياء الديني هذه أن عادت البابوية إلى سطوتها القديمة، وأصبح لها الإشراف المركزي على الكنائس الغربية كافة، بل وأصبح لها نفوذ قوي على السلطة السياسية في الغرب الأوربي. وقد ترتب على ذلك إثارة الحماسة الدينية بوجه عام في الغرب الأوربي. حتى أصبح الدين هو المحرك لتفكير الناس وعواطفهم. ومن ثم ظهرت شعارات بأن لا يحارب المسيحي أخاه المسيحي، وأن لا بد من توجيه القتال ضد المسلمين، وضرورة إنقاذ الأرض المقدسة منهم. فازدادت لذلك أعداد الحجاج النصارى إلى فلسطين، بل أصبحت بشكل حملات كبيرة ومسلحة في بعض الأحيان[2]. حتى جاءت دعوة البابا أوربان الثاني الصريحة إلى هذه الحروب في مجمع كليرمونت في عام (٤٨٧ هـ ـ ١٠٩٥م)[3].

وفي تلك المرحلة انتشرت في أوربا الأفكار التي تدور حول نهاية العالم بعد الألف الميلادية الأولى وبداية الألف الميلادية الثانية ـ القرن الحادي عشر الميلادي ـ، والتطلع إلى الحياة الأخروية. فكانت هذه الأفكار مسيطرة على

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص (٤٠ ـ ٤١).
(٢) انظر: جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، د. فايد حماد محمد عاشور، ص (٧٨).
(٣) انظر: تاريخ الحروب الصليبية، وليم الصوري (١/ ٩٩).

عقول الناس؛ فكانوا تواقين لضمان الخلاص وضرورة الرحلة إلى بيت المقدس. وهذا ما أدى إلى ظهور عدد من الرحلات التي قام بها الحجاج من غرب أوربا إلى القدس[1].

حيث ساعدت هذه الأفكار على الاستجابة الكبيرة من قبل شعوب أوربا للدعوة إلى الحروب الصليبية بعد ذلك على أنها حملات حج كبرى هدفها التكفير عن السيئات، وتخليص الأراضي المقدسة من سيطرة الأعداء تقرباً إلى الله.

---

(١) انظر: ماهية الحروب الصليبية، د. قاسم عبده قاسم، ص (٢٠)، وتاريخ الحروب الصليبية، د. سعيد عمران، ص (٢٠)، وتاريخ الحروب الصليبية، ستيفن رنسيمان، ترجمة د. السيد الباز العريني (١/ ١٨٢).

المطلب الثاني

الدافع السياسي

تمثل هذا الدافع في ناحيتين:

الناحية الأولى: أن ملوك وأمراء الغرب الأوربي ما شاركوا في هذه الحروب وما قادوا حملاتها إلا لكسب ود الكنيسة؛ لتحقيق مكاسب سياسية في داخل أوربا وفي خارجها، والحصول على تأييد البابوية لهم. والبعض منهم ما اشترك إلا بضغط من الكنيسة والتهديد بإصدار قرارات الحرمان إن لم يشاركوا فيها(١).

الناحية الثانية: ضعف الإمبراطورية البيزنطية خصوصاً بعد انتصار السلاجقة المسلمين على البيزنطيين في معركة ـ مانزكرت ـ عام (٤٦٣ هـ ـ ١٠٧١م) وتوسعهم في آسيا الصغرى حتى وصولهم إلى نيقية واقترابهم من العاصمة البيزنطية ـ القسطنطينية ـ(٢).

حيث تعد القسطنطينية مركز الدفاع الأول للنصرانية ضد المسلمين. والتي استعصى فتحها على المسلمين حتى تمّ ذلك على يد العثمانيين سنة ٨٥٧ هـ(٣).

---

(١) انظر: جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، د. فايد حماد عاشور، ص (٨٨).

(٢) انظر: تاريخ الحروب الصليبية، د. محمود سعيد عمران، ص (١٨ ـ ١٩). والحروب الصليبية في المشرق والمغرب، محمد العروسي المطوي، ص (٣٠).

(٣) انظر: الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، محمد العروسي المطوي، ص (٣٠).

ذلك الأمر الذي دعا الإمبراطور البيزنطي الأرذوذكسي أن يستنجد بأعلى سلطة دينية في أوربا، وهي البابوية الكاثوليكية؛ للمساعدة في وقف تقدم السلاجقة المسلمين على أوربا[1].

وحتى هذا الدافع الذي عده بعض المؤرخين سياسياً، فإنه في الحقيقة يدور في فلك الدافع الديني بل يؤيده.

ذلك إن مشاركة ملوك وأمراء الغرب بهذه الحروب بهدف كسب ود الكنيسة، والحصول على تأييد البابوية لهم، دليل على مدى تغلغل التيار الديني في المجتمع الأوربي بحيث لا يجرؤ أحد مهما بلغت قوته مخالفة ذلك التيار.

وأبرز مثال على ذلك الإمبراطور فردريك الثاني[2] الذي أخذ الباباوات واحداً بعد آخر، يلحون عليه في الخروج على رأس حملة صليبية إلى الشرق ضد المسلمين. وماطل الإمبراطور في الاستجابة لطلبهم حتى أصدرت البابوية بحقه قرار الحرمان. وعند ذلك خرج على رأس فئة من النصارى قاصداً الشام إرضاء للكنيسة[3].

وأرسل بمجرد وصوله رسالة إلى السلطان الكامل الأيوبي يشرح فيها له

---

(١) انظر: أثر العامل الديني في توجيه الحركة الصليبية، د. محمد صالح منصور، ص (١٦٠).

(٢) الإمبراطور فريدريك الثاني واسمه هوهنشكاوفن من أباطرة الدولة الرومانية المقدسة في ألمانيا وإيطاليا وصقلية، دخلت مملكة بيت المقدس الصليبية في حكمه من سنة ٦٢١ هـ ـ ١٢٢٥م. وكانت وفاته سنة ٦٤٧ هـ ـ ١٢٥٠ م. كان من المعجبين بالحضارة الإسلامية وعلى اتصال ودي بكثير من القادة والعلماء المسلمين حتى اتهم بإخفاء إسلامه. (انظر: ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة د. السيد الباز العريني (٣/ ٨٤١)، والعرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى، د. جوزيف نسيم، ص (٩٩)، والحركة الصليبية، د. سعيد عاشور (٢/ ٧٨٥) وما بعدها).

(٣) انظر: الحركة الصليبية، د. سعيد عبد الفتاح عاشور (١/ ٤٠).

موقفه وأنه: «... ما له غرض في القدس ولا غيره، وإنما قصد حفظ ناموسه عند الفرنج...»[1].

على أنه من الثابت أن كثيراً من ملوك وأمراء الغرب الذين اشتركوا بهذه الحروب كان اشتراكه بدافع ديني بحت. وذلك نصرة للنصرانية، ومحاربة للإسلام.

فهذا لويس التاسع[2] ملك فرنسا الذي اشتهر بورعه وتقواه حتى أطلق عليه لقب ـ القديس لويس التقي ـ يشهد له أحد المؤرخين المرافقين له أنه أراد أن يعبر عن حماسته الدينية بتزعمه الحملة الصليبية السابعة على مصر، ثم الحملة الثامنة على تونس[3].

وهذ البرنس أرناط يهم بمهاجمة المدينة ومكة سنة ٥٧٨ هـ[4]. وكل ذلك إهانة للإسلام، وحقد على المسلمين. وإلا فليس للمدينة أو مكة في ذلك الوقت أي مشاركة في الحروب ضد النصارى.

وبعد استيلاء الصليبيين على أنطاكية يبعث مجموعة من قادتهم برسالة إلى

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، أحمد بن علي المقريزي، الجزء الأول والثاني تحقيق محمد مصطفى زيادة، نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٧١م (١/ ٢٣٠).

(٢) لويس التاسع: أحد ملوك فرنسا حكم بين سنتي ٦١٠ هـ ـ ١٢١٤م ـ ٦٦٨ هـ ـ ١٢٧٠ م قاد حملتين صليبيتين على البلاد الإسلامية، دافعه لذلك حقده على الإسلام إذ كان يطلق عليه لشدة تدينه: القديس لويس وكان قيامه بحملاته الصليبية بزعمه شكراً لله على شفائه من مرض أصابه. أسره المسلمون في معركة المنصورة وفدى نفسه بفدية عظيمة وذلك في الحملة الصليبية السابعة. ثم عاد مرة أخرى في الحملة الصليبية الثامنة على تونس حيث مرض بالطاعون وتوفي بها.
انظر: الحروب الصليبية، آرنست باركر، ترجمة: د. السيد الباز العريني، ص (١٢١)، وأوربا العصور الوسطى، د. سعيد عبد الفتاح عاشور (١/ ٢٧٢) وما بعدها.

(٣) انظر: جهاد المسلمين في الحروب، د. فايد حماد محمد عاشور، ص (٨٩).

(٤) انظر: السلوك لمعرفة دول الملوك، أحمد بن علي المقريزي، تحقيق محمد مصطفى زيادة (١/ ٧٨ ـ ٧٩).

البابا أوربان الثاني يبشرونه بذلك ويعلنون ولاءهم له، وخدمتهم للمسيح، وعزمهم على احتلال القدس، ورفع الاسم المسيحي فوق الجميع. ومن هذه الرسالة: «إلى السيد المبجل البابا أوربان؛ من بوهيموند[١]، وريمون[٢] كونت سان جيل، والدوق جودفري أمير اللورين، وكونت روبرت أمير نورماندي[٣]، وروبرت كونت الفلاندرز[٤]، والكونت إيستاس البولوني[٥]، تحياتنا ومثلما يبعث

---

(١) المقصود به: بوهيمند الأول وهو أمير أوترانتوا في إيطاليا كان من قواد الحملة الصليبية الأولى وكان جيشه من النورمان وهو أول أمير صليبي على أنطاكية بعد احتلالها حيث حكمها في الفترة من ٤٩١ هـ ـ ١٠٩٨م ـ ٥٠٤ هـ ـ ١١١١م.
انظر: تاريخ الحروب الصليبية، ستيفن رانسيمان، ترجمة د. السيد الباز العريني، (٣/ ٨٤٢)، والعرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى، ص (١٧٨، ٢٤٨). والحركة الصليبية، د. سعيد عاشور (١/ ٣٧٠)، وما بعدها. والقادة الصليبيون في أيدي الحكام المسلمين، د. محمود سعيد عمران، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م، ص (٩) وما بعدها.

(٢) المقصود به: ريموند كونت تولوز واشتهر باسم كونت سان جيل وفد إلى البلاد الإسلامية على رأس حملة من جنوب فرنسا وكان ممن حاصر إنطاكية. (انظر: الوجود الصليبي في الشرق العربي، فوشيه شارتر، ترجمة د. قاسم عبده قاسم، ص (١٠٠)، وتاريخ الحروب الصليبية، ستيفن رنسيمان (١/ ٢٤٣)).

(٣) الكونت روبرت النورماندي نسبة إلى إقليم نورماندیا في شمال فرنسا حيث قاد الجيش الذي شارك من منطقة نورماندیا في الحملة الصليبية الأولى وكان ممن اشترك في حصار إنطاكية وهو ابن وليم الفاتح أول ملوك إنجلترا من النورمانديين. (انظر: الوجود الصليبي في الشرق العربي، فوشيه شارتر، ترجمة د. قاسم عبده قاسم، ص (١٠١)، وتاريخ الحروب الصليبية، ستيفن رنسيمان، ترجمة د. السيد الباز العريني (١/ ٢٥٠) وما بعدها.

(٤) روبرت كونت الفلاندرز ـ أي أمير منطقة الفلاندرز وهي تقع حالياً في بلجيكا وفرنسا على بحر الشمال. ويدعى روبرت الثاني حيث قاد حملة من منطقة الفلاندرز اشتركت في الحملة الصليبية الأولى وكان ممن حاصر إنطاكية. (انظر: تاريخ الحروب الصليبية، ستيفن رنسيمان، ترجمة د. السيد الباز العريني (١/ ٢٥٢ ـ ٣٥٣).

(٥) هو إيستاس الثالث كونت بولوني ـ أي أمير منطقة بولوني ـ في شمال إيطاليا. وهو الأخ الأكبر لجودفيري ده بويون وبلدوين الأول. شارك في الحملة الصليبية الأولى وكان ممن حاصر إنطاكية وبعد نهاية الحملة عاد لوطنه.

الأبناء إلى أبيهم الروحي نعلن أننا خدام مخلصون ورعايا حقيقيون للمسيح. . . وإننا حجاج المسيح الذاهبون إلى القدس قد انتقمنا للرب العظيم. . .»[(١)]. وفي نهاية الرسالة، يدعون البابا ليأتي معهم فيدخل القدس وتكون الدنيا كلها رهن إشارته. «. . . وهكذا تنهي معنا الحج الذي قمنا به إلى يسوع المسيح بعد أن أعلنت عن بدايته، سوف تفتح لنا بوابات أورشليم[(٢)] السماوية والأرضية، وتحرر ضريح سيدنا، وترفع الاسم المسيحي فوق الجميع. لأنك إذا جئت إلينا، وأنهيت معنا الحج الذي بدأناه بك ستكون الدنيا كلها رهن إشارتك. . .»[(٣)].

كذلك استنجاد البيزنطيين الأرذوذكس بالسلطة البابوية الكاثوليكية في أوربا للمساعدة في وقف تقدم السلاجقة المسلمين، وإنقاذ القسطنطينية من أقوى الأدلة على الروح الدينية الصليبية الباعثة لهذه الحروب ضد المسلمين. فعلى الرغم مما بين الكاثوليك والأرذوذكس من اختلاف ديني كبير، وعلى الرغم من عدم خضوع الكنيسة الأرذوذكسية الشرقية للسلطة البابوية الكاثوليكية، على الرغم من ذلك فإنهم اتحدوا ضد الخطر الإسلامي عليهم. وجمعهم عداء الإسلام على حربه.

وقد بين أحد الكتاب الأروبيين ذلك بقوله: «. . . كان هناك شعور طبيعي من كلا الجانبين بالتعاون بين الغرب والشرق المسيحي في مواجهة التهديد الإسلامي. . .»[(٤)].

ويرى فوشيه الشارتري أحد المعاصرين بل والحاضرين لمجمع كليرمونت أن استجابة البابا أوربان الثاني لنجدة البيزنطيين بعد انتصار السلاجقة المسلمين

انظر: الوجود الصليبي في الشرق العربي، فوشيه شارتر، ترجمة د. قاسم عبده قاسم، ص (١٣٨).

(١) الوجود الصليبي في الشرق العربي، فوشيه الشارتري، ترجمة د. قاسم عبده قاسم، ص (١٣٨).

(٢) أورشليم أي مدينة السلام ـ باللغة العبرية ـ البيت المقدس أو القدس بالعربية. وقد سبق التعريف بذلك.

(٣) المصدر السابق، ص (١٤١ ـ ١٤٢).

(٤) الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، كلود كاهن، ترجمة أحمد الشيخ، ص (٨٤).

على النصارى في موقعة ـ ملاذكرت ـ سنة (٤٦٣ هـ ـ ١٠٧١م)، كانت بدافع ديني بحت، فبسبب ذلك «. . . اهتز أوربان كثيراً بفضل تقواه وتدينه العميق، وزيادة حبه للرب. فعبر الجبال، وهبط في بلاد الغال، وأمر بعقد مجمع ديني في أوفريني بكليرمونت»[١]. حيث كانت في هذا المجمع الدعوة إلى الحروب الصليبية.

وهذا وليم الصوري أحد رجال الدين النصارى المعاصرين لهذه الحملات، والمشاركين في بعض أحداثها، حينما تحدث عن موقعة ـ ملاذكرت ـ وهزيمة البيزنطيين النصارى فيها على يد السلاجقة المسلمين ومن ثم اجتياحهم لآسيا الصغرى، ثم استيلاؤهم على الشام ودخول بيت المقدس، حينما تحدث عن ذلك عرضة على أنه من المصائب العظيمة على النصارى[٢]. وهو الدافع المباشر لبطرس الناسك أحد كبار الداعين للحروب الصليبية في أوربا[٣]. وأن هذه الحروب هي إرادة الله لإنقاذ شعبه من بلواه. حيث قال: «. . . إن اهتمامنا في هذا الكتاب منصب على بيان طريقة وتنظيم هذه الخطة الإلهية التي أرادها الله؛ لإنقاذ شعبه من بلواه تمجيداً للمخلصين في المسيح. . .»[٤]. فجعل وليم ذلك السبب الذي عده بعض المؤرخين سياسياً جعله دينياً بحتاً.

---

(١) الوجود الصليبي في الشرق العربي، فوشيه الشارتري، ترجمة د. قاسم عبده قاسم، ص (٨٨).

(٢) انظر: تاريخ الحروب الصليبية، وليم الصوري، ترجمة: د. حسن حبشي (١/ ٨٤ ـ ٨٦).

(٣) انظر: المصدر السابق (١/ ٩٠) وما بعدها.

(٤) المصدر السابق (١/ ٩٠).

المطلب الثالث

الدافع الاقتصادي والاجتماعي

أولاً: الدافع الاقتصادي:

تمثل الدافع الاقتصادي للحروب الصليبية في ناحيتين:

الناحية الأولى: ما كانت تعيشه أوربا قبيل الحروب الصليبية، وبخاصة القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي. من سوء في الأحوال الاقتصادية وانتشارٍ للمجاعات والأوبئة. حتى لجأ البعض إلى أكل الأعشاب والحشائش. وكان مرد ذلك إلى استمرار الحروب والمنازعات بين الأمراء الإقطاعيين في أوربا. فجاءت الحروب الصليبية لتفتح أمام أولئك الجوعى في أوربا باباً جديداً للهجرة والخلاص من أوضاعهم السيئة[١].

الناحية الثانية: إن المدن التجارية الأوربية خصوصاً المدن الإيطالية أبدت حماسة منقطعة النظير في تشجيع هذه الحروب ودعمها، ونقل المحاربين من أوربا إلى البلاد الإسلامية في الشام ومصر، وما كان ذلك بدافع ديني، وإنما للسيطرة على طرق التجارة، واحتكارها، والحصول على امتيازات تجارية أخرى

---

(١) انظر: الحركة الصليبية، د. سعيد عبد الفتاح عاشور (١/ ٣٤ ـ ٣٥). والحروب الصليبية، آرنست باركر، ترجمة د. السيد الباز العريني، ص (٢٢). والحروب الصليبية في المشرق والمغرب، محمد العروسي المطوي، ص (٣٣).

في الشرق الإسلامي، في مقابل انحسار نفوذ المسلمين في هذه المناطق؟[١].

ولا شك أن المبالغة في جعل العوامل الاقتصادية هي الدافع للأوربيين في القيام بهذه الحروب أمر مخالف للحقيقة.

فقد تعرضت أوربا لأزمات اقتصادية شديدة، وحروب داخلية طاحنة أكثر مما تعرضت له قبيل فترة الحروب الصليبية، ومع ذلك لم تبعث هذه الأوضاع الاقتصادية السيئة شعوب أوربا للقيام بحروب ضد المسلمين. ومرد ذلك لأن الكنيسة البابوية لم تبعث فيهم الروح الدينية الداعية لهذه الحرب[٢].

وكذلك المدن التجارية ـ خصوصاً الإيطالية ـ لم تكن المبادرة في هذه الحروب، وإن شجعت عليها وشاركت بها. وهذا لا يعني إنها بتشجيعها ودعمها للحروب الصليبية ضد المسلمين تهدف إلى مطمع تجاري فحسب، بل مع ذلك دافع ديني وحماس نصراني. فالمدن التجارية الإيطالية النصرانية تدرك أن انتصار الصليبيين على المسلمين يصب في مصلحتها. لأن هؤلاء إخوانهم في العقيدة، والآخرين أعداؤهم في الديانة، وإن تحقق لهم مع هذا الانتصار مكاسب مادية كبيرة فهذه المكاسب في النهاية غنائم من المسلمين.

ولو كان هدف المدن الإيطالية تجارياً فقط فلماذا لم تساعد هذه المدن المسلمين ضد النصارى في فترات ظهور المسلمين وقوتهم وتقدمهم. لماذا لم تقم أساطيل هذه المدن بنقل المسلمين إلى جنوب أوربا والحصول في مقابل ذلك على المكاسب المادية الكبيرة.

إن العوامل الاقتصادية ليست الدافع الأول لقيام الأوربيين بحربهم الصليبية ضد المسلمين، وإن كانت هذه العوامل مساعدة في سرعة الاستجابة والمشاركة في هذه الحروب.

---

(١) انظر: الحركة الصليبية، د. سعيد عبد الفتاح عاشور (١/ ٣٥ ـ ٣٦)، وأثر العامل الديني في توجيه الحركة الصليبية، د. محمد صالح منصور، ص (٢١٦)، وتاريخ الحروب الصليبية، د. محمود سعيد عمران، ص (٢٠).

(٢) انظر: جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، د. فايد حماد محمد عاشور، ص (٨٢).

ثانياً: الدافع الاجتماعي:

تمثل هذا الدافع في طبيعة المجتمع الأوربي قبيل فترة الحروب الصليبية.

حيث تألف هذا المجتمع من ثلاث طبقات: طبقة رجال الدين، وطبقة المحاربين من النبلاء والفرسان، وطبقة الفلاحين من الأقنان ورقيق الأرض[١].

فكانت طبقة الفلاحين هي الغالبية المغلوبة في المجتمع، تعيش حياة قاسية في ظل النظام الإقطاعي، حيث لم يجد هؤلاء ما يشجعهم على البقاء في بلادهم، فكانت الحروب الصليبية مخلصة لهم من أوضاعهم السيئة، وحياة الفقر والفاقة التي يعيشونها، إضافةً إلى ما يعتقدونه من أجر أخروي في رحلتهم هذه[٢].

كما أن طبقة المحاربين من النبلاء والفرسان لم تعد الأراضي في أوربا تكفي أعدادهم المتزايدة؛ مما وجه الأنظار إلى أراضي أخرى لهؤلاء الإقطاعيين الجدد، فكانت الحروب الصليبية فرصة لهؤلاء لتأسيس إقطاعيات لهم في الشرق لا ينافسون عليها[٣].

يضاف إلى ذلك أن هؤلاء الفرسان ارتبطت حياتهم بالحرب والفروسية وإظهار الشجاعة في ظل النظام الإقطاعي والتنافس على الأراضي. فكانت حياة السلم التي دعت الكنيسة إليها في أوربا قبيل الحروب الصليبية تعني البطالة لهم. لذلك جاءت هذه الحروب؛ لتفتح لهم باباً واسعاً لإظهار شجاعتهم وفروسيتهم، مع ما يعتقدونه من أجر وثواب وغفران في ذلك[٤].

ولا شك أن المبالغة في إعطاء الدافع الاجتماعي قيمة كبيرة في دفع النصارى لهذه الحروب الطاحنة فيه تعسف كبير.

---

(١) انظر: الحركة الصليبية، د. سعيد عبد الفتاح عاشور (١/ ٣٧).

(٢) انظر: المرجع السابق (١/ ٣٨ ـ ٣٩).

(٣) انظر: تاريخ الحروب الصليبية، د. محمود سعيد عمران، ص (٢٠).

(٤) انظر: الحركة الصليبية، د. سعيد عبد الفتاح عاشور (١/ ٤٢).

فغالبية الصليبيين القادمين من أوربا كانوا يعلمون بما سيواجهونه في البلاد الإسلامية من حروب، مع ما يمكن أن يتعرضوا له في الطريق من مخاطر كبيرة. فأيها أخف ضرراً: الموت من جراء الحرب أو في مهالك الطريق.

أو الحياة حياة فقيرةً. لا شك أن الحياة مع الفقر عند الغالبية أفضل من الموت في حرب أو في مهلكةٍ؛ إلا أن يكون الموت في سبيل غاية نبيلةٍ سامية. هذه الغاية السامية في اعتقاد النصارى هي تخليص البيت المقدس، والانتصار لعيسى، والفوز بالنعيم الأبدي، وهذا في الحقيقة ما دفعهم للقدوم إلى البلاد الإسلامية وإن ساعدت بعض الأوضاع الاجتماعية السيئة التي يعيشونها على سرعة استجابتهم لنداء الكنيسة إلى هذه الحروب.

كذلك طبقة المحاربين من الفرسان والنبلاء إذا كان كل الدافع لهم هو إظهار فروسيتهم ومهاراتهم الحربية، وألا يعيشوا عاطلين في حياة السلم. فلماذا يقطع هؤلاء الفرسان والمحاربون هذه المسافات البعيدة، ويجتازون البحار من أجل هذه الغاية؛ بينما باستطاعتهم تحقيقها باتجاههم إلى شرق أوربا والتوغل في آسيا لممارسة هذه الأعمال.

إذن فاتجاه هؤلاء الفرسان والنبلاء إلى الشرق الإسلامي وبالتحديد إلى بيت المقدس، وقتالهم للمسلمين كان لغاية في نفوسهم أسمى - في نظرهم - من مجرد إظهار الفروسية والشجاعة، بل جَعْلُ هذه الفروسية وهذه المهارات الحربية في خدمة غايتهم الأخرى وهي الغاية الدينية لما يعتقدونه من الأجر في قتال المسلمين وتخليص القدس منهم والانتصار للمسيح.

لذلك كله يمكن القول إن أوربا النصرانية سخرت كافة الدوافع السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، لخدمة الهدف الديني الأكبر وهو الانتصار للنصرانية، والعداء للإسلام. ولا يمنع ذلك أن يجد بعض المنتفعين في أوربا ضالته في المشاركة بهذه الحروب، وتكون أهواؤه ورغباته حافزاً له في سرعة الاستجابة لنداء البابوية في التوجه للشرق الإسلامي وحرب المسلمين.

الفصل الأول

موضوعات دعوة المسلمين للنصارى
في
عصر الحروب الصليبية

تمهيـــد

موضوعات دعوة المسلمين للنصارى في هذه الفترة لا تختلف كثيراً عن موضوعات دعوتهم في أي عصر من العصور. إذ هي بمجملها إظهار لمحاسن الدين الإسلامي وبيان لحقيقته، وإبطال لعقائد النصارى، وردود على شبههم.

ومن خلال تحليل موضوعات دعوة المسلمين للنصارى في هذه الفترة يمكن القول إن هذه الموضوعات اتخذت شكلاً معيناً يظهر فيه نوع من التنظيم والترتيب الذي يراعي الأولويات ويتناسب مع طبيعة المدعوين.

لذلك يمكن تبويب هذه الموضوعات على النحو التالي:

موضوعات تتعلق بالدعوة إلى العقيدة الإسلامية.

موضوعات تتعلق بمناقشة عقائد النصارى وإبطالها.

موضوعات تتعلق بالردود على شبه النصارى التي يثيرونها حول الدين الإسلامي.

والمباحث التالية تلقي الضوء على أبرز موضوعات دعوة المسلمين للنصارى في هذه الفترة وفق هذا الترتيب.

المبحث الأول

الدعوة إلى العقيدة الإسلامية

اتجهت جهود المسلمين في دعوتهم للنصارى في هذه الفترة إلى معالجة الموضوعات الأساسية في الدين الإسلامي، وذلك بالدعوة إلى أصول الدين وأسسه التي لا يتم إسلامهم إلا بها كالتوحيد، والتصديق بالقرآن، وقبول الإسلام بعمومه، والإيمان بنبوّة محمد ﷺ، والإقرار بنبوّة عيسى ونفي ألوهيته.

وفيما يلي بيان لأبرز القضايا التي دعا المسلمون النصارى إليها في هذه الفترة.

المطلب الأول

الدعوة إلى التوحيد

مفهوم التوحيد عند أهل السنّة هو: «إفراد الله سبحانه وتعالى بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات»(١). وهو أساس الرسالات السماوية، وما بعث الله الأنبياء وأرسل الرسل إلا لتحقيقه، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾(٢). وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾(٣).

وبدون تحقيق التوحيد لا ينفع الإنسان عمله، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾(٤). وكل ذنب تحت مشيئة الله إن شاء عذب صاحبه وإن شاء غفر له إلا الشرك، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾(٥).

واهتم الرسول ﷺ بتحقيق التوحيد والدعوة إليه وحماية جنابه، بل من أجله شُرع الجهاد، وقامت الحروب بين الموحدين والمشركين، قال ﷺ: «**أمرت أن**

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب د. سليمان أبا الخيل وزميله، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ (١/ ٥).

(٢) سورة الأنبياء، الآية: (٢٥).

(٣) سورة النحل، الآية: (٣٦).

(٤) سورة الفرقان، الآية: (٢٣).

(٥) سورة النساء، الآية: (١١٦).

أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله...»[1].

وكان لذلك أمر التوحيد أهم أمور العقيدة الإسلامية التي دعا المسلمون النصارى إليها في فترة الحروب الصليبية وذلك من خلال الدعوة المباشرة بالحث على توحيد الله سبحانه وتعالى ونفي الشريك عنه، أو من خلال إبطال عقيدة التثليث، أو من خلال نفي الألوهية عن المسيح عليه السلام[2].

فمن الأمثلة الكثيرة على قيام العلماء المسلمين بالدعوة إلى التوحيد بشكل مباشر إبرازهم توحيد الله سبحانه وتعالى وتنزيهه عن الشريك، وإنكار عقيدة التثليث وذلك عند مخاطبة النصارى أو الرد على شبهاتهم[3].

ومن ذلك مثلاً ما ورد في مقدمة رسالة الخليفة الموحدي المرتضي لأمر الله إلى البابا أنوصان الرابع[4] في روما حيث قال في مقدمتها: «... أما بعد فإنا نحمد الله الذي لا إله إلا هو، حمد من علم أنه الرب الواحد، الذي دلت على وحدانيته البراهين القاطعة والشواهد، ونزهته العقول الراجحة على أن يكون له ولد أو يدّعي أنه الوالد...»[5].

وحينما رد الخزرجي على رسالة قسيس طليطلة التي دعاه فيها إلى اعتناق

---

(١) أخرجه البخاري، الصحيح، كتاب الإيمان، باب: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، حديث رقم (٢٥)، ص (٢٨).

(٢) انظر: المطلب الأول من المبحث الثاني من هذا الفصل.

(٣) انظر: الرد على دعوى النصارى أن المسلمين وثنيون، وذلك في المبحث الثالث من هذا الفصل.

(٤) وهو أنوسنت الرابع الذي ولد في جنوة بإيطاليا سنة ٥٩٦ هـ ـ ١٢٠٠ م، وتولى البابوية سنة ٦٤٠ هـ ـ ١٢٤٣م، وكانت وفاته سنة ٦٥١ هـ ـ ١٢٥٤م.
انظر: أوربا العصور الوسطى، د. سعيد عاشور (١/ ٦٦١)، والموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض (٣/ ٢٩٤).

(٥) دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبدالله عنان، عصر الموحدين، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١١ هـ ـ ١٩٩٠ م، ص (٥٣٨).

النصرانية بدأها بقوله: «بسم الله الرحمن الرحيم إله فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، سلام على المهتدين والحمد لله رب العالمين...»[(١)].

وفي مقدمة القرافي في كتابه الأجوبة الفاخرة رداً على رسالة لبعض النصارى نزه الله سبحانه وتعالى عن الشريك والوالد والولد حيث قال: «الحمد لله العظيم من غير عُددٍ... المنزه عن الصاحبة والولد، المتعالي في ذاته وصفاته عما يقوله من عنّد وجحد، الواحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له...»[(٢)].

ومثل ذلك صَدْر خطبة الجعفري في كتابه تخجيل من حرب التوراة والإنجيل وما تضمنته من تنزيه الله سبحانه وتعالى عن الوالد والولد والشريك[(٣)].

وابن الزكي في أول خطبة له في بيت المقدس بعد تخليصه من النصارى الصليبيين كان مما تضمنته هذه الخطبة تمجيد الله سبحانه وتعالى وتوحيده جلّ وعلا وتنزيهه عما يقول النصارى[(٤)].

بل إن العلماء جعلوا دعوة النصارى إلى التوحيد هي أولى ما تصرف فيه الهمم.

حيث بين ذلك القرافي وأكد على أهمية إقامة الأدلة على وحدانية الله

---

(١) مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، مكتبة وهبة، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥م، ص (١٢٠).

(٢) الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م، ص (٢٣).

(٣) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨م (١/ ٨٧).

(٤) انظر: الروضتين في أخبار الدولتين، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي «أبو شامة»، (١/ ١١٠ ـ ١١٢).

سبحانه وتعالى. ولهذه الغاية ألف كتاباً خاصاً بذلك سماه: «أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية[1].

وكثيراً ما تتكرر الدعوة إلى التوحيد في ثنايا مناقشات العلماء المسلمين للنصارى وردودهم عليهم.

فمن ذلك مثلاً دعوة القرطبي لصاحب كتاب تثليث الوحدانية إلى نبذ الشرك وتوحيد الباري سبحانه وتعالى، وبيان براءة عيسى عليه السلام من تثليث النصارى وأنه ما بلغهم إلا أن الله واحد فرد صمد لا شريك له سبحانه وتعالى[2].

وفي هذا السياق وبعد أن عرض الجعفري شيئاً من الأدلة على توحيد الله سبحانه وتعالى من التوراة والإنجيل وجه كلامه إلى النصارى قائلاً: «... فمن أشرك مع الله غيره فقد كفر بالتوراة والإنجيل...»[3].

وكانت دعوة النصارى إلى التوحيد بالإضافة إلى الطريقة المباشرة من خلال دعوتهم الصريحة إلى توحيد الله سبحانه وتعالى ونفي الشريك عنه كانت أيضاً من خلال إبطال عقائدهم الشركية المنافية للتوحيد وذلك بإبطال عقيدة التثليث لديهم وهدمها وإبراز تناقضها، وكذلك من خلال نفي الألوهية عن المسيح عليه السلام وإقامة الأدلة المختلفة على ذلك[4].

---

(١) انظر: أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية، أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق عبد الرحمن دمشقية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨م، ص (٢٠ ـ ٢١).

(٢) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، مكتبة الحرمين، الرياض، ص (١٢٣).

(٣) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/ ٥٨٢).

(٤) سيأتي تفصيل هذا في المبحث الثاني من هذا الفصل.

المطلب الثاني

الدعوة إلى اعتناق الإسلام بشكل مجمل

إن الدين الإسلامي هو الدين الحق الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى لعباده، وختم به الأديان كما قال جلّ وعلا: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾(١)، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾(٢).

فكانت الدعوة لهذا الدين، والتمكين له، ونصرته مهمة الداعي الأول محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾(٣). وقام بهذه المهمة الجليلة من بعده صحابته الكرام رضوان الله عليهم، ثم سلفهم الصالح، ولا تزال هذه المهمة العظيمة هي رسالة الأمة الإسلامية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وفي فترة الحروب الصليبية ومع تسلط أعداء الأمة من النصارى، وظهورهم في بعض الفترات على المسلمين، ومع ما أصاب الأمة من ضعف وتفرق في بعض الأحيان، إلا أن ذلك لم يمنع الغيورين على الإسلام قادة وعلماء من الدعوة إليه، والتضحية من أجله.

وكان من موضوعات دعوة المسلمين للنصارى في هذه الفترة دعوتهم إلى

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (٨٥).

(٢) سورة آل عمران، الآية: (١٩).

(٣) سورة يوسف، الآية: (١٠٨).

اعتناق الإسلام بشكل مجمل. وذلك من خلال الدعوة المباشرة إلى اعتناقه، أو من خلال ذكر الأدلة على صحته وبيان محاسنه، أو من خلال رد الشبه عن تشريعاته.

أ ـ الدعوة المباشرة إلى اعتناق الإسلام:

لا شك أن كل جهد قام به المسلمون في هذه الفترة في خدمة الإسلام يعد دعوة إلى الإسلام، لكن المقصود هنا بالدعوة المباشرة إلى اعتناق الإسلام - هو مخاطبة النصارى مباشرةً بقبول الإسلام والانقياد له.

ومن الأمثلة على ذلك: دعوة صلاح الدين لأرناط الصليبي الذي نقض الصلح مع المسلمين، فغدر بقافلة مسلمة قادمة من مصر إلى الشام، فلما ناشده أصحابها الله وذكروه بالصلح الذي بينه وبين المسلمين رد بكلام يتضمن الاستخفاف برسول الله ﷺ. لذلك لما علم صلاح الدين أقسم إن ظفر به ليقتلنه لاستخفافه برسول الله ﷺ، فلما جيء بهذا الصليبي مع الأسرى بعد معركة حطين في منتصف شوال سنة ٥٨٣ هـ ذكره صلاح الدين بما صدر منه ثم عرض عليه الإسلام فأبى فقتله(١).

والشاهد من ذلك هو عرض الإسلام على هذا القائد الصليبي ودعوته إلى اعتناقه.

ومثل ذلك عرض الإسلام على صاحب صيدا وقد شهد ذلك ابن شداد حيث قال: «... ولقد رأيته وقد دخل عليه صاحب صيدا بالناصرة، فاحترمه وأكرمه، وأكل معه الطعام، ومع ذلك عرض عليه الإسلام فذكر له طرفاً من محاسنه، وحثه عليه»(٢).

ومن نماذج عرض الإسلام على النصارى في هذه الفترة ودعوتهم إلى

---

(١) انظر: النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ص (١٣٠ ـ ١٣١).

(٢) المصدر السابق، ص (٦٦).

اعتناقه استغلال صلاح الدين للقاءاته بوفود الفرنج لإيضاح محاسن الإسلام ثم دعوتهم إليه[1].

وقد بين الجعفري أن من أسباب تأليفه كتاب ـ تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ـ هو دعوة النصارى إلى الإسلام، حيث قال: «فعسى الله أن يقدر هداية بعضهم، ونحن مأمورون بدعائهم إلى سبيل ربنا بالحكمة والموعظة الحسنة...»[2].

وتكرر في ثنايا مناقشة القرطبي لكتاب أحد القساوسة النصارى دعوته لهذا القسيس إلى اعتناق الإسلام، ومن ذلك قوله: «... فالله الله، أدرك بقية نفسك قبل حلول رمسك، واستعمل عقلك، ولا تعول على تقليد فاسد نقلك، واتبع الدين القويم، دين الأب إبراهيم، ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾[3]»[4].

وفي موضع آخر من مناقشته لهذا القسيس في كتابه: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام بين له أنه لولا رجاء استنقاذه من الضلال إلى الهدى لما ناقشه، ولما أعطى الحكمة إلى غير أهلها حيث يقول: «... فلعل مقلب القلوب يستنقذك من عبادة إله مصلوب، ويبدلك بها إخلاص العبادة لعلام الغيوب. ولولا رجاء ذلك لما كان ينبغي لي أن أعطي الحكمة غير أهلها...»[5].

---

(١) انظر: الدعوة إلى الإسلام ـ توماس أرنولد، ترجمة: د. حسن إبراهيم حسن وآخرين، ص (١١٠).

(٢) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (١/١٠٣).

(٣) سورة آل عمران، الآية: (٦٧).

(٤) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (١٠١).

(٥) المصدر السابق، ص (١٠٦)، وانظر: أمثال ذلك في ص (١٢٣)، (٢٣٦).

وبعد مناقشة المتطبب للنصارى في كتابه ـ النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ـ، وجه كلامه إليهم جميعاً طالباً من ذوي العلم فيهم التفكر والتدبر في أمر النبيّين، والبحث في أصول الدين حتى يقفوا على اليقين. «... ولو كان فيكم رجل عليم، له عقل سليم، لتفكر في أمر النبيين، وبحث عن أصول الدين، حتى يقف على اليقين؛ لعرف أن الدين عند الله الإسلام، وأن شريعة محمد سيد الأنام هي الشريعة الواضحة، وميزان أمته هي الميزان الراجحة...»[1].

ب ـ الدعوة إلى الإسلام من خلال بيان محاسنه:

إن الدين الإسلامي بتشريعاته المختلفة موافق للفطرة البشرية، فهو من عند الله سبحانه وتعالى، وهو خالق الخلق ويعلم ما يصلح لهم، وإبراز محاسن هذا الدين ـ وكله محاسن ـ وبيان سماحته، له أكبر الأثر في قبوله، خاصةً عند من لا يعرف عنه شيئاً.

وقد اهتم العلماء المسلمون بذلك في هذه الفترة رغبة منهم أن يكون ذلك سبباً للهداية واعتناق الإسلام.

ومن هؤلاء: القرطبي الذي عقد فصلاً في كتابه ـ الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ـ مبيناً فيه محاسن الإسلام ومبرزاً الهدف من ذلك بقوله: «الغرض من هذا الفن أن نبين فيه عقيدة الإسلام، وجملاً من أصوله وأحكامه، ومواضع من فروع دينه أنكرتها النصارى عليه، وإنما فعلنا ذلك لغرضين...»[2]، ثم وضح أن أحد الغرضين هو: «... إنه لا يبعد أن يقف على هذا الكتاب نصراني أو يهودي لم يسمع قط من ديننا تفصيلاً ولا تصريحاً، بل إنما سمع له سباً وتقبيحاً. فأردت أن أسرده على الجملة؛ ليتبين حسنه لمن

---

(١) النصيحة الإيمانية، نصر بن يحيى المتطبب، تحقيق د. محمد الشرقاوي، ص (١٤٧).

(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٤٣٨).

كان ذكي العقل، صحيح الفطرة، فلعل ذلك يكون سبب هداه، وجلاء عماه. . .»[1].

بعد ذلك عرض القرطبي شيئاً من محاسن الإسلام من خلال ثلاثة جوانب هي:

١ - مراعاته لمصالح العباد في الآخرة: حيث جاءت تشريعاته بإيضاح كل ما يتعلق بها مما يحتاج إليه العباد غاية الوضوح، وتعبدنا الله سبحانه وتعالى بعبادات محضة كالصلاة، والحج وغير ذلك، تعظيماً له سبحانه، وخضوعاً له بالظاهر والباطن[2].

٢ - مراعاته لمصالح العباد الدنيوية: فجاءت تشريعاته في هذا الجانب حماية للدين، والنفس، والمال، والنسب، والعرض، والعقل. ولأجل ذلك شرع العقوبات، وحرم كل ما يؤثر على هذه الضرورات كالغيبة، والقذف، وقول الزور، والغش، والسرقة، وأكل أموال الناس بالباطل. وحرم الخمر لأنها تذهب العقل الذي هو مناط التكليف، وغير ذلك من أنواع المفاسد[3].

٣ - إتمامه لمكارم الأخلاق: يقول القرطبي: «. . . وأما مكارم الأخلاق التي تضمنها شرعنا فلا تخفى على متأمل، وذلك أن شرعنا أمرنا بها ظاهراً وباطناً، ونهانا عن رذائلها وسفاسفها»[4].

ثم وضح القرطبي أمثلة على مكارم الأخلاق في الإسلام، هذه المكارم التي تسعى للتحلي بها كل نفس طاهرة، محبة للخير، مبغضة للشر.

فمن المكارم الظاهرة عدد القرطبي النظافة، والطهارة، والتطيب، وتحسين

---

(١) المصدر السابق، ص (٤٣٩).

(٢) انظر: المصدر السابق، ص (٤٤٢).

(٣) انظر: المصدر السابق، ص (٤٤١).

(٤) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٤٤٤).

الهيئة، وقص الشارب، وإعفاء اللحية، وغير ذلك. وبين أن من النظافة الباطنية التخلي عن مذموم الأخلاق كالغضب، والحسد، والبخل، ومهانة النفس، والكبر، والرياء. والتحلي بالأخلاق المحمودة كالتوبة من المعاصي، وحسن الصحبة، والنصيحة، والعدل، والتواضع، والإخلاص، والصبر، والصدق، والتوكل، ومحبة الله ورسله، إلى غير ذلك[1].

وأخيراً أكد القرطبي على أن المتدبر لهذه المحاسن سيعلم من غير شك أنها حق من الله، وأن الذي جاء بها لا يجوز عليه الغلط والكذب[2]. وعلى ذلك فلا يسعه إلا قبولها والإيمان بالدين الذي دعا إليها وهو الإسلام.

جـ ـ الدعوة إلى الإسلام من خلال رد الشبه عن تشريعاته[3]:

قد يكون سبب عدم قبول الحق شبهة في ذهن المدعو، وبإزالة هذه الشبهة تزول العقبة ويتحقق القبول. وهكذا الحال مع النصارى، فلربما كانت كثير من الشبه التي يثيرها بعض مضليهم مانعة من إسلام الكثيرين منهم في هذه الفترة.

ولذلك تصدى العلماء في فترة الحروب الصليبية للذود عن الإسلام بدحض الشبه التي يروج لها أئمة الضلال من النصارى.

ومن الأمثلة على ذلك رسالة أحد القساوسة إلى أبي عبيدة الخزرجي التي تتضمن الكثير من الشبه والمفتريات حول تشريعات الإسلام، ورد أبي عبيدة على هذا القسيس داحضاً شبهه ومفترياته[4].

---

(١) المصدر السابق، ص (٤٤٥).

(٢) المصدر السابق، ص (٤٤٦).

(٣) سيأتي الحديث مفصلاً عن الشبه التي أثارها النصارى في فترة الحروب الصليبية ورد العلماء المسلمين عليها وذلك في المبحث الثالث من الفصل الأول.

(٤) انظر: أمثلة على هذه الشبه والرد عليها في كتاب: مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية.

ومثله القرافي الذي عرض كثيراً من شبه النصارى في هذه الفترة وأبطلها[1].

وبطبيعة الحال فإن إبطال هذه الشبه التي يثيرها قادة الضلال من النصارى في فترة الحروب الصليبية قد يكون سبباً لهداية الكثيرين ممن حُجب الحق عنهم بسببها. فإذا كان الأمر كذلك وزالت عنهم هذه الشبه فلا يسعهم بعد هذا إلا اعتناق الإسلام.

(١) وذلك في كتابه الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة.

المطلب الثالث

الدعوة إلى الإيمان بالقرآن

القرآن هو معجزة الإسلام الخالدة، والذي أنزله الله سبحانه وتعالى على نبيّه محمد ﷺ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور. قال تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١﴾[1]. وهو دستور هذه الأمة، وأساس نظامها، ومصدر عزها.

والأمة الإسلامية عبر تاريخها اعتنت بكتاب الله أشد العناية، فجُمع حديث الرسول ﷺ، ومُيز صحيحه من ضعيفه، ليكون تفسيراً وتفصيلاً للقرآن. ثم اهتم العلماء بتفسير ألفاظه فظهرت كتب التفسير، وانبثقت علوم أخرى مستمدة من كتاب الله وخادمة له كعلوم التوحيد، والفقه، والقراءات، وعلوم اللغة المختلفة كالصرف، والنحو، والبلاغة، والمعاجم اللغوية وغيرها.

وعلماء الأمة في عصر الحروب الصليبية ـ وهم يعرفون أهمية كتاب الله بالنسبة للمسلمين ـ أدركوا الخطر الذي تتعرض له الأمة من جراء تكالب أعدائها عليها، خصوصاً النصارى وما يقومون به من حرب عسكرية وفكرية ضد الإسلام في هذه الفترة، وبالتحديد ما يثيرونه حول القرآن رغبةً منهم في زعزعة ثقة الأمة بكتابها، لذلك اشتدت عنايتهم بكتاب الله دفاعاً عنه أولاً، ودعوة لهؤلاء

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: (١).

النصارى ثانياً، وذلك بتفنيد مفترياتهم حوله، وتصحيح شبههم التي قد تمنع الكثيرين منهم من التصديق به.

ولا شك أن التصديق بالقرآن والإيمان به يعني الدخول في الإسلام واعتناقه، إذ إن القرآن والسنّة بينا كل ما يتعلق بهذا الدين من عقائد وتشريعات يجب على المسلم الالتزام بها، والقرآن قد أمر بالأخذ بالسنّة كما قال تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾[١]. ومن ثم فإن تسليم النصارى بصحة القرآن، واقتناعهم بذلك، وقبولهم لأوامره ونواهيه، يعني نبذهم لما هم عليه من عقائد باطلة ودخولهم في الإسلام.

وكانت عناية الأمة في هذه الفترة بدعوة النصارى إلى الإيمان بالقرآن من خلال ما يلي:

أولاً: عناية القرآن بخدمة كتاب الله بشكل عام من خلال المؤلفات في تفسيره، أو قراءته، أو إيضاح غريبه، أو بيان محكمه ومتشابهه، أو ما يتعلق بناسخه ومنسوخه، أو أحكامه، أو إبراز فضائله، أو بلاغته، أو إعرابه، إلى غير ذلك. وفيما يلي نماذج مما ألف في هذه الفنون في عصر الحروب الصليبية.

أ ـ نماذج مما ألف في تفسير القرآن:

١ ـ تفسير القرآن العظيم[٢].

٢ ـ التفسير الكبير[٣].

٣ ـ تفسير الرازي[٤].

---

(١) سورة الحشر، الآية: (٧).

(٢) لعبد السلام بن عبدالله بن الخضر بن محمد بن تيمية ت (٦٥٢ هـ).

(٣) لعبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي ت (٦٦٠ هـ).

(٤) لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ت (٦٦٦ هـ).

٤ ـ تفسير القرآن العظيم[١][٢].

ب ـ نماذج مما ألف في القراءات:

١ ـ التبصرة في القراءات القرآنية[٣].

٢ ـ أرجوزة في القراءات السبع[٤].

٣ ـ أحكام القراءات[٥].

٤ ـ إبراز المعاني من حرز الأماني[٦][٧].

جـ ـ نماذج مما ألف في غريب القرآن:

١ ـ الأريب في تفسير الغريب[٨].

٢ ـ غريب القرآن[٩].

د ـ نماذج مما ألف في المحكم والمتشابه:

١ ـ البرهان في مسائل القرآن[١٠].

---

(١) للمنجي بن عثمان بن أسعد الدمشقي الحنبلي ت (٦٩٥ هـ).

(٢) للتوسع فيما ألف في التفسير في هذه الفترة. انظر: معجم مصنفات القرآن الكريم، د. علي شواخ إسحاق (٢/ ١٦٠) وما بعدها.

(٣) لعبدالله بن علي بن أحمد البغدادي ت (٥٤١ هـ).

(٤) ليحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي ت (٦٢٨ هـ).

(٥) لعلي بن محمد بن الحسين البيهقي ت (٥٦٥ هـ).

(٦) لشهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي المعروف بأبي شامة ت (٦٦٥ هـ).

(٧) للتوسع فيما ألف في القراءات في هذه الفترة. انظر: معجم مصنفات القرآن الكريم د. علي شواخ إسحاق (٤/ ١١) وما بعدها.

(٨) لعبد الرحمن بن علي بن الجوزي ت ٥٩٧ هـ.

(٩) لمحمد بن يوسف بن عمر الكفرطابي ت ٥٥٣ هـ.

(١٠) لعبدالله بن أحمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ت ٦٢٠ هـ.

٢ ـ الآيات المتشابهات[١].

٣ ـ بيان متشابه القرآن[٢].

٤ ـ منظومة في متشابه القرآن بعنوان ـ هداية المرتاب ـ[٣][٤].

هـ ـ نماذج مما ألف في الناسخ والمنسوخ:

١ ـ الإيجاز في ناسخ القرآن ومنسوخه[٥].

٢ ـ الناسخ والمنسوخ[٦].

٣ ـ الناسخ والمنسوح[٧].

٤ ـ الطود الراسخ في المنسوخ والناسخ[٨][٩].

و ـ نماذح مما ألف في أحكام القرآن:

١ ـ أحكام القرآن[١٠].

٢ ـ أحكام القرآن[١١].

---

(١) لأحمد بن يزيد بن عبد الرحمن بن بقي بن مخلد قاضي قضاة المغرب ت ٦٢٥ هـ.

(٢) لعيسى بن عبد العزيز بن عبد الواحد اللخمي الإسكندري ت ٦٢٩ هـ.

(٣) لعلي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني السخاوي المتوفّى سنة ٦٤٣ هـ.

(٤) للتوسع فيما ألف في محكم القرآن ومتشابهه، انظر: معجم مصنفات القرآن الكريم، د. علي شواخ إسحاق (٤/ ١٩٣) وما بعدها.

(٥) لمحمد بن بركات بن هلال الصقلي المصري ت ٥٢٠ هـ.

(٦) لعبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ت ٥٩٧ هـ.

(٧) لعلي بن محمد الأنصاري الخزرجي الأندلسي ت ٦١١ هـ.

(٨) لعلي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي ت ٦٤٣ هـ.

(٩) للتوسع فيما ألف في الناسخ والمنسوخ في هذه الفترة. انظر: معجم مصنفات القرآن الكريم د. علي شواخ إسحاق (٤/ ٢٢٥).

(١٠) لمحمد بن عبدالله بن محمد المعافري المعروف بابن العربي ت ٥٤٣ هـ.

(١١) لعبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجي، ت ٥٩٩ هـ.

٣ ـ الإلمام في أدلة الأحكام[١].

٤ ـ الجامع لأحكام القرآن[٢][٣].

ز ـ نماذج مما ألف في فضائل القرآن:

١ ـ فضائل القرآن[٤].

٢ ـ الدر النظيم في فضائل القرآن العظيم[٥][٦].

ح ـ نماذج مما ألف في بلاغة القرآن:

١ ـ التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن[٧].

٢ ـ بديع القرآن[٨][٩].

ط ـ نماذج مما ألف في إعراب القرآن:

١ ـ إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن[١٠].

٢ ـ إعراب القراءات الشواذ[١١].

---

(١) لعبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي ت ٦٦٠ هـ.
(٢) لمحمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي ت ٦٧١ هـ.
(٣) للتوسع فيما ألف في أحكام القرآن في هذه الفترة. انظر: معجم مصنفات القرآن الكريم د. علي شواخ إسحاق (١/ ٩٤) وما بعدها.
(٤) لمحمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن المقدسي ت ٦٤٣ هـ.
(٥) لمحمد بن أحمد بن الخشاب ت ٥٦٧ هـ.
(٦) للتوسع فيما ألف في أحكام القرآن في هذه الفترة. انظر: معجم مصنفات القرآن الكريم د. علي شواخ إسحاق (١/ ٩٤).
(٧) لعبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني ت ٦٥١ هـ.
(٨) لعبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر العدواني البغدادي ت ٦٥٤ هـ.
(٩) للتوسع فيما ألف في بلاغة القرآن في هذه الفترة. انظر: معجم مصنفات القرآن الكريم د. علي شواخ إسحاق (١/ ١٤٠) وما بعدها.
(١٠) لعبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري ت ٦١٦ هـ.
(١١) لعبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري ت ٦١٦ هـ.

٣ ـ الفريد في إعراب القرآن المجيد[(١)][(٢)].

ولا شك أن هذه المؤلفات حول كتاب الله سبحانه وتعالى تساعد على فهمه وإيضاحه. ولا يخفى أثر ذلك في زيادة ترسيخ إيمان المسلمين بكتاب ربهم، ومن ثم صمودهم أمام شبهات أعدائهم من النصارى وغيرهم. كما أن هذه الدراسات حول كتاب الله ـ وهي تساعد على فهمه ـ قد تزيل غشاوة الجهل عن كثير من النصارى، فيفهمون كتاب الله سبحانه. وقد يكون ذلك سبباً في إسلامهم.

ثانياً: عناية العلماء ببيان إعجاز القرآن بشكل عام، وإبراز ذلك للنصارى بشكل خاص:

حيث اعتنى العلماء في هذه الفترة ببيان إعجاز القرآن بشكل عام، فظهرت مؤلفات قصرت الحديث على هذا الجانب، ككتاب البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن[(٣)]. وكتاب التنبيه على إعجاز القرآن[(٤)].

ولا يخفى أن إظهار إعجاز القرآن له أثر كبير في إقناع غير المسلمين؛ لذلك أبرز بعض العلماء هذا الجانب للنصارى من خلال عدة أمور منها:

١ ـ إثبات إعجازه من خلال حفظه من التحريف والتبديل:

وهذا من أعظم الإعجاز، وما كان ذلك ليتحقق لو وُكل حفظه إلى البشر. حيث أشار القرافي إلى حفظ الله سبحانه وتعالى لكتابه، وذلك بتهيئة أسباب ذلك، من العناية بجمعه، وألا يداخله غيره؛ حذراً مما وقع لأهل الكتاب، ثم نَقْله من السلف إلى الخلف نقلاً متواتراً. فصدق الله إذ يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا

---

(١) لابن أبي العز بن رشيد أبو يوسف منتجب الدين الهمزاني ت ٦٤٣ هـ.

(٢) للتوسع فيما ألف في إعراب القرآن. انظر: معجم مصنفات القرآن الكريم د. علي شواخ إسحاق (٤/ ٢٢٥) وما بعدها.

(٣) لكمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني المتوفّى سنة ٦٥١ هـ.

(٤) لمحمد بن أبي القاسم البقالي الخوارزمي المتوفّى سنة ٥٦٢ هـ.

ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾[1][2].

قال القرطبي حول هذه الآية: «﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ ـ من أن يزاد فيه أو ينقص منه»[3]، وبين ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه الإعلام حفظ الله سبحانه وتعالى لكتابه مقابل التحريف والتبديل الذي جرى على التوراة والإنجيل[4]. ثم أورد أمثلة على ذلك[5][6].

٢ ـ إثبات إعجازه ببيان فصاحته:

وفي ذلك قال الخزرجي مخاطباً النصارى ومبيناً إعجاز القرآن بفصاحته، وأن العرب الأوائل ـ وهم الفصحاء ـ أقروا له بذلك: «فكيف يلتفت إلى مقال العجم الجهلاء»[7].

ثم وضح أن العرب وقت نزول القرآن وهم أشد أعداء الرسول ﷺ، وقد كان منهم ما كان من سب الرسول ﷺ وأصحابه، وإيذائهم بل وحربهم، ما تكلموا في فصاحته. وقد جرى لهم التحدي أن يأتوا بمثله كما قال تعالى: ﴿قُل

---

(١) سورة الحجر، الآية: (٩).

(٢) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (٩٥).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، المجلد الخامس، الجزء العاشر، ص (٥).

(٤) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (١٨٩)، (١٩٣ ـ ١٩٤).

(٥) انظر: المصدر السابق، ص (٩٥)، وما بعدها وص (٢٠٣)، وما بعدها. ومثل هذه الأمثلة أوردها أحمد بن عبد الصمد الخزرجي في كتابه: مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، ص (١٤٢) وما بعدها.

(٦) سيأتي الحديث في إثبات تحريف النصارى لكتابهم وأمثلة على ذلك في المبحث الثاني من هذا الفصل.

(٧) مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، ص (١٩٧).

لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾[1]. فما استطاعوا ذلك، ثم كان التحدي بعشر سور كما قال سبحانه: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾[2] حتى صار التحدي إلى سورة واحدة ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾[3]. ومع ذلك عجزوا ولن يستطيعوا لو حاولوا كما أخبر سبحانه: ﴿وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾[4][5].

وفي مناقشة القرطبي للنصارى في كتابه الإعلام بين أن فصاحة القرآن أمر لا يقبل الشك «حتى أن العاقل الفصيح إذا سمعه قال: ليس هذا من كلام البشر»[6].

ثم وضح نماذج من إعجازه، كقوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾[7]. وكيف أن هذه الآية لما نزلت قال أبو جهل: «إن رب محمد لفصيح».

ثم لفت القرطبي النظر إلى جوانب من الفصاحة في هذه الآية، حيث تضمنت أحكاماً وتفسير الحلال والحرام، والإعراض عن أهل الجهل والاجترام، والأمر بالتزام أخلاق الكرام، مع ما هي عليه من اللفظ الموجز الجزل الرصين[8].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: (٨٨).

(٢) سورة هود، الآية: (١٣).

(٣) سورة يونس، الآية: (٣٨).

(٤) سورة البقرة، الآية: (٢٤).

(٥) انظر: مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، ص (١٩٣).

(٦) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٣٢٧).

(٧) سورة الأعراف، الآية: (١٩٩).

(٨) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٣٢٩ ـ ٣٣٠).

ومثال آخر أورده القرطبي هو قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾[1]. وكيف أن الوليد بن المغيرة[2] لما سمع هذه الآية ـ وهو من أفصح قريش وكان من أشد أعداء الرسول ﷺ قال: «**إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدق، وأن أعلاه لمثمر مورق، وما يقول هذا بشر...**[3]»[4].

وقد جرت مناظرة بين أحد قساوسة بلنسية بالأندلس وأبي علي بن رشيق التغلبي[5]، حول فصاحة القرآن. حيث بدأ القسيس يتكلم حول إعجاز القرآن، وأن العرب ـ وهم الفصحاء البلغاء ـ عجزوا عن الإتيان بشيء مثله، وأن هذا التحدي باق إلى آخر الدهر. فوافقه ابن رشيق على ذلك. بعد ذلك أفصح القسيس عما يريد الوصول إليه، فذكر كتاب المقامات للحريري[6] مدعياً أن

---

(١) سورة النحل، الآية: (٩٠).

(٢) هو الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم، من قضاة العرب وحكمائها وفصحائها، والد الصحابي الجليل خالد بن الوليد، كان مولده قبل الهجرة بخمس وتسعين سنة ووفاته مشركاً في السنة الأولى من الهجرة. وقد كان من أعداء رسول الله ﷺ ومن المنفرين من دعوته.
انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (١/ ٦٦٨ ـ ٦٦٩).

(٣) أخرجه الحاكم، المستدرك، كتاب التفسير، باب تفسير سورة المدثر (٢/ ٥٠٦)، وقال حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه.

(٤) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٣٣٠).

(٥) هو أبو علي الحسين بن عتيق بن الحسين بن رشيق التغلبي، من أهل مرسية بالأندلس، كان مؤرخاً وأديباً، له مشاركة في كثير من الفنون، توفي في محرم سنة ٦٩٦ هـ.
انظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين محمد بن عبدالله بن الخطيب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣م (١/ ٤٧٢ ـ ٤٧٦).

(٦) هو القاسم بن علي بن محمد الحريري، من سكان البصرة، كان من أئمة اللغة والأدب من أشهر كتبه المقامات التي بلغت خمسين مقامة، كانت وفاته سنة ٥١٦ هـ. (انظر: الأنساب، عبد الكريم بن محمد السمعاني، تحقيق: عبدالله عمر البارودي، دار الجنان،

الأدباء والشعراء عجزوا عن معارضته، وأن الحريري قد أنشد بيتين اثنين في إحدى المقامات وتحدى أن يعززهما أحد بثالث، وإن السنين انصرفت وما أتى أحد بثالث لهما، رغم دَرْس الناس لتلك المقامات وتداولها بينهم. وانتهى إلى القول على ضوء ما سبق: أن ما أتى به الحريري كلام فصيح يصح أن يكون معجزة وليس هو بنبي. فإذا حصل ذلك فإن نبوة الرسول ﷺ لا تثبت بمسألة التحدي المنصوص عليه بالقرآن. فلما أخذ ابن رشيق يرد عليه بالأدلة والبراهين العلمية، أخذ القسيس يرد عليه بقوله: قد سمعت هذا وناظرني فيه فلان. في تلك الأثناء انقدح في ذهن ابن رشيق بيت ثالث على شاكلة بيتي الحريري، فساقه للقسيس، الذي راح يفهمه لمن معه، وعند ذلك انقطعت حجة القسيس، وكانت النتيجة كما يقول ابن رشيق: «إنه انفصل عنهم وهم كالمسلمين في انقطاع شبهتهم»[1].

٣ ـ إثبات إعجازه بلفت النظر إلى طريقة نظمه وأسلوبه الغريب:

وفي معرض مناقشة القرطبي للنصارى لفت أنظارهم إلى نظم القرآن وأسلوبه الغريب، «... والذي خالف به أسلوب كلام العرب، حتى كأنه ليس بينه وبينه نسب ولا سبب. فلا هو كمنظوم كلامها فيكون شعراً موزوناً. ولا كمنثوره فيكون نثراً عرياً عن الفواصل محروماً. بل تشبه رؤوس آيته وفواصله قوافي النظم، ولا تدانيها، وتخالف آية متفرقات النثر، وتناويها. فصار لذلك أسلوباً خارجاً عن كلامهم، ومنهاجاً خارجاً لعادة خطابهم»[2].

بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٩٨م، (٣/ ١٠٩). وشرح مقامات الحريري، أحمد بن عبد المؤمن الشريشي تحقيق د. محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢م (١/ ٤ ـ ٥).

(١) انظر: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، أحمد بن يحيى الونشريسي، خرجه جماعة من الفقهاء ـ بإشراف محمد حجي ـ دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١م، (١١/ ١٥٧ ـ ١٥٨).

(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٣٣٣).

ثم ضرب القرطبي مثالاً على ذلك موجهاً إلى النصارى وهو قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿٣٣﴾﴾[(١)]، طالباً منهم التأمل في معاني هذه الآيات، ولافتاً أنظارهم إلى نظمها البديع المنيف الذي عجزت العرب عن معارضته[(٢)].

٤ ـ إعجاز القرآن بإخباره عن بعض المغيبات فتقع كما أخبر:

ومن ذلك بيان الخزرجي لأحد القساوسة النصارى أن من إعجاز القرآن إخباره عن بعض المغيبات فتحصل كما أخبر. حيث أورد العديد من الأمثلة منها:

قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾﴾[(٣)] فما كان بضع سنين حتى تحقق ذلك وغلبت الروم الفرس[(٤)].

ومثال آخر هو قوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحٗا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾[(٥)]، فصدق وعده فدخلوا مكة وتحقق الفتح القريب وهو فتح خيبر[(٦)].

---

(١) سورة مريم، الآيات: (١٦ ـ ٣٣).

(٢) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٣٣٣ ـ ٣٣٤).

(٣) سورة الروم، الآيات: (١ ـ ٦).

(٤) انظر: مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، ص (٢٠٧).

(٥) سورة الفتح، الآية: (٢٧).

(٦) انظر: مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، ص (٢٠٨).

ومن الأمثلة التي أوردها الخزرجي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾﴾[١] فيظفر المسلمون بالنصر على قريش في بدر، وما كذب خبر القرآن.

وبعد عدة أمثلة ذكرها الخزرجي على ذلك خاطب النصارى متعجباً من عدم تصديقهم بالقرآن وبمن جاء به رغم إعجازه، وذلك بقوله: «ومن أعجب الأشياء أنكم تؤمنون بنبوّة مريم وحنة وهما امرأتان، بلا كتاب ومعجزة، ولا ذكرتا في صحف الأنبياء، وتكفرون بسيد المرسلين محمدﷺ وله كتاب يعجز الإنس والجن»[٢].

وأكد القرطبي في رده على النصارى في كتابه الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام أن الإخبار عن المغيبات في القرآن فتقع كما أخبر به من وجوه إعجازه[٣]. ثم عرض أمثلة كثيرة على ذلك[٤].

وفي هذا السياق قال ابن الأنباري[٥]: «فإنه لما كان لا يجوز أن يقع ذلك

---

(١) سورة الأنفال، الآية: (٧).

(٢) مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، ص (٢١٣).

(٣) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٣٣٧).

(٤) انظر: المصدر السابق، ص (٣٣٧) وما بعدها.

(٥) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبدالله الأنصاري، من علماء اللغة وتاريخ الرجال، مولده سنة ٥١٣ هـ ووفاته في بغداد سنة ٥٧٧ هـ، من كتبه: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، وأسرار العربية والبيان في غريب إعراب القرآن وغير ذلك.

انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢١/ ١١٣ ـ ١١٥)، وطبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق عبد الفتاح الحلو وزميله (٧/ ١٥٥).

على وجه الاتفاق دل على أنه من عند علام الغيوب»[١]. ثم أورد أمثلة عديدة على ذلك[٢].

٥ ـ إعجاز القرآن بإخباره عن بعض الأمم السابقة:

تحدث القرطبي عن وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم، وهو ما تضمنه من الأخبار عن الأمم السالفة التي يشهد العلماء بصحتها، مع أن النبيّ ﷺ لم ينل ذلك بتعليم بشري[٣]. حيث أورد في رده على النصارى أمثلة على ذلك. خصوصاً ما كان يثيره أهل الكتاب في عهده ﷺ من أسئلة ينزل القرآن مجيباً عليها، فما ينكرون منها شيئاً، مع شدة عداوتهم لرسول الله ﷺ وحرصهم على تكذيبه، ومن ذلك: سؤالهم عن الروح، وعن ذي القرنين، وعن أصحاب الكهف، وعن عيسى عليه السلام، وعن حكم الرجم، وعن ما حرم إسرائيل على نفسه، وغير ذلك من أمورهم التي نزل القرآن مجيباً عنها فلم ينكروا منها شيئاً[٤].

ثالثاً: الدعوة إلى الإيمان بالقرآن من خلال رد الشبه التي أثيرت حوله:

وما أكثر الشبه والمفتريات التي أثارها ويثيرها أعداء الإسلام على القرآن عبر التاريخ الإسلامي.

وأعداء الإسلام من النصارى في فترة الحروب الصليبية رددوا شبه من كان قبلهم، وافتروا غيرها طعناً في هذا الدين، وإضعافاً للمسلمين، ويأبى الله إلا أن يتم نوره.

وقد تصدى علماء الأمة في فترة الحروب الصليبية للرد على مطاعن

---

(١) الداعي إلى الإسلام، عبد الرحمن بن محمد الأنباري، تحقيق سيد حسين باغجوان، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ، ص (٤٢٤).

(٢) انظر: المصدر السابق، ص (٤٢٤) وما بعدها.

(٣) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٣٤٣).

(٤) انظر: المصدر السابق، ص (٣٤٣) وما بعدها.

النصارى ومفترياتهم حول كتاب الله، كالقرافي، والخزرجي، وابن الأنباري، وابن رشيق التغلبي، وغيرهم[1]. ولا يخفى أثر إزالة الشبه في قبول الحق لدى من يمنعه من الهدى سوء فهم، أو تضليل معاند. يقول القرطبي في مقدمة نبذة كتبها عن محاسن الإسلام: «... إنه لا يبعد أن يقف على هذا الكتاب نصراني أو يهودي لم يسمع قط من ديننا تفصيلاً ولا تصريحاً، بل إنما سمع له سباً وتقبيحاً. فأردت أن أسرده على الجملة؛ ليتبين حسنه لمن كان ذكي العقل، صحيح الفطرة. فلعل ذلك أن يكون سبب هداه، وجلاء عماه...»[2].

---

(١) سيأتي تفصيل هذه الشبه والرد عليها في المبحث الثالث من هذا الفصل.

(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٤٣٩).

المطلب الرابع

الدعوة إلى الإيمان بنبوّة محمد ﷺ

نبوّة محمد ﷺ كانت ولا تزال أساس الحوارات والمناظرات التي تجري بين المسلمين وغيرهم. ففي الوقت الذي يسعى الدعاة المسلمون إلى الإقناع بصدقه ﷺ وصحة رسالته، يسعى المعاندون إلى تكذيب ذلك بل وإثارة الشبه حول شخصه ﷺ وحول رسالته.

لذلك ما ترك علماء الأمة صغيرة ولا كبيرة في حياته ﷺ إلا كتبوا عنها، وما غادروا شيئاً من أقواله وأفعاله إلا قيدوه وميزوا صحيحه من ضعيفه، فكتبوا في سيرته، ومغازيه، وأخلاقه، وشمائله، ومناقبه، وفضائله، وحقوقه، ودلائل نبوّته، ومعجزاته[1]، وهديه. وصنفوا في أقواله وأفعاله فظهرت الموسوعات الحديثية كالصحيحين، والسنن، والمسانيد، والمصنفات، وغيرها من كتب الحديث، فصار القارىء في أي جانب من هذه الجوانب المتعلقة به ﷺ كأنه عاش معه لدقة ما نُقِل عنه.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في المعجزات: «وتسمى دلائل النبوّة، وأعلام النبوّة، وهذه الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات، ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجوداً في الكتاب والسنّة وإنما فيه لفظ: الآية والبرهان».

الجواب الصحيح، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. علي بن حسن بن ناصر وآخرين، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٩م، (٥/ ٤١٢).

وقد أثبت لفظ ـ المعجزات ـ هنا لما درج عليه علماء ذلك العصر في ردهم على النصارى.

وفي عصر الحروب الصليبية كان من أهم الأمور التي دعا المسلمون النصارى إليها الإيمان بنبوّة محمدﷺ، ولا شك أن تصديق النصارى بذلك وإيمانهم به يعني بالضرورة نبذهم لما هم عليه من الكفر والضلال والدخول في الإسلام.

وقد كانت الدعوة إلى الإيمان بمحمدﷺ من خلال جانبين:

الجانب الأول: إثبات نبوّتهﷺ. **والجانب الثاني**: رد الشبه التي يثيرها النصارى حول شخصه أو نبوّته.

وفيما يلي عرض لهذين الجانبين:

الجانب الأول: الدعوة إلى الإيمان بهﷺ من خلال إثبات نبوّته: وقد اتجه العلماء في هذه الفترة إلى إثبات نبوّته عليه الصلاة والسلام من خلال ما يلي:

أولاً: من خلال تأليف الكتب عنهﷺ بشكل عام، خاصةً ما يتعلق بدلائل نبوّته، ومعجزاته، وشمائله، وأخلاقه، ومناقبه، وفضائله، ومن الأمثلة على هذه الكتب ما يلي:

- الدر الثمين في خصائص النبيّ الأمين[١].
- ذكر ما أعطي نبيّنا محمدﷺ دون الأنبياء[٢].
- نهاية السول في خصائص الرسول[٣].
- الآثار المرضية في فضائل خير البرية[٤].
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى[٥].

---

(١) لعبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي المتوفّى سنة ٥٢٠ هـ.

(٢) لمحمد بن عبد الواحد بن أحمد «الضياء المقدسي» المتوفّى سنة ٦٤٣ هـ.

(٣) لعمر بن الحسن بن علي بن محمد (بن دحية الكلبي) المتوفّى سنة ٦٣٣ هـ.

(٤) للحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي المتوفّى سنة ٦٠٠ هـ.

(٥) للقاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي المتوفّى سنة ٥٤٤ هـ.

ـ بداية السول في تفضيل الرسول[1][2].

ـ أعلام النبوّة[3].

ـ دلائل النبوّة[4].

ـ دلائل النبوّة[5].

ـ دلائل النبوّة[6].

ـ الآيات البينات في ذكر ما في أعضاء رسول الله ﷺ من المعجزات[7].

ـ البشائر والأعلام لسياق ما لسيدنا محمد ﷺ من الآيات البينات والمعجزات والأعلام[8][9].

ثانياً: من خلال المؤلفات الموجهة إلى النصارى وفي ثناياها الحديث عن نبوّته ﷺ. وكانت طريقة العلماء في ذلك على النحو التالي:

أ ـ إثبات نبوّته ﷺ من خلال دعواه النبوّة. حيث وضح الجعفري في كتابه الرد على النصارى أن مجيء محمد ﷺ ودعواه النبوّة أمر مقطوع به، قد ثبت عن

---

(١) لعبد العزيز بن عبد السلام بن الحسن السلمي «العز بن عبد السلام» المتوفّى سنة ٦٦٠هـ.

(٢) للتوسع فيما ألف في مناقب الرسول ﷺ وفضائله، وأخلاقه، انظر: معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ، د. صلاح الدين المنجد، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٤٠٢ هـ، ص (١٨٩) وما بعدها.

(٣) لمحمد بن عبدالله بن محمد بن ظفر الصقلي المكي المتوفّى سنة ٥٦٥ هـ.

(٤) لإسماعيل بن محمد بن الفضل القرشي الأصبهاني المتوفّى سنة ٥٣٥ هـ.

(٥) لمصعب بن محمد بن مسعود الخشني الأندلسي المتوفّى سنة ٦٠٤ هـ.

(٦) لمحمد بن عبد الواحد المقدسي «الضياء المقدسي» المتوفّى سنة ٦٤٣ هـ.

(٧) لعمر بن الحسن بن علي «ابن دحية الكلبي» المتوفّى سنة ٦٣٣ هـ.

(٨) للحسن بن علي بن محمد القطان المتوفّى سنة ٥٤٨ هـ.

(٩) للتوسع فيما ألف في معجزات النبيّ ﷺ ودلائل نبوّته، انظر: معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ، د. صلاح الدين المنجد، ص (٦٢) وما بعدها.

طريق التواتر فلا يسوغ النزاع فيه. وإن من أنكر ذلك كمن جحد وجود بغداد ومكة[1].

ب ـ إثبات نبوّته من خلال ذكر البشارات بهﷺ من التوراة والإنجيل.
حيث أسهب العلماء في هذه الفترة بذكر البشارات بمحمدﷺ من التوراة والإنجيل. وذلك إلزاماً للمعاندين من النصارى بما لا يستطيعون إنكاره، وإيضاحاً لمن يجهل ذلك منهم، أو حال بينه وبين فهمه تضليل مبطلٍ من قساوستهم.

حيث ساق الجعفري مثلاً أربعاً وثمانين بشارة بنبوّة محمدﷺ من التوراة والإنجيل[2]. وسرد القرافي إحدى وخمسين بشارة في كتابه الأجوبة الفاخرة[3].

وقد أسهب الخزرجي والقرطبي والمتطبب في معرض ردودهم على النصارى بذكر البشارات بهﷺ من التوراة والإنجيل[4].

ومن أبرز الأمثلة على هذه البشارات ما يلي:

أولاً: البشارات بمحمدﷺ من التوراة:

١ ـ قال الجعفري: جاء في التوراة «قال موسى: أقبل الله من سينا وتجلى

---

(١) انظر: الرد على النصارى، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمد محمد حسانين، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٨م، ص (٩٥).

(٢) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/ ٦٥١) وما بعدها.

(٣) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١٦٣) وما بعدها.

(٤) مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، ص (٢١٤) وما بعدها. والإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٢٦٣) وما بعدها. والنصيحة الإيمانية، نصر بن يحيى المتطبب، تحقيق د. محمد الشرقاوي، ص (١٣٨) وما بعدها.

(٥) الكتاب المقدس، سفر التثنية، الإصحاح (٣٣/ ١ ـ ٣)، مع اختلاف يسير في اللفظ عما

من ساعير وظهر في جبال فاران معه ربوات الأطهار عن يمينه»[1].

وقد علق الجعفري على هذه البشارة بقوله: «فسيناء الجبل الذي كلم الله فيه موسى، وساعير هو جبل الخليل بالشام، وكان المسيح يتعبد فيه ويناجي ربه، وفاران جبل بني هاشم الذي كان رسول الله ﷺ يتحنث فيه ويتعبد. وقد خصت التوراة نبيّنا محمد ﷺ بزيادة على موسى وعيسى فقالت: ـ معه ربوات الأطهار، عن يمينه ـ وذلك كناية عن أصحاب رسول الله ﷺ»[2].

وقال القرطبي بعد ذكره لهذه البشارة مع اختلاف يسير في ألفاظها: «ولا اختلاف أن فاران ـ مكة ـ وقد قال في التوراة: إن الله أسكن هاجر وابنها إسماعيل فاران»[3]، ثم خاطب النصراني بقوله: «ففكر على الإنصاف وتثبت، مَن الجائي المقبل من جبال فاران مع آلاف من الصالحين؟[4] وإن الجائي منها محمد ﷺ وأمته[5].

أورده الجعفري.

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/ ٦٥٥).

(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٢٦٥).

(٣) المصدر السابق، ص (٢٦٥).

(٤) يوضح شيخ الإسلام ابن تيمية في تعليقه على هذه البشارة أن المقصود بمجيء الله من طور سيناء ـ كما قرر ذلك كثير من العلماء ـ إنزاله التوراة على موسى، وأن إشراقه من جبل ساعير إنزاله الإنجيل على المسيح، وساعير هي أرض الخليل. انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. علي بن حسن بن ناصر وآخرين (٥/ ١٩٩ ـ ٢٠٠).

كذلك بين شيخ الإسلام أن المقصود بفاران جبل حراء الذي كان فيه نزول أول الوحي على رسول الله ﷺ، كما أن البرية التي بين مكة وطور سيناء تسمى برية فاران. ولا يمكن لأحد أن يدعي أنه بعد المسيح نزل كتاب في تلك الأرض ولا بعث نبيّ إلا محمد ﷺ. فَذِكْر ذلك في التوراة جاء على الترتيب الزماني: إنزال التوراة، ثم الإنجيل، ثم القرآن. انظر: المصدر السابق (٥/ ٢٠٢).

٢ ـ ومن بشارات التوراة بهﷺ التي أوردها الجعفري أن الله قال: «يا موسى إني سأقيم لبني إسرائيل نبياً من إخوتهم مثلك، أجعل كلامي في فيه، ويقول لهم ما آمره به، والذي لا يقبل قول ذلك النبيّ الذي يتكلم باسمي أنا أنتقم منه ومن سبطه»(١).

وقد علق الجعفري على ذلك موضحاً أن إخوة بني إسرائيل هم ولد إسماعيل الذين منهم محمدﷺد ولا يجوز بأن يكون هذا النبيّ الموعود من بني إسرائيل لأن الله قال: «نبي مثلك» ولم يُبعث في بني إسرائيل نبي مثل موسى جاء بكتاب مُنزل وشرع مبتدإٍ، فتعين لذلك أن يكون هذا النبي من ولد إسماعيل وهو محمد ﷺ(٢).

وقد فسر القرطبي هذه البشارة بأن النبي المبشر به من إخوة بني إسرائيل وهم العرب مستدلاً على ذلك بقوله: «أجعل كلامي في فيه» إشارة إلى القرآن، وبالانتقام ممن عصاه بإهلاك صناديد قريش وعظماء الفرس والروم(٣).

وقال نصر بن يحيى المتطبب: «لو كانت هذه البشارة لنبي من بني إسرائيل لم يكن لها معنًى، لأن الله تعالى قد بعث بعد موسى خلقاً كثيراً من الأنبياء من بني إسرائيل، واليهود تعتقد أنه لا يجيء من بني إسرائيل بعد موسى مثل موسى...(٤).

إضافة إلى أنه قال: «نبياً من إخوتهم» أي أنه ليس من أنفسهم والأنبياء الذين بعثوا بعد موسى من بني إسرائيل وليس من إخوتهم فتعين أن يكون

---

(١) الكتاب المقدس، سفر التثنية، الإصحاح (١٨/ ١٨، ١٩) مع اختلاف يسير في اللفظ عما أورده الجعفري.

(٢) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/ ٦٥٧).

(٣) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٢٦٤).

(٤) النصيحة الإيمانية، نصر بن يحيى المتطبب، تحقيق د. محمد الشرقاوي، ص (١٤٥).

محمدﷺ الذي هو من ولد إسماعيل إخوة بني إسرائيل[١].

٣ ـ قال الجعفري: جاء في التوراة: «قال موسى لبني إسرائيل: لا تطيعوا العرافين ولا المنجمين، فسيقيم لكم الرب نبيّاً من إخوتكم مثلي، فأطيعوا ذلك النبي»[٢].

وقد أورد هذه البشارة أيضاً القرافي[٣].

وعلق الجعفري على هذه البشارة موضحاً أن النبيّ الموعود هو محمدﷺ؛ إذ لا يمكن أن يكون هو هارون أخو موسى حيث مات في حياة أخيه، ولا يوشع بن نون الذي هو من بني إسرائيل والله تعالى يقول: «من إخوتهم»، ولا يصح أن يكون هذا النبيّ الموعود المسيحعليه السلام؛ إذ هو عند اليهود كذاب والنصارى يزعمونه الرب[٤].

٤ ـ وجاء في التوراة قول داودعليه السلام في مزمور له: «إن ربنا عظيم محمود جداً، وفي قرية إلهنا قدوس، ومحمد قد عم الأرض كلها فرحاً»[٥]. حيث أورد هذه البشارة كل من الجعفري والقرافي موضحين أنه تم النص فيها على اسم محمدﷺ وبلده التي سميت بقرية الله تعالى، ثم بينت هذه البشارة أن كلمته تعم أهل الأرض[٦][٧].

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص (١٤٥).

(٢) الكتاب المقدس، الإصحاح (١٨/ ١٤ ـ ١٥)، مع اختلاف يسير في اللفظ.

(٣) الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١٦٤).

(٤) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/ ٦٥٨).

(٥) الكتاب المقدس، سفر المزامير، الإصحاح (٤٨/ ١، ٢)، ونصها: «عظيم هو الرب وحميد جداً، في مدينة إلهنا جبل قُدْسه جميل الارتفاع فَرَحُ كل الأرض جبل صهيون فَرَحُ أقاصي الشمال مدينة الملك العظيم».

(٦) انظر: المصدر السابق (٢/ ٦٦١)، والأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١٧١).

(٧) كما ورد في الحديث عنه ﷺ أنه قال: «**إن الله زوى لي الأرض مشارقها ومغاربها وإن**

٥ ـ ومن بشارات التوراة قول داودﷺ: «لترتاح البوادي وقراها ولتصير أرض قيدار مروجاً، وتسبح سكان الكهوف ويهتفون من قلل الجبال بمحامد الرب، ويذيعون تسابيحه في الجزائر»[١] حيث أورد هذه البشارة الجعفري[٢] والقرافي[٣]، وساقها مع شيء من الاختلاف اليسير في بعض ألفاظها الخزرجي[٤] والقرطبي[٥].

وقيدار هو ابن إسماعيل جد رسول اللهﷺ، والبوادي المقصود بهم أمة محمدﷺ. ومَنْ سكان الكهوف وقلل الجبال سوى العرب الذين ينادون من رؤوسها بالآذان والتلبية تمجيداً لله سبحانه وتعالى[٦].

٦ ـ وفي التوراة قال نبيّ الله أشعيا: لتفرح البادية العطشاء، ولتبتهج البراري والفلوات، ولتزهو فإنها ستعطي بأحمد أحسن محاسن لبنان حتى تصير

أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها» أخرجه مسلم، الصحيح، كتاب الفتن، باب هلاك هذه الأمة بعض ببعض، حديث رقم ٢٨٨٩، ص (١١٥٨).

(١) هذا النص أورده الجعفري، وهي في الكتاب المقدس مع اختلاف يسير في اللفظ في سفر أشعيا، الإصحاح (٤٢/١١ ـ ١٢).

(٢) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/٦٦٢).

(٣) الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١٧١).

(٤) انظر: مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، ص (٢٢٥).

(٥) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٢٧٣).

(٦) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/٦٦٢)، والأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١٧١)، والإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٢٧٣)، ومقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، ص (٢٢٥).

كالدساكر[1] والرياض، وسيرون جلال الله وبهاء إلهنا». حيث ذكر هذه البشارة الجعفري[2]، ومع اختلاف يسير في بعض ألفاظها أوردها الخزرجي والقرافي مبينين أن هذه البشارة نصت على اسمه ﷺ واسم بلده[3]. وقد قال الجعفري بعدها: «أفلا يستحيي من يحجم عن الإسلام من نبيّ الله أشعيا مع إبطال أقواله، ورد أخباره، وتكذيب شهادته، والقدح في رواياته، وأي شك في صدر لبيب بعد سماعه أشعيا ينص على اسم نبيّنا واسم أرضه»[4].

٧ ـ وقال النبيّ أشعيا في مكة شرفها الله: «سُرِّي واهتزي أيتها العاقر التي لم تلد، وانطقي بالتسبيح وافرحي إذ لم تحبلي، فإن أهلك يكونون أكثر من أهلي». حيث ذكر هذه البشارة كل من الجعفري[5] والقرافي[6]، وأوردها مع اختلاف يسير في الألفاظ كل من القرطبي[7] والخزرجي[8].

---

(١) الدساكر جمع دَسْكَرَةُ وهي القرية، والصومعة، والأرض المستوية، وبيوت الأعاجم يكون فيها الشراب والملاهي، انظر: القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مادة دَسَر، ص (٥٠١).

(٢) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/ ٦٧١)، وهي في الكتاب المقدس مع اختلاف يسير في ألفاظها في سفر أشعيا، (٣٥/ ١ ـ ٢).

(٣) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١٧٥ ـ ١٧٦). ومقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، ص (٢٢٨).

(٤) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/ ٦٧١).

(٥) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/ ٦٧٤)، وهي في الكتاب المقدس مع اختلاف يسير في ألفاظها في سفر أشعيا، الإصحاح (٥٤/ ١).

(٦) الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١٧٦).

(٧) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٢٧٨ ـ ٢٧٩).

(٨) انظر: مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي،

والمراد بالعاقر مكة شرفها الله لأنها لم تلد نبيّاً قبل محمدﷺ، ويقصد بقوله ـ أكثر من أهلي ـ أي أهل بيت المقدس؛ إذ لا يجوز أن يعني بالعاقر بيت المقدس لأنه بيت الأنبياء ومعدن الوحي. ولأن أهل مكة الذين هم على الحق باتباعهم محمدﷺ أكثر من أهل الحق الذين هم على حقيقة التوراة. فيخرج أهل الضلال من اليهود والنصارى[(١)].

ثانياً: البشارات بمحمدﷺ من الإنجيل:

١ ـ ما ورد من البشارات به بلفظ «الفارقليط»: ومن نصوص الإنجيل في ذلك قول يوحنا الإنجيلي: قال المسيح: «إن الفارقليط روح الحق الذي يرسله أبي هو يعلمكم كل شيء»[(٢)]. وقول المسيح: «إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، وسأرغب إلى الأب في أن يبعث إليكم البرقليط»[(٣)]. وقوله: «أنا ذاهب إلى أبي وأبيكم، وربي وربكم، ليبعث لكم البارقليط الذي يأتيكم بالتأويل، وذلك أنه يأخذ من الذي أخذت»[(٤)]. وقوله: «اللهمّ أبعث الفارقليط ليعلم الناس أن ابن الإنسان بشر»[(٥)]. وقوله: «إذا جاء الفارقليط الذي أبي أرسله، روح الحق الذي من أبي هو يشهد لي، قلت لكم هذا حتى إذا كان تؤمنوا به ولا تشكوا فيه»[(٦)].

تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، ص (٢٧٥).

(١) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١٧٦).

(٢) هذا النص الذي أورده الجعفري في التخجيل (٢/ ٧٠١)، وورد في الكتاب المقدس مع اختلاف يسير في اللفظ في إنجيل يوحنا، الإصحاح (١٤/ ٢٦).

(٣) هذا النص أورده القرطبي في الإعلام ص (٢٦٨)، وورد في الكتاب المقدس مع اختلاف يسير في اللفظ في إنجيل يوحنا، الإصحاح (١٤/ ١٥ ـ ١٨).

(٤) هذا النص الذي أورده المتطبب في النصيحة الإيمانية، ص (١٣٩)، وحول هذا المعنى ورد في الكتاب المقدس في إنجيل يوحنا، الإصحاح (١٥/ ٢٦ ـ ٢٧)، والإصحاح (١٦/ ١٢، ١٤).

(٥) أورد هذا النص الخزرجي في كتابه مقامع الصلبان، ص (٢٢٠)، ولم أجده في نسخة الكتاب المقدس التي في يدي.

(٦) هذا النص الذي أورده الجعفري في التخجيل (٢/ ٧٠٨)، وورد في الكتاب المقدس مع

قال الجعفري معلقاً على هذه البشارة: «واعلموا أن رسول الله ﷺ قد شهد للمسيح في غير موضع من الكتاب العزيز بالنبوّة والرسالة، وصدقه فيما جاء به من عند الله كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[2]، وقول المسيح هذا يشعر بتقدم رسالة محمد ﷺ، لأن المسيح عليه السلام ذكر ذلك بلفظ الماضي فقال: الله أرسله ولم يقل: إنه يرسله.

ويؤيد ذلك قول النبيّ ﷺ وقد سُئل متى وجبت لك النبوّة؟ فقال عليه السلام: **«كنت نبيّاً وإن آدم لمنجدل في طينته»**[3].

ومعنى كلمة «الفارقليط» التي وردت في هذه البشارات أي الحامد والحماد والمقصود به محمد ﷺ[4]. وهي لفظة رومية تعني باللغة العربية محمد[5][6].

اختلاف يسير في اللفظ في إنجيل يوحنا، الإصحاح (١٥/ ٢٦ ـ ٢٧).

(١) سورة المؤمنون، الآية: (٥٠).

(٢) سورة النساء، الآية: (١٧١).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده حديث رقم (١٧١٥٠)، (٢٨/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠)، قال محققوه: حديث حسن لغيره، وأخرجه بنحوه الحاكم، المستدرك على الصحيحين وبذيله التلخيص للذهبي، وصححه ووافقه الذهبي (٢/ ٦٠٧ ـ ٦٠٩).

(٤) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/ ٧٠٢).

(٥) انظر: مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، ص (٢٢١)، والإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٢٦٩).

(٦) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهذا اللفظ، لفظ الفارقليط في لغتهم ذكروا فيه أقوالاً: قيل: إنه الحماد، وقيل: الحامد، وقيل: المعز، وقيل: إنه الحمد...» الجواب الصحيح، تحقيق د. علي بن حسن بن ناصر وآخرين (٥/ ٢٨٧)، ثم قرر شيخ الإسلام أن هذه اللفظة والصفات التي ذكرت في سياقها لا تنطبق إلا على محمد ﷺ. انظر: الجواب الصحيح، تحقيق: د. علي بن حسن بن ناصر (٥/ ٢٩٣).

٢ ـ ومن بشارات الإنجيل قول متّى التلميذ: «ألم تقرؤوا أن الحجر الذي أرذله البناؤون صار رأساً للزاوية من عند الله، كان هذا وهو عجيب في أعيننا، ومن أجل ذلك أقول لكم: إن ملكوت الله ستؤخذ منكم وتدفع إلى أمة أخرى تأكل ثمرتها، ومن سقط على هذا الحجر يتخدش، وكل من سقط عليه يمحق»(١).

وقد فسر كل من الجعفري والقرافي هذه البشارة بأن هذه الأمة التي دُفِعَ لها ملكوت الله تعالى بعد نزعه من النصارى هي أمة محمدﷺ، وأن هذا الذي كل

«وكلمة الفارقليط اسم مركب من مقطعين، الأول: Peri، والثاني: Kleitos، مشتق من التمجيد والثناء ويكتب: Periqlytos أو Periqleitos مما يعني تماماً اسم أحمد باللغة العربية أي أكثر ثناءً وحمداً».

انظر: محمد ﷺ كما ورد في كتاب، اليهود والنصارى، برفيسور/ عبد الأحد داود، ترجمة محمد فاروق الزين، الطبعة الأولى، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧م، ص (١٩٧).

قال د. محمود قدح: «وقد أبدلت لفظة البارقليط في الترجمات الحديثة للأناجيل بألفاظ أخرى مثل: المعزي، المحامي، المعين، المخلص، الوكيل، الشافع، «تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/ ٧٠٣)، وقال د. محمد عبدالله الشرقاوي: «وفي بعض الترجمات أضيف إلى كلمة ـ المعزي ـ روح القدس، حتى تنصرف إلى روح المقدس الذي نزل على التلاميذ بالدار فألهمهم ـ حسبما يقولون ـ ولا تنصرف إلى النبيّ الذي يأتي بعد المسيح وهو محمد ﷺ وتبديل النصارى لكتابهم وتحريفهم له واضح تماماً في هذه النقطة وفي غيرها» النصيحة الإيمانية، نصر بن يحيى المتطبب، تحقيق د. محمد الشرقاوي، ص (١٤٠).

وانظر للتوسع في معنى كلمة الفارقليط: الجواب الصحيح، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. علي بن حسن بن ناصر وآخرين (٥/ ٢٨٧) و(٥/ ٣٠٢)، ومحمد ﷺ كما ورد في كتاب اليهود والنصارى، برفيسور عبد الأحد داود، ترجمة محمد فاروق الزين، ص (١٨٣) وما بعدها. وإظهار الحق، رحمة الله الهندي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي، القاهرة، ص (٥١١ ـ ٥١٤).

(١) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح، (٢/ ٧١٥)، والأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١٧٠).

من غزاه انشدخ، وكل من تولى هو غزوه وقتاله محق ليس إلا محمدﷺ[1][2].

٣ ـ وفي بشارة أخرى في الإنجيل: «قالت امرأة من أولاد يعقوب للمسيح: يا سيد، آباؤنا سجدوا في هذا الجبل، وأنتم تقولون إنه أورشليم؟ فقال المسيح: يا هذه آمني، فإنه ستأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم يسجدون للرب»[3]. وقد وضح كل من الجعفري والقرافي هذه البشارة وأن هذا القول من المسيح تنويه بأمر الكعبة. فإن التوجه إليها على يد محمدﷺ نَسَخَ ما عداها، وصار السجود لله تعالى لا إلى أورشليم ولا إلى غيرها بل إلى جهة الكعبة لا غير[4].

٤ ـ ومن بشارات الإنجيل: قول شمعون الصفار رئيس الحواريين: «إنه قد حان أن يبتدىء الحكم من بيت الله ابتداءً». وقد أورد هذه البشارة الجعفري[5] الذي فسرها بقوله: «فبيت الله الذي ذكره الحواري هو الكعبة شرفها الله، ومنها

---

(١) هذا النص أورده الجعفري في التخجيل (٢/ ٧١٥)، والقرافي في الأجوبة الفاخرة، ص (١٧٠)، وورد في الكتاب المقدس مع اختلاف يسير في اللفظ في إنجيل متى، الإصحاح (٢١/ ٤٢، ٤٤).

(٢) قال ابن القيم: «وتأمل قوله في البشارة ـ ألم تر إلى الحجر الذي أخره البناؤون صار رأساً للزاوية، «كيف نجده مطابقاً لقول النبيّ ﷺ: **«ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى داراً فأكملها وأتمها إلا موضع لبنة منها. فجعل الناس يطوفون بها ويعجبون منها ويقولون: «هلا وضعت تلك اللبنة؟ فكنت أنا تلك اللبنة»**. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، محمد بن أبي بكر «ابن القيم» من مطبوعات الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ص (٦٣). والحديث أخرجه البخاري برقم (٣٥٣٥) ومسلم برقم (٢٢٨٦) مع اختلاف يسير في اللفظ.

(٣) هذ النص أورده الجعفري في التخجيل (٢/ ٧١٣)، وكذلك القرافي في الأجوبة، ص (١٦٨)، وورد في الكتاب المقدس مع اختلاف يسير في اللفظ في إنجيل يوحنا، الإصحاح (٤/ ١٨، ١٩).

(٤) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح، (٢/ ١٧٣).

(٥) أوردها في التخجيل (٢/ ٧١٧)، وجاءت في الكتاب المقدس مع اختلاف يسير في اللفظ في رسالة بطرس الأولى، الإصحاح (٤/ ١٧).

كان ابتداء الحكم الجديد، ولا يحسن تنزيل هذا الكلام على بيت المقدس؛ لأن حكم ذاك كان مستمراً عند صدور هذا الكلام من شمعون. ولا يليق إلا بشرع جديد مبتدأ، ولا يقال فيما كان مستمراً: إنه قد حان أن يبتدأ»(١).

جـ ـ إثبات نبوّته ﷺ من خلال إبراز معجزاته التي أظهرها الله على يديه تأييداً له وتصديقاً لما جاء به. وقد أسهب علماء ذلك العصر في إبراز معجزات النبيّ ﷺ وإيضاحها بشكل عام من خلال مؤلفات خاصة بها. واعتنى آخرون بتفصيلها في معرض الرد على النصارى كأدلة على صدق نبوّته ﷺ، وأملاً في أن تكون سبباً لهداية من شاء الله منهم.

وفيما يلي أمثلة مما أورده علماء ذلك العصر من معجزاته ﷺ في مناقشاتهم وردودهم على النصارى.

أولاً: المعجزات المعنوية(٢):

أ ـ القرآن الكريم: حيث انصرف جانب من جهود علماء عصر الحروب الصليبية إلى إبراز إعجاز القرآن بشكل عام، فألفوا في ذلك كتباً قصرت الحديث على هذا الجانب فحسب(٣). واهتم بعضهم في إبراز إعجاز القرآن للنصارى خاصة وذلك في معرض مناقشاتهم معهم من خلال إثبات إعجازه بحفظه وسلامته من التحريف والتبديل، ومن خلال فصاحته التي عجز العرب الفصحاء عن الإتيان بمثلها، ومن خلال طريقة نظمه وأسلوبه الغريب، أو إخباره عن بعض المغيبات فتقع كما أخبر، إلى غير ذلك من وجوه الإعجاز(٤).

---

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/ ٧١٧ ـ ٧١٨).

(٢) عرضت بعض معجزاته ﷺ التي أبرزها علماء ذلك العصر في ردودهم على النصارى بحسب تقسيم ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ وذلك باعتبار المدركين لها، حيث قسمها إلى معنوية وحسية.

(٣) انظر: أمثلة على ذلك في المطلب الثالث في المبحث الأول من هذا الفصل.

(٤) انظر: أمثلة على ذلك في المطلب الثالث في المبحث الأول من هذا الفصل.

فلا يكاد يخلو مؤلف موجه للنصارى في هذه الفترة من الإشارة إلى القرآن بصفته معجزة لرسول الله ﷺ، وإبرازه وجوه إعجازه.

فمن ذلك مثلاً أنه بعد ما رد ابن الإنباري على النصارى في كتابه الداعي إلى الإسلام عقد فصلاً في إثبات نبوّة محمد ﷺ من خلال تأييده بالمعجزات التي أعظمها القرآن الكريم حيث قال: «... وقد ظهر على يده من المعجزات أكثر من ألف معجزة أعظمها وأبقاها على مرور الدهور والأزمان القرآن المعجز للأولين والآخرين»[(١)]. ثم وضح بعد ذلك شيئاً من وجوه إعجازه.

وقد ألزم القرافي النصارى بالإيمان بنبوّة محمد ﷺ لأنه جاء بأعظم معجزة وهي القرآن، جاء بذلك في زمن الفصحاء وتحداهم به وعجزوا عن الإتيان بمثله. ثم قرر بعد ذلك أن المعجزة تفيد النبوّة، فإن أنكروا ذلك لزمهم إنكار نبوّة موسى عليه السلام لأنه جاء أيضاً بمعجزة وصدقوه بها[(٢)].

وبعد أن ذكر الجعفري نماذج من بشارات التوراة والإنجيل بمحمد ﷺ، تحدث عن معجزاته ودلائل نبوّته مبتدئاً بالقرآن الكريم وموضحاً وجوه إعجازه[(٣)].

ثم بين عدم استطاعة النصارى المنازعة في كون النبيّ ﷺ قد جاء بهذا القرآن مع كونه أمياً نشأ بأرض لا علوم بها ولا معارف. إذ هم محجوجون بالتواتر. فلو جاز أن يتطرق الشك إلى ذلك لجاز أيضاً على سائر معجزات الرسل عليهم السلام[(٤)].

ب ـ أخلاقه ﷺ وسيرته وقرائن أحواله: فما جبله الله عليه من الخلق

---

(١) الداعي إلى الإسلام، عبد الرحمن بن محمد الأنباري، تحقيق: سيد حسين باغجوان، ص (٣٩٣).

(٢) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١٤٣).

(٣) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح، (٢/ ٧٢٧).

(٤) الرد على النصارى، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمد محمد حسانين، ص (٩٥).

العظيم الذي وصفه الله به بقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝﴾[1]، كالزهد في الدنيا، والعلم، والحكمة، والبيان، والتواضع، والرحمة، والوقار، والهيبة حتى وصل درجة الكمال في ذلك كله، هذا ولا شك من أعظم الدلائل على صدق نبوّته ﷺ[2].

ولم يغفل كثير من علماء ذلك العصر في مناقشاتهم مع النصارى ذلك الأمر بوصفه أحد الأدلة على صدق نبوّته ﷺ. فبعد أن ناقش ابن الأنباري بعض عقائد النصارى عقد فصلاً في معجزاته ﷺ مبرزاً أخلاقه وسيرته كأحد الأدلة على صدقه ﷺ حيث قال: «... فمنذ أن نشأ يافعاً إلى أن بلغ شاباً لم يطلع منه بشر على خلة تنافي العصمة في قول أو فعل أو حال ينكرها ذو دين أو عقل... ولا خفاء على ذي عقل ولب أن عصمة الصبيان والشبان في كل قول وفعل وحال، خارق للعادة. ومن كان بهذه المثابة في حال صغره وشبيبته فكيف في حال كبره ونبوّته؟»[3].

ثم قال: «... وأحواله كلها معجزة خارقة للعادة، وكل نبيّ من الأنبياء كان له معجزة أو معجزات يسيرة، وهذا النبيّ الكريم محمد بن عبدالله بن عبد المطلب صلوات الله عليه كل أحواله معجزات دالة على نبوّته ناطقة بتصديق رسالته، فقرائن أحواله كافية لمن نظر وتدبر، مغنية لمن تأمل واستبصر...»[4].

ثانياً: المعجزات الحسية:

وهي كثيرة جداً، وقد اهتم علماء ذلك العصر بالاستشهاد بها على صحة نبوّة محمد ﷺ وصدق رسالته. وذلك في معرض مناقشاتهم للنصارى والرد عليهم، ومن أبرز هذه المعجزات:

---

(١) سورة القلم، الآية: (٤).

(٢) انظر: أمثلة على ما ألف في أخلاق المصطفى وشمائله في معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ. د. صلاح الدين المنجد، ص (١٨٤) وما بعدها وص (١٩٢) وما بعدها.

(٣) الداعي إلى الإسلام، عبد الرحمن بن محمد الأنباري، تحقيق: سيد حسين باغجوان، ص (٤٦٣).

(٤) المصدر السابق، ص (٤٦٥).

أ ـ انشقاق القمر: حيثُ ذُكرت هذه المعجزة في الكتاب العزيز، قال الله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾[(١)].

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «**انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين فقال ﷺ: اشهدوا**»[(٢)].

وقد علق الجعفري على ذلك بأنه إذا طعن في هذه المعجزة نصراني أن يقال له: «ما حجتك على انشقاق حجاب الهيكل عند صلب الشبه الذي أشركته مع الله في الربوبية؟ فإذا قال: النقل الصحيح والخبر الصريح، قلنا: من أصار عباد الصلبان والعجول أولى بالقبول من أخبار الموحدين العدول!؟»[(٣)].

وخاطب كل من القرطبي والخزرجي النصارى موضحين أن انشقاق القمر أعظم من انشقاق البحر لموسى عليه السلام ـ وإن كان عظيماً[(٤)] ـ وهم يؤمنون بذلك. وهذا إلزامٌ منهما للنصارى بالتصديق بمعجزة انشقاق القمر، ومن ثم الإيمان بمن جاء بها وهو محمد ﷺ.

ب ـ نبع الماء من بين أصابعه ﷺ: حيث تكررت هذه المعجزة منه ﷺ مرات عديدة. فمن ذلك:

---

(١) سورة القمر، الآيتان: (١ ـ ٢).

(٢) أخرجه البخاري، الصحيح، كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبيّ ﷺ آية، حديث رقم ص (٦٩٤)، (٣٦٣٦) ومسلم، الصحيح، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب انشقاق القمر، حديث رقم ٢٨٠٠، ص (١١٢٦).

(٣) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/ ٧٣٣).

(٤) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٣٥٠). ومقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة بعنوان «بين الإسلام والمسيحية»، ص (١٩٩).

ما رواه أنس رضي الله عنه قال: «أتي النبيّ ﷺ بإناء وهو بالزوراء[1]، فوضع يده في الإناء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه، فتوضأ القوم»[2].

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: عطش الناس يوم الحديبية، والنبيّ ﷺ بين يديه ركوة فتوضأ، فجهش الناس نحوه، فقال: ما لكم. قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك، فوضع يده في الركوة، فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون، فشربنا وتوضأنا. . .»[3].

وقد أورد كلٌ من الجعفري[4] والخزرجي[5] والقرطبي[6] وابن الأنباري[7] أمثلة على ذلك في معرض ردودهم على النصارى.

ثم خاطب الجعفري المعاند من النصارى في مثل هذه المعجزة بأن لا سبيل له في إثبات معجزات عيسى عليه السلام إلا بالرواية، إذاً فما الذي جعلكم أيها

---

(١) الزرواء: البئر البعيدة القعر، وأرض زوراء أي بعيدة، واسم للجانب الغربي من بغداد، وهي هنا موضع عند سوق المدينة في العصر النبويّ قرب المسجد. وقيل: بل هي سوق المدينة نفسه.

انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٣/ ١٧٥).

(٢) أخرجه البخاري، الصحيح، كتاب المناقب، باب علامات النبوّة في الإسلام، حديث رقم ٣٥٧٢، ص (٦٨٤). وبنحوه مسلم، الصحيح، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبيّ ﷺ، حديث رقم ٢٢٧٩، ص (٩٣٥).

(٣) أخرجه البخاري، الصحيح، كتاب المناقب، باب علامات النبوّة في الإسلام، حديث رقم ٣٥٧٦، ص (٦٨٤).

(٤) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/ ٧٣٦)، وما بعدها.

(٥) انظر: مقامع الصلبان ومراتع أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق: د. محمد شامة، بعنوان «بين الإسلام والمسيحية»، ص (١٩٩ ـ ٢٠٠).

(٦) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٣٥١ ـ ٣٥٤).

(٧) انظر: الداعي إلى الإسلام، عبد الرحمن بن محمد بن الأنباري، تحقيق سيد حسن باغجوان، ص (٤٣٨).

النصارى أحق بما تروون منا ـ نحن المسلمين ـ بما نروي عن ثقاتنا[1].

جـ ـ تكثير الطعام اليسير ببركته ﷺ: وقد تكرر ذلك مراراً منه ﷺ، وشهد عليه ونقله الجم الغفير من الصحابة رضوان الله عليهم. ومن الأمثلة على ذلك ما رواه جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أطعم يوم الخندق من طعام جابر ـ وهو صاع شعيرٍ وعناق ألف رجل. يقول جابر رضي الله عنه: «. . . أقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن البرمة لتغط كما هي وإن العجين ليخبز»[2].

وحينما بنى الرسول ﷺ بزينب رضي الله عنها، جاء أنس رضي الله عنه بحيسة فأمره ﷺ أن يضعها وقال له: «ادع لي رجالاً سماهم، وادع لي من لقيت، قال: ففعلت الذي أمرني به، فرجعت فإذا البيت غاص بأهله، فرأيت النبيّ ﷺ وضع يده على تلك الحيسة وتكلم بها ما شاء، ثم جعل يدعو عشرة عشرة، يأكلون منه. . .»[3].

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه حين أصابه الجوع فاستتبعه النبيّ ﷺ فوجد قدحاً من لبن قد أهدي إلى رسول الله ﷺ، فأمره عليه السلام أن يدعو أهل الصفة، قال: فقلت في نفسي: ما هذا القدح فيهم، كنت محتاجاً أن أصيب منه شربةً أتقوى بها، فدعوتهم، فقال: ٱسقهم، فشربوا حتى رووا من عند آخرهم، ثم قال ﷺ: بقيت أنا وأنت يا أبا هريرة، اقعد فاشرب، فما زلت أشرب ورسول الله ﷺ يقول: اشرب حتى قلت: والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكاً، فأخذ القدح وسمى الله تعالى وشرب الفضلة[4].

---

(١) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/ ٧٤٢).

(٢) أخرجه البخاري، الصحيح، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق، حديث رقم (٤١٠٢)، ص (٧٨٠). ومسلم، الصحيح، كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك. حديث رقم (٢٠٣٩)، ص (٨٤٣ ـ ٨٤٤).

(٣) أخرجه البخاري، الصحيح، كتاب النكاح، باب الهدية للعروس، حديث رقم ٥١٦٣، ص (١٠٢٣). ومسلم بنحوه، الصحيح، كتاب النكاح، باب زواج زينب بنت جحش، حديث رقم ١٤٢٨، ص (٥٦٥ ـ ٥٦٦).

(٤) انظر: صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبيّ ﷺ، حديث رقم ٦٤٥٢، ص (١٢٣٩).

وقد أورد هذه الأمثلة وغيرها الجعفري[1] الذي قرر أن أهل الكتاب عموماً لا يستطيعون إنكار مثل هذه المعجزات، لأن نظيرها نقل عن أنبيائهم، وطريقها في الإثبات ما يدعونه من الأخبار الصحيحة، وهكذا في معجزات نبيّنا محمدﷺ، فإن رام أحدهم قدحاً في أخبارنا لم ينفك من عكس ذلك عليه[2].

وكذلك ساق الخزرجي[3] والقرطبي[4] شواهد كثيرة من هذا القبيل، حيث يقول القرطبي بعد إيراده لها: «وهذا النوع من المعجزات من قبيل ما نقلت النصارى عن عيسى عليه السلام في الإنجيل. . . فإن اعترضت اليهود والنصارى على هذا النوع من معجزات نبيّنا عليه السلام، عارضناهم بذلك في معجزات أنبيائهم، وبالذي ينفصلون عن ذلك به، بعينه ننفصل عن معجزات نبيّنا»[5].

د ـ ومن معجزاته ﷺ كلام الجمادات: ومن أبرز الأمثلة على ذلك قول ابن عمر رضي الله عنهما: «كان النبيّ ﷺ يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر تحول إليه، فحن الجذع، فأتاه فمسح يده عليه»[6].

وتسبيح الطعام بين يديه وهو يؤكل حيث سمع ذلك من حضر من الصحابة رضي الله عنهم: «. . . ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل»[7].

---

(١) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/ ٧٤٢).

(٢) انظر: المصدر السابق (٢/ ٧٤٨).

(٣) انظر: مقامع الصلبان ومراتع أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة، بعنوان «بين الإسلام والمسيحية». ص (٢٠٥ ـ ٢٠٦).

(٤) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٣٥٤) وما بعدها.

(٥) المصدر السابق، ص (٣٥٦).

(٦) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوّة في الإسلام، حديث رقم (٣٥٨٣)، ص (٦٨٦).

(٧) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوّة في الإسلام، حديث رقم (٣٥٧٩)، ص (٦٨٥).

وتسليم الحجر عليه، فعن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن**»[١].

حيث أورد هذه الأمثلة وغيرها كل من الجعفري[٢] والقرطبي[٣] وأشار إلى بعضها القرافي[٤] وذلك في سياق الحديث عن معجزاته ﷺ كأحد الأدلة على نبوّته ﷺ.

هـ - ومن معجزاته ﷺ اضطراب الجبل لهيبته وسكوته بأمره، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «صعد رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان أحداً فرجف بهم، فقال ﷺ: **اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان**»[٥].

و - ومن أشهر معجزاته إخباره عن بعض أمور الغيب فتقع كما أخبر ﷺ. ومن الأمثلة على ذلك والتي أوردها بعض علماء ذلك العصر في مناقشاتهم مع النصارى ما يلي:

إخباره عن فاطمة رضي الله عنها أنها أول أهل بيته لحوقاً به، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: دعا النبيّ ﷺ فاطمة ابنته في شكواه الذي قبض فيها، فسارها بشيء فبكت، ثم دعاه فسارها فضحكت، قالت: فسألتها عن ذلك، فقالت: سارّني النبيّ ﷺ فأخبرني أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه، فبكيت، ثم سارني فأخبرني أني أول أهل بيته اتبعه، فضحكت»[٦].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبيّ ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوّة، حديث رقم (٢٧٧٧)، ص (٩٣٥).

(٢) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/ ٧٤٨ - ٧٥٧).

(٣) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٣٥٦)، وما بعدها.

(٤) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١٤٤).

(٥) أخرجه البخاري، الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبيّ ﷺ: «**لو كنت متخذاً خليلاً**»، حديث رقم (٣٦٧٥)، ص (٧٠٢).

(٦) أخرجه البخاري، الصحيح، كتاب المناقب، باب علامات النبوّة في الإسلام، حديث

وإخباره بما يفتح الله على يدي أمته من الدنيا وما يؤتون من زهرتها، حيث قال: «. . . فأبشروا وأملوا ما يسركم، فوالله لا الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم»(١).

وإخباره بزوال ملك قيصر، وملك كسرى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفس محمد بيده، لتنفقن كنوزهما في سبيل الله»**(٢).

ومن ذلك إخباره بأن عماراً رضي الله عنه تقتله الفئة الباغية كما قال ﷺ: **«... ويح عمار، تقتله الفئة الباغية...»**(٣).

وأن الحسن رضي الله عنه يصلح به الله بين فئتين من المسلمين، كما قال ﷺ: **«... إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»**(٤).

وإخباره عن مصارع أهل بدر قبل كونها(٥)، وحديثه عن الخوارج ووصفهم

رقم (٣٦٢٥)، ص (٦٩٢ ـ ٦٩٣). ومسلم بنحوه، الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة ـ رضي الله تعالى عنها ـ، حديث رقم (٢٤٥٠)، ص (٩٩٤).

(١) أخرجه البخاري، الصحيح، كتاب الجزية والموادعة، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة الحرب، حديث (٣١٥٦)، ص (٦٠٥)، ومسلم الصحيح، كتاب الزهد والرقائق، حديث رقم (٢٩٦١)، ص (١١٨٨).

(٢) أخرجه البخاري، الصحيح، كتاب المناقب، باب علامات النبوّة في الإسلام، حديث رقم (٣٦١٨). ص (٦٩٢)، ومسلم بنحوه، الصحيح، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، حديث رقم (٢٩١٨)، ص (١١٧٠).

(٣) أخرجه البخاري، الصحيح، كتاب الصلاة، باب التعاون في بناء المسجد، حديث رقم (٤٤٧)، ص (١٠٧).

(٤) أخرجه البخاري، الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين، حديث رقم (٣٧٤٦)، ص (٧١٥).

(٥) انظر: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة بدر، حديث رقم (١٧٧٩)، ص (٧٣٩ ـ ٧٤٠).

بصفاتهم والمخدج الذي فيهم[1].

وغير ذلك مما لا يمكن حصره، حيث وقع كل ما أخبر بهﷺ. وهذا من أظهر الأدلة على نبوّتهﷺ. حيث ساق هذه الأمثلة وغيرها كل من الجعفري والقرطبي في معرض ردهم على النصارى.

ز ـ ومن أدلة نبوّته ما أظهره الله سبحانه وتعالى على أيدي أصحابه من الكرامات في حياتهﷺ وبعد مماته[2]. حيث وضح القرطبي نماذج لذلك منها: ظهورهم ونصرهم على أعدائهم مع قلتهم وكثرة أعدائهم، وما أجراه الله سبحانه وتعالى على أيدي بعضهم من الكرامات[3]. وذلك: «آية لرسول اللهﷺ من أعظم الآيات وذلك أن الله تعالى إذا أكرم واحداً منهم بأن خرق له عادة فإن ذلك يدل على أنه الحق وأن دينه الحق. . .»[4].

ثم عقب القرطبي على كرامات الصحابة بقوله: «أقول للنصارى: وليست هذه الأمور العجيبة، والأفعال الغريبة من قبل الحيل والنيرجات التي تعظمون بها أديانكم، وتموهون بها على عوامكم. . .»[5].

وقال الجعفري: «ففي صدور الكرامات والآيات على يد الأتباع برهان

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوّة في الإسلام، حديث رقم (٣٦١٠)، وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، حديث رقم (١٠٦٤).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن كرامات الأولياء هي من دلائل النبوّة، فإنها لا توجد إلا لمن اتبع النبيّ الصادق، فصار وجودها كوجود ما أخبر به النبيّ من الغيب. . . وكرامات الصالحين تدل على صحة الدين الذي أخبر به الرسول، لا تدل على أن الولي معصوم. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد (٣/ ١٥٦).

(٣) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٣٨١).

(٤) المصدر السابق، ص (٣٨١).

(٥) المصدر السابق، ص (٣٨٤).

ظاهر على صدق المتبوع»[1]. ثم أورد بعد ذلك نماذج من كرامات الصحابة رضي الله عنهم، منها:

ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن رجلين خرجا من عند رسول الله ﷺ في ليلة مظلمة وإذا نور بين أيديهما حتى تفرقا فتفرق النور معهما»[2]. وهذان الرجلان هما أسيد بن حضير وعباد بن بشر رضي الله عنهما[3].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ يوم أحد، ومعه رجلان يقاتلان عنه، عليهما ثياب بيض كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد»[4]. يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام.

ومن ذلك: أن البراء بن مالك رضي الله عنه لقي جيشاً من المشركين «... وقد أوجع المشركون في المسلمين. فقالوا: يا براء، إن رسول الله ﷺ قال: إنك لو أقسمت على الله لأبرك، فأقسم على ربك، فقال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم. ثم التقوا على قنطرة السوس فأوجعوا في المسلمين. فقالوا: يا براء، أقسم على ربك، فقال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم، وألحقتني بنبيّك ﷺ. فمنحوا أكتافهم وقُتل البراء شهيداً»[5].

الجانب الثاني: الدعوة إلى الإيمان بمحمد ﷺ من خلال رد الشبه التي

---

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/ ٨٦٦).

(٢) أخرجه البخاري، الصحيح، كتاب مناقب الأنصار، باب منقبة أسيد بن حضير وعباد بن بشر، حديث رقم (٣٨٠٥)، ص (٧٢٣).

(٣) انظر: المصدر السابق، ص (٧٢٣).

(٤) أخرجه البخاري، الصحيح، كتاب المغازي، باب إذ همت طائفتان منكم، حديث رقم (٤٠٥٤)، ص (٧٧٠)، ومسلم، الصحيح، كتاب الفضائل، باب في قتال جبريل، حديث رقم (٢٣٠٦)، ص (٩٤٤).

(٥) أخرجه الحاكم، المستدرك على الصحيحين، وبذيله التلخيص للذهبي، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، (٣/ ٢٩١ ـ ٢٩٢).

أثارها النصارى حول شخصه أو صدق نبوّته[1]. ولا شك في أن الشبه التي يثيرها النصارى حول رسول الله ﷺ لها أكبر الأثر في صد الكثيرين من بني ملتهم عن تصديقه والإيمان بنبوّته.

وإزالة هذه الشبه يجلو الغبش عن العقل، فيكون ذلك أدعى للتسليم والتصديق به ﷺ.

وقد انبرى كثير من علماء عصر الحروب الصليبية للرد على علماء النصارى الذين جعلوا رسول الله ﷺ ونبوّته غرضاً لهم، فاستفرغوا الوسع في تفنيد شبههم، ورد باطلهم، انتصاراً لرسول الله ﷺ، وطمعاً في هداية من كانت مثل هذه الشبه حجاباً بينه وبين قبول الحق.

(١) سيأتي تفصيل هذه الشبه ونماذج من جهود العلماء المسلمين في تفنيدها في تلك الفترة وذلك في المبحث الثالث من هذا الفصل.

المطلب الخامس

الدعوة إلى الإيمان بنبوّة المسيح عليه السلام

لقد اعتنى الإسلام بالمسيح عيسى ابن مريم عليه السلام بصفته أحد أولي العزم من الرسل. فجاء القرآن بتكريمه وأمه وحتى عائلته. وصحح الأخطاء، ورد الاتهامات والافتراءات الباطلة التي كان يوجهها اليهود والنصارى للمسيح وأمه.

فمن تكريم القرآن للمسيح عليه السلام أن جاءت إحدى السور باسم عائلته وهي سورة آل عمران، وسورة أخرى هي سورة مريم باسم أمه التي ورد اسمها في القرآن في مواضع كثيرة. كلها تتحدث عنها بكل التقدير والتبجيل. ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾[2].

وتحدث القرآن عن حياة المسيح عليه السلام منذ ولادته وحتى رفعه إلى السماء، فهو بشر مخلوق عبد للخالق عزّ وجلّ، قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾[3]، وهو نبي ورسول من عند الله عزّ وجلّ، قال

(١) سورة آل عمران، الآية: (٤٢).

(٢) سورة التحريم، الآية: (١٢).

(٣) سورة الزخرف، الآية: (٥٩).

تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾(١)، والمسيح بارٌّ بوالدته وليس بجبار ولا شقي، قال تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾(٢)، وهو قدوة صالحة في العبادة والإخلاص لله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾(٣)، وقد أرسله الله إلى بني إسرائيل وأيده بالمعجزات التي منها إبراء الأكمة والأبرص، وإحياء الموتى، ونزول المائدة من السماء وغير ذلك، قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾(٤). ولما بلَّغ رسالة ربه وأراد به أعداؤه كيداً نجاه الله من كيدهم، فتوفاه ورفعه إليه: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾(٥). وقال سبحانه: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾(٦).

هذا هو مجمل اعتقاد المسلمين بالمسيح عليه السلام، وقد ضل النصارى في ذلك ضلالاً بعيداً بجعلهم المسيح عيسى عليه السلام ابناً لله تعالى الله عن ذلك، قال سبحانه: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾(٧)، بل ادعوا أن الله سبحانه هو المسيح ابن مريم قال جلّ وعلا: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾(٨).

وقد كانت نبوّة المسيح عليه السلام منذ ظهور الإسلام إلى الوقت الحاضر من

---

(١) سورة المائدة، الآية: (٧٥).

(٢) سورة مريم، الآية: (٣٢).

(٣) سورة مريم، الآيتان: (٣٠ ـ ٣١).

(٤) سورة آل عمران، الآية: (٤٩).

(٥) سورة آل عمران، الآية: (٥٥).

(٦) سورة النساء، الآية: (١٥٧).

(٧) سورة التوبة، الآية: (٣٠).

(٨) سورة المائدة، الآية: (١٧).

القضايا الرئيسة التي تناولها العلماء المسلمون في مناقشاتهم مع النصارى رجاء هدايتهم للحق في ذلك.

وقد اعتنى العلماء في عصر الحروب الصليبية ببيان ذلك للنصارى ودعوتهم إلى الإيمان بنبوّته عليه السلام، ونبذ معتقداتهم الباطلة حوله، وذلك من خلال ما يلي:

١ ـ الدعوة إلى الإيمان بنبوّة المسيح عليه السلام من خلال بيان معتقد المسلمين فيه على الإجمال: فما كتب أحد من علماء هذا العصر في مناقشة النصارى إلا ووضح معتقد المسلمين في المسيح عليه السلام، ونعي على النصارى ضلالهم في ذلك.

قال ابن الجوزي عند قوله تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾[1]: فيه رد على اليهود في تكذيبهم رسالته، وعلى النصارى في ادعائهم إلهيته، والمعنى: أنه ليس بإله وإنما حكمه حكم من سبق من الرسل...»[2].

وقال البغوي[3]: «أي ليس بإله بل هو كالرسل الذين مضوا لم يكونوا آلهة»[4].

وقال الرازي: «أي ما هو إلا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبل»[5].

---

(١) سورة المائدة، الآية: (٧٥).

(٢) زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق د. محمد بن عبد الرحمن عبدالله وزميله، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧م، (٢/ ٣٠٦).

(٣) هو الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي، فقيه محدث مفسر، نسبته إلى بغا من قرى خراسان، يلقب بمحيي السنة، من كتبه: التهذيب في الفقه وشرح السنة في الحديث وغير ذلك، كان مولده سنة ٥٣٦ هـ، ووفاته بمرو الروذ سنة ٥١٠ هـ.
انظر: طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق عبد الفتاح الحلو وزميله (٧/ ٧٥ ـ ٨٠)، والنجوم الزاهرة، يوسف بن تغري بردي (٥/ ٢٢٣).

(٤) معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق محمد عبدالله النمر وآخرين، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩م، (٣/ ٨٢).

(٥) التفسير الكبير، محمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، المجلد السادس، والجزء الثاني عشر، ص (٥١ ـ ٥٢).

وعند قوله تعالى: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾[1] قال: «واعلم أن المقصود من ذلك الاستدلال على فساد قول النصارى»[2] أي نفيهم نبوّته وادعائهم الألوهية له.

وهكذا كل مفسري هذا العصر لم يغفلوا بيان عقيدة المسلمين في المسيح عليه السلام، وفضح ضلال النصارى فيه وذلك في تفسيرهم للآيات التي تتحدث عن عيسى عليه السلام أو النصارى بشكل عام[3].

وبعد أن بين القرطبي حيرة اليهود والنصارى في عيسى عليه السلام، وتضارب أقوالهم حوله، وضَّح رحمة الله سبحانه وتعالى ومنّه علينا ـ نحن المسلمين ـ وعلى النصارى بأن بعث سيد المرسلين لينزه الله المسيح وأمه على لسان نبيه مما قالته اليهود فيهما، ويشهد ببراءتهما مما نسب إليهما، قال سبحانه: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾[4][5]. ثم ذكر القرطبي النصارى بموقف النجاشي[6] من عقيدة المسلمين بعيسى عليه السلام حينما أخبره

(١) سورة المائدة، الآية: (٧٥).

(٢) التفسير الكبير، محمد بن عمر الرازي، المجلد السادس، الجزء الثاني عشر، ص (٥٢).

(٣) انظر على سبيل المثال: تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ... إلى قوله: ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ في المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق المجلس العلمي بفاس، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (١١/ ١٩) وما بعدها، وزاد المسير، عبد الرحمن بن الجوزي (٥/ ١٥١) وما بعدها، ومعالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، (٥/ ٢٢٢) وما بعدها. والتفسير الكبير، محمد بن عمر الرازي، المجلد الحادي عشر، الجزء الحادي والعشرين، ص (١٦٧)، وما بعدها.

(٤) سورة المائدة، الآية: (٧٥).

(٥) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد واولأهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٤).

(٦) النجاشي: ملك الحبشة، واسمه أصحمة، مخضرم آمن بالنبيّ ﷺ ولم يره، وآوى الصحابة المهاجرين إلى الحبشة، توفي سنة تسع من الهجرة وصلى عليه النبيّ ﷺ صلاة الغائب، ولم يصل على غائب سواه.

بها جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه بقوله: «نقول فيه - أي المسيح عليه السلام - الذي جاء به نبيّنا صلى الله عليه وسلم، وهو عبدالله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فلما سمع النجاشي ذلك ضرب بيده الأرض، وأخذ عوداً منها، وقال: ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود. فتناخرت بطارقة حوله فقال: «وإن نخرتم والله»[(1)].

ثم خاطب القرطبي النصارى بعد ذلك قائلاً: «... فهذا - أي رأي النجاشي - قول أهل العلم من قبلكم، العارفين بشريعتكم، وما عدا ذلك فشجرته غثاء... ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾[(2)(3)].

وقد دعا الخزرجي القسيس الذي طلب منه الإيمان بألوهية عيسى إلى الإيمان بنبوّته بعد إيضاح عقيدة المسلمين فيه عليه السلام حيث قال: «ونحن بالمسيح ابن مريم رسول الله أولى، قدرناه حق قدره، وقلنا بفضله المعلوم وفخره، واعتقدناه بمنزلة تقبلها الأفهام، وتليق بالعقول...» ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾[(4)]، وتبرأنا من قوم غدوا فيه على طرفي نقيض: مفتون به ضال، وظالم بغيض...»[(5)]. ثم دعاه إلى الإيمان بنبوّة المسيح عليه السلام

انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الكتاب العربي، بيروت، (١/ ١١٧). وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، (١/ ٤٢٨)، وما بعدها.

(١) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٢٥٦ - ٢٥٨)، وخبر النجاشي أخرجه الإمام أحمد، المسند، حديث رقم (١٧٤٠)، (٣/ ٢٦٣ - ٢٦٨) وقال محققوه: إسناده حسن.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: (٢٦).

(٣) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٢٥٨).

(٤) سورة النساء، الآية: (١٧٢).

(٥) مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، ص (١٢٨).

قائلاً: «... ما أزين بك أن تقول: إن الله خلق عيسى وأمه آية للناس، عبداً ورسولاً، وهي صديقة مباركة وكانا يأكلان الطعام...»[1].

٢ ـ الدعوة إلى الإيمان بنبوّة المسيح عليه السلام من خلال ذكر الأدلة على ذلك من كتب النصارى:

أ ـ تصريح المسيح نفسه في الإنجيل بأنه نبيّ مرسل من الله سبحانه وتعالى، حيث أورد ابن الأنباري نقولاً من الإنجيل صرح فيها المسيح عليه السلام بعبوديته ونبوته. ومن ذلك قول المسيح للحواريين: «... أخرجوني من هذه المدينة، فإنه ما أكرم نبيّ في مدينته»[2][3]، حيث أورد هذا النص مع شيء من الاختلاف اليسير الخزرجي في إثباته لنبوّة المسيح عليه السلام[4].

ب ـ شهادة بعض أنبياء بني إسرائيل له بالنبوّة: ومنهم أشعيا. قال لوقا: «جاء يسوع إلى الناصرة حيث تربى، ودخل كعادته في مجامعهم يوم السبت ليقرأ فدفع إليه سفر أشعيا النبيّ، فلما فتحه إذا فيه مكتوب (روح الرب عليّ من أجل هذا مسحني وأرسلني لأبشر المساكين، وأشفي منكسري القلوب، وأنذر المأسورين بالتخلية، والعميان بالنظر، وأبشر بالسنة المقبولة) ثم طوى السفر ودفعه إلى الخادم فجعلوا ينظرون إليه، فقال: اليوم كمل هذا المكتوب في سماعكم...»[5].

---

(١) المصدر السابق، ص (١٣٠).

(٢) هذا النص الذي أورده ابن الأنباري في كتابه: الداعي إلى الإسلام، ص (٣٧٩)، وقد ورد في الكتاب المقدس بمعناه في إنجيل يوحنا، الإصحاح (٤/ ٤٣ ـ ٤٤).

(٣) انظر: الداعي إلى الإسلام، عبد الرحمن بن محمد الأنباري، تحقيق سيد حسن باغجوان، ص (٣٧٩).

(٤) انظر: مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، ص (١٣١).

(٥) هذا النص أورده الجعفري في التخجيل (١/ ١٩٧ ـ ١٩٨)، وورد في الكتاب المقدس في إنجيل لوقا، الإصحاح (٤/ ١٦ ـ ٢٤)، وذلك بألفاظ مقاربة.

قال الجعفري معلقاً على ذلك: «فهذه نبوءة من أشعيا على تصديق المسيح ودعوى النبوّة والرسالة»(١).

وسمع يوحنا ـ يحيى عليه السلام ـ وهو في السجن بأعمال المسيح فأرسل إليه اثنين من تلاميذه وقال: قولوا له: أنت الآتي أو يرجى آخر؟ فقال يسوع: اذهبا وأخبرا يوحنا بما رأيتما وسمعتما، العمي يبصرون، والعرج يمشون، والبرص يطهرون، والصم يسمعون، والموتى يقومون، فطوبى لمن لم يشك في...»(٢).

حيث وضح الجعفري أن حديث نبيّ الله يحيى بن زكريا هذا، شهادة منه للمسيح عليه السلام بالنبوّة والرسالة، فهو عليه السلام أرسل يسأل عن النبوّة ـ أأنت الآتي أو يرجى آخر ـ، وأحاله المسيح على رؤية الخوارق والتي هي من أعلام النبوّة(٣).

جـ ـ شهادة بعض تلامذته وحوارييه له بالنبوّة: فهذا يوحنا الإنجيلي تلميذ المسيح عليه السلام وحبيبه وأحد مدوني الإنجيل يقول: «كان الناس إذا رأوا يسوع وسمعوا كلامه يقولون: هذا النبيّ حقاً»(٤). قال الجعفري: «هذا هو يوحنا الإنجيلي الذي يسمى حبيب المسيح يشهد بنبوّته، وهو أحسن أقوال أهل زمانه فيه»(٥).

وجاء في الإنجيل قول يوحنا الإنجيلي: «قال المسيح لتلاميذه: من قبلكم

---

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (١/ ١٩٨).

(٢) هذا النص أورده الجعفري في التخجيل (١/ ١٨٢)، وقد ورد في الكتاب المقدس بألفاظ مقاربة في إنجيل متى، الإصحاح (١١/ ٢ ـ ١٩).

(٣) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (١/ ١٨٢ ـ ١٨٣).

(٤) هذا النص أورده الجعفري في التخجيل (١/ ٢٠٧)، ورد بمعنى ذلك في الكتاب المقدس في إنجيل يوحنا، الإصحاح (٤/ ١٩)، والإصحاح (٦/ ١٤).

(٥) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح، (ص ١/ ٢٠٧).

وأكرمكم فقد قبلني وآواني، ومن قبلني فقد قبل من أرسلني»[1]، وقد علق الجعفري في كتابه الرد على النصارى على ذلك بقوله: «فهذا يوحنا صاحب المسيح يخبر أنه لم يدع سوى الرسالة[2]. وبعد أن ساق الجعفري بعض النصوص من كتب النصارى الدالة على نبوّة المسيح قال: «وينبغي أن نسأل النصارى عن هذه الفصول التي تلوناها عليهم في إنجيلهم فيقال لهم: أحق ذلك أم باطل؟ فإن اعترفوا أنها حق تركوا التنصر، وإن زعموا أنها باطل كفروا بالإنجيل وتركوا دين النصرانية»[3].

د ـ اعتراف أهل زمانه له بالنبوّة، وإقراره لهم وعدم الإنكار عليهم: ومن ذلك قول متى في إنجيله: «لما دنا المسيح وأصحابه من أورشليم، أرسل من جاءه بأتان وجحش، فركب وفرش الناس له ثيابهم، وارتجت المدينة لدخوله، فقال الجميع: هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل»[4]. وقد وضح الجعفري وجه الدلالة من هذا النص وهو الشهادة للمسيح من أصحابه وأهل زمانه بالنبوّة وعدم إنكاره عليهم، وذلك رضا بما يقولون[5]. ثم توجه الجعفري باستفهام إلى النصارى غايته دعوتهم إلى الإيمان بنبوّة المسيح عليه السلام وذلك بقوله: «كيف يسمع ـ أي المسيح ـ آلافاً من الناس يشهدون أنه النبيّ الآتي من الناصرة ويقرهم على ذلك، ولا تقوم به الحجة؟ أفيظن متأخرو النصارى يومنا هذا أنهم أعلم بالمسيح ممن رآه وشاهده وصحبه؟»[6].

---

(١) هذا النص أورده الجعفري في الرد على النصارى، ص (٨٨)، وورد بألفاظ مقاربةٍ في الكتاب المقدس، إنجيل يوحنا، الإصحاح (١٢/ ٤٤)، والإصحاح (١٣/ ١٦).

(٢) الرد على النصارى، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمد محمد حسانين، ص (٨٨).

(٣) المصدر السابق، ص (٩٤).

(٤) أورد هذا النص الجعفري في كتابه: الرد على النصارى، ص (٨٨)، وهو في الكتاب المقدس بألفاظ مقاربة في إنجيل متى، الإصحاح (٢١/ ١ ـ ٩).

(٥) انظر: الرد على النصارى، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمد محمد حسانين، ص (٨٨).

(٦) المصدر السابق، ص (٨٨).

وقد ورد في الإنجيل: أن امرأة رأت المسيح فقالت له: أنت ذلك النبيّ الذي كنا ننتظر مجيئه؟ فقال لها المسيح: «صدقت، طوبى لك أيتها المرأة»[1]، فهذه المرأة تسأل المسيح هل هو النبيّ المنتظر؟ ويصدقها المسيح إذ أقرت له بالنبوّة. حيث أورد هذا النص المتطبب مستدلاً به على نبوّة المسيح وذلك في مناقشته للنصارى في كتابه النصيحة الإيمانية[2].

٣ ـ الدعوة إلى الإيمان بنبوّة عيسى عليه السلام من خلال نفي الألوهية عنه، وإثبات عبوديته لله سبحانه تعالى، وتفنيد شبه النصارى وأدلتهم على ألوهيته. حيث أسهب علماء هذه الفترة في بحث هذه القضايا ومناقشاتها من خلال ما أوردوه من أدلة نقلية وعقلية على ذلك[3].

---

(١) هذا النص أورده المتطبب في كتابه: النصيحة الإيمانية، ص (١٠٩)، وقد ورد بمعناه في الكتاب المقدس في إنجيل يوحنا، الإصحاح (٤/ ٢٠)، و(٢٥ ـ ٢٦).

(٢) انظر: النصيحة الإيمانية، نصر بن يحيى المتطبب، تحقيق د. محمد الشرقاوي، ص (١٠٩).

(٣) سيأتي عرض ذلك في المبحث التالي من هذا الفصل.

المبحث الثاني

مناقشة عقائد النصارى

المطلب الأول

مناقشة معتقدات النصارى

انحرف النصارى عن الديانة التي جاء بها المسيح عليه السلام، فجعلوها وثنية خالصة، وأدخلوا عليها معتقدات منحرفة لم يعرفها المسيح عليه السلام ولا حواريوه.

وأبرز الانحرافات في معتقدات النصارى ترجع إلى اختراعهم للأمانة التي جعلوها أصل دينهم، وتحريفهم للأناجيل التي يستدلون بها على عقائدهم الباطلة، وضلالهم بالمسيح عليه السلام ضلالاً بعيداً.

وقد تصدى العلماء المسلمون في عصر الحروب الصليبية لمناقشة معتقدات النصارى إبطالاً لها، وتفنيداً لحجج النصارى عليها، وبياناً للحق الذي ضلّ عنه هؤلاء في ديانتهم، وقياماً بواجب الدعوة الذي حصلت به الخيرية لهذه الأمة. وفيما يلي عرض لجوانب من ذلك:

أولاً: نقض الأمانة:

وثيقة الأمانة، أو ما يعرف بقانون الإيمان عند النصارى، هو أصل عقيدتهم، وهو الذي لا يتم إيمان نصراني إلا باعتقاده. ونص هذه الأمانة ما يلي:

«نؤمن بالله الواحد الأب ضابط الكل، مالك كل شيء، صانع ما يرى وما لا يرى، وبالرب الواحد يسوع المسيح ابن الله الواحد بكر الخلائق كلها، الذي

ولد من أبيه قبل العوالم كلها، وليس بمصنوع، إله حق من إله حق من جوهر أبيه الذي بيده أتقنت العوالم، وخلق كل شيء، الذي من أجلنا معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد من روح القدس وصار إنساناً، وحبل به وولد من مريم البتول، وأوجع وصلب أيام فيلاطس[١] النبطي، ودفن وقام في اليوم الثالث ـ كما هو مكتوب ـ وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء ونؤمن بروح القدس الواحد روح الحق الذي يخرج من أبيه روح محبته، وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا، وبجماعة واحدة قديسية جاثليقية[٢]، وبقيامة أبداننا وبالحياة الدائمة إلى أبد الآبدين»[٣].

ولقد اهتم علماء المسلمين في فترة الحروب الصليبية بهذه الأمانة لمكانتها

---

(١) هو بيلاطس ويلقب بالنبطي، وهو والٍ أقامته الحكومة الرومانية نائباً على اليهود في فلسطين سنة ٢٩م، واستمر حكمه بضع سنين، وقد ألبه اليهود ضد عيسى عليه السلام حتى سلمه إليهم ليقتلوه.
انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص (٢٠٧ ـ ٢٠٨)، فنجاه الله منهم ورفعه إليه.

(٢) الجاثليقية: والجمع: جثالقة، وهو متقدم الأساقفة «يونانية». المنجد في اللغة والأعلام، ص (٩٧).

(٣) هذا النص هو الذي أورده الجعفري في كتابه التخجيل (٢/ ٥٠١ ـ ٥٢٠)، وقد وضعت هذه الأمانة في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م. (انظر: مجموعة الشرع الكنسي، جمع وترتيب حنانيا إلياس كساب، ص (٤٣)، ثم نقحت في مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م). (انظر: مجموعة الشرع الكنسي، جمع وترتيب حنانيا إلياس كساب، ص (٢٤٥ ـ ٢٤٧)، وعدلت كذلك في مجمع أفسس سنة ٤٣١م). (انظر: مجموعة الشرع الكنسي، جمع وترتيب، حنانيا إلياس كساب، ص (٢٨٨)، وما بعدها).
وهذه الأمانة لا تزال الفرق النصرانية تؤمن بها إلى الوقت الحاضر وتتفق عليها على الرغم من الخلاف الشديد فيما بينها في كثير من العقائد. (انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/ ٥٠٣)، والمسيحية د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثامنة، ص (١٤٨)، وكتاب إيماني، القس إلياس مقار، دار الثقافة، القاهرة، ص (٦٥ ـ ٦٦).

في الديانة النصرانية حيث ناقشوها مبينين تناقضها وتهافتها ومن ثم هدم ما يقوم عليها من معتقدات في الديانة النصرانية.

ومن وجوه التناقض التي بينها هؤلاء العلماء في هذه الأمانة ما يلي:

١ ـ إن فيها الإقرار بوحدانية الله سبحانه ثم نقض ذلك بالشرك. فقولهم فيها: «نؤمن بالله الواحد الأب...» يناقضه قولهم فيها أيضاً: «... وبالرب الواحد يسوع المسيح»[١].

٢ ـ إقرارهم فيها بأن الله صانع ما يرى وما لا يرى، ثم قولهم عن المسيح: «... الذي بيده أتقنت العوالم، وخلق كل شيء»[٢].

٣ ـ قولهم في الأمانة: «إن يسوع المسيح ابن الله بكر الخلائق الذي ولد من أبيه» مشعر بحدوثه، فلا معنى لكونه ابن الله إلا إذا تأخر عنه، إذ كونهما معاً كما يقر به النصارى مستحيل ببداهة العقول[٣].

٤ ـ قولهم فيها: «إن يسوع بكر الخلائق كلها» لا يفهم منه إلا أن المسيح خلقه الله قبل كل الخلائق. أي أنه مخلوق مصنوع، وهذا مناقض لما في أمانتهم وهو: «... وليس بمصنوع إله حق من إله حق»[٤].

---

(١) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/٥٠٣ ـ ٥٠٤)، وأدلة الوحدانية في الرد على النصرانية، أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق عبد الرحمن دمشقية، ص (٩٨ ـ ٩٩).

(٢) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/ ٥٠٤)، وأدلة الوحدانية في الرد على النصرانية، أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق عبد الرحمن دمشقية، ص (٩٩).

(٣) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/ ٥٠٤)، والأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١١٣).

(٤) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/ ٥٠٤)، وأدلة الوحدانية في الرد على النصرانية، أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق عبد الرحمن دمشقية، ص ٩٩ ـ ١٠٠). والنصيحة الإيمانية، نصر بن

٥ ـ قالوا في الأمانة عن المسيح إنه: «إله حق من إله حق من جوهر أبيه»، وهذا ينقضه ما في الإنجيل حينما سئل المسيح عن يوم القيامة قال: «لا أعرف ذلك ولا يعرفه إلا الأب وحده»[(١)]. حيث تساءل كل من الجعفري والقرافي: لو كان المسيح من جوهر أبيه كما يدعيه النصارى لعلم ما يعلمه الأب[(٢)].

٦ ـ ادعى النصارى بأجمعهم أن المسيح ابن الله، فإن كان كما يقولون فقد كذبت الأمانة التي يعتقدونها، إذ فيها: «إن المسيح تجسد من روح القدس» وإذا كانت الأمانة صحيحة، فإن المسيح ابن روح القدس وليس ابن الله. وعليه ففي صحة أحدهما تكذيب الأمانة أو فساد اعتقادهم في بنوة المسيح ﷺ[(٣)].

٧ ـ نصت الأمانة على أن المسيح نزل من السماء، وحبلت به امرأة، وسكن رحمها، ويكذب ذلك قول لوقا: «... إن الله هو خالق العالم بما فيه، وهو رب السماء والأرض، لا يسكن الهياكل، ولا يناله أيدي الرجال، ولا يحتاج إلى شيء من الأشياء، ...»[(٤)].

فقد شهد لوقا بأن الباري سبحانه لا يسكن الهياكل، والأمانة تقول إن الكلمة سكنت هيكل مريم، وتحولت إلى هيكل المسيح، وشهد لوقا بأن الله لا تناله أيدي الرجال، والأمانة تقول: بأنه قتل وصلب[(٥)].

يحيى المتطبب، تحقيق د. محمد الشرقاوي، ص (٧٠).

(١) هذا النص الذي أورده الجعفري في التخجيل (٢/ ٥٠٥)، وقد ورد في الكتاب المقدس مع اختلاف يسير في العبارة في إنجيل مرقس، الإصحاح (١٣/ ٣٢).

(٢) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/ ٥٠٥)، والأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١١٤).

(٣) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/ ٥١١).

(٤) هذا النص الذي أورده الجعفري في التخجيل (٢/ ٥١٢)، وقد ورد في الكتاب المقدس مع اختلاف يسير في العبارة في أعمال الرسل، الإصحاح (١٧/ ٢٤ ـ ٢٥).

(٥) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/ ٥١٢).

٨ ـ جاء في الأمانة: «... ونؤمن بروح القدس الواحد روح الحق الذي يخرج من أبيه» وهذا فيه تصريح بأن المسيح وروح القدس أخوان، وأن الله أبوهما. فالأمانة تقول: إن يسوع ولد من أبيه، وإن روح القدس يخرج من أبيه[١].

٩ ـ ورد في الأمانة: «... ونؤمن بمعمودية واحدة لغفران الخطايا» وهذا فيه مناقضة لاعتقاد النصارى في أن قتل المسيح وصلبه من أجل غفران خطاياهم. فإذا كانت المعمودية كافية لغفران الخطايا فما الحاجة إلى القتل والصلب إذ صار وقوعه عبثاً. وإن كانت المغفرة من الخطايا بقتل المسيح فقد تناقضت الأمانة وكذبت في دعوى المغفرة بالتعميد[٢].

١٠ ـ قولهم في الأمانة: «... ونؤمن بجماعة واحدة قديسة» ويعنون بذلك من عقد لهم هذه الأمانة. وفي الإيمان بهذه الأمانة وبهؤلاء كفر بالمسيح ورد لأقواله، وأقوال تلاميذه. فالمسيح موحد كما في قوله: «الله واحد هو الله»[٣] وقوله: «إن الله لم يره أحد قط»[٤]، وقوله: «لا ينبغي لأحدٍ أن يعبد ربيّن»[٥]، وقوله: «لا صالح إلا الله وحده»[٦]. إلى غير ذلك. وهذه

(١) انظر: المصدر السابق (٢/ ٥١٥)، والأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١١٧).

(٢) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/ ٥١٥ ـ ٥١٦)، والأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١١٧).

(٣) هذا نص الجعفري في التخجيل (٢/ ٥١٦)، وفي الكتاب المقدس ما نصه: «والمجد الذي من الإله الواحد لستم تطلبونه» إنجيل يوحنا، الإصحاح (٥/ ٤٤).

(٤) الكتاب المقدس، إنجيل يوحنا، الإصحاح (١/ ١٨).

(٥) هذا نص الجعفري في التخجيل (٢/ ٥١٦)، وفي الكتاب المقدس ما نصه: «لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد» إنجيل متى، الإصحاح (٤/ ١٠).

(٦) هذ نص الجعفري في التخجيل (٢/ ٥١٦)، وفي الكتاب المقدس ما نصه: «... ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله»إنجيل مرقس، الإصحاح (١٠/ ١٨).

الأمانة تثبت الشرك وتنص على التثليث[1].

ثم عقب الجعفري بعد أن وضح بعض وجوه التناقض في هذه الأمانة قائلاً: «وإذا بطلت شريعة الدين بطل الدين المبني عليها، ووجب الرجوع إلى أقوال الأنبياء في توحيد الله سبحانه»[2].

وقال نصر بن يحيى المتطبب بعد مناقشته لهذه الأمانة: «... فهل يستحسن عاقل أن يبقى على اعتقاد مثل هذه الأباطيل والخرافات، والتناقضات، أو يتبع من هذا قدر عقولهم وعلومهم واعتقاداتهم ومذاهبهم»[3]. ثم يحمد الله سبحانه وتعالى أن خلصه من هذا الجهل العظيم قائلاً: «الحمد لله الذي خلصني من دين هذا عقل أربابه»[4].

وقال القرافي عن النصارى واتخاذهم هذه الأمانة عقيدة لهم: «... أصبحوا هزأً للناظر، ومضغة للمناظر»[5].

وهكذا من خلال ما سبق أبرز العلماء المسلمون تهافت هذه الأمانة التي يعدها النصارى أساس ديانتهم والتي لا يصح إيمان أحدهم إلا باعتقادها فأصبحوا بذلك كما وصفهم القرافي هزأً للناظر ومضغة للمناظر.

ثانياً: اختلاف الأناجيل:

الإنجيل: «من اللفظ اليوناني أونجيلون ومعناه خبر طيب»[6].

---

(١) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/ ٥١٦ ـ ٥١٧).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٥٢٣).

(٣) النصيحة الإيمانية، نصر بن يحيى المتطبب، تحقيق د. محمد الشرقاوي، ص (٧١ ـ ٧٢).

(٤) المصدر السابق، ص (٧٢).

(٥) الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١١٨).

(٦) قاموس الكتاب المقدس، نخبة من علماء اللاهوت النصارى، ص (١٢٠).

وتأتي بمعنى - الحلوان - وهو ما يعطى لمن يأتي بالبشرى، ثم أريد بها البشرى عينها. واستعملها المسيح عليه السلام بمعنى بشرى الخلاص التي حملها إلى البشر، وقد غلب استعمالها على الكتاب الذي يتضمن هذه البشرى عند النصارى منذ أواخر القرن الأول إلى الوقت الحاضر(١).

حيث يشمل هذا الكتاب العهد القديم والعهد الجديد.

فالعهد القديم يعني التوراة والكتب الملحقة بها حيث تضم تسعاً وثلاثين سفراً(٢)، والعهد الجديد يعني الأسفار التاريخية والأناجيل الأربعة ورسالة أعمال الرسل والأسفار التعليمية حيث يبلغ تعدادها جميعاً سبعاً وعشرين سفراً(٣).

والعهد القديم أو التوراة على الرغم من إيمان النصارى به إلى أنهم يفسرون كثيراً من نصوصه تفسيراً يوافق عقائدهم الباطلة كالتثليث وألوهية المسيح وغير ذلك؛ لعدم استطاعتهم التصرف بنصوصه كالإنجيل لأنه محفوظ عند أعدائهم اليهود(٤).

والإنجيل في الأصل هو الكتاب الذي أنزل على عيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾(٥). لكن هذا الإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام ليس هو الذي بين أيدي النصارى اليوم. إذ الذي بين أيديهم الآن أربعة أناجيل انتخبت من عدد غير محدود من الأناجيل.

حيث اعتمدت الكنيسة هذه الأربعة بما يسمى بالأناجيل القانونية من بين

---

(١) انظر: المسيحية، د. أحمد شلبي، ص (٢٠٤).

(٢) انظر: معجم الحضارات السامية، هنري س. عبودي، جروس برس، طرابلس، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١١ هـ - ١٩٩١م، ص (٦٢٦).

(٣) انظر: المرجع السابق، ص (٦٢٥)، وقاموس الكتاب المقدس، ص (٦٤٤).

(٤) انظر: المسيحية، د. أحمد شلبي، ص (٢٠٤).

(٥) سورة المائدة، الآية: (٤٦).

أناجيل كثيرة تم استبعادها أطلق عليها الأناجيل غير القانونية[1].

وقد كان ذلك سنة ١٧٠م[2].

وقد بين صاحب قصة الحضارة هذه القضية بقوله: «أما الأناجيل فليس أمرها بهذه السهولة، وذلك أن الأناجيل الأربعة التي وصلت إلينا هي البقية الباقية من عدد أكبر منها كثيراً كانت في وقت ما منتشرة بين المسيحيين في القرنين الأول والثاني»[3].

وإذا كانت هذه الأناجيل الأربعة قد تم اختيارها من بين أناجيل كثيرة فلا يستبعد أن يكون الإنجيل الصحيح من بين ما تم استبعاده وحتى هذه الأربعة المعتمدة لم تسلم من الاختلاف فيما بينها بل والتناقض الذي لا يمكن التوفيق فيه.

وقد تساءل ابن القيم[4] كيف يكون في الإنجيل الذي أنزل على عيسى قصة صلبه وما جرى له من الألم ثم الموت والقيام من القبر إلى غير ذلك مما هو من كلام شيوخ النصارى[5].

---

(١) انظر: قاموس الكتاب المقدس، نخبة من علماء اللاهوت والنصارى، ص (١٢٢).

(٢) انظر: المصدر السابق (١٢٠ ـ ١٢٣)، والتوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، ترجمة حسن خالد، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧ هـ، ص (٧٦).

(٣) قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة بدران، المجلد ٣، الجزء ٣، ص (٢٠٦).

(٤) هو العلامة محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي (ابن قيم الجوزية) كان مولده في دمشق سنة ٦٩١ هـ ووفاته بها سنة ٧٥١ هـ، من كبار العلماء ومن أخص تلامذة شيخ الإسلام ابن تيمية، أغري بحب الكتب فجمع منها شيئاً عظيماً وألف تصانيف كثيرة منها إعلام الموقعين، والطرق الحكمية، وأحكام أهل الذمة، والصواعق المرسلة، وغير ذلك.
انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٤/٢٤٦ ـ ٢٤٧)، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن عماد الحنبلي، تحقيق محمد الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ (٨/ ٢٨٧ ـ ٢٩١).

(٥) انظر: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، محمد بن أبي بكر «ابن القيم»، ص (٤٨).

وفيما يلي نبذة عن ما يسمى عند النصارى بالأناجيل الأربعة القانونية التي أقروها لتوافق التحريفات التي أدخلوها على ديانتهم في مجامعهم المختلفة:

١ - **إنجيل متى:** ومتى أحد تلاميذ المسيح الاثني عشر، وقد كان قبل اتصاله بالمسيح من جباة الضرائب للدولة الرومانية في كفر ناحوم بفلسطين. وبعد رفع المسيح عليه السلام جال في بلاد كثيرة يبشر بالنصرانية[١]، وقد كانت وفاته في الحبشة سنة ٦٢م وقيل: ٧٠م[٢]، وقيل غير ذلك.

وقد كتب متى إنجيله بالعبرية لليهود[٣] حيث فقدت هذه النسخة واشتهرت ترجمتها إلى اليونانية. وليس هناك اتفاق على تاريخ كتابة النسخة الأصلية المفقودة، والتي يعتقد أنها كتبت بين سنتي ٦٠ - ٦٥م، وكذلك الحال بالنسبة للترجمة اليونانية. إذ الخلاف واسع في ذلك[٤].

٢ - **إنجيل مرقس:** ومرقس اسمه يوحنا، أما مرقس فهو لقب له معناه باللاتينية - المطرقة -[٥].

ومرقس ليس من الحواريين الاثني عشر الذين اختصهم المسيح بل هو يهودي من أوائل من آمن بدعوة المسيح عليه السلام، وقد دخل مرقس مصر مبشراً بالنصرانية في منتصف القرن الأول، وكان يتردد منها إلى روما إلى أن قتله الوثنيون بمصر بين سنتي ٦٢ - ٦٧م. ويقال إن تجاراً من البندقية نقلوا جثمانه إلى مدينتهم في إيطاليا وذلك في مطلع القرن التاسع الميلادي[٦].

---

(١) انظر: قاموس الكتاب المقدس، نخبة من علماء اللاهوت النصارى، ص (٨٣٢)، ومعجم الحضارات السامية، هنري س. عبودي، ص (٧٧١ - ٨٧٢).

(٢) انظر: محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، الطبعة الثالثة، ١٩٦٦ هـ، ص (٤٣).

(٣) انظر: قاموس الكتاب المقدس، نخبة من علماء اللاهوت النصارى، ص (٨٣٢).

(٤) انظر: المرجع السابق، ص (٨٣٣).

(٥) انظر: المرجع السابق، ص (٨٥٣).

(٦) انظر: معجم الحضارات السامية، هنري س. عبودي، ص (٧٨٤ - ٧٨٥)، وكتاب

وقد كتب مرقس إنجيله باللغة اليونانية، واختلف في سنة كتابته له بين سنتي ٦٠ ـ ٦٥م. واختلف كذلك في أنه كتب هذا الإنجيل عن بطرس رئيس الحواريين أو أن بطرس كتب عنه[١].

٣ ـ **إنجيل لوقا:** ولوقا ولد في أنطاكية، وقيل في روما، وكان من رفقاء بولس، وقد كان طبيباً، وقيل مصوراً، ومن المؤكد أنه ليس من تلاميذ المسيح، وقد كتب إنجيله في حوالي ٦٠ ـ ٧٠م باللغة اليونانية، ويظن أنه كتبه للمصريين[٢]. والخلاف واسع في شخصية لوقا وصحة نسبة هذا الإنجيل إليه.

٤ ـ **إنجيل يوحنا:** وهو يوحنا الحواري من تلاميذ المسيح الأولين، وقد كانت وفاته في أفسس حوالي سنة ١٠٠م[٣]. وقيل: إنه يوحنا آخر من الجيل الثاني لا علاقة له بيوحنا الحواري وهو الأرجح[٤].

وقد كتب يوحنا إنجيله في سنة ٩٠م لغرض خاص وهو الرد على من ينكر ألوهية المسيح، لذلك فهذا الإنجيل أكثر أهمية من غيره بسبب تصريحه بألوهية المسيح خلافاً للأناجيل الثلاثة الأخرى والتي ليس فيها ذلك[٥].

هذه هي أناجيل النصارى التي عليها عماد ديانتهم، وهي في اعتقاد المسلمين لا يمكن أن تكون الإنجيل الذي أنزله الله عزّ وجلّ على عبده عيسى عليه السلام.

التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، سعيد بن البطريق، ص (٤٤).

(١) انظر: محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، ص (٤٦ ـ ٤٧).

(٢) انظر: قاموس الكتاب المقدس، نخبة من علماء اللاهوت النصارى، ص (٨٢٢). ومعجم الحضارات السامية، هنري س. عبودي، ص (٧٤٩).

(٣) انظر: معجم الحضارات السامية، هنري س. عبودي، ص (٩٣٢)، وقاموس الكتاب المقدس، نخبة من علماء اللاهوت النصارى، ص (١١٠٩ ـ ١١١٠).

(٤) انظر: محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، ص (٥٠).

(٥) انظر: معجم الحضارات السامية، هنري س. عبودي، ص (٩٣٢ ـ ٩٣٣)، ومحاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، ص (٥٣ ـ ٥٤).

وأحسن أحوالها أن تكون متضمنة لبعض ما أنزله الله جلّ وعلا على عيسى، وكثير مما فيها حرف بلفظه أو بمعناه، قال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[1]. قال القرطبي: «أي يتأولونه على غير تأويله ويلقون ذلك إلى العوام»[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «. . . فجمهور المسلمين يقولون: إن بعض ألفاظها بدل ـ أي التوراة والإنجيل ـ كما قد بدل كثير من معانيها، ومن المسلمين من يقول: التبديل إنما وقع في معانيها لا في ألفاظها، وهذا القول يقر به عامة اليهود والنصارى»[3].

وقال: «. . . وكل عاقل يعلم أن الكتب التي بأيديهم في تفسيرها من الاختلاف والاضطراب بين فرق النصارى، وبين النصارى واليهود ما يوجب القطع بأن كثيراً من ذلك مبدل محرف»[4]. ثم قال: «والقرآن والسنة المتواترة يدلان على أن التوراة والإنجيل الموجودين في زمن النبيّ ﷺ فيها ما أنزله الله عزّ وجلّ»[5].

ولمكانة الأناجيل عند النصارى؛ لكونها عماد ديانتهم، وأساس ضلالهم بما حرفوا فيها، فقد اهتم بعض من العلماء المسلمين في عصر الحروب الصليبية بدراستها مبينين تناقضها وعدم الطمأنينة إلى ما فيها، وإظهار ذلك للنصارى هدماً لأساس عقائدهم الباطلة، ورغبة في هداية من شاء الله هدايته منهم.

فهذا الجعفري يوضح أن مَنْ وقف على التناقض في الإنجيل، ومصادمة

---

(١) سورة المائدة، الآية: (١٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، المجلد الثالث، الجزء السادس، ص (٧٧).

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. علي بن حسن بن ناصر وآخرين (٢/ ٤٠٧).

(٤) المصدر السابق، ص (٢/ ٤١١).

(٥) المصدر السابق، ص (٢/ ٤٤٩).

بعضه بعضاً يشهد بأنه ليس هو الإنجيل الحق المنزل من عند الله، وأن أكثره من أقوال الرواة وأقاصيصهم، وأن نقلته أفسدوه ومزجوه بحكاياتهم، وألحقوا به أموراً غير مسموعة من المسيح ولا من أصحابه. وهو ليس إنجيلاً واحداً بل أربعة أناجيل كتب كل واحد منها في قطر من الأقطار، بقلم غير قلم الآخر، وتضمن كل كتاب أقاصيص وحكايات أغفلها الكتاب الآخر. وإذا كان الأمر كذلك فقد انخرمت الثقة بهذا الإنجيل، وعدمت الطمأنينة بنقلته[١].

ثم أورد الجعفري نماذج عديدة تبين تحريف الإنجيل وتناقضه. ومن ذلك:

١ - قال متى: مِن يوسف خطيب مريم - وهو الذي يسمى يوسف النجار - إلى إبراهيم الخليل اثنتان وأربعون ولادة[٢]. وقال لوقا: لا، ولكن بينهما أربع وخمسون ولادة[٣]. ثم عقب الجعفري على ذلك بقوله: وهذا تكاذب قبيح[٤].

٢ - نصان آخران أحدهما عند لوقا يصف المسيح عليه السلام بأنه سيملك على بني إسرائيل[٥]. ونص آخر عند يوحنا يصف المسيح عليه السلام بأنه الضعيف الذليل[٦]. حيث عقب عليهما الجعفري بقوله: وهذا تكاذب قبيح؛ لأن أحدهما يقول: إن يسوع يملك على بني إسرائيل، والآخر يصفه بصفة ضعيف ذليل[٧].

---

(١) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (١/ ٢٨٣ - ٢٨٤).

(٢) انظر: الكتاب المقدس، إنجيل متى، الإصحاح (١/ ١٦).

(٣) انظر: الكتاب المقدس، إنجيل لوقا، الإصحاح (٣/ ٢٣ - ٣٤).

(٤) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (١/ ٢٨٥).

(٥) انظر: الكتاب المقدس، إنجيل لوقا، الإصحاح (١/ ٣٠ - ٣٣).

(٦) انظر: الكتاب المقدس، إنجيل يوحنا، الإصحاح (١٩/ ١ - ١١).

(٧) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (١/ ٢٨٧ - ٢٨٨).

٣ ـ قال لوقا: «لما نزل بيسوع الجزع من اليهود ظهر له ملك من السماء ليقويه وكان يصلي متوارياً وصار عرقه كعبيط الدم»[١]. ثم وضح الجعفري أن ذلك لم يذكره حتى ولا مرقص ولا يوحنا. وإذا تركوا ذلك لا يؤمن أن يتركوا أهم منه، فإن كان ذلك صحيحاً فكيف تركه الجماعة؟ وإن لم يصح ذلك عندهم لم يؤمن أن يدخل لوقا في الإنجيل أشياء أخر[٢].

٤ ـ ومثل ذلك ما ذكره يوحنا: إن أول آية أظهرها المسيح تحويل الماء خمراً[٣]. ولم يذكر أصحابه الثلاثة ذلك. حيث عقب الجعفري على ذلك متسائلاً كيف أغفل هؤلاء الثلاثة مثل هذه الحادثة مع شهرتها؟ فالأمر لا يخلو من أن ذلك ناتج عن غفلة عظيمة منهم أو لأنها غير صحيحة وكلا الأمرين قدح في الإنجيل[٤].

٥ ـ ذكر متى أن يوسف خطيب مريم كان أبوه يسمى يعقوب بن ماثان[٥]. وذكر لوقا غير ذلك فقال: «أقام يسوع ثلاثين سنة وهو يظن أنه ابن يوسف بن هالي بن مطب»[٦]. ثم عقب الجعفري على النصين بقوله: «وهذا تناقض عجيب»[٧]. وهكذا استطرد الجعفري بذكر نماذج من تحريف الإنجيل

---

(١) هذا النص أورده الجعفري في التخجيل (١/ ٢٨٨)، وقد ورد في الكتاب المقدس مع اختلاف يسير في اللفظ في إنجيل لوقا، الإصحاح (٢٢/ ٤٣ ـ ٤٤).

(٢) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (١/ ٢٨٨).

(٣) انظر: الكتاب المقدس، إنجيل يوحنا، الإصحاح (٢/ ١ ـ ١١).

(٤) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (١/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠).

(٥) انظر: الكتاب المقدس، إنجيل متى، الإصحاح (١/ ١٥).

(٦) هذا النص الذي أورده الجعفري في التخجيل (١/ ٢٩٣)، وفي الكتاب المقدس ما نصه: «ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان يظن ابن يوسف بن هالي بن متثات. . .» إنجيل لوقا، الإصحاح (٣/ ٢٣ ـ ٢٤).

(٧) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (١/ ٢٩٣).

وتناقضه في اثنين وخمسين موضعاً[1]، عقب بعد عرضها بقوله: «فهذا كتاب قد تلاعبت به بنيات الطرق، وتزاحمت به تراجمة الفرق، وولد من لسان إلى لسان، وعبث به التحريف والتصحيف في كل زمان»[2].

وخاطب الخزرجي أحد قساوسة النصارى بقوله: «... أناجيلكم ما هي إلا حكايات، وتواريخ، وكلام كهنة، وتلاميذ، وغيرهم. حتى إني أحلف بالذي لا إله إلا هو أن تاريخ الطبري عندنا أصح نقلاً من الإنجيل، ويعتمد عليه العاقل أكثر. مع أن التاريخ عندنا لا يجوز أن ينبني عليه شيء من أمر الدين...»[3].

ثم أورد الخزرجي في نقاشه مع القسيس أمثلة على تناقض الإنجيل مبتدئاً لها بقوله: «... وفي الإنجيل الذي بأيديكم كثير من المتناقضات»[4]. ومنها:

١ - قول المسيح ﷺ: «إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي غير مقبولة وغيري يشهد لي»[5]. ثم في موضع آخر من الإنجيل قول المسيح: «إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق، لأني أعلم من أين أتيت وإلى أين أذهب»[6]. عقب الخزرجي بعد ذلك مخاطباً القسيس بقوله: «أخبرني كيف تكون شهادته حقاً وباطلاً، مقبولة وغير مقبولة؟ وكيف يجمع بين هذين في كتاب منسوب إلى الله تعالى؟»[7].

٢ - وفي الإنجيل للوقا يخبر عن المرأة التي صبت الطيب على رجلي المسيح،

---

(١) انظر: المصدر السابق (١/ ٢٨٣)، وما بعدها.

(٢) المصدر السابق، ص (١/ ٣٢٥).

(٣) مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، ص (١٥٧).

(٤) المصدر السابق، ص (١٤٢).

(٥) هذا النص الذي أورده الخزرجي في كتابه مقامع الصلبان، ص (١٤٦)، ورد في الكتاب المقدس مع اختلاف يسير في اللفظ في إنجيل يوحنا، الإصحاح (٥/ ٣١).

(٦) الكتاب المقدس، إنجيل يوحنا، الإصحاح (٨/ ١٤).

(٧) مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، ص (١٤٦).

وأنكر ذلك التلاميذ وقالوا: هلا تصدقت به[١]. وفي إنجيل متى وصف هذ الخبر بعينه إلا أن المرأة صبت الطيب على رأس المسيح[٢]. عقب بعد ذلك الخزرجي بقوله: «فما أبعد اليقين عن خبر فيه هذا الاختلاف»[٣].

٣ - وفي الإنجيل قول المسيح ﷺ: لم آت لأنقض شريعة من قبلي، إنما جئت لأتمم[٤]. ثم فيه بعد أحرف قليلة كلام آخر ينقض ذلك وهو قوله: أما علمتم أنه قيل للقدماء: لا تقتلوا، ومن قتل فقد استوجب القتل، وأنا أقول: كل من سخط على أخيه فقد استوجب العقوبة[٥][٦].

وبعد أن أورد الخزرجي أمثلة على ذلك وجه خطابه للقسيس قائلاً: «أخبرني أيها المغرور عن هذا الخلاف، أتعده تتميماً أو نقضاً لشريعة من سبقه؟»[٧].

وأخيراً بعد أن انتهى الخزرجي من سرد الأمثلة الكثيرة على تناقض الإنجيل وبين أن فيها الكفاية على تهافت الأناجيل، والدليل على ما اشتملت عليه من الزلل والأباطيل، بعد ذلك تساءل قائلاً: «فليت شعري أين هذا الإنجيل المنزل من عند الله؟ وأين كلماته من بين هذه الكلمات»[٨].

وقد بين القرافي أنه لكثرة التحريف والتبديل في الإنجيل، وكثرة كتبته، واختلاف طوائف النصارى فيه فلا يمكن والحال هذه تمييز الكلام الذي أنزله الله

---

(١) انظر: الكتاب المقدس، إنجيل لوقا، الإصحاح (٧/ ٣٦ - ٣٩).

(٢) انظر: الكتاب المقدس، إنجيل متى، الإصحاح (٢٦/ ٦ - ٩).

(٣) مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، ص (١٥١).

(٤) انظر: الكتاب المقدس، إنجيل متى، الإصحاح (٥/ ١٧).

(٥) انظر: الكتاب المقدس، إنجيل متى، الإصحاح (٥/ ٢١ - ٢٣).

(٦) انظر: مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، ص (١٥٤).

(٧) المصدر السابق، ص (١٥٥).

(٨) المصدر السابق، ص (١٥٧).

عن غيره، حيث قال: «وأما النصارى فلا يتعين لهم شيء مما أنزل الله تعالى أبداً. . .»[1][2].

وفي موضع آخر وصف القرافي كتب النصارى بقوله: «. . . ومن طالع كتبهم وأناجيلهم وجد فيها من العجائب ما يقضي له بأن القوم تفرقت شرائعهم، وأحكامهم، ونقولهم. . . وأن القوم لا يلتزمون مذهباً، والعجب أن أناجيلهم حكايات، وتواريخ، ومجريات، وكلام كفرة وكهنة. . . .»[3]. ثم أورد بعد ذلك خمسة عشر مثالاً من تناقضات الأناجيل تدل على تغييرها وتبديلها وعدم الوثوق بشيء منها[4].

وهكذا من خلال إبراز العلماء المسلمين لاختلاف الأناجيل وتناقضها ومصادمة بعضها بعضاً وإيراد الأمثلة على ذلك، إيضاحٌ بما لا يدع مجالاً للشك لضعف ما بنى عليه النصارى عقائدهم الباطلة ومن ثم زعزعة الثقة لديهم بمصدر هذه العقائد الذي يعدونه أساس ديانتهم.

ثالثاً: مناقشة قولهم في المسيح عليه السلام:

المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام بشر مخلوق ليس بإله ولا ابن إله، قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾﴾[5]، وقال سبحانه:

(١) الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (٢٧).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «. . . فجمهور المسلمين يقولون: إن بعض ألفاظها بدل - أي التوراة والإنجيل -، كما قد بدل كثير من معانيها، ومن المسلمين من يقول: التبديل إنما وقع في معانيها؛ لا في ألفاظها، وهذا القول يقر به عامة اليهود والنصارى. . .». الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. علي بن حسن بن ناصر وآخرين (٢/ ٤٠٧).

(٣) الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (٢٧).

(٤) انظر: الأمثلة التي أوردها القرافي على تحريف الإنجيل في الأجوبة الفاخرة، ص (٢٢) وما بعدها.

(٥) سورة الزخرف، الآية: (٥٩).

﴿مَا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾[1]. وما ادعى عليه السلام الربوبية ولا الألوهية، ولم يأمر أحداً باتخاذه إلهاً. بل إنه عبدالله ورسوله كما قال الله سبحانه فيما حكاه عنه: ﴿مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ﴾[2].

وقد عاش المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام يدعو إلى التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده، وكان قدوة صالحةً في ذلك، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴿٣١﴾﴾[3].

ولما بلغ رسالة ربه وأراد به أعداؤه كيداً نجاه الله منهم، وذلك برفعه إليه، قال الله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ﴾[4] وقال سبحانه: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ﴾[5]،

وقد ضل النصارى في المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ضلالاً بعيداً إذ اعتقدوا فيه الألوهية، وجعلوه ابناً لله نزل ليصلب ويقتل فداءً للبشرية، وتكفيراً لخطيئة أبيهم آدم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في عقيدة النصارى بالمسيح عيسى ابن مريم عليه السلام بعد أن عرض أقوالهم فيه: «. . . والصواب أن هذه الأقوال جميعها قول طوائف النصارى. . . فتقول: إن الله ثالث ثلاثة، وتقول عن المسيح إنه الله، وتقول إنه ابن الله. . .»[6] وقال: «. . . ثم يزعمون أن الصلب الذي هو من أعظم الذنوب

---

(١) سورة المائدة، الآية: (٧٥).

(٢) سورة المائدة، الآية: (١١٧).

(٣) سورة مريم، الآيتان: (٣٠ ـ ٣١).

(٤) سورة آل عمران، الآية: (٥٥).

(٥) سورة النساء، الآية: (١٥٧).

(٦) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. علي بن حسن بن ناصر وآخرين (٢/ ١٢).

والخطايا به خلص الله آدم وذريته من عذاب الجحيم...»[1].

ولقد ناقش العلماء المسلمون في عصر الحروب الصليبية عقيدة النصارى بالمسيح عليه السلام نقاشاً مستفيضاً؛ فضحاً لباطل النصارى في ذلك، وبياناً للحق الذي لُبس على عامتهم. فأسهبوا في ردودهم على النصارى في إبطال اتخاذهم المسيح أحد ثلاثة آلهة، ورد ادعائهم فيه الاتحاد والتجسد، ونفي الألوهية عنه، وهدم زعمهم بنوته لله ـ تعالى الله عن ذلك ـ، وتفنيد ما ادعوه من قتله وصلبه.

وفيما يلي عرض لبعض جهودهم في ذلك:

١ ـ إبطال التثليث:

اتخذ النصارى المسيح عليه السلام إلهاً بجعله واحداً من ثلاثة.

وقد بدأ بذرة التثليث في النصرانية بولس[2] بعد المسيح عليه السلام[3]، حيث استقرت فرقها المختلفة على هذه العقيدة بعد ذلك في مجمع نيقية عام ٣٢٥م بتأليه الأب، وتأليه الابن، ثم تأليه روح القدس في مجمع القسطنطينية عام ٣٨١م[4]، وعرفت هذه العقيدة بالتثليث. وكان النصارى قبل مجمع نيقية مختلفين بين موحدين ومشركين على ديانة بولس حتى جمعهم قسطنطين[5]

---

(١) المصدر السابق، ص (٢/١٠٨).

(٢) بوليس، ومعناه باليونانية: الصغير، وكان اسمه في اليهودية: شاؤول، ويلقبه النصارى بالرسول، وهو ليس من تلاميذ المسيح ولم تثبت له رؤية، وقد كان بولس في بداية حياته من أشد أعداء أتباع المسيح، ثم فجأة اعتنق النصرانية بسبب نورٍ رآه وهو في طريقه إلى دمشق حيث زعم أنه المسيح وأمره باتباعه وتبليغ دعوته. حيث بدأ منذ ذلك الوقت ـ أي بعد رفع المسيح بسبع سنوات يدعو إلى النصرانية على أساس فهمه هو وآرائه التي انحرف بها عن تعاليم المسيح عليه السلام، وقد قتل بولس سنة ٦٧ أو ٦٨م. انظر: قاموس الكتاب المقدس، نخبة من علماء اللاهوت والنصارى، ص (١٩٦ ـ ١٩٩).

(٣) انظر: رسالته إلى أهل رومية، الإصحاح (٥/١٠ ـ ١٢).

(٤) انظر: علم اللاهوت النظامي، المؤلف مجهول الاسم، دار الثقافة المسيحية، القاهرة، ١٩٧١م، ص (١٣٣).

(٥) هو قسطنطين بن قسطنديوس كلورس، ولد في نيتش في يوغوسلافيا سنة ٢٨٠ م، والتحق

على الشرك بالله في هذا المجمع[1].

وإيمان النصارى بالتثليث سماعاً وتقليداً لما ورثوه عن آبائهم مع عدم الخوض في كنه هذه العقيدة أو التعمق فيها. قال أحدهم[2]: «... وهذه ـ أي التثليث ـ حقيقة تفوق الإدراك البشري»[3]. وبين آخر أن التثليث من الأسرار التي يعجز العقل البشري عن إدراكها[4].

وقال أحد القساوسة[5]: «إن الثالوث سر يصعب فهمه وإدراكه كمن يحاول وضع مياه المحيط كلها في كفه»[6].

ولهذا التعقيد في فهم عقيدة التثليث لدى النصارى اختلفوا في تحديدها، وفي المراد منها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «... لو سألت بعض النصارى وامرأته وابنه عن توحيدهم؛ لقال الرجل قولاً، وامرأته قولاً آخر، وابنه قولاً ثالثاً»[7].

بالجيش الروماني وعمره ١٥ سنة، ثم أصبح قائداً وعمره ثماني عشرة سنة، بعدها استقل بالسلطة سنة ٣٢٤م، ثم اعتنق النصرانية فعقد مجمع نيقيا المشهور سنة ٣٢٥م، والذي انتهى بالقول بتأليه المسيح عليه السلام، وقد كانت وفاته سنة ٣٣٧م.

انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة محمد بدران، المجلد الثالث، الجزء الثالث، ص (٣٨٢ ـ ٤٠٣).

(١) انظر: مجموعة الشرع الكنسي، حنانيا إلياس كساب، ص (٤٠) وما بعدها.

(٢) وهو زكي شنودة، صاحب تاريخ الأقباط في مصر.

(٣) تاريخ الأقباط في مصر، زكي شنودة، (١/ ٢٣٧)، نقلاً عن: النصرانية من التوحيد إلى التثليث د. محمد الحاج، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ، ص (٢٠٧).

(٤) انظر: حقائق أساسية في الإيمان المسيحي، القس فايز فارس، دار الثقافة المسيحية، القاهرة، ص (٥٣).

(٥) هو توفيق جيد، قس وكاتب نصراني.

(٦) النصرانية من التوحيد إلى التثليث، د. محمد الحاج، ص (٢٠٧).

(٧) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. علي بن حسن بن ناصر وآخرين (٣/ ٣١٩).

وفي معنى التثليث قال أحدهم[1]: «وكلمة الثالوث تطلق عند النصارى على وجود ثلاثة أقانيم[2] معاً في اللاهوت، تعرف بالأب، والابن، والروح القدس...»[3].

وفي قاموس الكتاب المقدس أن طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية، الله الأب، الله الابن، الله روح القدس، فإلى الأب ينتمي الخلق، وإلى الابن ينتمي الفداء، وإلى روح القدس التطهير، غير أن الثلاثة تتقاسم جميع الأعمال الإلهية على السواء[4].

وقد عرض بعض العلماء المسلمين في عصر الحروب الصليبية عقيدة التثليث لدى النصارى كما يعتقدونها، حيث قال نصر بن يحيى المتطبب: «... إن الله سبحانه وتعالى جوهر واحد وثلاثة أقانيم، أقنوم الأب، وأقنوم الابن، وأقنوم روح القدس. وأنها - أي الذات الإلهية - واحدة في الجوهر مختلفة الأقانيم»[5].

وقال القرافي في عرض عقيدة التثليث عند النصاري: «... النصاري مجمعون على القول بالثالوث، وهو أن ربهم أب، وابن، وروح. فالأب الذات، والابن النطق الذي هو الكلام النفساني، والروح الحياة. فالأب جوهر، واختلفوا في الكلام والحياة هل هما صفتان للأب أو ذاتان قائمتان بأنفسهما، أو خاصيتان لذلك الجوهر؟»[6].

---

(١) هو بطرس البستاني.

(٢) الأقانيم: جمع أقنوم، والأقنوم كلمة يونانية الأصل تدل على شخصية متميزة. (انظر: حقائق أساسية في الإيمان المسيحي، القس فايز فارس، ص (٥٢).

(٣) دائر المعارف، بطرس البستاني، مؤسسة مطبوعاتي إسماعيليان، طهران، ١٨٨٢م، (٦/ ٣٠٥).

(٤) انظر: قاموس الكتاب المقدس، نخبة من علماء اللاهوت النصارى (١٠٧ - ١٠٨).

(٥) النصيحة الإيمانية، نصر بن يحيى المتطبب، تحقيق د. محمد الشرقاوي، ص (٥٦ - ٥٧).

(٦) الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١١١).

وبعد عرض هؤلاء العلماء لعقيدة التثليث لدى النصارى تصدوا لمناقشتها، وتفنيد أدلتهم عليها على النحو التالي:

أ ـ بيان فساد هذه العقيدة وكفر من يعتقدها ابتداءً:

ففي تفسير قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾[1]. قال ابن عطية[2] بعد أن بين أن هذا القول لبعض فرق النصارى: «... وهم على اختلاف أحوالهم كفار من حيث جعلوا في الإلهية عدداً، ومن حيث جعلوا لعيسى عليه السلام حكماً إلهياً... ثم توعد تبارك وتعالى هؤلاء القائلين هذه العظيمة بمس العذاب بالدنيا من القتل والسبي، وبعذاب الآخرة بعد لا يفلت منه أحد...»[3].

وبعد أن وضح الرازي تثليث النصارى عقب بقوله: «... ولا يرى في الدنيا مقالة أشد فساداً وأظهر بطلاناً من مقالة النصارى...»[4].

وفي موضع آخر بعد أن شرح الرازي تثليث النصارى قال: «... وذلك محض الكفر»[5].

---

(١) سورة المائدة، الآية: (٧٣ ـ ٧٤).

(٢) هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي الغرناطي، مفسر فقيه من أهل غرناطة، ولي قضاء المرية، من كتبه كتابه المشهور المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، كان مولده في غرناطة سنة ٤٨١ هـ، ووفاته في بلورقة سنة ٥٤٢ هـ.
انظر: الديباج المذهب إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون، تحقيق د. محمد الأحمدي أبو النور، (٢/ ٥٧ ـ ٥٩)، وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٩/ ٥٨٧).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلس، تحقيق المجلس العلمي بفاس (٥/ ١٦١ ـ ١٦٢).

(٤) التفسير الكبير، محمد بن عمر بن الحسين الرازي، المجلد السادس، الجزء الثاني عشر، ص (٥١).

(٥) المصدر السابق، المجلد السادس، الجزء الحادي عشر، ص (٩٢).

وبعد أن وضح البغوي غلو النصارى في المسيح ﷺ والذي منه قولهم إنه أحد ثلاثة آلهة عقب بقوله: «وأصل الغلو مجاوزة الحد، وهو في الدين حرام»[1].

وقال الجعفري: «... عند النصارى ثلاثة آلهة قديمة أزلية... وذلك باطل وكفر»[2].

وقال القرطبي: «... وفيه ـ أي التثليث ـ خروج عن التوراة والإنجيل والمزامير والنبوات وسائر الكتب...»[3].

ب ـ إيراد الأدلة من كتب النصارى على وحدانية الله سبحانه وتعالى: حيث ساق كثير من العلماء في معرض مناقشتهم للنصارى وإبطالهم لعقيدة التثليث لديهم الأدلة من التوراة والإنجيل التي تثبت وحدانية الله سبحانه وتعالى وتنقض التثليث الذي يعتقدونه.

فمما أورده الجعفري من ذلك قول الله في التوراة: «يا موسى أنا الله أنا إله غيور، أنا الله وحدي، وليس معي غيري»[4].

وقوله لموسى ﷺ: «لا يكن لك إله غيري»[5].

---

(١) معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق محمد بن عبدالله النمر، (٢/ ٣١٣ ـ ٣١٤).

(٢) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/ ٥٨٢).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، المجلد الثالث، الجزء السادس، ص (١٦١).

(٤) هذا نص الجعفري في الواضح المشهود في المسألة الثامنة من المخطوط ص (٢٧ ـ ٢٨)، وقد ورد في التوراة مع اختلاف يسير في اللفظ في سفر الخروج، الإصحاح (٢٠/ ١ ـ ٥).

(٥) هذا نص الجعفري في الواضح المشهود في المسألة الثامنة من المخطوط ص (٢٨)، وانظر: التوراة، سفر الخروج، الإصحاح (٢٠/ ١ ـ ٣).

ومن الإنجيل أورد الجعفري قول متى: «قال رجل للمسيح: يا معلم صالح، فقال له: لا تقل لي صالحاً، لا صالح إلا الله الواحد»(١). حيث عقب الجعفري على ذلك بقوله: «أضاف المسيح لربه الوحدة، واعترف له بالألوهية وحده، وفي ذلك رد على النصارى في دعواهم التثليث وعبادة المسيح. إذ نفى الصلاحية عن نفسه وأثبتها لله وحده، ولو كان الأمر في ذلك على ما يعتقده النصارى لبينه للرجل، ولقال له: لا صالح إلا الأب وأنا وروح القدس، ولم يؤخر البيان عن وقت الحاجة»(٢).

ومن الأدلة التي أوردها القرافي من التوراة على التوحيد وإبطال التثليث قول الله سبحانه وتعالى لبني إسرائيل: «أنا الله ربكم الذي أخرجتكم من أرض مصر من بيت العبودية لا يكون لكم إله غيري»(٣). ومن الإنجيل قول يوحنا: إن المسيح رفع بصره إلى السماء وتضرع إلى الله وقال: «إن الحياة الدائمة تجب للناس أن يعلموا أنك أنت الله الواحد الحق، وأنك أرسلت يسوع المسيح»(٤). ثم علق القرافي على ذلك بقوله: «وهذا هو التوحيد المحض»(٥). وما ورد في الإنجيل أيضاً أن الشيطان قال ليسوع: «اسجد لي وأعطيك ملك الأرض، قال له يسوع: اذهب عني يا شيطان، إن الله أمر في التوراة أن لا يسجد لغيره، ولا يعبد إله سواه»(٦). وقول موسى عليه السلام: «اسمعوا يا بني إسرائيل، الله ربنا، إله

---

(١) هذا النص أورده الجعفري في التخجيل (١/١٣٩)، وورد في الكتاب المقدس مع اختلاف يسير في اللفظ في إنجيل متى، الإصحاح (١٩/١٦ ـ ١٧).

(٢) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (١/١٣٩).

(٣) هذا النص الذي أورده القرافي في كتابه أدلة الوحدانية، ص (٥٨)، وورد في التوراة مع اختلاف يسير في اللفظ في سفر الخروج، الإصحاح (٢٠/١ ـ ٣).

(٤) هذا النص الذي أورده القرافي في كتابه أدلة الوحدانية، ص (٥٩)، وورد في الكتاب المقدس في إنجيل يوحنا مع اختلاف يسير في اللفظ في الإصحاح (١٧/٣).

(٥) أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية، أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق د. عبد الرحمن دمشقية، ص (٥٩).

(٦) هذا النص الذي أورده القرافي في كتابه أدلة الوحدانية، ص (٦٠)، وقد ورد في الكتاب

واحد»[1]. حيث عقب على ذلك القرافي بقوله: «هذا موسى عليه السلام لما قال: «إله واحد» لو كانوا ثلاثة كما زعمتم لما وسعه تغيير الكلام الذي سمعه من مولاه، ولا استحيا بتبديله عن معناه»[2].

وبعد أن أبطل نصر بن يحيى المتطبب التثليث بأدلة عقلية، وجه كلامه للنصارى قائلاً: «فلم لا تجعلوه ـ أي المسيح ـ كما جعل نفسه وهو لم يدع ذلك ـ أي الألوهية ـ ولم يرضَ به»[3]، ثم أورد نصوصاً من الإنجيل في إفراد الله سبحانه وتعالى بالألوهية معقباً بعدها بقوله: «فهذه الشواهد كلها من كتبكم وما رضيتم قوله ـ أي المسيح ـ في نفسه، ولا قول تلاميذه فيه، ولا قول من أثنى عليه من الأنبياء، . . . فتركتم ذلك كله وأخذتم بآراء قوم من رؤسائكم تأولوا ما تأولوه لكم مع علمكم بأنهم قد اختلفوا أيضاً في الرأي. فبينوا لنا حجتكم في ذلك، وهيهات من حجة»[4].

جـ ـ إبطال عقيدة التثليث من خلال بيان اختلاف النصارى في تفسير هذه العقيدة اختلافاً شديداً. حتى أن بعض فرقهم تكفر البعض الآخر.

وهذا الاختلاف راجع إلى غموض هذه العقيدة، ومصادمتها للعقل السليم. ولذلك صار الإيمان بها لدى النصارى سماعاً وتقليداً لما ورثوه عن آبائهم.

هذا الغموض الشديد في تثليث النصارى والاختلاف في تفسيره أشار إليه نصر بن يحيى المتطبب في معرض رده عليهم كدليل على تهافت هذه العقيدة[5].

وفي مناقشة القرافي لذلك وضح أن اختلافهم في أصل ديانتهم دليل على

المقدس مع اختلاف يسير في اللفظ في إنجيل متى، الإصحاح (٤/٨ ـ ١٠).

(١) الكتاب المقدس، إنجيل مرقس، الإصحاح (١٢/ ٢٩).

(٢) أدلة الوحدانية، أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق د. عبد الرحمن دمشقية، ص (٦٣).

(٣) النصيحة الإيمانية، نصر بن يحيى المتطبب، تحقيق د. محمد الشرقاوي، ص (١٢٩).

(٤) المصدر السابق، ص (١٣٠).

(٥) انظر: النصيحة الإيمانية، نصر بن يحيى المتطبب، تحقيق د. محمد الشرقاوي، ص (٥٦، ٥٧).

أنهم ليسوا على دين، ولا في شيء من أمرهم على يقين[1].

وقال القرطبي في ثنايا عرضه لعقيدة التثليث لدى النصارى، وسياقه لاختلافاتهم فيها: «... وهم مع ذلك فيما ذكرناه من الأقانيم مختلفون، وبالحيرة عمون»[2]. وقال: «وإذا وقفت على هذه الأقاويل الضعيفة والآراء السخيفة لم تشك في تخبطهم في عقائدهم، وحيرتهم في مقاصدهم»[3].

د ـ إبطال عقيدة التثليث من خلال تفنيد أدلة النصارى عليها:

حيث عرض بعض العلماء المسلمين أمثلة من أدلة النصارى على عقيدة التثليث؛ بياناً لهشاشتها، وإيضاحاً لضعفها ومن ثَمَّ إبطالاً لهذه العقيدة المعتمدة عليها:

فمن هذه الأدلة ما عرضه القرافي مما ورد في التوراة أن الله سبحانه وتعالى بعد أن وصل إلى خلق آدم قال: «نضع آدم بصورتنا كشبهنا»[4] حيث وضح وجه استدلال النصارى بذلك على التثليث بأن صيغة الجمع تدل على التثليث من حيث أن أقل الجمع ثلاثة، فالمراد بذلك الأب، والابن، وروح القدس، إله واحد، وأراد بقوله ـ بشبهنا ـ السيد المسيح حيث شبهه بنفسه لأجل اللاهوت وشبهه بآدم لأجل الناسوت[5]. وبعد أن عرض القرافي هذا الدليل للنصارى على التثليث ووجه استدلالهم به أبطله ببيان المعنى الصحيح لقول الله سبحانه وتعالى، وأن النون لا تعني الجمع وإنما المقصود بها العظمة،

---

(١) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١١٨ ـ ١١٩).

(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٨٠).

(٣) المصدر السابق، ص (٨١).

(٤) هذا النص الذي أورده القرافي في أدلة الوحدانية، ص (٢٧)، ونصه في التوراة «وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا» سفر التكوين، الإصحاح (١/ ٢٦).

(٥) انظر: أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية، أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق د. عبد الرحمن دمشقية، ص (٢٧).

وهي مستعملة عند سائر الأمم، وقوله ـ بشبهنا ـ ليس المراد به المسيح، إذ القول وقع على آدمعليه السلام[1][2].

ودليل آخر أورده القرافي من التوراة يستدل بها النصارى على تثليثهم وهو أن الملائكة تراءت لإبراهيمعليه السلام في صورة ثلاثة نفر، فقام إبراهيم فسجد للواحد وخاطب الثلاثة وجاء بعجل حينئذٍ وبشروه بإسحاق[3]. ووجه استدلال النصارى بذلك هو سجود إبراهيم للواحد، ومخاطبة الثلاثة. فهذا فيه دليل على التثليث بزعمهم[4]. وقد رده القرافي عليهم مبيناً جهلهم بفهمهم التثليث من ذلك، وموضحاً عدم تسليم اليهود لهم بهذا الفهم. ثم إنه على التسليم بصحة هذا النقل

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص (٧١ ـ ٧٢).

(٢) يوضح شيخ الإسلام ابن تيمية أن استدلال النصارى على التثليث بلفظ التوراة «نخلق خلقاً على شبهنا ومثالنا» وأن المراد به المسيح ومن سوى شبهه سوى حكمته وروحه. إن هذا الاستدلال باطل من وجوه:
أ ـ إن لفظ التوراة «نصنع آدم كصورتنا وشبهنا» فالمراد به آدم وليس المسيح.
ب ـ إن الله ليس كمثله شيء، وليس اللفظ على مثالنا.
جـ ـ إن هذا اللفظ على تقدير «نخلق خلقاً على شبهنا ومثالنا» لا اختصاص للمسيح به.
د ـ إن أراد النصارى بالكلمة التي هي شبهه ومثاله صفته التي هي العلم والحياة مثلاً فالصفة لا تكون مثلاً للموصوف، إذ الموصوف هو الذات القائمة بنفسها، والصفة قائمة بها، وإن أرادوا شيئاً آخر مثل بدن المسيح وروحه فذلك مخلوق له والمخلوق لا يكون مثل الخالق. كذلك وعلى ما قالوه أنه قال: «نخلق خلقاً على شبهنا» وحكمة الله وروحه عندهم غير مخلوقة فامتنع بذلك حكمته وروحه. وإن قالوا المراد بذلك ـ على صورتنا وشبهنا ـ الناسوت المسيحي، فلا فرق بين ذلك الناسوت وسائر النواسيت، مع أن المراد بالنص آدم أبو البشر، والناسوت نفسه ليس هو حكمة الله وروحه. ولو قدر أنه أريد بذلك أن كلام الله يشبه ذاته من بعض الوجوه مثل كونه قديماً بقدمه لم يكن في ذلك ما يدل على الأقانيم الثلاثة، انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. علي بن حسن بن ناصر وآخرين (٥/ ٤٤٠ ـ ٤٤٢).

(٣) انظر: التوراة، سفر التكوين، الإصحاح (١٨/ ١ ـ ١٥).

(٤) انظر: أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية، أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق د. عبد الرحمن دمشقية، ص (٢٧ ـ ٢٨).

فيحتمل أن إبراهيم ﷺ سجد لجبريل رئيس الملائكة لحشمته وسلم على البقية[(١)][(٢)].

ومما استدل به النصارى من الإنجيل على تثليثهم قول عيسى ﷺ: «اذهبوا إلى سائر الأمم وعمدهم باسم الأب والابن وروح القدس»[(٣)].

وقد ردَّ القرافي على ذلك بقوله: «وأما ما اعتمدوا عليه من نص الإنجيل فقد تقدم أن إنجيلهم ليس شيئاً يعتمد عليه، ولا هو مضبوط النقل، ولا مضبوط العين، ولا يوثق منه بشيء في الدين»[(٤)].

وبين نصر بن يحيى المتطبب بأنه لو صحت الرواية فإن المعنى أن تجتمع للمعمَّد بركة الله وبركة نبيّه المسيح، وبركة روح القدس التي يؤيد بها الأنبياء والرسل. كما يكون أحدكم أيها النصارى عند الجاثليق أو الأسقف فيقول له: صل عليَّ، أي ادع لي، باسم فلان النبيّ أو فلان الصالح الذي هو يعينك على أمورك[(٥)]. ويحتمل أن يكون المسيح ﷺ ذهب فيه إلى ما أعلم به، فكيف

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص (٧٢).

(٢) وعلى هذا التوجيه: فالسجود من باب التحية والإكرام، لا سجود خضوع وعبادة، وقد كان ذلك جائز في الأمم السابقة كسجود أبوي يوسف وإخوته له، وقد نسخ ذلك في الإسلام سداً لذريعة الشرك فكانت التحية بين المسلمين السلام. انظر: الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، المجلد الخامس، الجزء العاشر، ص (١٧٣ ـ ١٧٤).

(٣) هذا النص الذي أورده القرافي في الأجوبة الفاخرة، ص (٣٣)، وقد ورد في الكتاب المقدس مع اختلاف يسير في اللفظ في إنجيل متى، الإصحاح (٢٨/ ١٩).

(٤) الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (٣٤).

(٥) هذا التوجيه من نصر بن يحيى المتطبب فيه تجاوز، حيث إنه لا الملائكة ولا الأنبياء، ولا غيرهم من الصالحين يملكون لأحدٍ ضراً ولا نفعاً في حال التوسل بهم.
والأقرب أن المعنى إن صحت هذه العبارة هو كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أي مروا الناس أن يؤمنوا بالله وبنبيه الذي أرسله وبالملك الذي أنزل عليه الوحي الذي جاء به؛ فيكون ذلك أمراً لهم بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، وهذا هو الحق الذي يدل عليه صريح المعقول وصحيح المنقول». الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. علي بن حسن بن ناصر وآخرين (٣/ ١٩٧).

فسرتموها أيها النصارى هذا التفسير الذي يقتضي التثليث[1].

هـ ـ بيان فساد عقيدة التثليث بالأدلة العقلية[2]:

وقد توسع العلماء المسلمون في عصر الحروب الصليبية في إبطال عقيدة التثليث من خلال طلبهم من النصارى عرض هذه العقيدة على العقل السليم المجرد من الهوى وتحكيمه فيها، وسيظهر لهم فساد ما هم عليه.

ومن ذلك أنه قد كتب أحد علماء النصارى في الأندلس كتاباً سماه ـ تثليث الوحدانية ـ وبعث به إلى المسلمين في قرطبة. فرد عليه القرطبي منتقداً عنوان الكتاب، وموضحاً أن قوله: ـ تثليث الوحدانية ـ مركب من مضاف ومضاف إليه، فالتثليث تعدد وكثرة والوحدانية مأخوذة من الوحدة، ومعناها راجع إلى نفي التعدد والكثرة. فمعنى هذا القول ـ تكثير ما لا يتكثر ـ وتكثير ما لا يتكثر باطل بالضرورة[3][4].

وألزم الجعفري النصارى بلوازم لا مفر لهم منها في قولهم بالتثليث، فإن كانوا يقولون: إن الثلاثة بمجموعها إله واحد، وإن كل واحد على انفراده ليس

(١) انظر: النصيحة الإيمانية، نصر بن يحيى المتطبب، تحقيق د. محمد الشرقاوي، ص (١٢٦).

(٢) يلاحظ في إبطال بعض العلماء المسلمين في عصر الحروب الصليبية لعقيدة التثليث لدى النصارى بالأدلة العقلية غلبة منهج المتكلمين عليهم في ذلك. مما يخالف في بعض ردودهم منهج أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته.

(٣) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٤٧).

(٤) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في إيمان النصارى بثلاثة آلهة وقولهم: إنما نثبت إله واحد: «... وهذا تصريح بإثبات ثلاثة جواهر، وثلاثة آلهة، ويقولون مع ذلك: إنما نثبت جوهراً واحداً وإلهاً واحداً، وهذا جمع بين النقيضين، فهو حقيقة قولهم يجمعون بين جعل الآلهة واحداً، وإثبات ثلاثة آلهة، وبين إثبات جوهر واحد، وبين إثبات ثلاثة جواهر». الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. علي بن حسن بن ناصر وآخرين (٣/ ٢٣٠ ـ ٢٣١).

بإله فإنهم حينئذٍ يخالفون أمانتهم التي هي أصل إيمانهم والتي يقولون فيها: إن الأب إله واحد، وإن الابن إله واحد، وإن روح القدس إله واحد[1].

وإن قالوا: إن الإله أحدهم والباقي صفات له أبطلوا ثالوثهم، وفسدت أمانتهم، ووافقوا المسلمين في أن الإله تعالى واحد وله صفات من العلم والقدرة والإرادة والحياة والسمع والبصر والكلام[2]، وإن شيئاً من الصفات ليس بإله، وإنما الإله ذات موصوفة بالصفات[3].

وإن أثبتوا الإلهية لكل واحد من الثلاثة فإنهم حينئذٍ كالثنوية من المجوس الذين يقولون بأصلين قديمين مدبرين للعالم، حيث وضح ابن الأنباري استحالة ذلك وأن الله سبحانه وتعالى بين هذا الأمر بقوله جلّ ولا: ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[4]، وقوله سبحانه: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[5][6].

وبين نصر بن يحيى المتطبب أن هذه الآلهة الثلاثة لا يخلو أن تكون متساوية في العلم والقدرة والحكمة أو متفاضلةً، فإن تساووا كان ما زاد عن الواحد فضل غير محتاج إليه وهذا لا يكون في الحوادث فضلاً عن القدماء. وإن

---

(١) انظر: الرد على النصارى، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمد محمد حسانين، ص (٧٨ ـ ٧٩).

(٢) نعم إن قالوا: الإله أحد الثلاثة والباقي صفات فقد نقضوا تثليثهم وخالفوا أمانتهم بإثبات إله واحد له صفتان العلم والحياة، أما أهل السنة من المسلمين فإنهم يقولون: إن الله سبحانه وتعالى فرد صمد متصف بصفات الكمال، لكن هذه الصفات ليست صفتان فقط ـ العلم والحياة ـ كما يطلق النصارى على أقانيمهم، وليست سبع صفات كما يثبتها الأشاعرة وهي التي نص عليها الجعفري، بل أهل السنة يثبتون كل ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تشبيه.

(٣) انظر: الرد على النصارى، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمد محمد حسانين، ص (٧٨).

(٤) سورة المؤمنون، الآية: (٩١).

(٥) سورة الأنبياء، الآية: (٢٢).

(٦) انظر: الداعي إلى الإسلام، عبد الرحمن بن محمد الأنباري، تحقيق د. سيد حسن باغجوان، ص (٣٦٢)، وإحالته في الرد على المجوس، ص (٢٢١).

تفاضلوا كان المفضول ناقصاً ولا يسوغ إدخال النقص على الآلهة[1].

وهكذا بمجموع هذه الأدلة وغيرها أبطل العلماء المسلمون الذين ناقشوا النصارى في هذه الفترة عقيدة التثليث لديهم التي هي أصل ديانتهم ولم يبق لهم إلا ترك المكابرة والعناد والتسليم للحق بنبذ هذه العقيدة الضالة وتوحيد الباري سبحانه وتعالى.

٢ ـ إبطال الاتحاد والتجسد:

يقصد النصارى بالاتحاد والتجسد: أن الأقنوم الثاني الابن قد صار جسداً لأجل بني الإنسان وتخليصهم من خطيئة أبيهم فاتخذ طبيعة البشر وحل بين الناس بصورة إنسان هو المسيح، فقبل الله اتخاذ الحالة البشرية والتقى الإنسان مباشرة بهذه الصورة[2].

حيث صار في السيد المسيح طبيعتان: طبيعة لاهوتية: التي هي طبيعة كلمة الله وروحه، وطبيعة ناسوتية التي اتخذت من مريم العذراء واتحدت به[3].

قال الجعفري: «... زعم النصارى أن ربهم عبارة عن لاهوت وناسوت، واتحدا فصارا مسيحاً، وكثيراً ما يقولون: اتحد اللاهوت بالناسوت، ويعبرون عن ذلك بالتأنس والتجسد»[4].

---

(١) انظر: النصيحة الإيمانية، نصر بن يحيى المتطبب، تحقيق د. محمد الشرقاوي، ص (٦٣ ـ ٦٤).

(٢) انظر: علم اللاهوت النظامي، مؤلف مجهول، ص (٧٧٩ ـ ٧٧٠). والمسيح في الفكر الإسلامي الحديث وفي المسيحية، منير خوام، مؤسسة خليفة للطباعة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م، ص (٣١٢)، و(٣١٧). والأمور المتيقنة عندنا، القس كارل س وزميله، مكتبة إيزيس، الإسكندرية، ص (٥٦).

(٣) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. علي ابن حسن بن ناصر وآخرين (٤/ ٧٦).

(٤) الرد على النصارى، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمد محمد حسانين، ص (٦٥).

وكلام النصارى في دعوى اتحاد اللاهوت بالناسوت متناقض ومضطرب، ولهذا يقال: لو اجتمع عشرة من النصارى لتفرقوا على أحد عشر قولاً. بل إن الأمر بلغ في ذلك أن كل فرقة منهم تكفر الأخرى[1].

ومن خلال ردود العلماء المسلمين على النصارى في فترة الحروب الصليبية؛ ناقشوا هذه العقيدة إما بشكل مستقل أو ضمن مناقشتهم لقضايا أخرى كألوهية المسيح عليه السلام، أو بنوته لله، أو في ردهم لعقيدة التثليث، وكان من إبطالهم لدعوى الاتحاد والتجسد مايلي:

أ ـ إن الاتحاد الذي يدعونه لم يشاهدوه بالعيان، ولم يدعيه أوائلهم، حيث وضح الجعفري أنهم إن ادعوا شيئاً من ذلك فقد تحامقوا وأكذبهم عقلاؤهم[2].

ب ـ إن أقوال المسيح عليه السلام بأنه إنسان تكذبهم في هذه الدعوى. ومن ذلك قوله لليهود: «لِمَ تريدون قتلي؟ وأنا إنسان من بني آدم كلمتكم بالحق الذي سمعته من الله»[3]. وقوله: «للثعالب أحجار، ولطير السماء أوكار، وابن الإنسان ليس له موضع يسند رأسه»[4]. فبين الجعفري أن المسيح عليه السلام بهذه النصوص وغيرها أثبت أنه إنسان، وذلك تكذيب لمن يقول إنه إنسان وإله[5].

جـ ـ وأشار الجعفري إلى تصريح الإنجيل بأن المسيح عليه السلام جاع وشبع وتألم

---

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. علي بن حسن بن ناصر وآخرين (٤/ ٧٦).

(٢) انظر: الرد على النصارى، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمد محمد حسانين، ص (٦٥).

(٣) هذا النص الذي أورده الجعفري في الرد على النصارى ص (٦٥)، وقد ورد في الكتاب المقدس مع اختلاف يسير في اللفظ في إنجيل يوحنا، الإصحاح (٨/ ٣٩ ـ ٤٠).

(٤) هذا النص الذي أورده الجعفري في الرد على النصارى ص (٦٥)، وقد ورد في الكتاب المقدس مع اختلاف يسير في اللفظ في إنجيل متى، الإصحاح (٨/ ٢٠).

(٥) انظر: الرد على النصارى، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمد محمد حسانين، ص (٦٥).

واعترضته عوارض البشر، فذلك كله يبطل الاتحاد الذين يزعمه النصارى لأن هذه الأوصاف تنافي الألوهية[1].

د ـ إبطال أقوال فرق النصارى في دعوى الاتحاد بالأدلة العقلية:

١ ـ فعلى قول اليعاقبة[2] من النصارى أن الاتحاد أصار المسيح طبيعة واحدة لأن طبيعة اللاهوت تركبت مع طبيعة الناسوت فصار المسيح إلهاً كاملاً باللاهوت وإنساناً كاملاً بالناسوت؛ على ذلك تساءل كل من الجعفري والمتطبب هل هاتان الطبيعتان اللتان أصارهما الاتحاد طبيعة واحدة هل تغيرت كل واحدة منهما عن أصلها بعد الاتحاد أم لا؟ فإن كانتا لم تتغير بطل ما يدعونه من الاتحاد، وإن تغيرتا عن حالهما الأولى وأصبحتا طبيعة ثالثة بعد الاتحاد فهذا تصريح بأن هذه الطبيعة لا إنسان ولا إله فيجب أن يطلق عليهما اسم آخر. وإن زعم أصحاب هذا الرأي أن الطبيعتين كانتا قبل الاتحاد كاملتين والاتحاد لم يخرجهما عن الكمال، بل بقي المسيح إلهاً كاملاً وهو بعينه إنسان كامل فقد تحامقوا بقولهم هذا وذلك بمثابة من يقول: إن الحركة هي السكون وإن السواد هو البياض. وإن قالوا: إن اللاهوت أبطل الناسوت كان العيان يكذبهم، فإن ناسوت المسيح مثل

---

(١) انظر: المصدر السابق. ص (٦٥).

(٢) اليعقوبية أو اليعاقبة: نسبة إلى يعقوب البراذعي الذي ظهر في القرن السادس الميلادي، ونسبتها إليه لأنه أنشط دعاتها (انظر: معجم الحضارات السامية، هنري س. عبودي، ص (٩١٧)، والمؤسس الأول لها هو أوطيخا رئيس دير قرب القسطنطينية وكذلك بطريرك الإسكندرية وذلك في القرن الخامس الميلادي. (انظر: معجم الحضارات السامية، هنري س. عبودي ص (٨٢٣ ـ ٨٢٤)، ورأي هذه الفرقة أن المسيح عليه السلام طبيعة واحدة تكونت بالاتحاد من طبيعتين هما طبيعة اللاهوت وطبيعة الناسوت انظر: الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق أمير علي مهنا وزميله، دار المعرفة، بيروت، (١/ ٢٧٠ ـ ٢٧١)، والنصيحة الإيمانية، نصر بن يحيى المتطبب، تحقيق د. محمد الشرقاوي ص (٥٨)، ومعجم الحضارات السامية، هنري س. عبودي (ص ٨٢٣ ـ ٨٢٤)، والكنيسة الأرذوذكسية اليوم امتداد لرأي هذه الفرقة. انظر: النصرانية من التوحيد إلى التثليث، د. محمد أحمد الحاج، ص (٢٠٣).

ناسوت غيره، وإن قالوا: إن الناسوت أبطل اللاهوت لزمهم أن يكون المحدث يبطل القديم وهذا لا يجوز[1].

٢ ـ وعلى قول الملكانية[2] أن المسيح بعد الاتحاد جوهران وأقنوم واحد، فالاتحاد صار في الأقنوم لا في الجوهر، وصار على ذلك للمسيح مشيئة بطبيعة اللاهوت كمشيئة الأب، وله مشيئة بطبيعة الناسوت كمشيئة إبراهيم وداود وغيرهما. يرد على ذلك كل من الجعفري والقرافي بأن بقاء الجوهر الأزلي على حاله وجوهر الإنسان على حاله بعد الاتحاد؛ فقد آل الاتحاد إلى مجرد تسمية فارغة عن المعنى. والقول باتحاد الأقنومين يلزم منه اتحاد الجوهرين وهذا باطل[3].

٣ ـ وعلى قول النساطرة[4] إن المسيح بعد الاتحاد جوهران وأقنومان باقيان

---

(١) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (١/ ٤٧٧ ـ ٤٧٨). والنصيحة الإيمانية، نصر بن يحيى المتطبب، تحقيق د. محمد الشرقاوي ص (٦٦ ـ ٦٧).

(٢) الملكانية أو الملكية: إحدى الفرق النصرانية أطلق عليهم هذا الاسم لأخذهم بمقررات مجمع خلدونية المنعقد سنة ٤٥١م بحضور الإمبراطور الروماني مرقيانوس وكان يسمى ملكاً. (انظر: معجم الحضارات السامية، هنري س. عبودي. ص (٨١٠ ـ ٨١١). ورأي هذه الفرقة أن للمسيح طبيعتين ومشيئتين، فالمسيح أقنوم إلهي بحت ولكن له ذاتان وكيانان هما الإله والإنسان. (انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (١/ ٤٨٣ ـ ٤٨٤)، والملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق أمير علي مهنا وزميله، (١/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧)، والتاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ص (١١٦) وما بعدها. والكاثوليك اليوم امتداد لهذه الفرقة. (انظر: النصرانية من التوحيد إلى التثليث، د. محمد أحمد الحاج، ص (٢٠٣).

(٣) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (١/ ٤٨٤ ـ ٤٨٥). والأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١١٠).

(٤) النساطرة أو النسطورية: إحدى الفرق النصرانية نسبة إلى مؤسسها نسطوريوس بطريرك القسطنطينية عام ٤٢٨م، والذي عزله مجمع أفسس سنة ٤٢١م لرأيه في المسيح (انظر:

على حالهما الأولى قبل الاتحاد. وإنما الاتحاد بينهما فقط في خاص النبوّة وهي علم الباري في زعمهم ـ أي أن المسيح اتحد مع الله سبحانه وتعالى في هذه الخاصية ـ فصار بها ابناً لله. يرد كل من الجعفري والقرافي على ذلك بأنه إذا كان الجوهران والأقنومان باقيان على حالهما قبل الاتحاد فلا معنى للاتحاد إذاً، وكون المسيح بزعمهم أقنومان ـ أقنوم لاهوتي وأقنوم ناسوتي ـ مكذب بالحس فلا يرى المسيح إلا شخص واحد وليس اثنان[1].

هـ ـ إبطال حجج النصارى على الاتحاد:

ومن أبرز حججهم على ذلك قول المسيح ﷺ: «أنا بأبي وأبي بي»[2]. حيث يقولون: إن هذا تصريح من المسيح بأنه متحد بالله والله متحد به[3].

فبعد أن أورد الجعفري هذه الحجة لهم رد عليهم بقول يوحنا: «تضرع المسيح إلى الله في تلاميذه فقال: أيها القدوس احفظهم باسمك ليكونوا هم أيضاً شيئاً واحداً كما أنا شيء واحد، قد منحتهم من المجد الذي أعطيتني ليكونوا

معجم الحضارات السامية، هنري س. عبودي، ص (٨٤٦).
والنساطرة يرون أن مريم لم تلد إلهاً بل ولدت إنساناً، والاتحاد لم يحصل إلا بعد الولادة، وليس هذا الاتحاد إلا اتحاداً مجازياً بالمحبة والنعمة فيقال للمسيح الله وابن الله على المجاز. (مجموعة الشرع الكنسي، حنانيا إلياس كساب، ص (٢٨٨)، وما بعدها. وتاريخ الأقباط، زكي شنودة، ص (١٥٩)، ومذهب النساطرة محاولة للعودة إلى التوحيد ويؤدي إلى القول بعدم ألوهية المسيح ولذلك فالنساطرة اليوم انحرفوا عن مذهب سابقيهم ووافقوا الكاثوليك (انظر: محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، ص (١٥٧ ـ ١٥٩)، والمسيحية، د. أحمد شلبي، ص (١٩٢).

(١) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (١/ ٤٨٨، والأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١١٠).
(٢) هذا النص الذي أورده الجعفري في التخجيل (١/ ٤١٢)، وورد في الكتاب المقدس مع اختلاف يسير في اللفظ في إنجيل يوحنا، الإصحاح (١٤/ ١١).
(٣) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (١/ ٤١٢).

شيئاً واحداً، فأنا بهم وأنت بي»[1]. ثم وضح معنى ذلك بأنك يا إلهي معي وأنت لي، وأنا أيضاً مع أصحابي وأنا لهم، وكما أنك أرسلتني لأدعو عبادك إلى توحيدك فكذلك أنا أرسلتهم ليدعو إليك فكن لهم كما كنت لي[2].

ثم أكد الجعفري أن هذا هو التأويل الصحيح لقول المسيح، وإن عدل عنه فيلزم منه حلول الله سبحانه في رجل من خلقه، وأن يكون التلاميذ أيضاً متداخلين مع المسيح، ويكون المسيح متداخلاً معهم، ومعنى ذلك أن الله أيضاً حال في التلاميذ، والتلاميذ حالون في الله، وهذا ما لا يقول به النصارى[3].

٣ ـ نفي الألوهية عن المسيح عليه السلام:

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾[4]. وتأليه المسيح عليه السلام قد بدأت بوادره في حياته عليه السلام. واستمر هذه الانحراف بتأثير الفلسفات القديمة والديانات الوثنية السائدة في المناطق التي انتشرت فيها النصرانية حيث تسربت إليها، مع ما لبولس اليهودي من دور كبير في هذا الانحراف بديانة النصارى وإفسادها عقيدة وشريعة[5]، وبذلك انقسم النصارى بعد المسيح عليه السلام إلى قسمين: طائفة جنحت للشرك بالله بتأليه المسيح عليه السلام، أو إثبات بنوته لله، وطائفة ظلت محافظة على التوحيد وتقرير بشرية المسيح ونبوته.

وقد استمر هذا الوضع والنزاع في طبيعة المسيح عليه السلام حتى مطلع القرن الرابع الميلادي حين حمل لواء التوحيد ـ أريوس المصري[6] ـ الذي أنكر

---

(١) هذا النص الذي أورده الجعفري في التخجيل (١/ ٤١٢ ـ ٤١٣)، وورد في الكتاب المقدس مع اختلاف يسير في اللفظ في إنجيل يوحنا، الإصحاح (١٧/ ١١ ـ ٢٣).

(٢) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (١/ ٤١٣).

(٣) انظر: المصدر السابق (١/ ٤١٣).

(٤) سورة المائدة، الآية: (١٧).

(٥) انظر: دور بولس في إفساد النصرانية في ص ٢١٩من هذا المطلب.

(٦) أريوس المصري كان قسيساً في كنيسة الإسكندرية، عاش بين سنتي ٢٥٦م إلى ٣٣٦م، وكان

معتقدات بولس وقرر أن المسيح ليس إلهاً ولا ابن إله. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «. . . أريوس لم يقل قط إن المسيح خالقاً»[1]. فاشتد الصراع لذلك بين أتباع وثنية بوليس وتوحيد أريوس، حتى دخل قسطنطين حاكم الرومان بالنصرانية فأمر بعقد مجمع ديني ضخم لجميع الكنائس، وذلك للفصل في أمر الخلاف بين أريوس ومعارضيه، حيث عقد مجمع نيقية سنة ٣٢٥م[2] الذي حضره ألف وثمانمائة وأربعون من الأساقفة الذين اشتد الخلاف بينهم في طبيعة المسيح حتى انسحب أكثرهم ولم يبق إلا ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً. وكان قسطنطين لخلفيته الوثنية يميل إلى رأي تأليه المسيح عليه السلام[3]، فأيد هذا الرأي وانتهى هذا المجمع إلى قرارات أهمها القول بألوهية المسيح وتكفير أريوس وأتباعه[4].

ووضح شيخ الإسلام ابن تيمية أن أول ملك أظهر دين النصارى هو قسطنطين وذلك بعد المسيح بأكثر من ثلاثمائة سنة، وأن ما هم عليه من الإيمان صنعه طائفة منهم مع مخالفة آخرين لهم، فليس منقولاً عن المسيح[5].

وقد تصدى العلماء المسلمون في فترة الحروب الصليبية إلى مناقشة دعوى ألوهية المسيح عليه السلام، وتفنيد أدلة النصارى وشبههم التي يعتمدون عليها في ذلك. وكان إبطال هذه العقيدة على النحو التالي:

١ ـ بيان كفر من يؤمن بهذه العقيدة ابتداءً: إذ وضح القرطبي كفر النصارى

يقول بوحدانية الله، ويقر بنبوّة المسيح، وقد كفره وحرمه المجمع النيقاوي سنة ٣٢٥م.

انظر: مجموعة الشرع الكنسي، جمع حنانيا إلياس كساب، ص (٤٠ ـ ٤٣).

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. علي بن حسن بن ناصر وآخرين (٤/ ٢٨٠).

(٢) انظر: مجموعة الشرع الكنسي، حنانيا إلياس كساب، ص (٤٢).

(٣) انظر: اليهودية والمسيحية، د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٩٨م، ص (٢٩٩ ـ ٣٠٢).

(٤) انظر: مجموعة الشرع الكنسي، حنانيا إلياس كساب، ص (٤٢ ـ ٤٣).

(٥) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. علي بن حسن بن ناصر وآخرين (٤/ ٣٨٠).

إذ غلوا بالمسيح عليه السلام حتى جعلوه إلهاً[1]. وذكر ابن الجوزي أن الذين كفروا من النصارى هم المقيمون على اعتقاد الألوهية بالمسيح عليه السلام[2]. وقال ابن عطية عن النصارى: «... إنما الحق أنهم على اختلاف أحوالهم كفار من حيث جعلوا في الإلهية عدداً، ومن حيث جعلوا لعيسى عليه السلام حكماً إلهياً»[3].

وقال الجعفري: «... وأما النصارى فإنهم مجمعون على ألوهية المسيح واعتقاد ربوبيته وأنه الإله الذي خلق العالم وجبل بيده طينة آدم»[4]. ثم ناقش فساد هذه العقيدة مبيناً كفرهم وبطلان معتقدهم، ومنزهاً الله عن كفرهم وضلالهم، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً[5].

٢ ـ عدم ذكر عقيدة الألوهية في المسيح من الأنبياء السابقين: حيث وضح القرافي ذلك، وعليه فالنصارى إما أنهم يكفرون بهؤلاء الأنبياء المذكورين في كتبهم لنسبتهم إلى الجهل بخالقهم، وإما أنهم يكذبون بكتبهم؛ إذ ليس فيها حرف واحد يدل على أن أحداً من هؤلاء الأنبياء قال: إن المسيح إله[6].

٣ ـ نفي المسيح عليه السلام الألوهية عن نفسه، وتصريحه بذلك في التوراة والإنجيل، حيث استشهد عدد من العلماء بنقول منهما توضح ذلك، منها ما أورده القرافي من أن الشيطان قال ليسوع: «... اسجد لي وأعطيك ملك الأرض، قال له يسوع: اذهب عني يا شيطان. إن الله أمر في التوراة ألا يسجد

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، المجلد الثالث، الجزء السادس، ص (١٧٦).

(٢) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق د. محمد بن عبد الرحمن وزميله (٢/ ٣٠٦).

(٣) المحرر الوجيز، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (٥/ ١٦١).

(٤) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (١/ ١٦٥).

(٥) انظر: المصدر السابق، (١/ ١٦٥)، وما بعدها.

(٦) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١٠٦).

لغيره، ولا يعبد إله سواه»[1]. فدل ذلك على أنه كان متعبداً بأحكام التورة، ولا متعبد إلا مكلف مربوب[2].

وأورد الجعفري أيضاً نقولاً من التوراة والإنجيل توضح نفي المسيح الألوهية عن نفسه، منها قوله في الإنجيل: «... إني ذاهب إلى أبيك وأبيكم، وإلهي وإلهكم»[3]. فبين بذلك أن عبد مألوه، له إله يعبد[4]. وقوله: «إلهي أنت الإله الحق الذي أرسلت يسوع المسيح»[5]، وقوله: «لا صالح إلا الله الواحد»[6]، وبعد أن ساق الجعفري هذه النصوص وأمثالها بين أن على النصارى الالتزام بها ونبذ ما هم عليه من الشرك بجعلهم المسيح إلهاً[7].

٤ ـ إبطال ألوهية المسيح عليه السلام بأدلة عقلية منها:

أ ـ حاجة المسيح عليه السلام إلى الأكل والشرب واتصافه بالصفات البشرية الأخرى التي تستحيل على الإله.

قال البوصيري:

أسمعتم أن الإله لحاجة يتناول المشروب والمأكولا

(١) هذا النص الذي أورده القرافي في أدلة الوحدانية، ص (٦٠)، وقد ورد في الكتاب المقدس مع اختلاف يسير في اللفظ في إنجيل متى، الإصحاح (٤/ ١٠).

(٢) انظر: أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية، أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق د. عبد الرحمن دمشقية، ص (٦٠).

(٣) هذا النص الذي أورده الجعفري في الرد على النصارى، ص (٦١)، وقد ورد في الكتاب المقدس مع اختلاف يسير جداً في اللفظ في إنجيل يوحنا، الإصحاح (٢٠/ ١٧).

(٤) الرد على النصارى، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمد محمد حسانين، ص (٦١).

(٥) هذا النص الذي أورده الجعفري في التخجيل (١/ ١٥٣)، وقد ورد في الكتاب المقدس بهذا المعنى في إنجيل يوحنا، الإصحاح (١٧/ ١ ـ ٣).

(٦) هذا النص الذي أورده الجعفري في التخجيل (١/ ١٣٩)، وقد ورد في الكتاب المقدس مع اختلاف يسير في اللفظ في إنجيل متى، الإصحاح (١٩/ ١٦ ـ ١٧).

(٧) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (١/ ١٥٢ ـ ١٥٣).

وينام من تعب ويدعو ربه ويرود من حر الهجير مقيلا
ويمسه الألم الذي لم يستطع صرفاً له عنه ولا تحويلا[(١)]

وقال نصر بن يحيى المتطبب: «... تقولون ـ أي النصارى ـ إنه بقي مدة الحمل في أحشاء مريم، واغتذى بدم طمثها، ورضع لبنها، وأكل، وشرب، وغاط، وأخذته اليهود وفعلت به ما فعلت... وليس من حق الإله أن يصلي، ويخضع، ويذل، ويمتهن، ويعذب بكل أنواع العذاب، ويتألم... وهذه جميعها من صفات البشر وليس من صفات من يدعى له بالألوهية[(٢)]. وبمثل ذلك احتج الجعفري على النصارى في نفي الألوهية عن المسيح عليه السلام[(٣)].

وفي مناقشة ابن الأنباري للنصارى قال: «... فإن زعموا أن المسيح لم يكن إنساناً بل كان إلهاً. قلنا: فالإله يأكل ويشرب، إن هذا لعجب»[(٤)].

ب ـ عجز المسيح عليه السلام عن المدافعة عن نفسه حينما صلب بزعمهم ينفي عنه الألوهية: حيث وضح الرازي أنه إذا كان إلهاً، أو ابن إله، أو كان جزء من الإله حالاً فيه، فلِمَ لم يدافع عن نفسه، ولِمَ لم يهلك أعداءه المتربصين به مع قدرته على ذلك، وأي حاجة له بإظهار الجزع واحتمال الألم والتعرض للإهانة[(٥)].

وبعد أن ساق القرافي رأي النصارى في المسيح وتعرضه للإهانة والمذلة والقتل والصلب، قال: «... وإن هذا لمن أعظم الشين لهذه الربوبية، وإزالة

---

(١) منظومة البوصيري في الرد على النصارى واليهود، محمد بن سعيد الأبوصيري، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، دار البيان، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩م، ص (٧).

(٢) النصيحة الإيمانية، نصر بن يحيى المتطبب، تحقيق د. محمد الشرقاوي، ص (١١٦).

(٣) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (١/ ١٥٩).

(٤) الداعي إلى الإسلام، عبد الرحمن بن محمد الأنباري، تحقيق د. سيد حسن باغجوان، ص (٣٨٧).

(٥) انظر: عيون المناظرات، عمر السكوني، تحقيق سعد غراب، ص (٢٨٤ ـ ٢٨٥).

بهجتها، وطمس نورها، وإطلاق ألسنة أعدائها بإبطالها»[1]. وقال الجعفري: «... فلا يصلح من هذا حاله للربوبية»[2]. وقال بعد أن عرض الصفات البشرية للمسيح عليه السلام ورأي النصارى في قضية صلبه وما تعرض له من ذلٍ وإهانةٍ في زعمهم: «... فلقد شان الربوبية وأزال بهجتها وطمس نورها وأطلق ألسن السفلة بنقصها وثلبها»[3].

جـ - وقرر الخزرجي النصارى بما يعتقدونه من أن الرب صعد فصار على يمين الرب وآثر الصلب. ثم ناقشهم متسائلاً عن هذين الربين أيهما خلق صاحبه، فالمخلوق إذاً ضعيف عاجز ليس إله. وهل هذان الربان إذا أرادا أمراً فلمن الحكم منهما، فالذي له الحكم هو الرب القادر، والآخر عاجز ليس بإله[4]. ثم خاطب الخزرجي النصارى بقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾[5]، وقوله: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾[6].

د - وعرض الجعفري قول النصارى إن المسيح عليه السلام هو إله العباد وخالقهم ورازقهم وبارئهم ومديرهم في جميع أحوالهم، ثم تساءل: «كيف كان حال الوجود، والإله في اللحود»؟[7]. ومن الذي كان يقوم برزق العباد

(١) الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١٠٤).

(٢) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (١/ ١٥٠).

(٣) المصدر السابق (١/ ٢٧٧).

(٤) انظر: مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، ص (١٧٨ - ١٧٩).

(٥) سورة الأنبياء، الآية: (٢٢).

(٦) سورة المؤمنون، الآية: (٩١).

(٧) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (١/ ٣٩٦).

ويدبر شؤونهم وإلههم مصلوب»[1].

هـ ـ وبين الجعفري زعم النصارى أن المسيح خلق آدم وذريته أجمعين، ثم اعترض عليهم بقوله: «... فمريم من خلقها؟ فإن قالوا: ليست مِنْ خَلْقه، نقضوا مقالهم، وإن زعموا أنه خلقها فيقال لهم: ... كيف تلد المسيح وهو خالقها؟ أم كيف ترضعه وهو رازقها؟، أسمعتم يا معشر العقلاء بامرأة ولدت خالقها وأرضعت ثديها رازقها؟»[2].

و ـ وسأل القرافي النصارى، هل الإله يعلم الغيب أم لا؟ فإن قالوا: لا. كذبتهم كتبهم لإثباتها ذلك. وإن قالوا: نعم بطل اعتقادهم الألوهية بالمسيح لأن نصوص الإنجيل توضح عدم علمه بالمغيبات[3].

٥ ـ إبطال ألوهية المسيح عليه السلام من خلال تفنيذ شبه النصارى التي يستدلون بها على ذلك:

أ ـ مما يستدل به النصارى في إثباتهم الألوهية للمسيح عليه السلام، أنه نفخة من روح الله، وقد رد على ذلك الخزرجي مبيناً أنه يلزمهم على هذا الأساس إثباتها لآدم لأنه نفخة من روح الله بعد أن سواه من تراب[4].

ثم قال مخاطباً أحد قساوسة النصارى: ... فلماذا أوجب الألوهية لعيسى ولم توجبها لآدم وأنت تقر له بروح من الله في حجاب من تراب»[5].

ب ـ مما يعتمد عليه النصارى في إثباتهم الألوهية للمسيح عليه السلام معجزاته التي أجراها الله على يديه تأييداً له، وتصديقاً لنبوته، وقد ناقش نصر بن يحيى المتطبب ذلك مبيناً أنه يلزمهم في إثباتهم الألوهية للمسيح بسبب معجزاته إثباتها

(١) انظر: المصدر السابق (١/ ٣٩٦).

(٢) المصدر السابق، ص (٢/ ٥٨٢).

(٣) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١٠٦ ـ ١٠٧).

(٤) انظر: مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، ص (١٢٩).

(٥) المصدر السابق، ص (١٢٩).

أيضاً لبقية الأنبياء الذين أجرى الله سبحانه وتعالى على أيديهم مثل هذه المعجزات. ثم أورد أمثلةً لمعجزات الأنبياء السابقين لعيسى عليه السلام من التوراة والإنجيل، ومع ذلك لم يكن أحد منهم بها إلهاً أو ينسبه أحد إلى الألوهية، ففي سفر الملوك ورد أن إلياس أحيا ابن الأرمل، واليسع أحيا الإسرائيلية، وحزقيال أحيا خلقاً كثيراً. وأخبرت التوراة أن يوسف أبرأ عين أبيه يعقوب بعد أن ذهبت، وموسى طرح العصا فصارت حية لها عينان تبصران بها. وفي إنجيل لوقا ورد أن اليسع أبرأ أبرصاً وأبرص صحيحاً، وهذا أعظم من فعل المسيح. ولم يكن واحد من هؤلاء الأنبياء بمعجزاته إلهاً. فَلِمَ تثبت الألوهية بها للمسيح فقط؟![1].

ووضح القرافي بطلان جعل المعجزة دليلاً على الألوهية من خلال إيراده مجموعة من معجزات الرسل عليهم السلام ولم يكونوا بها آلهة أو يدعيها أحدٌ لهم[2].

٤ ـ نفي بنوة المسيح لله سبحانه وتعالى:

مما يعتقده النصارى بنوة المسيح عليه السلام لله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾[3]، وأن الابن مساوٍ للأب في الوجود، وأن الأب خلق العالم بواسطة الابن الذي نزل بصورته البشرية فداءً لبني آدم، وهو الذي يتولى محاسبة الناس يوم القيامة. ويصرحون بذلك بأمانتهم التي لا يتم إيمان نصراني إلا بها إذ يقولون: «نؤمن بالله الواحد الأب ضابط الكل، مالك كل شيء، صانع ما يرى وما لا يرى، وبالرب الواحد يسوع المسيح ابن الله الواحد بكر الخلائق كلها، الذي ولد من أبيه قبل العوالم كلها، وليس بموضوع إله حق من إله حق...»[4].

---

(١) انظر: النصيحة الإيمانية، نصر بن يحيى المتطبب، تحقيق د. محمد الشرقاوي، ص (١٠٤ ـ ١٠٥).

(٢) انظر: أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية، أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق د. عبد الرحمن دمشقية، ص (١٠٣).

(٣) سورة التوبة، الآية: (٣٠).

(٤) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/ ٥٠١).

وقد دعا أحد القساوسة أبا عبيدة الخزرجي إلى الإيمان بألوهية المسيح وإثبات بنوته لله سبحانه وتعالى بقوله: «فإذا أردت أن يتغمدك الله برحمته، وتفوز بجنته فآمن بالله، وقل: إن المسيح ابن الله الذي هو الله...»[(١)].

وقد ناقش الجعفري أحد رهبان النصارى في مسألة البنوّة، فقرر هذا الراهب أن المسيح ابن لله على الحقيقة[(٢)].

وقد تصدى علماء المسلمين في عصر الحروب الصليبية إلى مناقشة هذه العقيدة الضالة وبيان فسادها. وكان ذلك على النحو التالي:

١ ـ بيان فساد هذه العقيدة وكفر من يعتقدها ابتداءً:

قال القرطبي: «... وظاهر قول النصارى أن المسيح ابن الله إنما أرادوا بنوة النسل، كما قالت العرب في الملائكة... وهذا أشنع الكفر»[(٣)].

وقال الجعفري بعد أن عرض عقيدة النصارى في بنوة المسيح لله: «... واعلم أن هذه دعوى ملفقة، وعقيدة هامتها بسيوف أدلة الإسلام مغلقة والدليل على فسادها المعقول والمنقول...»[(٤)].

وقد بين الرازي: أن نسبة المسيح عليه السلام إلى البنوة لله سبحانه وتعالى أفحش أنواع الكفر، وأن ذلك من دسائس بولس في ديانة النصارى بعد رفع عيسى عليه السلام[(٥)].

---

(١) مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، ص (٦١).

(٢) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (١/ ٢٥٠).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، المجلد الرابع، الجزء الثامن.

(٤) الرد على النصارى، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمد محمد حسانين، ص (٥٧).

(٥) انظر: التفسير الكبير، محمد بن عمر الرازي، المجلد الثامن، الجزء السادس عشر، ص (٢٨).

٢ ـ ذكر الأدلة من كتب النصارى على نفي بنوة المسيح لله:

حيث أورد بعض العلماء مجموعة من الأدلة من كتب النصارى تدل دلالة صريحة على نفي بنوة المسيح لله كما يدعيها النصارى. ومن ذلك ما أورده الجعفري من إنجيل مرقص حيث قال: «خرج المسيح وتلاميذه إلى البحر وتبعه جمع كثير فأبرأ أعلالهم وشفاهم، فجعلوا يزدحمون عليه ويقولون: أنت ابن الله؟ فكان ينهاهم»[(١)].

ونص آخر أورده الجعفري وهو أن لوقا قال: «كان كل من له مريض يأتي به إلى يسوع فيضع يده عليه فيبرأ فيقول: أنت ابن الله، فكان ينهرهم ولا يدعهم ينطقون بهذا»[(٢)]. ثم علق الجعفري بعد هذه النصوص بقوله: «... فهذا الإنجيل يكذب من يدعي ذلك على السيد المسيح ـ أي أنه ابن الله ـ»[(٣)].

٣ ـ نفي بنوة المسيح لله سبحانه بأدلة عقلية منها:

أ ـ عجز المسيح عليه السلام عن المدافعة عن نفسه حينما أراد به أعداؤه كيداً. حيث وضح الرازي أنه لو كان إلهاً أو ابن إله، أو كان جزء من الإله حالاً فيه فلِمَ لم يهلك أعداءه المتربصين به مع قدرته على ذلك. وأي حاجةٍ إلى إظهار الجزع واحتمال الألم والتعرض للإهانة[(٤)].

بل أين والده عنه وهو القادر على كل شيء. حيث ساق القرافي أبيات شعرية ضمن مناقشته للنصارى متسائلاً فيها عن ضعف ابن الإله وعدم مدافعة والده عنه:

---

(١) هذا النص الذي أورده الجعفري في الرد على النصارى، ص (٦٠ ـ ٦١)، وقد ورد في الكتاب المقدس بمعناه في إنجيل مرقس، الإصحاح (٣/ ٧ ـ ١٢).

(٢) هذا النص الذي أورده الجعفري في الرد على النصارى، ص (٦١)، وقد ورد في الكتاب المقدس مع اختلاف يسير في اللفظ في إنجيل لوقا، الإصحاح (٤/ ٤١).

(٣) الرد على النصارى، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمد محمد حسانين، ص (٦١).

(٤) انظر: عيون المناظرات، عمر السكوني، تحقيق سعيد غراب، (٢٨٤ ـ ٢٨٥).

عجبي للمسيح بين النصارى وإلى أي والد نسبوه
أسلموه إلى اليهود وقالوا إنهم بعد قتله صلبوه
وإذا كان ما يقولون حقاً وصحيحاً فأين كان أبوه[1]

ب ـ ولعجز المسيح وهو ابن الله بزعم النصارى عن المدافعة عن نفسه، فالأولى لهم عقلاً أن يعبدوا عدوه الذي استطاع بزعمهم قتله وصلبه. فهم يقولون: إن المسيح بعد إيذائه وقتله وقيامه من بين الأموات صعد ليجلس على يمين أبيه يستريح ثم سيعود لمحاربة عدوه[2]. وعلق القرافي على ذلك قائلاً: «... وما أجدرهم بأن يعبدوا الآن عدوه ويتركوه، فإن الغلب الآن لعدوه، والمتوقع في المستقبل لا يدري كيف هو. ولعل الكسرة في النوبة الثانية تكون أعظم...»[3].

جـ ـ أن المسيح وهو ابن الله بزعم النصارى معترض على قضاء الله متبرم من لقائه وهو أولى الناس بالرضا والرغبة في لقاء الله.

إذ وضح القرافي أن النصارى مقرين أن المسيح تألم وتبرم عند قتله وصلبه وقال: «إلهي إلهي لِمَ خذلتني»[4]. ويعتقدون أنه نزل ليصلب إيثاراً للعالم بنفسه تخليصاً لهم من الشيطان ورجسه، ثم تساءل القرافي: كيف لا يرضى ابن الله بقضاء الله، وهو سوف يذهب للقاء والده، فينبغي أن يكون ولد الرب الأثبت عند المصائب، والأكثر رغبة في لقاء والده[5].

د ـ وقد نفى نصر بن يحيى المتطبب بنوة المسيح عليه السلام لله سبحانه باعتراضه على النصارى من خلال أمانتهم التي يعتقدونها؛ إذ يقولون فيها: «إن المسيح مولود من أبيه أزلي... وأنه خالق الخلائق كلها...» فإذا كان الأمر كما يقول

---

(١) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (٥٩).
(٢) انظر: المصدر السابق، ص (١١٧).
(٣) المصدر السابق، ص (١١٧).
(٤) هذا النص الذي أورده القرافي في الأجوبة الفاخرة، ص (٥٤)، وورد في الكتاب المقدس مع اختلاف يسير في إنجيل مرقس، الإصحاح (١٥/ ٣٤).
(٥) انظر: المصدر السابق، ص (٥٤ ـ ٥٥).

النصارى فالمسيح ليس أزلياً، لأنه حادث بولادته. وإذا كان هو خالق الخلائق كلها فأي فضل للأب على الابن؟[1].

٤ ـ إبطال بنوة المسيح لله سبحانه من خلال تفنيد أدلة النصارى على ذلك:

أ ـ استدل النصارى على بنوة المسيح لله بكونه ولد من غير أبٍ، وقد رد القرافي على ذلك بأن الأولى إثباتها لآدم لأنه وجد من غير أب، ولم يباشر الأرحام، ولا تطور في أطوار البشر[2].

وقد ذكر القرافي أن أحد رسل المسلمين إلى الصليبيين في صقلية ناظر جماعة من النصارى هناك بطلب من ملكهم، فأبطل حجتهم في إثباتهم بنوة المسيح لله لكونه ولد من غير أبٍ، بأن أتى بقدح من الفول المسوس، فكان يخرج الفولة ويكسرها ويخرج سوستها، ويقول: أين أبو هذه، فبهتوا جميعاً[3].

ب ـ أنه يلزم من كون المسيح ابناً لله بسبب التفسير الخاطىء للبنوة والأبوة في الإنجيل إثباتها لإسرائيل وداود وغيرهم ممن وردت في حقهم مثل هذه الكلمات في الإنجيل.

حيث بين الجعفري أنه على فرض صحة ما يزعمه النصارى في الإنجيل من قول المسيح: «إني ذاهب إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم»[4] وقول الله له: «هذا ابني الحبيب»[5] وغير ذلك من أمثال هذه العبارات، إن هذا ليس معناه البنوة الحقيقية، حيث ورد في التوراة ـ والنصارى يؤمنون بها ـ ألفاظ مشابهة لذلك عن إسرائيل وداود وغيرهما. فقد قال الله لموسى في التوراة «اذهب إلى فرعون وقل

---

(١) انظر: النصيحة الإيمانية، نصر بن يحيى المتطبب، تحقيق د. محمد الشرقاوي، ص (١٣٢).

(٢) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١٠٢).

(٣) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١٠٢).

(٤) هذا النص الذي أورده الجعفري في الرد على النصارى ص (٥٩)، وقد ورد في الكتاب المقدس مع اختلاف يسير في اللفظ في إنجيل يوحنا، الإصحاح (٢٠/١٧).

(٥) الكتاب المقدس، إنجيل مرقس، الإصحاح (٣/١٧).

له: قال لك الرب: إسرائيل ابني بكري»[1]. وقال عن داود: «داود ابني حبيبي»[2]. فلِمَ ينكر النصارى البنوة لهؤلاء وغيرهم من صالح الخلق الذين وردت بشأنهم، ويثبتونها لعيسى عليه السلام فقط[3].

٥ ـ إبطال بنوة المسيح من خلال إيضاح المعنى الصحيح للبنوة والأبوة اللتين وردتا في كتب النصارى:

فبعد أن أورد الجعفري مجموعة من النصوص التي فيها لفظة البنوّة كما في النصوص السابقة وضح أنه إن كان النقل لها فاسداً فلا بنوّة، وإن صح فإن معناها العبودية والخدمة والاجتباء والاصطفاء. فقول الله في الإنجيل: «هذا ابني» أي عبدي. والدليل أنها لم ترد في كتب النصارى في الغالب إلا مقرونة بالعبودية والخدمة. وإن وردت مطلقة فيحمل المطلق على المقيد. مثال ذلك من التوراة قول الله تعالى: «يا موسى قل لفرعون: يقول لك الرب الإله: إسرائيل ابني بكري، أرسله يعبدني»[4] ففسر البنوة بالعبودية[5].

ووضح القرافي أن معنى الأبوة لله إحسانه لخلقه إحسان الآباء للأبناء، وهو المراد من قول المسيح: «إني ذاهب إلى أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم». والأبوة على هذا المعنى أمر مشترك بين عيسى وبقية الخلق. وهو معنى قول اليهود في القرآن: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾[6]. ثم إن النصارى يحكمون بأبوة الولادة بصدر

---

(١) هذا النص الذي أورده الجعفري في الرد على النصارى، ص (٥٩)، ووردت قريباً من هذا اللفظ في الكتاب المقدس في التوراة، سفر الخروج، الإصحاح (٤/ ٢٢ ـ ٢٣).

(٢) هذا النص أورده الجعفري في الرد على النصارى ص (٥٩)، وورد في الكتاب المقدس بمعناه في التوراة، المزمور الثاني، ص ٧.

(٣) انظر: الرد على النصارى، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمد محمد حسانين، ص (٥٩ ـ ٦٠).

(٤) الكتاب المقدس، التوراة، سفر الخروج، الإصحاح (٤/ ٢١).

(٥) انظر: الرد على النصارى، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمد محمد حسانين، ص (٦١).

(٦) سورة المائدة، الآية: (١٨).

الكلام وهو قوله: أبي، ويغفلون عن قوله: وأبيكم، وعن قوله: وإلهي وتصريحه عليه السلام بأنه مخلوق مربوب، له إله يعبده[1].

٥ ـ إبطال عقيدة الصلب والفداء:

تعد قضية الصلب والفداء من أهم عقائد النصارى. إذ يعتقدون أن هناك خطيئة ملازمة لكل إنسان يولد على هذه الأرض، وهذه الخطيئة موروثة منذ زمن آدم عليه السلام الذي أخطأ في حق ربه بأكله من الشجرة التي نُهي عن الأكل منها فاستحق لذلك العقوبة، وأورث هذه الخطيئة لذريته من بعده. ومن رحمة الله إنهاء هذه الخطيئة المتوارثة بأن أنزل ابنه ليقتل ويُصلب فداءً للبشرية وتكفيراً لخطيئة أبيهم آدم[2].

قال القرطبي في عرضه لعقيدة الصلوبية عند النصارى: «لا خلاف عند النصارى أن إنكار صلب المسيح كفر، ومن شك فيه فهو كافر...»[3]. وفي رسالة أحد القساوسة إلى أبي عبيدة التي عرض عليه فيها دين النصرانية، ودعاه إلى الدخول فيه وضح له عقيدة الصلب بقوله: «... حمد الله الذي هدانا لدينه، وأيدنا بيمينه، وخصنا بابنه ومحبوبه، ومد علينا رحمته بصلب يسوع المسيح إلهنا الذي خلق السموات والأرض وما بينهن، والذي فدانا بدمه المقدس، ومن عذاب جهنم وقانا، ورفع عن أعناقنا الخطيئة التي كانت في أعناق بني آدم بسبب أكله من الشجرة التي نُهي عنها، فخلصنا المسيح بدمه، وفدانا بدمه ومن عذاب جهنم وقانا...»[4].

---

(١) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١٠١).

(٢) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. علي بن حسن بن ناصر وآخرين (٢/ ١٠٧ ـ ١٠٨)، ومحاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، ص (١٠٧)، والأمور المتيقنة عندنا، القس كارل س، ص (٣٨) وما بعدها ص (٤٨) وما بعدها.

(٣) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٤١٠).

(٤) مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د.

وقد ناقش العلماء المسلمون هذه القضية موضحين عدم وقوع الصلب على المسيح عليه السلام، ومبطلين أساس هذه العقيدة ـ وهو الفداء بسبب الخطيئة ـ وذلك بتفنيد أدلة النصارى ومزاعمهم حولها.

وفيما يلي عرض لذلك:

أ ـ إبطال الصلب:

وقد كان إبطال هذه العقيدة على النحو التالي:

١ ـ بيان عقيدة المسلمين في أن عيسى عليه السلام لم يُقتل ولم يصلب. فعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾[(١)]، وضح ابن الجوزي أقوال العلماء في ذلك مبيناً فيها أن الذي قتل وصلب ليس المسيح عليه السلام، وإنما هو شخص منهم ألقي عليه شبه المسيح. أما المسيح فقد رفعه الله إليه[(٢)].

وبين القرطبي أن هذه الآية رد على النصارى وأنهم لم يقتلوا المسيح عليه السلام بل ألقي شبهه على غيره[(٣)].

وعند قوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾[(٤)] وضح القرطبي أن مكر الله هو إلقاء شبه عيسى على غيره، ورفعه عليه السلام إليه، حيث رفعه جبريل إلى السماء وذلك من كوة البيت الذي لجأ إليه، وألقي شبه عيسى على يهوذا الذي دخل في أثره فأخذ وقتل وصلب[(٥)]. وقال أيضاً: «والصحيح أن الله تعالى رفعه

محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، ص (٥٩ ـ ٦٠).

(١) سورة النساء، الآية: (١٥٧).

(٢) انظر: زاد المسير في علم التفسير، علي بن عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق د. محمد بن عبد الرحمن عبدالله (٢/ ٢١٧ ـ ٢١٨).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، المجلد الثاني، الجزء الرابع، ص (٦٤).

(٤) سورة الأنفال، الآية: (٣٠).

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، المجلد الثاني، الجزء الرابع، ص (٦٥).

إلى السماء من غير وفاة ولا نوم، كما قال الحسن[1] وابن زيد[2]، وهو اختيار الطبري، وهو الصحيح عن ابن عباس...»[3].

ومعنى الوفاة في قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[4] أي قابضك إليَّ[5][6].

وفي مناقشة القرطبي لعقيدة الصلب لدى النصارى قال: «... إن عيسى ابن مريم لم يقتله اليهود ولا غيرهم، بل رفعه الله إليه من غير قتل ولا موت»[7].

وبعد أن عرض الجعفري قصة صلب المسيح عليه السلام في رأي النصارى ختم

---

(١) هو الحسن بن أبي الحسن يسار مولى زيد بن ثابت، ولد سنة ٢١ هـ، وكانت وفاته في البصرة سنة ١١٠ هـ.
انظر: الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، (٧/ ١٥٦)، وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٤/ ٥٦٣)، وما بعدها.

(٢) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي جمع تفسيراً في مجلد وكتاباً في الناسخ والمنسوخ، كانت وفاته سنة ١٨٢ هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، (٨/ ٣٤٩)، وتقريب التهذيب، أحمد ابن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م، ص (٣٤٠).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، المجلد الثاني، الجزء الرابع، ص (٦٥).

(٤) سورة آل عمران، الآية: (٥٥).

(٥) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، المجلد الثاني، الجزء الرابع، ص (٦٤).

(٦) قال الطبري بعد أن عرض معاني الوفاة في هذه الآية: «... وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا من قال: إني قابضك من الأرض ورافعك إلي لتواتر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدجال، ثم يمكث في الأرض مدة ثم يموت فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه...» جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، (٣/ ٢٩١).

(٧) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٤١٢).

يقول الله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾[1][2].

٢ ـ ذكر الأدلة من كتب النصارى على عدم وقوع الصلب:

وهي كثيرة فمن ذلك:

أ ـ ما أورده الجعفري أن متى قال في إنجيله: «إن رئيس الكهنة أقسم بالله الحي على المأخوذ: أما قلت لنا إن كنت المسيح ابن الله الحي؟ فقال له: أنت قلت»[3].

حيث عقب الجعفري على ذلك بقوله: «... وذلك من أدل الدلالة على أن المأخوذ ليس هو السيد المسيح، ولو كان هو المسيح نفسه لم يوار في الجواب... وكيف يكون المسيح ويقسم عليه بالله تعالى: أين المسيح؟ فلا يقول له: أنا المسيح»[4].

ب ـ إن مستند النصارى في إثبات الصلب هو نصوص من الإنجيل، والإنجيل قابل للتحريف والتبديل وفيه من التناقض الشيء الكثير، والأدلة على ذلك أكثر من أن تحصر[5].

جـ ـ إن النصوص التي يستدل بها النصارى على صلب المسيح ليست

---

(١) سورة النساء، الآية: (١٥٧).

(٢) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (١/ ٣٨٠).

(٣) هذا النص الذي أورده الجعفري في الرد على النصارى ص (٧٤)، وورد في الكتاب المقدس مع شيء من الاختلاف في اللفظ في إنجيل متى، الإصحاح (٢٦/ ٦٣ ـ ٦٤).

(٤) الرد على النصارى، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمد محمد حسانين، ص (٧٤).

(٥) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٤١٢)، وانظر أمثلة على تحريف الإنجيل وتناقضه: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (١/ ٢٨١)، وما بعدها.

قاطعة في ذلك بل يتطرق إليها الاحتمال الكبير في أن المصلوب غير عيسى عليه السلام.

ومن شواهد ذلك:

١ - جاء في الإنجيل أن المصلوب استسقى اليهود ماءً فأعطوه خلاً ممزوجاً بمرارة، فذاقه ولم يشربه، فنادى إلهي لِمَ خذلتني؟ والأناجيل كلها مصرحة بأنه كان يطوي أربعين يوماً وليلةً ويقول للتلاميذ: إن لي طعاماً تعرفونه. وبعد أن أورد الخزرجي ذلك عقب عليه متسائلاً كيف بمن يستطيع الصبر أربعين يوماً على الجوع والعطش بأن يظهر الحاجة والمذلة لأعدائه بسبب عطش يوم واحد؟ وهذا لا يفعله أدنى الناس فكيف بخواص الأنبياء؟ لذلك فإن المدعي للعطش غير المسيح عليه السلام؟(١).

٢ - إن الإنجيل ناطق بأن عيسى قد نشأ بين اليهود فكان يعظمهم ويدعوهم ويعلمهم، ويعجبون من براعته. فكانوا يعرفونه وهو عندهم لذلك غاية في الشهرة. فيتساءل على ذلك كل من الجعفري والخزرجي أنه إذا كان الأمر كذلك فلِمَ نص الإنجيل أن اليهود ليلة قبضهم على المسيح عليه السلام في زعم النصارى لم يحققوه حتى دفعوا لأحد تلامذته رشوة كي يدلهم عليه، هذا الالتباس العظيم من قبل اليهود في عيسى رغم شهرته عندهم دليل على وقوع الشبه قطعاً(٢).

٣ - إن المسيح عند صلبه في زعم النصارى قال: إلهي إلهي لِمَ خذلتني، وقد ناقش الخزرجي ذلك بأن هذا القول من عيسى عليه السلام فيه اعتراض على قضاء الله، وهذا مما ينزه عنه. خصوصاً وإن النصارى يذكرون أن الصلب كان لتخليص الناس من الخطيئة. فكيف يفديهم بنفسه راضياً مختاراً وهذا القول منه فيه تبرم وعجز ورغبة في الخلاص من قبضه من أراد به السوء. مع ما يضاف إلى ذلك من أن النصارى يروون في كتبهم أن الأنبياء إبراهيم وإسحاق ويعقوب كانوا

---

(١) انظر: مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، ص (١٦٤).

(٢) انظر: الرد على النصارى، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمد محمد حسانين، ص (٧٤)، ومقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، ص (١٦٦ - ١٦٧).

مستبشرين عند الموت بلقاء الله ولم يهابوا مذاقه مع أنهم عبيد الله، والمسيح ابن الله بزعم النصارى فينبغي أن يكون أثبت منهم. ذلك كله يدل على أن المصلوب غير عيسى ابن مريم[1].

ب ـ إبطال أساس عقيدة الصلب وهو الفداء بسبب الخطيئة:

وقد كان ذلك على النحو التالي:

١ ـ إيضاح مبدأ الإسلام في أن الإنسان لا يؤاخذ بذنب غيره. فبعد أن وضح الجعفري أن التوبة تكفر الذنب، وأن الإنسان لا يؤاخذ بخطيئة غيره ثم أورد على ذلك نصوصاً من كتب النصارى عقب بعدها بقوله: «. . . وذلك موافق لقول ربنا جلَّ اسمه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[2]»[3].

٢ ـ ذكر الأدلة من كتب النصارى والتي تنفي أن يعاقب الإنسان بذنب غيره. حيث أورد الجعفري مجموعة من النصوص من كتب النصارى تهدم أساس اعتقادهم بالصلب وأنه كان تكفيراً لخطيئة آدم عليه السلام. فمن ذلك ما جاء في التوراة إن الله قال لقابيل: «إنك إن أحسنت تقبلت منك، وإن لم تحسن فإن الخطيئة رابضة ببابك. . .»[4]. وقوله تعالى: «لا آخذ الولد بخطيئة والده، ولا الوالد بخطيئة ولده، طهارة الطاهر له تكون، وخطيئة الخاطىء عليه تكون. . .»[5][6].

---

(١) انظر: مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، ص (١٦٤).

(٢) سورة الأنعام، الآية: (١٦٤).

(٣) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (١/ ٣٨٠).

(٤) هذا النص الذي أورده الجعفري في التخجيل (١/ ٣٨٠)، وقد ورد في الكتاب المقدس مع اختلاف يسير في اللفظ في التوراة، سفر التكوين، الإصحاح (٤/ ٧).

(٥) هذا النص الذي أورده الجعفري في التخجيل (١/ ٣٨٠)، وقد ورد في الكتاب المقدس في التوراة، سفر حزقيال، الإصحاح (١٨/ ٢٠) مع اختلاف يسير في اللفظ.

(٦) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (١/ ٣٨٠).

٣ ـ وقد وضح كثير من علماء عصر الحروب الصليبية الذين ناقشوا النصارى ومنهم على سبيل المثال: الخزرجي والقرطبي أن الصلب الذي وقع على عيسى تكفيراً لخطيئة آدم يتنافى مع عدل الله، وأن هذا من الظلم الذي ينزه الله عنه. فلا يأخذ سبحانه وتعالى أحداً بذنب غيره(١).

٤ ـ وعلى زعم النصارى أن البشرية غارقة في خطيئة أبيهم آدم عليه السلام، ثاوية بالجحيم حتى جاء عيسى عليه السلام وخلصهم من ذلك بصلبه. تساءل كل من الخزرجي والقرطبي هل من هؤلاء الثاوين بالجحيم أنبياء الله إبراهيم وموسى وغيرهم. ثم يجيبان على ذلك التساؤل بأن هذا لو كان لصرحت به التوراة ونطقت به الأنبياء السابقين لعيسى عليه السلام(٢).

٥ ـ وبعد أن وضح القرافي أن صلب المسيح على قول النصارى إنما كان لخلاص العالم من خطيئة أبيهم آدم، سألهم ما معنى هذا الخلاص الذي يريدونه؟ هل هو من شرور الدنيا وآفاتها؟ فها هم مشاركون لسائر البشر في الخير والشر. أو من تكاليف العبادة؟ فها هم مخاطبون بالمبادرة. أو من أهوال يوم القيامة؟ فيكذبهم الإنجيل الذي ورد به قول الله: «إني جامع الناس في يوم القيامة عن يميني وشمالي، فأقول لأهل اليمين: فعلتم خيراً فاذهبوا إلى النعيم، وأقول لأهل الشمال: فعلتم شراً فاذهبوا إلى الجحيم»(٣). وبناء على ذلك فما فائدة الصلب

---

(١) انظر: مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، ص (١٨٣). والإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٤١٨).

(٢) انظر: مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، ص (١٧٤ ـ ١٧٥). والإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٤١٧).

(٣) هذا النص الذي أورده القرافي في الأجوبة الفاخرة، ص (١٠٩)، لم أقف عليه في نسخة

والفداء إذن؟[1].

٦ - وبعد أن قرر الجعفري النصارى بقولهم: إن سبب الصلب هو التكفير من خطيئة آدم عليه السلام. ثم قولهم بتوبة آدم من هذه الخطيئة كما تصرح بذلك كتبهم ألزمهم بلازمين لا مفر لهم منها:

فالأول: إن اعترفوا بتوبة آدم فما فائدة الصلب الذي يعتقدونه.

والثاني: إن قالوا بعدم توبته كذبتهم كتبهم. وكلا اللازمين يبطلان عقيدة الفداء من الخطيئة[2].

الكتاب المقدس التي بين يدي، وما وجدته بمعنى ذلك يَنْسب هذا الحساب إلى المسيح لا إلى الله سبحانه. (انظر: الكتاب المقدس، إنجيل متى، الإصحاح (٢٥/ ٣١ ـ ٤٦).

(١) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١٠٩).

(٢) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (١/ ٣٦٩).

المطلب الثاني

مناقشة شعائر النصارى وطقوسهم

تعد النصرانية فقيرة في تشريعاتها وأحكامها، والعناية الكبرى فيها بالروحانيات التي أهملها اليهود حينما أفرطوا في ماديات الحياة، وهذا ما يؤكد أنها تكملة لأديان بني إسرائيل(١).

وقد عبر أحد العلماء المسلمين في عصر الحروب الصليبية عن ذلك بقوله: «ليس للنصارى شيء من الأحكام والفرائض والسنن المحتاج إليها في المعاملات والمناكحات، والأناجيل التي بأيديهم ليس فيها سوى مواعظ ووصايا قد خلطت بكفر بواح... وأي شيء استحسنوه بعقولهم شرعوه وحكموا به»(٢).

وقد كان النصارى الأوائل يوجبون على أنفسهم ما أوجبته التوراة والإنجيل، ويحرمون على أنفسهم ما حرمته، ولا يستثنون من ذلك إلا ما صرح المسيح نفسه بنسخه أو تعديله. واستمروا على ذلك حتى رفع المسيح حيث أخذ بعد ذلك دعاة النصرانية يغيرون ويبدلون في التشريع حسب أهوائهم وكان حجتهم في ذلك جذب أكبر عدد ممكن من الأمميين إلى الدخول في النصرانية(٣).

---

(١) انظر: المسيحية، د. أحمد شلبي، ص (٢٣٧).

(٢) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/ ٦١٦).

(٣) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. علي ابن حسن بن ناصر وآخرين (١/ ٣٤١ ـ ٣٤٤).

ولذلك فغالب الشعائر والطقوس النصرانية اليوم من وضع بولس، ولا ينكر دور المجامع في الإلغاء أو الإضافة فيها، ثم لما أثبتت العصمة للبابا صار له الحق في إصدار القرارات والأحكام، مع ما تسرب للنصرانية من طقوس وعبادات وثنية انتقلت إليها من المناطق والشعوب التي امتدت إليها النصرانية في عهودها الأولى[١].

وقد وضح شيخ الإسلام ابن تيمية ذلك مبيناً أن صلاتهم وصيامهم وحجهم وأعيادهم وغير ذلك من شرائعهم ليس منقولاً عن المسيحﷺ، بل هو من وضع كبرائهم[٢].

ومما يجدر ذكره أن الطقوس والشعائر النصرانية المبتدعة كثيرة جداً، وتناول العلماء المسلمين في عصر الحروب الصليبية لها ليس على سبيل الحصر، وإنما أمثلة توضح تحريف النصارى لديانتهم وابتداعهم فيها وبطلان ما استندوا عليه في إثباتها.

قال القرطبي في مقدمة مناقشته لبعض عبادات النصارى وطقوسهم: «غرضنا من هذا الفن أن نجمع مسائل من قواعد أديانهم، ونبين فسادها، وأنهم ليسوا على شيء فيها، بل تركوا نصوص التوراة والإنجيل وعملوا بخلافها من غير حجة ولا دليل»[٣].

وفيما يلي عرض لبعض جهود علماء المسلمين في عصر الحروب الصليبية في مناقشتهم لبعض عبادات النصارى وطقوسهم:

---

(١) انظر: موقف ابن تيمية من النصرانية، د. مريم عبد الرحمن زامل، نشر جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م، (٢/ ٧٦٤).

(٢) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. علي ابن حسن بن ناصر وآخرين (١/ ٣٦٤ - ٣٦٧).

(٣) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٤٠٢).

أولاً: المعمودية:

المعمودية أو التعميد شعيرة من شعائر النصرانية لا يقبل إيمان نصراني إلا بها. وهو عند النصارى يعني الغطس بالماء باسم الأب والابن وروح القدس إشارة إلى التطهير من أدران الخطيئة بدم يسوع المسيح[(١)]. وقد حل التعميد عند النصارى محل الختان في اليهودية[(٢)]. ومستندهم فيه قول المسيح عليه السلام: «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن وروح القدس»[(٣)]. وإن يوحنا عمد المسيح عليه السلام في وادي الأردن فخرج منه روح القدس كالحمامة على الماء[(٤)].

والمعمودية موجودة لدى كثير من الشعوب الوثنية في أمريكا وأوربا وآسيا. وانتقلت إلى النصرانية عن طريق الفرس القدماء الذين كانوا يأخذون أولادهم إلى الهياكل بعد الولادة ببضعة أيام ويسلمونهم للكاهن عند صنم الشمس، والنار هي الرمز عن الشمس، فيغمسهم بإناء مملوء بالماء ثم يسمونه بعد ذلك[(٥)].

ومن علماء المسلمين في عصر الحروب الصليبية الذين ناقشوا المعمودية لدى النصارى القرطبي، حيث وضح صفتها عند نصارى الأندلس بقوله: «إن الذي يريد أن يدخل في دينهم، أو التائب منهم تتقدم الأقسة منه فيمنعونه من اللحم والخمر أياماً ثم يعلمونه اعتقادهم وإيمانهم، فإذا تعلم ذلك اجتمع له القسيسون فتكلم بعقيدة إيمانهم أمامهم، ثم يغطسونه في ماء يغمره، وقد اختلفوا هل يغطسونه مرة واحدة أو مرتين أو ثلاثاً؟ فإذا خرج من ذلك الماء دعا له

---

(١) انظر: حقائق أساسية في الإيمان المسيحي، القس فايز فارس، ص (٢٤٠)، والأمور المتيقنة عندنا للقس كارل س. وزميله ص (١٣٨)، وما بعدها.

(٢) انظر: محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، ص (١١٥).

(٣) الكتاب المقدس، إنجيل متى، الإصحاح (٢٨/ ١٩).

(٤) انظر: حقائق أساسية في الإيمان المسيحي، القس فايز فارس، ص (٢٤٠ ـ ٢٤١)، والأمور المتيقنة عندنا للقس كارل س. وزميله ص (١٣٨)، وما بعدها.

(٥) انظر: موقف ابن تيمية من النصرانية، د. مريم عبد الرحمن زامل (٢/ ٨٠٢).

الأسقف بالبركة ووضع يده على رأسه»[1].

ثم بين القرطبي بعد ذلك أنه ربما اختلفت صفتها، لكنها عندهم عبادة مؤكدة ومن لم يقبلها عندهم فهو كافر[2].

ثم أبطل القرطبي هذه المعمودية التي ابتدعوها على النحو التالي:

١ ـ أنه لم يرد لها ذكر في التوراة ولم يشرعها الله لنبيه موسى عليه السلام[3].

٢ ـ أن مستند النصارى في هذه المعمودية هو فعل يحيى عليه السلام والحواريين، فإذا صح ذلك من يحيى والحواريين فلِمَ لا يكون خصوصية لهم؟ وإن قلتم أيها النصارى إنه ليس بخصوصية فأتوا بالدليل ولن تقدروا[4].

وزاد القرافي على ذلك بقوله: «ولو سلمنا عموم شرعيتها فَلِمَ زدتم العدد، ووضع اليد على الرأس، والنفخ في الوجه ولم يُنقل ذلك عمن تقدم منكم؟ ولِمَ تكفرون مخالفيها من غير دليل؟»[5].

٣ ـ وبين القرطبي أنه لعل يحيى والحواريين عمدوا الناس لأن ماءهم كان مقدساً ودعاءهم متقبلاً، فيحيى نبي، والحواريون أنبياء بزعمكم أيها النصارى، أما أنتم فَلِمَ تعمدونهم؟ فلستم أنبياء وماؤكم ليس مقدساً فلستم إذن مثلهم[6].

٤ ـ وناقش كل من القرطبي والقرافي النصارى في أصل المعمودية لديهم، هل كان عيسى عليه السلام قبل أن يعمده يحيى مقدساً أم لم يكن؟ فإن كان مقدساً فلا فائدة من فعل يحيى. ولماذا لم ينزل عليه روح القدس قبل التعميد؟ وإن كان

---

(١) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٤٠٣).

(٢) انظر: المصدر السابق، ص (٤٠٣).

(٣) انظر: المصدر السابق، ص (٤٠٣).

(٤) انظر: المصدر السابق، ص (٤٠٤).

(٥) الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١٥٥).

(٦) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٤٠٤).

غير مقدس فكيف يكون من ليس بمقدس إلهاً أو ابن إله؟[١].

ثم ختم القرافي مناقشته للنصارى في مسألة المعمودية بقوله: «وهل هذا كله إلا هذيان، وضرب من الخذلان؟ وهذا ـ أي المعمودية ـ على أظهر أحكام شريعتهم وأقواها مستنداً، فكيف بأضعفها»[٢].

ثانياً: الاعتراف وصكوك الغفران:

الاعتراف في النصرانية يعني أن يأتي المذنب ويعترف بخطاياه وذنوبه أمام القس أو الكاهن في الكنيسة ثم يمسحه هذا الكاهن فتغفر ذنوبه[٣].

وقد استخدمت الكنيسة في أوربا الغفران من الذنوب وسيلة من وسائل التشجيع على الحروب الصليبية ضد المسلمين سواء كان ذلك في المشرق أو في الأندلس[٤].

ومن علماء عصر الحروب الصليبية الذين ناقشوا هذه القضية القرطبي إذ وضح أنه لا بدّ للمذنب ليغفر له من كفارة، وتلك الكفارة بحسب ما يظهر لقساوستهم ويرونه موافقاً لغرضهم. فتارة يوجبون على المذنب خدمة الكنيسة،

---

(١) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٤٠٥)، والأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١٥٥).

(٢) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١٥٥).

(٣) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٤٠٥ ـ ٤٠٩)، وتخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/ ٥٩٥ ـ ٥٩٦)، واليهودية والنصرانية د. سعود الخلف، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ، ص (٢٣٥).

(٤) انظر: المبحث الرابع من الفصل التمهيدي حول أثر الدافع الديني في إثارة الحروب الصليبية.

وتارةً لا يدخلها بل يقف عندها متذللاً، وتارة يوجبون عليه مالاً لملكهم، أو لهم ولكنائسهم(١).

ثم ضرب القرطبي أمثلة على بعض الذنوب وما شرعه قساوستهم لغفرانها منكراً عليهم أن يجعلوا أنفسهم مشرعين وينزلوا أنفسهم منزلة رب العالمين في التشريع والغفران، على الرغم من أن كثيراً من هذه الذنوب له حكم في التوراة التي يؤمنون بها(٢).

ووضح القرافي أن قسس النصارى أنزلوا أنفسهم منزلة الله سبحانه وتعالى في غفران الذنوب، وهم بهذا الابتداع الذي هو من عند أنفسهم يبعثون العصاة على المجاهرة ويشيعون الفاحشة وينشرون الفضيحة في الذراري والأعقاب وأي مفسدة أعظم من هذه(٣).

ثم ذكر القرافي مشاهدته لذلك وآثاره في المدن الصليبية النصرانية كعكا وغيرها من سائر مدن النصارى(٤).

وبين الجعفري أن هذه البدعة لدى النصارى وسيلة للتحكم في حال المذنب وماله لصالح أكابرهم، ثم أبرز خطرها على الشخص وعلى المجتمع بإشاعة الفاحشة ونشر الفضيحة. مختتماً ذلك بالإشارة إلى أن هذه البدعة لا أصل لها في شريعةٍ، أو نص عليها موسى، لكنها مختلقة من جهلة مشايخ النصارى(٥).

ثالثاً: أعياد النصارى:

أعياد النصارى كثيرة جداً، فكل حدث ذو أهمية بالنسبة لهم يعظمونه

---

(١) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٤٠٥).

(٢) انظر: المصدر السابق، ص (٤٠٧).

(٣) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١٢٧).

(٤) انظر: المصدر السابق، ص (١٢٧).

(٥) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/ ٥٩٥).

ويحتفلون به، ثم يتحول لدى الأجيال اللاحقة إلى عيد يحتفل به إحياءً لذكراه، فابتدعوا لذلك أعياداً كثيرة ما أنزل الله بها من سلطان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في حديثه عن بدع النصارى التي منها أعيادهم «... وكذلك عامة أعيادهم... التي رتبوها على أحوال المسيح، والأعياد التي ابتدعوها لكبرائهم فإن ذلك كله من بدعهم التي ابتدعوها، بلا كتاب نزل من الله تعالى»[(١)].

ثم وضح ابن تيمية أن من أسباب كثرة البدع في النصرانية ومنها كثرة أعيادهم أنهم ـ أي النصارى يجوزون لأكابر أهل العلم والدين منهم أن يغيروا ما رأوه من الشرائع ويضعوا غيره، فلهذا أكثر شرعهم مبتدع لم ينزل به كتاب ولا شرعه نبي[(٢)].

وفي فترة الحروب الصليبية كان الاحتفال بهذه الأعياد وغيرها منتشراً بين النصارى بل وربما شاركهم بعض المسلمين فيها.

ففي الأندلس مثلاً كان من أعياد النصارى عيد ميلاد عيسى عليه السلام والمحدد بالخامس والعشرين من شهر ديسمبر، ويناير سابع ولادته، ويوم ختنه وهو أول السنة الميلادية، والعنصرة والذي يعتقد أنه يوم مولد يحيى بن زكريا عليه السلام ويوافق اليوم الرابع والعشرين من يونيه، وخميس إبريل الذي يرمز عند النصارى إلى يوم صلب المسيح في اعتقادهم[(٣)].

وفي معرض مناقشة كل من الجعفري والقرافي لأعياد النصارى عدّدا أهمها ومنها:

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. علي بن حسن بن ناصر وآخرين، (١/ ٣٦٥ ـ ٣٦٧).

(٢) المصدر السابق (١/ ٣٤١).

(٣) انظر: جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عصري المرابطين والموحدين، د. محمد بن إبراهيم بن صالح أبا الخيل، دار أصداء المجتمع، المملكة العربية السعودية، بريدة، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ، ص (٤٤٣ ـ ٤٤٤).

عيد ميكائيل في مصر وتخومها، وكان النصارى في فترة الحروب الصليبية تحتفل به وتعظمه، وسبب إحداث هذا العيد أنه كان في الإسكندرية صنم يعظمه أهلها، ويعدون له عيداً عظيماً، فولي بطركة الإسكندرية الأكصيدروس فرام إبطال هذا العيد فلم يقدر من العوام فصرفهم لذلك بأن يجعلوا هذا العيد لميكائيل الملك وليس للصنم، فيذبحون له ذبائحهم ليشفع لهم عند الله فأجابوه لذلك[١].

وعيد الصليب وسبب إحداثه: أن اليهود اتخذوا المقبرة التي دفن فيها الشبه مزبلة يطرحون فيها الأوساخ تحقيراً لشأن المصلوب، فأقامت على ذلك نحواً من ثلاثمائة سنة إلى أن جاءت زوجة[٢] قسطنطين الملك فأمرت بالكشف عن المقبرة، فظهرت لها فإذا هي ثلاثة صُلُب وهي صليب اللصين والشبه. فقالت: كيف لنا أن نعلم خشبة ربنا التي صلب عليها؟ ـ وكان هناك مريض قد أشرف على الوفاة ـ فأمرت فوضع عليها الصليب الأول فلم يقم، فأمسته الثاني فلم يقم، فأمسته الثالث فقام فعلمت النصارى أنه صليب الرب فعلقته بالذهب وبعثت به إلى الملك[٣].

ومن أعيادهم التي ذكرها القرطبي: يوم بشارة جبريل مريم بالمسيح، ثم يوم ميلاده، ويوم ختنه، ويوم الفصح وهو قيامه من القبر، ثم يوم رقيه إلى السماء وغير ذلك[٤].

---

(١) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/ ٥٩٨). والأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١٣٠).

(٢) الصحيح أنها أم الملك وليست زوجته ويسميها النصارى القديسة هيلانة، انظر: تعليق د. محمود قدح في تحقيقه كتاب تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، (٢/ ٥٩٩).

(٣) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/ ٥٩٩)، والأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١٣٠ ـ ١٣١).

(٤) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٤٢٤).

وبعد ذكر الجعفري والقرافي لبعض أعياد النصارى وضحا أن لا أصل لها في شرعهم البتة، وأنها مما أحدثوه وابتدعوه في دينهم[1].

ثم بين الجعفري أن لا حاجة لإبطال البدعة ببدعة مثلها، وذلك أن هذا الراهب أراد أن يبطل تعظيم العامة لهذا الصنم فابتدع عيد ميكائيل، حيث قال: «والشيء الضعيف لا يزيده الأمر الباطل إلا ضعفاً، والحق مستغن بنفسه عن أن يقوى بأمثال هذه الترهات»[2].

وأشار كل من الجعفري والقرافي إلى أن الأولى للنصارى أن يمقتوا الصليب لا أن يعظموه ويتخذوا له عيداً وذلك أنه صلب عليه إلههم بزعمهم. وإن كان هذا التعظيم من أجل أن الصليب مس المسيح فلماذا لا يعظم النصارى الحمر ويسجدوا لها فقد أخبر لوقا أن المسيح ركب حماراً عند دخوله المدينة[3].

وبين القرطبي أن هذه الأعياد التي يعظمها النصارى ليست واجبة بالشرع بل هي كما قال علماؤهم أيام شريفة اتفقت فيها أمور شريفة من أحوال المسيح. وإذا كان هذا مستندهم فمن أخبرهم من الأنبياء بأن مثل هذه الأحوال تتخذ عيداً إذ ليس في كتبهم شيء من ذلك. ثم إن أيام عيسى كلها شريفة فلا يخلو يوماً له من كرامة يكرمه الله بها. فإذا كان الأمر كذلك فعلى النصارى أن يبحثوا عن أيام عيسى وعن عددها ويتخذوها أعياداً، وإلا لما خصصوا البعض وتركوا البعض الآخر[4].

---

(١) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/ ٥٩٨)، والأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١٣٠).

(٢) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/ ٥٩٨).

(٣) انظر: المصدر السابق (٢/ ٦٠١)، والأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١٣٠ ـ ١٣١).

(٤) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٤٢٥).

رابعاً: صلاة النصارى وصيامهم:

أ ـ الصلاة:

الصلاة عند النصارى ركن من أركان الدين، وهي في زعمهم تقربهم إلى الله عن طريق المسيح[1]. ولا تنحصر في صفة معينة ولا زمن معين ولا في موضع محدد، وتؤدى فردية وجماعية، فهي عبارة عن أدعية وترانيم يرددونها، ويؤكدون على بعض الأوقات أكثر من غيرها وهي صلاة الساعة الثالثة والسادسة والتاسعة من النهار وعند بداية الليل ونهايته وعند تناول الطعام[2].

ومن العلماء المسلمين الذين ناقشوا شعيرة الصلاة لدى النصارى القرافي الذي ذكر أن عدد صلواتهم في اليوم والليلة ثمان صلوات حيث أورد الأدعية التي يرددونها في كل صلاة منتقداً لها ومبيناً تناقضها[3][4].

وقد أورد الجعفري أيضاً طرفاً من أدعيتهم في بعض صلواتهم مبيناً تناقضها وفسادها بما تقتضيه من عقيدة التثليث والصلب والخطيئة وغير ذلك من عقائدهم الباطلة[5][6].

ب ـ الصوم:

الصوم عبادة قديمة ليس فقط عند أهل الأديان بل وحتى عند الأمم الوثنية،

---

(١) انظر: قاموس الكتاب المقدس، نخبة من علماء اللاهوت النصارى، ص (٥٤٨).

(٢) انظر: المرجع السابق ص (٥٤٩)، وحقائق إيمانية في الإيمان المسيحي، القس فايز فارس، ص (٢٠٠) وما بعدها.

(٣) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١٣٧ ـ ١٤١).

(٤) النصارى في الوقت الحاضر لا يلتزمون في صلواتهم بأدعية معينة، وربما حكى القرافي ما كان سائداً في وقته عند بعضهم.

(٥) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/ ٦٣٤)، وما بعدها.

(٦) سبق عرض لبعض جهود العلماء المسلمين في إبطال عقائد النصارى في المطلب الأول من هذا البحث.

فهو معروف عند قدماء المصريين في أيام وثنيتهم وكذلك اليونانيين والرومان، ولا زال وثنيو الهند وغيرهم يصومون إلى الآن[(١)].

وقد افترض الله الصيام على الأمم قبل أمة الإسلام وإن لم يقتض ذلك اتحاد الطريقة، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾[(٢)].

قال الطبري بعد أن عرض أقوال العلماء في قوله تعالى: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾: وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: معنى الآية: يا أيها الذين آمنوا فرض عليكم الصيام كما فرض على الذين من قبلكم من أهل الكتاب»[(٣)].

ثم قال: «وأما التشبيه فإنما وقع على الوقت، وذلك أن من كان قبلنا إنما كان فرض عليهم شهر رمضان مثل الذي فرض علينا سواء»[(٤)]. وبين القرطبي أنهم أخذوا بالاحتياط فصاموا يوماً قبله ويوماً بعده قرناً بعد قرنٍ حتى بلغ صومهم خمسين[(٥)].

وقيل: إن التشبيه في الآية راجع إلى أصل وجوب الصوم على من تقدم لا في الوقت والكيفية[(٦)].

والصوم عند النصارى - يعني الامتناع عن الطعام مدة من النهار قد تصل إلى الظهر أو العصر أو الغروب حسب مقدرة الصائم يتناول بعدها الصائم أطعمة خالية من الدسم الحيواني[(٧)].

---

(١) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت (٢/ ١٤٥٠).

(٢) سورة البقرة، الآية: (١٨٣).

(٣) جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، المجلد الأول، الجزء الثاني، ص (١٣٠).

(٤) المصدر السابق، المجلد الأول، الجزء الثاني، ص (١٣٠).

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، المجلد الأول، الجزء الثاني، ص (١٨٤).

(٦) انظر: المصدر السابق، المجلد الأول، الجزء الثاني، ص (١٨٤).

(٧) انظر: المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر، رياض سوريال، مكتبة المحبة، القاهرة، ص (٢٢٨).

ومن أنواع صوم النصارى صيام يوم الأربعاء وهو يوم المؤامرة على المسيح ويوم الجمعة وهو اليوم الذي صلب فيه المسيح بزعمهم وصوم الميلاد وعدد أيامه ثلاث وأربعون يوماً تنتهي بعيد الميلاد، والصوم المقدس وعدد أيامه خمس وخمسون يوماً، ويُمتنع في هذا الصوم عن أكل لحم الحيوان أو ما يتولد منه، ولا يعقدون في أثنائه سر الزواج، ثم يأتي صيام الرسل وتتراوح أيامه بين خمسة عشر يوماً وتسعة وأربعين يوماً، ثم صوم العذراء ومدته خمس عشر يوماً، والتوجيه في صوم هذه الأنواع اختياري لا إجباري(١).

وفي مناقشة العلماء المسلمين في عصر الحروب الصليبية لصيام النصارى وضحوا أصل وجوبه عندهم ثم ما ابتدعوه فيه زيادة ونقصاً.

حيث بين كل من القرطبي والقرافي في مناقشتهما لذلك أن صيام النصارى حسب قول أحد أكابرهم أنه أربعين يوماً التي صامها موسى عليه السلام ثم صامها المسيح وجعلها علماء النصرانية ثلاثة وأربعين يوماً عُشْر أيام السنة كما وضع لهم ذلك بولس(٢).

ثم يوضحان أن هذه الثلاثة أيام التي صاموها زيادة على ما افترض عليهم، إما أن الأنبياء تركوا أمر الله سبحانه وتعالى بعدم صيامها وذلك محال، أو أنهم لا يعرفون وجوب صيامها وأنتم أيها النصارى الذين علمتم ذلك وهذا محال لأن الأحكام إنما تُسند إلى أقوال الأنبياء وكتبهم والذي شرع لكم ذلك إنما هو بولس، وهو الذي أفسد عليكم دينكم، فكيف تأخذون بقوله وتتركون فعل موسى وعيسى وإلياس وغيرهم(٣).

---

(١) انظر: المرجع السابق (٢٢٨)، وحقائق أساسية في الإيمان المسيحي، ص (٢١٦)، وما بعدها، وقاموس الكتاب المقدس، نخبة من علماء اللاهوت النصارى، ص (٥٦٢ - ٥٦٣).

(٢) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٤٢٢)، والأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١٢٨).

(٣) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي،

وبين الجعفري نماذج من زيادات النصارى وابتداعهم في صيامهم ومن ذلك زيادتهم جمعة في صيامهم الكبير[١] لأجل هرقل حينما قتل اليهود نصرة لهم وذلك تكفيراً لخطيئته[٢].

ثم عقب على ذلك بقوله: «ولا شك أن هذا وشبهه من باب التلاعب بالدين، وقد صار هذا النمط سجية للنصارى وخلقاً»[٣].

وأشار الجعفري إلى ترك النصارى أكل اللحم في صيامهم وتحريمه وذلك مما أحدثوه بالرأي بعد المسيح[٤].

خامساً: تشريع النصارى في الزواج:

ترغب الأناجيل عموماً بالعزوبة وتدعو إلى الزهد وترك الزواج إلا من خاف على نفسه الزنا فله الزواج بواحدة فقط. يقول بولس: «... إذاً من زُوج فحسناً يفعل، ومن لا يزوج يفعل أحسن»[٥]. وقال: «فحسن للرجل ألا يمس امرأة»[٦]. وقال: «... ولكن أقول لغير المتزوجين وللأرامل إنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا

تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٤٢٢ ـ ٤٢٣)، والأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١٢٨).

(١) ويسمى بالصوم المقدس وعدد أيامه خمس وخمسون يوماً، وهي عبارة عن الأربعين يوماً التي صامها المسيح مضافاً إليها أسبوعان: الأول أسبوع الاستعداد قبل الأربعين والثاني أسبوع الآلام وهو بعد الأربعين. انظر: المجتمع القبطي في مصر، رياض سوريال، ص (٢٢٨)، والنصرانية والإسلام، محمد عزت طهطاوي، دار الأنصار، القاهرة، ص (٨٢).

(٢) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/ ٥٩٦ ـ ٥٩٧).

(٣) المصدر السابق (٢/ ٥٩٧).

(٤) المصدر السابق (٢/ ٦٠٨).

(٥) الكتاب المقدس، رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس، الإصحاح (٧/ ٣٨).

(٦) الكتاب المقدس، رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس، الإصحاح (٧/ ١).

ولكن إن لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا...»[١].

أما القسس والرهبان فمحرم عليهم الزواج اقتداءً بالمسيح بزعمهم[٢].

وقد ناقش بعض العلماء المسلمين في عصر الحروب الصليبية مسألة الزواج عند النصارى ومنهم الجعفري والقرافي وكان ذلك على النحو التالي:

أ - بيان ضلالهم في ذلك وأن الأمر بترك الزواج مما لا يصح نسبته إلى المسيح عليه السلام[٣].

ب - إن ما تمسك به النصارى من نصوص في الإنجيل ظاهرها الترغيب بترك الزواج من أجل الله كقول المسيح عليه السلام: «... من ترك زوجة من أجلي فإنه يعطى للواحد مائة ضعف ويرث الحياة الدائمة...»[٤]. لا يجوز إجراؤه على ظاهره، إذ المقصود من ذلك - إن صح - ترك الزوجة إذا طلبت فراقه لعجزه أو لأي سبب آخر[٥]. ثم إن في الإنجيل أيضاً نصوصاً تعارض ذلك منها قول المسيح: «إن الذي زوجه الله لا يقدر أحد على تفريقه»[٦]،

---

(١) الكتاب المقدس، رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس، الإصحاح (٧/ ٨ - ٩).

(٢) انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة محمد بدران، المجلد الرابع، الجزء الثالث، ص (٣٨٣ - ٣٨٤).

(٣) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/ ٦١٢).

(٤) هذا النص الذي أورده كل من الجعفري في التخجيل (٢/ ٦١٢)، والقرافي في الأجوبة الفاخرة ص (١٣٢)، وورد في الكتاب المقدس قريباً من هذا المعنى في إنجيل متى، الإصحاح (١٩/ ٢٩).

(٥) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١٣٢)، وتخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/ ٦١٢).

(٦) هذا النص الذي أورده الجعفري في التخجيل (٢/ ٦١٢)، وورد في الكتاب المقدس مع اختلاف يسير في اللفظ في إنجيل متى، الإصحاح (١٩/ ٦).

وقوله: «من طلق زوجته باطلاً فقد عرضها للزنا...»[1][2].

جـ - والزواج سنة المرسلين وخواص الأولياء ودأب النجباء الأقوياء، ومن رغب عن سنة الأنبياء التحق بالأغبياء[3].

د - إن في ترك الزواج سداً لباب الذرية الصالحة وقطع للتناسل وانقراض لجنس الآدميين[4].

هـ - إن في تركه تعريضاً للرجال والنساء للزنا والفساد والوقوع في الآثام[5].

و - إن الزواج يشتمل على قربات كثيرة منها عفاف الزوجين، والتسبب في حياة عبد صالح يعبد الله ويرغم الشيطان، وغير ذلك[6].

ثم يعقب القرافي موضحاً أن المنافع المترتبة على الزواج أفضل مما انقطع له الرهبان من العبادة والصلوات[7].

سادساً: مناقشة النصارى في تركهم الختان:

كان الختان معروفاً قبل زمن إبراهيم ﷺ، فإن المصريين القدماء كانوا يختتنون[8]، وقد جاء في إنجيل برنابا ما يدل على أن أصل فرضية الختان منذ

---

(١) هذا النص الذي أورده الجعفري في التخجيل (٢/ ٦١٣)، والنص الذي وقفت عليه قوله: «كل من يطلق امرأته ويتزوج بأخرى يزني، وكل من يتزوج بمطلقة من رجل يزني» الكتاب المقدس، إنجيل لوقا، الإصحاح (١٦/ ١٨).

(٢) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح.

(٣) المصدر السابق (٢/ ٦١٣).

(٤) انظر: المصدر السابق (٢/ ٦١٢)، والأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١٣٢).

(٥) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١٣٢).

(٦) انظر: المصدر السابق، ص (١٣٣).

(٧) انظر: المصدر السابق، ص (١٣٣).

(٨) انظر: معجم الحضارات السامية، هنري س. عبودي، ص (٣٨١).

ابتداء الخليقة. قال برنابا[1]: «قال يسوع لتلاميذه وكانوا كلهم منصتين إليه: إنه لما أكل آدم الإنسان الأول الطعام الذي نهاه الله عنه في الفردوس مخدوعاً من الشيطان عصى جسده الروح فأقسم قائلاً: تالله لأقطعنك، فكسر شظيه من صخر وأمسك جسده ليقطعه بحد الشظية، فوبخه الملاك جبريل على ذلك، فأجاب لقد أقسمت بالله أن أقطعه فلا أكون حانثاً. حينئذٍ أراه الملاك زائدة جسده فقطعها...»[2].

وقد نصت التوراة على أن إبراهيم أمر بالختان هو ونسله فختن هو ابن ثمانين، وجاء في السنة ما يدل على ذلك. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اختتن إبراهيم عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم**»[3].

وصار الختان في اليهود فرضاً من الفروض الدينية فاختتن موسى عليه السلام وكذلك عيسى عليه السلام لإكماله شريعة التوراة[4]. بل إنه لدى النصارى صلاة يؤدونها تذكرة لختان عيسى عليه السلام[5].

---

(١) برنابا: رجل قبرصي الأصل، اعتنق النصرانية، وبدأ يعمل على نشرها مع بولس، بعد اعتناقه النصرانية، وينسب إليه إنجيل برنابا الذي يختلف كلياً عن بقية الأناجيل في شأن المسيح، حيث يصرّح بنبوّته، ولذلك يعتقد النصارى أن ذلك الإنجيل مكذوب على برنابا.

انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص (٢٧٢)، ومقدمة الدكتور خليل سعادة في ترجمته لإنجيل برنابا.

(٢) إنجيل برنابا، ترجمة، د. خليل سعادة، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة، الفصل الثالث والعشرون (١ ـ ٨)، ص (٣٠).

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ حديث رقم (٣٣٥٦)، ص (٦٤١)، ومسلم، الصحيح، كتاب الفضائل، باب فضائل إبراهيم الخليل، حديث رقم (٢٣٧٠)، ص (٩٦٣).

(٤) انظر: الكتاب المقدس، إنجيل لوقا، الإصحاح (٢/ ٢١).

(٥) انظر: نظرية النسخ في الشرائع السماوية، د. شعبان إسماعيل، مطابع الدجوي، القاهرة، ص (٥٠).

وقد استطاع بولس أن يصرف النصارى عن سنة الختان حتى اتخذوا قراراً بتركه في مجمع أورشليم المنعقد بعد رفع المسيح بثنتين وعشرين سنة[١].

والحجة في ترك الختان جلب الأمم الوثنية في ذلك الوقت من إغريق ومصريين ورومان في الدخول بالنصرانية وكان يشق عليهم الختان[٢].

وفسروا الأمر بالختان في التوراة بأنه نقاوة القلوب وصفاء النية وذهاب الغلوفة من القلوب[٣].

ومن ضمن ما ناقشه العلماء المسلمون من تشريعات النصارى في فترة الحروب الصليبية إبطالهم سنة الختان. إذ بين القرطبي أن هذه السنة ثابتة بالتوراة، وإبطال النصارى لها لا أصل له. ثم وضح أنهم بذلك تركوا حكم الله اتباعاً للهوى، ثم كذبوا على الله بتفسيرهم الختان المأمور به في التوراة بأنه إزالة غلوفة القلوب، وتسفيههم أحكام الله بقولهم إنه لا فائدة من الختان[٤].

ثم شرح القرطبي فوائد هذه السنة بكونها عبادة لله سبحانه، والنظافة المترتبة على القيام بها إذ وجود هذه الغلفة مدعاة لتراكم كثير من الأقذار إلى غير ذلك[٥].

---

(١) انظر: مقررات هذا المجمع في الكتاب المقدس، سفر أعمال الرسل، الإصحاح ١٦، فكان من أقواله: «ها أنا بولس أقول لكم: إن ختنتم لا ينفعكم المسيح شيئاً» (الكتاب المقدس، رسالة بولس إلى أهل أغلاطية، الإصحاح (٥/ ١)، وانظر أيضاً: الإصحاح (٥/ ٣ ـ ٧).

وقد فسر الختان الذي ورد في التوراة بأنه ختان القلب بالإيمان، لا ختان الغرلة (انظر: الكتاب المقدس، رسالة بولس إلى أهل رومية، الإصحاح (٢/ ٢٨ ـ ٢٩).

(٢) انظر: المسيحية نشأتها وتطورها، د. شارل جنيبير، ترجمة د. عبد الحليم محمود، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا وبيروت، ص (١٠٤).

(٣) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٤٢٠)، والكتاب المقدس، رسالة بولس إلى أهل رومية، الإصحاح (٢/ ٢٨ ـ ٢٩).

(٤) انظر: المصدر السابق، ص (٤٢٠).

(٥) انظر: المصدر السابق، ص (٤٢٠ ـ ٤٢٢).

وبعد أن بين القرافي مشروعية الختان في اليهودية وعند النصارى وضح أثر بولس في إبطال هذه السنة[١].

وبعد أن ذكر الجعفري مشروعية الختان في التوراة وأن تاركه يقتل قال: «فقد وضح كفر من خالفه من النصارى وغيرهم، وقد ترك الروم والفرنج وغيرهم الختان... ولم يزل النصارى يختنون بعد رفع المسيح إلى أن أتاهم رجل يدعى عندهم فولس بعد المسيح بمدة متطاولة فقال لهم: إن الختان ليس بشيء، وإن الغرلة ليس بشيء»[٢].

سابعاً: تعظيم النصارى للصور والتماثيل:

من الشعائر الوثنية التي انتقلت إلى النصرانية عبادة الصور والتماثيل وتبجيلها حتى امتلأت كنائسهم وأديرتهم بتماثيل للمسيح ولأمة وللقديسيين وغيرهم.

وقد وضح ابن تيمية أن اتخاذ الصور والتماثيل مما أحدثه النصارى، فلم يرد ذلك عن أحد من الأنبياء[٣].

وليس في التوراة ما يستند عليه النصارى في اتخاذهم هذه الصور والتماثيل وعبادتها، بل إن فيها النهي الصريح عن ذلك، ومنه ما جاء في سفر التثنية: «لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً صورة مما في السماء من فوق، وما في الأرض من أسفل، وما في الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك غيور»[٤].

وقد كانت هذه الشعيرة لدى النصارى محدودة النطاق، ثم ما لبثت أن نمت

---

(١) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١٢٠).

(٢) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/ ٥٨٩).

(٣) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. علي ابن حسن بن ناصر وآخرين (١/ ٣٤٦ ـ ٣٥٠).

(٤) الكتاب المقدس، التوراة، سفر التثنية، الإصحاح (٥/ ٧ ـ ٨).

تدريجياً وانتشرت انتشاراً واسعاً ثم أصبحت من ضمن الشعائر النصرانية وذلك عن طريق إقرارها في مجامعهم، خاصة في المجمع النيقاوي الثاني نسبةً إلى المدينة التي عقد فيها وهي ـ نيقية ـ عام ٧٨٧م حيث أصدر قراراً أيد فيه تعظيم صور المسيح وأمه والقديسين واتخاذها ليس فقط في الكنائس بل وفي البيوت(١).

ولا شك في خطورة اتخاذ الصور والتماثيل وتعظيمها على عقيدة التوحيد، إذ كانت السبب الأول لانحراف البشرية من التوحيد إلى الشرك. ففي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾(٢). قال: «أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد. حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت»(٣).

وقد كان من ضمن الشعائر الوثنية النصرانية التي ناقشها العلماء المسلمون في عصر الحروب الصليبية هذه الشعيرة، قال القرافي: «وأكثر النصارى يسجد للتصاوير في الكنائس وهو من كفرهم القبيح، وأي فرق بين عبادة الأصنام والسجود للتصاوير»(٤).

ثم وضح أن ذلك لو كان مشروعاً في النصرانية لسجد التلاميذ للمسيح في حال حياته، والنصارى بتعظيمهم لهذه الصور والتماثيل مخالفون لتعاليم المسيح ومخالفون لكتبهم حيث ليس فيها ما يدل على مشروعية ذلك(٥).

وأشار الجعفري إلى أنه لا تكاد تخلو كنيسة من كنائسهم من الصور

---

(١) انظر: مجموعة الشرع الكنسي، حنانيا إلياس كساب، ص (٦٩ ـ ٧٠).

(٢) سورة نوح، الآية: (٢٣).

(٣) أخرجه البخاري، الصحيح، كتاب التفسير، باب «﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ حديث رقم (٤٩٢٠)، ص (٩٧١).

(٤) الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١٣١).

(٥) انظر: المصدر السابق، ص (١٣١).

والتماثيل متسائلاً عن مستند النصارى في ذلك وما هو في الحقيقة إلا العناد وعبادة الأنداد، إذ الأناجيل ليس فيها ما يدل على مشروعية ذلك، بل إن التوراة تكفر عابد الصور والمسيح مصرح بأنه لم يأت لنقض التوراة بل جاء لإكمالها[1].

ثامناً: حقيقة خوارق العادات لدى النصارى والتي يلبسون بها على عامتهم:

النصرانية مليئة بالخزعبلات والأباطيل التي جعلها النصارى من ديانتهم تلبيساً على العامة وجذباً لهم بهذه الخزعبلات الموهمة.

وفي عصر الحروب الصليبية ناقش بعض العلماء المسلمين ذلك لدى النصارى؛ إيقاظاً للعقول الغافلة وكشفاً لتلبيس ضُلاَّلهم؛ أملاً في إزالة عقبة من العقبات المانعة من الهداية وما في ذلك من إقامة للحجة عليهم بزوال ما قد يتعلقون به من هذه الخزعبلات.

حيث قال الخزرجي مبيناً سبب كثرة هذه الخزعبلات لدى النصارى وموجهاً الخطاب لبعض قساوستهم في الأندلس: «إن حذاقكم، وعقلاءكم لما علموا أن دينهم ليس له قاعدة ينبني عليها، ولا أصل يرجع إليه، جمعوا عقول الامة بتخيلات موهمة وأباطيل مزخرفة وضعوها في الكنائس والمزارات»[2].

فمن خزعبلاتهم وحيلهم التي يموهون بها على العامة ما ذكره الجعفري مما كانوا يفعلونه في بعض أعيادهم، ومن ذلك: أن لهم عيداً في بيت المقدس يعرف بعيد النور، ويقصدونه من كل مكان، فإذا اجتمعوا نزلت نار من تجويف القبة فتعلقت بزبالة القنديل فيتقد بسرعة، فتكثر لذلك الأصوات وتعج بالدعاء والابتهال لهذه الآية التي نزلت من السماء[3].

---

(١) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/ ٦٠١ ـ ٦٠٢).

(٢) مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أبو عبيدة الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، ص (٢٦٧).

(٣) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/ ٥٩١ ـ ٥٩٢).

وقد بين الجعفري وجه هذه الحيلة وذلك بأن رجلاً يختبيء في إفريز القبة من داخلها، وهي مظلمة جداً، فإذا كان وقت اجتماعهم وقريء الإنجيل والكتب أرسل هذا الرجل قبساً من نار النفط فجرت على خيط مدهون بدهن البلسان فتبتدر الزبالة فيتقد. ثم يوضح أن أحد ولاة بيت المقدس أراد فضحهم فأغروه بالمال فقنع بذلك. ثم إن بيت المقدس آل إلى اليهود ثم المسلمين ولم يروا شيئاً من هذا الجنس، ولو كان هذا النور نازلاً من السماء لرؤي خارج القبة[1].

ومن خزعبلاتهم التي ذكرها الجعفري أن لهم كنيسة ببعض البلاد يقصدونها ويحجون إليها ويزعمون أن يد الله تخرج إليهم من وراء ستر فيها فتصافحهم في يوم من أيام السنة فبلغ ذلك أحد رؤسائهم فجاء لمصافحة يد الله فلما أمسك بها تعلق بها ورفض أن يتركها حتى يرى وجه صاحبها، فخوفه القساوسة بالصاعقة والهلاك والكفر فرفض حتى كُشف الستر وإذا به أحد القساوسة، فكشف زيفهم[2].

وقد ذكر هذه الحكاية الخزرجي مبيناً أن الكنيسة بالأندلس وموضحاً بطلان هذه الحيلة بعد ذلك[3].

ومما ذكره الخزرجي من خزعبلاتهم أنهم وضعوا صوراً من الحجارة إذا قريء الإنجيل عندها تبكي وتجري دموعها ويشاهدها الخاص والعام، فيعتقد العامة أن ذلك لما علمته من أمر الإنجيل. ثم وضح حقيقة ذلك وهي أن لهذه الصورة مجارٍ دقيقة في أجوافها متصلة من ورائها بزقٍ مملوء بالماء، فيعصره بعض الموكلين بذلك فيندفع الماء في تلك المجاري وتخرج من عيون تلك الأصنام على هيئة دموع[4].

وبعد أن سرد الخزرجي صوراً من هذا القبيل مبيناً أنه شاهد بعضها وسمع

---

(١) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/ ٥٩١ ـ ٥٩٢).

(٢) انظر: المصدر السابق (٢/ ٥٨٩ ـ ٥٩٠).

(٣) انظر: مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أبو عبيدة الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، ص (٢٦٨).

(٤) انظر: المصدر السابق، ص (٢٦٩).

عن البعض الآخر قرر أن هذه الهذيانات لا تجوز إلا عليكم أيها النصارى، ولا يتعبد بها من جهال العالم غيركم[١].

ومن خزعبلاتهم التي ذكرها القرافي دعواهم أن مريم أم المسيح عليه السلام تنزل على دار المطران بطليطلة في يوم معروف من السنة وهم جازمون بذلك. ثم تساءل القرافي مفنداً ذلك هل نزول أم المسيح بإذن الأب أو بغير إذنه، فإن نزلت بإذنه فلِمَ لا يرسل ملائكته ويوقر أم ولده ويصونها عن التبذل لرجل أجنبي، وإن كان بغير إذنه فكيف اصطفى الأب لنفسه من يتصرف بغير إذنه؟[٢].

وساق وليم الصوري أحد قساوستهم ومؤرخيهم، وأحد المعاصرين بل والمشاركين في كثير من أحداث الحروب الصليبية قصة من هذا القبيل على أنها كرامة من الله مبيناً أثرها على الجيش النصراني الصليبي.

وتتلخص هذه القصة في أنه لما اشتدت الحال بالصليبيين المحاصرين في أنطاكية جاءهم الغوث من السماء بأن رأى أحد قساوستهم أن أحد الحواريين جاءه في المنام ليريه مكان الحربة التي طعن بها السيد المسيح وأنها في كنيسة أمير الحواريين، حيث فتشوا عنها حتى وجدوها[٣]. «فطرحوا عنهم ما كان بهم من الفزع، وتنفسوا الصعداء، وأحسوا أنه قد عاودهم بأسهم من جديد»[٤]. بل إن هناك البعض لأجل هذه الحربة رَأى رَأْيَ العين أشباح الملائكة والرسل[٥].

وعرض ابن الأثير هذه القصة مبيناً أنها من حيل أحد القساوسة التي لبس بها على العامة وصدقوه بها، ثم وضح أنه مما زاد فتنتهم بهذه الحربة أن ظهروا على المسلمين في هذه الموقعة[٦].

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص (٢٧١ ـ ٢٧٢).

(٢) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١٢٦).

(٣) انظر: الحروب الصليبية، وليم الصوري، ترجمة د. حسن حبشي، (١/ ٣٢٦ ـ ٣٣٧).

(٤) المصدر السابق (١/ ٣٣٧).

(٥) انظر: المصدر السابق (١/ ٣٣٧).

(٦) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٤١٩ ـ ٤٢٠).

وهكذا ناقش علماء هذه الفترة شعائر النصارى وطقوسهم مبينين تحريفها وابتداعهم لها، وبطلان ما استندوا عليه في إثباتها؛ بحيث يتضح لكل عاقلٍ منهم ضلال ما هم عليه بالتمسك بها وممارستها ويدركون مدى تلبيس علمائهم عليهم في تزيينها لهم والادعاء أنها من صلب ديانتهم.

المبحث الثالث

الردود على شبه النصارى

منذ أن بعث النبيّ ﷺ إلى عصرنا الحاضر وأعداء الإسلام يثيرون الشبه حول هذا الدين كأحد أسلحتهم في محاربته والحد من انتشاره، ولن يفلحوا أبداً كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨﴾ [سورة الصف، الآية: (٨)]

ولذلك فليس غريباً أن يكون هذا الأمر مما حرص عليه النصارى في عصر الحروب الصليبية، ولا سيما أن هذه الفترة كانت من أشد فترات الصراع العسكري بينهم وبين المسلمين.

وكثير من هذه الشبه التي أثارها النصارى في هذه الفترة سبق وأن أثارها أعداء الإسلام قبلهم من المشركين أو اليهود أو غيرهم.

ولا شك أن الشبهة حجاب يمنع من قبول الحق خصوصاً عند قوم مثل النصارى الذين اتخذوا أحبارهم أرباباً من دون الله، فالقول عندهم ما قاله القسيس، لذلك حجب ضلال قساوستهم الحق عن عامتهم. ولهذا فمن أهم طرق إرشادهم إلى الحق هو إزالة هذه الشبه المانعة من قبوله عند الكثيرين منهم.

ولذلك حرص كثير من العلماء في عصر الحروب الصليبية على دحض شبه النصارى حول هذا الدين حماية له من تشويه ضلاّلهم، ورجاء أن يصل إلى عامتهم على الوجه الصحيح فيكون ذلك أدعى في قبوله لديهم.

وفيما يلي عرض لأهم الشبه التي أثارها النصارى في هذه الفترة ونماذج من تفنيد بعض العلماء المسلمين لها.

المطلب الأول

دعوى خصوصية رسالة النبيّ ﷺ بالعرب

مما يتشدق به النصارى قديماً وحديثاً أن محمداً ﷺ نبيّ العرب خاصة، وعلى ذلك فلا تشملهم رسالة الإسلام.

وفي عصر الحروب الصليبية أثيرت هذه الشبهة وتصدى لها بعض العلماء المسلمين مفندين لها ومبينين الحق في عموم رسالة النبيّ ﷺ إلى الناس كافة.

فقد ورد في رسالة لأحد كتاب النصارى موجهة إلى المسلمين في هذه الفترة قوله: «. . . إن محمداً ﷺ لم يبعث إلينا، فلا يجب علينا اتباعه»[1]، حيث استدل هذا النصراني بآيات من القرآن إلى ما ذهب إليه منها قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾[2]، وقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾[3]، وقوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾[4]، وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾[5]، وقوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾[6]، ثم قال هذا

---

(١) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (٩).

(٢) سورة يوسف، الآية: (٢).

(٣) سورة إبراهيم، الآية: (٤).

(٤) سورة القصص، الآية: (٤٦).

(٥) سورة الجمعة، الآية: (٢).

(٦) سورة الشعراء، الآية: (٢١٤).

النصراني: «لا يلزمنا إلا ما جاء بلساننا، وأتانا بالتوراة والإنجيل بلغتنا»[1].

وكان رد القرافي على هذه الشبهة على النحو التالي:

أ - إن الحكمة من إرسال الرسل عموماً بألسنة أقوامهم ليكون ذلك أبلغ في الفهم بينه وبينهم حتى تقوم الحجة، وتزول الشبهات ويحصل البلاغ؛ ليكون ذلك أدعى إلى فهم غيرهم[2].

ب - أن هناك فرقاً بين قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾[3]، وبين أن يقال: «**وما أرسلنا من رسول إلا لقومه**» فالقول الثاني هو المفيد لاختصاص الرسالة بهم لا الأول[4].

جـ - أنه لو صح ما احتج به هذا النصراني من كون القرآن عربياً والنبيّ ﷺ يتكلم العربية فهو مرسل إلى العرب؛ لكان النصارى كلهم مخطئين في اتباع أحكام التوراة، فإنها نزلت بغير لسانهم، وكذلك القبط والحبشة ما علموا التوراة والإنجيل إلا كما يعلم الروم اللسان العربي بطريق التعليم[5].

د - أنه وردت آيات كثيرة تدل على عموم الرسالة، فإذا كان النصارى يعتقدون أصل الرسالة لكنها مخصوصة بالعرب يلزمهم التعميم لهذه الآيات، كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[6][7].

وقد بين بعض العلماء المسلمين المعنى الصحيح للآيات التي استدل بها هذا النصراني على خصوصية الرسالة للعرب.

---

(١) الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (٩).

(٢) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١٠).

(٣) سورة إبراهيم، الآية: (٤).

(٤) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١٠).

(٥) انظر: المصدر السابق، ص (١٠).

(٦) سورة سبأ، الآية: (٢٨).

(٧) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١١).

فكون القرآن باللغة العربية ومحمد أرسل بلسان قومه العرب لا يفهم منه اختصاص رسالته ﷺ، حيث وضح كل من البغوي والرازي أن سبب إرسال الرسل بألسنة أقوامهم ليكون ذلك أدعى للفهم عنهم وأبعد عن الغلط(١).

ثم قال البغوي: «كيف هذا؟ ـ أي إرسال النبيّ ﷺ بلسان قومه ـ وقد بعث إلى كافة الخلق؟ قيل: بعث من العرب بلسانهم، والناس لهم تبع، ثم بث الرسل إلى الأطراف يدعونهم إلى الله عزّ وجلّ، ويترجمون لهم بألسنتهم»(٢).

وبين الرازي أنه لا يفهم من قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾(٣) خصوصية رسالة النبيّ ﷺ بالعرب، وذلك للآيات الكثيرة الدالة على إرساله إلى الناس كافة، ولاحتمال أن المراد من ـ قومه ـ في الآية أي أهل بلده وليس أهل دعوته، ولأن التحدي بالقرآن وقع لجميع الثقلين الإنس والجن، ولم يكن للعرب خاصة. قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾(٤)(٥).

وقوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾(٦) لا يفهم منه خصوصية رسالته ﷺ بالعرب الذين لم يأتهم نذير قبله، ولا يعني ذلك عدم إرساله لأهل الكتاب الذين جاءتهم الرسل، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾(٧)، وبعد أن أورد الرازي هذه الشبهة وضح أن المراد بالآية أي: تنذر

(١) انظر: معالم التنزيل الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: د/ محمد عبدالله النمر وآخرين، (٤/ ٣٣٥)، والتفسير الكبير، محمد بن عمر الرازي، المجلد العاشر، الجزء التاسع عشر، ص (٦٣).

(٢) معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: د/ محمد عبدالله النمر وآخرين، (٤/ ٣٣٥).

(٣) سورة إبراهيم، الآية: (٤).

(٤) سورة الإسراء، الآية: (٨٨).

(٥) انظر: التفسير الكبير، محمد بن عمر الرازي، المجلد العاشر، الجزء التاسع عشر، ص (٦٣).

(٦) سورة القصص، الآية: (٤٦).

(٧) سورة يس، الآية: (٦).

قوماً ما أنذروا بعدما ضلوا عن رسالة الرسول المتقدم، فيدخل في ذلك اليهود والنصارى، لأن ذلك دليل على أن النبيّ ﷺ مبعوث إلى الخلق كافة(١).

أما قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾(٢)، فبعد أن بين ابن الجوزي أن المراد بالأميين العرب نقل عن بعض العلماء في معنى الآية التي بعدها، وهي قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾(٣) أن المراد بهم العجم، وقوله ـ منهم ـ أنهم إذا أسلموا صاروا منهم، إذ المسلمون ملة واحدة. وقيل: جميع من دخل في الإسلام إلى يوم القيامة(٤).

فدلت الآية بذلك على عموم الرسالة وليس خصوصيتها للعرب دون غيرهم.

وبعد أن أورد الرازي احتجاج أهل الكتاب بهذه الآية على خصوصية رسالة محمد ﷺ للعرب رد على ذلك بقوله: إنه لا يلزم من تخصيص الشيء بالذكر نفي ما عداه، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾(٥) أنه لا يفهم منه أنه يخطه بشماله(٦)، وللآيات الدالة على عموم الرسالة كقوله تعالى: ﴿كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾(٧)، ثم إن قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾(٨) أن المراد به كل من دخل الإسلام بعد النبيّ ﷺ إلى يوم القيامة، فيكون المراد بالأميين العرب

---

(١) انظر: التفسير الكبير، محمد بن عمر الرازي، المجلد الثالث عشر، الجزء السادس والعشرين، ص (٣٨).

(٢) سورة الجمعة، الآية: (٢).

(٣) سورة الجمعة، الآية: (٣).

(٤) انظر: زاد المسير، عبد الرحمن بن علي الجوزي، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن عبدالله وزميله، (٨/ ١٩ ـ ٢٠).

(٥) سورة العنكبوت، الآية: (٤٨).

(٦) التفسير الكبير، محمد بن عمر الرازي، المجلد الخامس عشر، الجزء الثلاثون، ص (٥).

(٧) سورة سبأ، الآية: (٢٨).

(٨) سورة الجمعة، الآية: (٣).

وبالآخرين سواهم من الأمم[1].

ولا يدل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾[2] على خصوصية الرسالة بهم دون سواهم، حيث وضح القرافي أن تخصيصهم؛ لكونهم أولى الناس بالدعوة لقرابتهم منه ﷺ[3].

وذكر الرازي أن تخصيصهم بالإنذار في هذه الآية بالإضافة إلى قرابتهم منه ﷺ جاء أيضاً لعظم شركهم كتكذيبهم بالحشر الذي تجاوز كفر أهل الكتاب المكذبين بنبوته ﷺ[4].

وختم القرافي رده على استدلال هذا النصراني بهذه الآيات وما شابهها على خصوصية رسالة المصطفى ﷺ بالعرب بقوله: «فهذه الألفاظ ألفاظ لغتنا ونحن أعلم بها، وإذا كان ﷺ هو المتكلم بها ولم يفهم تخصيص الرسالة ولا إرادته، بل أنذر الروم والفرس وسائر الأمم، والعرب لم تفهم ذلك، وأعداؤه من أهل زمانه لم يدعوا ذلك ولا فهموه، ولو فهموه لأقاموا به الحجة عليه، ونحن أيضاً لم نفهم ذلك فما فهمه إلا هذا النصراني الذي ساء سمعاً فساء إجابة»[5].

وخاطب القرطبي النصارى مبيناً أنه لا يسعهم أن يستدلوا ببعض ما جاء به محمد ﷺ ويتركوا البعض الآخر، فيجب عليهم أن يقبلوا ما جاء به إذا قبلوا بعضه، وذلك باستدلالهم بهذه الآيات وما شابهها على خصوصية الرسالة، وهو القائل ﷺ أنه مرسل إلى الناس كافة وقد ظهر صدقه في قوله[6].

---

(١) انظر: التفسير الكبير، محمد بن عمر الرازي، المجلد الخامس عشر، الجزء الثلاثين، ص (٥).

(٢) سورة الشعراء، الآية: (٢١٤).

(٣) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١٢).

(٤) انظر: التفسير الكبير، محمد بن عمر الرازي، المجلد الثالث عشر، الجزء الخامس والعشرين، ص (١٤٦).

(٥) الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١٢).

(٦) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: د/أحمد حجازي السقا، ص (٤٤٧).

وعدّ ابن الجوزي هذه الدعوى من النصارى أنها من تلبيس إبليس عليهم، وإلا فمتى أثبتوا لمحمدﷺ أصل الرسالة والنبوّة، فإن النبيّ لا يكذب، وقد بين ﷺ أنه بعث إلى الناس كافة، وكتب إلى قيصر وكسرى وسائر ملوك الأعاجم[1].

وهكذا من خلال ما سبق لم يُبق العلماء المسلمون للنصارى ما يتعلقون به في دعواهم خصوصية رسالة النبيّ ﷺ بالعرب، فلم يبق لهم بعد ذلك إلا قبول الحق، واتباع المصطفى ﷺ وترك العناد والمكابرة وانتحال الحجج.

---

(١) انظر: تلبيس إبليس، عبد الرحمن بن علي الجوزي، دار الفكر، ص (٧٣).

المطلب الثاني

دعوى أن القرآن ورد بتعظيم النصارى والثناء عليهم

ففي رسالة لأحد الكتاب النصارى كتبها على لسانهم موجهة إلى المسلمين في عصر الحروب الصليبية كان من ضمن ما أورده من الشبه فيها أن القرآن ورد بتعظيم النصارى والثناء عليهم متمثلاً ذلك فيما يلي:

أ - تقديم بيع النصارى وصوامعهم على مساجد المسلمين في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾[(1)(2)].

ب - تعظيم القرآن الكريم للإنجيل كما في قوله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾[(3)]. والكتاب هنا هو الإنجيل. وقوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾[(4)]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ

---

(١) سورة الحج، الآية: (٤٠).

(٢) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١٧).

(٣) سورة آل عمران، الآية: (١٨٤).

(٤) سورة المائدة، الآية: (٤٦).

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾[1][2].

جـ ـ مدح القرآن للنصارى كما في قوله تعالى: ﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾[3]، وقوله ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ﴾[5][6].

وقد فند القرافي هذه الشبه مبيناً أن المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ أن الله تعالى يدفع المكاره عن الأشرار في كل زمان بوجود الأخيار، فزمن موسى عليه السلام يسلم أهل الأرض من بلاء يعمهم بسبب من فيهم من أهل الاستقامة وإلا لعمهم الهلاك وهدمت صوامع يعبد الله فيها على الدين الصحيح حسب الشريعة الموسوية، وكذلك زمان عيسى وزمان محمد ﷺ[7].

وقال البغوي في معنى الآية: «أي ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدم في شريعة كل نبيّ مكان صلاتهم، لهدم في زمن موسى الكنائس، وفي زمن

---

(١) سورة المائدة، الآية: (٤٨).

(٢) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١٩ ـ ٢٠).

(٣) سورة المائدة، الآية: (٨٢).

(٤) سورة العنكبوت، الآية: (٤٦).

(٥) سورة العنكبوت، الآية: (٤٦).

(٦) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (٢٨).

(٧) انظر: المصدر السابق، ص (١٨).

عيسى البيع والصوامع، وفي زمن محمدﷺ المساجد»[1].

أما وجه تقديم الصوامع والبيع على المساجد فوضح القرافي أن ذلك ليس لأفضليتها بل على العكس، فتأخيرها لأفضليتها ومكانها نظير قول القائل: «فلان يغالب المائة والألف»، وقولهم: «لا أبخل عليك بالدرهم والدينار» فالترتيب من الأدنى إلى الأعلى، وتأخير المساجد لشرفها، وأن هدمها أعظم من هدم غيرها[2].

ووضح الرازي سبب تقديم الصوامع والبيع في الذكر على المساجد بقوله: «... لأنها أقدم في الوجود، وقيل: أخرها في الذكر كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[3].

وزاد القرافي أن هذه الآية خصت المساجد بمزيد فضل، إذ بينت أنه يذكر اسم الله فيها كثيراً، حيث إن الضمير في اللغة العربية يعود إلى أقرب مذكور، وأقرب مذكور في الآية إلى هذا الوصف هو المساجد[4].

ووضح القرطبي أن من أسباب تقديم مساجد أهل الذمة ومصلياتهم على مساجد المسلمين أنها أقدم بناء من المساجد[5].

أما ما يتعلق بتعظيم القرآن للإنجيل كما في قوله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾[6]، فقد بين

---

(١) معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبدالله النمر وآخرين، (٥/ ٣٨٩).

(٢) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١٨ ـ ١٩).

(٣) التفسير الكبير، محمد بن عمر الرازي، المجلد الثاني عشر، الجزء الثالث والعشرون، ص (٣٦ ـ ٣٧).

(٤) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١٨ ـ ١٩).

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، المجلد السادس، الجزء الثاني عشر، ص (٤٩).

(٦) سورة آل عمران، الآية: (١٨٤).

القرافي أن «أل» لاستغراق الجنس إشارة إلى جميع الكتب المنزلة المتقدمة[(١)]، أي: الكتب النيرة بالبراهين والحجج[(٢)]، والمقصود بها الكتب المنزلة لا المبدلة التي بأيدي النصارى، إذ هي في غاية الوهن والضعف وسقم الحفظ والرواية وانقطاع السند بحيث لا يوثق بشيء منها[(٣)].

ووضح الرازي أن في هذه الآية زيادة فضل للقرآن على الكتب المتقدمة، وذلك أن المراد بالبينات المعجزات، وعطف الزبر والكتاب عليها يقتضي المغايرة، أي أن معجزات الأنبياء السابقين كانت مغايرة لكتبهم، وذلك يدل على أن أحداً من الأنبياء ما كانت كتبهم معجزة لهم كالتوراة والإنجيل والزبور والصحف بعكس القرآن فهو وحده معجزة، وهذا من خصائص رسول الله ﷺ[(٤)].

أما قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾[(٥)]، فقد بين الرازي معنى هذه الآية بما هو حجة على النصارى، وذلك أن الهدى الذي في الإنجيل هو اشتماله على الدلائل على توحيد الله وتنزيهه عن الصاحبة والولد والند والمثل، أما كونه مصدقاً لما بين يديه أي مبشراً بمبعث محمد ﷺ ومقدمه، كذلك كونه هدى مرة أخرى؛ لاشتماله على البشارة بمحمد ﷺ فيكون بذلك الإنجيل سبباً لاهتداء الناس إلى نبوّة محمد ﷺ، ولا شك أن أشد وجوه المنازعة بين المسلمين وبين اليهود والنصارى هي إنكار نبوّة محمد ﷺ، ولذلك نبه سبحانه وتعالى في هذه الآية أن الإنجيل يدل دلالة ظاهرة على نبوّته ﷺ، فكان الإنجيل هدى في

---

(١) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (٢١).

(٢) زاد المسير، عبد الرحمن بن علي الجوزي، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن عبدالله وزميله، (٢/ ٦٦).

(٣) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (٢١).

(٤) انظر: التفسير الكبير، محمد بن عمر الرازي، المجلد الخامس، الجزء التاسع، ص (١٠١).

(٥) سورة المائدة، الآية: (٤٦).

هذه المسألة التي هي أشد المسائل احتياجاً إلى البيان والتقرير[1].

ولذلك قال سبحانه بعد هذه الآية: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾[2] أي ليقر أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه على الوجه الذي أنزله الله فيه من غير تحريف ولا تبديل، ومن ذلك الإيمان بما أنزله الله فيه من الدلائل على نبوّة محمد ﷺ[3].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[4] وضح القرافي أن المراد تصديق الكتب المنزلة لا المبدلة وهذا لا يمتري فيه عاقل[5].

وقال البغوي في معنى هذه الآية: «أي الكتب المنزلة من قبل ـ ومهيمناً عليه ـ قيل: مؤيمن من أمين، ومعنى أمانة القرآن ما قاله ابن جريج[6]: القرآن أمين على ما قبله من الكتب فما أخبر أهل الكتاب عن كتابهم فإن كان في القرآن فصدقوا وإلا فكذبوا»[7].

وقال الرازي: «إنما كان القرآن مهيمناً على الكتب لأنه الكتاب الذي لا

---

(١) انظر: التفسير الكبير، محمد بن عمر الرازي، المجلد السادس، الجزء الثاني عشر، ص (١٠).

(٢) سورة المائدة، الآية: (٤٧).

(٣) انظر: التفسير الكبير، محمد بن عمر الرازي، المجلد السادس، الجزء الثاني عشر، ص (١٠).

(٤) سورة المائدة، الآية: (٤٨).

(٥) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (٢١).

(٦) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي، ثقة فقيه فاضل، صاحب التصانيف، وأول من دون العلم بمكة، مولده في مكة سنة ٨٠ هـ، ووفاته فيها سنة ١٥٠ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: (٦/ ٣٢٥) وما بعدها، وتقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عوامة، ص (٣٤٠).

(٧) معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: د/ محمد عبدالله النمر وآخرين (٣/ ٦٥).

يصير منسوخاً ألبتة ولا يتطرق إليه التبديل والتحريف»[١].

أما ما يتعلق بمدح القرآن للنصارى ففي قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾[٢]. قال القرطبي: «هذه الآية نزلت في النجاشي وأصحابه لما قدم عليه المسلمون في الهجرة الأولى»[٣]. وذكر الرازي عن جماعة من المفسرين أن المقصود بهذه الآية ليس جميع النصارى لظهور عداوتهم للمسلمين، وإنما هم أصحاب النجاشي الذين قدموا من الحبشة على رسول الله ﷺ وآمنوا به[٤]. وقال البغوي: «لم يرد به جميع النصارى لأنهم في عداوتهم المسلمين كاليهود في قتلهم المسلمين وأسرهم وتخريبهم بلادهم وهدم مساجدهم وإحراق مصاحفهم، لا ولاء ولا كرامة لهم، بل الآية فيمن أسلم منهم مثل النجاشي وأصحابه»[٥].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[٦]، بين القرافي أن في ذلك دليلاً على أنهم على الباطل، ولو كانوا على الحق ما احتاج المسلمون إلى جدالهم[٧].

ورجح القرطبي قول مجاهد في معنى هذه الآية وأنه إباحة لمجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن على معنى الدعاء لهم إلى الله عزّ وجلّ، والتنبيه على حججه وآياته رجاء إجابتهم إلى الإيمان به، وقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾

---

(١) التفسير الكبير، محمد بن عمر الرازي، المجلد السادس، الجزء الثاني عشر، ص (١١).

(٢) سورة المائدة، الآية: (٨٢).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، المجلد الثالث، الجزء السادس، ص (١٦٥).

(٤) انظر: التفسير الكبير، محمد بن عمر الرازي، المجلد السادس، الجزء الثاني عشر، ص (١١).

(٥) معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبدالله النمر وآخرين، (٣/ ٨٥).

(٦) سورة العنكبوت، الآية: (٤٦).

(٧) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (٢٩).

أي: ظلموكم وإلا فكلهم ظلمة بكفرهم[1].

وبين الرازي أن الجدال بالتي هي أحسن للذين جاؤوا بكل حسن منهم لكنهم لم يعترفوا بنبوّة محمد ﷺ، فوحدوا وآمنوا بإنزال الكتب وإرسال الرسل والحشر، بخلاف المشرك منهم الذي جعل الله ولداً أو جعله ثالث ثلاثة[2]، وهذا هو غالب حال النصارى.

وفي قوله تعالى: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦﴾[3] وضح كل من البغوي[4] وابن عطية[5]: معنى هذه الآية بما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: «كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام»، قال رسول الله ﷺ: **«لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وإليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون»**[6].

وهكذا فند العلماء المسلمون في عصر الحروب الصليبية شبه النصارى حول هذه الآيات وأمثالها والتي تعلقوا بها زعماً منهم أن فيها ثناء عليهم وإقراراً لباطلهم، موضحين المعنى الصحيح لها إزالة للشبهة وإقامة للحجة.

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، المجلد السابع، الجزء الثالث عشر، ص (٢٣٢).

(٢) انظر: التفسير الكبير، محمد بن عمر الرازي، المجلد الثالث عشر، الجزء الخامس والعشرين، ص (٦٧).

(٣) سورة العنكبوت، الآية: (٤٦).

(٤) انظر: معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبدالله النمر وآخرين.

(٥) انظر: المحرر الوجيز، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (١٢/ ٢٢٩).

(٦) أخرجه البخاري، الصحيح، كتاب التفسير، باب «**قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا**»، حديث رقم (٤٤٨٥)، ص (٨٤٨).

المطلب الثالث

شبهة تعدد الزوجات في الإسلام

تعدد الزوجات تشريع إلهي أباحه الله سبحانه وتعالى لحكم تجل عن الحصر تعود على الفرد والمجتمع بكل ما فيه خير لهما، قال تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً﴾(١)، فمن حكم التعدد ما يرجع إلى طبيعة كل من الرجل والمرأة، حيث إنه من طبيعة الرجل أنه يحتفظ بقوته ونشاطه إلى مراحل متأخرة من عمره إذا سلم من العوارض والأمراض، والمرأة بالإضافة إلى ما يعتريها من حمل وولادة وحيض فإن رغبتها في النكاح تكاد تنقطع بين سن الخامسة والأربعين والخمسين، وحينئذٍ فالرجل يحتاج إلى من يبادله الرغبة بعد انعدامها في زوجته الأولى.

ومن حكم التعدد ما يعود بالخير على المجتمع ويكون علاجاً لكثير من مشكلاته والتي منها زيادة أعداد النساء بشكل عام على أعداد الرجال، وذلك كناحية طبيعية في كثير من المجتمعات، أو بسبب بعض الكوارث التي ضحاياها في الغالب من الرجال كالحروب وبعض الأعمال الخطرة والشاقة.

والتعدد فيه مصلحة لفئة ليست قليلة من نساء المجتمع من ذوات بعض الظروف الخاصة كأن تكون المرأة مريضة، أو عاقراً، أو أرملة، أو مطلقة، أو تجاوزها قطار الزواج لأي سبب من الأسباب، فلا علاج لأوضاع هذه الفئة من

---

(١) سورة النساء، الآية: (٣).

النساء إلا بالتعدد، إلى غير ذلك من المصالح الأخرى المترتبة عليه.

وفي عصر الحروب الصليبية كان من ضمن كتاب لأحد القساوسة النصارى إلى أبي عبيدة الخزرجي الإشارة إلى أن المسلمين خالفوا فعل آدم عليه السلام أبي البشر الذي لم تكن له إلا زوجة واحدة، وخالفوا التوراة، وذلك بإباحة التعدد[1].

وقد أشار القرطبي إلى تعريض أحد كبارهم بإباحة التعدد في الإسلام بقول هذا النصراني عن النبيّ ﷺ: «... ثم أمر بالإكثار من النساء، ورخص في طلاقهن، وأحل تزويج المطلقات الفاجرات...»[2].

وقد كان رد بعض العلماء المسلمين في عصر الحروب الصليبية على هذه الشبهة على النحو التالي:

أ ـ إن التعدد تشريع إلهي يجب التسليم له، حيث قال الخزرجي: «فإن الذي أمرنا الله به من النكاح، وسن لنا الطلاق ليس لعاقل انتقاده؛ لأن قبولنا لذلك إنما هو بعد ثبوت الأصل»[3].

وقال القرطبي في رده على أحد قساوسة الأندلس: «فذلك ـ أي التعدد ـ ما لا ينبغي أن ينكره أحد من العقلاء، فإنه من مجوزات العقول وقد ورد بذلك الشرع الصادق المنقول»[4].

ب ـ أن التعدد كان لدى بني إسرائيل ونصت عليه التوراة، بل إن فيها الجمع بين القريبات المحرم الجمع بينهن في الإسلام، قال القرطبي في رده على

---

(١) انظر: مقامع الصلبان، وواقع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، حققه: د/محمد شامة بعنوان: بين الإسلام والمسيحية، ص (٧٩).

(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٤٤٨).

(٣) مقامع الصلبان، ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، حققه: د/ محمد شامة بعنوان: بين الإسلام والمسيحية، ص (٢٦٢).

(٤) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: د/أحمد حجازي السقا، ص (٤٥٤).

القسيس النصراني: «... ألم يجيء في التوراة أن إبراهيم كانت له سارة وهاجر، وكذلك ورد فيها أن يعقوب جمع بين ليئة وراحيل، وقد ثبت أيضاً أن سليمان كانت له مائة امرأة أو تسعة وتسعون...»[١].

ثم ألزم القرطبي هذا النصراني بما لا مفر له منه، وذلك بقوله: فإن كذبتم شرعنا لأجل أنه اشتمل على جواز نكاح نساء كثيرة فلتكذبوا بنبوّة إبراهيم ويعقوب وسليمان، ولا فرق بين نبيّنا وبين هؤلاء الأنبياء في أن كل واحد منهم رسول يبلغ حكم الله[٢][٣].

وفي رد الخزرجي على هذه الشبهة ضرب أمثلة على وجود التعدد في بني إسرائيل، بل والجمع بين المحرم الجمع بينهن في الإسلام كقوله: «... وهذه يوكابد أم موسى كانت عمة والدة عمران وعمران من فضلاء المؤمنين»[٤]، وكذلك إسرائيل كان لديه عدة زوجات جمع فيها بين الأختين[٥].

جـ ـ أن التعدد ليس فيه مخالفة لفعل آدم أبي البشر، حيث وضح الخزرجي

---

(١) المصدر السابق، ص (٤٥٤).

(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: د/أحمد حجازي السقا، ص (٤٥٤ ـ ٤٥٥).

(٣) ومن العجيب أن الكنيسة في الوقت الحاضر تبيح التعدد حتى للقساوسة في إفريقيا، وتمنعه في أوروبا، يقول أحد الباحثين: «فهي ـ أي الكنيسة ـ تغض الطرف عن تعدد الزوجات بين المسيحيين في إفريقيا، حتى القسيس في الكنيسة الإفريقية تجوز له أن يتزوج أكثر من امرأة، بينما يحرم هذا على زميله في أوروبا، فأيهما المسيحية؟ أتحريم التعدد على المسيحيين في أوروبا، أم جوازه لشركائهم في العقيدة في إفريقيا؟ لا نجد عندهم جواباً سوى أنهم أحلوا تعدد الزوجات في إفريقيا ليكسبوا أتباعاً، وإلا خسروا المعركة أمام الإسلام».
انظر: تعليق د/ محمد شامة في تحقيقه لكتاب مقامع الصلبان ومراتع أهل الإيمان لأحمد ابن عبد الصمد الخزرجي، ص (٨٤).

(٤) مقامع الصلبان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، حققه محمد شامة تحت عنوان: بين الإسلام والمسيحية، ص (٢٦٢).

(٥) انظر: المصدر السابق، ص (٢٦٣).

أن اقتصار آدم عليه السلام على زوجة واحدة ضرورة لعدم وجود أخرى، ولذلك زوج ابنه بنته[1].

د ـ أن التعدد فيه من الحكم العظيمة ما يجل عن الحصر، حيث أشار القرطبي إلى جانب من هذه الحكم، والتي من أعظمها: تكثير النسل، وعمارة الدنيا بالذرية الصالحة[2].

هـ ـ أن التعدد في الإسلام مشروط بالعدل بين الزوجات، فبعد أن وضح ابن الجوزي بعض أحكام التعدد في تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾[3]، قال: «... فإن خفتم ألا تعدلوا بين هؤلاء الأربع فانكحوا واحدة...»[4].

وهكذا أبرز العلماء المسلمون في هذه الفترة أن تعدد الزوجات تشريع إلهي ليس في الإسلام فحسب بل ولدى الأنبياء السابقين، وأبطلوا كذلك ما تعلق به النصارى من شبه حول هذا الأمر القصد منها تشويه الدين الإسلامي والتنفير منه؛ ليظهر جلياً عناد النصارى في هذا الأمر وانحرافهم عن الفطرة البشرية والسنة الإلهية اتباعاً لأهوائهم وطاعة لكبرائهم.

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص (٢٦٣).

(٢) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: د/أحمد حجازي السقا، ص (٤٥٥).

(٣) سورة النساء، الآية: (٣).

(٤) زاد المسير، عبد الرحمن بن علي الجوزي، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن وزميله، (٢/ ٨٢).

المطلب الرابع

دعوى انتشار الإسلام بالسيف

من أقدم الشبه التي أثارها أعداء الإسلام وما زالوا يثيرونها انتشاره بالسيف، وقد غفلوا عن أهداف الجهاد السامية في الإسلام والتي منها:

أ ـ رد اعتداء المعتدين على المسلمين، لقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝١٩٠﴾[1].

ب ـ إزالة الحجب والحواجز والعراقيل التي تقف أمام الدعوة الإسلامية، كي لا تصل إلى الناس، كما قال سبحانه: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ﴾[2].

جـ ـ حراسة الدين وحمايته من أهل الباطل لقوله تعالى: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ﴾[3].

د ـ تأديب ناكثي العهد من المعاهدين لقوله تعالى: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ۝١٢﴾[4].

---

(١) سورة البقرة، الآية: (١٩٠).

(٢) سورة البقرة، الآية: (١٩٣).

(٣) سورة الحج، الآية: (٤٠).

(٤) سورة التوبة، الآية: (١٢).

هـ ـ إغاثة المظلومين والمستضعفين من المسلمين لقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾(١)(٢).

إذاً فالجهاد في الإسلام إعلاء لكلمة الله سبحانه وتعالى وإيصال لها إلى كل من يمكن أن تصل إليه، وليس من أجل صراع على مناطق نفوذ، أو نزاع على ثروات اقتصادية، أو لأهداف سياسية أو غير ذلك كما هو شأن الحروب في كثير من جهات العالم.

ثم إن الجهاد في الإسلام تظلله الرحمة، فليس هدفه التشفي من العدو، ولذلك كان له أخلاقياته المنبثقة من روح الإسلام، فكان من وصايا رسول الله ﷺ للجيوش الإسلامية قوله: «**... قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً**»(٣)، ولقد كان ﷺ ينهى عن قتل النساء والصبيان(٤).

هذه هي أبرز أهداف الجهاد في الإسلام، أهداف سامية ليست إلا في مصلحة الإنسانية عموماً، ولا تنكرها إلا العقول المتلبسة بالشبهات أو المريضة بالحقد.

وفي عصر الحروب الصليبية كان من ضمن ما أثاره النصارى ضد الإسلام دعوى انتشاره بالسيف، إذ قال أحد قساوستهم في رسالة له إلى أبي عبيدة الخزرجي: «. . . ودين الصليب فشا في الأرض دون سيف ولا قهر، ودينكم إنما ظهر بالسيف والقهر في الأرض»(٥).

---

(١) سورة النساء، الآية: (٧٥).

(٢) للتوسع في أهداف الجهاد انظر: أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية، د/علي نفيع العلياني، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ، ص (١٥٨ ـ ١٩١).

(٣) أخرجه مسلم، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، حديث رقم (١٧٣١)، ص (٧٢٠).

(٤) انظر: أحاديث في هذا الباب في صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب، ص (٧٢٣).

(٥) مقامع الصلبان ومراتع أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، حققه د/محمد

وبمثل ذلك تحدث أحد قساوسة النصارى ومؤرخيهم في فترة الحروب الصليبية عن انتشار الإسلام في بلاد الشام، وأن مرد ذلك إلى القوات الكبيرة التي دفع بها المسلمون مقابل ضعف الرومان وتفكك دولتهم(١).

وقد تصدى بعض العلماء المسلمين إلى الرد على النصارى في هذه الدعوى وكان ذلك على النحو التالي:

أ ـ بيان أن انتشار النصرانية ما كان إلا بسبب القتال، ولولا ذلك لما بقي منها أثر.

قال الخزرجي حول ذلك في رده على أحد قساوسة النصارى: «... فكأنك قد غفلت عما كتبه مؤرخوكم وغيرهم من أن ابتداء دينكم إنما كان بأسباب القتال مع اليهود، وكنتم تحرقونهم بالنيران، وتغرقونهم في البحار، وتعملون فيهم جميع أنواع الذل والهوان، ولولا ذلك لم تبق لكم اليهود أثراً»(٢).

وقال القرافي حول هذه الشبهة من قبل النصارى: «... فلو التزموا شريعتهم في المسألة لم تقم لهم قائمة، ولم يبق منهم باقية»(٣).

ب ـ أن النصارى في واقع أمرهم مخالفون لشريعتهم التي تحثهم عل الصلح، والمسالمة، وعدم القتال، والابتعاد عن المنازعة إلى أن تقوم الساعة.

حيث أورد الخزرجي نصوصاً من الإنجيل في ذلك، منها: «لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً»(٤). وقوله: «ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً، ومن سخرك ميلاً واحداً

شامة تحت عنوان: بين الإسلام والمسيحية، ص (١١٥).

(١) انظر: الحروب الصليبية، وليم الصوري، ترجمة د/حسن حبشي، (١/ ٦٤).

(٢) مقامع الصلبان ومراتع أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، حققه د/محمد شامة تحت عنوان: بين الإسلام والمسيحية، ص (٢٨٥).

(٣) الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (٨٩).

(٤) الكتاب المقدس، إنجيل متى، الإصحاح (٥/ ٣٩).

فاذهب معه اثنين. . . أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم»[(١)(٢)].

ثم عقب الخزرجي على ذلك بقوله: «. . . ومع ذلك فإنا نراكم ـ أي النصارى ـ أشد الناس تكالباً وحرصاً على القتل والقتال وبسط الأيدي بالاعتساف في أقطار الأرض، تقتلون النفوس، وتسلبون الأموال. . . مع تحريم إنجيلكم ذلك عليكم، وإيجابه الاستسلام لأعدائكم، ومن استحل حرمات الله تعالى فهو أشد الناس كفراً بالله وكتبه وأحكامه»[(٣)].

وقال القرطبي في مناقشة لهذه الدعوى: «وأعجب من ذلك ـ أي دعواهم انتشار الإسلام بالسيف ـ تلبسهم بالقتال، والإكثار منه أبد الدهر إلى اليوم، وهم مع ذلك يدّعون أن القتال غير مشروع لهم ويذمون الشريعة التي جاءت به، فهم قد ناقضت أفعالهم أقوالهم، وشهدت على كذبهم أحوالهم. . .»[(٤)].

جـ ـ إن كان القتال في الإسلام عيباً فهو كذلك في الأمم السابقة.

إذ قال الخزرجي في مناقشة للقسيس النصراني حول هذه الدعوى: «فإن كنت قلت ذلك لتعيب به الإسلام، فإنك عبت موسى بن عمران ويوشع بن نون ومن قبلهما ومن بعدهما من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإنهم حاربوا الأمم الطاغية ببلادهم»[(٥)].

---

(١) هذا النص الذي أورده الخزرجي في مقامع الصلبان، ص ٢٨٦، وورد في الكتاب المقدس مع اختلاف يسير في اللفظ في إنجيل متى، الإصحاح (٥/ ٤٠ ـ ٤٤).

(٢) انظر: مقامع الصلبان ومراتع أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، حققه د/ محمد شامة تحت عنوان: بين الإسلام والمسيحية، ص (٢٨٦ ـ ٢٨٧).

(٣) المصدر السابق، ص (٢٨٦ ـ ٢٨٧).

(٤) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: د/ أحمد حجازي السقا، ص (٤٥٢).

(٥) انظر: مقامع الصلبان ومراتع أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، حققه د/ محمد شامة تحت عنوان: بين الإسلام والمسيحية، ص (٢٨٥).

د ـ إن القتال سنة أهل الحق مع أهل الضلال، والمسلمون على هذه السنة حيث وضح كل من الخزرجي والقرافي ذلك، ومن ثم فالقتال من مناقب المسلمين وحسناتهم، لا من معائبهم وسيئاتهم[١].

وقال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ «أي لولا القتال والجهاد لتغلب على أهل الحق في كل زمان، فمن استبشع من النصارى والصابئين الجهاد فهو مناقض لمذهبه»[٢].

هـ ـ إن الجهاد في الإسلام من أسباب حماية الدعوة.

حيث وضح الخزرجي ذلك بأن النبيّ ﷺ ظل في قومه زمناً يدعوهم إلى عبادة الله وحده ونبذ الأصنام والأوثان فحاربه قومه وآذوه وضيقوا عليه وأصحابه، فكان الجهاد رافعاً لهذا الأذى ومكسباً قوة وهيبة للمسلمين، وممكناً لدعوة الحق. وبسبب عدم وجود ذلك في النصرانية فإن الدين الصحيح الذي جاء به المسيح عليه السلام ظل أهله مستضعفين بعده فترة فتلاشى وحرف وبدل، وما عليه النصارى اليوم إنما أفشاه قسطنطين ابن هلانة بالقهر والغلبة[٣]، فكان عدم تشريع الجهاد في بداية النصرانية من أسباب ضعفها ومن ثم تحريفها وتبديلها.

و ـ إن القتال في الإسلام لا يكون إلا بعد قيام الحجة.

حيث وضح ابن المتطبب أن جهاد النبيّ ﷺ كان بعد صبر دام أكثر من ثلاث عشرة سنة من الدعوة باللين وإقامة الحجة، ثم كان الأمر بالقتال بعد ظهور

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص ٢٨٦، والأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (٩٠).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، المجلد السادس، الجزء الثاني عشر، ص (٤٧).

(٣) انظر: مقامع الصلبان ومراتع أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، حققه د/ محمد شامة تحت عنوان: بين الإسلام والمسيحية، ص (٢٨٨ ـ ٢٩٠).

المعجزة، وقيام الحجة، ووضوح الدلالة، وما كان إشهار السيف أبداً إلا بعد الإنذار والإعذار[1].

وبين النووي[2] وجوب إنذار من لم تبلغه الدعوة قبل القتال[3]. ثم إن دعوتهم تكون إلى إحدى ثلاث خصال: الإسلام، فإن أبوا فالجزية، فإن أبوا فالقتال[4].

وقال ابن قدامة: «... فإن كان المدعو من أهل الكتاب، أو مجوساً، دعاهم إلى الإسلام، فإن أبوا دعاهم إلى إعطاء الجزية، فإن أبوا قاتلهم وإن كانوا من غيرهم دعاهم إلى الإسلام، فإن أبوا قاتلهم»[5].

وهكذا أزال هؤلاء العلماء هذه الدعوى الباطلة من قبل النصارى بإيضاح منهج الإسلام في القتال، وأنه مزية من مزايا هذا الدين، ومن أسباب قوته وظهوره، وأنه العلاج الناجع حين لا يبقى إلا هو مع أعداء الدعوة المتربصين الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم.

---

(١) انظر: النصيحة الإيمانية، نصر بن يحيى المتطبب، تحقيق: د/ محمد الشرقاوي، ص (١٤٢).

(٢) هو يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي النووي، مولده في نوا من قرى حوران بسوريا سنة ٦٣١ هـ، ووفاته بها سنة ٦٧٦ هـ، عالم بالفقه والحديث، له فيهما المصنفات الكثيرة، من كتبه: تهذيب الأسماء واللغات، والمنهاج في شرح صحيح مسلم، والتقريب والتيسير في المصطلح، وحلية الأبرار ورياض الصالحين وغير ذلك.
انظر: طبقات الشافعية الكبرى، لابن السبكي، تحقيق: عبد الفتاح الحلو وزميله، (٨/ ٣٩٥ ـ ٤٠٠)، والبداية والنهاية، لابن كثير، تحقيق: أحمد أبو ملحم وآخرين، (١٣/ ٢٩٤).

(٣) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، يحيى بن شرف النووي، المطبعة المصرية الأزهرية، الطبعة الأولى، ١٣٤٧ هـ، (١٢/ ٣٧).

(٤) انظر: المصدر السابق، (١٢/ ٣٨).

(٥) المغني، عبدالله بن أحمد بن قدامة، تحقيق د/ عبدالله التركي وزميله، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢م، (١٣/ ٣١).

المطلب الخامس

دعوى عدم جزم المسلمين بصحة القرآن لاختلاف الصحابة في جمعه، وتعدد قراءاته

مما أثاره النصارى حول كتاب الله في هذه الفترة ادعاؤهم عدم جزم المسلمين بصحته لمخالفة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عثمان بن عفان رضي الله عنه في جمعه[1]، وأن تعد القراءات على سبعة قراء أشد من اختلاف الأناجيل عن أربعة رجال[2].

وقد رد القرافي على هذه الدعوى مبيناً أن خلاف عبدالله بن مسعود رضي الله عنه للصحابة ليس في إثبات شيء ليس من القرآن أو حذف شيء فيه، إذ القرآن معلوم لجميع الصحابة بالتواتر، وإنما الخلاف في أن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه كان يقرأ القرآن ويضم إليه تفسيره كقوله تعالى: ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ﴾[3]، كان يقرؤها فصيام ثلاثة أيام متتابعات، فنازعه الصحابة لذلك حرصاً منهم ألا يضاف إلى القرآن مما ليس منه، وكان الصواب معهم، وهذا من حفظ الله عزّ وجلّ لكتابه كما وعد بذلك ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[4][5].

---

(١) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (٩٤ ـ ٩٥).

(٢) انظر: المصدر السابق، ص (٩٧).

(٣) سورة البقرة، الآية: (١٩٦).

(٤) سورة الحجر، الآية: (٩).

(٥) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (٩٨).

قال ابن عطية عن خلاف ابن مسعود رضي الله عنه للصحابة في جمع القرآن، وترك الصحابة لمصحفه رضي الله عنه: «... لأنه روي أنه كتب فيه أشياء على جهة التفسير فظنها قوم من التلاوة فتخلط الأمر فيه...»[١].

وقال الرازي: «إن جمعهم ـ أي الصحابة ـ للقرآن كان من أسباب حفظ الله تعالى إياه، فإنه تعالى لما أن حفظه قيضهم لذلك»[٢].

وقال القرطبي في جمع القرآن: «وكان هذا من عثمان رضي الله عنه بعد أن جمع المهاجرين والأنصار وجلة أهل الإسلام وشاورهم في ذلك فاتفقوا على جمعه بما صح وثبت في القراءات المشهورة عن النبيّ ﷺ واطراح ما سواها، واستصوبوا رأيه وكان رأياً سديداً موفقاً»[٣].

وفيما يتعلق بتعدد القراءات فقد وضح بأنها جميعاً متلقاة عن النبيّ ﷺ بالتواتر، ثم إن هذا التعدد من رحمة الله بعباده، إذ قبائل العرب حين نزول القرآن كانت مختلفة اللهجات بين التفخيم والمد والقصر والإخفاء والإمالة وإعمال العوامل الناصبة والرافعة والجارة، ولو كلفوا كلهم بلهجة واحدة لشق عليهم[٤].

وقال القرطبي: «هذه القراءات المشهورة هي اختيارات أولئك الأئمة القراء، وذلك أن كل واحد منهم اختار فيما روى وعلم من وجهه من القراءات ما هو الأحسن عنده والأولى... ولم يمنع واحد منهم اختيار الآخر ولا أنكره بل سوغه وجوزه، وكل واحد من هؤلاء السبعة روي عنه اختياران أو أكثر وكل صحيح.

وقد أجمع المسلمون في هذه الأعصار على اعتماد ما صح عن هؤلاء

---

(١) المحرر الوجيز، عبد الحق بن غالب بن عطية، (١/ ٣١ ـ ٣٢).

(٢) التفسير الكبير، محمد بن عمر الرازي، المجلد العاشر، الجزء التاسع عشر، ص (١٢٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، المجلد الأول، الجزء الأول، ص (٣٩).

(٤) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (٩٨).

الأئمة... فاستمر الإجماع على الصواب، وحصل ما وعد الله من حفظ الكتاب، وعلى هذا الأئمة المتقدمون والفضلاء المحققون...»[١].

أما فيما يتعلق بتشبيه النصارى اختلاف القرآن باختلاف الأناجيل فقد رد القرافي على ذلك مبيناً الفرق الواضح بين الأمرين، إذ الأناجيل لم تنقل إلينا بالتواتر كالقرآن الكريم، بل نكاد نجزم بأن أكثرها ليس منزلاً وما هو إلا تواريخ وكلام كهنة وملوك كفرة حشرها النصارى في الإنجيل وزعموا أنها من الكتاب المنزل، ولذلك لم يجز المسلمون أن يجعلوا شيئاً من الأحاديث مع صحتها مختلطة بالقرآن، ولا قول أحد من الصحابة[٢].

ثم خاطب القرافي النصارى بقوله: «... فلا تشبهوا أنفسكم بنا، فوالله ما اجتمعنا في شيء من هذا، بل أنتم في غاية الإهمال، ونحن في غاية الاحتفال»[٣].

وقد أسهب العلماء المسلمون في هذه الفترة في إبراز وجوه إعجاز القرآن وبيان خصائصه التي تفرد بها عن سائر الكتب[٤] مع إيضاح تناقض الأناجيل وبيان عدم صحتها[٥].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، المجلد الأول، الجزء الأول، ص (٣٥).

(٢) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (٩٨ ـ ٩٩).

(٣) انظر: المصدر السابق، ص (٩٩).

(٤) انظر: نماذج من جهود المسلمين في ذلك في المبحث الأول من هذا الفصل، المطلب الثالث.

(٥) انظر: أمثلة على جهود المسلمين في ذلك في المبحث الثاني من هذا الفصل، المطلب الأول.

المطلب السادس

دعوى أن القرآن يشتمل على ما ليس بصحيح

من شبه النصارى التي أثاروها في هذه الفترة دعواهم أن القرآن يشتمل على ما ليس بصحيح، حيث أورد أحد قساوستهم أمثلة على ذلك وجهها إلى أبي عبيدة الخزرجي كجعل أم المسيح ابنة عمران وأخت هارون[1]، وأشار القرافي أيضاً إلى إثارة هذه الدعوى من قبل النصارى واستدلالهم عليها بهذا المثال[2].

وقد تصدى الخزرجي للرد على هذه الشبهة مبيناً فهم النصارى الخاطىء لهذه الآية، ومتسائلاً من أين نسبوا إلى المسلمين اعتقاد أن أم المسيح عليه السلام أخت لهارون وموسى؟ حيث وضح أن أم المسيح هي مريم ابنة عمران بن فتان بن أليود، ومريم الأخرى التي هي أخت موسى وهارون إنما هي ابنة عمران ابن يصهر بن قاهت، وهارون في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾[3] إنما عنوا به رجلاً آخر اسمه هارون اشتهر عندهم بكثرة البغايا، وذلك على وجه السب لها[4].

وأضاف القرافي في رده على هذه الشبهة بأنه قد يكون المراد بقوله تعالى:

---

(١) انظر: مقامع الصلبان ومراتع أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، حققه د/ محمد شامة تحت عنوان: بين الإسلام والمسيحية، ص (٨٧).

(٢) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (٦١ ـ ٦٢).

(٣) سورة مريم، الآية: (٢٨).

(٤) انظر: مقامع الصلبان ومراتع أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، حققه د/ محمد شامة تحت عنوان: بين الإسلام والمسيحية، ص (٢٦٠ ـ ٢٦١).

﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ أي: في العبادة، وكان هذا الرجل صالحاً في زمن أم المسيح أو لأنها ـ أي أم المسيح ـ من ذرية موسى وهو أخ لهارون فقيل لها: يا أخت هارون، كما جاء في التوراة قوله: إني سأقيم لبني إسرائيل نبيّاً من إخوتهم.

وإخوة بني إسرائيل بجملتهم هم بنو إسماعيل، فجعل بني أخي أبيهم إخوتهم، فكذلك سميت مريم أخت هارون لأنها من ذرية موسى، وموسى أخ لهارون[1].

وبين ابن عطية أن لها أخاً على الحقيقة اسمه هارون؛ لأن هذا الاسم كان كثيراً في بني إسرائيل تبركاً باسم هارون أخي موسى[2].

وبعد أن عدد الرازي الأوجه التي ذكرها العلماء في ذلك رجح أن لها أخاً على الحقيقة من صلحاء بني إسرائيل يسمى هارون، فذكرت به لا سيما أن أباها وصف بالصلاح فحينئذٍ يكون التوبيخ أشد في وقوعها بهذه الفاحشة ووالدها وأخوها قوم صالحون[3].

---

(١) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (٦٣).

(٢) انظر: المحرر الوجيز، عبد الحق بن غالب بن عطية، (١١/ ٢٦).

(٣) انظر: التفسير الكبير، محمد بن عمر الرازي، المجلد الحادي عشر، الجزء الحادي والعشرين، ص (١٧٧).

المطلب السابع

انتقادهم الطلاق في الإسلام

في كتاب لأحد القساوسة النصارى في الأندلس بعث به إلى المسلمين من مدينة طليطلة إلى قرطبة ينال فيه من الإسلام بما أورده من شبهات فيه، كان من ضمنها انتقاده للطلاق في الإسلام، وكيف أنه إذا بانت المرأة من زوجها لا يحل له أن يراجعها إلا بعد أن تنكح زوجاً غيره، وأن ذلك من الأمر بالزنا وهو مخالف لقول المسيح: «لا ينبغي للرجل طلاق زوجته إلا أن تزني، وإن زنت فلا يحل له مراجعتها، ومن طلق امرأته فقد جعل لها سبيلاً إلى الزنى ـ أعني من طلقها من دون سبب ـ ومن زوج مطلق فهو فاسق بها»[(١)][(٢)].

وقد رد القرطبي على هذا القسيس مبيناً أن عدم قبوله للطلاق إما يكون من جهة العقل أو من جهة الشرع، فإن كان من جهة العقل فإن العقل لا يحيل وقوع الطلاق، وإذا كان الأمر كذلك فكيف ينبغي لمن ينتسب إلى العقل أن ينكر نبوّة من قامت الأدلة القاطعة على صدقه من حيث إنه حكم بشيء يصح في العقل أن يوجد، وإن كان عدم قبوله من حيث إنه ممنوع من جهة الشرع، فإما أن يكون من جهة الشرائع كلها أو من بعضها، والأول باطل ففي التوراة التصريح بالطلاق،

(١) هذا النص الذي أورده القرطبي في الإعلام ص (٢١٦)، وقد ورد في الكتاب المقدس مع اختلاف في اللفظ في إنجيل متى، الإصحاح (١٩/٩ ـ ١٠).

(٢) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: د/أحمد حجازي السقا، ص (٢١٦).

والثاني جائز لجواز اختلاف الشرائع في بعض الأحكام لما يعلمه الله من اختلاف الأحوال والمصالح[1].

ثم وضح القرطبي بعض المصالح التي لا تكون إلا بالطلاق والتي لا سبيل لعلاجها في الحياة الزوجية إلا به[2].

وقال ابن قدامة بعد أن ساق الأدلة من الكتاب والسنة على مشروعية الطلاق: «وأجمع الناس على جواز الطلاق، والعبرة دالة على جوازه، فإنه ربما فسدت الحال بين الزوجين فيصير بقاء النكاح مفسدة محضة، وضرراً مجرداً بإلزام الزوج النفقة والسكنى، وحبس المرأة مع سوء العشرة والخصومة الدائمة من غير فائدة، فاقتضى ذلك شرع ما يزيل النكاح، لتزول المفسدة الحاصلة منه[3].

وكونه بيد الرجل ولم يعط المرأة الحق في ذلك لما علمه الشارع من ضعف المرأة وتقديمها العاطفة على العقل في كثير من الأحيان وما يحصل من جراء ذلك من الضرر الذي لا ينسى ولا يتدارك[4].

ووضح ابن قدامة أن للمرأة الحق في مفارقة زوجها إن خشيت ألا تؤدي حق الله في طاعته، فتخالعه بعوض تفتدي به نفسها منه وقد ورد في الحديث أنه جاءت امرأة ثابت بن قيس إلى النبيّ ﷺ فقالت: يا رسول الله ما أنقم على ثابت في دين ولا خلق، إلا أني أخاف الكفر، فقال رسول الله ﷺ: «**أتردين عليه حديقته؟**» قالت: نعم فردتها عليه وأمره أن يفارقها[5][6].

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص (٢٢٢).

(٢) انظر: المصدر السابق، ص (٢٢٢).

(٣) المغني، عبدالله بن أحمد بن قدامة، تحقيق: د/ عبدالله بن عبد المحسن التركي وزميله، (١٠/ ٣٢٣).

(٤) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: د/أحمد حجازي السقا، ص (٢٢٢ ـ ٢٢٣).

(٥) أخرجه البخاري، الصحيح، كتاب الطلاق، باب الخلع وكيف الطلاق، حديث رقم (٥٢٧٦)، ص (١٠٤٤).

(٦) انظر: المغني، عبدالله بن أحمد بن قدامة، تحقيق: د/ عبدالله بن عبد المحسن التركي وزميله، (١٠/ ٢٦٧).

وبين القرطبي أنه مع تشريع الطلاق في الإسلام إلا أنه مكروه، فعلى المسلم أن يتحاشاه قدر استطاعته، وإذا كان لا بدّ منه فلا يكثر ويتمادى فيه[(١)].

أما كون المطلقة ثلاثاً لا تحل لزوجها الأول إلا بعد زوج فوضح القرطبي في رده على هذه الشبهة: أن ذلك من رحمة الله إذ جعله عقوبة للرجل الذي يتمادى في إيقاع الطلاق، فإذا علم الزوج أنه إذا أكثر من هذا المكروه الذي هو الطلاق عوقب بتفويت زوجته عليه ارتدع عن التمادي فيه[(٢)].

واشتد القرطبي في رده على القسيس النصراني في تشبيه نكاح المرأة من الزوج الثاني بالزنا بوصفه بالكذب والافتراء، والجهل وذلك بقوله: واعلم يا هذا المفتري الكذاب، والمشنع المرتاب، أن العقلاء لا يرضون بما فعلت، ولا يأتون بمثل ما أتيت به، وذلك أنك جهلت شرعنا وكذبت عليه، وعميت عليك مقاصده فنسبت الزور والفحش إليه[(٣)].

ثم وضح القرطبي بعد ذلك الفرق بين الزنا والنكاح وأن نكاحها من الزوج الثاني صحيح وفق شريعة صحيحة، وأنه نكاح اكتملت شروطه وأركانه وانتفت موانعه، وتشبيه هذا القسيس له بالزنا من العناد والتمويه والتزوير الذي قصد به استزلال العامة وتنفيرهم من دين الإسلام. وإلا لم يقل أحد من المسلمين بإجبار الزوج الثاني على طلاقها حتى يرجع إليها الأول، بل إنه يملك منها ما يملكه الأول فإن شاء طلقها وإن شاء أمسكها، وإن كان زواجه منها لأجل أن يحللها للزوج الأول كان نكاحاً فاسداً[(٤)].

وفي تفصيل ابن قدامة لشروط عودتها إلى زوجها الأول أكد فساد النكاح من الزوج الثاني إذا كان القصد منه تحليلها للزوج الأول[(٥)].

---

(١) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: د/أحمد حجازي السقا، ص (٢٢٤).

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: المصدر السابق، ص (٢٢٥).

(٤) انظر: المصدر السابق، ص (٢٢٤ ـ ٢٢٥).

(٥) انظر: المغني، عبدالله بن أحمد بن قدامة، تحقيق: د/عبدالله بن عبد المحسن التركي وزميله، (١٠/٥٥١).

المطلـــب الثامـــن

دعوى أن المسلمين وثنيون وكفار

مما أثاره النصارى واتخذوه دعاية في حربهم للمسلمين في هذه الفترة ادعاؤهم أن المسلمين وثنيون كفار تستعبدهم الشياطين، وأن النصارى هم الذين يتحلون بالإيمان العظيم بالرب.

قال أكبر دعاة الحروب الصليبية في أوربا البابا أوربان الثاني في خطابه أمام مجمع كليرمونت في فرنسا والذي دعا فيه إلى القيام بالحروب الصليبية: «... إني أخاطب الحاضرين، وأعلن لأولئك الغائبين، كما أن المسيح يأمر بهذا، إن ذنوب أولئك الذاهبين إلى هناك سوف تغفر إذا انتهت حياتهم بأغلالها الدنيوية سواء أثناء مسيرتهم على الأرض أو عند عبورهم البحر، أو في خضم قتالهم ضد الوثنيين... يا له من عار إذ قام جنس خسيس مثل هذا، جنس تستعبده الشياطين بهزيمة شعب يتحلى بإيمان عظيم بالرب...»(١).

ووصف فوشيه شارتر أحد مؤرخي الحروب الصليبية الفرنج وأبرز قساوستهم وممن اشترك في كثير من أحداث هذه الحروب وصف المسلمين بهذه الصفة في كتابته لتاريخ حملات النصارى الأولى في هذه الحروب.

ففي ثنائه على البابا أوربان الثاني الداعي الأول للحروب الصليبية قال:

---

(١) الوجود الصليبي في الشرق العربي، فوشيه الشارتي، ترجمة: د/ قاسم عبده قاسم، ص (٩٣).

«... كذلك بذل جهوداً قوية لطرد الوثنيين من أراضي المسيحيين»[1].

ومؤرخ صليبي آخر عاصر أحداث الحروب الصليبية وتولى بعض المهام الدينية للصليبيين في فترة هذه الحروب وصف المسلمين وهو يكتب تاريخ الحروب الصليبية بالكفر، ومن ذلك: قوله وهو يتحدث عن بعض المواقع العسكرية بين المسلمين والصليبيين: «... ورغم ما كان يبدو من تأهب الكفار للقتال إلا أن أملهم في النصر أو حتى الصمود طويلاً كان أملاً واهياً، ومن ثم كان هدفهم الوحيد هو شغل الصليبيين بالقتال...»[2].

وها هو أحد قادتهم وهو بلدوين أمير الرها في أحد خطاباته يصف المسلمين بهذه الصفة وذلك بقوله: «... لقد استطاع شعب الفرنجة بإيحاء وتوجيه علويين أن يحرر مدينة القدس الطاهرة من انتهاكات الكفار...»[3].

واتهام النصارى للمسلمين بالوثنية ليس إلا كما ورد في المثل: رمتني بدائها وانسلت، إذ الوثنية الصريحة والكفر بالله سبحانه وتعالى هو دين النصارى، فهي تهمة ظاهرة البطلان، وكتب العلماء المسلمين في العقيدة بشكل عام تضمنت الكثير مما يبطل هذه الدعوى.

ومن خلال الجهود الدعوية للمسلمين تجاه النصارى في فترة الحروب الصليبية ومناقشتهم للعقائد النصرانية الباطلة والردود على شبههم يمكن استخلاص تفنيد هذه الدعوى على النحو التالي:

١ ـ إن الدين الإسلامي دين التوحيد، والنصرانية أساسها الشرك والكفر بالله.

وتوحيد الله سبحانه وتعالى وتنزيهه عن الشرك والمثل والصاحبة والولد من مسلمات الدين الإسلامي الذي بعث النبيّ ﷺ لتقريره والدعوة إليه، وهو

---

(١) المصدر السابق، ص (٩٦).

(٢) الحروب الصليبية، وليم الصوري، ترجمة: د/ حسن حبشي، (٢/ ٢٥١).

(٣) المصدر السابق، ص (٢/ ٢٨٣).

عقيدة المسلمين الراسخة التي لا يتطرق إليها الشك، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾[1].

لذلك انطلق العلماء المسلمون في ردودهم ودعوتهم ونقاشاتهم مع النصارى في هذه الفترة من مبدأ مسلم به لديهم، وهو أن الإسلام دين التوحيد والنصرانية دين الكفر والشرك مع الله، ففي مستهل كل كتاب أورد أو نقاش للعلماء المسلمين في هذه الفترة مع النصارى تكون بدايته تقرير توحيد الله جلّ وعلا، وتنزيهه عن شرك النصارى فيه.

ومن ذلك قول الجعفري في بداية كتاب التخجيل: «الحمد لله الذي لا يتكثر بالأعداد، الماجد الذي لا تضارعه الأشكال والأنداد، المقدس عن الشريك والصاحبة والأولاد المنزه الذات والصفات عما يقول أهل الإلحاد...»[2].

وفي مستهل رد أبي عبيدة الخزرجي على رسالة أحد القساوسة قال: «بسم الله الرحمن الرحيم إله فرد صمد لم يولد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، سلام على المهتدين، والحمد لله ربّ العالمين... فضلنا على جميع الأجناس... نوحد الله بموجبات توحيده. ونمجده سبحانه حق تمجيده...»[3].

وقال القرطبي في رده على رسالة من أحد النصارى: «الحمد لله العظيم من غير عدد، المنزه عن الصاحبة والولد، المتعالي في ذاته وصفاته عما يقوله من عنّد وجحد، الواحد الفرد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد»[4].

---

(١) سورة الإخلاص، الآيات: (١ ـ ٤).

(٢) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق: د/ محمود قدح، (١/ ٨٧).

(٣) مقامع الصلبان ومراتع أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، حققه د/ محمد شامة تحت عنوان: بين الإسلام والمسيحية، ص (١٢).

(٤) الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (٣).

٢ ـ بيان تأكيد الإسلام على لزوم التوحيد ونبذ الشرك.

ومن اهتمام بعض علماء عصر الحروب الصليبية بهذا الأمر: قول القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[١] أجمع العلماء على أن هذه الآية من المحكم المتفق عليه، ليس منها شيء منسوخ، وكذلك هي في جميع الكتب، ولو لم يكن كذلك لعرف ذلك من جهة العقل وتصفيتها من شوائب الرياء وغيره، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾[٢][٣].

وقال البغويّ: «اعبدوا الله أي وحدوه»[٤] ثم وضح أن حق الله على عباده توحيده وعدم الإشراك به وأن جزاء ذلك النجاة من عذابه، حيث ساق حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال: «كنت ردف النبيّ ﷺ على حمار يقال له: عفير، فقال: يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده، وما حق العباد على الله» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً، فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر به الناس؟ قال: لا تبشرهم فيتكلوا»[٥][٦].

٣ ـ بيان أن الشرك محبط للعمل.

ففي تفسير قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[٧]،

---

(١) سورة النساء، الآية: (٣٦).

(٢) سورة الكهف، الآية: (١١٠).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، المجلد الثالث، الجزء الخامس، ص (١١٨).

(٤) معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: د/ محمد عبدالله النمر وآخرين، (٢/ ٢١٠).

(٥) أخرجه البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب اسم الفرس والحمار، حديث رقم (٢٨٥٦)، ص (٥٥٠)، ومسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة، حديث رقم (٤٩)، ص (٤٦).

(٦) انظر: معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: د/ محمد عبدالله النمر وآخرين، (٥/ ٢١٠).

(٧) سورة الزمر، الآية: (٦٥).

قال القرطبي: «لئن أشركت يا محمد ليحبطن عملك وهو خطاب للنبيّ ﷺ خاصة، وقيل: الخطاب له والمراد أمته... والإحباط الإبطال والفساد»[1].

وقال ابن الجوزي: «خاطبه بذلك ليعرف من دونه أن الشرك يحبط الأعمال المتقدمة كلها ولو وقع من نبي»[2].

٤ ـ بيان أن الشرك أعظم الذنوب وأن الله لا يغفره.

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾[3]... هذا من المحكم المتفق عليه الذي لا اختلاق فيه بين الأمة[4].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾[5] بين البغوي أن الشرك موجب للنار حيث أورد حديث جابر رضي الله عنه قال: أتى النبيّ ﷺ رجل فقال: يا رسول الله ما الموجبتان؟ قال: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار»[6][7].

٥ ـ إظهار نبذ الإسلام لكل مظاهر الوثنية من أصنام وصور وتماثيل وبناء على القبور وكل ما هو وسيلة للشرك.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، المجلد الثامن، الجزء الخامس عشر، ص (١٨٠).

(٢) زاد المسير، عبد الرحمن بن علي الجوزي، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن عبدالله وزميله، (٧/ ٢٦).

(٣) سورة النساء، الآية: (١١٦).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، المجلد الثالث، الجزء الخامس، ص (١٥٩).

(٥) سورة النساء، الآية: (٤٨).

(٦) أخرجه مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، حديث رقم (٩٣)، ص (٦٤).

(٧) انظر: معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: د/ محمد عبدالله النمر وآخرين، (٢/ ٢٣٣).

ففي تفسير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾[1]، قال القرطبي: «الرجس الشيء القذر، الوثن: التمثال من خشب أو حديد أو ذهب أو فضة والنصارى تنصب الصليب وتعبده وتعظمه فهو كالتمثال أيضاً... وسمي الصنم وثناً لأنه ينصب ويركز في مكان فلا يبرح عنه، يريد اجتنبوا عبادة الأوثان»[2]، وقد أمر النبيّ ﷺ عدي أن يزيل الصليب عنه، وقال: «أطرح هذا الوثن عنك»[3][4].

وقال الرازي: «ثم إنه لما حث سبحانه وتعالى على تعظيم حرماته، وحمد من يعظمها أتبعه بالأمر باجتناب الأوثان»[5]، وسمىٰ الأوثان رجساً للتأكيد على وجوب تجنبها لأن عبادتها أعظم من التلوث بالنجاسات[6].

وقد أبرز كثير من العلماء في هذه الفترة موقف النبيّ ﷺ من أصنام المشركين التي كانت عند الكعبة عند فتح مكة حيث كان يكسرها ﷺ وهو يتلو قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾[7]، فبعد أن عرض القرطبي ذلك بين أن معنى مجيء الحق أي الإسلام وزهوق الباطل أي

---

(١) سورة الحج، الآية: (٣٠).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، المجلد السادس، الجزء الثاني عشر، ص (٣٧).

(٣) أخرجه الترمذي، سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن، تفسير سورة الأنعام، حديث رقم (٥٠٩٣) (٤/ ٣٤٢)، وقال: حديث غريب، قال الألباني: حديث حسن. صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (٣٠٩٥).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، المجلد السادس، الجزء الثاني عشر، ص (٣٧).

(٥) التفسير الكبير، محمد بن عمر الرازي، المجلد الثاني عشر، الجزء الثالث والعشرون، ص (٢٨).

(٦) انظر: المصدر السابق، المجلد الثاني عشر، الجزء الثالث والعشرين، ص (٢٨).

(٧) سورة الإسراء، الآية: (٨١).

الشرك، وأضاف أن في معنى الأصنام الصور فلا يجوز اتخاذها[1].

وبعد أن أشار ابن الجوزي إلى إزالة النبيّ ﷺ للأصنام التي كانت حول الكعبة عند فتح مكة بين أن معنى زهوق الباطل الذي هو الشرك وعبادة الأصنام، أي وضوح عيبه بمجيء الحق الذي هو الإسلام وعبادة الله وحده[2].

ومن نماذج سد الإسلام لذرائع الشرك التي أوردها بعض علماء هذه الفترة ما يتعلق بالأمر بطمس الصور، وتسوية القبور، والنهي عن تجصيصها وإيقاد السرج فيها؛ استشهاداً بما ورد عن أبي الهياج الأسدي[3] أنه قال: قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ألا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»[4].

قال الإمام النووي: «فيه أن السنة أن القبر لا يرفع على الأرض رفعاً كثيراً ولا يسنم... ونقل القاضي عياض عن أكثر العلماء أن الأفضل تسنيمها...»[5] ثم ساق أقوال كثير منهم في الأمر بهدم ما بني عليها عملاً بهذا الحديث[6].

وهذا سد للذريعة وما قد يفضي إليه الاهتمام بها وتعظيمها.

وقد فصل ابن قدامة الأحكام الشرعية المتعلقة بالقبور والتي من أهمها ألا ترفع عن الأرض بأكثر من ترابها، وألا تسنم، وألا يدخلها شيء مسته النار»[7]،

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، المجلد الخامس، الجزء العاشر، ص (٢٠٤).

(٢) انظر: زاد المسير، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق: د/محمد بن عبد الرحمن عبدالله وزميله، (٥/ ٥٦).

(٣) هو حيان بن حصين الكوفي (أبو الهيّاج الأسدي، كان كاتب عمار بن ياسر، تابعي. انظر: تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (٣/ ٦٧).

(٤) أخرجه مسلم، الصحيح، كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر، رقم (٩٦٩)، ص (٣٧٤).

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، (٧/ ٣٦).

(٦) المصدر السابق، (٧/ ٣٧).

(٧) انظر: المغني، عبدالله بن أحمد بن قدامة، تحقيق: د/عبدالله بن عبد المحسن التركي وزميله، (٣/ ٤٣٥ ـ ٤٣٦).

والنهي عن البناء عليها لما فيه من تعظيمها وما في ذلك من المشابهة بتعظيم الأصنام[١]، والنهي عن اتخاذ المساجد عليها لتحذير النبيّ ﷺ من ذلك، ولعن اليهود والنصارى عليه في قوله ﷺ: **«لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**[٢]، ولأن تخصيص القبور بالصلاة عندها يشبه تعظيم الأصنام بالسجود لها، والتقرب إليها وقد كان ابتداء الشرك بتعظيم الأموات واتخاذ صورهم والصلاة عندها[٣].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾[٤]، فبعد أن بين القرطبي أن السبب في شرك بني آدم هو من جهة اتخاذهم الصور لصالحيهم حتى تقادم العهد فعبدوهم.

ذكر نهي الإسلام عن اتخاذ الصور من خلال سياقه لحديث عائشةؓ أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة يقال لها مارية، فذكرت له ما رأت فيها من الصور، فقال رسول الله ﷺ: **«أولئك قوم إذا مات فيها العبد الصالح، أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله»**[٥][٦].

---

(١) انظر: المصدر السابق (٣/ ٤٣٩).

(٢) أخرجه البخاري، الصحيح، كتاب الجنائز، باب ما جاء في قبر النبيّ ﷺ وأبي بكر وعمر، حديث رقم (١٢٩٠). ص (٢٧٠)، ومسلم، الصحيح، كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، حديث رقم (٥٢٩)، ص (٢١٤).

(٣) انظر: المغني، عبدالله بن أحمد بن قدامة، تحقيق: د/ عبدالله بن عبد المحسن التركي وزميله، (٣/ ٤٤١).

(٤) سورة نوح، الآية: (٢٣).

(٥) أخرجه البخاري، الصحيح، كتاب الصلاة، باب الصلاة في البيعة، حديث رقم (٤٣٤)، ص (١٠٥)، ومسلم بنحوه، كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، حديث رقم (٥٢٨)، ص (٢١٣).

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، المجلد التاسع، الجزء الثامن عشر، ص (١٩٩).

ومن إيضاح علماء هذه الفترة لتحريم الإسلام للتصوير واتخاذ الصور سداً لذريعة الشرك قول النووي: «قال أصحابنا: صورة الحيوان حرام شديد التحريم وهو من الكبائر»[1]، وفي وعيد النبيّ ﷺ للمصورين في قوله: «**إن أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة المصورون**»[2].

قال النووي: «... من فعل الصورة لتعبد وهو صانع الأصنام ونحوها فهذا كافر وهو أشد عذاباً»[3].

٦ ـ فضح النصارى بإبراز مظاهر الوثنية والشرك لديهم، وذلك بتبجيلهم الصور والتماثيل والصلبان وإشراكهم في عبادة الله.

ففي مناقشة بعض العلماء المسلمين لعقائد النصارى وشعائرهم كان من ضمن ما ناقشوه تبجيلهم للصور والتماثيل مبينين أن ذلك ما هو إلا وثنية انتقلت إلى النصرانية واتخذها النصارى في مجامعهم ديناً وعبادة محرفين بذلك ما نزل عليهم من الحق، حيث وضح هؤلاء العلماء أن هذا من كفرهم القبيح الذي ابتدعوه في ديانتهم[4]، مع إبرازهم لشركيات النصارى وكفرهم بالله من خلال نقض قانون الأمانة لديهم الذي هو أصل إيمانهم، وإبطال عقيدة التثليث وتفنيد ما اعتقدوه من الألوهية في عيسى عليه السلام[5].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، (١/ ٨١).

(٢) أخرجه البخاري، الصحيح، كتاب اللباس، باب عذاب المصورين يوم القيامة، حديث رقم (٥٩٥٠)، ص (١١٥٥)، ومسلم بنحوه، الصحيح، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان، حديث رقم (٢١٠٩)، ص (٨٧٥).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، (١٤/ ٩١).

(٤) انظر: تفاصيل ذلك في موضوع تعظيم النصارى للصور والتماثيل في المطلب الثاني من المبحث الثاني في هذا الفصل.

(٥) انظر: نماذج من بيان بعض العلماء لشرك النصارى وكفرهم بالله في المطلب الأول من المبحث الثاني في هذا التفصيل.

الفصل الثاني

القائمون بدعوة المسلمين للنصارى
في
عصر الحروب الصليبية

المبحـــث الأول

القائمون بدعوة المسلمين
للنصارى من الولاة والقادة

تمهيـــد

لا شك أن إقامة الوالي أو الأمير من أهم الواجبات الدينية في الأمة، لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾(١)، فالأمر بإقامة هذه الأحكام من وجوب العدل ووجوب طاعة أولي الأمر دليل على وجوب إقامة من تتعلق به وهو الأمير، وجاء في السنة قوله ﷺ: «**لا يحل لثلاثة نفر يكونون بأرض فلاة إلا أمروا عليهم أحدهم**»(٢)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: «أوجب ﷺ تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر تنبيهاً بذلك على سائر أنواع الاجتماعات... فالواجب اتخاذ الإمارة ديناً وقربةً يتقرب بها إلى الله»(٣)، وقد وردت أحاديث كثيرة تبين فضل الإمام العادل ووجوب طاعته وحقوقه وواجباته.

ثم إن فعل النبيّ ﷺ في المدينة وكونه رئيس المسلمين وأميرهم يولي الولاة ويعقد الألوية ويقيم الحدود ويحكم بين الناس دليل على وجوب إقامة من يتولى هذه المهام، وهذا ما أدركه الصحابة ﷺ حيث سارعوا بعد وفاته ﷺ إلى اختيار خليفة يقوم بهذه المهام من بعده.

---

(١) سورة النساء، الآية: (٥٩).

(٢) أخرجه أحمد، المسند، حديث رقم (٦٦٤٧)، (١١/ ٢٢٧)، وقال محققوه: صحيح لغيره، وروى أبو داود (إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم)، سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب القوم يسافرون يؤمرون أحدهم حديث رقم (٢٦٠٨)، (٣/ ٨١). قال الألباني: حسن صحيح. صحيح سنن أبي داود (٢/ ١٢٥).

(٣) السياسة الشرعية، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور، القاهرة، ١٩٧٠ م، ص (١٨٤ ـ ١٨٥).

ولا شك أن وجوب إقامة الوالي في الإسلام جاء لما يترتب على إقامته من المصالح للأمة في أمور دينها ودنياها.

فالوالي الصالح هو الأساس لتحقيق الأمة أفضل النتائج في كافة الميادين، ففي ظله تنتظم أحوال البلاد، وتتحقق مصالح الناس، وتزدهر مرافق الدولة في مختلف المرافق، ولا شك أن هذا الازدهار الداخلي له أثره في قوة الدولة وتقدمها وظهورها على المستوى الخارجي، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾[1] والمراد بالتمكين السلطنة ونفاذ الأمر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ «فالمقصود الواجب بالولايات إصلاح دين الخلق الذي متى فاتهم خسروا خسراناً مبيناً...»[2].

وقال: «وجميع الولايات الإسلامية إنما مقصودها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سواء في ذلك ولاية الحرب الكبرى: مثل نيابة السلطنة، والصغرى مثل ولاية الشرطة، وولاية الحكم أو ولاية المال وهي ولاية الدواوين المالية وولاية الحسبة[3].

وإذا استشعر الولاة هذا الهدف السامي للولاية سخروا جميع الإمكانات لتحقيقه، ومن هنا صار الوالي الصالح أهم عوامل نجاح الدعوة وتحقيقها لأفضل النتائج.

وفي التاريخ الإسلامي أمثلة كثيرة لأثر الوالي الصالح في ازدهار الأمة وقوتها ووحدتها ومن ثم قيامها بواجب الدعوة إلى الإسلام خير قيام.

فالوالي الأول رسول الله ﷺ كانت مهمته الأولى الدعوة إلى دين الله سبحانه

---

(١) سورة الحج، الآية: (٤١).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد (٢٨/٢٦٢).

(٣) المصدر السابق (٢٨/٦٦).

وتعالى، وكانت كل حياته ﷺ لأجل هذا الغرض، فكوّن البذرة الأولى للمجتمع المسلم في مكة ثم هاجر إلى المدينة وعمل على إكمال بناء هذا المجتمع بتشريعاته ونظمه المختلفة التي تميز بها عن غيره، وكلها من أجل تحقيق الهدف الأول لمبعثه ﷺ وهو الدعوة إلى دين الله.

وبعد أن تكوّن المجتمع المسلم المتميز القادر على حمل هذه الدعوة اتجه لنشرها في الآخرين بالوسائل المختلفة، فما مات ﷺ إلا وقد انتشر الإسلام في أنحاء الجزيرة العربية.

ثم جاء خلفاؤه الراشدون من بعده رضوان الله عليهم ليكملوا هذه المهمة، فكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه بمواقفه المشهودة في الردة وإعادة الجزيرة العربية إلى الإسلام ثم فتوحاته في العراق والشام؛ ليكمل بعده الفاروق رضي الله عنه هذه الفتوحات ويواصل الجهود في نشر هذا الدين وإعلاء كلمة الله، حيث عمل على تدعيم الدولة الإسلامية بمختلف الأنظمة والإصلاحات لخدمة هذا الهدف. ثم توسع عثمان رضي الله عنه في ذلك مكملاً ما بُدىء قبله في هذا المجال.

وفي عصر الحروب الصليبية كان لكثير من الولاة والقادة دور مهم في هذا المجال، فعملوا على تهيئة الأمة وحشد إمكانياتها لما يخدم هذا الهدف، وكان لهم جهود واضحة في دعوة النصارى من خلال اتصالاتهم المباشرة سواءً عن طريق الرسل، أو المكاتبات، أو المحادثات، أو الجهاد، أو من خلال جهودهم غير المباشرة المتمثلة في تهيئة الأمة للقيام بهذا الواجب من خلال توطيد الأمن، وبناء المدارس، ونشر العلم، ومحاربة البدع وما أدى إليه ذلك من قوة في الأمة مكنها من المواجهة.

وفيما يلي عرض لأبرز قادة الأمة في هذه الفترة، والذين كانت لهم جهود واضحة في مواجهة النصارى ودعوتهم خاصة في ميدان الجهاد.

وسيكون الكلام فيه على مطلبين:

المطلب الأول: أبرز الولاة والقادة في شرق الدولة الإسلامية.

المطلب الثاني: أبرز الولاة والقادة في غرب الدولة الإسلامية.

المطلـــب الأول

أبرز الولاة والقادة في شرق الدولة الإسلامية

ومن أبرزهم زنكي بن آقسنقر بن عبدالله التركي[1] الذي كان قد تولى شحنكية البصرة[2] وواسط سنة ٥١٦ هـ ثم بغداد، وأظهر في عمله مقدرة فائقة، فولاه السلطان السلجوقي محمود بن محمد بن ملكشاه[3] الموصل[4] سنة

---

(١) انظر: الروضتين في أخبار الدولتين، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، (١/ ٢٩)، وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢٠/ ١٨٩).

(٢) البصرة: هي الأرض الغليظة، وهي اسم مدينة في جنوب العراق حالياً قرب الخليج العربي، بناها المسلمون خلال فتوح العراق في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، (١/ ٥١٠ ـ ٥١١)، وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس، ص (٤١٢).

(٣) هو محمود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي، تولى السلطنة وهو لم يتجاوز الحادية عشر من عمره وتوفي وهو لم يتجاوز الحادية والعشرون سنة ٥٢٥ هـ. كان حليماً عاقلاً يسمع ما يكره ولا يعاقب.
انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، (٩/ ٢٩ ـ ٣٠)، وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٩/ ٥٢٤).

(٤) الموصل: مدينة قديمة في أقصى شمال العراق حالياً على نهر دجلة، حكمها الحمدانيون ثم صارت مركزاً لدولة الأتابكة سلالة زنكي.
انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٥/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩)، وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس، ص (٤١٢).

٥٢١هـ[١]، وجعله مربياً لولده «أتابكا»[٢].

عظم أمره بعد ذلك وتوسعت دولته لشجاعته وإقدامه وحرصه على جمع كلمة المسلمين في مواجهة النصارى، قال عنه الذهبي[٣]: «كان بطلاً شجاعاً مقداماً كأبيه»[٤].

وقد كان من أبرز جهوده في مواجهة الفرنج ودعوتهم وضعه أساس الوحدة الإسلامية في الموصل والشام والتي كانت من أهم الأسباب التي مكنت المسلمين من المواجهة وصد زحف النصارى على البلاد الإسلامية؛ حيث دخلت في طاعته مجموعة من المدن المستقلة والمتناحرة فيما بينها. وكان قد بدأ بجزيرة ابن عمر[٥][٦] سنة ٥٢١ هـ ثم نصيبين[٧] ....

(١) انظر: الروضتين في أخبار الدولتين، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (١/ ٢٩ ـ ٣٠).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢٠/ ١٩٠).

(٣) هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تركماني الأصل، حافظ، مؤرخ، محقق، ولد بدمشق سنة ٦٧٣ هـ، ومات بها سنة ٧٤٨ هـ له تصانيف كثيرة تقارب المائة، منها: دول الإسلام، وتاريخ الإسلام، سير أعلام النبلاء، والكاشف في تراجم رجال الحديث، وتذكرة الحفاظ وغير ذلك.
انظر: طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق عبد الفتاح الحلو وزميله (٩/ ١٠٠ ـ ١٢٣)، والوفيات، محمد بن رافع السلامي، تحقيق: صالح مهدي عباس ود. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢م (٢/ ٥٥ ـ ٥٦).

(٤) انظر: الروضتين في أخبار الدولتين، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، (١/ ٢٩)، وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢٠/ ١٨٩).

(٥) المصدر السابق (٢٠/ ١٩٠).

(٦) جزيرة ابن عمر: مدينة تركية قديمة، تقع في أقصى جنوب شرق تركيا على الحدود السورية على نهر دجلة.
انظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص (٢٠٢)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، ص (٣٩).

(٧) نصيبين: مدينة قديمة في جنوب شرق تركيا على الحدود السورية.
انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٥/ ٢٣٣)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر

ثم سنجار[١][٢]، ثم حلب في الشام سنة ٥٢٢ هـ[٣] وغير ذلك.

وبعد أن حقق هذه الوحدة بدأ بجهاد الصليبيين حيث هزمهم في مواقع كثيرة، وكان من أبرز إنجازاته في ذلك فتحه لإمارة الرها الصليبية سنة ٥٣٩ هـ[٤].

وقد قال أحد الكتاب الأوربيين عن أهمية هذا الفتح: «وسقوط الرها في يد زنكي يعتبر نقطة تحول في الشرق اللاتيني، كما يعتبر بداية النهاية»[٥].

كان زنكي مشهوراً لدى الفرنج لكثرة وقائعه معهم، حيث يعرف في عساكرهم بـ«زنكي الشامي»[٦].

وقد كانت نهايته ـ رحمه الله ـ على يد أحد مماليكه الذي اغتاله في قلعة جعبر على نهر الفرات قرب مدينة الرقة سنة ٥٤١ هـ[٧]، ولما قتل كتب بعض قادة الفرنج إلى حاكم دمشق المسلم يقول له: «إن أمة قتلت عميدها في يوم عيدها في بيت معبودها لحقيق على الله أن يبيدها»[٨].

وآخرون، ص (٣٨ ـ ٣٩).

(١) سنجار: مدينة عراقية في أقصى الشمال الغربي على الحدود السورية، اشتهرت في العصر العباسي.
انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٣/ ٢٩٧)، وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس، ص (٤١٢).

(٢) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٩/ ٨ ـ ٩).

(٣) انظر: المصدر السابق (٩/ ١١).

(٤) انظر: المصدر السابق (٩/ ١٣١)، والروضتين في أخبار الدولتين، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (١/ ٣٦).

(٥) الحروب الصليبية، أرنست باركر، ترجمة: د. السيد الباز العريني، ص (٥٢).

(٦) الروضتين في أخبار الدولتين، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (١/ ٢٨).

(٧) المصدر السابق (١/ ٤٢)، والكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٩/ ١٤٢).

(٨) الروضتين في أخبار الدولتين، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (١/ ٢٨).

ثم أتى بعد زنكي ليكمل هذه المهمة الجليلة في جهاد الفرنج ودعوتهم ابنه الملك نور الدين محمود زنكي بن آقسنقر التركي السلطاني الملكشاهي، الذي ولد سنة ٥١١ هـ في شهر شوال[١]. ونشأ في رعاية والده حينما كان على إمرة الموصل وديار بكر وشمال الشام. وعندما اغتيل والده سنة ٥٤١ هـ تملك أخوه غازي على الموصل وتملك هو على حلب حيث توسعت إمارته بعد ذلك لتشمل الشام ومصر والموصل[٢] في دولة واحدة استطاعت أن تواجه الصليبيين.

كان ـ رحمه الله ـ ذا ديانة وورع ومداومة للجهاد، محباً للسنة، مظهراً لها، مزيلاً للمناكير ممكناً لأهل الخير في دولته.

قال عنه ابن الأثير: «طالعت السير فلم أر فيها بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز أحسن من سيرته ولا أكثر تحرياً منه للعدل»[٣].

وقال ابن كثير: «كان آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر محباً للعلماء، والفقراء والصالحين، مبغضاً للظلم، صحيح الاعتقاد... وكان قد قمع المناكر وأهلها، ورفع العلم والشرع، وكان مدمناً لقيام الليل...»[٤].

وقال أبو شامة المقدسي: «... كان يعظم العلماء ويجمعهم عنده للبحث والنظر، واستقدمهم إليه من البلاد الشاسعة»[٥]، فكان يستعملهم في كثير من المهمات، ومن أبرزهم في دولته القاضي كمال الدين محمد بن عبدالله

---

(١) انظر: المصدر السابق (١/ ٥)، والكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٩/ ٣٩٤).

(٢) انظر: الروضتين في أخبار الدولتين، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (١/ ٤) وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢٠/ ٥٣١ ـ ٥٣٢).

(٣) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٩/ ٣٩٤).

(٤) البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين، (١٢/ ٣٠٦).

(٥) الروضتين في أخبار الدولتين، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (١/ ٩).

الشهروزي[1] قاضي القضاة في دولته، والشيخ علي بن إبراهيم الحنبلي الذي كان رسوله إلى الديوان العزيز في بغداد سنة ٥٦٤ هـ[2]. والقاضي عبدالله بن محمد بن أبي عصرون الذي بنى له نور الدين المدارس في حلب وحماه وحمص ودمشق[3]، وكان الأصبهاني قد تولى الوزارة له ـ رحمه الله ـ وديوان الإنشاء[4].

قال ـ رحمه الله ـ مبيناً دور الفقهاء والعلماء في ظهور دولته ونصره على أعدائه الفرنج: «. . . هؤلاء جند الله وبدعائهم ننصر على الأعداء، ولهم في بيت المال حق أضعاف ما أعطيهم، فإذا رضوا منا ببعض حقهم فلهم المنة علينا»[5].

كان ـ رحمه الله ـ متمسكاً بالسنة وقافاً عند حدود الله، «أظهر في بلاده السنة وأمات البدعة»[6]. كتب إليه أحد القضاة بأن المفسدين قد كثروا في البلاد

---

(١) هو محمد بن عبدالله بن القاسم بن مظفر بن الشهرزوري الموصلي، تولى قضاء دمشق لنور الدين محمود وأقره صلاح الدين على ذلك، كان أديباً شاعراً خبيراً بالسياسة وتدبير الملك، كان مولده سنة ٤٩١ هـ، ووفاته بدمشق سنة ٥٧٢ هـ.
انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٩/ ٤٢٧)، وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢١/ ٥٧ ـ ٦٠).

(٢) هو علي بن إبراهيم بن نجا بن غنائم الأنصاري الدمشقي الحنبلي. مولده بدمشق سنة ٥٠٨ هـ ووفاته في مصر سنة ٥٩٩ هـ، كان ذا جاه ورياسة واتصال بالدولة في عهد نور الدين وصلاح الدين وهو الذي كشف مخططاً لبعض الباطنية في مصر ضد صلاح الدين.
انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن محمد الذهبي (٢١/ ٣٩٣ ـ ٣٩٦) والبداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٣/ ٣٩ ـ ٤٠).

(٣) هو عبدالله بن محمد بن هبة الله بن علي بن المطهر بن أبي عصرون، نزيل دمشق وقاضي القضاة بها، وكان من أعيان الفقهاء الشافعية، من تصانيفه: صفوة المذهب، والذريعة في معرفة الشريعة، وغير ذلك. كان مولده سنة ٤٩٣ هـ، ووفاته سنة ٥٨٤ هـ.
انظر: طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق عبد الفتاح الحلو وزميله (٧/ ١٣٢ ـ ١٣٧)، والبداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٢/ ٣٥٥ ـ ٣٥٦).

(٤) البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٢/ ٣٣).

(٥) المصدر السابق (١٢/ ٣٠١).

(٦) المصدر السابق (١٢/ ٢٩٨).

وأن الأمر يحتاج إلى مكافحتهم بالصلب والقتل، فكتب نور الدين على ظهر كتابه: «إن الله تعالى خلق الخلق وهو أعلم بمصلحتهم، وشرع لهم شريعة وهو أعلم بما يصلحهم وإن مصلحتهم تحصل فيما شرعه على وجه الكمال فيها، ولو علم أن على الشريعة زيادة في المصلحة لشرعه، فما لنا حاجة إلى زيادة على ما شرعه الله تعالى، فمن زاد فقد زعم أن الشريعة ناقصة فهو يكملها بزيادته، وهذا من الجرأة على الله وعلى ما شرعه والعقول المظلمة لا تهتدي، والله سبحانه يهدينا وإياك إلى صراط مستقيم»(١).

وقد كان ـ رحمه الله ـ من أكثر القادة المسلمين في هذه الفترة مواجهة النصارى، فمن جهوده المباشرة في دعوتهم مراسلاته مع بعض قادتهم بشأن العلاقات بينهم وبين المسلمين وما تحقق من جراء ذلك للأمة من المصالح، كمراسلاته مع ملك الروم، والتي تمخضت عن هدنة مكنت المسلمين من مواجهة أعداء آخرين(٢). ومراسلاته مع ملك الأرمن حيث أدت هذه المراسلات إلى استمالته في صف المسلمين ضد أبناء ملته(٣).

ومن جهوده المباشرة أيضاً في دعوتهم جهاده المستمر لهم والذي أثمر عن تقلص نفوذهم في بلاد الشام وظهور دولة المسلمين بعد ضعف وفرقة. وقد قال ابن الجوزي عن ذلك: «... جاهد وانتزع من الكفار نيفاً وخمسين مدينةً وحصناً»(٤)، بل وأسر بعض قادتهم كصاحب طرابلس وصاحب الروم وابن جوسلين(٥) وغيرهم.

ولهذه الانتصارات الكبيرة على الفرنج والتمكين للمسلمين بعد ضعفهم في الشام مع قلة العسكر في مواجهة تكالب النصارى على المسلمين أدرك بعض

---

(١) الروضتين في أخبار الدولتين، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (١/ ١٣ ـ ١٤).

(٢) انظر: المصدر السابق (١/ ٨).

(٣) انظر: المصدر السابق (١/ ٨).

(٤) المنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله (١٨/ ٢٠٩).

(٥) انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٢/ ٢٦٦).

النصارى سبب هذه الانتصارات وأنه لا يرجع إلى القوة العسكرية فحسب بل إلى صبر نور الدين واحتسابه وصدقه وإنابته إلى الله سبحانه مع الأخذ بالأسباب، حيث قال بعضهم: «... ابن القسيم له مع الله سر، فإنه لا يظفر علينا بكثرة جنده وعسكره، وإنما يظفر علينا بالدعاء وصلاة الليل؛ فإنه يصلي بالليل ويرفع يده إلى الله ويدعو فالله سبحانه وتعالى يستجيب له دعاءه ويعطيه سؤاله وما يرده خائباً فيظفر علينا»[1].

ومن جهوده ـ رحمه الله ـ غير المباشرة في دعوة النصارى تحقيقه للوحدة بين المسلمين في الموصل والشام ومصر مما كان له أثره الكبير في نجاح عملية الجهاد[2].

يضاف إلى ذلك اهتمامه بالعلم والعلماء؛ حيث بنى المدارس في حلب وحماة ودمشق، وشيد دار الحديث في دمشق[3]، ولا يخفى أثر ذلك في نشر العلم وتثقيف المسلمين مما ساعد على مواجهة شبه النصارى بل ودعوتهم.

وهكذا كان نور الدين عزاً للمسلمين في الشام ومصر بعد ضعف وظهور للنصارى، وكانت جهوده في مواجهة النصارى ودعوتهم الأساس لنجاح جهود من بعده من الولاة والقادة كصلاح الدين، والظاهر بيبرس وغيرهما.

قال ابن كثير موضحاً أثر نور الدين في قوة المسلمين بالشام في مواجهة النصارى: «... وفيها ـ أي سنة ٥٥٢ هـ مرض نور الدين فمرض الشام بمرضه، وعوفي ففرح المسلمون فرحاً شديداً»[4].

وبعد حياة حافلة بالجهاد والدعوة توفي نور الدين سنة ٥٦٩ هـ ودفن في دمشق[5] رحمه الله رحمة واسعة.

---

(١) الروضتين في أخبار الدولتين، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (١/ ١٤).

(٢) انظر: المطلب الثاني من الفصل الرابع.

(٣) انظر: الروضتين في أخبار الدولتين، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (١/ ٩ ـ ١٠).

(٤) انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٢/ ٢٥٤).

(٥) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٩/ ٣٩٣).

وأبرز من كان لهم جهود في دعوة النصارى وجهادهم في المشرق في هذه الفترة صلاح الدين الأيوبي ـ رحمه الله ـ.

واسمه يوسف بن شاذي بن مروان بن يعقوب التكريتي[١]، ولد سنة ٥٣٢ هـ بقلعة تكريت[٢]، وكان والده حينها والياً عليها[٣]، فلما انتقل والده إلى الشام إثر إقطاعه بعلبك انتقل معه وترعرع هناك. ثم اتصل بنور الدين محمود الذي قدمه فأنفذه مع عمه أسد الدين شيركوه[٤] إلى مصر سنة ٥٥٥ هـ وكان على مقدمة عساكره[٥].

ولما مات عمه في مصر سنة ٥٦٤ هـ قام بالأمر من بعده[٦]، حيث عمل ـ رحمه الله ـ على إصلاح البلد وتطهيره من مناكير بني عبيد، فكان على يده القضاء على ولايتهم في مصر والخطبة لبني العباس، وذلك بأمر من نورالدين محمود سنة ٥٦٧ هـ[٧].

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢١/ ٢٧٨).

(٢) تكريت: مدينة تقع حالياً في شمال العراق على نهر دجلة، شمال مدينة سامراء، أول من بنى قلعتها أحد قواد الفرس وهو سابور بن أردشير.
انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، (٢/ ٤٥)، وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس، ص (٤١٢).

(٣) انظر: النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق: د. جمال الدين الشيال، ص (٣١).

(٤) هو أسد الدين شيركوه بن شادي عم صلاح الدين ومن أبرز قواد نور الدين محمود، أرسله إلى مصر لقتال الإفرنج فيها، حيث هزمهم ثم عاد إلى الشام، ورجع مرة أخرى إلى مصر، وتولى الوزارة فيها لنور الدين، ولم يلبث طويلاً حيث مات سنة ٥٦٤ هـ.
انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٩/ ٣٣٧ ـ ٣٤٣)، والبداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٢/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩).

(٥) انظر: النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق: د. جمال الدين الشيال، ص (٣١).

(٦) انظر: المصدر السابق، ص (٨٠).

(٧) انظر: المصدر السابق، ص (٨٦).

ثم بعد وفاة نور الدين واختلاف الأمر في الشام من بعده وطمع الفرنج في البلاد بسط نفوذه عليها إنقاذاً لها منهم، ثم امتد نفوذه ليشمل الحجاز واليمن.

قال الذهبي في صفته: «كان خليقاً للإمارة، مهيباً، شجاعاً، حازماً، مجاهداً، كثير الغزو، عالي الهمة»(١).

أمضى حياته - رحمه الله - في جهاد الفرنج النصارى، ودعوتهم إلى الإسلام.

فكان خلال لقاءاته بقادتهم ومحادثاته معهم يستغلها في إبراز محاسن الإسلام لهم ودعوتهم إليه، ومن ذلك مثلاً ما فعله مع صاحب صيدا الإفرنجي حيث قال ابن شداد عن ذلك: «... ولقد رأيته وقد دخل عليه صاحب صيدا بالناصرة فاحترمه وأكرمه وأكل معه الطعام، ومع ذلك عرض عليه الإسلام فذكر له طرفاً من محاسنه وحثه عليه»(٢).

وكان يستغل علاقاته الحسنة مع بعض قادتهم من أجل التمكين للدعوة. ومن ذلك تفاهمه مع صاحب طرابلس الصليبي بأن يوعز الأخير لأتباعه باعتناق الإسلام، حيث أدركته المنية قبل إتمام ذلك(٣).

ولأجل هذا الغرض النبيل كان يتألف كثيراً من قادتهم بالمال والهدايا طمعاً في إسلامهم(٤).

وكان نبله وحسن خلقه من أبرز الأسباب التي جعلت الكثير من النصارى في هذه الفترة يغيرون ما علق بأذهانهم عن الإسلام من صورة مشوهة بل ويعتنق أعداد كبيرة منهم الإسلام.

---

(١) سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢١/ ٢٧٩).

(٢) النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق: د. جمال الدين الشيال، ص (٦٦).

(٣) انظر: الدعوة إلى الإسلام، توماس أرنولد، ترجمة د. حسن إبراهيم حسن، وآخرين، ص (١١١).

(٤) انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٢/ ٣٧٣).

ومن ذلك مثلاً ما حدث بعد معركة حطين ومنّه على كثير من أسرى الصليبيين، ورحمته لنسائهم وضعفائهم مما جعل أعداداً كبيرة منهم يعتنقون الإسلام[1].

ولنبله في كثير من المواقع انضمت أعداد كبيرة منهم إلى معسكر المسلمين بعد إسلامهم لتقاتل معه ضد أقوامهم[2].

بل إن كثيراً منهم كانوا على نصرانيتهم ومع ذلك انضموا إليه ضد بني ملتهم[3].

أما الجهاد في سبيل الله ـ أهم وسائل الدعوة ـ فله اليد الطولى فيه، ووقعاته مشهورة معهم، وعلى يده كان طردهم من الغالبية العظمى من بلاد الشام.

ومن أعظم ذلك استرداده بيت المقدس من أيديهم بعد معركة حطين المشهورة عام ٥٨٣ هـ[4].

وكان ـ رحمه الله ـ حريصاً في كل وقائعه معهم أن يعرض الإسلام عليهم.

فبعد كل معركة كان يعرض الإسلام على الأسرى قبل اتخاذ أي إجراء معهم، ومن ذلك مثلاً ما حدث بعد معركة حطين[5].

---

(١) انظر: الدعوة إلى الإسلام، توماس أرنولد، ترجمة د. حسن إبراهيم حسن، وآخرين، ص (١٠٨ ـ ١٠٩).

(٢) انظر: المرجع السابق، ص (١٠٨ ـ ١٠٩).

(٣) انظر: الروضتين في أخبار الدولتين، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (٢/ ٧٤)، النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق: د. جمال الدين الشيال، ص (٢٣٣ ـ ٢٣٨)، والحروب الصليبية، وليم الصوري، ترجمة د. حسن حبشي (٢/ ٣٠٢)، وانظر: المطلب الثالث من المبحث الثاني في الفصل الرابع.

(٤) انظر أخبار هذه المعركة في: النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق: د. جمال الدين الشيال، ص (١٢٦)، والكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (١٠/ ٢٤ ـ ٣٣).

(٥) انظر: شفاء القلوب في أخبار بني أيوب، أحمد بن إبراهيم الحنبلي، تحقيق ناظم رشيد، وزارة الثقافة والفنون، العراق، ١٩٧٨م، ص (١٢١).

وقد كان طموحه ـ رحمه الله ـ تتبع النصارى ليس فقط في البلاد الإسلامية بل في بلادهم حتى لا يبقى منهم من يكفر بالله، وهذا ما صرح به لقاضي عسكره ابن شداد، وذلك بقوله: «أما أحكي لك شيئاً؟ قلت: بلى، قال: في نفسي أنه متى يسر الله تعالى فتح بقية الساحل قسمت البلاد وأوصيت وودعت وركبت هذا البحر إلى جزائرهم أتتبعهم فيها حتى لا أبقي على وجه الأرض من يكفر بالله أو أموت. . .»[(١)].

وبالإضافة إلى هذه الجهود المباشرة له ـ رحمه الله ـ في دعوة النصارى كانت له أيضاً جهود غير مباشرة كان لها أثرها الكبير في نجاح الدعوة الموجهة إليهم بشكل عام.

ومن ذلك حرصه على تحقيق الوحدة بين المسلمين، والعمل على ذلك لتقوية الجبهة الإسلامية ضد النصارى، وجهوده في مجال تحقيق الأمن والضرب على أيدي العابثين.

ومما يعد من جهوده غير المباشرة في هذا المجال تشجيعه للعلماء واتخاذهم بطانة له، بل وإسناد كثير من المهمات الإدارية والقيادية إليهم وهم قادة الرأي في الأمة وهداتها إلى طريق الحق وحراسها من الغواية والضلال ودعاتها بعلمهم وعملهم.

ومن أبرز هؤلاء العلماء القاضي ابن شداد الذي تولى قضاء عسكره وقام بكثير من السفارات له[(٢)].

وكان صاحب ديوان الإنشاء لديه وأحد أهم مستشاريه القاضي الفاضل[(٣)]،

---

(١) النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق: د. جمال الدين الشيال، ص (٥٥).

(٢) انظر: المصدر السابق، ص (١٣٩).

(٣) هو عبد الرحيم بن علي بن السعيد اللخمي، المعروف بالقاضي الفاضل، وزير من أئمة الكتاب، كان من وزراء صلاح الدين وكتابه، والمقربين منه، مولده بعسقلان سنة ٥٢٩هـ ووفاته بالقاهرة سنة ٥٩٦ هـ.
انظر: الروضتين في أخبار الدولتين، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (٢/ ٢٤١)،

قال ابن كثير: «ولما استقر الملك لصلاح الدين بمصر جعله كاتبه وصاحبه ووزيره وجليسه وأنيسه... وتساعدا حتى فتحا الأقاليم والبلاد، هذا بحسامه وسنانه وهذا بقلمه ولسانه وبيانه»(١).

ومن علماء عصره الذين كانوا على صلة به ولهم أثرهم في المجتمع وعظاً وتعليماً الشيخ أبو طاهر السِّلفي الذي كان صلاح الدين يحضر دروسه(٢).

وكان ابن قدامة صاحب المغني كثير المشاركة في الجهاد معه(٣) إلى غير ذلك.

ومما يضاف إلى جهوده ـ رحمه الله ـ غير المباشرة في دعوة النصارى توسعه في إنشاء المدارس، خصوصاً في مصر، والتي كان لعلمائها والدارسين فيها دور كبير في دعوة النصارى في هذه الفترة(٤).

وطبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق عبد الفتاح الحلو وزميله (٧/ ١٦٦ ـ ١٦٨).

(١) البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين، (١٣/ ٢٧).

(٢) هو أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الإصبهاني السلفي، أبو طاهر، محدث، حافظ، فقيه، ولد سنة ٤٧٨ هـ ورحل في طلب الحديث وكانت وفاته في الإسكندرية سنة ٥٧٦ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢١/ ٥) وما بعدها. والبداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٢/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩).

(٣) هو عبدالله بن أحمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي الحنبلي، من أكابر الحنابلة، له التصانيف الكثيرة في الفقه وأصوله، منها: المغني، وروضة الناظر، والكافي، والعمدة، وغير ذلك، كان مولده في قرية جماعيل قرب نابلس في فلسطين سنة ٥٤١ هـ، ووفاته في دمشق سنة ٦٢٠ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢٢/ ١٦٥) وما بعدها. والبداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٣/ ١٠٧ ـ ١٠٨).

(٤) انظر: رحلة ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني، ص (٢٧)، والبداية والنهاية، إسماعيل ابن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٢/ ٢٨٢)، و(٣١٦)، والمدارس في بيت المقدس في العصر الأيوبي والمملوكي، عبد الجليل حسن عبد المهدي، مكتبة

ولهذه الجهود المباركة من صلاح الدين في دعوة النصارى وجهادهم، ولاتصالاته المختلفة والكثيرة معهم والتي كان يتحلى فيها بصفات القائد المسلم الملتزم بأحكام الإسلام وآدابه تبوأ مكانة عالية لديهم، وكان كثير من قادتهم يهابونه وفي الوقت نفسه أحبوه وأعجبوا به على الرغم من حالة الحرب السائدة بينه وبينهم، والضربات الموجعة التي تلقوها على يديه(١).

فمن إعجاب بعض قادتهم به: إقسام عدد منهم ألا يواجهونه في قتال نظير عطفه وصفحه وأخلاقه النبيلة(٢).

وقد بين صاحب قصة الحضارة بعد أن نقل نماذج من نبل صلاح الدين وكرمه وأخلاقه إعجاب كثير من المؤرخين النصارى بهذا البطل المسلم بل ودهشتهم «كيف يخلق الدين الإسلامي ـ الخاطىء في ظنهم ـ رجلاً في العظمة إلى هذا الحد»؟(٣).

وإذا كان هذا هو رأي النصارى فيه ـ رحمه الله ـ وهم أعداؤه فما الحال بالمسلمين الذين جعل حياته لخدمتهم ورفعة شأنهم وجهاد أعدائهم؟.

حيث لمس المحبة العظيمة في قلوبهم له ابن جبير من خلال تجواله في الحجاز والشام ومصر.

فمن ذلك مثلاً إيضاحه لموقف الناس عند ذكر صلاح الدين في خطبة الحرم المكي التي حضرها ابن جبير حيث قال: «... وعند ذكر صلاح الدين بالدعاء تخفق الألسنة بالتأمين عليه من كل مكان.

الأقصى، عمان، ١٩٨١م، (١/ ١٨١)، وما بعدها، والحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية، أحمد بدوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ص (٤٢).

(١) انظر: المطلب الثالث من المبحث الثاني في الفصل الرابع.

(٢) قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة: محمد بدران، المجلد الرابع، الجزء الرابع، ص (٣٨). وانظر: عبارات التودد والتلطف من بعض قادتهم لصلاح الدين في المطلب الثالث من المبحث الثاني في الفصل الرابع.

(٣) انظر: المصدر السابق، المجلد الرابع، الجزء الرابع، ص (٤٤ ـ ٤٥).

وإذا أحب الله يوماً عبده ... ألقى عليه محبة الناس

وحق ذلك عليهم لما يبذل من جميل الاعتناء بهم وحسن النظر لهم، ولما رفعه من وظائف المكوس عنهم»[1].

وبعد حياة حافلة بالجهاد والدعوة توفي - رحمه الله - في صفر سنة ٥٨٩ هـ ولم يتجاوز الخامسة والخمسين من عمره ودفن في دمشق[2].

وممن له جهود واضحة في مواجهة النصارى ودعوتهم في هذه الفترة من الولاة والقادة الملك العادل محمد بن أيوب بن شادي بن مروان بن يعقوب الدويني التكريتي أخو صلاح الدين، الذي ولد سنة ٥٣٤ هـ في بعلبك[3]؛ إذ كان والده نائباً فيها لزنكي بن آقسنقر[4].

وعندما شب خدم أخاه صلاح الدين في كثير من المهام فولاه نيابة مصر ثم دمشق، وبعد موت صلاح الدين ملك بعده فتقدم إلى الشام وضمها إليه[5].

قال ابن كثير: «كان العادل حليماً صفوحاً صبوراً على الأذى كثير الجهاد بنفسه، ومع أخيه، حضر معه مواقفه كلها أو أكثرها في مقاتلة الفرنج»[6].

وقال: «... من خيار الملوك وأجودهم سيرةً، ديناً، عاقلاً، صبوراً، وقوراً، أبطل المحرمات، والخمور، والمعازف من مملكته، وقد كانت ممتدة من

---

(١) رحلة ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني، ص (٣٧).

(٢) انظر: النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق: د. جمال الدين الشيال، ص (٣٦٣).

(٣) بعلبك: مدينة تاريخية قديمة غنية بآثارها تقع في شرق لبنان قرب الحدود السورية.
انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (١/ ٥٣٧ - ٥٣٨)، وأطلس في تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس، ص (٤١٣).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢٢/ ١١٦).

(٥) انظر: السلوك لمعرفة دول الملوك، أحمد بن علي المقريزي، تحقيق محمد مصطفى زيادة، الجزء الأول، القسم الأول، ص (١٥٢).

(٦) البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحخقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٣/ ٨٦ - ٨٧).

أقصى بلاد مصر واليمن والشام والجزيرة إلى هَمْدان[١] كلها...»[٢].

كانت له جهود واضحة في مواجهة الفرنج ودعوتهم، قال ابن كثير عن ذلك: «فقد كان كثير الجهاد بنفسه ومع أخيه»[٣].

فمن جهوده في هذا المجال حفظ البلاد بعد موت أخيه واضطرابها وطمع الإفرنج فيها حيث زحف على مملكة أخيه وقضى على تناحر أبنائه محافظاً بذلك على وحدة البلاد وقوتها وتماسكها في مواجهة النصارى المتربصين بها[٤].

ثم جهاده بعد ذلك النصارى وهزيمته لهم في عدة مواقع كما في مرج عكا، وفتح يافا سنة ٥٩٣ هـ[٥]. وغير ذلك.

يضاف إلى جهوده في هذا المجال محادثاته ومراسلاته واجتماعاته الكثيرة مع قادة الفرنج ورسلهم، خصوصاً في فترة حكم أخيه صلاح الدين وما أسفرت عنه هذه الجهود من نتائج ليست إلا في صالح الإسلام والمسلمين.

ومن ذلك مثلاً: لقاءاته الكثيرة بملك الإنجليز[٦] ممثلاً لأخيه صلاح الدين وقيامه بمساعي الصلح معه وفق الشروط التي وضعها المسلمون[٧].

---

(١) هَمدان: بتسكين الميم مدينة في اليمن في شماله الغربي قرب مدينة صعدة.
انظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص (٥٩٧).

(٢) المصدر السابق (١٣/ ٨٦).

(٣) المصدر السابق (١٣/ ٨٦).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢٢/ ١١٧).

(٥) انظر: المصدر السابق (١٣/ ١٦). وانظر بعض وقائعه معهم في السلوك لمعرفة دول الملوك، الجزء الأول، القسم الأول، ص (١٥٢)، وص (١٦٣) وما بعدها.

(٦) ملك الإنجليز: هو ريتشارد قلب الأسد الذي تولى الحكم في بريطانيا بين سنتي (٥٨٤ هـ ـ ١١٨٩م ـ ٥٩٥ هـ ـ ١١٩٩م خلفاً لأبيه، وقد تميز هذا الملك بالقوة والعنف، وبعد توليه الحكم بسنة شارك بالحملة الصليبية الثالثة على البلاد الإسلامية.
انظر: أوربا العصور الوسطى، د. سعيد عاشور (١/ ٤٧٣)، وتاريخ الحروب الصليبية، د. محمود سعيد عمران، ص (١٤٨).

(٧) انظر: النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق: د. جمال الدين الشيال، ص (٢٧٤).

حيث أسفرت هذه اللقاءات والمحادثات عن تنازل الصليبيين عن القدس وعدم مطالبتهم بها والاكتفاء بالزيارة والحج إلى بعض الأماكن المقدسة لديهم فيها[1].

وكذلك لقاؤه بابن الهنفري[2] وغيره من قادتهم، ومحادثاته الكثيرة مع رسلهم وما أسفرت عنه مجموعة هذه اللقاءات والمراسلات والمحادثات من تغيير فكرة كثير من النصارى الفرنج للمسلمين، والتخفيف من روحهم العدائية الشديدة تجاه المسلمين مما كان له أثره في إزالة بعض عوائق الدعوة الموجهة إليهم.

وكانت وفاة الملك العادل ـ رحمه الله ـ سنة ٦١٥ هـ حيث دفن في دمشق[3].

وممن كان له جهود في هذا المجال الملك الكامل بن العادل وهو محمد ابن أبي بكر بن أيوب، والذي له مساهمات كبيرة في جهاد النصارى ودعوتهم.

ولد الملك الكامل سنة ٥٧٦ هـ[4]، ونشأ في كنف والده، وكان محباً للعلم والعلماء، حريصاً على حفظ الحديث[5]، وله كلام جيد على صحيح مسلم[6]. تولى مصر لوالده الملك العادل، واستقل بها بعد وفاته، ثم امتد نفوذه إلى الشام واليمن والحجاز بعد ذلك.

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص (٢٩٠).

(٢) انظر: المصدر السابق، ص (٣٠٦)، وقد قال عنه ابن شداد: «وهو من أكابرهم وملوكهم ومن أولاد ملوكهم «وكان يجيد اللغة العربية، النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق: د. جمال الدين الشيال، ص (٣٠٢).

(٣) انظر: السلوك لمعرفة دول الملوك، أحمد بن علي المقريزي، تحقيق محمد مصطفى زيادة، الجزء الأول، القسم الأول، ص (١٩٠).

(٤) انظر: المصدر السابق، الجزء الأول، القسم الأول، ص (٢٥٨).

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٢٨/٢٢).

(٦) انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٦/١٣).

من أبرز أعماله في جهاد النصارى ودعوتهم اختطاطه مدينة المنصورة شمال مصر، في مقابل دمياط إثر استيلاء الفرنج عليها، وذلك للمرابطة مدافعة لهم عن مصر وإظهاراً لعزم المسلمين على طردهم؛ حيث كافحهم براً وبحراً حتى أعز الله الإسلام وخذل الكفر.

حيث كانت هذه الوقعة سنة ٦١٨ هـ والتي انتصر فيها المسلمون وأسر عدد من قادة الفرنج وغنم المسلمون فيها الغنائم العظيمة[(١)].

وبعد خضوع الفرنج للمسلمين بعد دمياط وسيطرة المسلمين عليها حضر مجموعة من مقدميهم وقادتهم عند الملك الكامل الذي أعد لهم سماطاً عظيماً فاجتمع عليه المؤمن والكافر والبر والفاجر»[(٢)].

حيث قام أحد شعراء الملك الكامل أثناء ذلك وهنأه بقصيدته ثم وجه الكلام فيها إلى قادة الفرنج الموجودين على سفرة الملك قائلاً:

أعباد عيسى إن عيسى وحزبه ... وموسى جميعاً يخدمون محمداً[(٣)]

وفي ذلك الموقف دعوة مباشرة لقادة النصارى وانتقاد لما هم عليه من اتخاذهم عيسى عليه السلام إلهاً، ووجوب إيمانهم بنبوّة محمد ﷺ، وبيان أن ذلك هو الحق الذي يجب أن يتبعوه ويقروا به؛ إذ لو كان موسى وعيسى عليهما السلام أحياء لما وسعهم إلا اتباع محمد ﷺ.

وللملك الكامل مراسلات عديدة مع بعض قادة الفرنج في شؤون مختلفة،

---

(١) انظر تفاصيل هذه الواقعة في: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (١٠/ ٣٠٧ ـ ٣١١)، والبداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٣/ ١٠٢). والسلوك لمعرفة دول الملوك، أحمد بن علي المقريزي، تحقيق محمد مصطفى زيادة، الجزء الأول، القسم الأول، ص (١٩٤) وما بعدها.

(٢) البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٣/ ١٠٢).

(٣) انظر: المصدر السابق (١٣/ ١٠٢).

وكان من أهمها مراسلاته وسفاراته المتعددة مع فريدريك الثاني ملك صقلية.

حيث أرسل هذا الملك بعدة أسئلة إلى الملك الكامل تصدى للإجابة عنها أحد علمائه ثم أرسلت إليه[1].

وقد أوفد إليه الملك الكامل عدة سفارات منها ما قام به أحد علماء مصر في ذلك الوقت حيث دارت بين هذا العالم وبين الملك الصقلي عدة محاورات علمية[2]. تخللها بعض المفاوضات حول العلاقات مع المسلمين، فعندما طلب فريدريك من الملك الكامل عن طريق الشيخ أن يعيد إليه البلاد التي افتتحها صلاح الدين أفاد بأنه ليس على استعداد بأن يسيء للمسلمين إلى هذا الحد[3].

ويظهر أثر الجهود المبذولة في الدعوة بشكل عام على هذا الملك، ومنها جهود الملك الكامل في إبداء الملك الصقلي إعجابه بالمسلمين خلال زيارته للقدس وتجوله بالأماكن المقدسة الإسلامية، وكان من قوله: «والله إنه كان أكبر غرضي في المبيت بالقدس أن أسمع أذان المسلمين وتسبيحهم في الليل»[4].

وخلال وجوده في قبة الصخرة نظر إلى نافورة بأعلى الحائط فسأل عنها

---

(١) انظر: السلوك لمعرفة دول الملوك، أحمد بن علي المقريزي، تحقيق محمد مصطفى زيادة، الجزء الأول، القسم الأول، ص (٢٣٢).

(٢) ويقال لهذا العالم: فخر الدين بن شيخ الشيوخ يوسف بن حمويه.

انظر: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، محمد بن سالم بن واصل، تحقيق د. جمال الدين الشيال (٤/ ٢٤٣)، والسلوك لمعرفة دول الملوك، أحمد بن علي المقريزي، تحقيق محمد مصطفى زيادة، الجزء الأول، القسم الأول ص (٢٣٠ ـ ٢٣١)، وتاريخ الحضارة الإسلامية في صقلية وأثرها على أوربا، د. حامد زيان غانم، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٧م، ص (١٢٠).

(٣) انظر: تاريخ الحروب الصليبية، ستيفن رانسيمان، ترجمة: د. السيد الباز العريني (٣/ ٣٢٧).

(٤) السلوك لمعرفة دول الملوك، أحمد بن علي المقريزي، تحقيق محمد مصطفى زيادة، الجزء الأول، القسم الأول، ص (٢٣١)، وتاريخ الحروب الصليبية، ستيفن رانسيمان، ترجمة: د. السيد الباز العريني (٣/ ٣٣٥).

فقيل له: لكي ترد العصافير، فقال: «والآن قد بعث الله لكم الخنازير»[1] يقصد بذلك الفرنج النصارى.

ومن جهود الملك الكامل في الدعوة الموجهة إلى النصارى بشكل غير مباشر اهتمامه بالعلم وتشجيع العلماء، وبناء المدارس[2]، ولا يخفى أثر ذلك في قوة الأمة وتماسكها وصمودها أمام شبه النصارى، وكذلك قيام علمائها بفضح افتراءات النصارى بل ودعوتهم إلى الإسلام وإزالة الشبهات المانعة من ذلك لديهم.

وقد كانت وفاة الملك الكامل ـ رحمه الله ـ بقلعة دمشق سنة ٦٣٥ هـ حيث دفن فيها[3].

ومن أبرز الولاة في المشرق الذين كانت لهم جهود كبيرة في دعوة النصارى وجهادهم الملك الظاهر بيبرس العلائي البندقداري الصالحي.

ولد الملك الظاهر سنة ٦٢٥ هـ، وكان من مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب[4]، تربى في خدمته، واستفاد من أخلاقه، وبعد وفاته خدم ابنه المعظم[5]، ثم أخذ يترقى في القيادة إلى أن تولى السلطنة بمصر والشام سنة

---

(١) تاريخ الحروب الصليبية، ستيفن رانسيمان، ترجمة: د. السيد الباز العريني (٣/ ٣٣٥).

(٢) انظر: السلوك لمعرفة دول الملوك، أحمد بن علي المقريزي، تحقيق محمد مصطفى زيادة، الجزء الأول، القسم الأول، ص (٢٥٨ ـ ٢٥٩).

(٣) انظر: المصدر السابق، الجزء الأول، القسم الأول، ص (٢٥٨).

(٤) هو أيوب بن محمد بن أبي بكر بن أيوب (نجم الدين) من كبار ملوك الأيوبيين بمصر، ولد بالقاهرة سنة ٦٠٣ هـ، وولي بعد أن أخلع أخيه العادل سنة ٦٣٧ هـ، كان مهيباً شجاعاً. كانت وفاته بالقاهرة سنة ٦٤٧ هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢٢/ ١٣١)، والبداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٣/ ١٨٨ ـ ١٨٩).

(٥) هو تورانشاه بن أيوب بن محمد (الملك العظيم) تولى بعد أبيه وكان على حصن كيفا في الشام فقدم إلى مصر وقاتل الفرنج وهزمهم ثم تنكر له المماليك بإيعاز من زوجة أبيه شجرة الدر فقتلوه سنة ٦٤٨ هـ وكانت ولايته أربعين يوماً فقط، وبه انتهت دولة الأيوبيين في مصر.

٦٥٨ هـ بعد قتله المظفر قطز[١] أثناء عودته من معركة عين جالوت التي انتصر فيها على المغول[٢].

كان للملك الظاهر نشاط بارز في جهاد النصارى ودعوتهم، ومن ذلك مهاجمة أنطاكية[٣]، ثم مهاجمة الجليل[٤]، واقتحام عكا[٥]، ثم فتحه غزة[٦]، وعدد من مدن الساحل، ثم مهاجمته عكا مرة أخرى[٧] وغير ذلك. حتى أنه لم يبق في يد الفرنج حين وفاته سوى عكا وطرابلس.

ومن جهوده في هذا المجال رسائله إليهم، ومعاهداته معهم وكلها خدمة للإسلام وإعلاءً لكلمة الله.

ومن الأمثلة على ذلك محادثاته معهم ورسائله إليهم في بعلبك سنة ٦٥٩

انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢٣/ ١٩٣)، والبداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٣/ ١٩٢).

(١) هو قطز بن عبدالله من مماليك المعز أيبك، تسلطن في مصر سنة ٦٥٧ هـ بعد خلع ابن المعز أيبك، وقرب بيبرس فقتله بعد منصرفه من معركة عين جالوت ضد التتار واستلم السلطة مكانه. كان مقتله سنة ٦٥٨ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢٣/ ٢٠٠)، والسلوك لمعرفة دول الملوك، أحمد بن علي المقريزي، تحقيق محمد مصطفى زيادة، الجزء الأول، القسم الأول، ص (٤٣٦).

(٢) انظر: المصدر السابق، الجزء الأول، القسم الثاني، ص (٤٨٣).

(٣) الجليل: كتلة جبلية تقع في شمال فلسطين من أهم مدنها حيفا وعكا والناصرة.

(٤) انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٢/ ١٨٣)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، ص (٤٧).

(٥) انظر: السلوك لمعرفة دول الملوك، أحمد بن علي المقريزي، تحقيق محمد مصطفى زيادة، الجزء الأول، القسم الثاني، ص (٤٨٧).

(٦) مدينة غزة: مدينة فلسطينية تقع في أقصى الجنوب الغربي لفلسطين على الحدود المصرية.

انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٤/ ٢٢٩)، وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس، ص (٤١٥).

(٧) انظر: السلوك لمعرفة دول الملوك، أحمد بن علي المقريزي، تحقيق محمد مصطفى زيادة، الجزء الأول، القسم الثاني، ص (٥٦٨).

هـ[1]، وسنة ٦٦١ هـ[2]. ثم رسالته إلى أحد قوادهم إثر نقضهم معاهدة عقدوها معه بشأن عدم تجديدهم بعض الأبنية من حصون ودور عبادة، وكان مما قال في ذلك: «. . . أما تجديد الربض لحفظ الصعاليك فالبلاد ما تحفظ بالأسوار، ولا تحفظ الرعية بالخنادق، ولا تحفظ إلا بأحد أمرين: إما بالسيوف العزائم وإما بإحسان الجيرة وكف الأذى. . . أما قولكم إن قلاعكم لا تخاف إلا الله ولا يجسر أحد أن يصل إليها فسوف ترون كيف يكون الوصول إليها إن شاء الله تعالى»[3].

وفي رسالته له إلى بوهيمند أمير أنطاكية وطرابلس بعد فتحه أنطاكية ناصحاً له بعدم الاستمرار في المعاندة، ومخبراً إياه باسترجاع المسلمين منه كثيراً من الحصون التي سبق أن استولى النصارى عليها، وداعياً له بالهداية، ومن قوله فيها: «. . . ألهمه الله رشده، وقرن بالخير قصده، وجعل النصيحة محفوظة عليه»[4].

وفي هذا المجال أيضاً مراسلاته مع صاحب القسطنطينية التي كانت إحداها في شأن جامع تمّ بناؤه هناك، وكيف تكون رعايته والقيام عليه[5]، كذلك مفاوضاته مع بعض قادتهم، واستقبال رسلهم وإكرامهم بما يعود بالخير على المسلمين، ومن ذلك قدوم رسل الجنيوية إليه سنة ٦٦١ هـ، ورسل ملك القسطنطينية سنة ٦٦٤ هـ. وغير ذلك.

ولهذه الجهود الكبيرة منه في جهاد النصارى ودعوتهم أسلم الكثيرون منهم كما حدث سنة ٦٦٢ هـ[6]. وتودد بعض قادتهم إليه مبدين خضوعهم للمسلمين،

---

(١) انظر: المصدر السابق، الجزء الأول، القسم الثاني، ص (٤٦٣ ـ ٤٦٤).

(٢) انظر: المصدر السابق، الجزء الأول، القسم الثاني، ص (٤٨٥ ـ ٤٨٦).

(٣) انظر نص الرسالة كاملة في: ملاحق السلوك لمعرفة دول الملوك، أحمد بن علي المقريزي، تحقيق محمد مصطفى زيادة، الجزء الأول، القسم الثالث، ص (٩٦٥).

(٤) انظر نص الرسالة كاملة في: المصدر السابق، الجزء الأول، القسم الثالث، ص (٩٦٦).

(٥) انظر: السلوك لمعرفة دول الملوك، أحمد بن علي المقريزي، تحقيق محمد مصطفى زيادة، الجزء الأول، القسم الثاني، ص (٤٧١).

(٦) انظر: المصدر السابق، الجزء الأول، القسم الثاني، ص (٤٩٥).

ومن ذلك قدوم رسول ملك صقلية بهدية إلى الملك الظاهر ومعه رسالة إليه، وفيها قول الرسول على لسان سيده الملك الصقلي: «إن مخدومه أمره أن يكون الملك الظاهر نافذاً في بلاده وأن أكون نائب الملك الظاهر كما أنا نائبه[(١)]. كما طلب البعض الآخر من قادتهم عطف السلطان ورحمته وتعهدوا بكف أذاهم عن المسلمين واستعدوا بالخدمة والطاعة ومن قول بعض رسل هؤلاء: «نحن لا ننقض الهدنة، وإنما نطلب مراحم السلطان في استدامتها، ونحن نزيل شكوى النوّاب، ونخرج جميع الدعاوى، ونفك الأسرى، ونستأنف الخدمة»[(٢)].

وبالإضافة إلى هذه الجهود المباشرة منه ـ رحمه الله ـ تجاه النصارى؛ فإن حفاظه على تماسك الدولة الإسلامية، والضرب على أيدي العابثين، وتحقيق الأمن من أهم أسباب نجاح جهوده الموجهة إليهم.

ومن ذلك حفظه للطرق وتأمين الدروب ولهذا الغرض أحضر بعض أمراء الأعراب وأقطعهم الإقطاعات، وأجرى لهم الأموال مقابل حفظهم الطرق إلى حدود العراق[(٣)].

وفي هذا المجال كان الظاهر شديداً على العابثين بالأمن خصوصاً إذا كانوا ممن يستغلون نفوذهم وسلطتهم في ذلك.

ومما قام به في هذا الشأن أنه نزل ذات ليلة من القلعة لتفقد أحوال الناس متنكراً فرأى أحد قواده اعتدى على امرأة ولم يتجاسر أحد الإنكار عليه، فلما أصبح استدعاه وقطع يده وجماعة من أعوانه[(٤)].

وفي هذا المجال أيضاً عمل الظاهر على تطهير البلاد من المنكرات، ففي أحداث سنة ٦٤٤ هـ: «اشتد إنكار السلطان للمنكر وإراقة الخمور، وعفَّى آثار المسكرات، ومنع الحانات والخواطىء بجميع أقطار مملكته بمصر والشام،

---

(١) انظر: المصدر السابق، الجزء الأول، القسم الثاني، ص (٥١٣).
(٢) المصدر السابق، الجزء الأول، القسم الثاني، ص (٤٨٧).
(٣) انظر: المصدر السابق، الجزء الأول، القسم الثاني، ص (٤٦٥).
(٤) انظر: المصدر السابق، الجزء الأول، القسم الثاني، ص (٥٤٠).

فطهرت البقاع من ذلك»[1].

وفي سنة ٦٦٧ هـ «... كتب السلطان بإزالة الخمور وإبطال الفساد والخواطىء من القاهرة ومصر وجميع أعمال مصر، فطهرت كلها من المنكر... ونفى كثير من المفسدين وكتب السلطان إلى جميع البلاد بمثل ذلك»[2].

وفي هذا الصدد كتب إلى صاحب تونس ينكر عليه المجاهرة بالمنكرات واستخدام الفرنج وعدم قيامه بجهادهم[3].

وبعد حياة حافلة بالجهاد والدعوة توفي الملك الظاهر ـ رحمه الله ـ في دمشق سنة ٦٧٦ هـ[4]. وقد قال أحد الباحثين النصارى: «... وزال بوفاته أكبر عدو للعالم المسيحي منذ صلاح الدين»[5].

وقال: «... ولم يعش بيبرس ليشهد اختفاءها التام ـ أي المدن المتبقية للصليبيين ـ غير أنه جعل ذلك أمراً لا مفر منه»[6].

وهكذا كان لجهود هؤلاء الولاة وأمثالهم في شرق الدولة الإسلامية الأثر الواضح في توحيد كلمة المسلمين وتهيئة الأمة للقيام بواجب الجهاد والدعوة للنصارى، حتى أثرت هذه الجهود المباركة عن توحيد الأمة وتمكينها من رد اعتداء النصارى، وإسلام الكثيرين منهم، وبقاء أعداد كبيرة أخرى تحت حكم المسلمين.

---

(١) المصدر السابق، الجزء الأول، القسم الثاني، ص (٥٥٣).
(٢) انظر: المصدر السابق، الجزء الأول، القسم الثاني، ص (٥٧٨).
(٣) انظر: المصدر السابق، الجزء الأول، القسم الثاني، ص (٦٠١).
(٤) انظر: المصدر السابق، الجزء الأول، القسم الثاني، ص (٦٣٥).
(٥) الحروب الصليبية، ستيفن رانسيمان، ترجمة د. السيد الباز العريني (٣/ ٥٩٦).
(٦) المصدر السابق (٣/ ٥٩٦).

المطلب الثاني

أبرز الولاة والقادة في غرب الدولة الإسلامية

وكما كانت هناك جهود كبيرة لبعض الولاة والقادة في المشرق في جهاد النصارى ودعوتهم فقد كانت لكثير منهم أيضاً جهود مماثلة في غرب الدولة الإسلامية في هذا المجال.

ومن أبرز هؤلاء الذين كان لهم جهد في مواجهة النصارى ودعوتهم يوسف بن تاشفين بن إبراهيم الصنهاجي(١).

كان مولده في الصحراء سنة ٤٠٠ هـ(٢). ونشأ بها وعاصر نشأة الدولة المرابطية إلى أن تولى إمارتها إثر تنازل ابن عمه أبي بكر بن عمر اللمتوني. وهو الذي اختط مدينة مراكش(٣) عاصمة للمرابطين سنة ٤٦٥ هـ(٤).

قال عنه ابن الأثير: «. . . وكان يوسف بن تاشفين حليماً، كريماً، ديناً،

---

(١) انظر: الأنيس المطرب، علي بن أبي زرع الفاسي، ص (١٣٦).

(٢) انظر: المصدر السابق، ص (١٣٧).

(٣) مراكش: تقع حالياً في وسط دولة المغرب بسفح جبال الأطلس الأوسط. وهي مدينة غنية بآثارها من عصر المرابطين والموحدين والسعديين.

انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٥/ ١١١)، والمنجد في اللغة والأعلام، ص (٥٢٨)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، ص (٦٣).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٩/ ٢٥٢).

خيراً، يحب أهل العلم والدين، ويحكمهم في بلاده»[(١)].

كان من أبرز أعماله في مواجهة النصارى نجدته للمسلمين في الأندلس إثر زحف النصارى على الممالك الإسلامية هناك نتيجة لتناحر دول الطوائف، وضعف المسلمين. فكان له مع النصارى الوقائع المشهورة. وكان على يديه إعادة توحيد الأندلس ودفع الخطر النصراني الزاحف.

ومن أشهر وقائعه معهم «معركة الزلاقة سنة ٤٧٩ هـ التي هزم فيها الأذفونش ملك الإفرنج في الأندلس[(٢)]، وأظهر الله الإسلام وأعز أهله»[(٣)].

قال الذهبي عن هذه المعركة: «... ثارت الفرنج بالأندلس فعبر ابن تاشفين ينجد المسلمين فطعن العدو»[(٤)].

ثم تتالت بعد ذلك معاركه مع النصارى، والتي وحد بها الأندلس وأعاد بها هيبة المسلمين هناك.

ولتأكيد عزمه على إعادة نشر الإسلام في الأندلس وجهاد الإفرنج هناك كتب على عملته قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾[(٥)(٦)].

كانت وفاته ـ رحمه الله ـ في مراكش سنة ٥٠٠ هـ[(٧)].

---

(١) الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٩/ ٥٣١).

(٢) انظر: المصدر السابق (٨/ ٣٠٧)، وما بعدها، والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، علي ابن بسام الشنريني، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩م، القسم الثاني، المجلد الأول، ص (٢٥٤ ـ ٢٥٥).

(٣) الأنيس المطرب، علي بن أبي زرع الفاسي، ص (١٤٥)، وما بعدها.

(٤) سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٩/ ٢٥٣).

(٥) سورة آل عمران، الآية: (٨٥).

(٦) انظر: الأنيس المطرب، عليه بن زرع الفاسي، ص (١٥٧).

(٧) انظر: المصدر السابق، ص (١٣٧).

وبعد وفاته تولى ابنه علي الذي قال فيه المراكشي: «سار على سنة أبيه في نشر الإسلام والجهاد في سبيل الله وحماية البلاد وضبط الثغور»[(١)].

ولد سنة ٤٧٧ هـ في سبتة، ونشأ في رعاية والده حيث تولى العديد من المهام والمسؤوليات في الدولة المرابطية إلى أن بويع بالإمارة بعد وفاة أبيه سنة ٥٠٠ هـ[(٢)].

قال عنه الذهبي: «كان شجاعاً، مجاهداً، عادلاً، معظماً للعلماء مشاوراً لهم...»[(٣)].

«وفي عصره أهينت الفلسفة، ومج الكلام ومقت، واستحكم في ذهن علي أن الكلام بدعة، ما عرفه السلف فأسرف في ذلك وكتب يتهدد ويأمر بإحراق الكتب...»[(٤)].

وللعلماء في دولته شأن كبير، إذ كان يوليهم المهام، ويشاورهم في سياسة الدولة، «وكان لا يقطع أمراً في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء، فكان إذا ولّى أحداً من قضاته كان فيما يعهد إليه ألا يقطع أمراً، ولا يبت حكومةً في صغير من الأمور ولا كبير إلا بحضور أربعة من الفقهاء، فبلغوا في أيامه مبلغاً عظيماً لم يبلغوا مثله في الصدر الأول من فتح الأندلس»[(٥)].

وكان الأمير علي بن يوسف ـ رحمه الله ـ بالإضافة إلى حرصه على نشر العلم وتشجيع العلماء في دولته الذين لا يخفى دورهم في التصدي لشبه النصارى

---

(١) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد بن علي المراكشي، تحقيق محمد سعيد العريان، وزميله، مطبعة دار الاستقامة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٦٨ هـ ـ ١٩٤٩م، ص (١٧١).

(٢) انظر: الأنيس المطرب، علي بن أبي زرع الفاسي، ص (١٥٧).

(٣) سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢٠/ ١٢٤).

(٤) المصدر السابق (٢٠/ ١٢٤).

(٥) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي، تحقيق: محمد سعيد العريان، ص (١٧١).

بل ودعوتهم إلى الإسلام، وقيامه بمحاربة البدع وحفظ البلاد؛ فإن له جهوداً كبيرةً في جهاد النصارى بالأندلس، ومن ذلك مثلاً قيامه بغزو مملكة قشتالة النصرانية، وذلك عن طريق أحد قواده، حيث تمكن من اقتحام قلعة إقليج، وتحقيق النصر الحاسم على هذه المملكة النصرانية القوية(١).

ثم عبوره بنفسه للجهاد في الأندلس سنة ٥٠٣ هـ واقتحام طليطلة(٢).

وكذلك فتوحاته الكثيرة في الأندلس عن طريق بعض ولاته ونوابه فيها، كفتح بعض الحصون القريبة من طليطلة سنة ٥٠٧ هـ(٣)، وتأديب أحد قادة النصارى قرب سرقسطة(٤)، ثم جواز الأمير علي بنفسه مرة أخرى إلى الأندلس سنة ٥١٣ هـ، وكذلك سنة ٥١٥ هـ، وكل ذلك من أجل الجهاد وتنظيم البلاد في مواجهة النصارى(٥).

وقد كانت وفاة الأمير علي ـ رحمه الله ـ سنة ٥٣٧ هـ في مراكش(٦).

ومن الولاة في غرب الدولة الإسلامية الذين كان لهم جهد في دعوة النصارى وجهادهم الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي بن يملي بن مروان من قيس عيلان(٧).

---

(١) انظر: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، أحمد بن محمد بن عذاري، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣م، (٤/ ٤٤ ـ ٤٥)، والأنيس المطرب، علي بن أبي زرع الفاسي، ص (١٥٩).

(٢) انظر: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، أحمد بن محمد بن عذاري، تحقيق د. إحسان عباس (٤/ ٥٢).

(٣) انظر: الأنيس المطرب، علي بن أبي زرع الفاسي، ص (١٦٢).

(٤) انظر: المصدر السابق، ص (١٦٢).

(٥) انظر: المصدر السابق، ص (١٥٣ ـ ١٥٤).

(٦) انظر: البيان المغرب، أحمد بن محمد بن عذاري، قسم الموحدين، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني وآخرين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ، ص (٧٩ ـ ٨٠).

(٧) انظر: الأنيس المطرب، ص (١٦٢).

والذي تولى الخلافة سنة ٥٢٤ هـ[١]، «وكان عاقلاً، حازماً، سديد الرأي، حسن السياسة للأمور، كثير البذل للأموال»[٢].

كان له اهتمام كبير في مراقبة عماله ونصحهم ومعاقبة المسيىء منهم، مع حثه إياهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأخذ على أيدي السفهاء حتى أنه عزل ابنه عن ولاية العهد لما ظهر عليه من أمور مخلة بالكرامة[٣].

ومن جهوده في مواجهة الفرنج ودعوتهم مهاجمته بعض حصونهم في الأندلس على يد أحد قواده سنة ٥٥٠ هـ واسترداده للمرية[٤] من أيديهم بعد زحفهم عليها إثر تضعضع أحوال المرابطين في الأندلس، وذلك سنة ٥٥٢ هـ[٥]. كذلك طرد الفرنج من المهدية سنة ٥٥٨ هـ، وإحسانه إلى أسراهم وترغيبهم بالإسلام ودعوتهم إليه[٦].

وقد كانت وفاته في سلا[٧] سنة ٥٥٤٨ هـ حيث حمل إلى تيفل[٨]

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص (٨٠).

(٢) انظر: الكامل في التاريخ (٩/ ٢٩٩).

(٣) انظر: البيان المغرب، أحمد بن محمد بن عذاري، قسم الموحدين، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني، ص (٧٨).

(٤) المرية: مدينة في جنوب شرق إسبانيا على البحر المتوسط.
انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٥/ ١٤٠)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، ص (٧٨).

(٥) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٩/ ٢٤١).

(٦) انظر: المصدر السابق (٩/ ٢٥٧ ـ ٢٦١).

(٧) سلا: مدينة مغربية، تقع حالياً على ساحل المحيط الأطلسي، مجاورة لمدينة الرباط عاصمة المغرب.
انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٣/ ٢٦٢)، وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس، ص (١٦٦).

(٨) تيفل وتسمى حالياً تافليت، مدينة تقع في الوسط الشمالي لدولة المغرب بين مدينتي مكناس الداخلية وسلا الساحلية على المحيط الأطلسي.

ودفن بها[1].

وكان لحفيده يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الذي ولد سنة **٥٥٣** هـ[2] جهود واضحة في هذا المجال.

حيث حرص على دعم الجبهة الداخلية للدولة وتقويتها وتماسكها من خلال قيامه بمحاربة المنكرات والبدع، ولا يخفى أثر ذلك في قوة المجتمع في مواجهة شبه النصارى ونجاحه بالقيام بواجب الجهاد والدعوة.

فقد كان في دولته شديداً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يباشره بنفسه ويكتب إلى عماله في ذلك، فحينما أخبر مثلاً بفشو المنكرات وشرب الخمر وظلم بعض ولاته لرعاياهم «تنكر وغضب لذلك المنكر... فأمر بإراقة المسكرات وقطعها والتحذير بعقاب الموت على استعمالها وأنفذ المخاطبات بذلك إلى كافة ولاته بالأمصار... وضمنت الكتب النافذة بذلك فصولاً في بسط العدل والتأكيد على العمال والولاة بتأنيس الرعية وتوخي رضاهم... وكف أيدي الظالمين منهم»[3].

ومن جهوده في هذا المجال أنه «أمر أصحاب الشرطة بقطع الملهين، والقبض على من شهر من المغنين فثقف من وجد منهم بكل مكان؛ فغيروا هيئاتهم وتفرقوا على الأوطان وبارت سوق القيان»[4].

وكان ـ رحمه الله ـ شديداً أيضاً في محاربة البدع، ومن جهوده في ذلك

انظر: أطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس، ص (١٦٦)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، ص (٦٣).

(١) انظر: البيان المغرب، أحمد بن محمد بن عذاري، قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني، وآخرين، ص (٧٩).

(٢) انظر: المصدر السابق، ص (١٦٦).

(٣) الأنيس المطرب، علي بن أبي زرع الفاسي، ص (١٧٣).

(٤) المصدر السابق، ص (١٧٤).

حبسه لأبي الوليد بن رشد ـ الحفيد[1] ـ لما رفع بعض العلماء ـ في قرطبة له شيئاً من فلسفته وخروجه بذلك عن سنن الشريعة «فلم يمكن المنصور عند اتفاق الطلبة إلا المدافعة عن شريعة الإسلام، والقصد لسنة الرسول عليه الصلاة والسلام، فأمر بحبس أبي الوليد وتفرقة تلاميذه أيدي سبأ، وطلبوا نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء»[2].

أما جهوده في جهاد النصارى ودعوتهم، فمنها قدومه بنفسه إلى الأندلس سنة ٥٩١ هـ ومواجهة النصارى في عدة مواقع[3]، ثم هزيمته للفرنج في معركة الآراك التي شبهها بعض المؤرخين بمعركة الزلاقة لقوتها وأهميتها وأثرها في إعادة هيبة المسلمين في الأندلس. ثم ما تلاها من غزوات قام بها ـ رحمه الله ـ سنة ٥٩٢ هـ[4].

قال صاحب البيان المغرب عن أثر بعض جهود المنصور في نشر الإسلام بالأندلس: «... واصطكت في هذه الحصون المذكورة دعوة الإسلام، وتقوضت في أسبوع واحد ملة الكفر بشريعة محمد عليه الصلاة والسلام»[5].

---

(١) هو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي ـ الحفيد ـ قاضي الجماعة، برع في الفقه والأصول وعلم الكلام، والفلسفة، وغيرها، وألف في هذه الفنون، منها: بداية المجتهد ومختصر المستصفى، والمقدمات، ومجموعة كتب في الفلسفة والمنطق، كان ميلاده سنة ٥٢٠ هـ ووفاته محبوساً لمؤلفاته الفلسفية في دارخ بمراكش سنة ٥٩٥ هـ
سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢١/٣٠٧ ـ ٣١٠)، والديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، إبراهيم بن علي بن فرحون، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرين، ص (٢١٨).

(٢) البيان المغرب، أحمد بن محمد بن عذاري، قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرين ص (٢١٨).

(٣) انظر: الأنيس المطرب، علي بن أبي زرع الفاسي، ص (٢١٨ ـ ٢١٩).

(٤) انظر: البيان المغرب، أحمد بن محمد بن عذاري، قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرين، ص (٢١٨).

(٥) انظر: المصدر السابق، ص (٢٢٣).

ولذلك لما رأى فرنج الأندلس تقدم أبي يوسف واكتساحه لكثير من حصونهم وعدم توانيه في ذلك كفوا أذاهم عن المسلمين، بل طلبوا الصلح على ما اشترطه أبو يوسف[1].

ولشعوره ـ رحمه الله ـ بحال المسلمين في الأندلس في مقابل النصارى، وخشيته على الأندلس من زحفهم عليها، وحرصه على مجاهدتهم فيها أوصى مَنْ بعده في مرض وفاته بالاهتمام بذلك وإيلائه القدر الأكبر من العناية، فكان من قوله: «... أوصيكم بالأيتام واليتيمة»[2]. واليتيمة: الأندلس، والأيتام: هم المسلمون فيها مقابل النصارى.

وقد كانت وفاته ـ رحمه الله ـ في مراكش سنة ٥٩٥ هـ حيث دفن فيها ثم نقل إلى تينمل حيث قبور الموحدين[3].

ومن ولاة الموحدين الذين كان لهم جهد في جهاد النصارى ودعوتهم عمر بن إسحاق بن يوسف بن عبد المؤمن، الذي كان والياً على رباط الفتح وبعد وفاة الخليفة الموحدي علي بن إدريس تولى بعده سنة ٦٤٦ هـ[4].

«كانت أيامه أيام رخاء ورغد مفرط لم ير أهل مراكش مثلها»[5]. وقال صاحب البيان المغرب: «كان ـ رحمه الله ـ إماماً عادلاً، وملكاً فاضلاً، وفقيهاً عالماً، بالسنة والكتاب حاكماً، لم تُعلم له صبوة في صباه»[6].

من جهوده في جهاد النصارى ودعوتهم انتزاعه مدينة سلا منهم بعد زحفهم عليها سنة٦٥٨ هـ[7].

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص (٢٢٨).

(٢) المصدر السابق، ص (٢٣١).

(٣) انظر: المصدر السابق، ص (٢٣٤).

(٤) انظر: الأنيس المطرب، علي بن أبي زرع الفاسي، ص (٢٥٨).

(٥) المصدر السابق، ص (٢٥٩).

(٦) البيان المغرب، أحمد بن محمد بن عذاري، قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرين، ص (٤٤٥).

(٧) انظر: المصدر السابق، ص (٤٢٠) وما بعدها.

ومن جهوده كذلك رسائله الكثيرة للبابا إنوصان الرابع، والتي منها رسالته إليه سنة ٦٤٨ هـ.

حيث دحض في هذه الرسالة عقيدة التثليث، ودعا للبابا أن ينير الله بصيرته ويهديه إلى الحق، ثم طلب منه أن يكون الحبر المكلف بالنظر في شؤون النصارى بالمغرب من ذوي العقل الراجح والأخلاق الحميدة والنزاهة الوافرة[1].

قتل ـ رحمه الله ـ سنة ٦٦٥ هـ قرب مراكش[2].

وهكذا كان لبعض الولاة والقادة في غرب الدولة الإسلامية دور مهم في الحفاظ على الكيان الإسلامي وتوحيد كلمة المسلمين هناك، ودعم المسلمين في الأندلس وإيقاف زحف النصارى عليها، إضافة إلى جهودهم غير المباشرة والمتمثلة في التمكين للعلماء ونشر العلم، ولا يخفى أثر ذلك في نجاح الجهود الدعوية بشكل عام، ومنها الجهود الموجهة إلى النصارى.

---

(١) انظر: دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبدالله عنان، ص (٧٧٩).

(٢) انظر: البيان المغرب، أحمد بن محمد بن عذاري، قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرين، ص (٤٤٤).

المبحث الثاني

القائمون بدعوة المسلمين
للنصارى من العلماء

تمهيـــد

مما لا شك فيه أن الإسلام قد اعتنى بالعلماء وأعلى مرتبتهم ورفع شأنهم، وما ذلك إلا لمهمتهم الجليلة والعظيمة في إرشاد الأمة إلى الخير، ولقيامهم بالدعوة إلى دين الله جلّ وعلا بما استحفظوا من العلم والهدى.

ومما يوضح مكانة العلماء في الإسلام وفضلهم أن الله سبحانه أشهدهم مع شهادته وشهادة ملائكته على أجلّ مشهود به وهو التوحيد، قال سبحانه: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٨﴾[1].

وفضّلهم على غيرهم، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ﴾[2].

وبين نبيّه ﷺ شرف العالم على غيره بقوله: «.... **وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب**»[3].

وأخبر سبحانه وتعالى أن العلماء هم أهل الخشية لله، لتمام معرفتهم به جلّ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٨).

(٢) سورة الزمر، الآية: (٩).

(٣) أخرجه أبو داود، سنن أبي داود، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، (٤/ ٥٧ ـ ٥٨)، وأخرجه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب العلم، باب ماجاء في فضل الفقه على العبادة، (٥/ ٤٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، (٢/ ٦٩٤)، وفي صحيح سنن الترمذي (١/ ٣٤٢).

وعلا، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾(١).

وأي شرف وفضل للعالم الداعية من صلاة الله وملائكته وأهل السموات والأرض عليه، كما قالﷺ: «... **إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلمي الناس الخير**»(٢).

وما هذه المنزلة الرفيعة للعلماء في الإسلام وهذه الفضائل التي خصوا بها إلا لعلمهم الذي استحقوا به وراثة الأنبياء، كما قالﷺ: «... **وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**»(٣)؛ وكذلك لأثرهم الكبير في حياة الأمة، إذ إنهم بعلمهم من أهم أسباب هدايتها والمحافظة على عقيدتها من البدع والمحدثات.

ولكون العلماء هم حراس الديانة من البدعة والضلالة، وسبب هيأه الله للهداية للأمة في كل عصر ومصر، فقد أمر سبحانه وتعالى بتخصيص من يتفرغ لتحصيل العلم وتقوم به الكفاية حيث قال جلّ وعلا: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾(٤).

وكما أن العلماء قد ورثوا العلم من الأنبياء ونالوا الشرف العظيم بذلك فإنهم أيضاً ورثوا مهمة أخرى عظيمة لا تقل عن وراثة العلم، ألا وهي مهمة الدعوة إلى هذا العلم كما قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾(٥).

---

(١) سورة فاطر، الآية: (٢٨).

(٢) أخرجه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، (٥/ ٥٠)، وقال: هذا حديث غريب، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/ ٣٤٣).

(٣) سبق تخريجه في الصفحة السابقة هامش رقم ٣.

(٤) سورة التوبة، الآية: (١٢٢).

(٥) سورة يوسف، الآية: (١٠٨).

ولهذا فقد أدرك سلف الأمة هذا الدور العظيم للعلماء، وشعروا بمسؤوليتهم الكبيرة في طلب العلم والدعوة إليه فقاموا بهذه المهمة الجليلة خير قيام فحرصوا على اكتساب العلم وتحصيله وانطلقت جحافلهم دعاة ومجاهدين من المدينة النبويّة إلى سائر أنحاء الجزيرة العربية في عهد النبيّ ﷺ ثم انتشرت إلى أنحاء المعمورة بعد ذلك في عهد الخلفاء ومن بعدهم.

ولا تزال هذه المهمة العظيمة للعلماء قائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وفي عصر الحروب الصليبية كان العلماء يقومون بهذه المهمة خير قيام، فنبغ الكثير من العلماء في مختلف العلوم وشعروا بمسؤوليتهم في الدعوة بشكل عام ودعوة النصارى على وجه الخصوص، فبذلوا جهوداً مشكورةً في سبيل ذلك من خلال الجهاد، والتعليم، والتأليف، والكتابة، والردود، وغير ذلك. والصفحات التالية تعريف بأبرز علماء الأمة في هذه الفترة الذين كانت لهم جهود واضحة في دعوة النصارى.

المطلب الأول

ابرز العلماء في شرق الدولة الإسلامية

كان لكثير من العلماء في شرق الدولة الإسلامية جهود واضحة في الجهود الدعوية الموجهة إلى النصارى في فترة الحروب الصليبية.

ومن هؤلاء العلماء الإمام محمد بن الوليد بن خلف بن سليمان الطرطوشي، عالم الإسكندرية[١].

نشأ أبو الوليد بالأندلس في بلدة طرطوشة ثم تحول لغيرها من بلاد الأندلس، وأخذ عن عدد من علمائها[٢]، ثم رحل إلى المشرق فحج وزار العراق والشام ومصر حيث استقر بالإسكندرية إلى أن توفي بها سنة ٥٢٠ هـ[٣].

قال عنه صاحب كتاب الصلة: «كان إماماً، عالماً، زاهداً، ديناً، متواضعاً، متقشفاً، متقللاً من الدنيا، راضياً باليسير[٤]. وكانت له الكثير من المؤلفات القيمة منها: سراج الملوك، والتعليقة في الخلافيات، وردٌّ على كتاب إحياء علوم

---

(١) انظر: الديباج المذهب، إبراهيم بن علي بن فرحون، تحقيق د. محمد الأحمدي أبو النور (٢/ ٢٤٤).

(٢) انظر: المصدر السابق (٢/ ٢٤٤).

(٣) انظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد مخلوف، القاهرة، ١٣٤٩ هـ، ص (١٢٤ ـ ١٢٥).

(٤) الصلة، خلف بن عبدالله بن بشكوال، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦م، (٢/ ٥٧٥ ـ ٥٧٦).

الدين، وكتاب الحوادث والبدع، وغيرها[١].

ومن جهوده ـ رحمه الله ـ في دعوة النصارى كتابه: «الرد على النصارى»[٢].

وكان كثير التحذير من كيدهم ومكرهم وشبههم خصوصاً لدى القادة المسلمين، ومن ذلك: أنه دخل ذات يوم على الأفضل[٣] ابن أمير الجيوش في مصر، وكان بجانبه نصراني يعتمد عليه في بعض المهمات، فلما وعظ الطرطوشي الأفضل أنشد بيتين يعرض فيهما بالنصراني ومحذراً الأفضل من تقريبه والاعتماد عليه، وهي:

يا ذا الذي طاعته قربة　　وحقه مفترض واجب
إن الذي شرفت من أجله　　يزعم هذا أنه كاذب

وأشار إلى النصراني، أي أن هذا النصراني يزعم أن محمداً ﷺ كاذب فيما جاء به. فأقام الأفضل النصراني من مجلسه[٤].

ومن جهوده غير المباشرة في دعوة النصارى مساهمته في علمه وتدريسه ووعظه حماية للمجتمع من البدع والتحذير منها، ولا يخفى أثر ذلك في قوة المجتمع المسلم وصموده أمام الشبهات والشهوات وما يؤدي إليه ذلك من دعم

---

(١) انظر: المصدر السابق (٢/ ٥٧٦)، وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٩/ ٤٩٤).

(٢) ذكره المستشرق الألماني مورتز شتاينشنيدر في الأدب الجدلي والدفاعي في اللغة العربي بين المسلمين والنصارى واليهود، ص (١٤٤)، انظر: علم دراسة الأديان عند المسلمين، د. محمود قدح، نشر دار البخاري، المدينة النبويّة، ص (٦٢).

(٣) هو الملك الأفضل أبو القاسم شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالي الأرمني، قدم مع أبيه من عكا حيث تولى وزارة العبيديين بمصر بعد والده فسددها بعد فسادها. كان وافر الهيبة عظيم الرتبة. اغتيل سنة ٥١٥ هـ عن سبع وخمسين سنة.
انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٩/ ٥٠٧ ـ ٥١٠)، والبداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرين، ص (١٣/ ٢٠٢).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٩/ ٤٩٢).

الجهود المبذولة في جهاد النصارى ودعوتهم[(١)(٢)].

ومن له جهود في دعوة النصارى في هذه الفترة نصر بن يحيى بن عيسى بن سعيد المتطبب[(٣)]، والذي عاش بعد سنة ٤٤٩هـ.

ومن خلال كتابه ـ النصيحة الإيمانية ـ وبعض الترجمات اليسيرة عنه يتضح أنه نصراني يعمل بالطب، ثم أسلم بعد بحث ونظر[(٤)].

ويرجح أحد الباحثين[(٥)] أن نصر هذا هو نفسه الذي ترجمت له بعض المصادر باسم يحيى بن يحيى بن سعيد المتطبب النصراني، المتوفّى في البصرة سنة ٥٨٩هـ.

وقد تمثل جهد نصر بن يحيى بعد إسلامه في دعوة النصارى شعوره بمسؤوليته في دعوة قومه، فاستغل معرفته بديانتهم واطلاعه على تحريفاتهم وشبهاتهم فألف كتاباً في ذلك، «وحيث أنقذني الله من الشريعة التي نسخت، والملة التي طمست، وشرفني الله بدين الإسلام... أحببت أن أذكر نبذاً من أحوال النصارى...»[(٦)].

حيث ذكر في هذا الكتاب نبذاً من أحوال النصارى وفرقهم ومذاهبهم

---

(١) انظر: المبحث الثاني من الفصل الرابع.

(٢) للاستزادة في ترجمة الطرطوشي انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، إبراهيم بن علي بن فرحون، تحقيق د. محمد الأحمدي أبو النور (٢/ ٢٤٤ ـ ٢٤٨). والصلة، خلف بن بشكوال (٢/ ٥٧٥ ـ ٥٧٦)، وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٩/ ٤٩٠ ـ ٤٩٦).

(٣) انظر: كشف الظنون، حاجي خليفة، دار العلوم الحديث، بيروت، ١٣٦٩ هـ ـ ١٩٤١م، (٢/ ١٩٥٧ ـ ١٩٥٨)، وهدية العارفين بأسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي، دار العلوم الحديث، بيروت (٦/ ٤٩٢).

(٤) انظر: المصدرين السابقين، والنصيحة الإيمانية، نصر بن يحيى المتطبب، تحقيق د. محمد الشرقاوي، ص (٤٨)، وما بعدها، وكذلك مقدمة المحقق، ص (١٥) وما بعدها.

(٥) وهو د. محمد الشرقاوي في مقدمة تحقيقه لكتاب النصيحة الإيمانية، ص (١٧).

(٦) النصيحة الإيمانية، نصر بن يحيى المتطبب، تحقيق د. محمد الشرقاوي، ص (٥١).

وأناجيلهم وأبرز معتقداتهم التي أوضح أنه لا يعول عليها وليس لها أصل أو برهان أو حجة تقوم عليها[1]. ثم وجه هذا الكتاب ابتداءً إلى علمائهم ومقدميهم لعلهم يرجعون عن ضلالهم وغيهم وطغيانهم.

ومن أبرز العلماء الذين لهم جهود في دعوة النصارى في شرق الدولة الإسلامية العلامة عبد الرحمن بن علي بن محمد بن جعفر الجوزي نسبة إلى محلة في البصرة يقال لها جوزة[2].

ولد ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ سنة ٥١٠ هـ في بغداد ونشأ بها يتيماً[3]، ولما بلغ سن التمييز بدأ بطلب العلم حتى استسهل كل صعب واستحلى كل مر في سبيل تحصيله حيث قال عن ذلك: «... ولقد كنت في حلاوة طلبي العلم ألقي من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل لأجل ما أطلب وأرجو»[4].

ولم يقتصر ابن الجوزي على فن واحد من فنون العلم بل كان له في كل فن مشاركة بل نبوغ في كثير منها، وقد قال عن نفسه: «... ولم أقنع بفن واحد، بل كنت أسمع الفقه والحديث، وأتبع الزهاد، ثم قرأت العربية، ولم أترك أحداً ممن يروي ويعظ، ولا غريباً يقدم، إلا وأحضره وأتخير الفضائل»[5].

قال عنه الذهبي: «وله في كل علم مشاركة، لكنه كان في التفسير من الأعيان، وفي الحديث من الحفاظ، وفي التاريخ من المتوسعين، ولديه فقه كاف، وأما السجع الوعظي فله فيه ملكة قوية»[6]. ووصفه بـ«الإمام العلامة

---

(١) انظر: المصدر السابق (٥١ ـ ٥٢).

(٢) انظر: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، يوسف بن قزأوغلي «سبط ابن الجوزي»، حيدرآباد، ١٩٥١م، (٨/ ٣١٠).

(٣) انظر: المصدر السابق (٨/ ٣١٠).

(٤) صيد الخاطر، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص (٢٣٥).

(٥) المنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله، (١/ ١٧).

(٦) تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد الذهبي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، الهند، ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٨م، (٤/ ١٣٤٦ ـ ١٣٤٧).

الحافظ المفسر شيخ الإسلام»[1]، وقال عنه: «كان ذا حظ عظيم، وصيت بعيد في الوعظ، يحضر مجالسه الملوك والوزراء وبعض الخلفاء والأئمة والكبراء»[2].

كان ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ كثير التصانيف؛ حيث أوصلها بعضهم إلى ٥١٩ كتاباً مما أوردته المصادر منسوباً إليه[3].

فمن تصانيفه في الوعظ: التبصرة، والمنتخب، وصيد الخاطر.

وفي الفقه: الإنصاف في مسائل الخلاف، وعمدة الدلائل في مشهور المسائل.

وفي التاريخ: المنتظم، ومناقب الإمام أحمد، ومناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومناقب عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ.

وفي التفسير: زاد المسير في علم التفسير، والمغني.

وفي الحديث: جامع المسانيد، والموضوعات[4].

ولابن الجوزي جهود بارزة في الدعوة بشكل عام في عصره، وقد كان لجهوده الأثر الكبير في مجتمعه في ذلك الوقت، وذلك من خلال مجالس وعظه ودروسه وتصانيفه واحتسابه، وقد قال عن ذلك: «... ولقد جلست يوماً فرأيت حولي أكثر من عشرة آلاف ما منهم إلا وقد رق قلبه، أو دمعت عينه»[5].

وقال: «... ولقد تاب على يدي في مجالس الذكر أكثر من مائتي ألف»[6][7].

---

(١) سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢١/ ٣٦٥).

(٢) المصدر السابق (٢١/ ٢٧٠).

(٣) انظر: بيبلوجرافيا عن مؤلفات ابن الجوزي، عبد الحميد العلوجي، بغداد، ١٩٦٥م.

(٤) انظر: المرجع السابق.

(٥) صيد الخاطر، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، ص (٢٣٦).

(٦) المصدر السابق، ص (٢٣٦).

(٧) قد يكون قصد ابن الجوزي قد ذكر هذا الرقم التعبير عن كثرة من اهتدى على يديه وليس الحصر.

وكان شديداً على المبتدعة والمتصوفة وله الجهود الكثيرة في محاربتهم والرد عليهم. ولا يخفى أثر هذه الجهود في دعم الجهد الدعوي الموجه إلى النصارى، إذ إن ذلك مما يؤدي إلى تماسك المجتمع والحفاظ عليه من خطر البدعة وضعف اليقين الذي قد يفضي إلى تقبل شبه النصارى والضعف أمامهم فكرياً وعسكرياً.

أما جهود ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ المباشرة في دعوة النصارى فقد كان منها بيانه لضلالهم، ونقده لبعض عقائدهم والتحذير منها[١].

وقد قال عن آثار دعوته للنصارى مبيناً اهتداء الكثيرين منهم على يديه: «... وأسلم على يدي نحو مائتين من أهل الكتاب»[٢].

وكانت وفاة ابن الجوزي بعد حياة حافلة بالعلم والدعوة في رمضان من سنة ٥٩٧ هـ في بغداد[٣]. ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ.

ومن علماء هذه الفترة الذين لهم جهود في دعوة النصارى الشيخ محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي الرازي نسبة إلى الري، حيث ولد بها سنة ٥٤٤ هـ، ونشأ هناك ثم ارتحل في طلب العلم[٤]. وكان متكلماً على مذهب الأشعري وصنف في ذلك ثم رحل في آخر حياته.

---

(١) انظر على سبيل المثال: كتابه: تلبيس إبليس، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، ص (٧٣)، وكتابه: كيد الشيطان، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، ص (٨٨).

(٢) انظر: لفتة الكبد إلى نصيحة الولد، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق مروان العبد، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٤٠٥ هـ، ص (٣٢).

(٣) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (١٠/ ١٨١ ـ ١٨٢)، وانظر للتوسع في ترجمته: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢١/ ٣٦٥)، وما بعدها، والبداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٣/ ٣١ ـ ٣٣)، ومقدمة تحقيق كتابه المنتظم.

(٤) انظر: طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق عبد الفتاح الحلو وزميله، (٨/ ٨٥).

قال عنه الذهبي: «وقد بدت منه في تواليفه بلايا وعظائم وسحر وانحرافات عن السنة والله يعفو عنه، فإنه توفي على طريقة حميدة...»[١].

وقال عنه ابن الأثير: «... كان إمام الدنيا في عصره...»[٢].

وقد قال الرازي مبيناً ندمه على الخوض في علم الكلام: «... لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن»[٣].

وكان الرازي كثير التصانيف، ومن أشهرها: مفاتيح الغيب في التفسير، والمحصول في أصول الفقه، وله مؤلفات كثيرة في علم الكلام والفلسفة ولكنه تاب من ذلك ورجع عنه وندم عليه.

وكان من جهوده في دعوة النصارى في هذه الفترة مناظراته الكثيرة معهم والتي منها مناظرته المشهورة مع أحد قساوسة أصبهان[٤][٥].

وكان في مناظراته مع النصارى ظاهر الحجة واضح البرهان، لا يجرؤ كثير منهم لذلك على التصريح بمعتقده أمامه.

حتى قيل عنه: «وما من نصراني رآه إلا وقال: أيها الفرد لا نقول بالتثليث بين يديك»[٦].

---

(١) سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢١/ ٥٠١).

(٢) الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (١٠/ ٢٧٥).

(٣) سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢١/ ٥٠١).

(٤) أصبهان أو أصفهان: مدينة تقع حالياً في وسط إيران بين طهران وشيراز.
انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (١/ ٢٤٤)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، ص (٦٩).

(٥) انظر: عيون المناظرات، عمر السكوني، تحقيق سعد غراب، منشورات الجامعة التونسية، ١٩٧٦م، ص (٢٨٣ ـ ٢٨٧).

(٦) طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق عبد الفتاح الحلو وزميله (٨/ ٨٤).

ومما يضاف إلى جهوده في هذا المجال عرضه لعقائد النصارى وبيانها والرد عليها وذلك في بعض كتبه[(١)].

وإسهابه في ذلك في تفسيره عند الآيات التي تتحدث عن النصارى حيث يعرض الكثير من عقائدهم وشبهاتهم مبطلاً ومفنداً لها.

وقد كانت وفاة الرازي بهراة[(٢)] يوم عيد الفطر سنة ٦٠٦ هـ[(٣)].

ومن علماء المشرق الذين كان لهم جهد في مواجهة النصارى خصوصاً في مجال التأليف الشيخ عبد القادر بن عبدالله الفهري الرهاوي الحراني، والذي كان مولده بالرها سنة ٥٣٦ هـ، وكان من حفاظ الحديث ومن علماء التراجم[(٤)].

كان من جهوده في دعوة النصارى كتابه: «الرد على النصارى»[(٥)]. وكانت وفاته ـ رحمه الله ـ سنة ٦١٢ هـ[(٦)].

---

(١) انظر مثلاً: كتابه اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، ص (١١٥).

(٢) هراة تقع حالياً في شمال غرب أفغانستان، قرب الحدود الإيرانية، وهي من أهم محطات القوافل التجارية قديماً. انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، (٥/ ٤٥٦)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون (٧٣).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢١/ ٥٠١)، وانظر للتوسع في ترجمته: وفيات الأعيان، أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق د. إحسان عباس، (٤/ ٢٤٨) وما بعدها. وطبقات المفسرين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦م، ص (١٠٠ ـ ١٠١)، وطبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق عبد الفتاح الحلو وزميله (٨/ ٨١) وما بعدها.

(٤) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة، عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي «ابن رجب»، دار المعرفة، بيروت، (٢/ ٨٢).

(٥) ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (١/ ٨٣٨).

(٦) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة، عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي، «ابن رجب» (٢/ ٨٦).

ومِمن ألف في الرد على النصارى من علماء المشرق علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني القفطي الذي ولد بقفط من صعيد مصر وسكن حلب إلى أن مات بها حيث تولى قضاءها أيام الملك الظاهر ثم تولى الوزارة للملك العزيز[١].

قال عنه الذهبي: «جمع من الكتب شيئاً كثيراً يتجاوز الوصف»[٢]. وكان من تصانيفه: تاريخ النحاة، وأخبار المصنفين وما صنفوه، وتاريخ مصر وغيرها[٣].

ومن مشاركته في الجهود المبذولة في دعوة النصارى كتابه: «الرد على النصارى»[٤].

وكانت وفاة القفطي ـ رحمه الله ـ في حلب سنة ٦٤٦ هـ[٥].

وفي خوارزم في شرق الدولة الإسلامية كان للمختار بن محمود بن محمد الزاهدي جهود في مواجهة النصارى، والتي كان منها: «رسالة في المناظرة بين المسلمين والنصارى» و«رسالة في ذكر المخالفين لنبوّة نبيّنا محمدﷺ والجواب عن شبههم وإثبات نبوّة محمدﷺ»[٦].

وكان للزاهدي مناظرات مع علماء النصارى أمام الملك بركة خان[٧]

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢٣/ ٢٢٧)، وحسن المحاضرة، عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (١/ ٥٥٤).

(٢) المصدر السابق (٢٣/ ٢٢٧).

(٣) انظر: المصدر السابق (٢٣/ ٢٢٧).

(٤) مخطوط ذكره المستشرق الألماني مودتز في الأدب الجدلي، ص (١٣٦)، انظر: علم دراسة الأديان عند المسلمين، د. محمود قدح، ص (١٢٩).

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢٣/ ٢٢٧).

(٦) هذان الكتابان مخطوطان ذكرهما المستشرق الألماني مورتز في الأدب الجدلي، ص (٥٧ ـ ٦٣)، انظر: علم دراسة الأديان عند المسلمين، د. محمود قدح، ص (٦٥).

(٧) بركة خان كبير الخوارزمية مات سنة ٦٤٤ هـ لما هزم أصحابه عند بحيرة حمص من قبل الأيوبيين.
انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢٣/ ١٤٨)، والبداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٣/ ١٨٤).

المغولي، حيث جمع بعض ما ألفه في هذا المجال بكتاب أسماه: «الرسالة الناصرية» وأهداه للملك المغولي دعماً منه في مواجهة النصارى ودعوتهم[1].

وقد كانت وفاة الزاهدي ـ رحمه الله ـ سنة ٦٥٨ هـ[2].

ومن العلماء البارزين في دعوة النصارى في المشرق في هذه الفترة الشيخ صالح بن الحسين بن طلحة بن الحسن بن محمد الهاشمي الجعفري[3] الذي كان مولده بمصر سنة ٥٨١ هـ[4].

قال عنه الذهبي: «صالح بن الحسين القاضي الجليل، الإمام تقي الدين أبو البقاء الهاشمي، كان رئيساً نبيلاً عارفاً بالأدب، ولي قضاء قوص مدة، وله خطب ونظم ونثر وتصانيف»[5].

كان الجعفري كثير المناظرة لرهبان النصارى، حيث يدل على ذلك بعض الإشارات في كتبه، ومن ذلك مثلاً قوله: «... ولقد فاوضني بعض الرهبان ممن يدعي بناناً في البيان[6]. وقوله: «لقد فاوضت بعض النصارى فيما يتعلق بألفاظ البنوة...»[7]، وقوله: «... قلت لنصراني من عقلائهم...»[8].

---

(١) انظر: الرسالة الناصرية، مختار بن محمود الزاهدي، تحقيق محمد المصري، منشورات مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤م.

(٢) انظر: الفوائد البهية في تراجم الحنفية، محمد عبد الحي اللكهنوي، مصر، ١٣٢٤ هـ، ص (٢١٢)، والأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٩٩٠ م (٧/ ١٩٣).

(٣) انظر: ذيل مرآة الزمان، موسى بن محمد اليونيني، مطبعة محاسن دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٤م (٢/ ٤٣٨).

(٤) انظر: النجوم الزاهرة، يوسف بن تغري بردي (٦/ ٩٨).

(٥) تاريخ الإسلام، محمد بن أحمد الذهبي، مخطوطة بمكتبة الجامعة الإسلامية، ورقة ٧٤/أ.

(٦) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (١/ ٢٥٠).

(٧) المصدر السابق (١/ ٢٣٣).

(٨) المصدر السابق (١/ ٣٥٣).

ومن جهود الجعفري في هذا المجال اهتمامه بما يصدر عن نصارى الفرنج تجاه المسلمين وتصديه لشبههم والرد عليها وتفنيدها. ففي كتابه «الرد على النصارى» أشار إلى أن الدافع له لتأليفه أسئلة وردت من الفرنج يمتحنون بها المسلمين إذ يقول: «... وقفت على مسائل ذكر أن الفرنج بعثوا بها يمتحنون أهل الإسلام، فنظرت فيها فإذا هي خالية من الفوائد الدينية عاطلة عن المنافع الدنيوية»(١).

أما التأليف في هذا المجال فكان للجعفري الجهد الواضح فيه دعوةً لهم، ورداً على شبههم، وبياناً للحق الذي اشتبه على كثير من عامتهم؛ حيث استشعر هذه المهمة الجليلة في دعوة النصارى، فبين أن من أسباب تأليفه مثلاً لكتاب تخجيل من حرف التوراة والإنجيل هو رجاء هدايتهم «فعسى الله أن يقدر هداية بعضهم، ونحن مأمورون بدعائهم إلى سبيل ربنا بالحكمة والموعظة الحسنة»(٢). إضافة إلى طلب بعض أهل العلم أن يؤلف لهم كتاباً يعينهم في مواجهة النصارى «فزعم جماعة أني عارف بكتبهم، خبير بمخاريقهم وكذبهم... وقالوا: لو أبرزت لُمَعاً تكون على الحق علماً؟ فأجبتهم لوجوب حقهم، ورجوت الحياء عند وميض برقهم»(٣).

ومما دفعه إلى التأليف أيضاً تعليم الحجة في الرد عليهم، وإلزامهم بمقتضى أصولهم «وهذا مما يعين على دعوتهم»(٤). مع ما في ذلك من ترسيخ لإيمان المسلم بإظهار الآيات من كتبهم التي توافق القرآن، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾(٥).

---

(١) الرد على النصارى، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق: د. محمد محمد حسانين، ص (٥٦).

(٢) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (١/ ١٠٣).

(٣) المصدر السابق (١/ ١٠٣).

(٤) المصدر السابق (١/ ١٠٣).

(٥) سورة الأعراف، الآية: (١٥٧).

«وكثرة الأدلة توجب الطمأنينة وتثلج الصدور»[1].

ولهذا الغرض الجليل المتمثل في دعوة النصارى إلى الإسلام وردّ شبههم وكشف باطلهم ليتسنى لمن حجب عنه الحق منهم أن يعرفه قام الجعفري بتأليف عدد من الكتب منها: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، وكتاب الرد على النصارى، وكتاب الواضح المشهود في فضائح النصارى واليهود.

ومما يضاف إلى جهود الجعفري في دعوة النصارى إلى الإسلام اعتماد الملك الكامل عليه في بعض الأحيان للرد على أسئلة النصارى ومناقشتهم.

فعندما أرسل ملك الروم رسالة إلى الملك الكامل سنة ٦١٨ هـ متضمنة بعض الأسئلة للمسلمين كان ممن كلف بالإجابة عليها الجعفري[2].

وقد كانت وفاته ـ رحمه الله ـ سنة ٦٦٨ هـ بالقاهرة حيث دفن بالمقطم[3].

وممن كان كثير المخالطة لأهل الذمة من العلماء في المشرق، ومن شعر بخطورة التفرق على الأمة والأثر السيىء للفرق المختلفة على المسلمين، ومنهم النصارى الشيخ عباس بن منصور الترعي السكسكي الحنبلي المولود سنة ٦١٦ هـ في تعز باليمن حيث نشأ فيها حتى عُدَّ من علمائها وتولى القضاء فيها[4].

ومن جهود السكسكي في دعوة النصارى تأليفه كتاباً أبرز فيه معتقدات بعض الفرق السائدة في عصره على سبيل التحذير منها، ومن هذه الفرق: النصارى.

وقد بين السبب الذي دفعه إلى ذلك بقوله: «لما رأيت أهل العلم والسنة يأخذون في النقصان، وأهل الأهواء والمذاهب يكثرون في الأقطار والبلدان، ويهدمون بتلبيسهم قواعد الإسلام؛ أحببت أن أجمع مختصراً أذكر فيه قواعد

---

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (١/١٠٢ ـ ١٠٣).

(٢) انظر: الواضح المشهود ورقة ٢.

(٣) انظر: ذيل مرآة الزمان، موسى بن محمد اليونيني (٢/٤٣٨).

(٤) انظر: هدية العارفين، إسماعيل باشا البغدادي (١/٤٣٨).

الثلاث وسبعين فرقة التي ذكرها رسول الله ﷺ. . . وأذكر بعض عقائدها الفاسدة وتأويلاتها الباردة على طريق الاختصار؛ ليعرفهم بذلك من جهلهم، ويتحفظ عنه من سألوه أو سألهم، ثم أذكر بعد ذلك نُبذاً من اعتقاد بعض ضلال الأمم السالفة»[١].

حيث أفرد السكسكي مبحثاً عن النصارى وضح فيه بعض معتقداتهم وفرقهم على سبيل التحذير منهم وبيان باطلهم[٢].

وقد كانت وفاة السكسكي ـ رحمه الله ـ سنة ٦٨٣ هـ[٣].

ومن أبرز علماء المشرق الذين لهم جهود كبيرة في دعوة النصارى الشيخ أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المصري الصنهاجي القرافي المولود سنة ٦٢٦ هـ بمصر[٤].

والصنهاجي نسبة إلى قبيلة صنهاجة البربرية، والقرافي نسبة إلى القرافة[٥]، وهي المحلة المجاورة لقبر الشافعي ـ رحمه الله ـ.

ولمكانة القرافي العلمية في مصر فقد أثنى عليه كثير من العلماء، فمن ذلك قول صاحب الديباج عنه «. . . أحد الأعلام المشهورين، انتهت إليه رئاسة الفقه على مذهب مالك»[٦].

---

(١) البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، عباس بن منصور السكسكي الحنبلي، تحقيق د. بسام العموش، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الطبعة الثانية، ١٤١٧ هـ، ص (١٣ ـ ١٤).

(٢) انظر: المصدر السابق، ص (٩١ ـ ٩٢).

(٣) انظر: هدية العارفين، إسماعيل باشا البغدادي (١/ ٤٣٨).

(٤) انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، إبراهيم بن علي بن فرحون، تحقيق د. محمد الأحمدي أبو النور (١/ ٢٣٦).

(٥) انظر: المصدر السابق (١/ ٢٣٨).

(٦) انظر: المصدر السابق (١/ ٢٣٦).

وعده السيوطي[1] من طبقة المجتهدين بمصر[2].

وللقرافي العديد من المصنفات في كثير من الفنون خاصةً في الفقه وأصوله، فمن مصنفاته: الذخيرة في الفقه المالكي، واليواقيت في أحكام المواقيت، والأحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام، والبروق في أنواع الفروق في القواعد الفقهية، والاستغناء في أحكام الاستثناء[3]. إلى غير ذلك.

أما جهوده في دعوة النصارى فتتمثل في مناظراته الكثيرة معهم والرد على شبههم، ودعمه للسلطة في قوته في مواجهتهم.

فمما يدل على كثرة مناظراته مع النصارى قوله في أحد كتبه: «... اتفق لي مع كثير منهم في المناظرة أني أطالبه بتصوير مذهبه كيف يمكن إقامة الدليل عليه...»[4].

وقد اعتنى ـ رحمه الله ـ في الرد على شبههم، ومن ذلك تخصيص الباب الثاني في كتابه الأجوبة الفاخرة في الرد عليها وتفنيدها حيث قال: «الباب الثاني في أسئلة لأهل الكتاب النصارى واليهود عادتهم يتولوعون بإيرادها... والجواب عنها...»[5].

---

(١) هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين السيوطي، جلال الدين، إمام حافظ، مؤرخ، أديب، له نحو ستمائة مصنف، كان مولده في القاهرة سنة ٨٤٩ هـ ووفاته فيها سنة ٩١١ هـ. من كتبه: تفسير الجلالين، والأشباه والنظائر، وتاريخ الخلفاء، وحسن المحاضرة، والإتقان وغير ذلك.

انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن عماد الحنبلي، تحقيق محمد الأرناؤوط، (١٠/ ٧٤ ـ ٧٩)، والكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة، نجم الدين محمد الغزي، تحقيق جبرائيل سليمان جبور، نشر محمد أمين دمج وشركائه، بيروت، (١/ ٢٢٦ ـ ٢٣١).

(٢) انظر: حسن المحاضرة، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (١/ ١٢٧).

(٣) الديباج المذهب، إبراهيم بن علي بن فرحون، تحقيق د. محمد الأحمدي أبو النور (١/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨).

(٤) الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١١١).

(٥) المصدر السابق، ص (٣).

ومن مشاركته ودعمه للسلطة في وقته في مواجهة النصارى ودعوتهم تأليفه كتاب «أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية» وإهدائه للملك الكامل الذي كان الصراع العسكري والفكري في وقته على أشده مع الصليبيين، وقد قال القرافي في ذلك: «... فرأيت أن أؤلف لمولانا السلطان أعزه الله تعالى في الرد عليهم كتاباً أتحفه فيه بغريبه، وانفرد فيه بطريقة عجيبة، أجمع فيه مذاهبهم على جليتها، وأخاطبهم بفصوص نصوصهم، وأجادلهم بها مجادلة الأقران، وأبارزهم على نقضها مبارزة الشجعان...»[(١)].

والقرافي كان مستشعراً لأهمية الدعوة إلى الإسلام بشكل عام وأن الذب عن الدين والدعوة إليه أسمى ما تصرف فيه الهمم حيث قال: «أجلت طرف الفكر ميدان النظر أي فن أقصد إليه، وأرجو من الله أن يثيبني عليه، فظهر لي أن أولى ما تصرف إليه الهمم، وتتفاوت فيه القيم، وتتنافس فيه الأفاضل، وتتميز به المفضول من الفاضل الذب عن حوزة الدين وحراسة بيضة المسلمين بالبحث في الملل والأديان، وإقامة الدليل على وحدانية الملك الديان...»[(٢)]. ثم وضح القرافي أن أولى من يدعى إلى ذلك هم النصارى حيث قال: «فنظرت في أهل الشرائع والمذاهب، وتفكرت فيمن هو فيها عن التوحيد ذاهب، فلم أجد سوى مذهب النصارى الضالين الحيارى...»[(٣)].

ومن الكتب أيضاً التي ألفها القرافي في هذا المجال كتاب «الأقوال القديمة في حكم النقل من الكتب القديمة».

وبعد حياة حافلة بالعلم والدعوة توفي القرافي في جمادى الآخرة من سنة ٦٨٤ هـ بالقاهرة ـ رحمه الله رحمة واسعة[(٤)].

---

(١) أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية، أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق د. عبد الرحمن دمشقية، ص (٢٠).

(٢) انظر: المصدر السابق، ص (٢٠).

(٣) انظر: المصدر السابق، ص (٢٠).

(٤) انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، إبراهيم بن علي بن فرحون، تحقيق د.

والشيخ عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدميري المعروف بالديريني المولود سنة ٦١٢ هـ في مصر والذي كان فقيهاً له العديد من الكتب منها: التيسير في علم التفسير، وطهارة القلوب في الخضوع لعلام الغيوب وغيرها؛ كان له أيضاً مشاركة في دعوة النصارى والرد عليهم، تمثل ذلك في كتابه: «إرشاد الحيارى في الرد على النصارى» وقد كانت وفاة الديريني في مصر سنة ٦٩٤ هـ[(١)].

والبوصيري محمد بن سعيد بن حماد بن محسن الصنهاجي المولود في بلدة دلاص بمصر سنة ٦٠٨ هـ ووفاته في بوصير بمصر سنة ٦٩٥ هـ[(٢)] كانت له أيضاً مشاركة في الرد على النصارى في هذه الفترة من خلال منظومته وتعليقاته عليها والتي عرض فيها لبعض عقائدهم منتقداً لها ومحذراً منها ومطالباً إياهم بالإيمان بنبوّة محمد ﷺ[(٣)].

محمد الأحمدي أبو النور (١/ ٢٣٩)، وكشف الظنون، حاجي هليفة (٢/ ١١٥٣)، وحسن المحاضرة، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (١/ ١٢٧)، ومقدمة د. عبد الرحمن دمشقية في تحقيقه لكتاب القرافي: أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية.

(١) انظر: طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق عبد الفتاح الحلو وزميله (٥/ ٧٥)، وهدية العارفين، إسماعيل باشا البغدادي،(٥/ ٥٨٠)، وحسن المحاضرة، عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (١/ ٤٢١).

(٢) انظر: حسن المحاضرة، عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (١/ ٥٧٠).

(٣) انظر: منظومة الإمام الأبوصيري في الرد على النصارى واليهود، تأليف وشرح محمد بن سعيد الأبوصيري، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا.

المطلب الثاني

أبرز العلماء في غرب الدولة الإسلامية

في الوقت الذي كان الصراع الفكري والعسكري على أشده بين المسلمين والنصارى في شرق الدولة الإسلامية، وكان لعلماء المشرق مساهمات كبيرة في مواجهة النصارى فإن أحوال المغرب الإسلامي خصوصاً الأندلس تعيش أوضاعاً مشابهة؛ إذ لا يكاد ينقطع الصراع الفكري والعسكري فيها بين الفريقين.

وكان لعلماء هذه البلاد الجهود المشكورة في مواجهة النصارى ودعوتهم إلى الإسلام.

وقد كان من علماء هذه الفترة في غرب الدولة الإسلامية الذين لهم إسهام في دعوة النصارى عبد الملك بن مسرة بن فرج بن خلف بن عزيز اليحصبي من علماء قرطبة، وكان ممن جمع الله له الحديث والفقه مع الأدب والفضل والورع والتواضع(١).

كان عبد الملك بن مسرة عالي الذكر رفيع القدر في قرطبة ولذلك اجتمع عدد من أساقفة طليطلة واتفقوا فيما بينهم على الكتابة إليه ثناءً على النصرانية وطعناً في الإسلام حيث تولى صياغة رسالتهم إليه رجل يقال له: عبد الرحمن بن غصن(٢) فأصبحت تنسب هذه الرسالة إليه.

---

(١) انظر: الصلة، خلف بن عبدالله بن بشكوال، (٢/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧).

(٢) عبد الرحمن بن غصن، وصف في بعض المصادر بالنصراني، انظر: التكملة لكتاب

ولما تسلم ابن مسرة رسالتهم قام بالإجابة عنها «وأحسن الجواب وأظهر لهم جهلهم وتبلدهم في ذلك الكتاب»(١). وشفع رسالته إليهم بقصيدة نظمها في معنى جوابه المذكور، وقد عرفت رسالته وقصيدته في الرد عليهم بـ«ميزان الصدق المفرق بين أهل الباطل وأهل الحق»(٢).

وقد كانت وفاة عبد الملك بن مسرة في رمضان سنة ٥٥٢ هـ(٣).

وممن كان له جهود في دعوة النصارى في مدينة بياسة(٤) بالأندلس عبدالله بن سهل الضرير الغرناطي.

والذي كانت له عناية بالقرآن والحديث والنحو والمنطق، سكن مرسية في آخر حياته حيث توفي فيها سنة ٥٧١ هـ(٥).

ومن جهوده في دعوة النصارى لقاءاته بقساوستهم ومقدميهم ومناظراته معهم

الصلة، عبدالله بن محمد بن الآبار، طبعة فرانسسكو كوديرا، مدريد، ١٨٨٧م، (٢/ ٧٢٣).

(١) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، ص (٤٩).

(٢) انظر: فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف، محمد بن خير الأموي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩م، ص (٤١٨).

(٣) انظر: الصلة، خلف بن عبدالله بن بشكوال (٢/ ٣٦٧)، والديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، إبراهيم بن علي بن فرحون، تحقيق د. محمد الأحمدي أبو النور (٢/ ١٨ ـ ١٩).

(٤) بياسة مدينة تقع حالياً في جنوب إسبانيا إلى الشرق من مدينة قرطبة (كوردويه).
انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (١/ ٦١٣ ـ ٦١٤)، وأطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس، ص (١٧٢).

(٥) انظر: التكملة لكتاب الصلة، عبدالله بن أحمد بن الأبار (٢/ ٨٤٩ ـ ٨٥٠)، والإحاطة في أخبار غرناطة، محمد بن عبدالله بن الخطيب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥م، (٣/ ٤٠٤).

ودحض حججهم والظهور عليهم خصوصاً بين سنتي ٥٤٣ ـ ٥٤٧ هـ إبان سيطرة النصارى على مدينة بياسة.

قال عن جهوده في ذلك صاحب كتاب الإحاطة: «فجرت بينه وبين قسيسهم مجالس في التناظر حاز فيها قصب السبق»(١).

وأبو الأصبغ عيسى بن موسى بن عمر بن زروال الشعباني المتوفّى قبل سنة ٥٧٥ هـ من أهل غرناطة وكان فقيهاً محدثاً أديباً شاعراً(٢)، له مساهمات في دعوة النصارى ورد شبههم.

فقد كثر في وقته تداول قصيدة نقفور الروم التي نظمها أحد النصارى العرب على لسانه وبعث بها إلى الخليفة العباسي في بغداد المطيع لله(٣) (٣٣٤ ـ ٣٦٣)، والتي مطلعها:

من الملك الطهر المسيحي مالكاً ... إلى خلف الأملاك من آل هاشم(٤)

وفي هذه القصيدة سب للإسلام وطعن فيه وإثارة للشبه حول تشريعاته.

فكانت هذه القصيدة يتداولها نصارى الأندلس في وقته طعناً في الإسلام، فأنشأ أبو الأصبغ قصيدة في الرد عليها لم يصل منها شيء سوى مطلعها:

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة، محمد بن عبدالله بن الخطيب (٣/ ٤٠٤).

(٢) انظر: صلة الصلة، أحمد بن إبراهيم بن الزبير، تحقيق ليفي بروفنسال، مكتبة خياط، بيروت، ص (٤٦ ـ ٤٧)، وفهرسة ما رواه عن شيوخه، محمد بن خير الأموي، ص (٤١٠).

(٣) هو الفضل بن جعفر بن المعتضد بالله العباسي، بويع الخلافة بعد خلع المستكفي بالله سنة ٣٣٤ هـ، كانت أيامه أيام ضعف في الدولة، ولم يكن له إلا ذكره في الخطبة، والإدارة الفعلية لبني بويه، مرض فتنازل عن الخلافة لابنه الطائع، كان مولده سنة ٣٠١ هـ ووفاته سنة ٣٦٤ هـ.
انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٧/ ١٥٩ ـ ١٦٠)، وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٥/ ١١٣).

(٤) ديوان الإمام ابن حزم الظاهري، تحقيق: صبحي رشاد عبد الكريم، دار الصحابة، طنطا، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م، ص (٤٢).

من الملك المنصور من آل هاشم سليل السراة المنجبين الأعاظم[1]

وبطبيعة الحال فإن أبا الأصبع يقصد في رده على هذه القصيدة الرد على كل من يرمز للنصرانية وليس نقفور بذاته التي كانت القصيدة على لسانه، وحديثه على لسان الخليفة رمز للدفاع عن الإسلام ومن ينتسب له وليس شخص الخليفة بعينه.

ومن أبرز علماء الأندلس الذين لهم جهود في مواجهة النصارى ودعوتهم أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة الخزرجي المولود في قرطبة سنة ٥١٩ هـ. حيث نشأ بها ثم تنقل بين الأندلس والمغرب، وكف بصره في آخر عمره، وقد عرف ـ رحمه الله ـ منذ شبيبته بالذكاء والحفظ، وكانت له عناية بالحديث والتواريخ[2]. وله جهود مشكورة في دعوة النصارى من خلال كتاباته في عقائدهم، ومناظراته معهم، والرد على شبههم.

ومن ذلك أنه كان أحد قساوسة طليطلة الإفرنج يثير الشبه ويلقيها بين المسلمين لزعزعة ثقتهم في دينهم، وكانوا يحارون في الإجابة عنها حتى هيأ الله لهم أبا عبيدة، فكان المسلمون يأتون إليه ليجيب على أسئلة القسيس وشبهه، فيتصدى أبو عبيد لذلك، فتزول شبهتهم ثم يحملون الإجابة إلى القسيس ليلقمونه حجراً ويفندون حججه ويبطلون ادعاءاته[3].

وكانت لأبي عبيدة جهود مباشرة في النقاش والردود والدعوة لقساوسة النصارى في الأندلس، منها على سبيل المثال: رسالته إلى أحد قساوسة طليطلة

---

(١) فهرسة مما رواه عن شيوخه، محمد بن خير الأموي، ص (٤٠٩ ـ ٤١٠).

(٢) انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، إبراهيم بن علي بن فرحون، تحقيق د. محمد الأحمدي أبو النور (١/ ٢١٥ ـ ٢١٦)، وجذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، أحمد بن محمد بن القاضي، دار المنصور، الرباط ١٩٧٣م، ص (٧٠).

(٣) انظر: مقامع هامات الصلبان ومراتع رياض أهل الجنة، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، المطبوع بتحقيق محمد شامة، تحت عنوان: «بين الإسلام والمسيحية» ص (٥٣).

رداً على رسالة بعث بها هذا القسيس إليه يدعوه فيها إلى النصرانية ويثير فيها بعض الشبه حول الإسلام.

حيث أرسل له أبو عبيدة رسالة يدعوه فيها إلى الإسلام، ويظهر له مثالب النصرانية وتحريفها، ويزيل الشبه التي تعلق بها هذا القسيس للطعن في الدين الإسلامي(١).

ومما يضاف إلى جهود أبي عبيدة في هذا المجال تأليفه للكتب التي توحي عناوين بعضها بأنها مجابهة لحرب فكرية أثارها النصارى في الأندلس ضد الإسلام والمسلمين في وقته. ومن هذه الكتب: مقاطع هامات الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان(٢)، وكتاب مقام المدرك في إفحام المشرك(٣)، وكتاب مقصد السبيل في معرفة آيات الرسول، وكتاب آفاق الشموس وأعلاق النفوس، والأخير في أحكام النبيّ ﷺ.

وكانت لأبي عبيدة ـ رحمه الله ـ مشاركة في الجهاد العسكري ضد النصارى حتى أنه أسر في طليطلة سنة ٥٤٠ هـ، وبقي في الأسر إلى سنة ٥٤٢ هـ، وكان خلال فترة أسره يحاور النصارى ويناقشهم ويملي الحجة على المسلمين الذين في الأسر معه لمواجهة شبه النصارى وادعاءاتهم.

وبعد فكاك أبي عبيدة من الأسر ودعماً منه للجهود المبذولة في مواجهة النصارى جمع بعض ردوده ومناقشاته معهم في عدة نسخ ووضعها بأيدي المسلمين الذين لا يزالون تحت الأسر في طليطلة.

حيث قال صاحب كتاب الذيل والتكملة عن ذلك: «... وتركه في نسخ بأيدي جماعة من المسلمين المبتلين بالأسر هناك لما يسر الله في تخلصه»(٤).

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص (١٢٠) وما بعدها.

(٢) المطبوع بتحقيق د. محمد شامة تحت عنوان: بين الإسلام والمسيحية.

(٣) ذكره ابن فرحون في الديباج المذهب، ص (١/٢١٦).

(٤) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشي، دار الثقافة، بيروت، السفر الأول، القسم الأول، ص (٢٤٠).

وقد كانت وفاة أبي عبيدة في فاس[(١)] سنة ٥٨٢ هـ[(٢)] رحمه الله رحمة واسعة.

ومن علماء المغرب الإسلامي الذين لهم جهود في دعوة النصارى الإمام محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي، الذي نشأ في قرطبة بالأندلس وأخذ عن علمائها ثم هاجر إلى المشرق واستوطن مصر حيث كانت وفاته في منية الخصيب بصعيد مصر سنة ٦٧١ هـ[(٣)].

كان القرطبي محدثاً، فقيهاً، مفسراً، متبحراً في كثير من العلوم، وكان ورعاً زاهداً، متعبداً، عمر أوقاته بين العبادة والتصنيف، حيث خلف العديد من المؤلفات القيمة، من أشهرها: كتابه في التفسير: الجامع لأحكام القرآن، والأسنى في أسماء الله الحسنى، والتذكار في أفضل الأذكار، والتذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة، إلى غير ذلك.

وفيما يتعلق بدعوة النصارى فله اهتمام كبير في هذا الجانب يتمثل في حرصه على الرد عليهم وكشف ضلالهم وإزالة شبهاتهم.

ومن ذلك رده على قسيس طليطلة الذي بعث بكتاب إلى المسلمين في قرطبة أسماه: تثليث الوحدانية[(٤)]. حيث رد عليه القرطبي بكتاب أسماه: «الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإثبات نبوّة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام»[(٥)].

---

(١) فاس: مدينة تقع حالياً في شمال غرب المغرب أسسها إدريس الثاني سنة ١٩٣ هـ.
انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٤/ ٢٦١)، وأطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، ص (٦٣).

(٢) المصدر السابق (١/ ٢٤١).

(٣) انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، إبراهيم بن علي بن فرحون، تحقيق د. محمد الأحمدي أبو النور (٢/ ٣٠٨ ـ ٣٠٩)، ونفح الطيب من غصن الأندلس الطيب، أحمد بن محمد المقري، تحقيق: د. إحسان عباس (٢/ ٢١٠ ـ ٢١٢).

(٤) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، ص (٤٣).

(٥) نسب هذا الكتاب للقرطبي المفسر: كارل بروكلمان (انظر: تاريخ الأدب العربي (١/

حيث ناقش القرطبي في كتابه الإعلام فصلاً بين فيه أن السبب الذي دفعه إلى ذلك هو خشيته من تلبيس قسوسهم الذين يكتبون حول بعض تشريعات الإسلام وهم لا يحسنون ذلك، فقرأها إخوانهم في الديانة فيفهموا الإسلام على غير وجهه الصحيح[1].

إضافة إلى أنه وضع هذا الفصل ليطلع عليه النصارى فيفهمون الإسلام على الوجه الصحيح ليكون ذلك أدعى إلى اعتناقهم إياه[2].

ومن العلماء المسلمين في غرب الدولة الإسلامية الذين لهم إسهام في دعوة النصارى الحسين بن عتيق بن رشيق التغلبي من أهل مرسية بالأندلس، والذي كان متبحراً في التاريخ والأدب مشاركاً في كثير من الفنون[3].

فمن جهود هذا العالم في دعوة النصارى مناظراته مع بعض قساوستهم خصوصاً في مدينة مرسية، حيث جرت بينه وبن قسيسها مناظرة حول إعجاز القرآن، وذلك أن هذا القسيس استدعاه للمذاكرة ثم استدرجه حتى قعد إلى نفرٍ من النصارى، فبدأ القسيس يتكلم في إعجاز القرآن لينفي ذلك عنه، فتصدى له ابن رشيق وتمكن من إسكاته، والرد عليه وقطع حجته، ولم ينفصل عنهم «إلا وهم كالمسلمين في انقطاع شبهتهم»[4].

---

٧٣٧)، وإسماعيل باشا البغدادي في كتابه: هدية العارفين (٢/ ١٢٩)، وأيد ذلك الدكتور القصبي زلط في كتابه «القرطبي ومنهجه في التفسير» ص (٤٧ ـ ٤٨)، وكذلك الباحث فايز بن سعيد عزام في تحقيقه لهذا الكتاب في جامعة أم القرى عام ١٤٠٥ هـ حيث قال: «... يبدو والله أعلم أن تأليف هذا الكتاب المخطوط كان في بداية حياة القرطبي العلمية أثناء مقامه في قرطبة»، ص (٥١).

(١) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٤٣٨).

(٢) انظر: المصدر السابق، ص (٤٣٨ ـ ٤٣٩).

(٣) انظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، محمد بن عبدالله بن الخطيب (١/ ٤٧٢)، والمعيار المعرب، أحمد بن يحيى الونشريسي (١١/ ١٥٥).

(٤) انظر: المعيار المعرب، أحمد بن يحيى الونشريسي (١١/ ١٥٨).

وقد كانت وفاة ابن رشيق سنة ٦٩٦ هـ[١].

وفي فترة الحروب الصليبية كثر تداول رسالة أحمد بن غرسية[٢] في بلاد الأندلس والتي ذم فيها العرب وفخر بقومه العجم، والتي أنشأها في منتصف القرن الخامس الهجري، أي قبل عصر الدراسة.

وتداول هذه الرسالة بين نصارى الأندلس في هذه الفترة كان للقدح في العرب والمسلمين مما جعل كثيراً من علماء الأندلس في عصر الدراسة يردون عليها، ومن هؤلاء العلماء مثلاً: أبو العلاء عبد الحق بن خلف بن مفرح الكناني الشاطبي المتوفّى سنة ٥٣٩ هـ، وكان شاعراً، له معرفة باللغة والطب[٣]. ومحمد ابن طيب بن فرج بن أبي الخصال الوزير الأندلسي صاحب التصانيف في المناقب والأدب، والذي تنقل بين قرطبة وغرناطة وفاس، وكانت وفاته في قرطبة سنة ٥٤٠هـ.

وكان رده على رسالة ابن غرسية بعنوان: «خطف البارق وقذف المارق في الرد على ابن غرسية المارق»[٤].

وكذلك أبو العلاء إدريس بن محمد بن محمد بن موسى الأنصارى القرطبي الذي كانت له مشاركات في النظم والنثر وعناية بالحديث وقد كان في قرطبة وبعد استيلاء النصارى عليها انتقل إلى سبتة في شمال المغرب وتوفي بها سنة

---

(١) انظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، محمد بن عبدالله بن الخطيب (١/ ٤٧٢).

(٢) هو أبو عامر أحمد بن غرسية من أبناء البشكش، سبي وهو صغير وعاش في بلاط مجاهد العامري حاكم دانية في شرق الأندلس.

انظر: المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي، محمد بن عبدالله ابن الأبار، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م، ص (٣١١). وكتاب ألف باء، يوسف بن محمد البلوي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م، (١/ ٣٥٠).

(٣) انظر: التكملة لكتاب الصلة، عبدالله بن محمد بن الأبار (٢/ ٦٤٧).

(٤) انظر: كشف الظنون، حاجي خليفة (١/ ٧٨).

٦٤٧هـ[1]، حيث ساهم هذا العالم بالرد على رسالة ابن غرسية وكان رده على هذه الرسالة متداولاً في الأندلس لجودته وقوة حجته.

وهكذا كان للعلماء في غرب البلاد الإسلامية دور بارز في دعوة النصارى، وجهود مشكورة في هذا الميدان سواء بالتأليف أو الكتابة أو الردود أو المناظرة، وكان لهذه الجهود الأثر الملموس ـ كما سيأتي بيانه ـ في إسلام أعداد كبيرة منهم، وقمع باطل ضلالهم، ودحض حجج قساوستهم، وتفنيد شبهاتهم حول الإسلام وتشريعاته.

---

(١) انظر: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، محمد بن محمد المراكشي، السفر الأول، القسم الأول، ص (٢٤٩).

المطلب الثالث

قيام العامة بدعوة النصارى

المقصود بالعامة: ما سوى الولاة والعلماء ممن لم يتميز بعلم أو ولايةٍ، فيدخل فيهم جميع طبقات المجتمع الأخرى كالتجار والصناع والموظفين والجند وأصحاب الحِرف المختلفة وغيرهم.

وهذه الطبقة تشكل السواد الأعظم من الأمة ويتفاوت أفرادها تفاوتاً كبيراً في المستوى الثقافي والاقتصادي والاجتماعي، إلا أنه يجمعهم الإسلام الذي يدينون به، ويخضعون لتشريعاته، وتشكل تعاليمه في الغالب منطلقاً لآرائهم ومختلف تصرفاتهم وإن اختل شيء من ذلك لنقص العلم.

لذا، فإن لهذه الطبقة قوة كبيرة في المجتمع المسلم من حيث التأثير. وكلما سيطر الولاة الصالحين والعلماء الناصحين على هذه الطبقة وتمكنوا من توجيه مناشطها التوجيه السليم انعكس ذلك بالأثر الإيجابي فيها. وأدى إلى تأثيرها في الغير تأثيراً واضحاً.

وهذه الطبقة لا يتصور منها أن تقوم بواجب الدعوة على الوجه الصحيح، لأن فاقد الشيء لا يعطيه، وشرط الدعوة أن تكون على بصيرة وعلم، وهذا في الغالب محدود في طبقة العامة.

لذلك فإن المقصود بقيام العامة بالدعوة في عصر الحروب الصليبية هو أثر هذه الطبقة على النصارى سواء بإسلام البعض منهم تأثراً بها أو بنقل بعض تعاليم

الإسلام لهم؛ لكون هذه الطبقة تشكل كتلة واسعة في الأمة. وذلك من خلال استشعار كثير من أفرادها عداوة النصارى، ووجوب جهادهم ودعوتهم، ومحاولة الإسهام في ذلك ودعمه، أو من خلال ما يسمى بالضغط الاجتماعي، كأن تعيش أقلية نصرانية بين سواد عظيم من المسلمين فتتأثر بذلك، أو من خلال المجاورة أو بعض الصداقات، أو المخالطة في المعاملات المختلفة بين الفريقين.

والأمثلة كثيرة في هذه الفترة التي يتضح من خلالها دور العامة في القيام بالدعوة وأثرهم في هذا الجانب على النصارى.

فمن استشعار العامة لأهمية جهاد النصارى ودعوتهم ضغطهم على صاحب حلب سنة ٥٠٤ هـ حينما تقاعس عن قتال الفرنج وأرسل إليه صاحب القسطنطينية النصراني يخبره بقدوم الفرنج ويستحثه على قتالهم «فكان أهل حلب يقولون للسلطان: أما تتقي الله تعالى أن يكون ملك الروم أكثر حمية منك للإسلام حتى أرسل إليك في جهادهم»[(١)].

ومن دور العامة ـ غير المنضبط ـ في استنهاص الهمم للتصدي للنصارى وجهادهم أنه حينما جاء الشيخ كمال الدين الشهروزي مبعوثاً من أهل الشام إلى دار الخلافة في بغداد طلباً للنجدة ضد النصارى، وعندما وصل إلى السلطان مسعود السلجوقي وأدى إليه الرسالة ثم قام بعد ذلك يحثّ الناس في يوم الجمعة بمسجد بغداد على الخروج للجهاد ثار العامة وخرجوا من المسجد قاصدين دار السلطان يبكون ويصرخون ويستغيثون حيث خرج الأمر عن الضبط[(٢)].

ومن مواقف العامة تجاه الفرنج الدالة على الشعور العام لديهم بضرورة جهاد النصارى وعدم التعاون معهم أنه حينما استغاث رجل في مدينة قابس بشمال إفريقيا سنة ٥٤٢ هـ بالفرنج ضد المسلمين ثارت عليه العامة وقتلته[(٣)].

---

(١) الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٥٨٥).

(٢) انظر: المصدر السابق (٩/ ٩١ ـ ٩٢).

(٣) انظر: المصدر السابق (٩/ ١٥٢).

وبعد فتح صلاح الدين لمدينة حلب أراد صاحب حصن حارم القريب منها مكاتبة الفرنج ضد صلاح الدين فقبضت عليه عامة أهل حارم ونادوا بالبيعة لصلاح الدين[1].

وحينما اشتد حصار الفرنج لمدينة عكا وأيقن أهلها بالهلكة هموا بأن يجمعوا النساء والأطفال بمسجدها ثم يقتلوهم ويتجهوا إلى الفرنج برماحهم وسيوفهم حتى لا يبقى منهم أحد، لولا أن منعهم العلماء من ذلك وفضلوا تسليم البلد مع الأمان لأنفسهم واختيار أخف الضررين[2].

ومن خلال النماذج السابقة التي تبين شعور عامة المسلمين في ضرورة جهاد النصارى وجهد العامة في تحقيق ذلك يتضح بعض التجاوز في طريقة تحقيقهم هذا الهدف نتيجة لجهل غالبيتهم، وحينما يتدخل العلماء وأهل الرأي في التوجيه ـ كما في المثال الأخير ـ فإن الأمر يختلف، فتنضبط الأمور وفق معيار الشرع، ولا يكون هناك مجال للاضطراب والفوضى والتجاوز.

ويظهر أيضاً دور العامة في دعوة النصارى من خلال المجاورة وانتقال بعض التأثيرات الإسلامية من خلال ذلك. بل إن ذلك قد يؤدي إلى إسلام البعض منهم.

فمن نماذج ذلك ما حكاه الشيخ عبدالله بن أبي الحسن بن أبي الفرح الحبائي الطرابلسي الزاهد المتوفّى سنة ٦٠٥ هـ عن نفسه والذي كان نصرانياً فأسلم ووالده من علماء النصارى حيث قال: «كنا نصارى فمات أبي ونحن صغار فقدر الله أن وقعت حروب فخرجنا من القرية وكان فيها جماعة مسلمون يقرأون القرآن فأبكي إذا سمعتهم، قال: فأسلمت وعمري إحدى عشرة سنة»[3].

وفي الأندلس كانت المجاورة بين المسلمين والنصارى أكثر وضوحاً إذ كانوا منبثين بين المسلمين، ولم يفرض عليهم اتخاذ مساكن معزولة عن

---

(١) انظر: الروضتين في أخبار الدولتين، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (٢/ ٤٦).

(٢) انظر: رحلة ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني، ص (٢٧٩).

(٣) سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢١/ ٤٨٨).

المسلمين[1]. «فكان النصراني يجاور في داره المسلم»[2]. ولا يخفى أثر هذه المجاورة في انتقال بعض العادات والآداب بين المتجاورين.

وللعامة دور في دعوة النصارى وانتقال بعض التأثيرات الإسلامية إليهم من حيث أن العامة تشكل السواد الأعظم من المجتمع، هذه الطبقة العريضة بممارستها لشعائر الإسلام تقوم بنوع من الضغط الاجتماعي على غيرها من التجمعات الصغيرة غير المسلمة من غير اضطهاد أو تعسف.

فإذا كانت هناك قرية نصرانية مثلاً في وسط منطقة واسعة من المدن المسلمة فإنه ولا شك سوف يكون ـ والحال هذه ـ بعض التأثيرات على هذه التجمعات الصغيرة وربما تحولها إلى الإسلام.

وقد لاحظ ذلك أحد الباحثين النصارى في تحليله لأوضاع أبناء ملته في البلاد التي انتشر فيها الإسلام كالشام وآسيا الصغرى ومصر وغيرها. حيث بين أثر هذا العامل في تحول كثير من النصارى إلى الإسلام قبل الحروب الصليبية وأثنائها حيث قال: «. . . كانت أوضاع غير المسلمين داخل الدولة الإسلامية في حالة لائقة، على أن هذا لم يمنع حدوث دخول شامل للمسيحيين إلى الإسلام. . . ولا يمكننا هنا أن نسهب في تحليل أسباب هذا التحول والتي من بينها الضغط الاجتماعي الطبيعي للأوساط المهيمنة بلا أي اضطهاد والذي كان له دور بالتأكيد في ذلك. . .»[3].

وبين توماس آرنولد أن هناك تحولات جماعية إلى الإسلام في هذه الفترة من غير سبب مباشر مما يؤكد دور عامل الضغط الاجتماعي في ذلك.

---

(١) انظر مقال: جوانب من تاريخ أهل الذمة في الأندلس الإسلامية، عمر بنميرة، مجلة دراسات أندلسية، عدد (١٤)، محرم: ١٤١٦ هـ.

(٢) سراج الملوك، محمد بن الوليد الطرطوشي، تحقيق: محمد فتحي أبو بكر، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤م، (٢/ ٥٨٩).

(٣) انظر: الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، كلود كاهن، ترجمة: أحمد الشيخ، ص (٣٥).

حيث قال: «... وكان عدد المرتدين عن المسيحية في القرن الثاني عشر الميلادي كثيراً كثرة نلاحظها في سجلات الصليبيين القانونية التي يطلق عليها مجالس قضاء بيت المقدس... وقد لا يكون من الممتع أن تعرف من هم هؤلاء المسلمون الذين توفروا على كسب هؤلاء الذين تحولوا إلى الإسلام»[١].

ولذلك فإن أحد قادة الصليبيين أرسل البابا ونوابه في فرنسا وصقلية في حوالي سنة ٦٦٤ هـ ـ ١٢٦٦م رسالة: «أن يمنعوا الفقراء والشيوخ والعاجزين عن حمل السلاح من عبور البحر إلى فلسطين، لأن أمثال هؤلاء الأشخاص كانوا يتعرضون إما للقتل أو الأسر أو لأن يفتنهم العرب عن دينهم»[٢].

ومن الأدلة على أثر هذا العامل ما ذكرته بعض المصادر النصرانية من وجود أعداد كبيرة من نصارى الصليبيين الذين اعتنقوا الإسلام في مدن الشام والقاهرة حتى بعد زوال الإمارات الصليبية، حيث قدرته بعض المصادر بأكثر من خمسة وعشرين ألفاً في القاهرة وحدها[٣].

ولا شك أن وجود هذه الأعداد الكبيرة دليل على مساهمة هذا العامل وأثره الكبير في تحويل كثير من النصارى إلى الإسلام.

وكذلك الحال في الأندلس حيث أشارت بعض المصادر إلى تحول أعداد كبيرة من النصارى المعاهدين إلى الإسلام في عهد الأمير المرابطي علي بن يوسف[٤]، وكذلك إسلام جماعات نصرانية في عهد الموحدين[٥].

---

(١) الدعوة إلى الإسلام، توماس آرنولد، ترجمة د. حسن إبراهيم حسن وآخرين، ص (١١٠).

(٢) المصدر السابق، ص (١١٢).

(٣) انظر: المصدر السابق، ص (١١٣).

(٤) انظر: المعيار المعرب، أحمد بن يحيى الونشريسي (٨/ ٢٠).

(٥) انظر: تاريخ النصارى في الأندلس، د. عبادة عبد الرحمن كحيلة، المطبعة الإسلامية الحديثة، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣م، ص (٢٤٧).

ودخول هؤلاء الأعداد الكبيرة في الإسلام من غير إشارة إلى سبب مباشر يؤكد أثر عامل الضغط الاجتماعي في ذلك.

ويظهر دور العامة أيضاً في دعوة النصارى ونقل بعض التأثيرات الإسلامية إليهم من خلال المعاملات التجارية بين الطرفين.

فمما لا شك فيه أنه كانت هناك حركة نشطة في هذا المجال بين المسلمين والنصارى في هذه الفترة، وكانت القوافل التجارية لكل طرف تجتاز في مناطق نفوذ الطرف الآخر، وكان لذلك تنظيماته ومعاهداته.

قال ابن جبير الذي زار الشام في هذه الفترة ودوّن ملاحظاته ومشاهداته عن الحركة التجارية بين الطرفين: «... واختلاف القوافل من مصر إلى دمشق على بلاد الإفرنج غير منقطع، واختلاف المسلمين إلى عكا - والتي كانت من أهم مناطق الفرنج في الشام - كذلك، وتجار النصارى لا يمنع أحد ولا يعترض، وللنصارى على المسلمين ضريبة يؤدونها في بلادهم وهي من الأمنة على غاية، وتجار النصارى أيضاً يؤدون في بلاد المسلمين، والاتفاق بينهم والاعتدال في جميع الأحوال، وأهل الحرب مشتغلون في حربهم، ... ولا تُعترض الرعايا ولا التجار، فالأمن لا يفارقهم في جميع الأحوال سلماً وحرباً»(١).

ولأهمية العلاقات التجارية بين الطرفين وكثرتها فلقد صار لبعض تجار المسلمين شأن عند بعض قائدة الفرنج ومكانة خاصة أفادوا منها في تحقيق بعض المصالح للمسلمين كفكاك الأسرى وما شابه ذلك(٢).

بل إن بعض الممالك النصرانية في أوربا والأندلس اهتمت كثيراً بالتجارة مع المسلمين، فقامت بعض هذه الممالك بعقد اتفاقيات مع الحكام المسلمين في الشام ومصر.

ومن ذلك مثلاً المعاهدة التي عقدت بين مملكة أرجونة النصرانية في

---

(١) رحلة ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني، ص (٢٥٩ ـ ٢٦٠).

(٢) انظر: المصدر السابق، ص (٢٨١).

الأندلس، وبين السلطان قلاوون سنة ٦٨٩ هـ.

حيث تتعلق هذه المعاهدة بأمور التجارة وتنظيمها، واتفاقيات سياسية وعسكرية وغيرها[١].

ومن أجل عقد هذه الاتفاقية التجارية مع المسلمين جاءت سفارة من المملكة النصرانية ومعها بعض الهدايا من بينها سبعين من أسرى المسلمين[٢].

وقد تضمنت هذه الاتفاقية التي في أصلها لتنظيم أمور التجارة بين الطرفين مواداً أخرى في صالح المسلمين: مثل عدم مساعدة مملكة أرجونة النصارى ضد المسلمين، «وإن قصد الباب برومة أو ملك من ملوك الفرنج... قصد مولانا السلطان بمحاربة أو أذية يمنعهم الملك الريد راغون ويردهم...»[٣].

وتضمنت كذلك النَّصَّ على فكاك الأسرى المسلمين. «وعلى أنه متى أسر أحد من المسلمين في البر أو في البحر من مبدأ تأريخ هذه المهادنة من سائر البلاد شرقها وغربها، أقصاها وأدناها، ووصلوا به إلى بلاد الملك الريد راغون أو بلاد إخوته ومعاهديه ليبيعوه فيلزم الملك راغون فك أسرهم وحملهم إلى بلاد مولانا السلطان»[٤].

ومعاهدة أخرى مع تجار جنوه الإيطالية نصت على احترام المسلمين وتقديرهم وإكرامهم[٥].

وفي غرب الدولة الإسلامية وفي الأندلس خاصة كانت المعاملات التجارية بين المسلمين والنصارى أكثر وضوحاً وأوسع انتشاراً كما أشارت إلى ذلك بعض المصادر المعاصرة لفترة الدراسة.

---

(١) انظر نص المعاهدة في: تشريف الأيام والعصور في سيرة المنصور، محي الدين ابن عبد الظاهر، القاهرة، ١٩٦١م، ص (١٥٦).

(٢) انظر: المصدر السابق، ص (١٥٦).

(٣) المصدر السابق، ص (١٥٦).

(٤) المصدر السابق، ص (١٥٦).

(٥) انظر: المصدر السابق، ص (١٦٦).

فقد تعود تجار النصارى من الممالك الإسبانية القدوم بتجاراتهم إلى الأندلس المسلمة في أوقات الهدنة، فكان المسلمون يتعاملون معهم ويبايعونهم[1].

وكانت أسواق الأندلس تعج بالنصارى المعاهدين، فكان عموم المسلمين يبيعون عليهم ويبتاعون منهم الألبسة والأطعمة وغيرها[2].

ولا شك أن المعاملات واللقاءات المتكررة من أجل التجارة سوف يكون لها أثر في تعرف بعض النصارى على شيء من تعاليم الإسلام بل والتأثر بها.

وهكذا كانت العلاقات التجارية بين الطرفين، واحتكاك التجار المسلمين بالنصارى من أسباب التأثير عليهم في تحقيق بعض المصالح للمسلمين من كف الأذى، واحترام المسلمين، وإكرامهم، مع ما ينتقل عبر هذه المعاملات من بعض التأثيرات الإسلامية إلى النصارى والتي قد تصل إلى إسلام البعض منهم.

ومن دور العامة في دعوة النصارى اكتساب بعض النصارى شيئاً من عادات المسلمين وتأثرهم بها من خلال بعض الصداقات بين الأفراد من الطرفين، حيث يوضح موقف أسامة بن منقذ مع صديقه الفارس الصليبي ذلك.

فعندما زار أسامة صديقاً له من الفرنج في منزله، وقدم الفرنجي لأسامة طعاماً، فتورع أسامة عن مد يده إليه، فلاحظ ذلك الفرنجي فأخبره بأن الطعام خال من الخنزير[3].

والمخالطة في الحياة العامة كذلك لها أثرها الكبير في انتقال بعض عادات المسلمين إلى النصارى.

---

(١) انظر: فتاوى ابن رشد الجد، محمد بن أحمد بن رشد «الجد»، تحقيق: المختار بن الطاهر التليلي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م، (٣/ ١٦١٩ - ١٦٢٠).

(٢) انظر: المصدر السابق (٢/ ٩٧٣)، و(٣/ ١٢٨١ - ١٢٨٢)، والمعيار المعرب (٦/ ٦٩).

(٣) انظر: الاعتبار، أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ، حرره فيليب حتي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص (١٤٠).

ففي حاضرة صقلية شاهد ابن جبير أثر هذه المخالطة في اكتساب النساء النصرانيات للحجاب تشبهاً بنساء المسلمين.

«وزي النصرانيات في هذه المدينة زي نساء المسلمين، فصيحات الألسن، ملتحفات منتقبات»[١].

ويؤكد ذلك أحد المؤرخين الأوربيين حيث وضح تشبه النصرانيات بنساء المسلمين في الشام، «... وكانت النساء الصليبيات يقلدن المسلمات في لبس الحجاب الذي يضفي على المرأة الحشمة والوقار»[٢].

كذلك تقليد نصارى الصليبيين للمسلمين في النظافة والطهارة والاستحمام وكانوا لا يلقون إلى ذلك بالاً[٣].

وهكذا فإن المخالطة في الحياة العامة هي من أهم مجالات تأثير عامة المسلمين على النصارى، إلا أن هذه المخالطة المطلقة للعامة بالنصارى غير محمودة العواقب في بعض الأحيان، وذلك أن هؤلاء العامة أقل حظاً من العلم مما يؤدي إلى تقبلهم بعض شبه النصارى وتأثرهم ببعض عاداتهم وتقاليدهم، وهذا ما حدث فعلاً لبعض المسلمين.

ولذلك فإن بعض قادة المسلمين وعلمائهم في هذه الفترة حذروا من هذا الاختلاط غير المنضبط للمحاذير المترتبة من جرائه.

ففي مفاوضات الصلح بين صلاح الدين والصليبيين في عكا فكان أهل الرأي في جيش صلاح الدين يحذرونه من المصافاة المطلقة مع النصارى، وأن يكون التعامل معهم بحذر دون المبالغة في ذلك. وكان من قولهم: «فإن مصافاة الفرنج للمسلمين بحيث يخالطوهم بعيدة صحته، غير مأمون الغائلة»[٤].

---

(١) رحلة ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني، ص (٣٠٧).

(٢) تاريخ الحروب الصليبية، ستيفن رانسيمان، ترجمة د. السيد الباز العريني (٢/ ٥٠٩).

(٣) انظر: الاعتبار، أسامة بن مرشد بن منقذ، ص (١٣٦ ـ ١٣٧).

(٤) النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق: د. جمال الدين الشيال، ص (٣٠٣).

وابن جبير الذي تنقل في الشام ومصر وصقلية في هذه الفترة، وزار مناطق المسلمين ومناطق النصارى وشاهد بعض آثار هذه الخلطة المطلقة بين الجانبين في بعض المناطق حذر أشد التحذير ممن يخالط النصارى وهو يجد بدلاً في بلاد المسلمين. «. . . وليست له عند الله معذرة في حلول بلدة من بلاد الكفر إلا مجتازاً وهو يجد مندوحة في بلاد المسلمين لمشقات وأهوال يعانيها في بلادهم من الذلة والمسكنة الذمية، ومنها سماع ما يفجع الأفئدة من ذكر من قدس الله ذكره، وأعلى خطره، ولا سيما من أراذلهم وأسافلهم، ومنها عدم الطهارة والتصرف بين الخنازير وجميع المحرمات. . . فالحذر الحذر من دخول بلادهم، والله تعالى المسؤول حسن الإقالة والمغفرة من هذه الخطيئة التي زلت فيها القدم»(١).

ودور مهم آخر للعامة في دعوة النصارى من خلال اشتراكهم في الجهاد الفعلي للنصارى.

ذلك أن غالبية جيوش المسلمين من عامة الناس، ولذلك فاشتراكهم في هذه الجيوش يعد مساهمة فعالة لهم في دعوة النصارى في هذه الفترة، ولا شك أن الجهاد من أهم وسائل الدعوة، ومن أهم عوامل قوة الدولة المسلمة بشكل عام، والتمكين للوسائل الدعوية الأخرى لأن تحقق أهدافها بشكل خاص.

ومما يلحق بدور العامة غير المباشرة في دعوة النصارى حفاظ هذه الطبقة العريضة من المجتمع على السمة العامة للمجمع المسلم الملتزم بأحكام الإسلام بحيث تثور وتظهر الغضب إذا ظهر ما يخالف الدين فتقوم بردة فعل للاستنكار، وربما يكون ذلك بشكل غير منضبط.

ولا شك أن استنكار عامة المجتمع لكل ما يخالف الدين ظاهرة صحية تدل على سلامة بنائه، إذا كانت بضوابطها الشرعية حيث تؤدي إلى قوته وصموده ووحدته أمام الغزو الفكري والعسكري، وهذا ما يعد من أهم أسباب نجاح الجهود الدعوية الموجهة إلى النصارى.

---

(١) رحلة ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني، ص (٢٧٩ ـ ٢٨٠).

فمن احتساب العامة على بعض المظاهر المخالفة في المجتمع المسلم عداؤهم الشديد للفرق الهدامة ومحاربتها وملاحقة من يتهم بها.

فمثلاً حينما قام أحد الباطنية بقتل أحد الفقهاء اجتمعت عليه عامة الناس وقبضت عليه وسلمته للسلطة[١].

وفي سنة ٦٠٠ هـ ثارت العامة بواسط ضد الباطنية وصارت تقتل كل من يتهم بذلك[٢].

وفي حوادث سنة ٥٧٤ هـ عندما قُبض على أحد أئمة الرافضة في بغداد لسبه الصحابة من أجل تأديبه ثارت عليه العامة فرجمته بالحجارة حتى مات[٣].

وحينما تكلم أحد المبتدعة في جامع بغداد في بعض عقائد الخوارج ثارت عليه العامة ورجمته بالحجارة حتى منعته من درسه، ولما همَّ بالعودة إلى ذلك «... اجتمع الناس في الصحراء متأهبين لرجمه وجاؤوا بقوارير النفط فلم يحضر ومُزق فرشه قطعاً، وتُقدم إليه ألا يجلس ولا يخرج من رباطه، وما زال أهل البلد على حنق عليه»[٤].

هكذا تمثل دور العامة في دعوة النصارى في هذه الفترة بتأثيرهم على كثير من النصارى سواء بإسلام بعضهم أو بتأثرهم ببعض تعاليم الإسلام، أو من خلال دعم هذه الطبقة لجهاد النصارى بل والمشاركة فيه، أو عن طريق المجاورة أو الصداقة في بعض الأحيان، أو التجارة، أو من خلال المخالطة في المعاملات المختلفة.

---

(١) انظر: الذيل على الروضتين، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، ص (٥٠).

(٢) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (١٠/ ٢٠٢).

(٣) انظر: المنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله (١٨/ ٢٥١)، والبداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٢/ ٣٢١).

(٤) المنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله (١٨/ ٢٠٢).

وهذا الدور للعامة على الرغم من أهميته إلا أنه لا يستغني عن توجيه العلماء ومراقبة الولاة والقادة ليضبط بالضوابط الشرعية حتى يتحقق الهدف منه على الوجه المطلوب، وإلا فإن قيام العامة بهذا الدور سوف يظهر فيه الخلل الواضح وما يترتب على هذا الخلل من نتائج عكسية.

دعوة المسلمين للنصارى

في عصر الحروب الصليبية

تأليف الدكتور
سليمان بن عبد الله بن صالح الرومي
عضو هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

الجزء الثاني

مكتبة الرشد
ناشرون

دعوة المسلمين للنصارى
في عصر الحروب الصليبية

تأليف الدكتور
سليمان بن عبد الله بن صالح الرومي
عضو هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

الجزء الثاني

مكتبة الرشد
ناشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الثالث

وسائل دعوة المسلمين النصارى
فـــي عصر
الحروب الصليبية وأساليبها

تمهيـــد

مما لا شك فيه أن نجاح الدعوة الإسلامية ومدى تأثيرها على الأفراد والمجتمعات يتوقف بدرجة كبيرة على حسن استخدام الوسائل والأساليب الدعوية التي تعرض من خلالها.

لذلك تنوعت أساليب القرآن في عرض هداياته تنوعاً كبيراً، فكان منها الأقيسة العقلية، وضرب الأمثال، والمؤكدات المختلفة، والترغيب، والترهيب، إلى غير ذلك.

واعتنى رسول الله ﷺ بهذا الجانب عناية كبيرة، فاستخدم كل الوسائل المشروعة في عصره لتبليغ دعوته، فكتب الرسائل، وبعث الرسل، وعقد ألوية الجهاد، ونوّع كذلك أساليب عرضها حسب مقتضيات الأحوال فخاطب العقل، وأثار العاطفة، واستغل الفرص المناسبة، وراعى أحوال المخاطبين إلى غير ذلك، فما انتقل إلى الرفيق الأعلى إلا وقد شمل الإسلام الجزيرة العربية ومكن له لينتشر بعد ذلك في أرجاء المعمورة.

وهكذا سار سلف هذه الأمة على منهجه في العناية بوسائل الدعوة وأساليبها إدراكاً منهم لأهمية ذلك في نجاح الدعوة وتحقيقها للأهداف المرجوة.

وفي عصر الحروب الصليبية كانت هناك عناية كبيرة من قبل بعض قادة الأمة وعلمائها في جانب وسائل الدعوة وأساليبها بشكل عام، والدعوة الموجهة إلى النصارى على وجه الخصوص.

والمبحثان التاليان عرض لوسائل الدعوة وأساليبها الموجهة إلى النصارى في هذه الفترة، وقبله تعريف بمفهومي الوسائل والأساليب الدعوية.

تعريف الوسيلة:

الوسيلة في اللغة: «المنزلة عند الملك، والدرجة، والقربة، ووسل فلان إلى الله وسيلةً إذا عمل عملاً تقرب به إليه»[١].

«والوسيلة الوصلة والقربى وجمعها وسائل»[٢].

قال في الصحاح: «الوسيلة: ما يتقرب به إلى الغير، والجمع الوَسِيل والوسائل»[٣].

وفي الاصطلاح العام عرفها كثير من العلماء نظراً لورود هذه اللفظة في القرآن والسنة. ومن ذلك:

قول ابن كثير: هي «ما يتوصل بها إلى تحصيل المقصود»[٤].

وقال ابن الأثير: «هي ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به»[٥].

وقال القرطبي: «الوسيلة: القربة التي ينبغي أن يطلب بها»[٦].

وقريباً من هذه التعريفات عرفت الوسيلة الدعوية.

فجعلها شيخ الإسلام ابن تيمية مرادفة للطريق الموصل إلى المراد حيث قال: «... وذلك أنه قد علم أن الداعي الذي يدعو غيره إلى أمر لا بدّ فيما

---

(١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، مادة ورسل (١١/ ٧٢٤).

(٢) المصدر السابق، مادة وسل (١١/ ٧٢٤).

(٣) الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م، مادة (وسل) (٥/ ١٨٤١).

(٤) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق عبد العزيز غنيم وآخرين، الشعب، القاهرة، (٣/ ٩٧).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد الجزري «ابن الأثير» تحقيق: ظاهر أحمد الزاوي وزميله، دار الباز، مكة المكرمة، (٥/ ١٨٥).

(٦) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، المجلد الثالث، الجزء السادس، ص (١٠٤).

يدعو إليه من أمرين: أحدهما: المقصود المراد، والثاني: الوسيلة والطريق الموصل إلى المقصود»[(١)].

وعرف بعضهم الوسيلة الدعوية بأنها «كل ما يستعين به الداعية على تبليغ الدعوة إلى الناس بشكل نافع مثمر»[(٢)].

ورأى أحد الباحثين أن الوسيلة الدعوية تكون في الغالب حسية، حيث قال: «هي ما يستعمله الداعية من إمكانات يوصل بها الدعوة إلى المدعوين وغالباً تكون حسيةً»[(٣)].

والذي يظهر أن التعريف الأخير هو الأقرب مع شيء من الإضافة ليكون تعريف الوسيلة الدعوية هو: «ما يستعمله الداعية من إمكانات حسية في الغالب لكي يوصل بها الدعوة إلى الآخرين وفق الضوابط الشرعية».

تعريف الأسلوب:

الأسلوب في اللغة يطلق على عدة معانٍ. فيقال للسطر من النخيل أسلوب، وكل طريق ممتد فهو أسلوب، ويأتي بمعنى الوجه، والمذهب، والفن، فيقال: أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه[(٤)].

«ويقال: سلكت أسلوب فلان في كذا: أي طريقته ومذهبه، وطريقة الكاتب في كتابته»[(٥)].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد (١٥/ ١٦٢).

(٢) أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩ هـ، ص (٤٢٩).

(٣) منهج ابن تيمية في الدعوة، د. عبدالله بن رشيد الحوشاني، دار إشبيليا، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م، (٢/ ٥٤٢).

(٤) انظر: لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور، مادة سلب (١/ ٤٧٢).

(٥) المعجم الوسيط، إخراج د. إبراهيم أنيس وآخرين، مادة: سلب (١/ ٤٤١).

وعرف الأسلوب في الاصطلاح العام بتعريفات منها: أنه «الطريقة التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه.

أو هو المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه.

وقيل: هو الشكل الذي يتم به الأداء»[(١)].

وقيل: «هو اختيار الألفاظ وترتيبها في شكل له أثره وطابعه في اللغة المستعملة»[(٢)].

ومن خلال ما سبق ولكون التعريف اللغوي للأسلوب، وكذلك تعريفاته في الاصطلاح العام تدور معانيها حول طرق التعبير فقد عُرِفت الأساليب الدعوية بأنها: «الكيفيات التي يتم بها أداء الدعوة وتبليغها من الأمور المعنوية الفنية وأنواع المسالك التأثيرية، وهي في الغالب غير حسية»[(٣)].

ويمكن أن يختصر هذا التعريف فيقال: إن أساليب الدعوة هي ما يسلكه الداعية من طرق معنوية في الغالب للتأثير في المدعوين.

أو هي: صيغ التعبير المختلفة التي يتم بها أداء الدعوة وتبليغها.

الفرق بين وسائل الدعوة وأساليبها:

تختلف وجهات النظر في التفريق بين الوسيلة والأسلوب، وما اعتُمد في هذا البحث للتفريق بينهما هو أن الوسائل أوعية الأساليب وحاملة لها.

فمثلاً: الكتاب وسيلة دعوية وما سُطر فيه من علم وأحكام وآداب ومواعظ أساليب من أساليب الدعوة.

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (٢/ ١٩٩).

(٢) الأسلوب، د. محمد كامل أحمد جمعة، مكتبة القاهرة الحديثة، الطبعة الثانية، ١٩٦٣م، ص (٦٣).

(٣) منهج ابن تيمية في الدعوة، د. عبدالله بن رشيد الحوشاني (٢/ ٥٤٣).

والمسجد وسيلة من وسائل الدعوة وما يلقى فيه من دروس وخطب ومواعظ أساليب من أساليبها.

وقد يكون الشيء الواحد من جانب أسلوباً من أساليب الدعوة، ويكون أيضاً وسيلة من وسائلها من جانب آخر.

فمثلاً: الخطبة أسلوب من أساليب الدعوة من حيث إنها شكل من أشكال التعبير لتبليغ الدعوة والتي تلقى في وسيلة المسجد.

وهي من جهة وسيلة دعوية من حيث تعدد أشكال التعبير فيها من أمر، ونهي، واستفهام، وموعظة، وترغيب، وترهيب إلى غير ذلك فهي في هذه الحالة وسيلة دعوية حاملة لعدة أساليب من أساليب الدعوة.

المبحث الأول

وسائل دعوة المسلمين للنصارى
في عصر الحروب الصليبية

المطلب الأول

وسيلة الكتب

لا شك أن الكتب من أهم وسائل الدعوة قديماً وحديثاً ومن أسهلها انتشاراً وأعمقها أثراً، فمن خلالها حُفظت علوم الأوائل، ونقلت إلينا سير العلماء والدعاة وتجاربهم. وأمكن عن طريقها الإفادة من جهود السابقين حتى كأن أصحابها لا يزالون على قيد الحياة؛ وذلك لبقاء أفكارهم وانتشارها وتأثر الكثيرين بها.

ومما يؤكد أهمية وسيلة الكتب في الدعوة إلى الله؛ أن الله سبحانه وتعالى أنزلها على رسله متضمنة الهداية لأممهم والنجاة لهم في الدنيا والآخرة.

وفي الإسلام كتاب الله سبحانه وتعالى وكتب السنة المطهرة منذ مبعث النبيّ ﷺ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها هما الوسيلة الأولى لنشر الإسلام من حيث كونهما مصدر العلوم الإسلامية الأخرى، وأساس كل الأعمال الدعوية المنضبطة بهديهما، والمبذولة في مجال نشر الإسلام.

وفي فترة الحروب الصليبية كان الكتاب من أهم وسائل الدعوة الموجهة إلى النصارى، وكان له أثره في إبطال شبههم، وفضح ضلالاتهم، وكشف تلبيس مبطليهم، وبيان الحق الذي عُمِّي على عامتهم.

فكانت بعض الكتب رداً مباشراً من العلماء المسلمين على كتاباتٍ للنصارى في هذه الفترة تحتج لصحة دينهم فندوا من خلالها ما تعلق به النصارى من شبه استدلوا بها وأبطلوا ما اعتمدوا عليه فيها في صحة ديانتهم.

ومن الأمثلة على ذلك كتاب «الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة للقرافي؛ حيث كان السبب الأول الذي دفعه لتأليف هذا الكتاب رسالة بعث بها أحد النصارى يقيم الحجج فيها على صحة دينه[١].

فخصص القرافي الباب الأول من كتابه هذا لتفنيد هذه الأدلة وبيان ما التبس على النصراني من شبه تعلق بها أدلةً لصحة دينه[٢].

ومثله كتاب القرطبي ـ الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوّة محمد عليه الصلاة والسلام ـ حيث كان الدافع الأول لتأليف القرطبي هذا الكتاب كتاب بعث به أحد قساوسة النصارى في طليطلة بالأندلس أسماه ـ تثليث الوحدانية ـ[٣] ـ فحرك ذلك القرطبي لتأليف كتابه رداً على كتاب القسيس متتبعاً له ومناقشاً ما أورده فيه من شبهٍ، ومبطلاً ما اعتمدوا عليه في ديانتهم وعقائدهم.

ثم أتبع رده على هذا القسيس بفصول أخرى ناقش فيها تشريعاتهم وأبرز من خلالها محاسن الإسلام. حيث قال في مقدمة كتابه: «... فأذكر كلام هذا السائل كما بلغني وأبين خطأه وتناقضه ما شاء الله أن يفهمني، فأناقشه في لفظه، وأظهر سوء نقله وحفظه، فتارة أسأله وأخرى أجاوبه ليعلم أن الناقد بصير، والباحث خبير، وليتبين عِيّه وجهله الكبير والصغير، ثم بعد الفراغ من تتبع كلامه أعطف بالمناظرة على أقسته ورهبانه...»[٤].

ومن الكتب التي كان السبب المباشر في تأليفها كتابات لبعض النصارى بعثوا بها إلى المسلمين؛ كتاب الرد على النصارى لصالح بن الحسين الجعفري حيث قال في مقدمة كتابه: «... وقفت على مسائل ذُكر أن الفرنج بعثوا

---

(١) انظر: الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (٣).

(٢) انظر: المصدر السابق، ص (٥)، وما بعدها.

(٣) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، ص (٤٣).

(٤) المصدر السابق، ص (٤٦).

يمتحنون بها أهل الإسلام...»[1].

فاستغل الجعفري ذلك فألف كتابه الرد على النصارى. وهذا الكتاب لم يكن رد مباشر على أسئلتهم التي بعثوا بها؛ حيث ترك الإجابة على هذه الأسئلة لصغار طلبة العلم، «... فنظرت فيها ـ أي الأسئلة ـ فإذا هي خالية عن الفوائد الدينية، عاطلة عن المنافع الدنيوية، أقرب الأشياء شبهاً بخرافات النسوان وترهات الولدان... وقد أجاب عن ذلك جماعة من ضعفاء طلبة العلم وصغار الفقهاء من أصحابنا...»[2].

حيث عرض الجعفري عن هذه الأسئلة التافهة في نظره تاركاً الإجابة عليها لصغار طلبة العلم وعارض النصارى بإلقاء مسائل هامة في إنجيلهم هي من صلب ديانتهم مفنداً لها، ومظهراً تناقضهم فيها، ومطالباً إياهم الإجابة عليها، وذلك من قبيل إظهار عجزهم وإقامة الحجة عليهم «... ونحن الآن نلقي عليهم مسائل من إنجيلهم ونطالبهم بالجواب»[3].

حيث كانت هذه المسائل حول إبطال زعمهم أن المسيح ابن الله، ونقض اعتقادهم ما يزعمون من الاتحاد، ودحض دعواهم قتل المسيح وصلبه، وتفنيد شبههم حول التثليث، وإظهار تناقض الأناجيل، وإثبات نبوّة المسيح عليه السلام وكذلك إيراد البراهين على نبوّة محمد ﷺ[4].

ونوع من الكتب في هذه الفترة أو مباحث في بعضها ألفها العلماء المسلمون رداً على شبهات النصارى حول الإسلام والتي عادتهم أن يتعلقوا بها ويثيروها بين الفينة والأخرى.

ومن الأمثلة على ذلك ما أفرده القرافي في كتابه الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة من الإجابة على مثل هذه الأسئلة؛ تفنيداً لشبههم وإعانة للدعاة

---

(١) الرد على النصارى، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمد محمد حسانين، ص (٥٦).

(٢) المصدر السابق، ص (٥٦).

(٣) المصدر السابق، ص (٥٧).

(٤) انظر: المصدر السابق، ص (٥٦) وما بعدها.

المسلمين في مواجهتهم حيث قال: «... الباب الثاني في أسئلة لأهل الكتاب النصارى واليهود عادتهم يتولعون بإيرادها... والجواب عنها؛ ليكون الواقف على هذا الكتاب قد أحاط بجميع ما يسأل عنه أهل الكتاب وأجوبته الحقيقية اليقينية...»[١].

ومثله أيضاً رد أبي عبيدة الخزرجي على شبهات قسيس طليطلة وتفنيدها[٢].

ومن هذا النوع من الكتب أيضاً: ردود بعض علماء الأندلس على رسالة ابن غرسيه النصراني في ذم العرب والمسلمين، والتي كثر تداولها في الأندلس في هذه الفترة[٣].

حيث ألف بعض العلماء في الرد عليه ومنهم: محمد بن مسعود بن طيب ابن فرج بن أبي الخصال المتوفّى سنة ٥٤٠ هـ، وكان رده بعنوان ـ خطف البارق وقذف المارق في الرد على ابن غرسيه المارق»[٤]. وكذلك رد أبي العلاء إدريس ابن محمد القرطبي المتوفّى سنة ٦٤٧ هـ[٥].

ونوع آخر من الكتب التي ألفها علماء هذه الفترة بمبادرة منهم وذلك دعماً للسلطة في مواجهة النصارى ودعوتهم، ومن هذه الكتب كتاب أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية لأحمد بن إدريس القرافي الذي قال في مقدمته: «... فنظرت في أهل الشرائع والمذاهب، وتفكرت فيمن هو فيها عن التوحيد ذاهب فلم أجد سوى مذهب النصارى الضالين الحيارى، المتشبثين بخيوط العنكبوت... ووجدتهم مع قلة علمهم وعدم فهمهم وكثرة جهلهم قد طبقوا أكثر الأرض بطولها والعرض، فقلت: الآن ظفرت بطلبي، وحصل لي بحمد الله

(١) الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (٣).

(٢) انظر: مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، حققه د. محمد شامة تحت عنوان: بين الإسلام والمسيحية، ص (١٨١)، وما بعدها.

(٣) انظر: المبحث الثاني من الفصل الثاني، ص (٣٧٦).

(٤) انظر: المبحث الثاني من الفصل الثاني، ص (٣٧٦).

(٥) انظر: التكملة لكتاب الصلة، محمد بن عبدالله بن الأبار (١/ ١٩٦ ـ ١٩٧).

مطلبي، فرأيت أن أصنف لمولانا السلطان أعزه الله تعالى في الرد عليهم كتاباً أتحفه فيه بغريبه. . .»[1].

وعلى منوال كتاب القرافي ألف الشيخ نجم الدين مختار بن محمود الزاهدي كتاباً للملك المغولي بركة خان ـ حفيد جنكيز خان ـ أسماه الرسالة الناصرية، وقد كان للملك المغولي جهود في نشر الإسلام والدفاع عنه في مواجهة النصارى خاصة، فكان كتاب الزاهدي دعماً لجهود هذا الملك حيث قال في مقدمته بعد أن أثنى على بركة خان وجهوده في مجال نشر الإسلام: «. . . الذي رفع بإسلامه أعلام الملة الحنيفية بعد حقوقها، ورد إلى المعارف الإسلامية مفروض حقوقها، وأحيى معالم الدين المائتة، وأظهر شعائر الحق الفائتة، ونصر الإسلام على اليهودية والنصرانية، وقدم الحق الأبلج والسبيل الأوضح الأبهج على الرهبانية؛ أردت أن أكتب رسالة باسمه المبارك الميمون، وأذكر فيها كل حجج الملة الحنيفية. . .»[2].

حيث جعل كتابه في أبواب ثلاثة: **الأول:** في حقيقة رسالة محمدﷺ وشيء من معجزاته، **والثاني:** في ذكر المخالفين لنبوّته وجواب شبههم **والثالث:** في مناظرة النصارى والإجابة على أسئلتهم وشبهاتهم[3].

ومثل كتابي القرافي والزاهدي كتاب الواضح المشهود في فضائح النصارى واليهود لصالح بن الحسين الجعفري حيث كان السبب في تأليفه ذلك الكتاب تكليف من الملك الكامل له ولغيره من العلماء بالرد على أسئلة بعث بها ملك الروم سنة ٦١٨ هـ[4].

ومن الكتب في هذه الفترة من ألفها بعض العلماء ابتداءً رجاء هداية

---

(١) أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية، أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق عبد الرحمن بن أحمد دمشقية، ص (٢٠).

(٢) الرسالة الناصرية، مختار بن محمود الزاهدي، تحقيق: محمد المصري، ص (٢٧).

(٣) انظر: المصدر السابق، ص (٢٩) وما بعدها.

(٤) انظر: الواضح المشهود في فضائح النصارى واليهود، صالح بن الحسين الجعفري، ورقة ٢.

النصارى من خلال مناقشة عقائدهم وبيان بطلانها وإيضاح الحق الذي اشتبه على كثير من عامتهم بسبب تلبيس قساوستهم.

ومن الأمثلة على هذا النوع من الكتب كتاب تخجيل من حرف التوراة والإنجيل لصالح بن الحسين الجعفري. والذي بين أن من أهم أسباب تأليفه لذلك الكتاب هو: القيام بواجب الدعوة للنصارى وذلك بقوله: «. . . ومنها قصد إرشادهم ببيان احتمال الألفاظ التي اقتضت غلطهم، فعسى الله أن يقدر هداية بعضهم، ونحن مأمورون بدعائهم إلى سبيل ربنا بالحكمة والموعظة الحسنة»[1].

وهناك بعض الكتب في فترة الحروب الصليبية أو مباحث في أثنائها أفرد في إبراز محاسن الإسلام موجهاً إلى النصارى بقصد إظهار الصورة الحقيقية للإسلام ورغبة في إسلام من يطلع على جوانب من هذه المحاسن فتكون سبباً في هدايته.

ومن الأمثلة على ذلك إفراد الإمام القرطبي في كتابه: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام باباً في محاسن الإسلام، وبين أن الدافع له في وضع هذا الباب سببان:

الأول: ما سمعه من بعض النصارى في وقته من عزمهم الكتابة عن الشريعة الإسلامية على سبيل تشويهها ونشر ذلك بين النصارى، فألف هذا الباب قطعاً لعزمهم حيث قال: «فأردت أن أتولى ذكر شريعتنا لئلا يتعاطى ذكرها ونقلها جهول لا يحسن ما ينقل ولا ما يقول»[2].

الثاني: الرغبة في هداية من يطلع عليه من النصارى وغيرهم حيث قال: «الغرض الثاني: أنه لا يبعد أن يقف على هذا الكتاب نصراني أو يهودي لم يسمع قط من ديننا تفصيلاً ولا تصريحاً، بل إنما سمع له سباً وتقبيحاً، فأردت أن

---

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (١٠٣/١).

(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، ص (٤٣٨).

أسرده على الجملة؛ ليتبين حسنه لمن كان ذكي العقل صحيح الفطرة، فلعل ذلك يكون سبب هداه، وجلاء عماه...»[1].

وهناك كتب كثيرة في هذه الفترة يتضح من خلال عناوينها أنها ردود مباشرة على النصارى، ألفها بعض العلماء دفاعاً عن الإسلام مشاركةً منهم في الصراع الفكري بين المسلمين والنصارى والذي كان سائداً بجانب الصراع العسكري بين الطرفين.

ومن هذه الكتب مثلاً: كتاب الرد على النصارى[2] للإمام محمد بن الوليد الطرطوشي. وكتاب الرد على النصارى[3] لعبد القادر بن عبدالله الفهري الرهاوي[4] المتوفّى سنة ٦١٢ هـ. وكذلك كتاب الرد على النصارى[5] لعلي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني القفطي المتوفّى سنة ٦٤٦ هـ. وكتاب إرشاد الحيارى في الرد على النصارى[6] للشيخ عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدميري المعروف بالديريني المتوفّى سنة ٦٩٤ هـ. وكتاب مقام المدرك في إفحام المشرك[7] لأحمد ابن عبد الصمد الخزرجي المتوفّى سنة ٥٨٢ هـ. وغيرها.

---

(١) المصدر السابق، ص (٤٣٩).

(٢) انظر: المبحث الثاني من الفصل الثاني، ص (٣٥٦).

(٣) مخطوط، ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون، (١/ ٨٣٨)، والمستشرق مورتز في الأدب الجدلي ص (١٣٦)، وانظر: علم دراسة الأديان عند المسلمين، د. محمود قدح، ص (٦٤).

(٤) هو عبد القادر بن عبدالله بن عبدالله الرهاوي الحنبلي، ولد بالرها سنة ٥٣٦ هـ، وكانت وفاته في حران سنة ٦١٢ هـ. له عناية بالحديث فطاف البلاد في طلبه، من مصنفاته: الأربعين المتباينة الإسناد والبلاد، ومصنف في الفرائض وغير ذلك.
انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢٢/ ٧١ ـ ٧٥)، والبداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٣/ ٧٥ ـ ٧٦).

(٥) مخطوط، ذكره المستشرق مورتز في الأدب الجدلي، ص (١٢٩)، وانظر علم دراسة الأديان عند المسلمين، ص (٦٥).

(٦) مطبوع، انظر: علم دراسة الأديان عند المسلمين، د. محمود قدح، ص (٦٧).

(٧) ذكره ابن فرحون في الديباج المذهب (١/ ٢١٦).

ونوع من الكتب ألفها بعض المهتدين من النصارى في هذه الفترة استشعاراً منهم لضرورة هداية قومهم بإيضاح الحق الذي لُبِّس على عامتهم.

ومن هذه الكتب كتاب النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية لنصر بن يحيى بن عيسى المتطبب المتوفّى سنة ٥٨٩ هـ. حيث قال في مقدمته: «... وحيث أنقذني الله من الشريعة التي نسخت والملة التي طمست، وشرفني الله بدين الإسلام... أحببت أن أذكر نبذاً من أحوال النصارى...»[١]. حيث بين اعتقاداتهم ومذاهبهم التي ليس لها أصل أو برهان يُعتمد عليه[٢]. ثم وجه هذا الكتاب إلى علماء النصارى ومقدميهم لعلهم يرجعون عن ضلالهم وطغيانهم.

وكثير من علماء هذه الفترة تطرقوا لديانة النصارى في بعض كتبهم مبينين مذاهبهم وفرقهم على سبيل إيضاح باطلهم وعدم اعتمادهم على شيء في معتقداتهم.

ومن هؤلاء العلماء: العلامة عبد الرحمن بن علي بن الجوزي المتوفّى سنة ٥٩٧ هـ والذي تحدث في بعض كتبه عن اعتقادات النصارى مبيناً ضلالهم وتلبيس إبليس عليهم فيما أحدثوه في ديانتهم ومحذراً من طريقتهم، خاصة في كتابيه كيد الشيطان[٣] وتلبيس إبليس[٤].

ومثل ابن الجوزي محمد بن عبد الكريم الشهرستاني[٥] المتوفّى سنة٥٤٨ هـ

---

(١) النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية، نصر بن يحيى المتطبب، تحقيق د. محمد الشرقاوي، ص (٥١).

(٢) انظر: المصدر السابق، ص (٥١ ـ ٥٢).

(٣) انظر: كيد الشيطان، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، ص (٨٨) وما بعدها.

(٤) انظر: تلبيس إبليس، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، ص (٧٣).

(٥) هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، مولده في شهرستان سنة ٤٧٩هـ، ووفاته بها سنة ٥٤٨ هـ. برع في علم الكلام والأصول وله بهما التصانيف العديدة. منها: كتاب الملل والنحل ونهاية الإقدام في علم الكلام، وتاريخ الحكماء وغير ذلك.

انظر: طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق عبد الفتاح الحلو

في كتابه الملل والنحل[1]. وعبد الرحمن بن محمد الأنباري المتوفّى سنة ٥٧٧ هـ في كتابه الداعي إلى الإسلام[2]. ومحمد بن عمر الرازي المتوفّى سنة ٦٠٦ هـ في كتابه اعتقادات فرق المسلمين والمشركين[3]. وعباس بن منصور السكسكي الحنبلي المتوفّى سنة ٦٨٣ هـ في كتابه البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان[4]. إلى غير ذلك.

ولا شك أن هذه الكتب لها أثرها في الجهود الدعوية الموجهة إلى النصارى من حيث إن بعضها مناقشة مباشرة لقادة الرأي ورجال الدين النصارى كرسالة أبي عبيدة الخزرجي إلى قسيس طليطلة، وكتاب الواضح المشهود للجعفري حينما كلفه الملك الكامل في الرد على أسئلة ملك الروم.

ولها أثرها أيضاً من جهة أن بعضها كان رداً مباشراً على قضايا معينة أثارها النصارى في هذه الفترة وكان لها رواج فكان الرد على مثل هذه القضايا له انتشاره وأثره على العامة من النصارى الذين راجت عندهم، فوصل إليهم الرد والشبه عالقة في أذهانهم فكان أدعى إلى تفنيدها وإزالتها، وذلك مثل رد ابن أبي الخصال وغيره على رسالة ابن غورسية، ورد القرافي في كتابه الأجوبة الفاخرة على أسئلة تعود النصارى إثارتها وترويجها في هذه الفترة.

ولهذه الكتب أيضاً أثرها في عمق التأثير في القارىء بل وفي طبقات المجتمع النصراني بشكل عام في هذه الفترة، وذلك لكونها أطول بقاءً وأوسع

وزميله (٦/ ١٢٨)، وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢٠/ ٢٨٦ ـ ٢٨٨).

(١) انظر: الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: د. أمير علي مهنا، وزميله، (١/ ٢٦٢)، وما بعدها.

(٢) انظر: الداعي إلى الإسلام، عبد الرحمن بن محمد الأنباري، تحقيق سيد حسين باغجوان، ص (٢٥٩) وما بعدها.

(٣) انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، محمد بن عمر الرازي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٩٨ هـ، ص (١٣١) وما بعدها.

(٤) انظر: البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، عباس بن منصور السكسكي الحنبلي، تحقيق د. بسام علي العموش، ص (٩١).

انتشاراً وأسهل تداولاً، فالمحاضرة والخطبة والمناظرة وغيرها في ذلك الوقت يبقى تأثيرها محدوداً من حيث وصول أثرها للحاضرين في وقتها، أما الكتاب وإن كان تأثيره بطيئاً فإن أثره عميق؛ لكونه يُتداول في المجتمع النصراني بمختلف طبقاته فيتسرب لذلك أثره إلى هذه الطبقات إما بإسلام البعض، أو بإزالة شبهة قائمة حول الإسلام، أو بتشويش ما لديهم من قناعات حول معتقداتهم.

المطلب الثاني

وسيلة الجهاد

الجهاد في اللغة: من الجَهْدُ والجُهْدُ وهو الطاقة والوسع[1]، يقال: «جهد الرجل في كذا أي جد وبالغ فيه»[2].

وفي الاصطلاح هو: ـ بذل الوسع لتكون كلمة الله هي العليا ـ فيشمل أي جهد يبذله الإنسان في أي مجال وفق المنهج الشرعي في سبيل تحقيق هذه الغاية.

فيدخل في ذلك كل ما من شأنه صلاح المسلمين في دينهم ودنياهم، كبذل الجهد في إصلاح النفس ومجاهدتها، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدفاع عن الأمة ورد المعتدين عنها، والدعوة إلى الإسلام ونشره بالحجة والبرهان، ومواجهة الأعداء باللسان والسنان وإعداد القوة لذلك.

وهذا المفهوم للجهاد هو ما عناه ابن القيم ـ رحمه الله ـ في كتابه زاد المعاد، حيث جعل الجهاد أربع مراتب فقال: «. . . فالجهاد أربع مراتب: جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين»[3].

---

(١) انظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، مادة جَهَدَ (٣/ ١٣٣).

(٢) المصدر السابق، مادة جَهَدَ (٣/ ١٣٣).

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر «ابن القيم»، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وزميله، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السادسة عشر، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨م (٣/ ٩).

فمن جهاد النفس مجاهدتها على تحصيل العلم والعمل به والدعوة إليه والصبر على ذلك، ومن جهاد الشيطان دفع ما يلقيه من شبهات على العبد، ومن الجهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومدافعة أرباب الظلم والبدع بالقلب واللسان واليد، ثم مجاهدة الكفار أيضاً بالقلب واللسان والمال والنفس وهو أخص(١).

وقد ربط ـ رحمه الله ـ بين هذه المراتب فقال: «. . . فينشأ من هذين الجهادين ـ أي جهاد النفس وجهاد الشيطان ـ قوة وسلطان وعدة يجاهد بها أعداء الله في الخارج بقلبه ولسانه ويده وماله؛ لتكون كلمة الله هي العليا»(٢).

والجهاد بمعناه الخاص هو قتال الكفار لتكون كلمة الله هي العليا.

وفي هذا المفهوم له تحدث الفقهاء ـ رحمهم الله ـ عن الأحكام الخاصة به.

وإذا كان قتال الكفار لأجل أن تكون كلمة الله هي العليا، فهو بذلك قتال يختلف عن كل أشكال القتال والحروب الأخرى التي تحركها أهداف سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو أطماع شخصية أو غير ذلك.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ﴾(٣).

فالقتال في الإسلام له أهداف سامية يجمعها قصد إعلاء كلمة الله، قال سبحانه: ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ﴾(٤).

ولهذه الغاية النبيلة من القتال في الإسلام كانت له شروطه وآدابه، فلا يكون إلا بعد الإنذار وعرض الإسلام وإلا الجزية، ثم بعد ذلك القتال، وحتى في القتال لا يكون غدر ولا خدعة ولا قتل لكبير أو صغير أو امرأة، ولا إتلاف ما

---

(١) انظر: المصدر السابق (٣/ ١٠ ـ ١١).

(٢) المصدر السابق (٣/ ٨).

(٣) سورة النساء، الآية: (٧٦).

(٤) سورة الأنفال، الآية: (٣٩).

لا مصلحة في إتلافه من الممتلكات، فمن توجيهات النبيّ ﷺ لألوية المجاهدين قوله: «... **اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً...**»(١).

وقد بينت النصوص الكثيرة فضل الجهاد وعظم ثواب المجاهدين، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾(٢).

وقال ﷺ: «**لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها**»(٣).

وقال: «**الجنة تحت ظلال السيوف**»(٤).

وقال أيضاً: «... **رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها**»(٥).

والجهاد في سبيل الله ليس فقط وسيلة دعوية لتبليغ الإسلام فحسب بل هو أيضاً أبرز وسيلة تمكن للوسائل والأساليب الدعوية الأخرى من تحقيق أهدافها على الوجه المطلوب.

---

(١) أخرجه مسلم، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث...، حديث رقم (١٧٣٠)، ص (٧٢٠).

(٢) سورة التوبة، الآية: (١١١).

(٣) أخرجه البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب الغدوة والروحة في سبيل الله، حديث رقم (٢٧٩٢)، ص (٥٢٩ ـ ٥٤٠)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الغدوة والروحة في سبيل الله، حديث رقم (١٨٨٠)، ص (٧٨٤).

(٤) أخرجه البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب الجنة تحت بارقة السيوف، حديث رقم (٢٨١٨)، ص (٥٤٤)، ومسلم، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب كراهة تمني لقاء العدو، حديث رقم (١٧٤٢)، ص (٧٢٣).

(٥) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل رباط يوم في سبيل الله، حديث رقم (٢٨٩٢)، ص (٥٥٦)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الغدوة والروحة في سبيل الله، حديث رقم (١٨٨١)، ص (٧٨٤).

وقد كان الجهاد في عهد النبوّة أبرز بل أهم وسائل الدعوة، حيث جاهد النبيّ ﷺ بنفسه، وعقد الألوية وبعث السرايا إعلاءً لكلمة الله سبحانه وتعالى، فما انتقل إلى الرفيق الأعلى إلا والإسلام قد عم أنحاء شبه الجزيرة العربية، ثم سار على نهجه خلفاؤه الراشدون، فسارت جحافل المجاهدين إلى خارج الجزيرة العربية للتمكين لكلمة الحق ونشر العدل فما انقضى عهد الخلافة إلا والإسلام قد امتد إلى بلاد فارس والعراق والشام ومصر وشمال إفريقيا. ثم تتابعت الفتوحات الإسلامية بعد ذلك لتصل إلى أواسط آسيا وجنوب أوربا وبلاد الأندلس ووسط إفريقيا وشمالها الغربي وسواحلها الشرقية.

وفي عصر الحروب الصليبية كان الجهاد في سبيل الله من أهم وسائل الدعوة الموجهة إلى النصارى.

فقد كان من أبرز سمات هذه الفترة تسلط النصارى وقدوم جحافلهم إلى البلاد الإسلامية غازين لها بقصد احتلال بيت المقدس والسيطرة على بلاد المسلمين في الشام ومصر؛ فتأكد الجهاد لذلك على المسلمين، وقام بهذه الفريضة بعض قادة الأمة خير قيام، وتمكن المسلمون من خلالها من مجابهة النصارى بل والظهور عليهم وطردهم من البلاد الإسلامية وتحطيم كياناتهم التي أقاموها في الشام ومصر.

حيث استطاع عماد الدين زنكي فتح إمارة الرها الصليبية سنة ٥٣٩ هـ[(١)] وإزالة أول دولة صليبية نصرانية أقامها النصارى في البلاد الإسلامية وذلك بعد أن تمكن من توحيد الجبهة الإسلامية المتناحرة في ديار بكر والجزيرة وغربي الفرات وحمص وحلب وشمال الشام في دولة واحدة تحت قيادته تمكنت من الوقوف في وجه المد النصراني بل والمبادءة في فتح المناطق التي امتد إليها.

وقد كان سقوط إمارة الرها الصليبية بداية النهاية لتداعي وجود النصارى في

---

(١) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، (٩/ ١٣١)، والروضتين في أخبار الدولتين، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (١/ ٣٦).

البلاد الإسلامية[١]؛ لمكانتها لديهم من حيث القوة والمكانة التاريخية.

ثم جاء نور الدين محمود ـ رحمه الله ـ بعد والده حيث أخذ في تقليص النفوذ النصراني في البلاد الإسلامية والزحف على الأراضي التي استولى عليها الصليبيون، حيث تغلب على صاحب أنطاكية ريموند وقتله سنة ٥٤٤ هـ، وضم معظم الأملاك التابعة له إلى السيادة الإسلامية[٢].

وكذلك استطاع استخلاص كثير من الحصون من مملكة بيت المقدس الصليبية كحصن حارم وبانياس وغيرهما[٣]. وأنجد مصر حين حاصرها الصليبيون وذلك بإرسال قائده أسد الدين شيركوه إليها مما أدى إلى انسحابهم عنها[٤].

ثم استطاع صلاح الدين الأيوبي ـ رحمه الله ـ من تحطيم قوة مملكة بيت المقدس وتحجيم نفوذها والزحف على رقعة واسعة من أملاكها خاصة بعد معركة حطين سنة ٥٨٣ هـ ثم فتح بيت المقدس بعد ذلك في السنة نفسها[٥].

وتمكن الملك الكامل من طرد الصليبيين عن مصر وهزيمتهم في معركة المنصورة سنة ٦١٨ هـ، بل وأسر لويس التاسع ملك فرنسا[٦].

ثم دَحْر الملك الظاهر بيبرس الصليبيين وتضييق الخناق عليهم ومن ثم

---

(١) انظر: الحروب الصليبية، آرنست باركر، ترجمة: السيد الباز العريني، ص (٥٢).

(٢) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٩/ ١٧٠).

(٣) انظر: المصدر السابق (٩/ ٣٠٨ ـ ٣١١).

(٤) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٩/ ٣٣٧ ـ ٣٤١).

(٥) انظر: النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق جمال الدين شيال، ص (١٢٦)، والكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (١٠/ ٢٤ ـ ٣٣).

(٦) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (١٠/ ٣٠٧ ـ ٣١١). والسلوك لمعرفة دول الملوك، أحمد بن علي المقريزي، تحقيق محمد مصطفى زيادة، الجزء الأول، القسم الأول، ص (١٩٤).

الاستيلاء على أنطاكية والقضاء على هذه الإمارة الصليبية سنة ٦٦٦ هـ[١].

بعد ذلك استطاع السلطان المملوكي قلاوون الصالحي[٢] سنة ٦٨٨ هـ إسقاط إمارة طرابلس[٣]. ثم الاستيلاء على آخر معاقل الصليبيين في الشام والمتمثل في مدينة عكا وهي بعض ما تبقى من إمارة بيت المقدس وذلك سنة٦٩٠هـ على يد الأشرف خليل[٤][٥].

وفي شمال إفريقيا تمكن المستنصر بالله الحفصي[٦] بعد عدة معارك انتهت

---

(١) انظر تفاصيل ذلك في: السلوك لمعرفة دول الملوك، أحمد بن علي المقريزي، تحقيق محمد مصطفى زيادة، الجزء الأول، القسم الأول، ص (٤٨٣) وما بعدها.

(٢) هو قلاوون بن عبدالله التركي الصالحي الألفي، من مماليك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل، ما زال يترفع في الدولة حتى استقل بالملك سنة ٦٨٤ هـ. كان عالي الهمة شجاعاً وقوراً. ولد سنة ٦٢٠ هـ وكانت وفاته سنة ٦٨٩ هـ بمصر.

انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٣/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦)، والسلوك لمعرفة دول الملوك، أحمد بن علي المقريزي، تحقيق محمد مصطفى زيادة الجزء الأول، القسم الأول، ص (٦٦٣).

(٣) انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٣/ ٣٣١ ـ ٣٣٢).

(٤) هو خليل بن قلاوون الصالحي الملك الأشرف، من ملوك مصر، تولى بعد أبيه سنة ٦٨٩ هـ اليد الطولى في جهاد الصليبي في الشام،، وعلى يديه كان طردهم نهائياً من البلاد الإسلامية، حيث استرد آخر معاقلهم عكا وصور وصيدا وبقية مدن الساحل. كانت ولادته سنة ٦٦٦ هـ ووفاته غيلة على يد أحد المماليك سنة ٦٩٣ هـ.

انظر: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (٢/ ١١١)، والسلوك لمعرفة دول الملوك، أحمد بن علي المقريزي، تحقيق محمد مصطفى زيادة، الجزء الأول، القسم الثالث، ص (٧٥٦ ـ ٧٩٣).

(٥) انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٣/ ٣٣٨) وما بعدها.

(٦) هو محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص الهتاني «المستنصر بالله» من ملوك الدولة الحفصية بتونس، تولى سنة ٦٤٧ هـ. كان حازماً شجاعاً، له جهود في مواجهة الحملات الصليبية على تونس. كان مولده سنة ٦٢٥ هـ ووفاته سنة ٦٧٥ هـ.

بالصلح مع قادة الحملة الصليبية على أن يغادروا بلاد المسلمين وذلك سنة ٦٦٩هـ[١].

وفي الأندلس كان لدولتي المرابطين والموحدين جهود بارزة في مجال جهاد النصارى في الأندلس واستخلاص كثير من المناطق التي زحفوا عليها إثر تضعضع أحوال المسلمين فيها واضطرابها بسبب تنافس ملوك الطوائف.

فكان من أشهر مواقع المسلمين معهم معركة الزلاقة المشهورة قبيل قيام الحروب الصليبية في المشرق وذلك سنة ٤٧٩ هـ بعد ما كاد الأذفونش ملك الإفرنج في الأندلس أن يبسط نفوذه عليها، حيث عبر يوسف بن تاشفين بجحافل المجاهدين من المغرب وانضم إليه كثير من مسلمي الأندلس وتمكن من إيقاع الهزيمة المنكرة بالنصارى وإيقاف زحفهم بل واستخلاص كثير من المناطق منهم[٢].

ومن جهاد المرابطين للنصارى في الأندلس غزو مملكة قشتالة النصرانية ومعركة إقليج المشهورة والتي كان لانتصار المسلمين فيها الأثر الكبير في تحجيم قوة هذه المملكة النصرانية وتأمين المسلمين المتاخمين لحدودها[٣].

ومما يضاف إلى جهود المرابطين في هذا المجال اقتحام طليطلة وفتح الكثير من الحصون حولها[٤].

انظر: العبر، عبد الرحمن بن خلدون (٦/ ٢٨٠).

(١) انظر: العبر، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (٦/ ٢٩٣).

(٢) انظر أخبار هذه المعركة في: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٣٠٧) وما بعدها.

(٣) انظر: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، أحمد بن محمد بن عذاري، تحقيق د. إحسان عباس (٤/ ٤٤ ـ ٤٥)، والأنيس المطرب، علي بن أبي زرع الفاسي، ص (١٥٩).

(٤) انظر: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، أحمد بن محمد بن عذاري، تحقيق د. إحسان عباس (٤/ ٥٢)، والأنيس المطرب، علي بن أبي زرع الفاسي، ص (١٦٢).

ومن جهاد الموحدين للنصارى في الأندلس استرداد المرية سنة ٥٥٢ هـ بعد اضطراب أمر المرابطين فيها ومن ثم زحف النصارى عليها[١].

كذلك طرد الصليبيين من المهدية سنة ٥٥٤ هـ[٢]، وتحطيم قوة النصارى في الأندلس سنة ٥٩١ هـ في معركة الأراك وإعادة هيبة المسلمين بعد ما اعتراهم من ضعف ووهن في مقابل النصارى؛ مما دفع النصارى إلى طلب الصلح وكف الأذى عن المسلمين[٣].

وجانب آخر يوضح أثر هذه الوسيلة على النصارى من حيث إن عملية الجهاد أتاحت لأعداد كبيرة من النصارى الأوربيين المقاتلين في الجيوش الصليبية الاحتكاك بالمسلمين ومعرفة بعض معتقداتهم وأخلاقهم وما يتميز به كثير من القادة المسلمين من عدل ورحمة وعطف هذه الصفات التي تعكس الأخلاق الإسلامية، وتعطي صورة صادقة عن سماحة الإسلام، الأمر الذي جعل أعداداً كبيرة من أفراد هذه الحملات يعتنقون الإسلام، بل إن بعض قادتهم أقسم ألا يقاتل المسلمين لما رآه من عدل وإنصاف لدى بعض القادة. وكثيرون منهم تبدلت عداوتهم إلى محبة ومودة للمسلمين بسبب حسن المعاملة التي وجدوها من قبل الجيوش الإسلامية[٤].

---

(١) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٩/ ٢٤١ ـ ٢٤٢).

(٢) انظر: المصدر السابق (٩/ ٢٥٧ ـ ٢٦١).

(٣) انظر: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، أحمد بن محمد بن عذاري، (قسم الموحدين) تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرين، ص (٢١٧)، والأنيس المطرب، علي ابن أبي زرع الفاسي، ص (٢٢٠ ـ ٢٢٨).

(٤) من ذلك مثلاً أنه في إحدى معارك صلاح الدين مع النصارى ولما رآه كثير منهم من حسن المعاملة والرحمة من جيش المسلمين أن انشقت جماعة منهم وانضمت إلى جيش المسلمين ضد بني ملتهم وذلك سنة ٤٨٦ هـ. (انظر: النوادر السلطانية، يوسف بن رافع ابن شداد، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ص ٢٣٣) ولذلك فإنه أحد قساوسة الإفرنج أرسل رسائل إلى البابا ونوابه يطلب منها ألا يرسلوا الضعفاء والفقراء لأنهم أكثر عرضة لأن يفتنهم المسلمون فيدخلوا في الإسلام. (انظر: الدعوة إلى الإسلام، توماس أرنولد،

وللجهاد أثر واضح في دعوة النصارى من ناحية كونه أتاح الكثير من الاتصالات بين قادة الفريقين سواء عن طريق الرسل أو من خلال الرسائل والمكاتبات أو الاجتماعات المباشرة.

وهذه الاتصالات بين قادة الطرفين ـ والتي كان أهم أسبابها حالة الحرب بين المسلمين والنصارى واستمرار المسلمين في جهادهم لهؤلاء الصليبيين ـ هذه الاتصالات حولت نظرة بعض قادة النصارى تجاه المسلمين من عداء لا يقبل النقاش والمفاوضة إلى مهادنة وصلح، وفي بعض الأحيان ود وصداقة من بعضهم مع بعض قادة المسلمين، ولا شك أن لذلك أثره على مواقفهم ومواقف من تحت ولاياتهم تجاه المسلمين.

ومن ذلك مثلاً أن أحد قادة النصارى في الشام ويقال له: الكندهري أرسل رسالة إلى صلاح الدين استعطفه فيها وتلطف بها طالباً خلعةً منه تعبيراً عن المحبة والمهادنة حيث كان مما قال: «. . . أنت تعلم أن لبس القباء(١) والشربوش(٢) عندنا عيب، وأنا ألبسهما منك محبة لك» فأنفذ إليه خلعة سنية فيه القباء والشربوش فلبسهما بعكا سنة ٥٨٨ هـ(٣).

ومثال آخر على تأثر قادة النصارى باتصالاتهم مع قادة المسلمين والتي فرضتها ظروف الجهاد؛ رفض فريدريك الثاني ملك صقلية تحريض بطريرك أنطاكية للقيام بحملة صليبية لتخليص بيت المقدس من المسلمين سنة ٦٤٢هـ

ترجمة د. حسن إبراهيم حسن وآخرين، ص ١١٢. وقد ذكر توماس آرنولد في كتابه الدعوة إلى الإسلام نماذج كثيرة لدخول النصارى في الإسلام بسبب حسن معاملة المسلمين أو انضمامهم إلى جيوش المسلمين وهم على نصرانيتهم ضد بني ملتهم. انظر: مثلاً ص (١١١، ١١٢) من الكتاب المذكور.

(١) القباء: «ثوب يلبس فوق الثياب أو القميص ويتمنطق عليه». المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، (٢/ ٧١٣).

(٢) الشربوش: «قلنسوة طويلة أعجمية» محيط المحيط، بطرس البستاني، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٧م، ص (٤٥٨).

(٣) الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (١٠/ ١٠٦).

حيث كان من قوله: «... إن صديقي السلطان المسلم أثمن لدي من أي شخص آخر ما عدا ولدي الملك كونرارد»[1].

وقد اشتهر عن هذا الملك تقريبه للمسلمين واستعماله لكثير من علمائهم.

ومثله في مواقفه هذه من قادة المسلمين وعامتهم ابنه مانفرد، والذي لمسه ابن واصل بنفسه إثر سفارته إليه من قبل الملك الظاهر بيبرس حيث قال: «... ووجدت أكثر أصحابه الذين يتولون أموره الخاصة به مسلمين، ويعلن في معسكره بالآذان والصلاة»[2].

وكثيراً ما أدت عملية الجهاد للنصارى إلى مصالحة من بعض قادتهم وانحيازهم إلى صف المسلمين ضد إخوانهم في الديانة.

ومن الأمثلة على ذلك مصالحة صلاح الدين لصاحب صيدا والذي نتج عنه أن صار هذا القائد الصليبي يقاتل النصارى ويقف مع المسلمين في مواجهتهم حتى أثَّر ذلك في قومه[3].

ووسيلة الجهاد في هذه الفترة ضد النصارى ساعدت على نجاح كثير من وسائل الدعوة وأساليبها معهم، فمن خلال الجهاد خضع كثير من النصارى تحت سيطرة المسلمين وعاشوا تحت الحكم الإسلامي، ولا شك أن ذلك سهل تأثير وسائل الدعوة الأخرى فيهم من كتاب ومخالطة ودعوة مباشرة وغير ذلك.

وأتاحت وسيلة الجهاد كذلك النجاح لكثير من الأمور الأخرى مع النصارى من معاهدات، أو اتفاقات، أو تجارة، أو غير ذلك مما يعود بالفائدة على المسلمين، حيث أدت هذه الأمور إلى زيادة الاختلاط بين الطرفين في ظروف سلمية مما كان له أثره في انتقال كثير من التأثيرات الإسلامية إليهم.

---

(١) العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، د. حسان حلاق، الدار الجامعية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م، ص (١٤٤).

(٢) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، محمد بن سالم بن واصل، تحقيق حسنين محمد ربيع (٤/٢٤٨).

(٣) انظر: النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ص (٣٠٤).

وأعظم آثار وسيلة الجهاد في هذه الفترة تجاه النصارى أنها أظهرت عزة المسلمين وقوتهم أمام أعدائهم، وجعلتهم أمة مرهوبة الجانب تحطمت على صمودها وقوتها حملات الصليبيين المتعاقبة؛ مما جعل كثيراً من عامة النصارى خاصةً في أوربا تتزعزع قناعاتهم بصحة ما هم عليه، ويفقدون الثقة برجال دينهم الذين وعدوهم بالنصر والغفران والسعادة.

فحينما عاد جماعة من النصارى المشاركين في إحدى الحملات الصليبية أخذوا يدعون إلى التحرر من سلطة رجال الدين لديهم وأعلنوا أنه «لو اجتمعت الباباوات والكرادلة من أولهم إلى آخرهم على أن يضعوا عن مخلوق ذنباً واحداً ما قدروا، بل الله يغفر الذنوب»(١).

بل إن أعداداً كثيرةً من النصارى في أوربا أخذوا يصرحون أن إخفاق الحملات الصليبية يدحض ما يدعيه البابا من أنه نائب عن الله أو ممثل له في أرضه(٢).

ولما أخذ الرهبان في أوربا يدعون إلى إحدى الحملات الصليبية المتأخرة ويسألون الناس بذل المال دعماً لها كان كثير من النصارى يسخرون منهم حتى أنهم أخذوا يوزعون المال على الفقراء باسم محمدﷺ من قبيل السخرية بالرهبان، لأن محمداًﷺ قد ظهر أنه أعظم قوة من المسيح في هذه الحروب(٣).

وقد بين أحد الكتاب الغربيين أن من أهم نتائج فشل الحملات العسكرية الصليبية ـ والتي كان الجهاد في سبيل الله السبب المباشر في ذلك ـ إن هذا الفشل بعث كثيراً من العقول في أوربا على التفكير، وكان سبباً في إضعاف العقائد الدينية المستقرة لدى النصارى في القرنين الثالث عشر والرابع عشر(٤).

---

(١) أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوربي خلال الحروب الصليبية، عبدالله بن عبد الرحمن الربيعي، ص (١٤٥)، نقلاً عن: أصول الماسونية التاريخية وموقفها من الإسلام. قاسم السمرائي، ص (٧).

(٢) انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة: محمد بدران، المجلد الرابع، الجزء الرابع، ص (٦٧).

(٣) المصدر السابق، المجلد الرابع، الجزء الرابع، ص (٦٧).

(٤) المصدر السابق، المجلد الرابع، الجزء الرابع، ص (٦٥).

المطلب الثالث

وسيلة الرسل

كلمة «الرسل» جمع رسول من الإرسال بمعنى التوجيه، وتأتي بمعنى الإطلاق والتسليط[1]، والاسم الرِّسالة والرَّسول والرَّسيل[2]. وسمي الرسول رسولاً لأنه ذو رسالة»[3]. «وتراسل القوم: أي أرسل بعضهم إلى بعض»[4].

فالرسول إذن هو من يحمل رسالة ليؤديها بين طرفين، فهو مؤتمن بتأدية رسالة من أرسله دون زيادة أو نقص؛ لذلك يجب أن يتحلى هذا بصفات معينة من الأمانة والفصاحة والشجاعة وما إلى ذلك مما يعينه على تأدية ما اؤتمن عليه على أتمّ وجه.

قال القلقشندي[5]: «فإنه يستدل على عقل الرجل بكتابه ورسوله»[6].

---

(١) انظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، مادة ـ رسل ـ (١١/ ٢٨٣)، والقاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مادة ـ رسل ـ ص (١٣٠٠).

(٢) انظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، مادة ـ رسل ـ (١١/ ٢٨٣).

(٣) المصدر السابق مادة ـ رسل ـ (١١/ ٢٨٤).

(٤) المصدر السابق مادة ـ رسل ـ (١١/ ٢٨٣).

(٥) هو أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي، مؤرخ أديب بحاثة، مولده في قرية قلقشندة قرب القاهرة، سنة ٧٥٦ هـ، ووفاته بالقاهرة سنة ٨٢١ هـ. من مؤلفاته صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب وغير ذلك.
انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، محمد بن عبد الرحمن السخاوي (٢/ ٨).

(٦) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد بن أحمد القلقشندي (١/ ١١٦).

وقد كان الرسل في السابق من أهم وسائل الاتصال بين الملوك والأمراء لنقل وجهات نظر بعضهم إلى بعض، في شؤونهم المختلفة، وكان لهم احترامهم وتقديرهم من حيث الحماية والإكرام.

وقد استخدم النبيّ ﷺ الرسل كثيراً في تبليغ الدعوة. فمن ذلك مثلاً: إرساله عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى قريش «يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وأنه جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمته»[١]، وإرسال دحية الكلبي رضي الله عنه إلى هرقل بكتاب منه ﷺ يدعوه فيه إلى الإسلام[٢]، وإرسال عبدالله بن حذافة السهمي رضي الله عنه إلى كسرى ملك الفرس بكتاب مثل ذلك[٣].

بل إن انتشار الإسلام في بعض المناطق في عهده ﷺ كان من خلال رسله عليه الصلاة والسلام. فمن ذلك مثلاً: بعثه علياً رضي الله عنه بكتاب إلى قبيلة همذان في اليمن حيث أسلموا جميعاً على يده، ففي الحديث قول البراء بن عازب رضي الله عنه - وكان شاهداً - «... فلما دنونا من القوم خرجوا لنا فصلى بنا عليّ، ثم صفنا صفاً واحداً، ثم تقدم بين أيدينا، وقرأ كتاب رسول الله ﷺ، فأسلمت همذان جميعاً...»[٤].

وفي عصر الحروب الصليبية اعتمد المسلمون كثيراً على الرسل في اتصالاتهم مع النصارى خصوصاً مع الصليبيين، فمن خلالهم نُقلت وجهات النظر الإسلامية إلى النصارى حيال كثير من الأمور التي كانت مدار خلاف بين الطرفين

---

(١) أخرجه الإمام أحمد، المسند حديث رقم (١٨٩١٠)، (٣١/ ٢١٠)، وموضع الشاهد (٣١/ ٢١٦)، قال محققوه: حسن.

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، حديث رقم (٧)، ص (٢٤)، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبيّ ﷺ إلى هرقل، حديث رقم (١٧٧٣)، ص (٧٣٦).

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب كتاب النبيّ ﷺ إلى كسرى وقيصر، حديث رقم (٤٤٢٤)، ص (٨٣٨).

(٤) أخرجه البخاري، الصحيح، كتاب المغازي، باب بعث علي وخالد إلى اليمن، حديث رقم (٤٣٤٩)، ص (٨٢١).

في هذه الفترة. وعن طريقهم تبدلت مواقف كثير من النصارى العدائية تجاه الإسلام والمسلمين، ولدورهم الفعال تحققت الكثير من المصالح للمسلمين في مواجهة النصارى ودعوتهم خصوصاً إذا كان لهؤلاء الرسل مجال في المفاوضة والمحاورة والنقاش.

ومن العناية بشأن الرسل في فترة الحروب الصليبية حِرْص الحكام المسلمين على تزويدهم بوثائق تعرف بهم تسمى بـ التذاكر ـ حيث كانت تتضمن التذكرة اسم المُرْسَل وصفته يكتبها كاتب خاص بديوان الإنشاء(١).

وقد أورد القلقشندي نموذجاً لهذه التذكرة وفيها بعد البسملة: . . . تذكرة منجحة صدرت على يد فلان بن فلان عند وصوله إلى فلان بن فلان، ثم يقول: قد استخرنا الله عزّ وجلّ وأوفدناك أو وجهناك إلى فلان لإيصال ما أودعناك وشافهناك به من كذا وكذا. ويقضي جميع الأغراض التي ألقيت إليه مجملة»(٢).

ومن نماذج استخدام الرسل في فترة الحروب الصليبية بين المسلمين والنصارى رسل صلاح الدين ـ رحمه الله ـ الكثيرة إلى قادة الإفرنج لإيصال رسائله في قضايا مختلفة تتعلق بشؤون الجهاد ومصالح المسلمين في مواجهة النصارى.

فمن ذلك مثلاً رسوله إلى ملك القسطنطينية لإبلاغه رسالة منه بشأن إقامة صلاة الجمعة في بلاده، وقد قال ابن شداد عن ذلك: « . . . وكان وصل منه ـ أي ملك القسطنطينية ـ إلى الباب السلطاني بمرج عيون(٣) في رجب سنة خمس وثمانين وخمسمائة في جواب رسول كان أنفذه السلطان ـ رحمه الله ـ إليه بعد تقرير القواعد وإقامة قانون الخطبة في جامع القسطنطينية»(٤).

---

(١) انظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد بن أحمد القلقشندي (٢/ ٤٧٦).

(٢) المصدر السابق (١٣/ ٨١).

(٣) مرج العيون: قال ياقوت الحموي: تقع بسواحل الشام. معجم البلدان (٥/ ١١٩)، وهي حالياً بلدة تقع في الجنوب الشرقي لدولة لبنان قرب الحدود السورية الفلسطينية.
انظر: أطلس العالم، محمد سيد نصر وآخرون، ص (٤٣).

(٤) النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ص (٢٠٢).

ورسوله أيضاً إلى ملك الفرنسيس بعد قدومه إلى الشام سنة ٥٨٧ هـ «وكان عظيماً عندهم ـ أي الفرنج ـ مقدماً محترماً من كبار ملوكهم، ينقاد إليه الموجودون في العسكر بأسرهم، بحيث إذا حضر حكم على الجميع. . .»(١).

قال ابن شداد: «. . . ثم أرسل السلطان ـ رحمه الله ـ إلى الفرنسيس رسولاً سار إليه إلى صور ـ يسر الله فتحها ـ بهدايا سنية وطيب كثير وثياب جميلة. . .»(٢).

وهذا التلطف واللين مع ملك الفرنسيس طمعاً في كسبه ضد بقية ملوك وأمراء الفرنج في الشام الذين تكالبوا على المسلمين، أو على الأقل مهادنته لكيلا ينضم إليهم فتقوى شوكتهم به.

وكذلك رسوله إلى المركيس صاحب صور بشيء من التلطف واللين وذلك «لقصد فصله عن الفرنج»(٣) حتى كسبه ضد بني ملته؛ فجاهر بعدائهم بل وقتالهم.

قال ابن شداد: «وكان في ذلك مصلحة للمسلمين لانقطاع المركيس عن الفرنج، فإنه كان من أشدهم بأساً وأعظمهم للحرب مراساً، وأثبتهم في التدبير أساساً. . .»(٤).

ومن أبرز ما تحقق على يد الرسل من المصالح للمسلمين في مواجهة النصارى ما حققه رسول صلاح الدين ـ وهو أخوه الملك العادل ـ إلى ملك الانكتار ولقاءاته المتعددة بهذا الملك الصليبي مرسلاً من قبل صلاح الدين حيث تمّ على يده الهدنة مع هذا الملك وكسر شوكة النصارى في الشام، فتنازلوا عن القدس، وانحصر نفوذهم في شريط ضيق في الساحل(٥).

---

(١) المصدر السابق، ص (٢٣٧).

(٢) المصدر السابق، ص (٢٦١).

(٣) المصدر السابق، ص (٢٨٥).

(٤) المصدر السابق، ص (٢٩٨).

(٥) انظر: المصدر السابق، ص (٢٩٠ و٢٩٢ و٢٩٣ و٣٢٥ و٣٢٨).

وإذا كان رسل المسلمين إلى النصارى من العلماء فإن لهم تأثيراً أكبر من خلال ما يتمتع به هؤلاء الرسل من العلم الذي يمكنهم بالإضافة إلى أداء ما كلفوا به من رسائل على الوجه الأكمل؛ يمكنهم كذلك من المناقشة والمناظرة مع قادة النصارى وعلمائهم، ولا شك أن لذلك تأثيره عليهم سواء في تصحيح مفهوم مغلوط عن الإسلام لديهم، أو نقد عقيدة باطلة في ديانتهم، أو إظهار ما لدى المسلمين من علم وتقدم.

ومن أمثلة الرسل المسلمين إلى النصارى من العلماء في هذه الفترة رسول الملك الكامل وهو فخر الدين يوسف بن حمويه[(١)] أحد علماء مصر إلى ملك صقلية فريدريك الثاني[(٢)]. فبالإضافة إلى أداء هذا العالم رسالة الملك الكامل إلى فريدريك الثاني فإنه دارت بينه وبين الملك النصراني عدة محاورات علمية مختلفة»[(٣)].

وكان هذا الملك من المعجبين بالحضارة الإسلامية حتى اتهمه البعض بالإسلام وإخفاء ذلك. فعندما زار بيت المقدس وتجول في الأماكن المقدسة بإذن من الملك الكامل كان من قوله: «... والله إنه كان أكبر غرضي في المبيت بالقدس أن أسمع أذان المسلمين وتسبيحهم...»[(٤)].

---

(١) هو فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ بن حمويه، مولده بدمشق في حوالي سنة ٥٨٢ هـ ووفاته مقتولاً بمصر على يد الفرنج سنة ٦٤٧ هـ. كان عاقلاً شجاعاً مهيباً خليقاً للإمارة، تولى العديد من المهام لبني أيوب، خصوصاً في فترة الملك الكامل ونجم الدين أيوب.

انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢٣/ ١٠٠ ـ ١٠١)، والبداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٣/ ١٩٠).

(٢) انظر: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، محمد بن سالم بن واصل، تحقيق د. جمال الدين الشيال (٤/ ٢٤٣)، والسلوك لمعرفة دول الملوك، أحمد بن علي المقريزي، الجزء الأول، القسم الأول، ص (٢٣٠ ـ ٢٣١).

(٣) انظر: تاريخ الحضارة الإسلامية في صقلية وأثرها على أوربا، د. حامد زيان نمانم، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٧م، ص (١٢٠).

(٤) السلوك لمعرفة دول الملوك، أحمد بن علي المقريزي، الجزء الأول، القسم الأول، ص (٢٣١).

ومن رسل الملك الكامل إلى فريدريك الثاني أيضاً جمال الدين بن منقذ(١) الشيزري حيث بعثه بهدية سنية فيها من تحف اليمن والعراق والشام ومصر(٢).

ومن الرسل العلماء بين المسلمين والنصارى في هذه الفترة الشيخ سراج الدين الأرموي(٣) قاضي قونية، والذي أرسله الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل إلى فريدريك الثاني ملك صقلية، وبعد أداء هذا العالم رسالته مكث عند الملك الصقلي فترة ألّف فيها بعض الكتب(٤).

ومن هذا النوع من الرسل أيضاً المؤرخ جمال الدين محمد بن سالم بن واصل الذي بعثه الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٥٩ هـ إلى منفرد الابن غير الشرعي لفريدريك الثاني ملك صقلية الذي تولى الحكم بعد وفاة أبيه.

وقد وصف ابن واصل سفارته واجتماعه بالملك منفرد وأثنى على حبه للعلوم، وتقريبه للمسلمين وإقامة شعائر الإسلام في بعض مدنه، حيث قال: «... ووجدت أكثر أصحابه الذين يتولون أموره الخاصة به مسلمين، ويعلن في

---

(١) من أسرة بني منقذ الكنانية، حكام قلعة شيزر، قرب معرة النعمان في الشام، والتي حكمت القلعة من سنة ٤٧٤ هـ إلى سنة ٥٥٢ هـ، حيث تهدمت هذه القلعة بعد ذلك بزلزال عنيف، ثم سيطروا عليها الإسماعيلية.

(٢) انظر: السلوك لمعرفة دول الملوك، أحمد بن علي المقريزي، تحقيق محمد مصطفى زيادة، الجزء الأول، القسم الأول، ص (٢٢٣).

(٣) هو محمود بن أبي بكر بن أحمد الأرموي، عالم بالأصول والمنطق، مولده سنة ٥٩٤ هـ، ووفاته بمدينة قونية سنة ٦٨٢ هـ. كثير المؤلفات بالمنطق والأصول منها: المطالع، لطائف الحكمة، التحصيل من المحصول، ومنطق وحكمه وغير ذلك.

انظر: طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق عبد الفتاح الحلو وزميله (٨/ ٣٧١)، وهدية العارفين، إسماعيل باشا البغدادي (٢/ ٤٠٦).

(٤) انظر: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، محمد بن سالم بن واصل، تحقيق د. جمال الدين الشيال، (٤/ ٢٤٧)، والعلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، د. حسان حلاق، ص (١٤١ ـ ١٤٢).

معسكره بالأذان والصلاة. . .»[1].

ولتقريبه المسلمين وتسامحه معهم ومحبته لعلومهم صدر بحقه قرار الحرمان من البابا سنة ٦٢٤ هـ، حيث وضح ابن واصل سبب ذلك بقوله: «. . . لميله إلى المسلمين وخرقه ناموس شرعهم. . .»[2].

وهكذا فإن هذه المواقف المتسامحة من بعض قادة النصارى تجاه المسلمين وإعجابهم بحضارة الإسلام، ومعاداة إخوانهم في الديانة في بعض الأحيان واتخاذ كثير منهم مواقف كانت في صالح المسلمين خاصة الخاضعين تحت حكمهم، كل ذلك كان للرسل مساهمة كبيرة في تحقيقه في هذه الفترة.

(١) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، محمد بن سالم بن واصل، تحقيق د. جمال الدين الشيال، (٤/ ٢٤٨).
(٢) المصدر السابق (٤/ ٢٤٨).

المطلب الرابع

وسيلة المسجد

إن أبرز السمات الظاهرية لأي مدينة إسلامية هو انتشار المساجد فيها، إذ إن المسجد هو الشعار الواضح الذي يختص به المجتمع المسلم.

والمسجِد، والمسجَد: هو المكان الذي يسجد فيه، وكل موضع يتعبد فيه، ومصلى الجماعات(١).

والسجود هو أقصى درجات الذل والخضوع، وانتشار المساجد - وهي أبرز أماكنه - في المجتمعات الإسلامية إعلان لخضوع هذه المجتمعات لله سبحانه وتعالى.

ولذلك لما هاجر النبيّ ﷺ إلى المدينة وبدأ تكوين أول تجمع يختص بالمسلمين كان أول أعماله ﷺ بناء المسجد كعلامة واضحة على خضوع هذا المجتمع لله سبحانه وتعالى.

ومع إنشاء هذا المسجد بدأ يؤدي رسالته في المجتمع والهادفة إلى إعلاء كلمة الله والدعوة إلى سبيله.

ولما خرجت جحافل الدعاة والمجاهدين لنشر الإسلام كان أول أعمالها في المناطق التي وصلت إليها بناء المساجد بوصفها شعار الإسلام، ومكان

---

(١) انظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، مادة - سَجَدَ - (٣/ ٢٠٤).

العبادة، ومنطلق التعليم والدعوة، لذلك اكتسبت المساجد في الإسلام عناية كبيرة ومنزلة عالية، وحظيت بمزيد من التشريف بأن صارت بيوت الله، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾[1]. ولقوله ﷺ: **«ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة...»**[2]. وأي منزلة للمساجد أسمى من كونها أحب البقاع إلى الله كما ورد في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها»**[3].

ولهذه المنزلة الرفيعة للمساجد في الإسلام، ولهذا الدور البالغ الأهمية لها جاء الترغيب في إنشائها وعمارتها ونظافتها والاهتمام بشؤونها، ومن ذلك قول النبيّ ﷺ: **«من بنى مسجداً ـ قال بكير ـ: حسبت أنه قال: ـ يبتغي به وجه الله، بنى الله له مثله في الجنة»**[4].

والمساجد من خلال دورها في المجتمع المسلم من أهم وسائل الدعوة وأعمقها أثراً مع ما تتميز به من صفة الاستمرارية في تأدية رسالتها الدعوية في المجتمع.

وفي عصر الحروب الصليبية كانت المساجد من وسائل الدعوة الموجهة إلى النصارى، حيث يظهر ذلك من خلال كونها معلماً من معالم المدن الإسلامية، فمن أول ما يلفت نظر غير المسلم الزائر للمدينة الإسلامية هذه المساجد التي لم يعتد رؤيتها في بلاده؛ فيطرح ذلك بعض الأسئلة في ذهنه والتي ربما تقوده إلى

---

(١) سورة الجن، الآية: (١٨).

(٢) أخرجه مسلم، الصحيح، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، حديث رقم (٢٦٩٩)، ص (١٠٨٢).

(٣) رواه مسلم، الصحيح، كتاب المساجد، باب فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح، حديث رقم (٦٧١)، ص (٢٦٤).

(٤) أخرجه البخاري، الصحيح، كتاب الصلاة، باب من بنى لله مسجداً، حديث رقم (٤٥٠)، ص (١٠٨)، ومسلم، الصحيح، كتاب المساجد، باب فضل بناء المساجد والحث عليها، حديث رقم (٥٣٣)، ص (٢١٤ ـ ٢١٥).

البحث ومحاولة التعرف على الإسلام، فهي ـ أي المساجد ـ من هذه الناحية أول منادٍ وداعٍ إلى الإسلام لغير المسلم الذي يشاهدها لأول مرة، وهذا هو حال كثير من النصارى القادمين مع الحملات الصليبية الذين لم يعتادوا رؤية المساجد من قبل في بلادهم.

ولذلك لما استأذن فريدريك الثاني ملك صقلية في الدخول للقدس والمبيت فيها كان من أهدافه سماع الأذان في مساجد المسلمين حيث كان من قوله: «... والله إنه كان أكبر غرضي في المبيت بالقدس أن أسمع أذان المسلمين وتسبيحهم»[(١)].

والمساجد من وسائل الدعوة للنصارى في هذه الفترة خصوصاً المقيمين منهم بين ظهراني المسلمين من حيث كونها يرفع فيها الأذان الذي يتضمن تمجيداً لله سبحانه وتعالى وتوحيداً له وإعلاناً بنبوّة محمدﷺ، وفي ذلك نقض لعقيدة التثليث لدى النصارى ورد على تكذيبهم بنبوّة محمدﷺ، ولا شك أن سماع النصارى للأذان وتكراره في اليوم خمس مرات على مسامعهم فيه دعوة مباشرة لهم بالتوحيد والإيمان بنبوّة محمدﷺ بغض النظر عن الاستجابة.

وكان النصارى في بعض المناطق التي يسيطرون عليها يرتادون المساجد، ومنهم من يعظمها ويحترمها، وقد شاهد ابن جبير شيئاً من ذلك في عكا حينما زارها. فقد كان يوجد في شرقيها عين شمس تسمى عين البقر» وعليها مسجد بقي محرابه على حاله، ووضع الفرنج في شرقيه محراباً لهم، فالمسلم والكافر يجتمعان فيه يستقبل هذا مصلاه وهذا مصلاه، وهو بأيدي النصارى معظم محفوظ وأبقى الله فيه موضع الصلاة للمسلمين...»[(٢)].

وكانت هناك مساجد كثيرة بأيدي المسلمين منفردين في الصلاة فيها وهي تحت الحكم النصراني وقد بقيت على حالها، وهذا ما أشار إليه ابن جبير في

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، أحمد بن علي المقريزي، الجزء الأول، القسم الأول، ص (٢٣١).

(٢) رحلة ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني، ص (٢٧٦ ـ ٢٧٧).

مدينة صور وهي تحت الحكم الصليبي حينما زارها حيث قال: «وكانت راحتنا مدة مقامنا بصور بمسجد بقي بأيدي المسلمين، ولهم فيها مساجد أخرى»[1].

كذلك ارتياد النصارى لبيت المقدس واختلاطهم بالمسلمين فيه وتعودهم رؤية المسلمين يؤدون صلاتهم فيه؛ أدى إلى تبدل نظرة الكثيرين منهم إلى المسلمين من نظرة متعصبة حاقدة إلى نوع من المودة والاحترام.

وقد أشار أسامة بن منقذ[2] إلى شيء من ذلك فبينما كان يؤدي الصلاة في بيت المقدس متجهاً إلى مكة وحوله بعض الفرنج تقدم إليه أحدهم وصرفه عن القبلة، فمنعه آخرون منهم واعتذروا لأسامة، وأن هذا الرجل قدم حديثاً من البلاد ولم يتعود أن يرى مسلماً يصلي متجهاً إلى مكة[3]. لذلك استنتج هذه الملاحظات أسامة بنفسه حيث قال: «فكل من هو قريب بالبلاد الإفرنجية أجفى أخلاقاً من الذين قد تبلدوا وعاشروا المسلمين»[4].

فمن خلال النماذج السابقة يتضح أن ارتياد النصارى لبعض المساجد، واختلاطهم بالمسلمين في بعضها، وتعودهم رؤيتها ومشاهدة المسلمين يؤدون عباداتهم فيها كل ذلك بعث على تبدل النظرة العدائية لكثير منهم تجاه المسلمين، وربما كان ذلك دافعاً لبعضهم إلى سماع شيء عن الإسلام من خلال هذه المساجد.

---

(١) المصدر السابق، ص (٢٧٩).

(٢) هو أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني، من أكابر بني منقذ في قلعة شيزر، أمير شاعر مولده سنة ٤٨٨ هـ، ووفاته بدمشق سنة ٥٨٤ هـ. من تصانيفه: لباب الآداب، البديع في نقد الشعر إلى غير ذلك.
انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، (٢١/ ١٦٥ ـ ١٦٦)، والبداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٢/ ٣٥٣ ـ ٣٥٤).

(٣) انظر: الاعتبار، أسامة بن مرشد بن منقذ، حرره فليب حتي، ص (١٣٤ ـ ١٣٥).

(٤) المصدر السابق، ص (١٣٤).

وقد كان لبعض المساجد في بلاد النصارى شأن وذكر، بل إنها استحوذت على بعض الاهتمام من قبل قادة النصارى بصفتها موضع عناية من قبل بعض القادة المسلمين، وكون العناية بمثل هذه المساجد وسيلة لكسب المسلمين الخاضعين لسيطرتهم.

ومن ذلك مثلاً مسجد القسطنطينية الذي دارت بشأنه العديد من السفارات بين صلاح الدين وإمبراطور الروم والذي كان يبدي اهتمامه وعنايته بهذا المسجد، حيث أرسل صلاح الدين من أجل ذلك سفارة تضم إماماً وخطيباً للمسجد[1]. وكان لذلك أثره في إبراز صورة الإسلام في معقل من معاقل النصرانية، وقد قال ابن شداد عن ذلك: «. . . وكان يوم دخولهم ـ أي سفارة صلاح الدين إلى القسطنطينية ـ يوماً عظيماً من أيام الإسلام شاهده جمع كثير من التجار، ورقى الخطيب المنبر، واجتمع إليه المسلمون المقيمون بها والتجار، وأقام الدعوة الإسلامية العباسية. . .»[2].

وهكذا لفت هذا المسجد انتباه أعلى سلطة في دولة الروم وحاز على جانب من اهتمامها وما يعنيه هذا الأمر من ظهور لشعار من شعارات الإسلام في بلاد النصارى. مسجد يذكر فيه اسم الله، ويعلو صوت الحق والتوحيد منه، فهو بذلك يؤدي دوره المستمر في الدعوة إلى التوحيد بين ظهرانيهم.

ومن أدوار المسجد العديدة بصفته وسيلة من وسائل الدعوة الموجهة إلى النصارى ما يلقى فيه من خطب ودروس ومواعظ ربما تكون موجهة توجيهاً مباشراً للنصارى؛ إما برد شبهة عن الإسلام أو دحض عقيدة باطلة من عقائدهم، أو ابتداء دعوة لهم إلى الحق.

ومن الأمثلة على ذلك خطبة القاضي ابن الزكي[3] في أول جمعة صلاها

(١) انظر: النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ص (٢٠٢).

(٢) المصدر السابق، ص (٢٠٢).

(٣) هو قاضي دمشق محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن الزكي القرشي، من بيت فقه

المسلمون بالقدس بعد فتحه، وقد كانت المدينة المقدسة تحوي أعداداً كبيرة من النصارى، بل كانت بعض بيوتهم ملاصقة له.

ففي هذه الخطبة من الثناء على الله بما هو أهله، وتوحيده جلَّ وعلا، وتنزيهه عما يقول النصارى. وفيها من تمجيد رسول الله ﷺ داحض الشرك ورافع الشك[1]. وكذلك ما تضمنته هذه الخطبة من نقد لعقائد النصارى وإبطالها ومن ذلك: «. . . وهو البلد الذي بعث الله إليه عبده ورسوله وكلمته التي ألقاها إلى مريم وروحه عيسى الذي شرفه الله برسالته، وكرمه بنبوته، ولم يزحزحه عن رتبة عبوديته فقال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾[2]، وقال: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾[3]. . . »[4].

كذلك تضمنت خطبة ابن الزكي التهنئة لصلاح الدين وجيشه الذي طهر بيت المقدس من الشرك والصلبان: «. . . فليهنكم أن الله قد ذكركم به فيمن عنده، . . . وشكركم ملائكته المنزلون، مع ما اهتديتم إلى هذا البيت من طيب التوحيد، ونشر التقديس والتحميد، وما أمطتم عن طرقها من أذى الشرك والتثليث. . . »[5].

ومن الأمثلة على أثر ما يلقى من الدروس والمواعظ في المساجد على

وآداب ونظم، كان صلاح الدين يعزه ويقدره، وهو الذي ألقى أول خطبة في المسجد الأقصى بعد فتحه على يد صلاح الدين سنة ٥٨٣ هـ، كان ميلاده بدمشق سنة ٥٥٠ هـ ووفاته بها سنة ٥٩٨ هـ.

انظر: طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق عبد الفتاح الحلو وزميله (٦/ ١٥٧ ـ ١٥٨)، وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢١/ ٣٥٨ ـ ٣٦٠).

(١) انظر: الروضتين في أخبار الدولتين، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، (٢/ ١١٠).

(٢) سورة النساء، الآية: (١٧٢).

(٣) سورة المائدة، الآية: (١٧).

(٤) الروضتين في أخبار الدولتين، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، (٢/ ١١٠).

(٥) المصدر السابق، (٢/ ١١١).

النصارى ما وضحه ابن الجوزي من تأثير دروسه ووعظه في مسجده ببغداد، حيث ذكر اهتداء أعداد كبيرة منهم بسببها ودخولهم في الإسلام[1].

ومما يتصل بدور المسجد في مواجهة النصارى ودعوتهم أنه من أكثر الوسائل أثراً في الحض على الجهاد وشحذ الهمم في مواجهتهم وذلك من خلال ما يلقى فيه من خطب ودروس.

فمن ذلك مثلاً ما ورد في خطبة ابن الزكي في الحث على جهاد النصارى وعدم التهاون في ذلك، وإبراز فضل المجاهدين والأجر المعد لهم[2].

ومثلها بعض خطب سبط ابن الجوزي[3] في الجامع الأموي أمام السلطان الناصر داود[4] سنة ٦٢٦ هـ[5].

وكذلك كانت الخطب في كثير من مساجد الأندلس. ففي خطبة لأبي عبد الله بن أبي الخصال المتوفّى سنة ٥٤٠ هـ في مدينة قرطبة حضٌّ على جهاد

---

(١) انظر: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، يوسف بن قز أوغلي «سبط ابن الجوزي» (٨/ ٤٨٢).

(٢) انظر: الروضتين في أخبار الدولتين، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، (٢/ ١١).

(٣) هو يوسف بن قز أوغلي، سبط ابن الجوزي، مؤرخ من الكتاب الوعاظ، ولد في بغداد سنة ٥٨١ هـ، ونشأ بها ورحل إلى دمشق، وكانت وفاته فيها سنة ٦٥٤ هـ، من كتبه: مرآة الزمان، والجليس الصالح، وكنز الملوك وغير ذلك.
انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين، (٣/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧)، والسلوك لمعرفة دول الملوك، أحمد بن علي المقريزي، تحقيق محمد مصطفى زيادة، الجزء الأول، القسم الثاني، ص (٤٠١).

(٤) هو داود بن عيسى بن محمد بن أيوب، ولد في دمشق سنة ٦٠٣ هـ وملكها بعد أبيه سنة ٦٢٦ هـ، ثم أخذها منه عمه الأشرف، فتحول إلى الكرك فملكها إحدى عشرة سنة ثم أخذت منه فرحل مشرداً إلى أن مات قرب دمشق سنة ٦٥٦ هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢٣/ ٣٧٦ ـ ٣٨١)، والبداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٣/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨).

(٥) انظر: السلوك لمعرفة دول الملوك، أحمد بن علي المقريزي، الجزء الأول، القسم الأول، ص (٢٣٣).

النصارى ومن ذلك قوله فيها: «... ألا تستوحشون لتباريح العصر، وركود ريح النصر، وتداعي أمم الكفر، وإجفالنا عن مقاومتهم... ألا نقلع عن الذنوب التي فتت أعضادنا، وقضت باهتضامنا واضطهادنا... فاستقيلوا رحمكم الله عثاركم، واستقبلوا عدوكم، وخذوا ثأركم...»(١).

ومما ورد في خطبة لأحد أئمة المساجد في الأندلس قوله: «... اللهمّ إنك تعلم انقطاعنا بين عدانا، وغربتنا في أرض قد راع الشرك فيها حمانا... فتداركنا بنصر يعز دينك الحنيفي ويعليه، وخذ بثأرنا من عدو يريد أن يطفىء نورك من أقطارنا ويخفيه، ولا تسلط على أهل التوحيد أهل التثليث...»(٢).

ولا تخلو دروس بعض العلماء في المساجد في أنحاء الدولة الإسلامية من حض على الجهاد، فهذا ابن رشد الحفيد المتوفّى سنة ٥٩٥ هـ يحكي عنه أحد تلاميذه فيقول: «سمعت كلامه بالمسجد الجامع في قرطبة وهو يحض الناس على الجهاد والغزو في سبيل الله ويورد ما جاء في فضله في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بلسان طلق وإيراد مستحسن»(٣).

ومن دور المساجد غير المباشر في مواجهة النصارى ما يتصل بكونها أهم وسائل إصلاح أفراد المجتمع المسلم من خلال ما يلقى فيها من خطب ودروس ومواعظ تعالج الأمراض الاجتماعية المنتشرة في الأمة كانتشار بعض البدع، أو الوقوع في المعاصي والبعد عن دين الله، والتي هي بلا شك من أهم أسباب

---

(١) رسائل ابن أبي الخصال، محمد بن مسعود بن أبي الخصال، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٧م، ص (٥٢٨).

(٢) جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى، محمد بن إبراهيم أبا الخيل، ص (١٥٦)، نقلاً عن زواهر الفِكَر وجواهر الفِقَر، محمد بن علي بن المرابط، تحقيق حسن أفليفل، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الفلسفة، جامعة غرناطة، ١٩٩٢م، (٢/ ٢٨٥).

(٣) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، محمد بن عبد الملك المراكشي، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٣م، السفر السادس، ص (٢٤).

ضعف الأمة، وعجزها عن مواجهة أعدائها النصارى المتربصين بها في هذه الفترة.

ولا يخفى أثر معالجة هذه الأمراض الاجتماعية وإزالتها في قوة الأمة وقدرتها على مواجهة شبهات النصارى وجيوشهم، بل والتأثير عليهم إما بزعزعة قناعاتهم بما لديهم من معتقدات، أو حتى بإسلام البعض منهم.

وهكذا كانت المساجد بدورها المباشر وغير المباشر من أهم وسائل الدعوة الموجهة إلى النصارى في فترة الحروب الصليبية. وكان لها مع بقية الوسائل الأخرى الأثر الملموس في نجاح الجهود الدعوية الموجهة إلى عباد الصليب.

المطلب الخامس

وسيلة الرسائل

الرسائل من الوسائل الدعوية ذات الأهمية الخاصة؛ ذلك أنها توجه في الغالب إلى أعلام بذواتهم لهم مكانتهم وتأثيرهم في مجتمعاتهم، وبتأثرهم يتأثر الكثيرون من أتباعهم.

وهي من الوسائل التي استخدمها النبيّ ﷺ لتبليغ الدعوة في عصره للذين لم يتمكن عليه الصلاة والسلام من الاتصال بهم شخصياً، كرسائله إلى الملوك وغيرهم من أصحاب الرأي والنفوذ في أقوامهم. فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ: «**كتب إلى كسرى وقيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى**»(١).

وفي عصر الحروب الصليبية استطاع كثير من قادة المسلمين وعلمائهم إيصال الحق إلى النصارى من خلال الرسائل.

وقد اختلفت موضوعات هذه الرسائل إلا أنها في النهاية في مجموعها لصالح المسلمين، فهي إما دعوة مباشرة للإسلام، أو بحث في أمر يهم المسلمين في مواجهة النصارى، أو أنها رسائل تحمل نوعاً من التلطف واللّين مع قادة النصارى ومقدميهم درأً لشرهم وكسباً لقوة بعضهم ضد بعض.

---

(١) أخرجه مسلم، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب كتب النبيّ ﷺ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عزّ وجلّ، حديث رقم (١٧٧٤)، ص (٧٣٧).

ومن الأمثلة على استخدام الرسائل من قبل المسلمين تجاه النصارى في هذه الفترة رسائل صلاح الدين الكثيرة إلى بعض قادة الفرنج. والتي منها رسائله إلى ملك القسطنطينية في شأن إقامة خطبة الجمعة في القسطنطينية وترتيب إقامة الصلاة فيها وما يتعلق ببناء مسجد للمسلمين هناك[1]، حيث تمّ ذلك. وكان قد أنفذ ـ رحمه الله ـ مع إحدى رسائله في هذا الشأن خطيباً ومنبراً وجمعاً من المؤذنين. وقد قال ابن شداد عن ذلك: «... وكان يوم دخولهم إلى القسطنطينية يوماً عظيماً من أيام الإسلام، شاهده جمع كثير من التجار، ورقى الخطيب واجتمع المسلمون المقيمون بها والتجار وأقام الدعوة الإسلامة العباسية...»[2].

ومن رسائل صلاح الدين إلى النصارى رسالته إلى ملك الإنجليز رداً على رسالة بعث بها الأخير إليه متضمنة المطالبة بتنازل المسلمين عن القدس وبعض البلاد الشامية، واسترجاع صليب الصلبوت المعظم عندهم، والذي غنمه المسلمون منهم في معركة حطين.

فكان جواب صلاح الدين ـ رحمه الله تعالى ـ في رسالته على رسالة الملك الصليبي الرفض التام للحديث في شأن القدس أو التنازل عن شيء من أراضي المسلمين، أما تسليم صليب الصلبوت للنصارى فإن ذلك لا يكون إلا لمصلحة راجحة للإسلام.

حيث قال في هذه الرسالة: «... وهو عندنا ـ أي القدس ـ أعظم مما هو عندكم، فإنه مسرى نبيّنا ومجتمع الملائكة، فلا يتصور أن ننزل عنه ولا نقدر على التلفظ بذلك بين المسلمين، وأما البلاد فهي أيضاً لنا في الأصل واستيلاؤكم كان طارئاً عليها لضعف من كان بها من المسلمين في ذلك الوقت... وأما الصليب فهلاكه عندنا قربة عظيمة ولا يجوز أن نفرط فيها إلا لمصلحة راجحة إلى الإسلام هي أوفى منها»[3].

---

(١) انظر: النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ص (٢٠٢).

(٢) المصدر السابق، ص (٢٠٢).

(٣) المصدر السابق، ص (٢٩٠).

ومن استخدام الرسائل في هذه الفترة مع النصارى رسالة الخليفة الموحدي المرتضى لأمر الله إلى البابا إنوصان الرابع في روما. حيث كان مما تضمنته هذه الرسالة دحض عقيدة التثليث وطلب الهداية للبابا لينال سعادة الدارين: «من عبدالله عمر أمير المؤمنين... إلى مطاع ملوك النصرانية... البابا اينه سانس أش أنار الله تعالى بصيرته بتوفيقه وإرشاده، وجعل التقوى التي أمر عزّ وجلّ بها عدته لمحياه ومعاده، وأناله من سابق الهداية ما يفضي لمدى الغاية...»[1].

وفي مقدمة رسالة الخليفة الموحدي ثناءٌ على الله سبحانه بما هو أهله، وتنزيهه عن إلحاد الملحد وقول المثلث: «تعالى الرحمن عما يقول المثلث والمشبه والجاحد...»[2].

ومن استخدام الرسائل في أمور لها علاقة بمصلحة المسلمين في مواجهة النصارى في هذه الفترة رسالة صلاح الدين ـ رحمه الله تعالى ـ إلى بلدوين الرابع في بيت المقدس حين كان تحت حكم النصارى. وكان بلدوين يسمي نفسه ملكاً لبيت المقدس. فخاطبه صلاح الدين في هذه الرسالة بحافظ بيت المقدس ربما إشارة إلى عدم اعترافه بسلطة النصارى عليه.

وفي هذه الرسالة تعزية لبلدوين بوفاة والده، وقد تضمنت أيضاً شيئاً من التلطف واللين في الخطاب[3]، وذلك لضعف جانب المسلمين في هذه الفترة نتيجة لوفاة نور الدين وظهور الخلاف بين أبنائه، فكان صلاح الدين ـ رحمه الله تعالى ـ بحاجة إلى تهدئة الجبهة مع الصليبيين حتى يتمكن من توحيد البلاد وجمع الكلمة.

ومن الرسائل التي لها علاقة بمصالح المسلمين في مواجهة النصارى في فترة الحروب الصليبية، وفيها إظهار لعزة الإسلام وقوة المسلمين رسالة الظاهر بيبرس إلى مقدم طائفة الاسبتارية وفيها من التهديد لهم بعدم تجديد بناء، أو إيواء

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس (عصر الموحدين)، محمد عبدالله عنان، ص (٥٣٨).

(٢) المرجع السابق، ص (٧٣٩).

(٣) انظر نص الرسالة في: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد بن أحمد القلقشندي (٧/ ١١٥ ـ ١١٦).

مجرمين، وتنبيههم بموقف الضعف والذل لهم أمام المسلمين[١].

ومثل هذه الرسالة رسالته إلى بوهيمند السادس أمير أنطاكية وطرابلس سنة ٦٦٧ هـ بعد فتحه لأنطاكية وما تضمنته هذه الرسالة من الافتخار بانتصار المسلمين ودحر الصليبيين واسترداد الأراضي الإسلامية التي سبق أن استولى النصارى عليها. ومن هذه الرسالة قول بيبرس: «... ولتعلم أنا قد أخذنا بحمد الله منك ما كنت أخذته من حصون الإسلام...»[٢]. ثم فيها تهنئة لبوهيمند إن لم يكن في أنطاكية ساعة فتحها فيكون إما قتيلاً أو أسيراً. ثم قال: «ولعل الله ما أخرك إلا لأن تستدرك من الطاعة والخدمة ما فات...»[٣].

ومن رسائل العلماء في هذه الفترة والتي تضمنت دفاعاً عن الإسلام في مواجهة شبه النصارى ودحضاً لادعاءاتهم ومفترياتهم حول تشريعاته، وإبطالاً وتفنيداً لمذاهبهم ومعتقداتهم رسالة أبي عبيدة الخزرجي إلى قسيس طليطلة.

حيث تضمنت هذه الرسالة دحضاً لشبه هذا القسيس حول الإسلام، ومناقشة لعقائد النصارى الباطلة، وعرضاً لمعتقد المسلمين في المسيح والقرآن ومحمد ﷺ، ثم دعوة للقسيس بالهداية إلى الحق[٤].

ومثلها رسالة القرافي رداً على رسالة أنشأها أحد النصارى يحتج فيها لصحة دينه فكان الرد من القرافي برسالة مطولة فند فيها مفترياته وأبطل حججه مستدلاً لذلك من كتبهم، وموضحاً منها صحة رسالة النبيّ ﷺ وصدقه بما جاء به. حيث سمى هذه الرسالة بـ«الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة»[٥].

ومثل هذه الرسائل ما كتبه بعض طلبة العلم في مصر من رسائل إلى بعض

---

(١) انظر نص الرسالة في: ملاحق السلوك لمعرفة دول الملوك، أحمد بن علي المقريزي، تحقيق محمد مصطفى زيادة، الجزء الأول، القسم الثالث، ص (٩٦٥).

(٢) المصدر السابق، الجزء الأول، القسم الثالث، ص (٩٦٦).

(٣) المصدر السابق، الجزء الأول، القسم الثالث، ص (٩٦٨).

(٤) انظر: مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أبو عبيدة الخزرجي، حققه د. محمد شامة تحت عنوان: بين الإسلام والمسيحية، ص (١٢٣)، وما بعدها.

(٥) انظر: مقدمة المؤلف في كتابه «الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاخرة»، ص (٣).

مقدمي الإفرنج بطلب من الملك الكامل رداً على رسائل بعثوا بها متضمنة بعض الأسئلة للمسلمين[1].

وهكذا كانت وسيلة الرسائل في هذه الفترة من الوسائل التي استخدمها المسلمون في إيصال الدعوة إلى النصارى. ولا شك بأهميتها من جانب أنها في الغالب موجهة إلى فئة معينة في مجتمع النصارى وهم القادة أو رجال الدين الذين لهم خطرهم وأثرهم في مجتمعاتهم.

وإذا كانت بعض هذه الرسائل ليست دعوة مباشرة إلى الإسلام فإنها نقلت بعض معتقدات المسلمين في بعض الأمور إلى القادة النصارى كما في رسالة صلاح الدين إلى ملك إنجلترا في شأن القدس والأراضي الإسلامية.

بل حتى رسائل المجاملة والملاطفة في بعض الأحيان في مصلحة الدعوة وقوة المسلمين؛ فهي نوع من المهادنة حتى تحين الفرصة كما في رسالة التعزية من صلاح الدين إلى بلدوين في بيت المقدس.

وقد تتضمن بعض رسائل القادة المسلمين إلى مقدمي النصارى دعوة صريحة إلى نبذ التثليث وتجريد التوحيد لله سبحانه وتعالى، كما في رسالة الخليفة الموحدي إلى رأس الملة النصرانية في ذلك الوقت، وأي صوت للحق أقوى من هدم أساس عقيدة النصارى لدى زعيم ملتها.

أما رسائل بعض العلماء فلا شك أن الذي لم يصل إلينا كثير وكثير، وما وصل إلينا على الرغم من قلته فهو يوضح الدعوة الصريحة من هؤلاء العلماء في رسائلهم إلى رجال الدين النصارى لنبذ ما هم عليه من ضلال، والمناقشة العميقة لعقائدهم الباطلة أملاً في هدايتهم أو على الأقل إقامة الحجة عليهم.

وتتميز رسائل هؤلاء العلماء بأنها في الغالب موجهة إلى نخبة من رجال الدين النصارى؛ كما في رسالة أبي عبيدة الخزرجي إلى قسيس طليطلة. وحينما تتزعزع عقيدة رجل الدين الذي له مكانته في مجتمعه فلا شك بتأثر أتباعه في ذلك وفقدهم الثقة في معتقداتهم وما يدينون به.

---

(١) انظر: الرد على النصارى، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق، د. محمد محمد حسانين، ص (١٥).

المبحث الثاني

أساليب دعوة المسلمين للنصارى
في
عصر الحروب الصليبية

تمهيد

سبق في تعريف الأساليب الدعوية بأنها صيغ التعبير المختلفة التي يتم بها أداء الدعوة وتبليغها.

وهذه الصيغ تتغير أشكالها وتتنوع تبعاً لاعتبارات مختلفة، فمنها ما يتوجه إلى مخاطبة العقل وإقامة الحجة، ومنها ما يتوجه إلى العاطفة وإثارة الشعور، ومنها ما يكون معتمداً على البيان والطرق الفنية والبلاغية. إلى غير ذلك.

وقد تنوعت أساليب القرآن في عرض هداياته بين أساليب عقلية تقوم على إقامة الحجة والبرهان من خلال السبر والتقسيم، أو الأقيسة، أو المحاجات العقلية، أو غيرها. إلى أساليب عاطفية تلامس القلوب وتثير المشاعر في النفوس من خلال الموعظة بالترهيب والترغيب وما شابه ذلك. إلى أساليب فنية بلاغية تعتمد على الألفاظ وطريقة سبكها بصور فنية وتشبيهات معبرة وقصص وتكرار وقسم وما إلى ذلك.

وما تنوعت أساليب القرآن إلا مراعاة لأحوال المخاطبين؛ ليكون ذلك التنوع أدعى للتأثير فيهم تبعاً لخصائص كل منهم.

وكان النبيّ ﷺ يهتم بهذا الجانب اهتماماً كبيراً، فتنوعت أساليب عرضه لتوجيهاته الكريمة بين سؤال وجواب، وتقرير، وموعظة، وقصة، وتكرار، وقسم، ومثل إلى غير ذلك.

وهذا التنوع منه ﷺ لزيادة سبل التأثير في المدعوين اعتباراً لاختلاف أحوالهم وظروفهم؛ ليكون ذلك أدعى إلى قبول الحق لديهم.

وفي عصر الحروب الصليبية اهتم الدعاة المسلمون في جهودهم الدعوية

المباركة الموجهة إلى النصارى بجانب الأساليب اهتماماً كبيراً. حيث ظهر ذلك جلياً من خلال تنوع هذه الأساليب وتعدد أشكالها واختلاف عرضها.

كل ذلك رغبة منهم في تحقيق أكبر قدر من التأثير فيها طمعاً في كشف باطل النصارى، وتفنيد شبههم حول الإسلام، وأملاً في هداية من شاء الله منهم.

وحيث إن الأساليب الدعوية تتنوع تنوعاً كبيراً، وتختلف وجهات النظر في تقسيمها وتبويبها، فقد رأيت تقسيمها على أساس ما ترتكز عليه في التأثير إلى عقلية وعاطفية وفنية، وذلك من خلال استقرائها في كتابات العلماء ومناقشاتهم مع النصارى في هذه الفترة، ثم تناولت كل قسم من هذه الأقسام بمطلب مستقل.

هذا، وقد يبدو في المواضع الواحد في ردود بعض العلماء ومناقشاتهم مع النصارى أكثر من أسلوب لذلك، فالمعتمد هو الأسلوب الأكثر وضوحاً وظهوراً من غيره.

كذلك لا تعني المطالب الآتية حصراً لجميع الأساليب الدعوية لكل ما سطره العلماء في هذه الفترة في دعوتهم للنصارى، وإنما هي أمثلة مختارة لما كثر استخدامه منها لتعطي صورة عامة عن أساليب العلماء في جهودهم الدعوية الموجهة إلى النصارى مع الاقتصار على بعض الأمثلة التي تؤدي الغرض لكل أسلوب، مع ملاحظة أنه تمّ انتقاء الأمثلة السالمة من البدع الكلامية التي وقع فيها بعض علماء هذه الفترة في مناقشاتهم وردودهم وذلك لئلاّ يطول الحديث في التنبيه على الأخطاء والرد عليها، واستعاضة بغيرها من الأمثلة السليمة الأخرى.

المطلب الأول

الأساليب العقليـة

المقصود بالأساليب العقلية هي تلك الأساليب التي تخاطب العقل وتستثيره بإقامة الحجج والبراهين والدلائل الإقناعية المختلفة.

والعقل نعمة وهبها الله سبحانه وتعالى للإنسان وميزه بها عن بقية المخلوقات ودعاه جلّ وعلا في كتابه العزيز إلى إعمال هذا العقل وتدبر الآيات والنذر؛ ليزداد المؤمن بهذا التدبر إيماناً ويهتدي به الجاحد إلى الحق أو تقوم عليه الحجة.

وقد كان من مظاهر عناية الإسلام بالعقل أن جعل الجاحد الذي لا يستخدم عقله للوصول إلى الحق كالأنعام بل هو أضل منها، كما قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾(١)، وجعل العقل مناط التكليف كما قال ﷺ: «**رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يشب، وعن المعتوه حتى يعقل**»(٢). ومدح سبحانه وتعالى الذين يستخدمون عقولهم للتفكر والتدبر في الآيات كما في قوله جلّ

---

(١) سورة الفرقان، الآية: (٤٤).

(٢) أخرجه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الحدود، باب ما جاء فيمن لا يجب الحد عليه، حديث رقم (١٤٢٣)، (٤/ ٣٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/ ٦٤)، وأخرجه البخاري بنحوه معلقاً موقوفاً على علي رضي الله عنه، كتاب الحدود، باب لا يرجم المجنون والمجنونة، ص (١٢٩٩).

وعلا: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]، وختمت الكثير من الآيات بالحض على التفكر كقوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾[2]، وتكرر أيضاً ختم الكثير من الآيات بالحض على عقل الحق ووعيه كقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾﴾[3]، وقال: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[4]، وقال: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[5].

ولما كان الإقناع العقلي يفحم المعاند والجاحد ويلزمهما بالحق من خلال انقطاع حجتهما وإبطال شبهتهما بالحجج والبراهين التي لا مجال لإنكارها فإن استعماله أجدى وأعمق أثراً مع الكفار الذين لا يؤمنون بالقرآن ولا ينفع معهم الأمر والنهي والترغيب والترهيب وما شابه ذلك.

لذلك غلب على العلماء المسلمين في جهودهم الدعوية الموجهة إلى النصارى استخدام الأساليب العقلية من سبر وتقسيم وأقيسة ومحاكمات عقلية وغيرها.

وفيما يلي نماذج لأبرز الأساليب العقلية التي استخدمها العلماء المسلمون في مناقشاتهم وردودهم ومناظراتهم مع النصارى في هذه الفترة.

أولاً: أسلوب السبر والتقسيم:

السبر في اللغة مصدر «سَبَرَ الجرح يَسبُره ويَسبِرُه سبراً نظر مقداره وقاسه ليعرف غوره»[6].

---

(١) سورة يونس، الآية: (٢٤).

(٢) سورة البقرة، الآية: (٢٦٦).

(٣) سورة البقرة، الآية: (٢٤٢).

(٤) سورة الزمر، الآية: (٢١).

(٥) سورة الرعد، الآية: (٤).

(٦) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، مادة سبر (٤/ ٣٤٠).

والتقسيم من القَسْم وهو العطاء، مصدر قسم الشيء يقسمه وقسّمه أي جزأه[1].

وأطلق هذا الاسم على هذا اللون من الجدل لأن المناظر في العلة يقسم الصفات ويختبر كل واحدة منها ليرى صلاحيته للعلية من عدمه[2].

والسبر والتقسيم في الاصطلاح هو: «أن يحصر المعترض جميع الأوصاف المناسبة للحكم في الأصل ثم يبين إلغاءها وعدم صلاحيتها للتعليل»[3].

وقيل: هو «حصر الأوصاف التي يمكن التعليل بها للمقيس عليه ثم اختبارها وإبطال ما لا يصلح منها بدليله»[4].

وعرفه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: «فحاصله يرجع إلى دعوى حصر أوصاف الأصل في جملة معينة وإبطال كل ما عدا المستبقى»[5].

وقد كان هذا الأسلوب العقلي من أبرز الأساليب وأكثرها استخداماً من قبل العلماء المسلمين في نقاشاتهم وحواراتهم ومناظراتهم مع النصارى في عصر الحروب الصليبية، وذلك لما يتميز به من شمولية في تتبع الاحتمالات والاعتراضات التي يمكن أن يتعلق بها النصارى وإبطالها وذلك في القضايا التي كانت مدار النقاش والبحث بين الفريقين.

ومن الأمثلة على استخدام هذا الأسلوب مع النصارى إبطال الخزرجي في مناقشته لقسيس طليطلة حجة هذا القسيس على تجسد الله في شخص المسيح.

حيث ذكر هذا القسيس أن علة تجسد الله في شخص المسيح هي من أجل

---

(١) انظر: القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مادة «سَبَرَ»، ص (١٤٨٣).

(٢) انظر: البحر المحيط، محمد بن بهادر الزركشي، تحرير عبد الستار أبو غدة (٥/ ٢٢٢).

(٣) شرح مختصر الروضة، سليمان بن عبد القوي الطوفي، تحقيق: د. عبدالله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م (٣/ ٤٩٢).

(٤) البحر المحيط، محمد بن بهادر الزركشي، تحرير عبد الستار أبو غدة (٥/ ٢٢٢).

(٥) مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد (٩/ ١٩٨).

أن ينزل إلى الأرض ويكلم الخلائق بدون واسطة حتى تنقطع حجتهم[1].

فأبطل الخزرجي هذه الحجة من خلال السبر والتقسيم بأن حصر الاحتمالات التي يمكن أن يكون من أجلها نزل الإله إلى الأرض متجسداً في شخص المسيح وبين عدم صحتها، الأمر الذي يهدم أساس هذه العقيدة التي يدين بها النصارى.

فلا يخلو سبب هذا التجسد من أن الله تعالى عما يقولون علواً كبيراً لم يحط علمه بما فعله أنبياؤه فهبط ليطلع على فعلهم وهذا محال. أو كان الأنبياء متهمين بمخالفة أمره سبحانه عمداً فلم يؤدوا أمانة التبليغ وهذا محال. أو أنهم عجزوا عن أداء ما حُمِّلوا وضعفوا عن إظهار ما يؤكد صدقهم فنزل مؤيداً لهم وهذا محال[2].

فإذا انتفت هذه الاحتمالات التي يمكن أن تكون علة للتجسد انتفى معها حدوث التجسد الذي يدعيه النصارى ومن ثم بطلت هذه العقيدة التي يدينون بها ولم يبق لهم مستند فيها إلا الكذب بعد تهافت حججهم عليها.

ومن خلال السبر والتقسيم أيضاً أبطل الجعفري عقيدة النصارى في الاتحاد، وذلك أنهم يقولون: «إن ربهم عبارة عن لاهوت وناسوت اتحدا فصارا مسيحاً»[3].

فبهذا الأسلوب فند الاحتمالات التي يمكن أن يتعلق بها النصارى في إيمانهم بهذه العقيدة كأدلة عليها، وأبرز اللوازم الباطلة التي تلزمهم باعتقادهم إياها.

فهم لم يشاهدوا حدوث هذا الاتحاد الذي يزعمونه، ولم يره أسلافهم،

---

(١) انظر: مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، حققه د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، ص (١٣٨).

(٢) انظر: المصدر السابق. ص (١٣٨).

(٣) الرد على النصارى، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمد محمد حسانين، ص (٦٥).

ولم يقل به المسيح وإن ادعوا ذلك أكذبهم الإنجيل من خلال النصوص الكثيرة الدالة على بشريته، مع ما يلزمهم من لوازم باطلة تستحيل على الله سبحانه وتعالى، والتي منها جعل الحادث محلاً للإله، أو أن الذاتين الإلهية والبشرية امتزجا في ذات واحدة واستحالة ذلك إذ لا مجانسة ولا اشتراك بينهما إلى غير ذلك[1].

فإذا كان النصارى لم يشاهدوا هذا الاتحاد، ولم يقل به أسلافهم، ولم يقل به المسيح أو يدعيه، وإذا كان يلزمهم على قولهم به لوازم باطلة تستحيل على الله سبحانه فأي حجة لهم في إثباته والإيمان به. فبطلت حينئذٍ هذه العقيدة ولم يبق لها من الرصيد لدى من يعتقدها إلا الادعاء المجرد عن دليل.

وفي موضع آخر ومن خلال السبر والتقسيم فند الجعفري عقيدة الاتحاد لدى النصارى وذلك بنقض كل وجه يمكن أن يصوروه مسوغاً لهم للإيمان بهذه العقيدة، بحيث إنه لم يبق لهم وجه مقبول سالم من النقض يستقيم معه اعتقادهم بالاتحاد الذي يدعونه.

فلا يخلو هذا الاتحاد بين اللاهوت والناسوت الذي يدعيه النصارى من تصوره في عدة وجوه:

الأول: أن يكون الاتحاد قد أبقى الطبيعتين بعد حدوثه على حالهما منفصلتين، وهذا يعني نقضاً لقولهم وإنكاراً فعلياً لحدوث هذا الاتحاد الذي يزعمونه وأنه مجرد اتحاد لفظي لا رصيد له في الواقع.

الثاني: أن تكون الطبيعتان قد تحولتا بعد الاتحاد إلى طبيعة ثالثة مختلفة عن الطبيعة اللاهوتية والناسوتية، وهذا تصريح بأن هذه الطبيعة المتحولة لا إنسان ولا إله، وعليه فيجب أن يوصف المسيح بطبيعة أخرى عجيبة وغريبة.

الثالث: أن يكون الاتحاد الذي يدعونه قد أبقى الصفة اللاهوتية كاملة والصفة الناسوتية كاملة، والاتحاد لم يخرجهما عن الكمال بل جمعهما في

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص (٦٥ ـ ٦٦).

المسيح الذي أصبح إلهاً كاملاً وهو في الوقت نفسه إنسان كامل، وذلك جمع بين النقيضين كمن يقول: إن الحركة هي السكون وإن السواد هو البياض وهذا من الجنون[(١)].

ومن عقائد النصارى ادعاء الخلاص بنزول الابن حيث جعلوا هذا الخلاص حجة لنزول المسيح وصلبه فداءاً لهم.

وقد أبطل الجعفري هذا الاعتقاد لدى النصارى من خلال أسلوب السبر والتقسيم وذلك بحصر الاحتمالات التي يمكن أن تكون معنى للخلاص الذي يدعونه وإثبات عدم تحقق واحد منهم مما يفند دعوى الخلاص الذي يعتقدونه من جراء صلب المسيح.

فالمعنى الأول الذي يمكن أن يكون معنى الخلاص هو الخلاص من تكاليف الدنيا وهمومها وأمراضها وشقائها، ولا شك أن الحسّ يكذّب النصارى في ذلك إذ لا مزية لهم على سائر البشر في تكاليف الدنيا.

والمعنى الثاني للخلاص هو الخلاص من تكاليف الشرع وأوامره ونواهيه وأنهم غير مؤاخذين بتركها، وهذا غير متحقق للنصارى إذ يكذبهم العارفون بديانتهم من وجوب قيامهم بهذه التكاليف.

المعنى الثالث للخلاص هو الخلاص من أحكام الدار الآخرة وأنهم غير مؤاخذين بأعمالهم، وهذا المعنى ليس صحيحاً؛ إذ هم مؤاخذون بأعمالهم كما أخبرت بذلك الكتب والأنبياء.

المعنى الرابع للخلاص هو خلاصهم من عدو مناصب للرب بغى عليه وعاث في أرضه فساداً فنزل الابن لخلاصهم من هذا العدو، فإن كان الأمر كذلك فإن هذا العدو أحق بالعبادة من الرب؛ لأنه أقوى وأعز. وهذا المعنى لا تقرون به أيها النصارى ولا تعتقدونه.

---

(١) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (١/ ٤٧٧ ـ ٤٧٨).

والمعنى الخامس للخلاص هو خلاصكم من الشيطان حيث نزل إلى الأرض فربطه واستنقذكم منه أيها النصارى ولم يعد له سبيلاً إليكم، فالواقع يكذب ذلك، ثم إن الشيطان وأتباعه بزعمكم آذوا المسيح نفسه حتى قتلوه وصلبوه[1].

وهكذا من خلال السبر والتقسيم أبطل الجعفري جميع المعاني التي يمكن أن تكون معنى للخلاص الذي يدعيه النصارى من جراء نزول المسيح وأثبت أنه لا حقيقة له في الواقع وإنما هو ادعاء مجرد.

وإذا كان الأمر كذلك فلا سبب يدعو إلى قتل المسيح وصلبه كما يزعم النصارى. فبطلت بذلك عقيدة الخلاص التي يعتقدونها إذ لا حجة لهم في الإيمان بها إلا التقليد بلا عقل لمن ضل من قبلهم فأضلهم.

وفي مفاوضات صلاح الدين مع رتشارد قلب الأسد عن طريق أخيه الملك العادل بين الملك الإنجليزي لرسول الملك العادل أن ما جاء به بجحافله من بلاده إلا ثلاثة أمور إذا تحققت له رجع وترك بلاد المسلمين، وهذه الأمور هي القدس والصليب والبلاد التي زحف عليها المسلمون بعد معركة حطين[2].

ولما عُرض ذلك على صلاح الدين كان رده على دعاوى الملك الإنجليزي ـ وهو رحمه الله يقود الجيوش الإسلامية للوقوف في وجه أطماعه ـ رداً عقلياً يفند ادعاءاته وحججه التي تعلق بها في قدومه للبلاد الإسلامية موضحاً أن لا حجة له على الحقيقة تدعوه إلى القدوم والاعتداء على المسلمين وأن الأولى أن يعود من حيث أتى.

فمن خلال أسلوب السبر والتقسيم حصر صلاح الدين دعاوى الملك الإنجليزي وفندها.

---

(١) انظر: المصدر السابق (٢/ ٥٠٧ ـ ٥١٠).

(٢) انظر: النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ص (٢٩٠).

ففيما يختص بالقدس بيّن ـ رحمه الله تعالى ـ مكانته لدى المسلمين بكونه مسرى النبيّ ﷺ ولن يوافق أي مسلم على التنازل عنه فلا مجال للخوض في أمره.

وفيما يختص بالبلاد التي زحف عليها المسلمون بعد معركة حطين فهي في الأصل للمسلمين واستيلاء النصارى طارىء عليها لضعف من بها من المسلمين، فلا حق على ذلك لهم فيها.

والصليب الذي يطالب به النصارى غنمه المسلمون منهم لما قدموا للبلاد الإسلامية محاربين للمسلمين، فكيف يفرط به المسلمون وهو بهذه المنزلة لدى النصارى الذين هم في الوقت نفسه معتدون عليهم؛ ولذلك فلا يكون التنازل عنه إلا لمصلحة ظاهرة للإسلام(١).

وهكذا بجانب المواجهة العسكرية التي يقودها صلاح الدين ضد الملك الإنجليزي تصدى لدعاويه وشبهه الفكرية التي يتذرع بها في عدوانه على المسلمين فمن خلال هذا الأسلوب العقلي فندها جميعاً ولم يبق للملك الإنجليزي إلا أن يوقف عدوانه على المسلمين ويعود من حيث أتى.

ثانياً: أسلوب قياس الأولى:

وهو «ما يكون معناه في الفرع زائداً على معنى الأصل»(٢). أو هو ما قطع فيه بنفي الفارق ويسمى القياس الجلي(٣).

وهذا الأسلوب العقلي المنطقي يؤدي بالضرورة إلى إظهار حجة المناقش بشكل أوضح من عرض حجة الخصم؛ فيؤدي ذلك بالخصم ـ إذا سلم من الهوى

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص (٢٩٠ ـ ٢٩١).

(٢) البحر المحيط، محمد بن بهادر الزركشي، تحرير: عبد الستار أبو غدة (٥/ ٣٦).

(٣) انظر: شرح مختصر الروضة، سليمان عبد القوي الطوفي، تحقيق د. عبدالله التركي (٣/ ٢٢٣)، وتسهيل الحصول على قواعد الأصول، محمد أمين الدمشقي، تحقيق د. مصطفى الخن، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩١م، ص (٢٤٢).

ـ إلى الاقتناع بوجهة نظر المناقِش والتسليم لها؛ إذ العلة التي بنى عليها الخصم حكمه متحققة بشكل أوضح وأكبر لدى المناقش.

وهذا الأسلوب كان من ضمن الأساليب التي استخدمها العلماء المسلمون كثيراً في إبطال حجج النصارى لديانتهم، وكذلك شبههم التي أقاموا عليها اعتقاداتهم وبنوا عليها أصول ملتهم.

ومن الأمثلة على ذلك إبطال الخزرجي في نقاشه مع قسيس طليطلة لحجة النصارى في اتخاذ المسيح عليه السلام ابناً لله بدعوى ولادته من غير أبٍ.

حيث قرر الخزرجي أنه إذا كانت هذه هي العلة التي سوغت للنصارى أن يجعلوا المسيح ابناً لله سبحانه وتعالى فإنها متحققة في شأن آدم بشكل أكبر من المسيح؛ إذ إنه وجد من غير أب أو أم، فهو أولى بالألوهية من المسيح لهذه العلة[1].

وبالأسلوب نفسه أبطل القرطبي هذه الحجة للنصارى على اتخاذ المسيح ابناً لله ـ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ـ حيث قال: «بل لو أمكن لأحد أن يقول: إن بشراً يتصور أن يكون إلهاً لكونه من غير أب لكان آدم أولى بذلك من حيث إنه لم تشتمل عليه أوضار الرحم، فقد شارك المسيح في كونه من غير أب وزاد عليه أنه من غير أم»[2].

ومن خلال هذا الأسلوب أيضاً طالب الخزرجي في نقاشه مع قسيس طليطلة النصارى بالإيمان بنبوّة محمد ﷺ للمعجزات الكثيرة التي جاء بها ﷺ دالة على صدقه ـ حيث عرض كثيراً منها ـ وذلك قياساً على إيمانهم ببعض الأنبياء وهم لم تكن لهم معجزات أو آيات تؤيدهم كداود وحزقيال وغيرهم[3]. فإذا كان

---

(١) انظر: مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أبا عبيدة الخزرجي، حققه د. محمد شامة بعنوان: بين الإسلام والمسيحية، ص (١٣٠).

(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، ص (١٣٦).

(٣) انظر: مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، حققه د. محمد شامة تحت عنوان: «بين الإسلام والمسيحية»، ص (٢١٠).

إيمان النصارى بمثل هؤلاء الأنبياء لإخبارهم عن أنفسهم بالنبوّة فحسب فإن من أخبر عن نفسه وجاء بالمعجزات المصدقة له من باب أولى.

فمن خلال قياس الأولى بيّن الخزرجي أن النبيّ ﷺ اشترك هو وهؤلاء الأنبياء الذين يؤمن بهم النصارى بدعوى النبوّة وزاد عليهم بالآيات والمعجزات، فوجب الإيمان بنبوّته، ولزمكم أيها النصارى الإيمان بذلك أكثر من إيمانكم ببعض أنبيائكم اعتماداً على دعواهم النبوّة فقط.

وفي رد الخزرجي على القسيس أيضاً في إنكار النصارى تعدد الزوجات في الإسلام استخدم قياس الأولى لتفنيد شبهتهم وإبطال حجتهم وأن قبول ما جاء به الإسلام في هذا الأمر أولى بالقبول مما ورد في التوراة بزعمكم أيها النصارى وتؤمنون به. حيث ورد فيها أن يوكابد أم موسى كانت عمة لوالدة عمران، وعمران من فضلاء المؤمنين، وكذلك ورد فيها بزعمكم أن إسرائيل جمع بين عدة زوجات منهن أختان[1].

ونتيجة هذا الأسلوب أن قبول تعدد الزوجات في الإسلام أولى من قبول ما ورد في كتبكم وتؤمنون به أيها النصارى.

فإذا كنتم تؤمنون بالتوراة، وتقرون بأن إسرائيل قد جمع بين الأختين ولا تعترضون على ذلك فإن قبول الجمع بين الزوجات غير القريبات كما هو في الإسلام من باب أولى.

وفي مناظرة للزاهدي مع أحد علماء النصارى وإثبات هذا النصراني للنبوات السابقة عن طريق التواتر وظهور المعجزات بيَّن الزاهدي أن إثبات نبوّة محمد ﷺ على هذا الأساس أولى من غيرها من النبوّات السابقة، إذ التواتر في حقه ﷺ أولى بالقبول لأن عصره أقرب من عصر موسى وعيسى، ومتى كان المخبر به أقرب زماناً كان الثقة به والاعتماد عليه أكثر وأقوى؛ لأن الوسائط في البعيد أكثر وطول العهد منسٍ. حيث انقطع النصراني وأسلم وحسن إسلامه[2].

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص (٢٦٢).

(٢) انظر: الرسالة الناصرية، مختار بن محمود الزاهدي، تحقيق محمد المصري، ص (٤٧).

وهكذا عن طريق قياس الأولى وكون علة قبول هذا النصراني للنبوات السابقة ـ هي التواتر ـ وهي نفسها موجودة في حق محمدﷺ بل تضمنت نبوّته معنى زائداً عما هو موجود فيما سبقها ألا وهو قرب العهد بالنسبة لغيرها؛ لذلك فإن هذا أدعى إلى القبول بها والتصديق بما جاء به محمدﷺ. فكانت النتيجة أن انقطع النصراني وأسلم.

ثالثاً: أسلوب القياس المساوي:

وهو ما يكون معناه في الفرع مساوياً لمعنى الأصل، ويسمى القياس الخفي(١).

وهذا الأسلوب العقلي يوقع الخصم في الحيرة والشك فيما يعتقده ويناقش فيه، فبمثل الحجة التي يبني عليها حكمه يكون الاعتراض عليه. فيلزمه حينئذٍ التسوية في الحكم بين قوله وقول مناقشه؛ إذ لا فرق بين الحجتين.

والقياس المساوي من الأساليب التي استخدمها العلماء المسلمون كثيراً في مناقشاتهم وردودهم على النصارى في هذه الفترة.

ففي مناقشة نصر بن يحيى المتطبب لعقائد النصارى والتي منها زعمهم أن المسيح استحق اللاهوتية؛ لأن الله سماه ابناً، أبطل نصر هذه الحجة بقياس حال الأنبياء الآخرين على حال عيسى، حيث ورد في كتب النصارى تسمية بعضهم أبناءً لله كداود وإسرائيل وغيرهما؛ فلماذا لم تجعلوهم أيها النصارى بناءً على ذلك أبناء الله(٢). فإذا كانت علة الألوهية للمسيح تسميته ابناً لله فهؤلاء إذن أبناء الله على الحقيقة لأنه سماهم أبناء، وإلا فلتكن البنوّة للجميع على سبيل الرحمة.

---

(١) انظر: البحر المحيط، محمد بن بهادر الزركشي، تحرير د. عبد الستار أبو غدة (٥/ ٣٦)، وتسهيل الحصول على قواعد الأصول، محمد أمين الدمشقي، تحقيق د. مصطفى الخن، ص (٢٤٢).

(٢) انظر: النصيحة الإيمانية، نصر بن يحيى المتطبب، تحقيق د. محمد الشرقاوي، ص (١٢٠).

وهكذا فلا سبيل للنصارى بناءً على هذا القياس العقلي إلا صرف الألوهية عن المسيح واعتقاد نبوّته، أو إثبات الألوهية لغيره من الأنبياء، أو انقطاع حجتهم وتمسكهم بضلالهم على سبيل العناد والمكابرة.

ومن خلال القياس المساوي أيضاً أبطل نصر بن يحيى إثبات النصارى الألوهية للمسيح بالمعجزات التي جاء بها خاصةً إحياء الموتى بقياس حال الأنبياء الآخرين الذين ورد في كتب النصارى بأنهم جاؤوا بمعجزات مثل ذلك كإلياس الذي أحيى ابن الأرملة، وأليسع الذي أبرأ الأكمه، وغيرهم، فهؤلاء على ذلك يستحقون الألوهية أيضاً. فإن أثبتم أيها النصارى الألوهية للمسيح بسبب معجزاته فأثبتوها لغيره من الأنبياء الذين تقرون أنتم أنهم جاؤوا بمثلها وإلا فاصرفوها عن الجميع[1].

وعندما أورد قسيس طليطلة هذه الحجة على ألوهية المسيح في نقاشه مع الخزرجي، أبطلها الخزرجي من خلال القياس المساوي حيث قال: «فإن كان المسيح من أجل إحياء ميت هو الله، فكل من أحيا ميتاً بزعمك فهو الله، وبإجماع من جميع الملل الثلاث، أن إلياس النبيّ أحيى الموتى وكذلك اليسع، فلِم تظلمون بعضاً دون بعضٍ...»[2].

وبالأسلوب نفسه أبطل الجعفري هذه الحجة للنصارى على ألوهية المسيح حيث قال: «... فيلزم على ذلك أن تعتقدوا ربوبية كل من أحيا ميتاً وتتخذوه رباً، وقد قال عندكم في كتاب سفر الملوك: إن إلياس أحيا ابن الأرملة وإن أليسع أحيا ابن الإسرائيلية وإن حزقيال أحيا بشراً كثيراً...»[3].

وهكذا فإذا كانت علة إثبات الألوهية للمسيح عند النصارى هي إحياؤه

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص (١٠٤ ـ ١٠٥).

(٢) مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، حققه د. محمد شامة تحت عنوان: بين الإسلام والمسيحية، ص (١٣٧).

(٣) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (١/ ١٧٩).

الموتى فإن ذلك قد حصل لغيره من الأنبياء، فقيسوهم عليه أيها النصارى لهذه العلة، وأثبتوا لهم الألوهية، أو قيسوه عليهم وأثبتوا له النبوّة باعتبار ما جاء به آيات على نبوته. والنتيجة أن لا مفر للنصارى على هذا القياس من إثبات الألوهية للجميع لهذه العلة أو نفيها عن الجميع.

ومن حجج النصارى على إثبات الألوهية للمسيح أيضاً أنه نفخة من روح الله في رحم مريم فذلك يدل على ألوهيته.

وقد أبطل هذه الحجة القرطبي من خلال أسلوب القياس المساوي، حيث قاس حال آدم عليه السلام على حال المسيح. إذ هو نفخة من روح الله في تربة من الأرض، فتربة بمنزلة لحمة، ونفخة بمثابة نفخة[1].

فبناءً على هذا القياس لا فرق بين الحالين في المسيح وآدم عليه السلام، فإثبات الألوهية للمسيح لكونه نفخة من روح الله في لحمه مريم يماثلها حال آدم لكونه نفخة من روح الله في تربة من الأرض. فإما إثبات الألوهية للاثنين لهذه العلة أو نفيها عنهما.

ومن شبه النصارى التي أثاروها حول رسالة النبيّ ﷺ كونها ناسخة لما قبلها، والنسخ بداء، والبداء على الله الذي هو عالم الغيب والشهادة محال.

وقد أبطل الزاهدي هذه الشبهة من خلال أسلوب القياس المساوي حيث طالبهم أن يقيسوا حال محمد ﷺ في ذلك بحال موسى وعيسى حيث جاءا ونسخا ما قبلهما ولم تعدوا ذلك أيها النصارى بداءاً[2].

رابعاً: قياس الخلف:

وهو «إثبات نقيض الحكم في غيره لافتراقهما في علة الحكم»[3].

---

(١) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، ص (١٣٦).

(٢) انظر: الرسالة الناصرية، مختار بن محمود الزاهدي، تحقيق محمد المصري، ص (٤٤ ـ ٤٥).

(٣) البحر المحيط، محمد بن بهادر الزركشي (٥/ ٤٦).

وقيل: «هو إثبات المطلوب بإبطال نقيضه»[1].

ومن استخدامات هذا الأسلوب من قبل العلماء المسلمين في جهودهم الدعوية الموجهة إلى النصارى في هذه الفترة، رد القرطبي اعتراض النصارى على المسلمين في نسبة الهدى والضلال إلى الله.

حيث بين القرطبي أن الهدى والضلال مخلوقان، وإذا أُنكر نسبتهما إلى الله تعين وجود خالق لهما مما يعني وجود خالقين، وهذا محال، فلم يبق إلا أن يكون الفاعل هو الله إذ لا خالق إلا هو ولا مبدع سواه[2].

فأثبت القرطبي من خلال قياس الخلف المطلوب وهو نسبة الهدى والضلال إلى الله بإبطال النقيض وهو عدم نسبتهما إليه سبحانه؛ لاستحالة وجود خالق آخر محدث لهما.

خامساً: أسلوب المحاكمات العقلية:

اسم هذا الأسلوب يتكون من كلمتين: «محاكمات» و«عقلية».

والمحاكمات جمع محاكمة، وهي المفاعلة من مادة حَكَمَ بمعنى قضى، والمحاكمة على ذلك هي المخاصمة إلى الحاكم طلباً للحق[3].

و«عقلية» نسبة إلى العقل وقد سبق التعريف به.

إذن فالمحاكمات بوصفها أسلوباً من أساليب الدعوة هي طلب تحكيم العقل المجرد من الهوى في قضايا مسلم بها إظهاراً للحق وتقريراً له.

ومن خلال هذا الأسلوب العقلي يعرض المناقِش القضية مجردة أمام خصمه؛ ليرجع الخصم إلى عقله في الحكم فيظهر له ضعف موقفه وبطلان حجته.

---

(١) مناهج الجدل في القرآن الكريم، د. زاهر عواض الألمعي، الرياض، مطابع الفرزدق، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤ هـ، ص (٧٧).

(٢) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٤٥٥).

(٣) انظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، مادة «حكم» (١٢/ ١٤٢).

وقد كان هذا الأسلوب من الأساليب العقلية التي استخدمها العلماء المسلمون كثيراً في جهودهم الدعوية الموجهة إلى النصارى. ومن ذلك مثلاً:

طلب نصر بن يحيى المتطبب من النصارى تحكيم عقولهم في إثباتهم الألوهية للمسيح. إذ كيف يكون إله وهو المولود من امرأة بشرية قد نالته العلل والآفات وجرى عليه ما يجري على الآدميين من غذاء وتربية وصحة وسقم وأمن وخوف وتعلم وتعليم، فكيف تجتمع هذه النقائص مع مقام الألوهية. ثم قال: «. . . فيجب على ذوي العقول أن يزجرهم عقلهم عن عبادة إله ولدته امرأة بشرية آدمية»(١).

فمن خلال عرض المتطبب لأحوال النقص البشرية المتحققة في المسيح ولفت عقول النصارى إليها واستحالة أن تلحق هذه الصفات من يتصف بالألوهية، ربما دفعهم ذلك إذا تدبروا الأمر وتحرروا من تفسيرات قسسهم ورهبانهم أن يصلوا إلى الحق وهو الإقرار بعبوديته ونبوّته.

وفي مناقشة الخزرجي لقسيس طليطلة وبعد عرضه جملة من الصفات البشرية للمسيح قال في نهايتها: «وهذه كلها صفات إنسان مهين لا إله قوي متين»(٢).

وذلك لفتاً منه لعقل هذا القسيس وتنبيهاً له ليحكم هو على نفسه ويقر أن المسيح عبدٌ لله وأحد أنبيائه وليس له من خصائص الألوهية شيء. ثم قال الخزرجي بعد ذلك: «. . . ومن جرى في المناظرة هذه المجرى ثم طرح الهوى فنظر بعين الإنصاف كان الحق له أبين من فلق الصبح»(٣).

وفي مناقشة القرافي لعقائد النصارى بين عدم قبول العقل ألوهية مولود رضع وفُطِم ومرض وصلب وذلك استثارة لعقولهم في الحكم على هذه القضية حيث قال: «. . . فيا معشر النصارى كيف أتيتم بما تحيله العقول. . . وجعلتم ذا

---

(١) النصيحة الإيمانية، نصر بن يحيى المتطبب، تحقيق د. محمد الشرقاوي، ص (٧٢).

(٢) مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان: بين الإسلام والمسيحية، ص (٢٩٤).

(٣) المصدر السابق، ص (٢٩٥).

الملك والملكوت والعزة والجبروت خرج من رحم امرأة ورضع وفُطِم وصُلب على صليب الصلبوت بعد أن وصل إليه من الذل والقتل ما لم يصل إلى أحدٍ من المخلوقين. . . »[١].

وبأبيات شعرية أبرز البوصيري هذه المحاكمة متسائلاً كيف يقبل العقل ألوهية من يتحاج إلى الأكل والشرب ويتصف بالصفات الآدمية من نوم ويقظة وتعب وضعف ومرض، وذلك بقوله:

أسـمـعـتـم أن الإلـه لـحـاجـة يـتـنـاول الـمـشـروب والـمـأكـولا
ويـنـام مـن تـعـب ويـدعـو ربـه ويـرود مـن حـر الـهـجـيـر مـقـيـلاً
ويـمـسـه الألـم الـذي لـم يـسـتـطـع صـرفـاً لـه عـنـه ولا تـحـويـلاً[٢]

وفي محاكمة عقلية عن طريق تنزيه الله سبحانه وتعالى عما لا يليق به في مسألة الصلوبية ناقش الخزرجي قسيس طليطلة مبيناً أن العقل لا يقبل تعليل النصارى لمسألة الصلب.

فإذا كان القصد من صلب المسيح هو الانتقام من آدم لخطيئته التي ارتكبها - إذ لم يرد الله مباشرة ذلك الانتقام لاعتلاء قدره عن خلقه فأنزل ابنه ليصلب انتقاماً لهذه الخطيئة - فالأولى في حق الله لاعتلاء قدره وسقوط منزلة العبد أن يعفو عن الذنب ويتوب على المذنب. والأبعد عنه عزّ وجلّ أن يعاقب أحداً بذنب غيره، وصلب المسيح - بزعمكم أيها النصارى - تكفيراً عن خطيئة آدم ظلمٌ من الله للمسيح ينزه الله جلّ وعلا عنه.

فكيف يقبل العقل الاحتيال لإثبات الصلوبية بنسبة الجور والظلم والحقد والغائلة إلى الله عزّ وجلّ ونفي الصفح والعفو عنه الذي يليق به سبحانه وتعالى[٣].

---

(١) أدلة الوحدانية، أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق: د. عبد الرحمن دمشقية، ص (٦٤).

(٢) منظومة البوصيري في الرد على النصارى، محمد بن سعيد الأبوصيري، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٧).

(٣) انظر: مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان: بين الإسلام والمسيحية، ص (١٧٣).

سادساً: أسلوب القلب:

«وهو أن يبين القالب أن ما ذكره المستدل يدل عليه لا له، أو يدل عليه وله»[1].

وهذا الأسلوب ينتزع به المناقش الحجة من خصمه فيجعلها حجة عليه. وكان من ضمن الأساليب العقلية التي فند فيها العلماء المسلمون في هذه الفترة كثيراً من عقائد النصارى الباطلة وشبههم.

ففي مناقشة الجعفري مثلاً لعقيدة الصلب لدى النصارى وبأسلوب القلب أثبت أن المصلوب غير المسيح وذلك من خلال قصة صلبه التي يسوقها النصارى في أناجيلهم إثباتاً لصلب المسيح.

فمن خلال هذه القصة أثبت الجعفري أن المصلوب شخص آخر غير المسيح ـ كما هي عقيدة المسلمين ـ وذلك أن المصلوب حسب هذه القصة اشتكى العطش وطلب الماء، وقال حين صلبه: «إلهي إلهي، لِمَ تركتني وخذلتني»[2].

فاستدل الجعفري بذلك على أن المصلوب غير المسيح من حيث إنه ثبت في الإنجيل أن المسيح كان يطوي أربعين يوماً لا يحتاج إلى الماء، فلِمَ لم يصبر هذه اللحظات مما يدل على أن المصلوب غيره. كذلك قوله: «إلهي إلهي لِمَ تركتني» فيه تبرم من القضاء والقدر لا يليق بالصالحين فضلاً عن الأنبياء مما يدل على أن المصلوب شخص آخر؛ إذ لا يمكن أن يصدر هذا القول من المسيح عليه السلام[3].

وبهذا الأسلوب جعل الجعفري قصة الصلب التي يسوقها النصارى إثباتاً

---

(١) البحر المحيط، محمد بن بهادر الزركشي، تحقيق د. عبد الستار أبو غدة (٥/ ٢٨٩).

(٢) الكتاب المقدس، إنجيل متى، الإصحاح (٢٧/ ٤٦).

(٣) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (١/ ٣٤٩).

لصلب المسيح تدل على أن المصلوب غير كما هي عقيدة المسلمين.

ومن قول النصارى في قانون الأمانة «إن المسيح بكر الخلائق»(١).

فقد جعل ذلك المتطبب من خلال أسلوب القلب يدل عليهم، ويؤيد اعتقاد المسلمين في إثبات عبودية المسيح لله سبحانه وتعالى، وذلك أنهم جعلوه في هذا النص من الخلائق إذ صار بكرها. وبكر الخلائق لا يكون إلا من جنسها فلا يجوز أن يقال: إن بكر آدم ملك. فدل ذلك على أن المسيح عبد الله مخلوق ليس له من الألوهية شيء(٢).

وقطع الخزرجي حجة لبعض النصارى على ألوهية المسيح وذلك باستدلالهم بنص في الإنجيل وهو: «إن الإيمان بعيسى لم يتم إلا بعده»(٣) مدعين أن هذا النص يؤيد تفسيراتهم وأقوالهم في نسبة الألوهية إلى المسيح بدعوى أنها من المسيح نفسه الذي يكلمهم في سحاب السماء وفي الأحلام وما إلى ذلك.

حيث استخدم الخزرجي هذا الدليل على نقيض قصدهم من إيراده، وأثبت المفهوم الصحيح له وهو الدلالة على عبودية المسيح من خلال إيضاح المعنى الصحيح للنص وهو: «إن الإيمان بعيسى لا يتم إلا بالذي بعده». والمقصود بذلك محمد ﷺ الذي رد عليهم في ادعائهم الألوهية للمسيح وفضح ضلالهم وتحريفاتهم(٤).

واستدل النصارى بنبوّة ميخا النبيّ في أن بيت الرب الذي يكون في آخر الزمان هو القدس، ونص النبوّة هو: «إنه يكون في آخر الأيام بيت الرب مبنياً

---

(١) انظر: قانون الأمانة في الفصل الأول، المبحث الثاني، المطلب الأول.

(٢) انظر: النصيحة الإيمانية، نصر بن يحيى المتطبب، تحقيق محمد الشرقاوي، ص (١٣٣).

(٣) لم أقف عليه في نسخة الكتاب المقدس التي بين يدي.

(٤) انظر: مقامع الصلبان ومراتع أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق: د. محمد شامة، بعنوان: «بين الإسلام والمسيحية»، ص (١٤٢).

على قلل الجبال وفي أرفع رؤوس العوالي تأتيه جميع الأمم يقولون: تعالوا نطلع إلى جبل الرب»[1].

وبأسلوب القلب جعل الجعفري هذه النبوّة من ميخا تدل على الكعبة وحج الناس إليها في آخر الزمان في ظل نبوّة محمدﷺ. حيث بين أن البيت المذكور في النبوّة يكون في آخر الزمان، وبيت المقدس كان في زمن ميخا، والنبيّ لا يتنبأ على شيء حاضر معه وإنما يتنبأ على شيء لم يأت بعد. فدل على أن المراد بالبيت الكعبة وحج الناس إليها في دين الإسلام[2].

سابعاً: أسلوب إظهار تناقض الخصم:

وهذا الأسلوب من أبرز الأساليب العقلية التي تهدم ما لدى الخصم من قناعات، وتزعزع ثقته في اعتقاداته وما يؤمن به ويناقش فيه، إذ يؤدي به إلى أن ينقض بعضُ كلامه البعض الآخر فيقع في الاضطراب والحيرة. وهو أسلوب يستلزم من المناقِش الإحاطة بموضوع خصمه الذي يجادل فيه لكي يبرز وجوه التناقض لدى خصمه.

وقد استخدم العلماء المسلمون هذا الأسلوب كثيراً في جهودهم الدعوية الموجهة إلى النصارى إبرازاً لتهافت الديانة النصرانية، وإثباتاً لتحريفها، ولكثرة مادته الموجودة في كتب النصارى وأقوالهم واعتقاداتهم.

ومما أبرزه علماء هذه الفترة إظهار تناقض كتب النصارى حيث أسهبوا في ذلك إثباتاً لتحريفها وتأكيداً على عدم الاعتماد على شيء منها.

ومن ذلك مثلاً ما أورده الأنباري من نماذج منها قولهم في إنجيل متى: «إنه صلب ومعه لصان أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله وكانا يشتمانه ويتناولانه محركين رؤوسهما ويقولان له: سلم نفسك إن كنت ابن الله»[3] وفي إنجيل لوقا

---

(١) انظر: الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر ميخا، الإصحاح (٤/ ١ ـ ٣).

(٢) انظر: الرد على النصارى، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق: د. محمد محمد حسانين، ص (١٢٠).

(٣) انظ : الكتاب المقدس، إنجيل متى، الإصحاح (٢٧/ ٣٩ ـ ٤٣).

«وكان أحد اللصين المصلوبين معه يسبه ويقول: إن كنت أنت المسيح فسلم نفسك وسلمنا»[1][2].

حيث علق الأنباري على ذلك بقوله: «وهذا تناقض، فإن في إنجيل متّى أن اللصين كانا يسبانه، وفي إنجيل لوقا إن أحدهما كان يسبه»[3].

وأفرد الجعفري باباً في كتابه التخجيل لإبراز مواضع التحريف والتناقض في الإنجيل. حيث أورد نماذج في اثنين وخمسين موضعاً، وقد قال في مقدمته: «... نبين بعون الله في هذا الباب من تناقض إنجيل النصارى وتعارضه وتكاذبه وتهافته ومصادمة بعضه بعضاً ما يشهد معه من وقف عليه أنه ليس هو الإنجيل الحق المنزل من عند الله...»[4].

ومما أورده من التعارض والاختلاف قول متى: «... من يوسف خطيب مريم وهو الذي يسمى يوسف النجار إلى إبراهيم الخليل اثنتان وأربعون ولادة»[5]، وقال لوقا: لا ولكن بينهما أربع وخمسون ولادة[6]، وذلك تكاذب قبيح[7].

ثم قال الجعفري معلقاً على هذا التعارض والتناقض: «... وذلك يقتضي بانخرام الثقة بهما جميعاً»[8].

---

(١) انظر: الكتاب المقدس، إنجيل لوقا، الإصحاح (٢٣/ ٣٩).

(٢) الداعي إلى الإسلام، عبد الرحمن بن محمد الأنباري، تحقيق سيد حسين باغجوان، ص (٣٨٦).

(٣) المصدر السابق، ص (٣٨٦).

(٤) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (١/ ٢٨٣).

(٥) انظر: الكتاب المقدس، إنجيل متى، الإصحاح الأول.

(٦) انظر: الكتاب المقدس، إنجيل لوقا، الإصحاح (٣/ ٢٣ ـ ٢٨).

(٧) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (١/ ٢٨٥).

(٨) المصدر السابق (١/ ٢٨٥).

ومو‌ضع آخر ذكره الجعفري يظهر فيه تناقض الإنجيل وهو قول متى: «إن يوسف خطيب مريم كان أبوه يسمى يعقوب بن ماتان»[1]، وذكر لوقا غير ذلك، فقال: أقام يسوع ثلاثين سنة وهو يظن أنه ابن يوسف بن هالي بن مطب»[2]. وقد علق الجعفري على ذلك بقوله: «وهذا تناقض عجيب»[3].

وفي رد الخزرجي على قسيس طليطلة أورد الكثير من تناقضات الإنجيل إظهاراً لعدم الاعتماد عليه وإبرازاً لتهافت حجج القسيس.

ومما أورده من ذلك قوله مخاطباً القسيس: «وفي الإنجيل الذي بأيديكم عنه ـ أي المسيح ـ أنه قال: إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي غير مقبولة، وغيري يشهد لي[4]. ثم في موضع آخر من الإنجيل أنه قال: إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق لأبي أعلم من أين أتيت وإلى أين أذهب»[5][6].

وقد علق الخزرجي على ذلك قائلاً للقسيس: «أخبرني كيف تكون شهادته حقاً وباطلاً؟ ومقبولة وغير مقبولة؟ وكيف يُجمع بين هذين في كتاب منسوب إلى الله تعالى»[7].

ومن الأمثلة على ذلك استخدام القرافي لهذا الأسلوب في مناقشته لبعض عقائد النصارى حيث أظهر جانباً من تناقضهم في أصل إيمانهم وهي الأمانة التي يعتقدونها إذ فيها قولهم: «ونؤمن بمعمودية واحدة لغفران الخطايا...» يناقضه

---

(١) انظر: الكتاب المقدس، إنجيل متى، الإصحاح (١/ ١٥).

(٢) انظر: الكتاب المقدس، إنجيل لوقا، الإصحاح (٣/ ٢٣).

(٣) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (١/ ٢٩٣).

(٤) انظر: الكتاب المقدس، إنجيل يوحنا، الإصحاح (٥/ ٣١).

(٥) انظر: الكتاب المقدس، إنجيل يوحنا، الإصحاح (٨/ ١٤).

(٦) مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، ص (١٤٦).

(٧) المصدر السابق، ص (١٤٦).

اعتقادهم أن خطيئة آدم عليه السلام عمت ذريته وما تخلصوا منها إلا بصلب المسيح وقتله. حيث بين القرافي أن ذلك ظاهر التناقض فإما أن تكون المعمودية توجب غفران الخطايا وحينئذٍ لا حاجة إلى الصلب، أو يكون الصلب هو الذي أوجب الغفران وزالت به الخطيئة فلا حاجة إذن إلى المعمودية[1].

ومن بيان القرطبي لشيء من تناقضهم الدال على تهافت حججهم وبطلان عقائدهم قولهم: «الكلمة هي الله، والله هو المسيح» ثم يقولون: «إنه لم يمكنه أن ينتقم من عبده العاصي الذي ظلمه وإنما انتقم من إله مثله»[2].

حيث علق القرطبي على ذلك مبيناً وجه التناقض فيه الذي يبطل بعضه بعضاً حيث قال: «فانظر إلى هذا التناقض الشنيع، كيف يعتقدونه تارة أنه هو، فيلزم عليه أنه هو المنتقِم والمنتقَم منه، والمعاقِب، والمعاقَب. وتارة يعتقدون أن الإهانة والصلب لم يحل بلاهوته بل حلّ بناسوته. وناسوته ليس بإله، فيلزم على هذا القول الآخر إنه لم ينتقم من إله مثله. كيف ما كان فالتناقض لهم لازم والمحال»[3].

ثامناً: أسلوب المقارنة:

المقصود بالمقارنة هو: قرن النظر إلى قضيتين لإبراز وجوه التفاضل بينهما.

وهذا الأسلوب في الوقت الذي يظهر جوانب الخلل والنقص لدى الخصم فإنه في الوقت نفسه يبرز الجوانب الإيجابية لدى المناقِش في القضية المطروحة بين الطرفين. فتزعزع ثقة الخصم بما لديه من قناعات وربما يؤدي به ذلك إلى الاقتناع أو على الأقل الاعتراف والتسليم بالحق.

وكان هذا الأسلوب من الأساليب العقلية المستخدمة من قبل العلماء

---

(١) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١١٧).

(٢) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، ص (٤١٨).

(٣) المصدر السابق، ص (٤١٨).

المسلمين في جهودهم الدعوية الموجهة إلى النصارى في هذه الفترة، ومن ذلك مثلاً:

مقارنة القرطبي حفظ الله سبحانه وتعالى للقرآن وعناية الأمة به مقابل تبديل التوراة والإنجيل وتحريفهما واختلاطهما بالكذب والدجل والتزوير على الله سبحانه وأنبيائه الكرام، حيث عرض القرطبي نماذج من التحريف فيهما وعلق على ذلك بقوله: «. . . وكتابنا منزه عن أمثال تلك الآفات، فإن الله تولى حفظه، وأجزل من كل صيانة حظه، فصار بنظمه الذي لا يقدر الجن والإنس على آية منه، فلا يختلط به كلام متكلم، ولا يُقبل وهم متوهم إذ ليس من جنس كلام البشر، وهو معدود الآي والسور، ثم صانه بأنه يسره للحفظ والاستظهار فيستوي في نقله الكبار والصغار»[1].

وبعد هذه المقارنة التي وضعها القرطبي أمام صاحب كتاب تثليث الوحدانية قال: «فأين اللؤلؤ من الخزف، والياقوت من الصدف»[2].

وفي موضع آخر قارن القرطبي بين حال النبيّ ﷺ وشجاعته وصموده أمام قريش وتحمله الأذى وصبره على الشدائد في سبيل تبليغ الدعوة وبين حال المسيح ـ وهو إله بزعم النصارى ـ وأنه لما استشعر وثوب اليهود عليه قال: «قد جزعت نفسي الآن، فما ذا أقول يا أبتاه؟ فسلمني من هذا الوقت»، وأنه كذلك لما رفع على خشبة الصلب صاح صياحاً عظيماً: «إلهي إلهي لما أسلمتني وتركتني»[3].

وقد علق القرطبي على ذلك بقوله: «فتأمل إن كنت منصفاً فرق ما بين نبينا عليه السلام وبين ما تحكيه النصارى عن المسيح في إنجيلهم»[4].

---

(١) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (١٩٣ ـ ١٩٤).

(٢) المصدر السابق، ص (١٩٤).

(٣) انظر: المصدر السابق، ص (٣١٩ ـ ٣٢٠).

(٤) انظر: المصدر السابق، ص (٣٢٠).

ولا شك أن هاتين الصورتين ـ وعرضهما في وقت واحد ـ صورة النبيّ ﷺ وشجاعته وصبره وعدم جزعه وصورة المسيح ـ ابن الإله بزعم النصارى ـ وقد خار وجزع تدعو النصراني إلى التدبر والتفكير، كيف أن من يتصف بالألوهية يجزع ويضعف أمام أعدائه في مقابل من يدعي النبوّة كيف يصبر ويواجه أعداءه بشجاعة في سبيل تبليغ دعوته. فهذه الصورة الحسنة للنبيّ ﷺ في مقابل الصورة السيئة للمسيح ـ حسب اعتقاد النصارى ـ ربما توقظ في نفس النصراني تساؤلات كثيرة تدعوه إلى إعادة النظر فيما هو عليه وربما تقوده إلى الإسلام.

وإذا كان النصارى يعدون أنفسهم أصحاب ديانة سماوية ارتضاها الله لعباده، ويدعون الناس إليها فإن الخزرجي من خلال أسلوب المقارنة بيّن أنهم بنسبتهم النقائص لله سبحانه وتعالى زيادة على إشراكهم به جلّ وعلا أسوأ حالاً من أصحاب الديانة الوثنية مشركي العرب الذين اتقوا نسبة النقائص لله سبحانه وتعالى. حيث قال بعد هذه المقارنة: «. . . ما أبين فضل هؤلاء ـ أي مشركو العرب ـ عن من اعتقد أن الله تبارك وتعالى نزل من السماء عن كرسي عظمته ودخل في امرأة، وقام يتخبط تسعة أشهر في بحر من بول ودم وطمث. . .»[1].

فمشركو العرب يعبدون الأصنام مبالغةً في تنزيه الله سبحانه وتعالى حيث قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[2] فعبادتهم له مباشرة بدون واسطة ـ في زعمهم ـ تقدح في ألوهيته وربوبيته وما يجب له من العظمة والكبرياء ـ وأنتم أيها النصارى بجانب شرككم في عبادته سبحانه نسبتم إليه كل نقيصة[3].

فعلى هذه المقارنة فإن عبَّاد الأوثان أفضل من حال النصارى، ولا شك أن عرض هاتين الصورتين في وقت واحد أمام النصارى له أثره في نفوسهم من حيث تنفيرهم مما هم عليه من الاعتقاد الباطل الذي وصل بهم إلى مقارنتهم بأشد الناس كفراً وأشنعهم إلحاداً وهم كفار قريش.

---

(١) مقامع الصلبان ومراتع أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة، بعنوان «بين الإسلام والمسيحية»، ص (١٥٣).

(٢) سورة الزمر، الآية: (٣).

(٣) انظر: المصدر السابق، ص (١٥٢ ـ ١٥٣).

تاسعاً: أسلوب الاستدلال بمسلمات الخصم:

وهذا الأسلوب يعتمد على استعمال المناقِش ما يسلم به خصمه ويأخذ به؛ ليكون حجة له على ما يريد الوصول إليه. فهو يعتمد على ناحية منطقية عقلية تتمثل في عدم استطاعة الخصم إنكار ما يؤمن به ويسلم إليه.

ومن خلال هذا الأسلوب لا يستطيع الخصم إنكار أدلة المناقِش ولا الطعن فيها، فليس له إلا التسليم والاقتناع ما لم يمنعه الهوى فيدفعه إلى المكابرة والتهرب من حجة المناقش بالتأويل أو السكوت والانقطاع عن الجواب.

وقد استخدم العلماء في هذه الفترة هذا الأسلوب في جهودهم الدعوية الموجهة إلى النصارى خاصة في نفي الألوهية عن المسيح والدلالة على نبوّة محمد ﷺ.

ومن ذلك مثلاً ما أورده المتطبب من نصوص الإنجيل الدالة على بشرية المسيح وعدم الألوهية التي يدعونها فيه ومنها قوله عن نفسه: «من عند الله أرسلت معلماً»، وقوله لأصحابه: «أخرجوا بنا من هذه المدينة، فإن النبيّ لا يلح في مدينته وبيته وأقاربه»، وأخبر الإنجيل كذلك أن امرأة رأت المسيح فقالت له: أنت ذلك النبي الذي كنا ننتظر مجيئه؟ فقال لها المسيح: «صدقت، طوبى لك أيتها المرأة»[(١)].

وقد علق المتطبب على بعض النصوص الكثيرة التي أوردها من الإنجيل مبيناً دلالتها على عبودية المسيح وأنه مربوب مبعوث من عند الله لا يستطيع أن يفعل شيئاً إلا بإذنه سبحانه وتعالى[(٢)].

ومن الأدلة التي أوردها المتطبب من الإنجيل على نبوّة المسيح شهادة رئيس الحواريين شمعون الصفا له بذلك. حيث قال: «يا رجال بني إسرائيل اسمعوا

---

(١) انظر: النصيحة الإيمانية، نصر بن يحيى المتطبب، تحقيق د. محمد الشرقاوي، ص (١٠٩).

(٢) انظر مثلاً: المصدر السابق، ص (١٠٩).

مقالتي بأن يسوع الناصري ظهر لكم من عند الله بالقوة والأيد والعجائب التي أجراها الله تعالى على يديه، وأنكم أسلمتموه وقتلتموه، فأقام الله تعالى يسوع هذا من بين الأموات»[(١)][(٢)].

وقد علق المتطبب على ذلك بقوله: «فأي شهادة أبين وأوضح من هذا القول؟ وهو أوثق التلاميذ عندكم، يخبر كما ترون بأن المسيح رجل وأنه جاء من عند الله، وأن الآيات التي ظهرت منه بأمر الله أجراها على يديه»[(٣)].

ومما استدل به القرطبي على صحة نبوّة محمدﷺ من كتب النصارى ما ساقه من البشارات بهﷺ، ومن ذلك ما ورد في سفر التثنية وهو قول الله سبحانه: «جاء الله من سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران ومعه جماعة من الصالحين»[(٤)].

حيث شرح ذلك القرطبي مبيناً أن مجيئه من جبل سيناء أن الله أنزل فيه التوراة دلكم عليه موسى، وإشراقه من جبل ساعير أن دين المسيح إنما أشرق من جبال ساعير قرب القدس، واستعلاؤه من جبال فاران أن الله تعالى بعث فيها محمدﷺ وأوحى إليه فيها. ولا اختلاف أن فاران هي مكة، وقد قال في التوراة: «إن الله أسكن هاجر وابنها إسماعيل فاران»[(٥)][(٦)].

وقد علق القرطبي على ذلك بتوجيه الخطاب إلى صاحب تثليث الوحدانية وحثه على التفكر في إنصاف وتثبت، وقبول هذه البشائر الظاهرة بنبوّة محمدﷺ[(٧)].

---

(١) الكتاب المقدس، أعمال الرسل، (٢٢ ـ ٢٤).

(٢) انظر: النصيحة الإيمانية، نصر بن يحيى المتطبب، ص (١١١).

(٣) المصدر السابق، ص (١١١).

(٤) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التثنية، الإصحاح (٣٣/ ١ ـ ٣).

(٥) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التكوين، الإصحاح (٢١/ ٢١).

(٦) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٢٦٤ ـ ٢٦٥).

(٧) انظر: المصدر السابق، ص (٢٦٥).

ومن بشائر الإنجيل أيضاً بنبوّة محمدﷺ والتي أوردها القرطبي قول المسيح: «إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، وسأرغب إلى الأب في أن يبعث إليكم البرقليط ليكون معكم إلى الأبد»[١]. حيث بين القرطبي معنى البرقليط وهو لفظة رومية معناها بالعربية محمد[٢].

وأورد الجعفري أربعاً وثمانين بشارة من التوراة والإنجيل بنبوّة محمدﷺ مبيناً وجه الاستدلال بكل منها وحاثّاً النصارى على التصديق بها. ثم قال في نهايتها: «... فهذه أربع وثمانون بشارة عن الأنبياء وأتباع الأنبياء وقد تضمنها كتب الله المنزلة من لدن إبراهيم الخيل إلى أتباع المسيح منوهةً باسم محمدﷺ صريحاً واسم أرضه التي يخرج منها وبلده التي نشأ بها...»[٣]. ثم قال: «وإنما نقلت قليلاً من كثير ويسراً من خطير، ولو استوعبت ما في كتب الله من الإشادة بذكر المصطفىﷺ وذكر أمته لأطلت وخرجت إلى حد الإسهاب...»[٤].

ومثل ذلك ساق القرافي إحدى وخمسين بشارة من كتب النصارى بمحمدﷺ وصدق نبوّته[٥].

ولا شك أن أخذ الحجة من كتب النصارى في رد باطلهم ودعوتهم إلى الحق من أقوى الأدلة عليهم لكونهم يعتقدون صحة هذه الكتب وقدسيتها، فلا سيبيل لهم عند إيرادها عليهم إلا التصديق أو الانقطاع وقيام الحجة عليهم.

وهكذا كان لمجموع هذه الأساليب العقلية استخداماً واسعاً مع هؤلاء

---

(١) الكتاب المقدس، إنجيل يوحنا، الإصحاح (١٤/ ١٥ ـ ١٨).

(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٢٦٨ ـ ٢٦٩).

(٣) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/ ٧٢٢).

(٤) المصدر السابق (٢/ ٧٢٢).

(٥) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١٦٣) وما بعدها.

النصارى الذين لا يؤمنون بالقرآن ولا ينفع معهم الأمر والنهي والترغيب والترهيب وظهر عمق أثرها عليهم؛ إذ كانت النتيجة من خلال الأساليب العقلية؛ إما اقتناعهم بالحق، ومن ثم إسلامهم، أو إفحامهم وانقطاع حججهم وظهور باطلهم وكشف عوارهم، الأمر الذي لا يبقى معه لهم شيء يتمسكون به لما هم عليه إلا المعاندة والاستكبار على الحق.

المطلب الثاني

الأساليب العاطفية

تمهيد:

المقصود بالأساليب العاطفية هي تلك الأساليب التي تعتمد في تأثيرها على مخاطبة العاطفة وإثارة المشاعر للحث على أمر ما أو المنع منه.

وتتميز هذه الأساليب في كونها تعتمد على النواحي الفطرية بالنفس البشرية والتي خلقها الله في الإنسان وجبله عليها، فتستثير هذه المشاعر والدوافع لدى الإنسان للحث على أمر ما أو المنع منه.

ومشاعر النفس الإنسانية ودوافعها وغرائزها يستوي فيها كل الناس على اختلاف أجناسهم ودياناتهم، فكل لديه الرغبة، والرهبة، والخوف، والرجاء، وحب الخير، وبغض الشر، وما إلى ذلك.

لذا تتسع دائرة استعمال الأساليب العاطفية لاتساع الأسس التي تعتمد عليها والتي يشترك بها الناس جميعاً؛ لذلك تنوعت هذه الأساليب تنوعاً كبيراً، فمنها على سبيل المثال: الترغيب بأشكاله المختلفة، والترهيب بصورة المتعددة، والموعظة، والقسم، والثناء، والتلطف، والتهكم، والتوبيخ، وما إلى ذلك.

وبقدر حسن استخدام هذه الأساليب تتحقق النتائج.

ولأهمية الأساليب العاطفية في الدعوة فقد كانت من أبرز أساليب الرسل عليهم الصلاة والسلام في دعوة أقوامهم.

ومن ذلك مثلاً ترغيب الرسل لأقوامهم بالمغفرة حال الإيمان كقوله تعالى: ﴿۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾[1].

ودعوة نوح عليه السلام لقومه من خلال ترغيبهم بالخير حال الاستجابة، قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾[2].

وكانت الأساليب العاطفية من أبرز أساليب القرآن سواء في دعوة المشركين إلى الإيمان، أو حث المؤمنين على الزيادة من الخير.

فمن دعوة المشركين إلى الإيمان بالله من خلال ترهيبهم بما يحصل لهم من العذاب في الآخرة قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾﴾[3].

وقوله: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾[4].

ومن ترغيب المؤمنين بالجنة حال الاستمرار على التقوى قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾[5].

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: (١٠).

(٢) سورة نوح، الآيات: (١٠ ـ ١٢).

(٣) سورة المزمل، الآيات: (١٥ ـ ١٧).

(٤) سورة النبأ، الآيات: (٢١ ـ ٣٠).

(٥) سورة النبأ، الآيات: (٣١ ـ ٣٦).

والأساليب العاطفية كذلك في أكثر الأساليب التي استخدمها النبيّ ﷺ في تبليغ دعوته سواء مع الكفار أو حتى في حث المؤمنين على الاستزادة من الخير.

فمن ذلك دعاؤه للمشركين بالهداية كقوله ﷺ: **«اللهمّ اهد دوساً وائت بهم»**[(١)].

وحينما كانت اليهود تتعاطس عنده ﷺ رجاء أن يقول لهم: يرحمكم الله، كان يقول: **«يهديكم الله ويصلح بالكم»**[(٢)].

وكان ﷺ يتخول أصحابه رضوان الله عليهم بالموعظة فيذكرهم بما يهيج عواطفهم ويؤثر في نفوسهم من خلال ذكر الجنة وما أعده الله فيها من النعيم للمتقين، والحديث عن النار وما فيها من العذاب المقيم للمجرمين، إلى غير ذلك؛ فيظهر أثر ذلك مباشرة على الصحابة متمثلاً في حب الخير وبغض الشر والابتعاد عنه وزيادة الإيمان. ومن الأمثلة على ظهور أثر هذا النوع من الأساليب على المؤمنين وتأثرهم بها حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه أنه قال: «صلّى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب...»[(٣)].

وفي عصر الحروب الصليبية كانت بعض الأساليب العاطفية من ضمن أساليب الدعوة الموجهة إلى النصارى. والصفحات التالية نماذج من ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم، حديث رقم (٢٩٣٧)، ص (٥٦٣)، ومسلم، الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة...، حديث رقم (٢٥٢٤)، ص (١٠٢٠).

(٢) أخرجه أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب كيف يشمت الذمي حديث رقم (٥٠٣٨)، (٥/ ٢٩١ ـ ٢٩٢)، قال الألباني: صحيح، صحيح سنن أبي داود، (٣/ ٢٣٧).

(٣) أخرجه أبو داود، سنن أبي داود، كتاب السنة، باب لزوم السنة، حديث رقم (٤٦٠٧)، (٥/ ١٣ ـ ١٥)، وصححه الألباني، صحيح سنن أبي داود (٣/ ١١٨ ـ ١١٩).

أولاً: أسلوب الترهيب:

الترهيب في اللغة مصدر رَهِبَ يَرْهَبُ رَهْبَةً ورُهْباً وَرَهَباً أي خاف، وأرهبه أخافه[1].

أي: أن الترهيب يعني التخويف. وهو بصفته أسلوباً من أساليب الدعوة يعني «كل ما يخيف المدعو ويحذره من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه»[2].

وليس القصد من هذا التخويف إثبات ضعف المدعو وتهوين شأنه، بل إن ذلك في مصحلته ونجاته.

والترهيب قد يكون بما يحدث من العقاب الدنيوي، أو بما أعده الله في الآخرة من العذاب، أو يكون بهما معاً.

وكان هذا الأسلوب من ضمن الأساليب العاطفية التي استخدمت في دعوة النصارى في فترة الحروب الصليبية.

ومن ذلك مثلاً ما كان يتخلل به القرطبي نقاشه وردوده على القسيس صاحب كتاب تثليث الوحدانية من تخويف له بالنهاية السيئة إذا مات على معتقده، وترهيبه باليوم الآخر وعند الوقوف للحساب، وذلك كقوله للقسيس بعد تفنيده بعض ما أورده في كتابه من عقائد كفرية: «. . . وإذا انتهى إنسان إلى هذه المخازي فقد كفر بموسى، وبإله موسى ـ نعوذ بالله من أنظار تقود في الدنيا إلى الفضيحة والعار، وفي الآخرة إلى الخلود في عذاب النار»[3].

وفي موضع آخر وبعد مطالبته القسيس الاستعداد للحساب وذلك بالتوبة عن تأليه عيسى واعتقاد نبوّته، خوّفه بعاقبة إصراره على اعتقاده في ذلك اليوم «فكأني

(١) انظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، مادة «رهب» (١/ ٤٣٦).

(٢) أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، ص (٤٣٦).

(٣) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (١١٣).

والله بك إن مت على ما أنت عليه يؤخذ بناصيتك وقدمك، وتحيط بك ملائكة ربك ﴿مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1] فتنادي فتقول: يا عيسى، يا سيدي، يا إلهي، يا ولد الله، فيقول لك: كذبت، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، ولست بإله، ولم أقل لك كذلك... فكيف ترى خجلتك بين يديه... فذلك المقام لا ينفعك فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا ما قدمت يداك من حسن إيمان وصالح عمل،... فإن الملائكة والنبيين لا يشفعون إلا لمن ارتضى رب العالمين، فالله الله. انظر في خلاص نفسك لتجني ثمار غرسك»[2].

ومن استخدام هذا الأسلوب ترهيب نصر بن يحيى المتطبب للنصارى بنصوص من الإنجيل والتي توضح عاقبة اتخاذهم المسيح إلهاً ومنها قول المسيح عنهم يوم القيامة: «ما أكثر من يقول لي يوم القيامة: يا سيدنا، أليس باسمك أخرجنا الشياطين، فأقول: اغربوا عني أيها الفجرة الفارون فما أعرفكم قط»[3] وقوله: «إني جامع الناس يوم القيامة عن ميمنتي وميسرتي وقائل لأهل الميسرة: إني جعت فلم تطعموني، وعطشت فلم تسقوني، وكنت غريباً فلم تؤووني، ومحبوساً فلم تزوروني، ومريضاً فلم تعودوني، فاذهبوا إلى النار المعدة لكم قبل تأسيس الدنيا، وأقول لأهل الميمنة: فعلتم عكس هذه الأشياء فاذهبوا إلى النعيم المعد لكم قبل تأسيس الدنيا»[4][5].

ومن استخدام الترهيب في هذه الفترة ترهيب النصارى بما يحصل لهم في الدنيا من الخسران والخذلان والقتل والأسر والسبي وسائر أنواع الشقاء، وهذا

---

(١) سورة التحريم، الآية: (٦).

(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (١٢٣).

(٣) الكتاب المقدس، إنجيل متى، الإصحاح (٧/ ١٥ ـ ٢٣).

(٤) الكتاب المقدس، إنجيل متى، الإصحاح (٢٥/ ٣٤ ـ ٤٤).

(٥) انظر: النصيحة الإيمانية، نصر بن يحيى المتطبب، تحقيق د. محمد الشرقاوي، ص (١٠١ ـ ١٠٢).

له أهميته في رد اعتداءات بعضهم على المسلمين، وكف أذاهم عن البلاد الإسلامية.

ومن ذلك ما ورد في رسالة الظاهر بيبرس إلى بوهيمند أمير إنطاكية وطرابلس وذلك بعد فتح إنطاكية سنة ٦٦٧ هـ، وفيها قوله مهدداً الأمير الصليبي ومخوفاً له من قوة المسلمين وعزمهم على ملاحقته: «... فلو رأيت خيالتك وهم صرعى تحت أرجل الخيول، وديارك والنهابة فيها تصول، والكسابة فيها تجول، وأموالك وهي توزن بالقنطار... ولو رأيت كنائسك وصلبانها قد كسرت، ونشرت، وصحفها من الأناجيل المزورة قد نثرت، وقبور البطارقة قد بعثرت، ولو رأيت عدوك المسلم وقد داس مكان القداس، والمذابح وقد ذبح فيه الراهب والقسيس والشماس... لكنت تقول: يا ليتني كنت تراباً، ويا ليتني لم أوت بهذا الخبر كتاباف، ولكانت نفسك تذهب من حسرتك...»(١). ثم قال: «... وكتابنا هذا يتضمن البشرى لك بما وهبك الله من السلامة وطول العمر بكونك لم يكن لك في إنطاكية في هذه المدة إقامة، وكونك ما كنت بها فتكون إما قتيلاً أو جريحاً، ولعل الله ما أخرك إلا لتستدرك من الطاعة والخدمة ما فات، ولما لم يسلم أحد ليخبرك بما جرى خبرناك، ولما لم يقدر أحد أن يباشرك بالبشرى بسلامة نفسك وهلاك ما سواها بشرناك...»(٢).

ومثلها رسالة التهديد من الظاهر إلى مقدم الاستبار يتوعده ويهدده لنقضه العهود مع المسلمين(٣).

وهكذا فإن حسن استخدام أسلوب الترهيب خاصة في مجال الجهاد في هذه الفترة كان له أثره في تحقيق النتائج المرجوة، فإنه أظهر ما لدى المسلمين من قوة وعزيمة وثقة بالله ثم بأنفسهم، وزعزع في المقابل ثقة النصارى بما لديهم من إمكانات.

---

(١) ملاحق السلوك لمعرفة دول الملوك، أحمد بن علي المقريزي، تحقيق محمد مصطفى زيادة، الجزء الأول، القسم الثالث، ص (٩٦٥).

(٢) المصدر السابق، الجزء الأول، القسم الثالث، ص (٩٦٥).

(٣) المصدر السابق، ص (٩٦٥).

حيث اتضح ذلك مثلاً في مسارعة كثير من قادة النصارى إلى مهادنة الظاهر بيبرس والعمل على كسب وده وكف أذاهم عن المسلمين.

وقبل ذلك آثار هذا الأسلوب الحسنة على ملك الانكتار خلال مفاوضاته حول القدس مع الملك العادل ممثل صلاح الدين. فكان الملك العادل أحياناً يخشن الإجابة للملك الصليبي إظهاراً لعزة المسلمين وتمسكهم بحقوقهم في القدس والأراضي الإسلامية(١).

فما كان من الملك الصليبي في النهاية إلا أن أمر بحقوق المسلمين في القدس ورضي فقط بالسماح للنصارى بالحج إليها.

ثانياً: أسلوب الاستهزاء والتهكم:

قد يجدي هذا الأسلوب في تنبيه الغافل حين لا يستفيد من المواعظ ولا تفيد فيه الحجج والبراهين فيحتاج لذلك إلى نوع من التقريع والتوبيخ وشيء من القسوة في الخطاب، لعل ذلك يحرك فيه بعض المشاعر الكامنة التي تدفعه إلى سماع الحق وربما قبوله.

وقد جاء استعمال هذا الأسلوب كثيراً في القرآن الكريم. ومن ذلك مثلاً قوله تعالى تهكماً بالمعرض عن آيات الله جلّ وعلا: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾(٢). وقوله تعالى سخرية بالذين لا يسمعون الحق: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾(٣).

وفي الجهود الدعوية الموجهة إلى النصارى في عصر الحروب الصليبية كثر استخدام هذا الأسلوب من قبل بعض العلماء. وربما كان من أسباب ذلك ما

---

(١) انظر: النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ص (٢٧٤).

(٢) سورة لقمان، الآية: (٧).

(٣) سورة الفرقان، الآية: (٤٤).

صدر من بعض النصارى ورجال دينهم من كلمات فيها شيء من السخرية والتهكم سواء في كتاباتهم أو مناقشاتهم أو مناظراتهم مع المسلمين وذلك تجاه الإسلام ورسوله ﷺ. كتداول رسالة ابن غرسية في الأندلس، والقصيدة التي قيلت على لسان ملك الروم في سب الإسلام ورسوله ﷺ وتداولها في هذه الفترة في الأندلس، وعبارات الحقد والسب والاستهزاء في كتابات بعض مؤرخيهم ورجال دينهم كفوشيه شارتر. وإشارة أحد القساوسة في رسالته لأبي عبيدة الخزرجي إلى كثرة مؤلفات النصارى التي تطعن بالإسلام ورسوله ﷺ وتستخف بهما.

ومن مظاهر استخدام هذا الأسلوب من قبل بعض العلماء المسلمين في هذه الفترة تجاه النصارى ما جاء في ثنايا مناقشة نصر بن يحيى المتطبب لبعض عقائد النصارى من عبارات الاستهزاء بعقولهم والاستخفاف بحججهم وطريقة استدلالهم كقوله: «ليس لاعتقادهم أصل يعول عليه، ولا برهان يستند إليه، قد اقتدوا بقوم لا يعقلون، واغتروا بجهال لا يفقهون»[(١)]. وقوله: «... لكني أقول: لا إله إلا الله تعجباً منكم يا ذوي العقول الضعيفة، كيف تعتقدون الألوهية في إنسان لا يقدر على تخليص نفسه من الأعداء... فأين قدرته أيها الغافلون؟ وأين تمكنه أيها المبطلون؟ بئس والله ما تعتقدون. إنما أنتم في طغيانكم تعمهون، حدتم عن الرشاد، وسلكتم طريق العناد، وكفرتم بالرحمن، واتبعتم سنن الشيطان..»[(٢)].

ومن مظاهر استخدام هذا الأسلوب لدى القرافي في مناقشته لبعض عقائدهم قوله: «... فأي ضرورة تدعوكم إلى إثبات أنواع الإهانة والعذاب في حق رب الأرباب على زعمكم أيها الدواب الذي يفضي من ضعف عقولهم العجب العجاب»[(٣)].

وفي مقدمة الجعفري في كتابه الرد على النصارى كان من قوله: «...

---

(١) النصيحة الإيمانية، نصر بن يحيى المتطبب، تحقيق د. محمد الشرقاوي، ص (٥٢).
(٢) المصدر السابق، ص (١٤٦ ـ ١٤٧).
(٣) الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (٥٨).

وأنى يظفر غلف الألسن بفصيح الكلام؟ وتدرك عمي القلوب دقيق الأحكام؟»[1].

وكان يتخلل مناقشاته وردوده على النصارى في كتابه التخجيل بمثل هذه العبارات ومنها قوله: «... فسبحان من نجس النصارى عقولهم، وأضلهم سبلهم، وأعمى دليلهم...»[2].

وزيادة في تنفيرهم من اعتقادهم الباطل في ألوهية المسيح كان من قوله لهم مستهزئاً بضلالهم: «فلو أن إنساناً ببعض الجزائر المنقطعة عن العمران لا يعرف رباً، ولا يقرأ كتباً، ولا يدين بملة؛ عرض عليه دين النصارى فقيل له: إن لك رباً خلقك وأبدعك ومن صفته أنه رجل مثلك يبول ويغوط ويبصق ويمتخط ويجوع ويعطش ويعرى ويكتسي ويسهر وينام... لاستنكف الرجل أن يعترف بوجود هذا الإله فضلاً على أن يتعبد له، ولأحال تصوره، ولرأى لنفسه عليه فضلاً لا ينكر، ومزية من حقها أن تذكر فتشكر...»[3].

وحين تحدث الجعفري عن بعض ما ورد في كتب النصارى من الحكايات والقصص قال: «... وهذا الفصل حري بأن يسطر في حكايات المغفلين والعجائز المثكلين...»[4].

وفي رد الخزرجي على قسيس طليطلة كان من قوله في صدر رسالته إليه: «أما بعد أيها الأعجمي الألكن، الطاعن على كتاب الله جهلاً، ولا يُعرف لخطابه فصلاً، والملتمس له تأويلاً، وأنت لم تؤت من العلم كثيراً ولا قليلاً»[5].

---

(١) الرد على النصارى، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمد محمد حسانين، ص (٥٦).

(٢) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (١/ ١٤٩).

(٣) المصدر السابق (١/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩).

(٤) المصدر السابق (١/ ٢٩٦).

(٥) مقامع هامات الصلبان ورياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، ص (١٢٧).

ويبلغ الاستهزاء والاستخفاف من الخزرجي بالقسيس مداه حينما دعاه الأخير إلى الإيمان بألوهية المسيح «... ومن أعجب قولك الشاهد على جهلك أن تندب مسلماً إلى الإيمان بالله عيسى ابن مريم رسول الله...»[1].

وحينما رد القرطبي على صاحب تثليث الوحدانية ابتدأ كلامه في نقض عقيدة الاتحاد لديهم بقوله: «... يا عجباً من بلادة صاحب هذا السؤال، كيف لم يحسن إذ تبجح عليه المقال، وكثر عليه اللحن والاختلال، حتى أخل بمفهومه، وعدل عن السؤال، فصار كلامه لذلك كأنه كلام مجنون مخبول...»[2].

وفي موضع آخر وفي رد القرطبي على بعض العقائد التي أوردها صاحب كتاب تثليث الوحدانية قوله مستهزئاً به: «... ثم إنك حدت عن الجواب ولم تأت بفصل الخطاب، بل أتيت بكلام يشهد عليك عند العقلاء بالبلادة، وقلة التحصيل وعدم الإجادة...»[3].

واشتد القرطبي في استهزائه وتهكمه في بعض حجج ألوهية المسيح لدى النصارى بقوله: «... وعلى الجملة فهؤلاء القوم أغبياء، جاهلون، وعن التوفيق معزولون، فهم عن المعقولات معرضون، وبها مستهزئون، لا يستحيون من خالقهم، ولا يتأدبون مع مالكهم ورازقهم، فسبحان الله عما يقول الجاهلون...»[4].

ولا شك أن استعمال أسلوب التهكم والاستهزاء في السخرية من قبل بعض العلماء المسلمين في جهودهم الدعوية الموجهة إلى النصارى قد يجدي في لفت أنظار البعض منهم إلى ضلال ما هم عليه، وأن ما يقوم عليه اعتقادهم وأساس ديانتهم حقاً محل السخرية والتهكم؛ فربما يكون ذلك دافعاً لتنفيرهم منه وبحثهم عن الحق ومن ثم قبوله.

---

(١) المصدر السابق، ص (١٢٧).

(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٩١).

(٣) المصدر السابق، ص (٩٥).

(٤) المصدر السابق، ص (١٣٢).

إضافة إلى أن استعمال هذا الأسلوب سواء مع النصارى أو مع غيرهم مما يزيد المسلم يقيناً بدينه وزهداً بما لدى الآخرين من هذه الأباطيل التي يبنون عليها معتقداتهم وديانتهم.

ثالثاً: أسلوب اللين والتلطف بالخطاب:

وهذا الأسلوب في غالب الأحيان من أقصر الطرق للوصول إلى قلب المدعو أو على الأقل تهيئته لسماع الحق. فهو يشعره بحرص الداعي على منفعته ونصحه له فيما يدعوه إليه، مع ما يتميز به من ضمان عدم استثارة المدعو وقيامه برد فعل عكسي قد يترتب عليه الكثير من المفاسد. لذلك تتسع دائرة استخدام هذا الأسلوب أكثر من غيره مع جميع الناس على اختلاف طبقاتهم وأجناسهم ومذاهبهم ودياناتهم.

وكان من أبرز أساليب النبيّ ﷺ في دعوته بشكل عام اللين والرفق والتلطف بالخطاب؛ لذلك فتح الله عزّ وجلّ به قلوباً غلفاً وآذاناً صماً، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾(١).

وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف**»(٢)، وقال: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه**»(٣).

وعندما أرسل الله سبحانه وتعالى موسى وأخاه هارون إلى فرعون قال لهما جلّ وعلا: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾(٤).

ولم تخل الجهود الدعوية الموجهة إلى النصارى في فترة الحروب الصليبية

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٥٩).

(٢) أخرجه مسلم، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، حديث رقم (٢٥٩٣)، ص (١٠٤٣).

(٣) أخرجه مسلم، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، حديث رقم (٢٥٩٤)، ص (١٠٤٣).

(٤) سورة طه، الآية: (٤٤).

من استخدام هذا الأسلوب وإن كان ذلك بشكل أقل من الأساليب الأخرى.

ويظهر واضحاً استخدامه في رسائل بعض القادة المسلمين إلى بعض قادة النصارى ومنها على سبيل المثال: رسالة العزاء من صلاح الدين إلى بولدوين الخامس بعد وفاة والده في بيت المقدس وفي مطلع الرسالة قوله: «. . . خص الله الملك المعظم حافظ بيت المقدس بالجد الصاعد، والسعد الساعد، والحظ الزائد، والتوفيق الوارد. . .»[1].

ومثلها رسالة الملك الجواد أحد أمراء دولة الملك الكامل في مصر إلى فريدريك الثاني حاكم صقلية سنة ٦٣٠ هـ، ومما ورد في هذه الرسالة من عبارات اللين والتلطف بالخطاب قوله في وصف فريدريك في مقدمة رسالته: «. . . الملك الأجل، الأغر الكبير، المؤيد، الخطير، العالم العامل. . . شمس الملة النصرانية، جلال الطائفة الصليبية، عضد الأمة الفرنجية، فخر أبناء المعمودية، عمدة الممالك، ضابط العساكر المسيحية. . .»[2].

وقد أورد القلقشندي نماذج للمقدمات المتبع كتابتها في الرسائل الموجهة من قبل قادة المسلمين إلى قادة الفرنج حيث يظهر فيها أسلوب اللين والتلطف في الخطاب.

ولا شك أن لذلك أثره في نجاح تحقيق الرسالة الهدف الذي أرسلت من أجله.

وكان أيضاً يتخلل بعض ردود العلماء ومناقشاتهم مع النصارى في هذه الفترة شيء من اللين والرفق والتلطف في الخطاب، ومن ذلك مثلاً: «الدعاء لهم بالهداية كقول الخزرجي في نقاشه مع قسيس طليطلة: «. . . ونحن نسأل الله سبحانه أن يكشف ما بكم من بشع الضلالة، ويتلقاكم بالهداية، فهو فعال لما يريد»[3].

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد بن أحمد القلقشندي (٧/ ١١٥ ـ ١١٦).

(٢) المصدر السابق (٧/ ١١٧ ـ ١١٨).

(٣) مقامع الصلبان ورياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، ص (٢٩٤).

وقول القرطبي في رده على صاحب كتاب تثليث الوحدانية: «. . . فالله يعلم أني أنظر إليك وإلى كافة خلق الله بعين الرحمة، وأسأله هداية من ضلّ من هذه الأمة، وأتأسف على الأباطيل التي ينتحلون، فإنا لله وإنا إليه راجعون»(١).

وفي موضع آخر وبلين عبارة خاطب القرطبي صاحب كتاب التثليث حاضاً له على اعتقاد نبوّة المسيح عليه السلام بقوله: «. . . فما أجمل بكم ألو قلتم فيها الحق الذي ينبغي لهما: إن الله جعل عيسى وأمه آية للناس، هو عبداً ورسولاً وأمه صديقةً مباركةً»(٢).

رابعاً: أسلوب القسم:

القسم من أهم المؤكدات التي تمكن الشيء في النفوس وتقويه، فهو من الأساليب التي يستخدمها المتحدث دليلاً على صدقه، ولا يقسم إلا بمعظم عنده.

والمسلم حين يقسم بالله سبحانه وتعالى - ولا شيء أعظم عنده منه جلّ وعلا - فإنه استنفذ ما لديه من أدلة تثبت صدقه وصحة كلامه.

فالقسم من هذه الناحية أسلوب عاطفي يشعر المقسَم له بصدق المقسِم.

وقد ورد استعمال هذا الأسلوب كثيراً في القرآن الكريم، فأقسم الله سبحانه وتعالى بنفسه وآياته وببعض مخلوقاته. فمن إقسامه بنفسه قوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝٧﴾(٣)، ومن إقسامه ببعض مخلوقاته قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾(٤) وأمثال ذلك كثير جداً في القرآن.

«والقسم في كلام الله يزيل الشكوك، ويحبط الشبهات، ويقيم الحجة،

---

(١) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (١٠١).

(٢) المصدر السابق، ص (١٣٧).

(٣) سورة التغابن، الآية: (٧).

(٤) سورة الليل، الآية: (١ - ٤).

ويؤكد الأخبار، ويقرر الحكم في أكمل صورة»[1].

وما أكثر الأحاديث التي كان يبدؤها النبيّ ﷺ بقوله: والذي نفسي بيده.

وكان أسلوب القسم مما استُخدم في الجهود الدعوية الموجهة إلى النصارى في فترة الحروب الصليبية، ومن ذلك مثلاً قول الخزرجي في نقاشه مع قسيس طليطلة بعد حديثه عن تحريف الإنجيل: «... حتى أني أحلف بالذي لا إله إلا هو أن تاريخ الطبري عندنا أصح نقلاً من الإنجيل، ويعتمد عليه العاقل أكثر مع أن التاريخ عندنا لا يجوز أن ينبني عليه شيء من أمر الدين...»[2].

وفي موضع آخر وفي مقدمة إنكار الخزرجي للصلب الذي يدعيه النصارى قال: «وأيم الله إنكم لفي شك منه، ما لكم به إلا اتباع الظن...»[3].

وبعد حض القرطبي صاحب كتاب تثليث الوحدانية على نبذ ما يعتقده في عيسى عليه السلام أقسم بالله على سوء عاقبته إن مات على هذه النهاية، وذلك بقوله: «... فكأني والله بك إن مت على ما أنت عليه يؤخد بناصيتك وقدمك وتحيط بك ملائكة ربك ملائكة ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[4]»[5].

وخلال المفاوضات والمراسلات والمعاهدات بين القادة المسلمين والنصارى كان القسم من المؤكدات اللازمة فيها.

ومن الأمثلة على ذلك أنه لما تمّ إقرار وثيقة الصلح بين صلاح الدين - رحمه الله تعالى - والصليبيين على شروط صلاح الدين، طلب الصليبيون التحليف على هذه الوثيقة من بعض قادة المسلمين، ومنهم: الملك العادل، والملك

---

(١) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ص (٢٩١).

(٢) مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، ص (١٥٧).

(٣) المصدر السابق، ص (١٥٨).

(٤) سورة التحريم، الآية: (٦).

(٥) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (١٢٣).

الأفضل[1]، وغيرهم من القادة المسلمين المجاورين لبلادهم[2].

وفي معاهدة السلطان قلاوون مع الفرنج في مملكة عكا وتوابعها سنة ٦٨٢هـ كان القسم المغلظ من السلطان عليها ونصه: «أقول وأنا فلان؛ والله والله، وبالله وبالله، وتالله وتالله، والله العظيم أني أوفي بحفظ هذه الهدنة المباركة، وإن نكثت هذه اليمين فيلزمني الحج إلى بيت الله الحرام بمكة حافياً حاسراً ثلاثين حجةً، ويلزمني أن أصوم الدهر كله إلا الأيام المنهي عنها...»[3].

وهكذا فإن القسم بصفته أسلوباً من أساليب الدعوة في هذه الفترة تجاه النصارى من الأسباب التي تبعث الاطمئنان لديهم بما يصدر تجاههم من المسلمين، فربما يكون ذلك من دواعي قبولهم الحق أو على الأقل عدم معارضته.

هذا، ومن الملاحظ قلة الأساليب العاطفية في الجهود الدعوية الموجهة إلى النصارى في هذه الفترة مقارنة بالأساليب الأخرى على الرغم من أنه في باب الوسائل كان هناك استخدام لوسائل تعتمد على إثارة النواحي العاطفية لدى النصارى من حسن المعاملة وتأليف القلوب وقضاء الحاجات وما إلى ذلك. وربما يرجع ذلك إلى أن هذه الأساليب كانت تتخلل الردود والمناقشات والمناظرات في هذه الفترة والتي كانت نتيجة للقاءات طابعها التحدي، أو ردود هدفها قمع الشبه المثارة وإبطالها، إضافة إلى أن هذه الفترة تميزت بصلف النصارى وتسلطهم العسكري على المسلمين سواء في المشرق أو المغرب؛ فيضيق والحال هذه استخدام الأساليب العاطفية لكون غيرها أكثر جدوى منها.

---

(١) هو علي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب، مولده بمصر سنة ٥٦٦ هـ ووفاته سنة ٦٢٢ هـ، تولى دمشق بعد وفاة أبيه صلاح الدين سنة ٥٨٩ هـ، وأخذها منه بعد ذلك أخوه العزيز وعمه العادل سنة ٥٩٢ هـ. وكان عادلاً فاضلاً حسن الإنشاء.

انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (١٠/ ٣٩٠ ـ ٣٩١)، وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢١/ ٢٩٤ ـ ٢٩٦).

(٢) انظر: النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ص (٣٤٨).

(٣) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد بن أحمد القلقشندي (١٣/ ٣١٢).

المطلب الثالث

الأساليب الفنية

تمهيد:

الأساليب الفنية هي تلك الأساليب المتعلقة بجمال التعبير وتحسينه من الناحية اللفظية ليكون أكثر تأثيراً في السامع.

ولا شك أن العرب هم أرباب الفصاحة والبلاغة، وعندما بعث فيهم النبيّ ﷺ وجاء بالمعجزة الخالدة ـ وهي القرآن ـ كان من أبرز وجوه إعجازه بلاغته وفصاحته التي تحداهم بها فعجزوا عن محاكاة القرآن أو الإتيان بمثله فاعترفوا له بهذه الخاصية وسلموا بها.

وقد اعتنى العلماء المسلمون عناية كبيرة بجانب دراسة بلاغة القرآن وفصاحته وإظهار إعجازه من هذا الجانب. فظهرت الدراسات في نظمه، وأساليبه، وتشبيهاته، ومفرداته، وتراكيبه، وأقسامه وما إلى ذلك.

وفي عصر الحروب الصليبية كان كتاب الله عزّ وجلّ هدفاً لمطاعن النصارى وشبههم، والتي كان من ضمنها الطعن في بلاغته وفصاحته(١).

---

(١) انظر: خامساً وسادساً من البحث الثالث من الفصل الأول. والإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٣٢٣)، ومقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، ص (١٩٣).

لذلك اعتنى العلماء المسلمون عناية كبيرة في التصدي لذلك في جهودهم الدعوية الموجهة إلى النصارى.

وقد تمثل ذلك من خلال إبرازهم لفصاحة القرآن وبلاغته وعجز العرب عن معارضته، أو من خلال استعمالهم لبعض الأساليب الفنية التي تظهر جوانب من فصاحة العربية وبلاغتها وجمالها وقوة تأثيرها مع عدم التوسع فيها كثيراً بجانب الأساليب الأخرى؛ لنظرتهم إلى أن غالبية النصارى وهم من العجم أقل وأحقر من يتحدث عن بلاغة القرآن وفصاحته بعد ما عجز عنها العرب الأوائل وهم أرباب البيان والفصاحة. ولكون غير هذه الأساليب أكثر جدوى مع أمثالهم.

ولذلك قال الخزرجي حينما بين إقرار العرب الأوائل بفصاحة القرآن وبلاغته: «فكيف يلتفت إلى مقال العجم الجهلاء»[(١)].

وفي مقدمة رسالته في الرد على قسيس طليطلة قال: «أيها الأعجمي الألكن الطاعن في كتاب الله جهلاً...»[(٢)]. وذلك إشارة إلى قصوره لعجميته عن فهم بلاغة القرآن وفصاحته.

وفي معرض رد القرطبي على النصارى في مجال إعجاز القرآن وبلاغته قال: «... وإذا عجز عنه العرب الفصحاء واللد البلغاء فغيرهم أعجز»[(٣)].

وفي مقدمة كتاب الجعفري الرد على النصارى والذي ألفه بسبب مسائل بعث بها الفرنج إلى المسلمين على سبيل الامتحان قال: «... وأنى يظفر غلف الألسن بفصيح الكلام»[(٤)]، إشارة إلى عدم قدرتهم على إدراك فصاحة القرآن

(١) مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، ص (١٩٧).

(٢) المصدر السابق، ص (١٢٧).

(٣) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٣٢٧).

(٤) الرد على النصارى، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمد محمد حسانين، ص (٥٦).

وبلاغته، وقصورهم كذلك عن استيعاب الأساليب الفنية والفصيحة.

ولذلك كثرت المؤلفات في جانب إبراز بلاغة القرآن وإعجازه سواء مفردة أو فصولاً ضمن كتب العلماء في مناقشة عقائد النصارى والردود على شبههم. فمن ذلك مثلاً في هذا الجانب كتاب التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن[١]، وكتاب بديع القرآن[٢].

وفي معرض رد الخزرجي على قسيس طليطلة فصل الحديث في بلاغة القرآن وإعجازه من هذا الجانب[٣].

وفي رد القرطبي على صاحب كتاب تثليث الوحدانية تعرض لجانب إعجاز القرآن ببلاغته وفصاحته[٤].

وتحدث عن ذلك أيضاً الزاهدي ضمن دلائل نبوّة رسول الله ﷺ وذلك في كتابه الرسالة الناصرية والذي يأتي من جهوده الدعوية تجاه النصارى[٥].

وعرض الجعفري لفصاحة القرآن وبلاغته ضمن معجزات النبيّ ﷺ وذلك في كتابه: «التخجيل» الذي ناقش فيه عقائد النصارى وأبطل فيه كثيراً من شبههم[٦].

أما استخدام الأساليب الفنية مباشرة في دعوة النصارى ومناقشة عقائدهم

---

(١) لعبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني المتوفّى سنة ٦٥١ هـ.

(٢) لعبد العظيم بن عبد الواحد العدواني المتوفّى سنة ٦٥٤ هـ.

(٣) انظر: مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، ص (١٩٣) وما بعدها.

(٤) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٣٢٧) وما بعدها.

(٥) انظر: الرسالة الناصرية، مختار بن محمود الزاهدي، تحقيق محمد المصري، ص (٢٩ - ٣٣).

(٦) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/ ٢٣١ - ٧٢٧).

والرد على شبهاتهم فيظهر أقل من استخدام الأساليب الأخرى؛ لكون غالبيتهم من العجم الذين لا يفقهون أسرار العربية فلن تجدي معهم هذه الأساليب؛ ولكون غيرها خاصة الأساليب العقلية أكثر تأثيراً منها مع أمثالهم.

ومع ذلك ومن خلال استعراض ردود العلماء المسلمين ومناقشاتهم وكتاباتهم الموجهة إلى النصارى في هذه الفترة فإنها لا تخلو من استخدام مثل هذه الأساليب الفنية والتي من أبرزها ما يلي:

١ ـ أسلوب ضرب الأمثال:

الأمثال في اللغة جمع مثل. والمَثَل والمِثْل الشبه، يقال: مِثْلُ ومَثَلٌ، وشِبْه وشَبَه، ومثَّله له تمثيلاً أي صوره له حتى كأنه ينظر إليه، ومَثَلَ: قام منتصباً، والمَثَلُ: ما تُضْرَبُ به الأمثال[١].

وقال في المعجم: «المَثَل والمثل جملة من القول مقتطعة من كلام، أو مرسلة بذاتها تنقل ممن وردت فيه إلى مشابهه بدون تغيير»[٢].

وفي الاصطلاح عرفه ابن القيم بقوله: هو «تشبيه شيء بشيء في حكمه وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر، واعتبار أحدهما بالآخر»[٣].

وقيل: «هو عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما الآخر ويصوره»[٤].

وقيل: «هو إبراز المعنى في صورة رائعة موجزة لها وقعها في النفس سواء

---

(١) انظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، مادة «مثل» (١١/ ٦١٠).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، بالقاهرة، مادة «مَثَل» (٢/ ٨٥٤).

(٣) الأمثال في القرآن، محمد بن أبي بكر ابن القيم، تحقيق سيد الخطيب، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ص (١٧٣).

(٤) مفردات ألفاظ القرآن، الحسين بن محمد «الراغب الأصبهاني»، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ص (٧٥٩).

كانت تشبيهاً أو قولاً مرسلاً»[1].

والمثل فن بديع من القول وضرب من ضروب الفصاحة يقرب المعنى ويبرزه بصورة محسوسة أدعى إلى الاستقرار في الذهن.

وقد فشا استعمال الأمثال في الكتاب والسنة بوصفها من أساليب الإقناع المؤثرة. قال ابن القيم: «وقد ضرب الله ورسوله الأمثال للناس لتقريب المراد وتفهيم المعنى إلى ذهن السامع وإحضاره في نفسه بصورة المثال الذي مثل له ليكون أقرب إلى تعقله وفهمه وضبطه واستحضاره، فإن النفس تأنس بالنظائر والأشباه...»[2].

وتقسم الأمثال إلى أمثال مرسلة وهي جمل أرسلت إرسالاً من غير تصريح بلفظ التشبيه فهي جارية مجرى الأمثال، وأمثال مصرحة وهي التي صرح فيها بلفظ المثل أو ما يدل على التشبيه، وأمثال كامنة وهي التي لم يصرح فيها بلفظ التمثيل ولكنها تدل على معانٍ رائعة في إيجاز يكون لها وقعها إذا نقلت إلى ما يشبهها[3].

وضرب الأمثال من الأساليب التي استخدمها العلماء المسلمون في مناقشاتهم وكتاباتهم ومناظراتهم مع النصارى في عصر الحروب الصليبية.

فمن الأمثال السائرة التي استخدمها القرطبي في رده على القسيس قوله: «لا يستوي الظل والعود أعوج»[4]، وذلك بعد ما عرض مذاهب النصارى واختلافهم في تفسير الأقانيم ومحاولة كل فرقة إصلاح خلل الأخرى في ذلك.

---

(١) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص (٢٨٣).

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر ابن القيم، تعليق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت (١/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠).

(٣) انظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص (٢٨٤ ـ ٢٨٦)، وتلك الأمثال نضربها الناس لعلهم يتفكرون، عبد الوهاب العثمان، الدار السلفية، ص (١١ ـ ١٢).

(٤) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٨٠).

وقصد القرطبي في هذا المثال أنه مهما حاولوا تقويم الخلل في تفسيراتهم لهذه العقيدة الباطلة فلن تستقيم كحال الذي يريد إقامة ظلٍّ لعود أعوج، فلن يستقيم الظل ما دام العود على اعوجاجه، وهذه حال تفسيراتهم لن تستقيم وتصح من الخلل ما دام أصل العقيدة باطل.

وفي موضع آخر وبعد رده على النصراني ومناقشته لما طرحه من تفسير لعقيدة الاتحاد وإبطال هذه التفسيرات التي جاء بها ختم ذلك بإيراد هذا المثل وهو قوله: «فإن الفتق اتسع على الراقع»[(١)].

ففي هذا المثل قصد القرطبي أنه مهما جئت أيها النصراني بتفسير لهذه العقيدة الباطلة ـ عقيدة الاتحاد ـ تفسير يقبله العقل فلن تفلح، فكلما أجبت على سؤال ثارت عليك أسئلة كمن يريد أن يرقع ثوباً اتسع فتقه.

ومن استخدام الأمثلة السائرة لدى القرافي أنه بعد وصفه لرجال الدين النصارى بالجهل الشديد وعدم تفريقهم بين الحلال والحرام وغفلتهم وبلاهتهم التي حجبت عنهم عقل الحق والأخذ به ختم ذلك بقوله: «حتى أن أحدهم لا يفرق بين كوعه من بوعه»[(٢)].

وفي رده على رسالة لأحد النصارى وخاصة عند إيضاحه المعنى الصحيح لبعض الآيات التي فيها ثناء على النصارى والتي استدل بها النصراني على صحة ما هم عليه ومنها قوله تعالى: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦﴾[(٣)].

فبعد إيضاحه المعنى الصحيح لهذه الآية وأمثالها ختم ذلك بإيراده مثلاً سائراً استدل به على عدم تمييز الصحيح الذي نزل على النصارى حتى يمكن الإيمان به حيث قال: «وأمره تعالى لنا بأن نؤمن بما أنزل على أهل الكتاب

---

(١) المصدر السابق، ص (٩٢).

(٢) الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (٦).

(٣) سورة العنكبوت، الآية: (٤٦).

صحيح، ولكن أين ذلك المنزل، والله إن وجوده أعز من عنقاء مغرب»[1].

والعنقاء طائر معروف الاسم مجهول الجسم أي لا حقيقة له في الواقع، فتمييز الصحيح الذي نزل على النصارى من غيره أعز من عنقاء مغرب التي لا وجود لها في الواقع.

ومن الأمثال المصرحة التي استخدمها العلماء في جهودهم الدعوية الموجهة إلى النصارى في هذه الفترة تشبيه القرطبي للنصراني في رده على شبهاته، والتي فندها بل وجعلها أدلة عليه لا له وإظهار ضعف حجته وتهافتها تشبيهه بحال من يبحث عن حتفه بنفسه حيث قال: «فمثلك مثل الباحث بظلفه على حتفه»[2].

ومثال ضربه الخزرجي في نقاشه مع قسيس طليطلة لبيان خلل عقيدة الفداء والصلب لدى النصارى وبطلانها وذلك بتشبيه مقالتهم فيها برجل أخطأ عبده في حقه فبقي عليه غاضباً حتى ولد لهذا الرجل ولد فقتله انتقاماً من العبد، فهو بهذا العمل زاد كربه وحزنه وما انتقم من عبده[3].

ومن هذا النوع من الأمثلة ما أورده الزاهدي في الرد على تفضيل النصارى عيسى عليه السلام على محمد ﷺ وغيره من الأنبياء وأن ذلك أحرى للأخذ بشريعته. فبعد أن بين فضل محمد ﷺ على غيره من الأنبياء بين أنه يجب النظر إلى ما أتى به الرسول؛ لأن ما جاء به ليس من عند نفسه وإنما هو من عند من أرسله وهو الله سبحانه وتعالى، فالواجب النظر إلى المرسِل دون الرسول سواء أرسلها بلسان الفاضل أو المفضول، كحال الخاقان إذا أرسل قراراته وأوامره إلى رعاياه وعماله

---

(١) الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (٢٩).

(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (١٧٤).

(٣) انظر: مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، ص (١٧٤).

فيجب الأخذ بها بغض النظر عمن يحملها سواء كان قائده أو ولده أو بعض أمرائه أو عبيده[1].

ومن هذا النوع أيضاً من الأمثال ما أورده الزاهدي في مناظرته لبعض ملوك النصارى حينما شبه حال عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ بحال رسولين من قبل الخاقان يبلغان أحكامه. حيث جاء الأول بأوامر الخاقان ثم مضت سنوات ومات الرجل الذي أتى بها وبعده بفترة طويلة بعث الخاقان رجلاً آخر بأحكام جديدة، فأيهما أولى بالقبول؟ الأحكام التي جاء بها الأول الذي مات ومضى عليه مدة طويلة، أو الرجل الثاني الذي وصل قريباً من الخاقان[2].

ومن الأمثال الكامنة التي استخدمها الخزرجي في رده على شبه قسيس طليطلة خاصة عندما فند ما ادعاه القسيس من انتشار الإسلام بالسيف بعكس النصرانية التي تنبذ القتال والحروب وتدعو إلى السلام والحب، فبعد أن فند هذه الشبهة قال: «فأين السماء من الوهدان؟ وأين الدخان من العسجد»؟[3]، وذلك إشارة إلى أنه لا مجال للمقارنة بين تشريعات الإسلام والنصرانية المحرفة، فالبون شاسع بينهما كبعد السماء من الأرض، وكفضل العسجد على الدخان.

٢ ـ أسلوب القصة:

القصة في اللغة من القَصّ وهو تتبع الأثر[4]، «وفعل القاص إذا قصَّ القصص، يقال في رأسه قَصَّة يعني الجملة من الكلام ونحوه»[5] «والقصة الخبر وهو القصص وقص عليَّ خبره يقصه قصاً وقصصاً أورده والقصص الخبر المقصوص»[6].

---

(١) انظر: الرسالة الناصرية، مختار بن محمود الزاهدي، تحقيق محمد المصري، ص (٥٢ ـ ٥٣).

(٢) انظر: المصدر السابق، ص (٥٦).

(٣) مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، ص (٢٨٧).

(٤) انظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، مادة «قصص» (٧/ ٧٥).

(٥) المصدر السابق، مادة «قَصَص» (٧/ ٧٣).

(٦) المصدر السابق، مادة «قصص» (٧/ ٧٥).

وفي الاصطلاح الأدبي هي: «حكاية نثرية طويلة تستمد من الخيال أو الواقع أو منهما معاً، وتبنى على قواعد معينة من الفن الكتابي»[1].

وفي الاصطلاح الشرعي: هي الإخبار عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة، فهي من الكتاب والسنة واقعية حقيقية ليست من الخيال[2].

وتمتاز القصة بقوة عنصر التشويق فيها لميل النفس إلى حب الاستطلاع واستشفاف ما خفي عليها، فبذلك تصل الفكرة إلى السامع وهو على قدر من التركيز والإصغاء فتحصل بذلك فرصة كبيرة لإقناعه بالفكرة.

وقد استخدم القرآن أسلوب القصة في مواضع شتى لأخذ العبرة منها والنظر والتدبر بأحداثها، قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣﴾[3]. وقال: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4]. ولهذا الغرض أيضاً ورد استعمال أسلوب القصة كثيراً في حديث النبيّ ﷺ.

وفي عصر الحروب الصليبية استخدم كثير من العلماء أسلوب القصة في جهودهم الدعوية الموجهة إلى النصارى وذلك لكونها من أنسب الأساليب مع النصارى لكشف باطلهم وبيان ما في كتبهم من تحريف وتبديل، وإظهار مواقفهم من أنبيائهم، وإبراز ما تتميز به رسالة الإسلام من خلال ذكر شواهد من التاريخ الإسلامي ونبذ من حياة النبيّ ﷺ وجهاده وشمائله الدالة على صدقه.

ومن هذه القصص نوع استشهد به العلماء المسلمون من كتب النصارى على بطلان بعض عقائدهم.

---

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (٢/ ٧٤٠).
(٢) انظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص (٣٠٦).
(٣) سورة يوسف، الآية: (٣).
(٤) سورة الأعراف، الآية: (١٧٦).

ففي رد الخزرجي على قسيس طليطلة في قوله: «إنه لا ينكر صلبه ـ أي عيسى ـ إلا كافر»[1] عرض قصة الصلب كاملة حسب رواية النصارى مستنبطاً منها الأدلة على وقوع الصلب على الشبه وليس على عيسى عليه السلام كما يدعيه النصارى[2].

وكذلك الجعفري في رده على بعض المسائل التي بعث بها الفرنج إلى المسلمين، ففي مناقشته لعقيدة الصلب لدى النصارى ساق هذه القصة من الإنجيل مستنبطاً الأدلة منها أيضاً على وقوع الصلب والقتل على الشبه وليس على عيسى عليه السلام، حيث قال في مقدمة إيراده لهذه القصة: «فإن زعم النصارى أن خبر قتل المسيح وصلبه من هذا القبيل ـ أي ثابت بالتواتر ـ حاكمناهم إلى الإنجيل الذي بأيديهم»[3]. ثم أورد القصة بعد ذلك مفنداً لها ومبرزاً الدلائل منها على وقوع القتل والصلب على الشبه[4].

وعرض القرطبي قصة قسطنطين ومجمعه الذي ابتدعت فيه كثير من شرائع النصارى الباطلة ومنها الصلب وذلك دليلاً على عدم اعتمادهم على شيء في هذه العقائد وأنها من وضع ضلالهم وليس من أصل ديانتهم الصحيحة[5].

وحينما عرّض القسيس للقرطبي في هاجر أم إسماعيل عليه السلام وفي معرض الرد عليه ساق القرطبي قصة هاجر مع سارة من التوراة كاملة لبيان افتراء هذا القسيس[6].

---

(١) مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، ص (١٥٨).

(٢) انظر: المصدر السابق، ص (١٥٨ ـ ١٦٨).

(٣) الرد على النصارى، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمد محمد حسانين (٧٣).

(٤) انظر: المصدر السابق، ص (٧٣ ـ ٧٦).

(٥) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (١٦٩ ـ ١٧٢).

(٦) انظر: المصدر السابق، ص (٢٣٠ ـ ٢٣٢).

وفي معرض إثبات القرطبي لنبوّة عيسى عليه السلام سرد قصة بولس اليهودي وأثره في تحريف النصرانية والقول بألوهية المسيح ثم أثر قسطنطين بعد ذلك(١). ثم عقب بقوله: «. . . ولتعلم أن هذه الأخبار التي ذكرناها لا يمكنهم إنكار جملتها وإن أنكروا بعض تفاصيلها لكون هذه القصص معروفة على الجملة عندهم، فإنهم لا يقدرون على جحد محاربة بولس اليهودي وإجلائهم من الشام ودخول بولس في دينهم، وكذلك ملك قسطنطين مما لا ينكرون إشهاره لكتبهم»(٢).

وساق القرافي أيضاً قصتي بولس وقسطنطين في معرض بيان أثرهما في تحريف النصرانية وإضلال النصارى(٣). ثم عقب على ذلك بقوله: «وكفى بهذه الثلمة في دين النصارى خللاً عظيماً لم تترك لهم عقلاً مستقيماً ولا قلباً سليماً»(٤).

ونوع آخر من القصص ورد الاستشهاد به كثيراً في مناقشات العلماء المسلمين وردودهم على النصارى في هذه الفترة وهي القصص التي تتعلق بالتاريخ الإسلامي وحياة النبيّ ﷺ ومناقبه.

ومن ذلك مثلاً قصة كفالة جده ثم عمه، ورضاعه من حليمة، والبركة التي عليها بسبب ذلك(٥)، وقصة رحلته إلى الشام ولقائه ببحيرا(٦) الراهب وشهادته له بالنبوّة(٧).

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص (٢٤١ ـ ٢٤٦).

(٢) المصدر السابق، ص (٢٤٦).

(٣) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١١٩ ـ ١٢٤).

(٤) المصدر السابق، ص (١٢٤).

(٥) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٢٨١ ـ ٢٨٤).

(٦) بحيرا: كان حبراً من أحبار اليهود، وذكر ابن كثير أنه كان راهباً نصرانياً، وكان اسمه جرجس، وقيل: إن الراهب في القصة الأولى اسمه بحيرى، وفي القصة الثانية جرجيس. انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (٢/٢٦٣).

(٧) انظر: المصدر السابق، ص (٢٨٥ـ ٢٨٧).

ثم سرد القرطبي الكثير من القصص أيضاً حول معجزات النبيّ ﷺ وذلك في سياق الحديث عن دلائل نبوّته، ومن ذلك مثلاً: قصة نبع الماء من بين أصابعه في إحدى غزواته[1]، وتكثير الطعام في غزوة الخندق وغيرهما[2]. وقصص أخرى كثيرة أبرز فيها القرطبي حماية الله سبحانه وتعالى لنبيّه ﷺ كرد المشركين عنه ليلة الهجرة[3]، وخبر سراقة[4] وغير ذلك.

ومن هذا النوع من القصص أيضاً ما أورده الخزرجي في معرض حديثه عن شجاعة النبيّ ﷺ وصبره في سبيل تبليغ دعوته في مقابل ما يرويه النصارى من جزع المسيح حين صلبه بزعمهم. كمواجهته لكفار قريش بشجاعة وثبات، وصبره على أذاهم حتى ظهر أمره ﷺ[5].

ونوع آخر من القصص التاريخية أورده بعض العلماء في مجال الاحتجاج بها على النصارى في بعض القضايا مدار النقاش، ومن ذلك مثلاً: إيراد الزاهدي لقصة أبي بكر الباقلاني الذي أرسله المأمون لمناظرة قيصر في النبوات بطلب من قيصر حيث قطع حجة قيصر ورهبانه وأثبت نبوّة عيسى عليه السلام، فلما بهت الرهبان شتمهم قيصر وأكرم أبا بكر ورده معززاً ومبجلاً[6].

ومن القصص التاريخية أيضاً إيراد القرطبي لقصة أبي سفيان وكفار قريش مع هرقل حينما كانوا في تجارة في الشام فسألهم هرقل عن أحوال النبيّ ﷺ فأجابوه بصدق عن ذلك[7]. حيث أورد القرطبي هذه القصة في سياق ذكره لصفات النبيّ ﷺ وشواهد صدق نبوّته.

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص (٣٥١).

(٢) انظر: المصدر السابق، ص (٣٥٤).

(٣) المصدر السابق، ص (٣٧٦ ـ ٣٧٧).

(٤) انظر: المصدر السابق، ص (٣٧٨).

(٥) انظر: مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، ص (٢٨٥ ـ ٢٨٩).

(٦) انظر: الرسالة الناصرية، مختار بن محمود الزاهدي، تحقيق محمد المصري، ص (٥٤ ـ ٥٥).

(٧) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٣١٥).

ونوع من القصص أورده بعض العلماء تتعلق بحوادث كاذبة في تاريخ النصارى وتبين زيفها اصطنعوها لتزيين باطلهم والتلبيس على عامتهم. ومن ذلك مثلاً ما أورده الجعفري من قصص على خزعبلات النصارى في معرض إبرازه لبعض فضائحهم والتي منها كنيسة لهم يعظمونها في بعض البلاد يزعمون أن يد الله تخرج إليهم من ستر فيها فتصافحهم، وعندما أصر أحد رؤسائهم على معرفة صاحب هذه اليد فإذا هو أحد رهبانهم يلبسون بذلك على العامة[1].

وذكر هذه القصة أيضاً الخزرجي في سياق رده على قسيس طليطلة مستشهداً بها على تهافت الأدلة التي يبنون عليها ديانتهم[2]، حيث قال في مقدمتها: «إن حذاقكم وعقلاءكم لما علموا أن دينهم ليست له قاعدة ينبني عليها، ولا أصل يرجع إليه جمعوا عقول العامة بتخيلات موهمة وأباطيل مزخرفة...»[3].

ومن هذا النوع من القصص أورد الجعفري[4] والخزرجي[5] الكثير لبيان ضعف عقول النصارى وتهافت الأدلة التي يبنون عليها ديانتهم.

وهكذا كان إيراد القصة في الجهود الدعوية الموجهة إلى النصارى بالإضافة إلى كونه يزيد من جمال التعبير ويضفي عليه شيئاً من التشويق؛ فإن له أثره في التمهيد لقبول المحتوى لدى السامع وإيصال المعنى المراد له من خلال استغلال ذلك.

---

(١) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/ ٥٨٩ ـ ٥٩٠).

(٢) انظر: مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، ص (٢٦٨ ـ ٢٦٩).

(٣) المصدر السابق، ص (٢٦٧).

(٤) انظر مثلاً: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (٢/ ٥٩٠ ـ ٥٩١)، و(٢/ ٥٩٢)، و(٢/ ٦٠٣)، و(٢/ ٦٠٤) إلى غير ذلك.

(٥) انظر مثلاً: مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، ص (٢٦٧) وما بعدها.

٣ ـ أسلوب التكرار:

من الأساليب الفنية كثيرة الاستعمال أسلوب التكرار، والذي قد يكون تكراراً لكلمة بعينها، أو لمعنى، أو لعبارة، أو لفكرة، أو لموضوع.

ويكون التكرار عيباً في الكلام إذا كان عارياً عن الفائدة. ولا يكون له معنى بلاغياً إلا إذا كان لهدف معين كأن يكون القصد منه التأكيد، أو المبالغة، أو الإيضاح، أو بيان الأهمية، أو إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة إلى غير ذلك[١]. وعلى مثل هذه الوجوه ورد التكرار في القرآن الكريم وفي حديث النبيّ ﷺ.

والتكرار من الأساليب التي استخدمها العلماء المسلمون في كتاباتهم ومناقشاتهم مع النصارى في فترة الحروب الصليبية.

فمن ذلك مثلاً: تكرار نصر بن يحيى المتطبب الإشارة إلى تحريف الأناجيل حيث فصل في الموضع الأول وذلك في سياق ذكره لواضعي الأناجيل الأربعة. حيث ذكر شواهد على الاختلافات فيما بينها. ثم اختصر ذلك في موضع آخر وذلك في سياق ذكره لتاريخ كتابة الأناجيل والتي كانت كثيرة جداً فاختصرت إلى أربعة منها في المجمع الذي دعا إليه الملك الروماني قسطنطين، حيث تساءل نصر بن يحيى: ما حال عشرات الأناجيل المستبعدة؟ وعلى أي أساس تم انتقاء هذه الأربعة فقط؟[٢].

حيث يظهر الوجه البلاغي للتكرار في الموضعين إلى اختلاف الهدف من إيرادهما. ففي الموضع الأول إبراز التناقض بين الأناجيل الأربعة المعتمدة لدى النصارى، وفي الموضع الثاني الطعن في أصل الأناجيل بشكل عام وطريقة

---

(١) انظر: الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، المنسوب إلى محمد بن أبي بكر بن القيم، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٢م، ص (١٦٣ ـ ١٧٠).

(٢) انظر: النصيحة الإيمانية، نصر بن يحيى المتطبب، تحقيق د. محمد الشرقاوي، ص (١٣٥ ـ ١٣٦).

اعتمادها لدى النصارى وعلى أي أساس كان اختيارها؟ ولِمَ لم يكن في غيرها من عشرات الأناجيل الأخرى المستبعدة ما هو أفضل منها؟.

وكثيراً ما كرر القرطبي في مناقشته ورده على كتاب القسيس النصراني واستشهاداته بنصوص من الإنجيل الإشارة إلى تحريف الإنجيل وانخرام الثقة به وعدم الاعتماد عليه[1].

فمن ذلك مثلاً حينما أورد القسيس بعض الأدلة من الإنجيل على مسألة الاتحاد لدى النصارى، بدأ القرطبي بتفنيدها بالإشارة إلى تحريفها وانخرام الثقة فيها فلا يمكن الاعتماد عليها[2].

فالموضع الأول جاءت الإشارة فيه إلى تحريف الإنجيل في سياق تفنيد عقيدة من عقائد النصارى اعتمدت على نصوص منه، وفي الموضع الثاني إسهاب وتفصيل لمواضع التحريف وإبراز لها.

كذلك كرر الخزرجي الإشارة إلى حفظ القرآن وعدم تحريفه، فمن ذلك مثلاً ذكره لذلك مجملاً في سياق المقارنة مع تحريف كتب النصارى[3]، ثم تفصيل ذلك في سياق الحديث عن إعجاز القرآن وكونه من أدلة صدق رسالة النبيّ ﷺ والإسهاب في عرض وجوه إعجازه وضبطه[4].

وكرر الجعفري الحديث في إثبات وقوع الصلب والقتل على الشبه وليس على المسيح كما يعتقد النصارى في عدة مواضع مختلفة السياق ووجوه الاستدلال.

فمثلاً في مناقشته لعقيدة الصلب لدى النصارى وتفنيدها أثبت من خلال

---

(١) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٩٤).

(٢) انظر: المصدر السابق، ص (١٨٨) وما بعدها، وص (٢٠٣) وما بعدها.

(٣) انظر: مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، ص (١٩٣).

(٤) انظر: المصدر السابق، ص (٣٢٣).

هذه المناقشة وقوع الصلب على الشبه، وفصل الأدلة في ذلك[1]. وفي موضع آخر وذلك في باب إفحام النصارى في مسألة أصل عقيدة الفداء وإثبات قدرة الخالق سبحانه وتعالى على خلاص آدم عليه السلام دون فداء، وقدرته كذلك على فداء المسيح بإلقاء الشبه على غيره إما على كافر ألقى عليه شبهه فعجله إلى النار، أو على حواري فدى المسيح بنفسه فعجله الله إلى الجنة، وأن نظير ذلك وقع لأولياء الله كإبراهيم عليه السلام حيث ورد ذلك في التوراة[2].

كذلك كرر الجعفري ذكر بعض معجزات المسيح عليه السلام، ومن ذلك مثلاً: ذكره لها في معرض المقارنة بمعجزات ثبتت في كتب النصارى لأنبياء بني إسرائيل ولم يستحقوا بها الألوهية[3]. وفي موضع آخر ذَكَرها في سياق الحديث عن معجزات النبيّ ﷺ التي ساقها أدلة على صدق نبوته وأن الأولى بالنصارى التصديق بها كما صدقوا بنظائرها من أنبيائهم ومن المسيح عليه السلام[4].

وهكذا فإن التكرار في بعض المواضع في كتابات العلماء المسلمين ومناقشاتهم مع النصارى لم يكن عارياً عن الفائدة، وإنما كان لمعنى بلاغي يزيد في التأثير ويضفي على التعبير جمالاً يجعله في نفس المخاطب أوقع.

٤ ـ أسلوب الاستفهام:

والاستفهام هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل[5]، بأدوات خاصة، وهو من أنواع الإنشاء الطلبي[6].

---

(١) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (١/ ٣٤٠).

(٢) انظر: المصدر السابق (١/ ٣٧١ ـ ٣٧٧).

(٣) انظر: المصدر السابق (١/ ٤٦٥).

(٤) انظر مثلاً: المصدر السابق (٢/ ٧٤٢) وما بعدها.

(٥) انظر: الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، محمد بن محمد ابن الأثير، تحقيق د. مصطفى جواد وزميله، المجمع العلمي العراقي، ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٦م، ص (١١٤).

(٦) انظر: جواهر البلاغة، السيد أحمد الهاشمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص (٧٠).

وقد تخرج ألفاظ الاستفهام عن معناها الأصلي إلى معانٍ تفهم من السياق كالنفي، والنهي، والتقرير، والأمر، والإنكار، والتشويق، والتعجب، والوعيد إلى غير ذلك[1].

وهذه المعاني تضفي على التعبير جمالاً وتزيد من تأثيره في السامع.

ومن أكثر صور استخدام أسلوب الاستفهام في غير معناه الأصلي من قبل العلماء في مناقشاتهم وكتاباتهم وردودهم على النصارى:

الاستفهام الإنكاري: «وحاصله راجع إلى تثبيت السامع على فساد ذلك الشيء حتى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتد عنه»[2].

ففي مناقشة نصر بن يحيى المتطبب لعقيدة الاتحاد بين اللاهوت والناسوت التي يدعيها النصارى في المسيح وأن الناسوت حين الصلب مات واللاهوت لم يمت تساءل نصر بن يحيى على سبيل الإنكار قائلاً: «فكيف يكون ميتاً لم يمت في حال واحد»[3].

فالمتطبب لم يلق هذا السؤال طالباً الإجابة عليه، وإنما للإنكار على النصارى الذين أدى بهم اعتقاد الاتحاد إلى هذه النتيجة التي لا يقبلها العقل. فهذا التساؤل يثبِّتُ فساد نتيجة هذا الاعتقاد عليهم مما قد يؤدي بالعقلاء منهم إلى الإقرار بفساده والإقلاع عنه.

وبعد بيانه لبعض تناقضات النصارى في تفسير الاتحاد وجه هذا السؤال لهم على سبيل الإنكار لمجمل اعتقادهم في المسيح ﷺ وذلك بقوله: «فكيف يصح

---

(١) انظر: الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، محمد بن محمد بن الأثير، تحقيق د. مصطفى جواد وزميله، ص (١١٤ ـ ١١٨)، والإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تقديم وتعليق محمد شريف سكر وزميله، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧م، (٢/٢١٨ ـ ٢٢٣).

(٢) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن، المنسوب إلى محمد بن أبي بكر بن القيم، ص (٢٣٥).

(٣) النصيحة الإيمانية، نصر بن يحيى المتطبب، تحقيق د. محمد الشرقاوي، ص (٦٢).

لذي عقل عبادة المولود من امرأة بشرية، قد مات ونالته العلل والآفات»؟[١].

وهكذا في مواضع أخرى بعد مناقشة المتطبب لبعض عقائد النصارى يلقي عليهم أسئلة على سبيل الإنكار لباطلهم.

ومن نماذج أسلوب الاستفهام على سبيل الإنكار لدى الجعفري ـ وهي كثيرة ـ تعليقه على نص أورده من الإنجيل أقر فيه المسيح لرجلين نطقا ببشريته ونبوته، ولم ينكر عليهما، حيث قال الجعفري سائلاً النصارى على سبيل الإنكار عليهم ألا يؤمنوا بذلك: «فكيف يقرهما على الكفر أنه إله ورب كما يقول النصارى؟ وهلا نبههما وعرفهما خطأ ما قالا. فكيف يسكت على ما لا يجوز؟»[٢].

وفي موضع آخر وفي سياق معجزات المسيح عليه السلام وشهادة جمع من الناس الذين شاهدوها ببشريته استدل الجعفري بذلك على نبوته وسأل النصارى على سبيل الإنكار اعتقاد الألوهية فيه بقوله: «فكيف يدعي المتأخرون ألوهيته»[٣]. وقال أيضاً منكراً عليهم اعتقادهم الباطل: «أفتقول النصارى ـ ويلهم ـ: إن المسيح عليه السلام أقرهم على الكفر وقول الباطل؟، وهل الله ابناً إلا كتسمية النبي إلهاً؟ وكيف يُعتقد في المسيح أن يسمعهم ينطقون بالمحال ولا يرشدهم؟»[٤].

ففي هذه الاستفهامات لا يقصد الجعفري طلب الإجابة عليها من قبل النصارى، وإنما تثبيت فساد ما هم عليه على سبيل الإنكار عليهم لعلهم يرجعون إلى أنفسهم ويقلعون عن اعتقادهم الفاسد هذا.

وهكذا في مواضع كثيرة تكرر استفهام الجعفري للنصارى على سبيل الإنكار، وذلك بعد مناقشته لبعض عقائدهم أو دحضه لشبهة من شبههم[٥].

---

(١) المصدر السابق، ص (٧٢).

(٢) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (١/ ١٩٤).

(٣) المصدر السابق (١/ ٢٠٠).

(٤) المصدر السابق (١/ ٢٠٠ ـ ٢٠١).

(٥) انظر مثلاً: المصدر السابق (١/ ٢٤٤)، (١/ ٢٧٤)، (١/ ٢٩١)، (١/ ٣٠٦) وغير ذلك.

والقرطبي كذلك في رده على القسيس ومناقشته لبعض عقائد النصارى كان كثير الاستخدام لأسلوب الاستفهام على سبيل الإنكار[1].

وهكذا فإن استخدام هذا الأسلوب خاصة على سبيل الإنكار أكثر من أن يحصر في الجهود الدعوية الموجهة إلى النصارى في هذه الفترة.

٥ ـ أسلوب التعجب:

«للتعجب صيغتان إحداهما ما أفعله والثانية أفعل به»[2].

والتعجب يعني دهشة المتحدث واستغرابه من أمر ليس له تفسير في نفسه أو أن تفسيره غير متوقع لديه.

وإبداء هذا التعجب بالإضافة إلى كونه من الأساليب الفنية التي تزيد من جمال التعبير وحسنه فإن له معنى آخر في مجال إقناع السامع وذلك لأن هذا الاستغراب والدهشة من المتحدث قد تثير شيئاً لدى المخاطب تجاه قضية النقاش فتدفعه إلى مراجعة قناعاته فيها؛ تلك القناعات التي دعت خصمه إلى العجب منها والذي ربما يكون راجعاً إلى ضعفها بل وبطلانها.

ولكون كثير من عقائد النصارى باطلة ليس لها دليل تقوم عليه ولأن العقل السليم لا يقبل مثل هذه العقائد فإن أسلوب التعجب قد أكثر منه العلماء المسلمون في نقاشاتهم وردودهم وكتاباتهم مع النصارى في فترة الحروب الصليبية.

فبعد إيراد الجعفري لبعض تناقض الإنجيل قال: «فانظر رحمك الله ما أفسد هذا الكلام وأقربه من كلام المجانين. . .»[3].

---

(١) انظر مثلاً: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٥٠)، و(٢٠٦)، و(٢٠٧) وغير ذلك.

(٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، عبدالله بن عقيل العقيلي، (٢/ ١٣٩).

(٣) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (١/ ٢٩١).

وفي السياق نفسه وفي موضع آخر قال: «فانظر ـ رحمك الله ـ ما أقبل عقول هؤلاء القوم إلى الترهات التي تمجها الأسماع وتأباها الطباع»[1]، وفي موضع آخر وفي السياق نفسه قال: «ما أقبح هذا التكاذب وأوضح هذا التناقض»[2]. وهكذا في مواضع كثيرة.

وبعد تفنيد القرطبي لعقيدة الفداء لدى النصارى وتهافت أدلتهم عليها ختم ذلك بقوله متعجباً من عقولهم الضعيفة التي قبلت مثل ذلك: «. . . قاتلكم الله ما أسخف عقولكم»[3].

وبعد حديثه عن قربان النصارى وإبدالهم إياه من العجول والخرفان والأنعام إلى الخمر والخبز دون دليل على ذلك قال: «. . . انظر ما أعجب حال هؤلاء في تركهم شريعة التوراة في القربان وعدولهم عنها إلى ما هو ضرب من الهذيان»[4]. إلى غير ذلك.

ومن أساليب التعجب التي تظهر من سياق الكلام؛ تعجب القرافي من ضعف عقول النصارى إذ قبلوا الإهانة والعذاب لربهم المسيح في زعمهم حيث قال بعد أن ساق قصة صلب المسيح وقتله بزعم النصارى: «فأي ضرورة تدعوكم إلى إثبات أنواع الإهانة والعذاب في حق رب الأرباب على زعمكم أيها الدواب الذي يفضي من ضعف عقولكم العجب العجاب»[5].

وفي موضع آخر تعجب القرافي من تناقض النصارى في إنكارهم النسخ لئلا يلزم البداء على الله، ثم إثباتهم في كتبهم ندم الله على أن خلق آدم ـ تعالى الله عما يقولون ـ حيث قال بعد أن ساق هذا التناقض: «. . . فما أدري أي الأمرين

---

(١) المصدر السابق (١/ ٢٩٨).

(٢) المصدر السابق (١/ ٣١١).

(٣) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٤١٨).

(٤) المصدر السابق، ص (٤٢٧).

(٥) الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (٥٨).

أعجب»[1]. أي إقرارهم بندم الله على خلقه آدم أو من إنكارهم النسخ لئلا يلزم منه البداء.

وفي موضع آخر تعجب القرافي من إيمان النصارى بأحكام التوراة ثم معارضتها في كثير من أعمالهم كتحليلهم الميتة، ولحم الخنزير، والشحوم غير المختلطة باللحم، ولحم الأرنب، والأسد، وغير ذلك حيث علق على ذلك بقوله: «لله العجب قد زادت عقولهم حتى فهموا ما لم يفهمه موسى بن عمران مع أن الرسالة إليه»؟[2].

وهكذا فإن أسلوب التعجب كثير جداً في كتابات العلماء المسلمين ونقاشاتهم ومناظراتهم مع النصارى؛ لكون الديانة النصرانية المحرفة بتشريعاتها الباطلة التي لا تقبلها العقول السليمة تدعو إلى الدهشة والعجب منها.

٦ ـ أسلوب الأمر:

«هو طلب فعل غير كف وصيغته افعل ولتفعل»[3].

وقيل: «هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام بفعل الأمر، أو المضارع المقرون بلام الأمر، أو المصدر النائب عن فعل الأمر، أو اسم فعل الأمر»[4].

لكن الأمر قد يخرج عن معناه الحقيقي وهو طلب الفعل من الأعلى إلى الأدنى على وجه الإلزام إلى معان أخرى تستفاد من السياق وقرائن الأحوال كالدعاء، والالتماس، والتمني، والنصح، والإباحة، والتهديد، والتعجيز،

---

(١) المصدر السابق، ص (٨٢).

(٢) المصدر السابق، ص (١٥٤).

(٣) الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تقديم وتعليق محمد شريف سكر وزميله (٢/ ٢٢٥).

(٤) علم البديع، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥م، ص (٨١ ـ ٨٢).

والتحقير، إلى غير ذلك[1].

ولا شك أن خروج الأمر عن معناه الحقيقي يعبر عن معنى بلاغي مهم يضفي على التعبير والكتابة جمالاً وعمقاً في التأثير.

ومن استخدام هذا الأسلوب من قبل بعض العلماء في جهودهم الدعوية الموجهة إلى النصارى في فترة الحروب الصليبية استخدام المتطبب له في مناقشته لبعض عقائد النصارى وذلك في قوله مثلاً بعد أن ساق الأدلة من الإنجيل على بشرية المسيحﷺ موجهاً الحديث إلى النصارى على سبيل التحدي والتعجيز: «فبينوا حجتكم في ذلك وهيهات من حجة»[2].

وكثيراً ما كان يطلب الخزرجي من قسيس طليطلة في نقاشه معه ورده على شبهاته يطلب منه بصيغة الأمر على سبيل التعجيز والتحدي الإجابة والرد على تساؤلاته إن استطاع.

فمن ذلك مثلاً قوله بعد أن عرض قصة صلب المسيح كما يعتقدها النصارى وضعفه وعجزه وطلبه الماء. . .» أخبرني أيها المغرور عمن كان إلهاً تاماً كما تصفونه كيف تلحقه الزيادة ويدركه النقصان أو تأخذه الآفات؟»[3].

وبعد أن عرض الخزرجي في موضع آخر نصوصاً من التوراة والإنجيل متناقضة يصادم بعضها بعضاً ومنها قول المسيح: «أما بلغكم أنه قيل للقدماء العين بالعين والسن بالسن؟ وأنا أقول لكم لا تكافئوا أحداً بسيئةٍ، ولكن من لطم خدك اليمنى فانصب له خدك اليسرى»[4]. حيث عقب الخزرجي على ذلك بقوله للقسيس بصيغة الأمر على سبيل التحدي والتعجيز له بقوله: «أخبرني أيها المغرور

---

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تقديم وتعليق محمد شريف سكر وزميله (٢/ ٢٢٥ ـ ٢٢٧).

(٢) النصيحة الإيمانية، نصر بن يحيى المتطبب، تحقيق د. محمد الشرقاوي، ص (١٣١).

(٣) مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، ص (١٥٥).

(٤) انظر: الكتاب المقدس، إنجيل متى، الإصحاح (٥/ ٢١ ـ ٢٢)، و(٢٧)، و(٣٨ ـ ٤٢).

عن هذا الخلاف أتعده تتميماً أو نقضاً لشريعة من سبق»[1].

وخرج الأمر عن ظاهره إلى الزجر والتوبيخ في رد القرطبي على كتاب القسيس حين أخطأ الأخير في الاستدلال بالقرآن بأن ساق آية بالمعنى على أنه نص لها وذلك بقوله: «... ومن انتصف من بعد ظلمه فلا جناح عليه» فزجره القرطبي موضحاً مدى العناية بالقرآن وعدم جواز روايته بمعناه، ثم قال في نهاية حديثه للقسيس على سبيل الزجر والتوبيخ: «فافهم وما أدراك أن تحسن»[2].

ومثل ذلك أيضاً قول القرطبي للقسيس على سبيل الزجر والتوبيخ: «فاعتبر هذا التصريح باسم محمد وصفاته»[3]، وذلك بعد أن ساق جملة من بشائر الإنجيل لمحمد ﷺ.

وكثيراً ما تكرر أمر القرطبي للقسيس على هذا الوجه بعد كل مناقشة له في عقيدة من عقائد النصارى الباطلة أو تفنيد شبهة من شبههم.

وكذلك الخزرجي في نقاشه مع قسيس طليطلة كان كثيراً ما يستخدم أسلوب الأمر على سبيل الزجر والتوبيخ حثاً للقسيس على الاستجابة بعد ما تبين له الحق.

فمن ذلك مثلاً حينما ساق الخزرجي بشائر الإنجيل بمحمد ﷺ - والتي يعرفها القسيس - كان بعد كل بشارة تقريباً يأمره بالاعتبار والتأمل والتصديق وعدم المكابرة.

فبعد ما أورد نصاً للمسيح يتحدث عن صفة النبيّ ﷺ قال على سبيل الزجر

---

(١) مقامع الصلبان ومراتع أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة، بعنوان «بين الإسلام والمسيحية»، ص (١٥٥).

(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٢٢٦).

(٣) المصدر السابق، ص (٢٧٣).

والتوبيخ لهذا القسيس ألاّ يؤمن بذلك: «فاعتبر قوله هذا وبشارته بمحمدﷺ. . .»[1].

وبعد إيراده بشارة أخرى قال: «فاعتبر هذه البشارة»[2]، وقال بعد أخرى أيضاً: «اعتبر هذا التصريح لمحمدﷺ وصفاته»[3].

وهكذا فالشواهد غير ذلك على هذا الأسلوب كثيرة جداً في مناقشات العلماء المسلمين وردودهم وكتاباتهم الموجهة إلى النصارى في عصر الحروب الصليبية.

٧ ـ أسلوب استخدام الشعر في تأدية بعض المعاني:

من الأساليب المؤثرة استخدام الشعر والاستشهاد بما حسن من الأبيات الشعرية التي تحوي حكماً أو تدل على معانٍ جميلةٍ.

فالشعر بوزنه الجميل له وقع في النفس وأثر حسن في إيصال المعنى المراد إلى السامع، إضافة إلى ما يعطيه للتعبير من جمال وروعه مع ما يتميز به من سهولة الحفظ وسرعة التداول.

ولذلك كان الشعر من الأساليب التي واجه بها النبيّﷺ صلف قريش وهجائهم.

وفي عصر الحروب الصليبية لم تخل ردود العلماء ومناقشاتهم مع النصارى من استخدام الشعر والذي جاء استخدامه في جانبين:

الجانب الأول: ويتمثل في إنشاء قصائد كاملة للرد على بعض شبه النصارى أو انتقادٍ لبعض عقائدهم.

والجانب الآخر: إيراد بعض الأبيات الشعرية على سبيل الاستشهاد بها لتأدية بعض المعاني.

---

(١) المصدر السابق، ص (٢٣).

(٢) المصدر السابق، ص (٢٣).

(٣) المصدر السابق، ص (٢٢٦).

ولهذا جاء استخدام الشعر من قبل بعض العلماء في هذه الفترة في كتاباتهم ومناقشاتهم وردودهم على النصارى مضفياً جمالاً وروعةً عليها مع ما يؤديه من اختصار لمعانٍ قد تطول لو تم عرضها نثراً.

فمن الأمثلة على الجانب الأول قصيدة البوصيري في الرد على النصارى واليهود والتي مطلعها:

جاء المسيح من الإله رسولاً   فأبى أقل العالمين عقولا

حيث ناقش فيها الكثير من عقائدهم وانتقدها مبيناً بطلانها وعدم اعتمادهم على دليل فيها[(١)].

ومن هذا القبيل أرجوزة لأبي طالب عبد الجبار المرواني[(٢)] تعرض فيها لبطلان ما عليه النصارى ومنها:

وصانع العالم فرد صمد   والصنع لم يشركه فيه أحد

إلى أن قال:

وللنصارى القول في التثليث   أفظع به من مذهب خبيث[(٣)]

ولأبي مروان اليحصبي ت ٥٥٢ هـ قصيدة دالية في الرد على رسالة لبعض قساوسة الأندلس أرسلوها إليه متضمنة الطعن بالإسلام[(٤)].

---

(١) انظر: منظومة البوصيري في الرد على النصارى واليهود، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٧) وما بعدها.

(٢) هو عبد الجبار بن عبدالله بن أحمد المرواني الأموي، كان من أهل المعرفة بالأدب واللغة والشعر، من كتبه: عيون الإمامة وتواظر السياسة، توفي سنة ٥١٦ هـ.

انظر: الصلة، خلف بن عبدالله بن بشكوال، (٢/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠)، والمغرب في حلي المغرب، علي بن موسى بن سعيد، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٠ م، (٢/ ٣٧١).

(٣) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، علي بن بسام الشنتيريني، تحقيق د. إحسان عباس، القسم الأول، المجلد الثاني، ص (٩٢٤ ـ ٩٢٥).

(٤) انظر: فهرسة ما رواه عن شيوخه، محمد بن خير الأموي، ص (٤١٨).

ومن هذا القبيل قصيدة أبي الأصبع بن زروال الشعباني والتي مطلعها:

من الملك المنصور من آل هاشم   سليل السراة المنجبين الأعاظم[(١)]

وذلك رداً على تداول قصيدة كانت قد قيلت على لسان الإمبراطور البيزنطي نقفور موجهة إلى الخليفة المطيع لله العباسي ومتضمنة الطعن في الإسلام والتهديد بالقضاء على المسلمين.

وقد أورد بعض العلماء في ردودهم ومناقشاتهم مع النصارى مقاطع من قصائد في الرد عليهم ومن ذلك مثلاً: إيراد القرافي لجملة أبيات من قصيدة أبي العلاء المعري[(٢)(٣)] وذلك في إبطاله اتخاذهم المسيح إلهاً واعتقاد بنوته لله وصلبه حيث أورد أبياتاً مطلعها:

عجباً للمسيح بين النصارى   وإلى خير والد نسبوه[(٤)]

وقد أورد بعض أبيات هذه القصيدة نصر بن يحيى المتطبب في كتابه النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية[(٥)].

أما الجانب الثاني وهو استشهاد بعض العلماء في ثنايا نقاشاتهم وردودهم على النصارى ببعض الأبيات الشعرية لتأدية بعض المعاني فقد كان كثيراً جداً.

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص (٤١٠).

(٢) هو أحمد بن عبدالله بن سليمان التنوخي المعري، ولد في معرة النعمان سنة ٣٦٣هـ ومات بها سنة ٤٤٩هـ. شاعر فيلسوف أصيب بالجدري في صفره فكف بصره. له الكثير من المؤلفات في الحكمة والأدب، والفلسفة، منها: ديوان لزوم ما لا يلزم، والأيك والغصون، رسالة الغفران وغير ذلك.

انظر: المنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله (١٦/ ٢٢ ـ ٢٨)، وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٨/ ٢٣ ـ ٣٩).

(٣) انظر: القصيدة في: ديوان أبي العلاء المعري «اللزوميات» طبعة دار صادر، بيروت، ١٣٨١هـ، (٢/ ٦٠٩).

(٤) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (٥٩).

(٥) انظر: النصيحة الإيمانية، نصر بن يحيى المتطبب، تحقيق د. محمد الشرقاوي، ص (١١٧).

ومن ذلك مثلاً ما أورده القرطبي في مقدمة رده على صاحب كتاب تثليث الوحدانية وبيانه لجهل صاحب الكتاب وتناقضاته وأنه بكتابته فضح نفسه حيث استشهد على ذلك بهذا البيت:

وإن لسان المرء ما لم تكن له حصاة على عوراته لدليل[1]

فالقرطبي بهذا البيت عبر باختصار بليغ كيف فضح هذا النصراني لسانه ودل على جهله وركاكة أسلوبه.

وفي موضع آخر حينما حاول هذا النصراني إظهار فصاحته بجمل ساقها رد عليه القرطبي بقول الشاعر:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم العاري[2][3]

وذلك كناية عن قصوره وعجزه وعدم أهليته لهذا الأمر. ففي هذا البيت الذي أورده القرطبي تأدية للمعنى المطلوب باختصار بليغ أغنى عن صفحات في شرح عدم أهلية هذا النصراني لما تصدى له.

وحينما استدل النصراني ببعض الآيات القرآنية على بعض باطله مؤولاً معناها الصحيح كان من إجابة القرطبي له قول الشاعر:

ألق السلاح فلست من أكفائنا واقعد مكانك في الحضيض الأسفل[4]

وذلك كناية على أن المسلمين هم أهل المعرفة بالقرآن وعلومه وتفسيره وليس هذا لك أيها النصراني. ولا شك أن معنى هذا البيت أغنى القرطبي عن

---

(١) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٤٤).

(٢) البيت لحطيئة، والصحيح: الطاعم الكاسي، وليس الطاعم العاري.
انظر: ديوان الحطيئة، جرول بن أوس، شرح أبي سعيد السكري، دار صادر، بيروت، ص (١٠٨).

(٣) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٤٨).

(٤) انظر: المصدر السابق، ص (١٢٦).

مقال طويل في بيان أحقية المسلمين وقدرتهم على تفسير القرآن ومعرفة علومه وعجز أمثال هذا النصراني عن ذلك.

وعلى هذا المنوال كان القرطبي كثير الاستشهاد بالأبيات الشعرية في نقاشه ورده على شبهات هذا النصراني[١].

ومثله الجعفري في كتابه تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، ففي سياق بيانه لبعض تناقضات الإنجيل وقبول النصارى لها خاصة في قضية الصلب استشهد بقول الشاعر:

ما بلغ الأعداء من جاهل ... ما بلغ الجاهل من نفسه[٢]

ولو أراد القرطبي شرح المعنى الذي يقصده من هذا البيت نثراً لاستغرق ذلك صفحات في بيان أثر الجهل على الإنسان وخطره عليه وكيف أن ذلك الأثر أشد على الجاهل من أثر أعدائه فيه.

وفي موضع آخر وفي مناقشة تناقض أمانة النصارى وقولهم فيها: إن المسيح الذي صلب سيعود لفصل القضاء بين الأحياء والأموات. رد الجعفري على ذلك بقول الشاعر:

لألفينك بعد الموت تندبني ... وفي حياتي ما زودتني زادا[٣]

وقصد الجعفري بهذا البيت بيان عجز المسيح عن خلاص نفسه من القتل والصلب بزعم النصارى فكيف يقدر على خلاصهم بجملتهم. وهذا المعنى لا شك يستغرق صفحات لو أراد الجعفري التفصيل في شرحه.

وهكذا في مواضع كثيرة استغنى الجعفري بأبيات شعرية تؤدي المعنى الذي يقصده دون إسهاب في تفصيل ذلك المعنى نثراً.

---

(١) انظر مثلاً: المصدر السابق، ص (١٦٦)، و(١٦٨)، و(١٦٩)، و(١٧١)، و(٢٣٥)، إلى غير ذلك.

(٢) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (١/ ٢٩٧).

(٣) انظر: المصدر السابق (٢/ ٥١٥).

وكان القرافي في كتابه الأجوبة الفاخرة يستشهد أيضاً ببعض الأبيات الشعرية اختصاراً بها عن تفصيل ما يريد بيانه نثراً قد يستغرق صفحات منه في بعض النقاط[1].

وهكذا فزيادة على ما أضفاه استخدام الشعر من جمال في التعبير في ردود العلماء المسلمين ونقاشاتهم مع النصارى في فترة الحروب الصليبية فإن له أثره ومساهمته الإيجابية في مجمل الجهود الدعوية الموجهة إلى النصارى خاصة من خلال القصائد التي فيها رد على شبه النصارى ومطاعنهم، أو مناقشة لبعض عقائدهم والتحذير منها. كما لا يخفى الجانب البلاغي المتمثل في الاختصار البليغ الذي يؤدي الغرض ويوصل المعنى المراد دون إسهاب وتفصيل وذلك في كتابات العلماء المسلمين وردودهم ومناظراتهم مع النصارى.

٨ ـ أسلوب استعمال بعض المحسنات البديعية اللفظية:

والمقصود بالمحسنات البديعية «تزيين الكلام وتحسينه بنوع من التنميق: إما بسجع يفصله، أو تجنيس يشابه بين ألفاظه، أو ترصيع يقطع أوزانه، أو طباق بالتقابل بين الأضداد، وأمثال ذلك»[2].

ولا شك أن لذلك أثره في جمال التعبير مما يضفي عليه تشويقاً قد يلفت انتباه السامع فيصغي إليه وربما تأثر به.

وفي عصر الحروب الصليبية لم تخل كتابات بعض العلماء المسلمين وردودهم ومناقشاتهم مع النصارى في هذه الفترة من مثل هذه المحسنات. ومن ذلك مثلاً:

أ ـ **السجع**: «وهو تواطؤ الفواصل من الكلام المنثور على حرف واحد»[3].

---

(١) انظر مثلاً: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (٣٣)، و(٧٤)، و(٧٧)، و(٩٧)، إلى غير ذلك.

(٢) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م، ص (٥٥١).

(٣) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، محمد بن محمد الشيباني «ابن الأثير»، تحقيق د. مصطفى جواد وزميله، ص (٢٥١).

واستعماله كثير جداً في كتابات العلماء ومناقشاتهم وردودهم على النصارى في هذه الفترة. ومن هؤلاء العلماء: القرطبي[١]، والجعفري[٢] والمتطبب[٣]، والقرافي[٤] والزاهدي[٥] وغيرهم.

ب ـ **الجناس:** «وهو أن يتكرر اللفظ باختلاف المعنى»[٦].

ويقسم إلى قسمين رئيسين هما: الجناس التام والجناس الناقص ولكل منهما أشكال متعددة[٧].

فالجناس التام «هو إذا تساوت ألفاظ الكلام في تركيبها ووزنها ويسمى التجنيس المطلق»[٨].

واستعمال هذا النوع من الجناس قليل جداً في كتابات العلماء وردودهم على النصارى ومن هذا القليل مثلاً ما ورد في رد الزاهدي على شبهة النصارى في تغيير القبلة من بيت المقدس إلى مكة وهو قوله: «. . . ليذعنوا للحق،

---

(١) انظر مثلاً: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٤٣، ٥٤، ٦٧، ٩١، ١٢٧، ٢٠٢، ٢٩٥) إلى غير ذلك.

(٢) انظر مثلاً: الرد على النصارى، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمد محمد حسانين، ص (٥٦، ٩٥، ١٢٧)، وانظر أيضاً: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (١/ ٨٧، و١/ ١٤٠، و١/ ١٥٠، و١/ ٣٩٨) إلى غير ذلك.

(٣) انظر مثلاً: النصيحة الإيمانية، نصر بن يحيى المتطبب، تحقيق د. محمد الشرقاوي، ص (٥٤، ١٤٦، ١٤٩) إلى غير ذلك.

(٤) انظر مثلاً: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١٦، ٥٩، ٧٤) إلى غير ذلك.

(٥) انظر مثلاً: الرسالة الناصرية، مختار بن محمود الزاهدي، تحقيق محمد المصري، ص (٤٦، ٥١، ٧٤) إلى غير ذلك.

(٦) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق د. محمد قر قزان، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، (١/ ٥٤٦).

(٧) انظر: علم البديع، د. عبد العزيز عتيق، ص (١٩٧ ـ ٢١٥).

(٨) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، محمد بن محمد الشيباني «ابن الأثير»، تحقيق د. مصطفى جواد وزميله، ص (٢٥٦).

وينصتوا إلى كلام الحق»[1].

فالحق الأولى تعني الصواب الذي هو ضد الخطأ، والحق الثانية تعني الله سبحانه وتعالى.

والجناس الناقص: هو «ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة التي يجب توفرها في الجناس التام، وهي أنواع الحرف وأعدادها وهيئاتها وترتيبها»[2].

وهذا النوع من الجناس بأشكاله المختلفة كثير جداً في كتابات العلماء ونقاشاتهم وردودهم على النصارى في هذه الفترة.

فمن ذلك مثلاً قول الزاهدي في ثنائه على جهود الخاقان في تأييد الإسلام ونصرته في مقابل النصرانية: «... وقدم الحق الأبلج الأبهج»[3]. فالجناس بين الكلمتين: الأبلج والأبهج.

وقوله بعد اعتذاره عن عدم التعمق في الردود على النصارى: «... فليس من العدل سرعة العذل»[4].

ومن الجناس الناقص الشائع الاستعمال لدى القرطبي في مناقشته لصاحب كتاب تثليث الوحدانية ورده عليه قوله بعد إبطاله لبعض حجج صاحب الكتاب على باطله: «... فإذا بطل له المعقول والمنقول ثبت أنه بالتحكم والهوى يقول وذلك دأب كل جهول»[5]. فالجناس بين قول المعقول والمنقول.

وفي موضع آخر لام القرطبي صاحب كتاب التثليث ألاَّ يأخذ بالحق بعد ما ظهر له حيث يظهر الجناس الناقص في قوله: «... ولكنك اتبعت هواك

---

(١) الرسالة الناصرية، مختار بن محمود الزاهدي، تحقيق محمد المصري، ص (٥١).

(٢) علم البديع، د. عبد العزيز عتيق، ص (٢٠٥).

(٣) الرسالة الناصرية، مختار بن محمود الزاهدي، تحقيق محمد المصري، ص (٢٧).

(٤) المصدر السابق، ص (٤٦).

(٥) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (١٥٣).

فأضلك، وأطعت شيطانك فأزلك...»[1]. فالجناس الناقص بين الكلمتين: أضلك وأزلك.

وقوله في موضع آخر معتذراً عن الإقذاع في سبه وشتمه لتوقحه في الإسلام: «لولا أن السب منهي عنه على الإطلاق، وليس من مكارم الأخلاق...»[2]. فالجناس الناقص بين كلمتي الإطلاق والأخلاق.

والجناس الناقص أيضاً في قول القرافي حاثاً القسيس على الإسلام: «... فمن أراد الهدى فطريقه واضحة، فليأخذ سبب النجاة قبل الموت، ويستدرك السعادة قبل الفوت»[3]، فالجناس الناقص بين كلمتي الموت والفوت.

ومن الجناس الناقص أيضاً قول الجعفري: «لقد فاوضني بعض الرهبان ممن يدعي بناناً في البيان»[4]، حيث الجناس الناقص بين كلمتي بنان وبيان.

وفي موضع آخر قوله بعد انتقاده عقيدة النصارى: «... فالحمد لله الذي حصننا بمعقل العقل عن سلوك هذا المذهب، وأنار لنا بدهن الذهن عن حلوك هذا الغيهب»[5] حيث وقع الجناس بين كلمتي معقل وعقل وكلمتي دهن وذهن.

ومن الجناس الناقص ما ورد في سؤال الجعفري للنصارى بعد حكايته لقصة الصلب والقتل للمسيح بزعمهم حيث قال: «... من الذي كان يقوم برزق الأنام والأنعام في تلك الأيام»[6]. فالجناس الناقص بين كلمتي الأنام والأيام.

---

(١) المصدر السابق، ص (٢٢٦).

(٢) المصدر السابق، ص (٢٢٧).

(٣) الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١٢).

(٤) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (١/ ٢٥٠).

(٥) المصدر السابق (١/ ٢٧٩).

(٦) المصدر السابق (١/ ٣٩٦).

ومنه قول الجعفري أيضاً مخاطباً النصارى: «... كيف ترجون عنده نفعاً أو تؤملون لديه دفعاً؟ وهذه نقيصة تقتضي تنقص من ألصقت به»[1]. فالجناس الناقص في كلمتي نفعاً ودفعاً.

إلى غير ذلك من الأمثلة على هذا النوع من الجناس والتي وردت كثيراً في كتابات العلماء المسلمين ونقاشاتهم وردودهم على النصارى في هذه الفترة.

جـ ـ الطباق أو المطابقة: «وهي الجمع بين الشيء وضده»[2].

وهذا النوع من البديع أيضاً لا يقل عن الجناس الناقص في كتابات العلماء المسلمين وردودهم على النصارى في فترة الحروب الصليبية.

فمن الأمثلة عليه في كلام القرطبي قوله في مقدمة نقده لكلام صاحب كتاب تثليث الوحدانية: «أما قوله: تثليث الوحدانية فكلام متناقض لفظاً وفاسد معنًى...»[3] فالمطابقة هنا بين الكلمتين لفظاً ومعنًى.

وقوله أيضاً في مقدمة رده على صاحب كتاب التثليث: «... فلو كان هذا السائل عارفاً بمصالحه، مميزاً بين محاسنه ومقابحه...»[4] والطباق هنا بين الكلمتين محاسن ومقابح.

وفي نقده لبعض عقائد النصارى التي أوردها صاحب كتاب تثليث الوحدانية قال: «وهذا كلام فاسد لأنه قياس الغائب على الشاهد»[5]. فالمطابقة هنا بين الغائب والشاهد.

ومن أمثلة المطابقة في كلام القرطبي أيضاً ما ورد في نقده لأقوال النصارى

---

(١) المصدر السابق (١/ ٣٩٧).

(٢) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، محمد بن محمد الشيباني «ابن الأثير»، تحقيق د. مصطفى جواد وزميله، ص (٢١١).

(٣) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٤٧).

(٤) المصدر السابق، ص (٤٩).

(٥) المصدر السابق، ص (٧٦).

في الأقانيم حيث قال: «ولما رأينا هذه المذاهب الركيكة لا تستحق أن تحكى، بل يضحك من ذهاب عقول أربابها ويبكىٰ»[1] فالمطابقة هنا بين قوله: يُضحك ويبكي.

وفي اعتذار القرطبي عن الإسهاب في الرد على كلام صاحب كتاب التثليث قال: «... لكنا تركنا مناقشته اللفظية وصرفنا المناقشة للمباحث المعنوية كراهة للإكثار وميلاً للإيجاز والاختصار»[2]. والمطابقة هنا بين قوله: اللفظية والمعنوية، وقوله: الإكثار والاختصار.

ومن أمثلة المطابقة لدى الزاهدي ما ورد في سياق إثباته لنبوّة محمد ﷺ: «... وإذا اتفق الأولياء والأعداء، العرب والعجم على مضيه ودعواه الرسالة وظهور الخوارق عليه ثبت العلم الضروري بمضيه ودعواه...»[3] والمطابق هنا في قوله: الأولياء والأعداء، وقوله العرب والعجم.

وموضع آخر للمطابقة عند الزاهدي في سياق حديثه عن الفرق بين المعجزة والسحر وذلك في قوله: «... فالساحر لا يشبع الجمع الكثير من الطعام اليسير، ولا يروي الجند العظيم من الماء القليل»[4].

ومن المطابقة قول الزاهدي في سياق نقده لصحة التوراة: «لا نسلم بأن موسى قال ذلك، ولا نسلم بأنها في التوراة، ولو ادعوا ذلك فهو ممنوع لانقطاع التواتر فيها حين قتل بختنصر[5] كافة علماء اليهود، وأحرق نسخ التوراة في

---

(١) المصدر السابق، ص (٨١).

(٢) المصدر السابق، ص (٨٠).

(٣) الرسالة الناصرية، مختار بن محمود الزاهدي، تحقيق محمد المصري، ص (٤٨).

(٤) المصدر السابق، ص (٤٨).

(٥) بختنصر: أو نبوخذ نصر: اسم بابلي معناه: حامي الحدود، وهو اسم أحد ملوك بابل التي حكمت ما بين النهرين وسورية. حيث اجتاح فلسطين سنة ٦٠٥ ق.م.، ودخل القدس وشرد سكانها ونقل بعضهم إلى بابل، وعاد مرة أخرى إلى فلسطين ثم ثالثة ورابعة سنة ٥٨٧ ق.م. وأحرق الهيكل وأسر آلاف السكان من اليهود ونقلهم إلى بابل. كان موته سنة ٥٦٢ ق.م.

مشارق الأرض ومغاربها وحزنها وسهلها، وبرها وبحرها»[1] والمطابقة هنا بين المشارق والمغارب والحزن والسهل، والبر والبحر.

ومن المطابقة لدى الخزرجي ما جاء في سياق إيراده لرأي أحد ملوك الهند في النصرانية والنصارى وذلك في قوله: «. . . واعتقدوا كل مستحيل ممكناً، فلم يعرف عنهم شيء. وبنوا من ذلك شرعاً لا يؤدي البتة إلى إصلاح نوع من أنواع العالم إلا أن يصير العاقل إذا تشرّع به أخرق أحمق، والمرشد سفيهاً، والمحسن مسيئاً. . .»[2]. والمطابقة هنا في قوله: مستحيل وممكن، وقوله: عاقل وأخرق، وقوله: مرشد وسفيه، وقوله: محسن ومسيء.

وفي سياق رده على شبهة أثارها قسيس طليطلة حول انتشار الإسلام بالسيف قال الخزرجي: «. . . وإذا كان القتال سنة الله تعالى لأهل الحق مع أهل الضلال، فنحن على تلك السنة سالكون، وبها عاملون، فيكون من مناقبنا لا من مثالبنا، ومن حسناتنا لا من سيئاتنا»[3].

والمطابقة هنا في قوله: «أهل الحق وأهل الضلال، وقوله: المناقب والمثالب، وقوله: الحسنات والسيئات.

وهكذا فإن أمثال هذه المحسنات اللفظية في كتابات العلماء المسلمين وردودهم ومناقشاتهم مع النصارى في عصر الحروب الصليبية تظهر جانباً من بلاغة اللغة العربية ـ لغة القرآن الذي لم يفتأ النصارى الطعن فيه وإثارة الشبه حول بلاغته وفصاحته ـ، مع ما تضفيه هذه المحسنات على تلك الكتابات والمناقشات والردود من جمال وحسن سبك مما يضفي على التعبير تشويقاً قد يلفت انتباه السامع فيصغي إليه وربما تأثر به.

انظر: قاموس الكتاب المقدس، إعداد نخبة من علماء اللاهوت النصارى، ص (٩٥٤ ـ ٩٥٥).

(١) المصدر السابق، ص (٥٠).

(٢) مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، ص (١٢٣).

(٣) المصدر السابق، ص (٢٨٦).

الفصـــل الرابـــع

معوقات دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية وكيف كانت مواجهتها

المبحث الأول

معوقات الدعوة

لا شك أنه كانت هناك الكثير من المعوقات والعقبات التي أدت في كثير من الأحيان إلى إضعاف أثر الجهود الدعوية الموجهة من المسلمين إلى النصارى في فترة الحروب الصليبية نتيجة لتوجه كثير من طاقات ولاة الأمة وعلمائها إلى معالجة هذه المعوقات.

والمطالب التالية عرض لأهم هذه المعوقات.

المطلـــب الأول

انتشار المذاهب والفرق الهدامة

أولاً: الباطنيـة:

الباطنية مصطلح ينطوي تحته عدد من الفرق التي تدعي الإسلام وهي في الحقيقة حرب على الإسلام وهدم لأصوله وشرائعه، يجمعها القول بأن النصوص لها ظاهر وباطن وهذا الباطن لا يعلمه إلا علماؤهم حيث يؤولونه بما يوافق عقائدهم الضالة.

قال الشهرستاني: «وإنما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهرٍ باطناً ولكل تنزيل تأويلاً»[1].

وقال البغدادي[2]: «... وذكر أصحاب التواريخ أن الذين وضعوا أساس دين الباطنية كانوا أولاد المجوس، وكانوا مائلين إلى دين أسلافهم ولم يجسروا

---

(١) الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق أمير علي مهنا وزميله، (١/٢٢٨).

(٢) هو عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الإسفراييني، ولد في بغداد ونشأ بها وكانت وفاته في إسفرايين سنة ٤٢٩هـ. من كتبه نفي خلق القرآن، وتفسير القرآن، والتحصيل، وفضائح المعتزلة والملل والنحل وغير ذلك.
انظر: طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق عبد الفتاح الحلو وزميله (٥/ ١٣٦ ـ ١٤٨). وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٧/ ٥٧٢ ـ ٥٧٣).

على إظهاره خوفاً من سيوف المسلمين. . . وتأولوا آيات القرآن وسنن النبيّ ﷺ على موافقة أسسهم»[1].

وقد اختلف العلماء في مبدأ ظهورهم في الإسلام؛ حيث قال صاحب كتاب بيان مذهب الباطنية وبطلانه: «اعلم أن ابتداء وضع مذهب الباطنية ـ سلط الله عليهم طوفان نوح وريح عاد وحجارة لوط وصاعقة ثمود ـ كان في سنة خمسين ومائتين من الهجرة»[2].

ووضّح الرازي أن مبدأ ظهورهم كان على يد رجل أهوازي يقال له: عبدالله بن ميمون القداح وكان من الزنادقة التحق بجعفر الصادق[3] وكان في خدمة ولده إسماعيل[4] فلما مات لزم خدمة ابنه محمد[5] فسافر معه إلى مصر حيث مات محمد بعد أن ولد له مولود من جارية له فرعاه عبدالله بن ميمون وعلمه الزندقة، ومن هنا انتشروا في البلاد بمساعدة أولاد ملوك العجم من المجوس لما كان في

---

(١) الفرق بين الفرق، عبد القاهر بن طاهر البغدادي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٦هـ، ص (٢٨٤ ـ ٢٨٥).

(٢) بيان مذهب الباطنية وبطلانه، محمد بن الحسن الديلمي، إدارة ترجمان السنة، لاهور، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م، ص (٣).

(٣) هو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، من أجلاء التابعين، ولقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب قط، سادس الأئمة عند الاثنى عشرية، فكانت ولادته بالمدينة سنة ٨٠هـ، ووفاته بها سنة ١٤٨هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٦/ ٢٥٥)، وما بعدها. ووفيات الأعيان، أحمد بن محمد بن خلكان، (١/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨).

(٤) إسماعيل بن جعفر الصادق، توفي في حياة والده في المدينة سنة ١٤٣هـ، والخلاف واسع في سنة وفاته عند الاثني عشرية، إليه ينسب العبيديون أنفسهم.
انظر: العبر، عبد الرحمن بن خلدون (٤/ ٣٠).

(٥) محمد بن إسماعيل بن جعفر، مولده بالمدينة سنة ١٣١هـ، ووفاته في بغداد سنة ١٩٨هـ. يلقب عند الاثنى عشرية بالمكتوم حذراً عليه من العباسيين.
انظر: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الحنفاء، أحمد بن علي المقريزي، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م، ص (١٧).

قلوبهم من عداوة الإسلام[(١)].

ونحلة الباطنية قائمة على الإلحاد وتعطيل الشرائع حيث يخاطبون كل فريق بما يوافق رأيه، ويجتهدون مع الجهال بإلقاء الشبه وزلزلة العقائد لأن غرضهم كثرة الاستتباع، وقد اتفقوا على أنه في كل عصر هناك إمام معصوم قائم بالحق يرجع إليه في تأويل الظواهر، وكلهم ينكر القيامة والحشر والجنة والنار حيث أولوها بتأويلات باطلة. ويقولون بتناسخ الأرواح واستباحة المحظورات، وكل ما ذكر من التكاليف فرموز إلى باطن، فمعنى الجنابة مثلاً مبادرة المستجيب بإفشاء سر إليه قبل أن ينال رتبة الاستحقاق لذلك. ومعنى الغسل تجديد العهد على من فعل ذلك. والزنا إلقاء نطفة العلم الباطن إلى نفس من لم يسبق معه عقد العهد[(٢)].

وقد تعددت ألقاب الباطنية واختلفت تبعاً لاختلاف دعاتها، أو إلى ما ينفرد به بعضها من مبتدعات. حيث وضح الغزالي وابن الجوزي بعض هذه الألقاب والتي منها: الإسماعيلية، والباطنية، والقرامطة[(٣)]، والخرمية، والبابكية[(٤)]

---

(١) انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، محمد بن عمر الرازي، ص (١١٩ ـ ١٢٠).

(٢) انظر: المنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله (١٢/ ٢٩٥ ـ ٢٩٧).

(٣) نسبة إلى أحد دعاة الباطنية وهو حمدان قرمط الذي ظهر في أيام دولة المأمون، وكان للقرامطة دولة في البحرين، كان ابتداء ظهورها سنة ٢٨٦هـ حيث عاثوا في الأرض فساداً. ومعتقداتهم لا تخرج عن معتقدات سائر فرق الباطنية.
انظر: الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق أمير علي مهنا وزميله (١/ ٢٢٨)، والمنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله (١٢/ ٢٨١)، وما بعدها، والفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، تحقيق د. محمد محي الدين عبد الحميد، ص (٢٨٢).

(٤) البابكية والخرمية، نسبة إلى بابك الخرمي الذي ثار على الدولة العباسية، وأفسد في الأرض، وكان على طريقة الباطنية في معتقده، والذي تم القضاء عليه وعلى أتباعه سنة ٢٢٣هـ، حيث صلب بابك في مدينة سامراء.
انظر: الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ص (٢٨٤).

والمحمرة[١]، والسبعية[٢]، والمستعلية، ولكل لقب سبب. وعد الرازي أن بعض هذه الألقاب هي لفرقٍ من الباطنية[٣].

قال ابن تيمية حينما تحدث عن النصيرية: «... ولهم ألقاب معروفة عند المسلمين، تارة يسمون الملاحدة، وتارة يسمون القرامطة، وتارة يسمون الباطنية، وتارة يسمون الإسماعيلية، وتارة يسمون النصيرية، وتارة يسمون الخرمية، وتارة يسمون المحمرة، وهذه الأسماء منها ما يعمهم ومنها ما يخص بعض أصنافهم»[٤].

وفيما يلي عرض لبعض الفرق الباطنية التي عاثت فساداً في البلاد الإسلامية خلال فترة الحروب الصليبية.

١ ـ النزارية أو الحشاشون:

تفرعت هذه الفرقة من طائفة الإسماعيلية نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق[٥]، وهم من غلاة الباطنية. ومن أبرز زعمائها الحسن بن الصباح[٦]

---

(١) المحمرة أو المازيارية هم أتباع رجل فارسي يقال له مازيار بن قارن، أظهر دين المحمرة الذي لا يختلف عن مذاهب الباطنية الأخرى، وذلك في عهد الخليفة العباسي المعتصم في جبال طبرستان.
انظر: الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ص (٢٦٨).

(٢) السبعية إحدى فرق الباطنية، سموا بذلك؛ لقولهم: إن الدور التام سبعة بدليل أن السموات سبع، وأيام الأسبوع سبع... الخ. وهم لا يؤمنون بالله ولا برسوله ﷺ.
انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، محمد بن عمر الرازي، ص (١٢٣ ـ ١٢٤).

(٣) انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، محمد بن عمر الرازي، ص (١٢٠).

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد (٣٥/ ١٥٢).

(٥) انظر: الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق أمير علي مهنا وزميله، (١/ ٢٢٦).

(٦) هو الحسن بن الصباح بن علي الإسماعيلي، عالم بالهندسة والنجوم، ولد في مرو سنة ٤٢٨هـ، وتوفي في قلعة آل موت في إصبهان سنة ٥١٨هـ. من زعماء الباطنية النزارية

الذي قصد المستنصر بالله العبيدي في مصر وخاطبه في إقامة الدعوة له ببلاد العجم وقال له: من إمامي بعدك؟ فقال: ابني نزار، فعاد ودع الناس إليه وملك القلاع[1]. لكنه حدث أن قام الوزير الأفضل بن بدر الجمالي بإقصاء نزار بعد وفاة المستنصر ومبايعة أخاه أبا القاسم الذي لقب بالمستعلي حيث سجن نزار حتى مات في سجنه[2]. وافترقت الإسماعيلية بعد ذلك إلى فرقتين: فرقة أيدت نزار بن المستنصر وعلى رأسهم الحسن بن الصباح وكان نشاطهم في شرق الدولة الإسلامية. حيث تسمى هذه الفرقة بالنزارية. وفرقة أيدت المستعلي بن المستنصر وسموا بالمستعلية، وهم العبيديون في مصر.

ولما عاد الحسن بن الصباح من مصر إلى بلاد فارس استولى على قلعة آلموت وجعلها مقراً له وذلك سنة ٤٨٣هـ[3]، ومنها نشر دعوته في شرق الدولة الإسلامية[4].

وأبرز معتقدات هذه الفرقة القول بإمامة نزار بن المستنصر ومن تسلسل من ذريته[5]. وتلتقي غالب معتقداتها الباطلة مع معتقدات فرق الباطنية الأخرى وأنه لما كان العقل ليس كافياً لمعرفة المسائل كان لا بدّ من إمام يعلم ذلك[6].

«الحشاشون» ورحل للدعوة لذلك إلى الشام ومصر والعراق.
انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٤٥١)، و(٦٩٦). والبداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٢/ ١٧٠ ـ ١٧١).

(١) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٣٨٣).
(٢) انظر: المصدر السابق (٨/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤).
(٣) انظر: الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق أمير علي مهنا وزميله، (١/ ٢٣١).
(٤) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٤٥١ ـ ٤٥٢).
(٥) انظر: المصدر السابق (٨/ ٤٥٢).
(٦) انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، محمد بن عمر الرازي، ص (١٢١).

واعتقاد أن النصوص لها ظاهر وباطن، وأن هذا الباطن لا يعلمه إلا العلماء، وأن الأوامر والنواهي رموز لأشياء يؤمنون بها والقصد منها هدم الشريعة. ولذلك مُنع العوام من الخوض في العلوم(١).

وقد عاثت هذه الفرقة في الأرض فساداً، وعمّ بلاؤها فقطع أتباعها الطريق وخربوا القرى، وانضم إليهم كل مفسد وحاربوا من جاورهم من المسلمين(٢).

وقد كان من أشهر دعاتهم وزعمائهم في شرق الدولة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية الحسن بن الصباح المتوفّى عام ٥١٨هـ، وكيا بزرك آميد المتوفّى سنة ٥٣٢هـ، وكان أكثر تسامحاً من الحسن بن الصباح، ثم ابنه محمد المتوفّى سنة ٥٥٧هـ الذي كان كأبيه في سياسة الطائفة، ثم الحسن الثاني بن محمد المتوفّى سنة ٥٦١هـ الذي ادعى أنه إمام العصر(٣).

وقد امتد نفوذ هذه الفرقة إلى بلاد الشام على يد بعض دعاتها الذين اتصلوا بصاحب حلب رضوان بن تتش فساعدهم ومكن لنحلتهم حيث صار لهذه الفرقة دار دعوة في حلب(٤). وكان بداية دخول هذه الفرقة إلى الشام متزامناً مع قدوم الصليبيين إلى البلاد الإسلامية، ثم ما لبثوا أن استفحل أمرهم وازداد شرهم وملكوا عدة قلاع من أهمها: بانياس(٥). ومن أشهر دعاة هذه الفرقة وقادتها في الشام شيخ الجبل سنان بن سليمان(٦).

---

(١) انظر: مقدمة هذا المطلب.

(٢) انظر: دول الإسلام، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق محمد شلتوت وزميله، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م، (٢/ ١٣٠).

(٣) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والأحزاب والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (١/ ٤٠٧).

(٤) انظر: بغية الطلب في تاريخ حلب، عمر بن أحمد بن هبة الله العقيلي، «ابن العديم» مطبعة الجمعية التاريخية التركية، أنقره، ١٩٧٦م، ص (١٤٠ ـ ١٤١).

(٥) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٧٠٣).

(٦) هو سنان بن سلمان، وقيل: سليمان، بن محمد بن راشد البصري، مقدم الإسماعيلية

٢ ـ النصيرية:

وهم من غلاة الشيعة[١]، وأول من أظهر مقالتهم محمد بن نصير النميري وكان من أصحاب الحسن العسكري، المتوفّى سنة ٢٦٠هـ[٢].

وعلى ذلك فتكون النصيرية قد ظهرت في القرن الثالث الهجري.

وقد زعم النميري أن الله حل فيه[٣]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فأما النصيرية فهم أتباع أبي شعيب محمد بن نصير وكان من الغلاة الذين يقولون: إن علياً إله»[٤].

وقد انتشر النصيرية في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية في أجزاء من جبال لبنان خاصة ما يعرف بجبل النصيرية، وفي جبال اللاذقية ومناطق من حماة وحمص إلى ما وراء أنطاكية[٥].

وهم يتظاهرون عند عامة المسلمين بموالاة آل البيت وهم في الحقيقة لا

الباطنية، وصاحب دعوتهم في الشام حين استولى على عدة قلاع فيها ودامت شوكته ثلاثين سنة. كان مولده سنة ٥٢٨هـ، ووفاته سنة ٥٨٨هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢١/ ١٨٢) وما بعدها.

(١) انظر: الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق أمير علي مهنا وزميله، (١/ ٢٢١).

(٢) هو الحسن بن علي بن محمد الحسيني الهاشمي العسكري، ولد بالمدينة سنة ٢٣٢هـ، وانتقل مع أبيه إلى سامراء في العراق حيث توفي بها سنة ٢٦٠هـ. وهو الإمام الحادي عشر عند الاثنى عشرية.

انظر: المنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله (١٥٨/١٢)، ووفيات الأعيان، أحمد بن محمد بن خلكان (١/ ١٣٥).

(٣) انظر: الفرق بين الفرق، عبد القاهر بن طاهر البغدادي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ص (٢٥٢).

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن القاسم وابنه محمد (١٦١/٣٥).

(٥) انظر: المبحث الثاني من الفصل التمهيدي، والأوضاع الحضارية في بلاد الشام، د. محمود محمد الحويري، ص (٤٢).

يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بكتابه ولا بأمر ولا نهي ولا ثواب ولا عقاب ولا جنة ولا نار ولا بمحمدﷺ ولا بملة من الملل السالفة، بل يأخذون كلام الله ورسوله يتأولونه على أمور يفترونها يدعون أنها عمل الباطن، فالصيام كتمان أسرارهم، والحج قصد شيوخهم(١).

وفي سؤال ورد على شيخ الإسلام ابن تيمية عنهم أشار فيه السائل إلى بعض عقائدهم ومنها: تأليه علي بن أبي طالبرضي الله عنه، وأنه خالق السموات والأرض، والقول بتناسخ الأرواح، وإنكار البعث والنشور، واستحلال الخمر(٢).

٣ ـ الدروز:

وهم أتباع هشتكين الدرزي(٣) وكان من موالي الحاكم بأمر الله العبيدي أرسله إلى الشام فدعا إلى إلهية الحاكم بأمر الله، وهم من الإسماعيلية الباطنية القائلين بأن محمد بن إسماعيل نسخ شريعة محمدﷺ(٤).

ونحلتهم هذه متفرعة عن الإسماعيلية المستعلية «العبيديون» في مصر، قال ابن تغري بردي: «رأيت في بعض التواريخ بمصر أن رجلاً يعرف بالدرزي قدم مصر فاجتمع بالحاكم وساعده على ادعاء الربوبية فأنفق عليه وقربه وفوض الأمور إليه وبلغ منه أعلى المراتب بحيث إن الوزراء والقواد والعلماء كانوا يقفون على بابه ولا ينقضي لهم شغل إلا على يده»(٥).

وقد صنف هذا الدرزي كتاباً للحاكم بأمر الله يدعي فيه ربوبيته، وقرأه

---

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد (٣٥/ ١٦١).

(٢) انظر: المصدر السابق (٣٥/ ١٤٥ ـ ١٤٦).

(٣) واسمه محمد بن إسماعيل الدرزي، ولقبه نشتكين ـ لفظة تركية ـ وهو من القائلين بالتناسخ.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد (٣٥/ ١٦١ ـ ١٦٢).

(٥) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وسف بن تغري بردي (٤/ ١٨٤).

بجامع القاهرة، فثار الناس عليه وقصدوا قتله فهرب منهم حيث أخفاه الحاكم ثم خرج إلى الشام ونشر نحلته هناك خاصة في وادي تيم الله غربي دمشق بعد ما استمال أهل تلك النواحي فأجابوه(١).

وممن كان له دور كبير في نشر عقيدة الدروز حمزة بن علي الزوزني الذي وفد إلى القاهرة سنة ٤٠٥هـ واتصل بالحاكم بأمر الله وكان من أشهر الدعاة إلى ألوهيته(٢).

ومن أهم عقائد الدروز تأليه الحاكم بأمر الله، ونسخ شريعة الإسلام(٣)، والقول بتناسخ الأرواح وإنكار الجنة والنار والثواب والعقاب. حيث تتضح هذه العقائد من خلال ما يعرف عندهم ـ بميثاق ولي الزمان ـ الذي كان يؤخذ على من يدخل في مذهبهم، وكذلك من خلال رسالة بدء الخلق لحمزة بن علي الزوزني أحد كبار دعاتهم(٤).

ومناطق انتشار الدروز في الشام في فترة الحروب الصليبية هي وادي التيم غربي دمشق، وجبل الشيخ في جنوب غرب سوريا، ومنطقة الشوف في لبنان وطرابلس وشرق مدينة بيروت(٥).

٤ ـ العبيديون «الإسماعيلية المستعلية»:

يسمي العبيديون أنفسهم الفاطميين نسبة إلى فاطمة رضي الله عنها. حيث إن داعيهم

---

(١) انظر: المصدر السابق (٤/ ١٨٤).

(٢) الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، د. محمد عبدالله عنان، دار النشر الحديث، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٧٩هـ، ص (١٩٧).

(٣) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد (٣٥/ ١٦١ ـ ١٦٢).

(٤) انظر: ميثاق ولي الزمان، ونصوص من رسالة بدء الخلق في ـ غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام، د. فتحي محمد الزعبي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، ص (٢١٠).

(٥) انظر: المبحث الثاني من الفصل التمهيدي، وتاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، فليب حتي ـ ترجمة كمال اليازجي ـ دار الثقافة، بيروت ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٧٢م، (٢/ ٢١٩).

الأول وهو ـ عبيد الله المهدي ـ ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما يزعم[(١)].

وقال الذهبي بعد أن عرض الخلاف في نسب هذا الرجل يقول: «والمحققون على أنه دعي»[(٢)]، وقال: «وفي نسب المهدي أقوال حاصلها أنه ليس بهاشمي ولا فاطمي»[(٣)].

وقال ابن كثير: «وقد كتب غير واحد من الأئمة... أن هؤلاء أدعياء ليس لهم نسب صحيح فيما يزعمونه»[(٤)].

ونحلة العبيديين لا تخرج عن الحركات الباطنية الأخرى التي تكيد للإسلام بلباس التشيع لآل البيت.

وتبدأ نحلة العبيديين من عبدالله القداح بن ديصان، وكان من دعاة الباطنية في العراق، حيث ذهب إلى أصبهان واتصل بداعية آخر من دعاة الباطنية هناك واتفق معه على الكيد للإسلام من خلال لباس التشيع لآل البيت، حيث رجع القداح إلى العراق وجال في الشام ينشر نحلته. وبعد موته جاء ابنه أحمد الذي استطاع أن يغري أحد رجال اليمن مستغلاً حبه لآل البيت والذي جاء يزور مشهد الحسين، فبعث معه رجلاً إلى اليمن يدعو إلى المهدي هناك. فنشر نحلته وكان من أبرز أتباعه هناك الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا «أبو عبدالله الشيعي» الذي جاء لمكة واتصل بحجاج من قبيلة كتامة وأغراهم بنحلته وسافر معهم إلى بلادهم حيث اجتهد في الدعوة للمهدي هناك[(٥)].

---

(١) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٦/ ٥٧٧).

(٢) سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٥/ ١٤٢).

(٣) المصدر السابق (١٥/ ١٥١).

(٤) البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١١/ ١٩٢).

(٥) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٦/ ٥٨٣ ـ ٥٨٤). وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٥/ ١٤٧ ـ ١٤٨).

ولما توفي القداح في بغداد جاء بعده ابنه أحمد الذي حمل أسرار الدعوة ثم ابنه محمد ثم ابن محمد الحسين الذي انتقل إلى سلمية في الشام وتزوج بيهودية لها ولد اسمه عبيد الله حيث نسبه الحسين لنفسه وعرفه أسرار الدعوة. ولما مات الحسين صار عبيد الله هو المهدي وهو صاحب الدعوة[١].

راسل المهدي أبا عبدالله الشيعي ـ وهو في إفريقيا ـ يدعوه للمجيء، حيث جاء إلى طرابلس ومنها إل سجلماسة فسجنه صاحب إفريقيا زيادة الله[٢] الذي قاتل أبا عبدالله الشيعي حيث تغلب أبو عبدالله على جيش زيادة الله فدانت القيروان وما حولها له وتمكن من الإفراج عن عبيد الله المهدي من سجن سجلماسة وأكرمه ورفع من شأنه حتى صار الأمر كله له في دولة أبي عبدالله الشيعي. فعظم أمره وبنى مدينة المهدية، ثم قتل أبا عبدالله الشيعي وأخاه العباس لخشيته منهما وانفرد بالأمر[٣].

وبعد وفاة عبيد الله المهدي سنة **٣٢٢هـ** تولى الأمر بعده ابنه المعز الذي سيطر على مصر وبنى مدينة القاهرة[٤]، ومكن لبني عبيد في مصر وجعلها مركز دعوتهم وقد كانت وفاته سنة **٣٦٥هـ**[٥].

بعد ذلك تتابع حكام بني عبيد إلى أن أتى المستنصر بالله معد بن علي

---

(١) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٦/ ٥٨٧ ـ ٥٨٨).

(٢) هو زيادة الله بن عبدالله بن إبراهيم الأغلبي آخر ملوك دولة الأغالبة بتونس، كانت وفاته سنة ٣٠٤هـ. مال إلى اللهو والمجون وغفل عن تصريف أمور الدولة فكان سقوطها على يديه حيث خرج من تونس وانتهى به الأمر إلى فلسطين حيث توفي بها.
انظر: العبر، عبد الرحمن بن خلدون (٤/ ٢٠٥).

(٣) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٦/ ٥٩٧) وما بعدها. وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٥/ ١٤٩ ـ ١٥٠).

(٤) انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١١/ ١٩١).

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٥/ ١٥٩) وما بعدها.

العبيدي الذي فشا سب الصحابة بدولته وخاف علماء السنة منه[١] وبعد وفاته عام ٤٨٧هـ افترق العبيديون الإسماعيليون إلى فرقتين: فرقة أيدت ابنه نزار وسميت النزارية وهم الإسماعيلية الباطنية «الحشاشون» في بلاد فارس والشام. وفرقة أيدت ابنه المستعلي وهم الإسماعيلية الباطنية في مصر حيث يسمون بالمستعلية[٢].

ومن أبرز دعاة العبيديين وقادتهم في مصر فترة الحروب الصليبية: أبو القاسم أحمد بن معد «المستعلي بالله»، المتوفّى سنة ٤٩٥هـ، ثم ابنه أبو علي المنصور «الآمر بأحكام الله» المتوفّى سنة ٥٢٤هـ[٣]، والذي قال عنه الذهبي: «خبيث المعتقد، سفاكاً للدماء، متمرداً، جباراً، فاحشاً، فاسقاً»[٤]، ثم ابنه إسماعيل «الظافر بالله» قتل سنة ٥٤٩هـ[٥]، وقد قال عنه الذهبي: «من العبيديين الخارجين على بني العباس... لعاباً، عاكفاً على الأغاني، والسراري»[٦] ثم ابنه «الفائز بنصر الله» المتوفّى سنة ٥٥٥هـ، وأخيراً عيسى العاضد المتوفّى سنة ٥٥٥هـ[٧] الذي قال عنه الذهبي: «وكان سباباً خبيثاً متخلفاً»[٨]، وبه انتهت سلطة بني عبيد في مصر على يد صلاح الدين ـ رحمه الله تعالى ـ[٩].

---

(١) المصدر السابق (١٥/ ١٨٦، ١٩٦).

(٢) انظر: نشأة فرقة الإسماعيلية النزارية «الحشاشون» سبق بيانه في هذا المطلب.

(٣) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٩/ ٢٤).

(٤) سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٥/ ١٩٩).

(٥) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٩/ ٢١٢).

(٦) سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٥/ ٢٠٢).

(٧) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٩/ ٢٧٠).

(٨) سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٥/ ٢٠٨).

(٩) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٩/ ٣٦٤)، والنوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ص (٨٦).

ومعتقد العبيديين لا يخرج عن معتقدات الفرق الباطنية الأخرى المتسترة بالتشيع لآل البيت، بل إنه وصل الأمر ببعضهم أن ادعى الربوبية كالحاكم بأمر الله الذي قال فيه الذهبي: «صاحب مصر الحاكم بأمر الله. . . العبيدي المصري الرافضي بل الإسماعيلي الزنديق المدعي الربوبية»[1]، وقال: «وكان شيطاناً مريداً جباراً عنيداً، كثير التلون، سفاكاً للدماء خبيث النحلة عظيم المكر، . . . أمر بسب الصحابة رضي الله عنهم وبكتابة ذلك على أبواب المساجد والشوارع، وأمر عماله بالسب»[2].

وقد وصف الذهبي من ترجم له منهم بنحلتهم الباطلة حيث قال عن المستعلي مثلاً: «وفي دولته كثرت الباطنية الملاحدة الذين هم الإسماعيلية»[3]. ووصف الآمر بقوله: «العبيدي المصري الرافضي الظلوم»[4]. وقال مثنياً على أحد وزراء العبيديين مقارنة بأسياده: «. . . وعدل في الرعية. . . ووقف عند مذهب الشيعة، وتمسك بالاثني عشر وترك ما تقوله الإسماعيلية. . . ودعا على منابر مصر للمنتظر صاحب السرداب على زعمهم»[5].

وعن نهاية العبيديين على يد صلاح الدين قال الذهبي: «واستأصل شأفة بني عبيد ومحق دولة الرفض، وكانوا أربعة عشر متخلفاً لا خليفة»[6].

ولا شك أن أثر هذه الفرق كان كبيراً في تعويق دعوة المسلمين للنصارى في هذه الفترة وذلك بما جروه على المسلمين من فتن ـ خاصة النصيرية والدروز ـ أقلها الوقوف مع أعداء الأمة من النصارى خلال هذه الفترة. حيث وضح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وهو الذي عايش فترة ثلاثة عقود من زمن الحروب

---

(١) سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٥/ ١٧٣).

(٢) المصدر السابق (١٥/ ١٧٤).

(٣) المصدر السابق (١٥/ ١٩٧).

(٤) المصدر السابق (١٥/ ١٩٧).

(٥) المصدر السابق (١٥/ ٢٠٠).

(٦) المصدر السابق (١٥/ ٢١٢).

الصليبية حين قال: «ومن المعلوم عندنا أن السواحل الشامية إنما استولى عليها النصارى من جهتهم، وهم مع كل عدو للمسلمين، فهم مع النصارى على المسلمين، ومن أعظم المصائب عندهم فتح المسلمين للسواحل... ومن أعظم أعيادهم إذا استولى والعياذ بالله تعالى النصارى على ثغور المسلمين»(١).

وقال عن الدروز خاصة: «... ولا يجوز استخدامهم للحراسة والبوابة والحفاظ»(٢).

ومن تعويق الفرق الباطنية للجهود الدعوية الموجهة للنصارى في هذه الفترة تربصهم بولاة المسلمين وعلمائهم الذين كانت الأمة بأمس الحاجة إلى جهودهم ضد النصارى في الجهاد والدعوة. فمن ذلك اغتيال النزارية «الحشاشون» الخليفة المسترشد في سنة ٥٢٩هـ(٣)، والخليفة الراشد في أصبهان سنة ٥٣٢هـ(٤). والوزير نظام الملك أبو نصر سنة ٥٠٣هـ حيث وثب عليه جماعة من الباطنية وهو يؤدي الصلاة(٥). والوزير محمود أبو طالب السميرمي سنة ٥١٦هـ(٦)، والوزير

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد (٣٥/ ١٥٠ ـ ١٥١).

(٢) المصدر السابق (٣٥/ ١٦٢).

(٣) هو أمير المؤمنين الفضل بن محمد بن عبدالله القرشي الهاشمي، ولد سنة ٤٨٦هـ، وكان مقتله على يد الباطنية سنة ٥٢٩هـ، دامت خلافته سبع عشرة سنة، كان شهماً شجاعاً، كثير الإقدام.
انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٩/ ٦٤)، وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٩/ ٥٦١)، وما بعدها.

(٤) هو الخليفة منصور بن المسترشد بالله. ولي الخلافة سنة ٥٢٩هـ، وكان مقتله على يد الباطنية سنة ٥٣٢هـ.
انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٩/ ٩٥)، وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٩/ ٥٦٨) وما بعدها.

(٥) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٥٨٠).

(٦) قال عنه ابن الأثير: «وكان ظالماً سيىء السيرة كثير المصادرة لأموال الناس» الكامل، (٨/ ٦٧٨).

نظام الملك مسعود بن علي سنة ٥٩٦هـ[١]، والأمير مودود بن زنكي صاحب الموصل الذي جاهد طويلاً ضد الصليبيين. وذلك أن هذا الأمير كان يقاتل الإفرنج بالشام حيث انتزع منهم عدة حصون ثم دخل دمشق وفي جامعها جاءه باطني في زي سائل، فلما اقترب منه ضربه في فؤاده فمات وذلك سنة ٥٠٥هـ[٢]. ثم محاولتهم اغتيال صلاح الدين الأيوبي أثناء حصاره قلعة أعزاز سنة ٥٧١هـ، حيث وثب عليه باطني وهو في خيمته فجرحه في رأسه وقتل هذا الباطني[٣].

وعن إفساد الباطنية في هذه الفترة قال ابن الجوزي: «... وشاع أنه قدم قوم من الباطنية يريدون قتل قوم من الأكابر فوقع الاحتراز»[٤]، وذلك في أحداث سنة ٥٧٤هـ.

ومن العلماء الذين اغتالتهم الباطنية: أبو القاسم ابن إمام الحرمين سنة ٤٩٢هـ[٥]، والفقيه أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل الروياني سنة ٥٠٢هـ أحد أئمة الشافعية وصاحب التصانيف الكثيرة[٦]، والقاضي عبيد الله بن علي الخطيي قاضي أصبهان سنة ٥٠٢هـ[٧].

---

(١) قال عنه ابن الأثير: «وكان صالحاً كثير الخير حسن السيرة شافعي المذهب» الكامل، (١٠/ ١٧٢).

(٢) انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٢/ ١٨٥).

(٣) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٩/ ٤١٧).

(٤) المنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله (١٨/ ٢٥٢).

(٥) اغتالته الباطنية بنيسابور. انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٢/ ١٦٨).

(٦) انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٢/ ١٨٢).

(٧) انظر: المنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله (١٧/ ١١٣).

«وكان قد تجرد في أمر الباطنية تجرداً عظيماً، فصار يلبس درعاً حذراً منهم ويحتاط ويحذر»(١)، وأبو سعد محمد بن نصر الهروي سنة ٥١٩هـ(٢)، والفقيه أبو جعفر بن المشاط سنة ٤٩٦هـ، وكان من فقهاء الشافعية، وكان له جهود في التدريس والوعظ في مدينة الري(٣).

ولم يتوقف استهداف الباطنية للولاة والقادة في هذه الفترة بل تعدى ذلك إلى استهدافهم العامة بقطع السبل والإفساد في الأرض. ومن ذلك إغارتهم على الحجاج من خراسان حيث لم يبقوا منهم أحداً لا زاهداً ولا عالماً وذلك سنة ٥٥٢هـ(٤). وإغارتهم على إحدى القوافل التجارية بنيسابور وقتل أصحابها ونهب أموالهم وذلك سنة ٥٥٦هـ(٥). وحين أقام أحد دعاتهم وهو بهرام في دمشق ووجد من وزير صاحبها موافقة وممالأة صار أتباعه يقتلون كل من يرد عليهم أو يناقشهم حتى أحجم الفقهاء والعلماء عن الكلام فيهم لقوتهم وظهورهم(٦).

بل إنه من مبلغ خوف الناس منهم حين استفحل أمرهم أن صبحوا إذا جاء الليل أخفوا جميع ما لديهم من مال أو متاع في أماكن مجهولة خوفاً من هجمات الباطنية(٧).

---

(١) الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٥٧٤).

(٢) قال عنه ابن الأثير: «وكان ذا مروءة غزيرة وتقدم كثير في الدولة السلجوقية» انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٧٠١).

(٣) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٥١١).

(٤) انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٢/ ٢٥٤).

(٥) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٩/ ٢٨٣).

(٦) انظر: ذيل تاريخ دمشق، حمزة بن أسد بن علي «ابن القلانسي» تحقيق: د. سهيل زكار، نشر دار حسان، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، ص (٣٤٢).

(٧) انظر: الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، محمد بن علي بن طاطبا، دار صادر بيروت.

هذه الفوضى التي أحدثتها فرق الباطنية في المجتمع من قطع السبل وإرهاب العامة، واغتيال الولاة والعلماء لا شك أنها صرفت جهوداً كبيرة من ولاة المسلمين وقادتهم في مواجهتها ومعالجتها، وما نشأ عن ذلك من ضعف لدى كثير من ولاة المسلمين خاصة في العراق وفارس نتيجة لقتال هؤلاء الباطنية، أو على الأقل الانشغال بهم وصرف الجهود في مواجهتهم في الوقت الذي كانت الأمة بحاجة إلى كل جهد لجهاد النصارى ودعوتهم[١].

والأسوأ من ذلك إفساد هؤلاء الباطنية لعقائد الناس بالدعوة إلى نحلهم خاصة بني عبيد في مصر وما نشأ عن ذلك من تفريق للأمة ونشر للضلال في الوقت الذي يواجه المسلمون في هذه الفترة شبه النصارى. ولا شك أن ذلك كان له تأثيره السلبي على العامة من ناحية زعزعة إيمانهم ومن ثم تقبلهم لما تسرب إليهم من النصارى من عقائد وشبه وعادات[٢].

---

(١) سيأتي الحديث عن جهود الولاة والقادة في مواجهة الباطنية في المبحث الثاني من هذا الفصل.

(٢) والأمثلة على ذلك كثيرة منها: ما ذكره ابن جبير الذي زار بلاد الشام في هذه الفترة أن أسيراً مسلماً بعد إطلاقه من النصارى تنصر لطول معاشرته لهم. انظر: رحلة ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير، ص (٢٨١).

وأحد شيوخ البادية في الشام يقدم الهدايا إلى أحد قادة الصليبيين وهو جود فروي إعجاباً به ويفشي إليه أسرار المسلمين. الحروب الصليبية، وليم الصوري، ترجمة د. حسن حبشي (٢/ ٢٣٢).

ومن مشاهدات ابن جبير في هذه الفترة في بلاد الشام حفلة زواج لنصارى الصليبيين واختلاط المسلمين بهم مع ما في هذا الحفل من اللهو وآلات الطرب واختلاط الرجال بالنساء من غير تحشم. (الرحلة. محمد بن أحمد بن جبير، ص (٢٧٨ ـ ٢٧٩). كذلك مشاركة المسلمين للنصارى في أعيادهم بالأندلس بل والاستعداد لها أكثر من النصارى (انظر: المعيار المعرب، أحمد بن يحيى الونشريسي (١١/ ١٥٠)، وما تحدث عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم من أحكام التشبه بأهل الكتاب في الأعياد والعادات والملابس إنما كان عن خبرة ومعايشة. حيث عاش ـ رحمه الله تعالى ـ ثلاثة عقود من حياته في زمن الحروب الصليبية.

وله تأثيره من ناحية أخرى بأن صرفت جهود كثير من العلماء إلى مجابهة هؤلاء الباطنية وكشف عقائدهم والتحذير منهم. في الوقت الذي تحتاج فيه الأمة في هذه الفترة إلى جهود العلماء في دعوة النصارى[1].

ثانياً: الشيعـة:

الشيعة في اللغة من المشايعة، والمراد بها المناصرة والمتابعة. قال في اللسان: «والشيعة أتباع الرجل ومناصروه»[2]. وقال: «وقد غلب هذا الاسم على من يتولى علياً وأهل بيته رضوان الله عليهم أجمعين»[3].

وفي الاصطلاح لا تكاد تخرج تعريفات العلماء لهذه اللفظة بأن المقصود منها كل من فضل علياً على الخلفاء قبله ورأى أن الإمامة فيه وبنيه من بعده.

قال الشهرستاني: «الشيعة الذين شايعوا علياًّ ﷺ على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصيةً، إما جلياً وإما خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده»[4].

ووضح ابن حزم[5] أن كل من فضل علياً على الناس بعد محمد ﷺ فهو شيعي وإن خالفهم فيما عدا ذلك[6].

---

(١) سيأتي الحديث عن جهود العلماء في مواجهة الباطنية في المبحث الثاني من هذا الفصل.

(٢) لسان العرب، محمد بم مكرم بن منظور، مادة (شيع) (٨/ ١٨٨).

(٣) المصدر السابق (٨/ ١٨٩).

(٤) الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق أمير علي مهنا وزميله، (١/ ١٦٩).

(٥) هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، ولد بقرطبة سنة ٣٨٤هـ. وكانت وفاته سنة ٤٥٦هـ. انصرف عن الوزارة في قرطبة للعلم فنبغ فيه فصنف الكثير في الفنون المختلفة، منها: المحلى في الفقه، والفصل في الملل والنحل، والناسخ والمنسوخ وغير ذلك.
انظر: العبر، عبد الرحمن بن خلدون (٣/ ٢٣٩)، وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٨/ ١٨٤)، وما بعدها.

(٦) انظر: الفصل في الملل والنحل، علي بن أحمد بن حزم، مكتبة الخانجي، مصر، ص (١١٣).

والتشيع بمعنى المناصرة قد ظهر واضحاً جلياً بعد مقتل عثمان رضي الله عنه ومبايعة عليّ رضي الله عنه بالخلافة وبدء الفتن في الجمل وصفين حيث كان أكثر الصحابة في صف عليّ رضي الله عنه ويرون أنه الأحق بالخلافة؛ فوقفوا معه وناصروه ضد من خالفه. لكن هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم لم يتجاوزوا حدود ذلك بغلو في عليّ رضي الله عنه أو ما شابه ذلك من عقائد الشيعة الباطلة.

وقد خرج التشيع عن حدود المناصرة حين انتشرت أفكار عبدالله بن سبأ ومعتقداته الباطلة وتشربها أقوام جهلاً منهم، أو تستراً بحب عليّ رضي الله عنه من أجل الكيد للإسلام. وكان من أبرز معتقدات ابن سبأ الغلو في حب عليّ رضي الله عنه حتى قال له أنت الإله فنفاه رضي الله عنه إلى المدائن، وعرف أتباعه بعد ذلك بالسبئية، وهم فرقة قالت بالغيبة، والرجعة، والتناسخ(١).

وبمرور الوقت تفرق الشيعة إلى فرق كثيرة فمنهم الغالية الذين خرجوا عن الإسلام كالسبئية وفرق الباطنية من نصيرية ودروز وحشاشين، ومنهم الذين وقفوا عند حدود القول بتفضيل علي رضي الله عنه بعد النبيّ ﷺ على غيره من الناس. وبين الطرفين يأخذ التشيع درجات متفاوتة، تمثله فرق الشيعة المختلفة.

والحديث هنا عن أثر عامة الشيعة الذين لم يصلوا إلى درجة الفرق الباطنية. كالإمامة الاثني عشرية(٢)، والكيسانية(٣)، . . . .

---

(١) انظر: المصدر السابق (١/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥).

(٢) إحدى فرق الشيعة ويسمون بالقطعية، وهم الذين ساقوا الإمام من جعفر الصادق إلى ابنه موسى وقطعوا بموت موسى، ولذلك سموا بالقطعية، وسموا بالاثني عشرية لدعواهم أن الإمام المنتظر هو الثاني عشر من نسبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

انظر: الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ص (٦٤)، والملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق أمير مهنا وزميله (١/ ١٩٨ ـ ٢٠٠).

(٣) الكيسانية: إحدى فرق الرافضة، وهم أتباع المختار بن أبي عبيد الثقفي، وكان يقال له: كيسان، وهم فرق شتى، يجمعهم القول بإمامة محمد ابن الحنفية، والقول بالبداء على

والزيدية[1]، وغيرهم الذين صنفهم الشهرستاني بأنهم دون فرق الشيعة الغالية من الباطنية[2].

وعدهم البغدادي من أهل الأهواء[3]، ولم يعدهم من فرق الباطنية الغالية الخارجة عن الإسلام[4].

وميزهم شيخ الإسلام ابن تيمية عن غلاة الباطنية كالنصيرية والدروز الذين قال فيهم: «هؤلاء الدرزية والنصيرية كفار باتفاق المسلمين»[5] بل جعلهم أكفر من اليهود والنصارى «هؤلاء القوم المسمون بالنصيرية» هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية أكفر من اليهود والنصارى بل وأكفر من كثير من المشركين»[6] بينما أجاب حينما سئل عن الرجل يفضل اليهود والنصارى على الرافضة بقوله:

الله، ولهذا كفرهم كثير من العلماء لهذه العقيدة الضالة.

انظر: الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ص (٣٨)، والملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق أمير مهنا وزميله (١/ ١٧٠) وما بعدها.

(١) الزيدية: ثلاث فرق هي الجارودية والبترية والسليمانية، حيث يجمعها القول بإمامة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب في أيام خروجه زمن هشام بن عبد الملك، وقد مال أكثر الزيدية إلى الطعن في الصحابة.

انظر: الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ص (٢٢)، و(٣٠) وما بعدها، والملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق أمير مهنا وزميله (١/ ١٧٩)، وما بعدها.

(٢) انظر: الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق أمير علي مهنا وزميله (١/ ١٧٠).

(٣) انظر: الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ص (٢٨، ٢٩، ٣٨).

(٤) انظر: المصدر السابق، ص (٢٩١).

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد (٣٥/ ١٦١).

(٦) المصدر السابق (٢٥/ ١٤٩).

«كل من كان مؤمناً بما جاء به محمدﷺ فهو خير من كل من كفر به وإن كان في المؤمن بذلك نوع من البدعة سواء كانت بدعة الخوارج[1] والشيعة والمرجئة[2] والقدرية[3] أو غيرهم. . .»[4].

ومن أهم العقائد الباطلة لهذه الفرق من الشيعة القول بإمامة عليّ رضي الله عنه وبطلان إمامة الخلفاء الثلاثة، والقول بعصمة أئمتهم عن الصغائر والكبائر[5]، وبالتبري إلا في حال التقية، والوقيعة في كبار الصحابة ظلماً وعدواناً ـ فيما عدا

---

(١) الخوارج: هم الذين خرجوا على عليّ رضي الله عنه حين جرى أمر التحكيم، وهم فرق شتى يجمعهم القول بالتبري من عثمان وعلي رضي الله عنهما وتكفير أصحاب الكبائر والخروج على الإمام إذا خالف السنة.
انظر: الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ص (٧٢)، وما بعدها. والملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق أمير مهنا وزميله (١/ ١٣٢).

(٢) المرجئة: من الإرجاء، وهو تأخير العمل عن الإيمان أو من إعطاء الرجاء لقولهم: إنه لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة. وأول من قال بالإرجاء ذرّ بن عبدالله المذحجي ثم تابعه غيلان الدمشقي، والجعد بن درهم. وهم فرق شتى.
انظر: الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ص (٢٠٢)، وما بعدها، والملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق أمير مهنا وزميله (١/ ١٦١).

(٣) القدرية، هم الذين يقولون بنفي القدر عن أفعال العبد وأن للعبد إرادة وقدرة مستقلتين عن إرادة الله وقدرته، وأول من أظهر هذا القول معبد الجهني في أواخر عصر الصحابة رضي الله عنهم وذلك عن رجل مجوس في البصرة.
انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٤/ ١٨٥)، وما بعدها. وشرح لمعة الاعتقاد، محمد بن صالح العثيمين، تحقيق أشرف بن عبد المقصود، مكتبة دار طبرية، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م، ص (١٦٢).

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد (٢٥/ ٢٠١).

(٥) انظر: الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق أمير علي مهنا (١/ ١٦٩).

الزيدية[1] ـ والقول بالرجعة[2]، وإحداثهم عيد غدير خم، وتعظيم يوم النيروز[3]، وجواز نكاح المتعة[4] وغير ذلك[5].

وفي فترة الحروب الصليبية كان التشيع منتشراً في أجزاء من بلاد فارس وجنوب العراق وبعض مدن الشام كحلب وحمص ودمشق وفي المنطقة بين البقاع والبحر المتوسط[6]. حتى أن ابن جبير الذي زار الشام في هذه الفترة رآهم أكثر من أهل السنة حيث قال: «وللشيعة في هذه البلاد أمور عجيبة، وهم أكثر من السنيين بها...»[7].

وقد كان هؤلاء الشيعة في هذه الفترة الحرجة من تاريخ الأمة والتي تسلط النصارى فيها على البلاد الإسلامية كانوا عبئاً على الأمة له أثره في إضعافها عن مواجهة عدوها الأول وهم النصارى المتربصين بها.

حيث إنهم ما انفكوا يثيرون الفتن بين المسلمين، ويضلون العامة بمذاهبهم الباطلة قال ابن جبير في مشاهداته بالشام عن أثرهم في إفساد عقائد العامة: «... وقد عمروا البلاد بمذاهبهم، وهم فرق شتى... قد أضلهم الله وأضل بهم كثيراً من خلقه، نسأل الله العصمة في الدين ونعوذ به من زيغ الملحدين»[8].

---

(١) انظر: المصدر السابق (١/١٦٩، ١٩١ ـ ١٩٢).
(٢) انظر: مختصر التحفة الاثني عشرية، شاه عبد العزيز الدهلوي، ترجمة غلام محمد الأسلمي، اختصار محمود شكري الألوسي، تحقيق محب الدين الخطيب، طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية، الرياض، ١٤٠٤هـ. ص (٢٠٠ ـ ٢٠١).
(٣) انظر: المصدر السابق، ص (٢٠٩).
(٤) انظر: المصدر السابق، ص (٢٢٧).
(٥) انظر في تفصيل عقائد الشيعة: المصدر السابق، ص (١٨٨) وما بعدها، وص (٢٠٠) وما بعدها، وبطلان عقائد الشيعة محمد عبد الستار التونسي، المكتبة الإمدادية، مكة، ١٤٠٨هـ.
(٦) انظر: الفصل التمهيدي، المبحث الثاني، المطلب الثاني.
(٧) رحلة ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير، ص (٢٥٢).
(٨) المصدر السابق، ص (٢٥٢).

ومن فتنهم في هذه الفترة ما أثاروه بحلب بعد وفاة نور الدين محمود سنة ٥٦٩هـ حيث تصدى لهم أهل السنة وقتل خلق من الطائفتين ونهب ظاهر البلد[١].

وقد كان صاحب حلب ابن نور الدين محمود قد طلب منه الشيعة أن يأذن لهم بإظهار أمرهم ويعيد الأذان بحي على خير العمل وأن تذكر أئمتهم الاثني عشر بين يدي الجنائز وذلك شرط منهم لكي ينصروه ضد صلاح الدين الأيوبي حيث أجابهم إلى ذلك سنة ٥٧٠هـ[٢].

وبعد موت أحد أئمتهم في بغداد سنة ٥٦٩هـ وقعت فتنة عظيمة بينهم وبين السنة لعقائدهم الباطلة التي يجاهرون بها[٣].

وذكر ابن الأثير أنه في سنة ٥٠٢هـ وقع الصلح بين السنة والشيعة في بغداد بعد طول قتال وعداوةٍ[٤].

وقد كان للشيعة شوكة ودولة في مدينة الحلة جنوب العراق بين بغداد والكوفة تحت إمارة صدقة بن منصور بن دبيس بن مزيد الأسدي الذي قتل سنة ٥٠١هـ[٥] يصل الأمر بهم في بعض الأحيان إلى الاستقلال عن الخلافة. كما حدث في عام ٤٩٤هـ[٦]، ثم استيلاء ابنه على أجزاء واسعة من العراق حتى خيف من سطوته حيث نهب وأرجف وفعل العظائم وجال في كثير من البلاد

---

(١) انظر: المنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله (١٨/ ٢٠٨).

(٢) انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٢/ ٣٠٩).

(٣) انظر: المصدر السابق (١٢/ ٢٩٢).

(٤) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٥٧٢).

(٥) انظر: المصدر السابق (٨/ ٥٤٩).

(٦) انظر: المصدر السابق (٨/ ٤٤٥).

ومنها الشام وهو في شدة من الإفرنج[١].

حيث قرن الذهبي هنا النظر بين ما تواجهه الأمة من جراء فتن الشيعة وهي في الوقت نفسه تعاني الشدة والضيق بسبب تسلط النصارى الإفرنج خاصة في بلاد الشام.

ومن فتنهم في هذه الفترة ثورة جماعة منهم في مصر على صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٤هـ مطالبين بإظهار أمرهم وبسط سلطانهم على مصر[٢].

والشيعة بانتشارهم الواسع في هذه الفترة وبعقائدهم الباطلة يمثلون جزءاً من مجتمع المسلمين وسيطلع النصارى على عقائدهم على أنها تمثل الإسلام الصحيح، وهم أيضاً سوف يدعون إلى هذه العقائد. وهذا الانحراف في عقائدهم والتي قد استمد كثير منها من عقائد وثنية، لا ترقى إلى إقناع النصارى بقبولها، ومن ثم فإن حكم النصارى على الإسلام سيكون حكماً خاطئاً نتيجة لحكمهم على عقائد الإسلام من خلال عقائد الشيعة الباطلة، هذا من جهةٍ، ومن جهة أخرى فإن فتن الشيعة في المجتمع المسلم ـ كحال الفرق الباطنية ـ صرف جهوداً كبيرةً من ولاة الأمة في مقاومتها والقضاء عليها[٣]. هذه الجهود كانت يجب أن تصرف إلى جهاد النصارى ودفعهم عن البلاد الإسلامية.

وكذلك هؤلاء الشيعة بمعتقداتهم الباطلة وإفسادهم لعقائد الناس صرفوا كثيراً من جهود علماء الأمة[٤] في مواجهة عقائدهم وتبيين بطلانها وتحذير الناس منها في الوقت الذي كانت الأمة بأمس الحاجة إلى كل جهد من هؤلاء العلماء لدعوة النصارى ورد شبههم حول الإسلام.

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٩/ ٦١٣).

(٢) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (١٠/ ٦٢).

(٣) سوف يأتي إيضاح لبعض هذه الجهود في المبحث الثاني من هذا الفصل.

(٤) سوف يأتي إيضاح لبعض جهود العلماء في مواجهة الشيعة في هذه الفترة في المبحث الثاني من هذا الفصل.

ثالثاً: انتشار الفلسفة والفرق الكلامية:

١ ـ انتشار الفلسفة:

الفلسفة أصلها من «فيلا سوفا» «فيلا» بمعنى المحب، و«سوفا» بمعنى الحكمة، أي: محب الحكمة[(١)].

والفلاسفة بزعمهم يأخذون بمحاسن ما دلت عليه العقول. ولهذا صار هذا الاسم في عرف كثير من الناس مختصاً بمن خرج عن ديانات الأنبياء ولم يذهب إلا إلى ما يقتضيه العقل والمنطق في زعمه[(٢)].

وقبل ظهور الإسلام كان هناك كمٌّ هائل من العلوم والمعارف لدى الأمم الأخرى، سواء بقايا ديانات محرفة، أو حكم وتأملات قائمة على العقل والمنطق، أو نتاج تجارب بشرية في الطب والكيمياء والصناعة وغيرها.

ولما جاء الإسلام وظهرت حركة الترجمة كان من أخطر ما دخل على العقيدة الإسلامية ما تسلل إليها من جراء ترجمة كتب الفلسفة اليونانية والديانات الأخرى، الأمر الذي أدى إلى الإلحاد لدى بعض الفلاسفة المسلمين، أو الضلال لدى كثير من الفرق التي خاضت في العقائد الإسلامية على أصول فلسفية كالمعتزلة، والجهمية والأشاعرة وغيرهم.

وكان من أوائل المترجمين في الإسلام في بداية القرن الثاني الهجري عبدالله بن المقفع[(٣)]..............................

---

(١) انظر: كيد الشيطان لنفسه قبل خلق آدم ومعه بيان مذاهب الفرق الضالة، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، ص (٧٥).

(٢) انظر: المصدر السابق، ص (٧٦).

(٣) عبدالله بن المقفع من مجوس فارس فأسلم وبرع في الكتابة، وأول من عنى بترجمة كتب المنطق، كان مولده سنة ١٠٦هـ في العراق، ووفاته سنة ١٤٢هـ مقتولاً في البصرة بتهمة الزندقة. من كتبه: المدخل إلى علم المنطق، وكليلة ودمنة، وترجمة كتب أرسطوطاليس وغيرها.

المتوفّى سنة ١٤٢هـ والذي ترجم كتب أرسطوطاليس[(١)(٢)].

ثم في القرن الثالث الهجري يوحنا بن البطريق[(٣)]، والحجاج بن نصر وثابت بن قرة الصابىء[(٤)] وغيرهم حيث ترجموا كثيراً من كتب الفلسفة[(٥)].

وقد ازدهرت ترجمة كتب الفلسفة في بداية القرن الثالث واشتد تأثيرها على عقائد الناس في ذلك الوقت.

قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: «فعُرب كتب الأعاجم الفلاسفة من الروم والفرس والهند في أثناء الدولة العباسية، ثم طلبت كتبهم في دولة المأمون من بلاد الروم فعربت ودرسها الناس وظهر بسبب ذلك من البدع ما ظهر»[(٦)].

انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٦/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩)، والأمالي، علي بن الحسين المرتضى الموسوي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتاب العربي، بيروت، (١/ ٩٤).

(١) هو أرسطوطاليس بن نيقوماخوس، أحد فلاسفة اليونان، ولد سنة ٣٨٤ قبل الميلاد، في مدينة أسطاغيرا في مقدونية والتحق بأكاديمية أفلاطون ولزمها عشرين سنة، في الكثير من المؤلفات في الحكمة والفلسفة. انظر: الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق أمير مهنا وزميله (٢/ ٤٤٣ ـ ٤٤٤)، والمرشد الأمين إلى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، طه عبد الرؤوف سعد وزميله، بهامش اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، محمد بن عمر الرازي، ص (١٤٦ ـ ١٤٧).

(٢) انظر: الفهرست، محمد بن إسحاق البغدادي (ابن النديم)، طبعة دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ، ص (٩٩).

(٣) يوحنا أو يحيى بن البطريق ترجمان، كان مولى للمأمون ألكن اللسان بالعربية، طبيب فيلسوف، تولى ترجمة كثير من الكتب اليونانية، كانت وفاته سنة ٢٠٠هـ.
انظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص (٦٢٣).

(٤) هو ثابت بن قرة الصابىء الحراني، فيلسوف عصره، برع في علم الأوائل وصار منجم المعتضد. مات سنة ٢٨٨هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٣/ ٤٨٥)، والبداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٢/ ٩١).

(٥) انظر: الفهرست، محمد بن إسحاق البغدادي، «ابن النديم»، ص (٩٩).

(٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد (٢/ ٨٤).

ومن أبرز المعتقدات الفلسفية التي يتفق عليها غالب من سلك هذا الطريق مع بعض الاختلافات فيما بينهم أن الله سبحانه وتعالى هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق وجود مجرد من الصفات لا حقيقة له عند النظر. والإيمان بالله إنما هو خيال مقدر في الذهن لا حقيقة له، والملائكة إنما هم ما يتصوره النبي في نفسه من أشكال نورانية هي العقول المجردة. والكتب المنزلة فيض فاض من العقل الفعال على النفس المستعدة الزكية فتصور النبي تلك المعاني وتشكلت في نفسه، والنبوّة أمر مكتسب يأتي بقوة التخيل وتجرد النفس عن العلائق(١).

ومن أوائل الفلاسفة في الإسلام الكندي المتوفّى سنة ٢٦٠هـ(٢)، ومحمد بن محمد بن طرخان الفارابي المتوفّى سنة ٣٣٩هـ، الذي قال عنه الذهبي: «له تصانيف مشهورة من ابتغى الهدى منها ضل وحار(٣)»، وقد سئل أنت أعلم أم أرسطو؟ فقال: لو أدركته لكنت أكبر تلامذته(٤). وقال عنه ابن الجوزي: «ثم وضع الفارابي الكلام في صناعة المنطق وبسطها، وشرح فلسفة أرسطو وهذبها، وبالغ في ذلك. وكان على طريقة سلفه ـ أي أرسطو ـ من الكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر»(٥).

وممن سلك طريق الفلسفة من المسلمين في عصر الحروب الصليبية محمد

---

(١) انظر: كيد الشيطان، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، ص (٨٠) وما بعدها.

(٢) هو يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي، اشتهر بالطب والفلسفة وعلم الفلك، من كتبه: رسالة في التنجيم، واختيارات الأيام، إلهيات أرسطو، وغير ذلك، كانت وفاته سنة ٢٦٠هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٢/ ٣٣٧)، وما بعدها، وطبقات الأطباء والحكماء، سليمان بن حسان الأندلسي، «ابن جلجل»، تحقيق فؤاد السيد، القاهرة، ١٩٥٥م، ص (٧٣).

(٣) سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٥/ ٤١٧).

(٤) المصدر السابق (١٥/ ٤١٨).

(٥) كيد الشيطان، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، ص (٧٩).

بن طفيل الأندلسي المتوفّى سنة ٥٧١هـ والذي اجتهد في مزج الحكمة اليونانية بحكمة أهل المشرق، وكان شغوفاً بالفلسفة[١].

ومحمد بن أحمد بن محمد بن رشد «الحفيد» المتوفّى سنة ٥٩٥هـ الفيلسوف صاحب جوامع كتب أرسطوطاليس، وشرح كتاب النفس، وكتاب المنطق، وتلخيص الإلهيات لنيقولاوس، وكتاب ما بعد الطبيعة لأرسطو، وتلخيص كتاب المزاج لجاليونس وغير ذلك[٢]. قال عنه الذهبي: «... ثم أقبل على علوم الأوائل وبلاياهم حتى صار يضرب به المثل في ذلك»[٣].

وقد نقلت الكثير من كتبه الفلسفية إلى اللاتينية حيث اشتهر لدى الأوربيين باسم Malmonde[٤].

ومن فلاسفة هذا العصر عبد الحق بن إبراهيم بن محمد «ابن سبعين» المتوفّى سنة ٦٦٩هـ بمكة. والذي اشتغل بعلم الأوائل حتى حصل له نوع من الإلحاد، ومن أبرز آرائه زعمه أن النبوّة مكتسبة، ولذلك مكث بعضاً من الوقت في غار حراء يرتجي أن يأتيه الوحي. وقد كان إذا رأى الطائفين يقول عنهم كأنهم الحمير حول المدار، وإنهم لو طافوا به لكان أفضل من طوافهم بالبيت[٥].

ولا شك أن انتشار الفلسفة في هذا العصر كان من عقبات دعوة المسلمين للنصارى من جهة زعزعتها لعقائد كثير من الناس وهم بأمس الحاجة إلى تحصينهم أمام شبه النصارى وافتراءاتهم على العقيدة الإسلامية.

---

(١) وقيل: إن وفاته سنة ٥٧٥هـ. انظر: معجم المؤلفين في تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة، مكتبة المتنبي، بيروت، المجلد الخامس، الجزء العاشر، ص (١٠٤).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢١/٣٠٧ ـ ٣١٠).

(٣) المصدر السابق (٢١/٣٠٨).

(٤) تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، د. عبد المنعم ماجد، مكتبة الإنجلو مصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٢م، ص (٢٢٧).

(٥) انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٣/٢٧٦).

وقد لمس أحد المؤرخين المعاصرين لهذه الفترة خطر الاشتغال بالفلسفة وأثر الفلاسفة في إفساد عقائد الناس وذلك بقوله عن أحدهم وهو الفخر بن البديع البندهي: «وتوفي سنة ٦٥٧هـ شخص زنديق، يتعاطى الفلسفة والنظر في علوم الأوائل، ويسكن مدارس فقهاء المسلمين، وقد أفسد عقائد جماعة من الشبان... وكان يتظاهر باستنقاص الأنبياء عليهم السلام»[(١)].

هذا الخطر للفلسفة جعل صلاح الدين الأيوبي يأمر ابنه الظاهر في حلب بقتل الفيلسوف يحيى بن حبش السهروردي سنة ٥٨٧هـ الذي اشتهر بعلم الأوائل وفساد الاعتقاد وذلك لما ظهر من أثره في تضليل الناس وإفساد عقائدهم[(٢)].

والفلسفة عقبة في سبيل دعوة المسلمين للنصارى من جهة اشتهار كثير ممن اشتغل بالفلسفة وعلم الأوائل كعلماء مسلمين ترجمت كثير من مؤلفاتهم إلى اللاتينية.

حيث ازدهرت طليطلة في هذا العصر في مجال ترجمة كتب المسلمين إلى اللاتينية خصوصاً عندما تولى أسقفيتها الأسقف رايموند (٥٢٦هـ ـ ٥٤٧هـ) الذي تولى بعنايته طائفة كبيرة من المترجمين، وكان يحفزهم على العمل بالعطايا والهبات[(٣)]. ثم الملك ألفونسو العاشر ويلقب بالحكيم ملك قشتالة (٦٥٠هـ ـ ٦٨٣هـ) الذي كان له دور كبير في التشجيع على ترجمة كتب المسلمين في الأندلس، بل إنه أنشأ معهداً لذلك[(٤)].

---

(١) الذيل على الروضتين في أخبار الدولتين، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي «أبو شامة» ١٩٤٧م، ص (٣٠٢).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢١/٢٠٧ ـ ٢١١).

(٣) انظر: فضل الإسلام على الحضارة الغربية، مونتجمري وات، ترجمة حسين أحمد أمين، ص (٨٤)، والحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، د. سعد بن عبدالله البشري، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، ص (٥٤١).

(٤) انظر: فضل الإسلام على الحضارة الغربية، مونتجمري وات، ترجمة حسين أحمد أمين، ص (٨٦).

ومن أشهر المترجمين في الأندلس في هذه الفترة: دومينيك جنديسالفي وكان من كبار رجال كنيسة طليطلة. ابن داود اليهودي الذي تنصر وسكن طليطلة[1]. جيرارد الكريموني الإيطالي الذي قدم من إيطاليا إلى طليطلة سنة ٥٤٥هـ لهذا الغرض، حيث ترجم ما يصل إلى مائة كتاب إلى اللاتينية[2].

وما من شك أن هذه الكتب التي نقلت إلى اللاتينية ومن ضمنها كتب الفلسفة بل إنها أهمها وأكثرها[3]، سيتعرف النصراني اللاتيني على الإسلام من خلالها، ومن ثم ماذا سيجد في هذه الفلسفات غير عقائد ملحدة تزيده حيرة وضلالاً. فصارت لذلك مثل هذه الكتب عقبة من عقبات الدعوة الموجهة للنصارى في هذه الفترة بما عرضته من عقائد باطلة حجبت عنهم الفهم الصحيح لعقائد الإسلام وشرائعه كما جاء بها النبيّ ﷺ، والتي ربما لو عرفها هؤلاء النصارى الذين عرفوها عن طريق الفلسفة كما جاءت لكان ذلك أدعى إلى هدايتهم للحق.

وكمثال على هذا التأثير ما ظهر لدى النصارى في الأندلس وجنوب أوربا في هذه الفترة حيث نشأ لديهم مدرسة فكرية فلسفية متأثرة بفلسفة ابن رشد تزعمها سيجر البراينتي حيث كان أصحاب هذه المدرسة يرون في تعاليم أرسطو ـ كما عرضها ابن رشد ـ علماً قائماً بذاته، وفناً مثالياً يجب أن يدرس كما هو دون مراعاة لما بينه وبين الدين من خلاف. حيث سمي هؤلاء بالرشديين[4].

ومثال آخر يوضح أثر الفلسفة والفلاسفة المسلمين كعقبة من عقبات الدعوة الموجهة إلى النصارى في هذه الفترة ما كان يعج به بلاط فريدريك الثاني ملك

---

(١) المصدر السابق، ص (٨٤).

(٢) انظر: المصدر السابق، ص (٨٤)، والحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، د. سعد بن عبدالله البشري، ص (٥٤٢ ـ ٥٤٣).

(٣) انظر: تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، د. عبد المنعم ماجد، ص (٢٨٢).

(٤) انظر: أوربا العصور الوسطى، د. سعيد عبد الفتاح عاشور (٢/ ٣٧٤).

صقلية من فلاسفة استقدمهم من العراق والشام[1]، حتى وصفه أحد الباحثين لمبلغ تسامحه وحبه لعلوم المسلمين وتأثره بها بقوله: «فريدريك الثاني الذي تربى على مبادىء المسلمين وتغذى بتعاليمهم»[2]. حيث كان يستدعي العلماء المسلمين من الأندلس وإفريقيا ويجادلهم في علوم الكلام، ومن ذلك الأسئلة التي وجهها لابن سبعين الذي أجاب عليها بما يعرف بالمسائل الصقلية، وكلها تتعلق بالأرواح وخلود النفس وقدم العالم والعلم الإلهي وغير ذلك[3]. حتى انتهى الأمر بهذا الملك لشدة اعتماده على المنطق وتأثره بالفلسفة بأنه كان يجاهر أمام الناس في وقته بأنه لا يمكن للإنسان أن يعتقد إلا ما يقبله العقل ويقوم الدليل على صحته وتشهد الوقائع على ثبوته[4].

حيث يوضح هذا المثال شدة تأثر فريدريك الثاني بالفلاسفة المسلمين وبعلم الفلسفة الذي شجع على ترجمته من اللغة العربية. هذا العلم الذي حرره من انحرافات الكنيسة وخزعبلات القسس، وحبَّبه بالمسلمين، لكنه لم يقرب الإسلام إليه، بل قدمه له بصورة مشوهة قائمة على تحرير العقل من سيطرة رجال الدين، واعتقاد أن تقدم المسلمين بالنسبة للنصارى في هذه الفترة راجع إلى مثل هذه العلوم.

قال أحد الباحثين: «... وكان للفلسفة العربية ولشروح العرب على فلاسفة اليونان النصيب الأوفر في تنبيه العقول وترغيب الناس في طلب العلم»[5].

---

(١) انظر: تاريخ الحضارة الإسلامية في صقلية وأثرها على أوربا، د. حامد زيان غانم، ص (١٣٤).

(٢) الخيبة الأدبية للسياسة الغربية في الشرق، أحمد رضا بك، ترجمة محمد بورقيبة وزميله، دار بوسلامة، تونس، الطبعة الثانية، ص (٢١٠).

(٣) انظر: المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، أحمد توفيق المدني، ص (١٨٠).

(٤) انظر: المرجع السابق، ص (١٨٠).

(٥) الخيبة الأدبية للسياسة الغربية في الشرق، أحمد رضا بك، ترجمة محمد بورقيبة وزميله، ص (٢١١).

نعم ربما يكون لهذه الفلسفة أثر في تحرير العقلية النصرانية في هذه الفترة من سيطرة الكنيسة ومحاربتها للعلم والعلماء جراء انحرافاتها العقدية والأخلاقية، لكن هذه الفلسفة قدمت الإسلام إلى العقلية النصرانية في ذلك الوقت بقالب فلسفي منحرف لا يمت إلى الإسلام الصحيح بصلة. لذلك ربما يكون هذا عقبة مانعة من قبول الإسلام لدى كثير من النصارى في هذه الفترة؛ لعدم عرض الإسلام عليهم عرضاً صحيحاً.

٢ ـ انتشار الفرق الكلامية:

من أعظم البدع وأخطرها في الإسلام بدعة علم الكلام وهو الخوض في العقائد والغيبيات على أسس منطقية وفلسفية والمبالغة في تقديم العقل على النقل في تناولها هذه البدعة التي ضل بسببها الكثير من الفرق حتى وصل الحال ببعضها إلى الخروج عن ملة الإسلام.

وقد كان لترجمة كتب الديانات الأخرى وفلسفة اليونان وحكمة الهند أثر كبير في ظهور الفرق الكلامية التي ضلت في العقيدة متأثرة بما استحدثه من هذه الفلسفات كالمعتزلة والأشاعرة وغيرهم.

وقد بدأت بوادر هذا الضلال مع بدايات الترجمة في القرن الثاني الهجري على يد عدد من المترجمين منهم عبدالله بن المقفع المتوفّى سنة **١٤٢**هـ، والذي ترجم في القرن الثالث الهجري كتب يوحنا بن البطريق والحجاج بن نصر وثابت ابن قرة الصابىء وغيرهم حيث ترجم هؤلاء كثيراً من كتب الفلسفة، وازدهرت لذلك هذه الحركة واشتد أثرها على عقائد الناس(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فعرب بعض كتب الأعاجم الفلاسفة من الروم والفرس والهند في أثناء الدولة العباسية ثم طلبت كتبهم في دولة المأمون من بلاد الروم فعربت ودرسها الناس وظهر بسبب ذلك من البدع ما ظهر»(٢).

---

(١) انظر: ما سبق بيانه في انتشار الفلسفة.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد (٢/ ٨٤).

وقد اشتد علماء السلف في الإنكار والتحذير من علم الكلام حماية للعقائد مما قد يتسرب إليها من شبه وضلال بسبب ذلك.

روي عن الإمام مالك[1] قوله: «من طلب العلم بالكلام تزندق»[2].

وقال الشافعي: «حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في العشائر ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنّة وأقبل على الكلام»[3].

وقال الإمام أحمد[4]: «علماء الكلام زنادقة وما ارتدى أحد بالكلام فأفلح»[5].

وقد كان من أبرز الفرق الكلامية في عصر الحروب الصليبية التي كان لها

---

(١) هو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي المدني، إمام دار الهجرة وعالمها، ولد سنة ٩٣هـ بالمدينة، وتوفي بها سنة ١٧٩هـ. من كتبه: الموطأ في الحديث، ورسالة في الرد على القدرية وفي تفسير غريب القرآن، وغير ذلك.
انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٨/ ٤٨)، وما بعدها. والديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، إبراهيم بن علي بن فرحون، تحقيق د. محمد الأحمدي أبو النور (١/ ٨٢) وما بعدها.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد (٦/ ٢٤٣).

(٣) ذم الكلام وأهله، عبدالله بن محمد الهروي، تحقيق عبدالله بن محمد الأنصاري، دار الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ (٤/ ٢٩٤).

(٤) هو إمام أهل السنة أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني، أصله من مرو ومولده في بغداد سنة ١٦٤هـ، ورحل في طلب العلم حتى نبغ فيه، من مصنفاته: المسند، والناسخ والمنسوخ وفضائل الصحابة، وغيرها. وكانت وفاته سنة ٢٤١هـ.
انظر: طبقات ابن سعد، محمد بن سعد (٧/ ٣٥٤)، وما بعدها. وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١١/ ١٧٧) وما بعدها.

(٥) سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٦/ ٢٤٣)، وتبيين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري، علي بن الحسن بن عساكر، تعليق زاهد الكوثري، دار الكتاب العربي، ١٣٩٩هـ، ص (٣٣٤).

نفوذ وانتشار في البلاد الإسلامية الأشاعرة، الذين ينسبون إلى أبي الحسن علي بن إسماعيل بن عبدالله الأشعري حيث يتصل نسبه بنسب الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري، والذي ولد سنة **٢٦٠هـ**، وكانت وفاته سنة **٣٢٤هـ**[١]، حيث نشأ معتزلياً فلما برع في معرفة الاعتزال كرهه وتبرأ منه[٢]، وكان ذلك في حوالي سنة **٣٠٠هـ**[٣]. حيث صار يرد على المعتزلة وفق أساليبهم الكلامية ومن خلال نصوص الكتاب والسنّة حتى ألجمهم.

قال ابن تيمية: «هذا أبو الحسن الأشعري نشأ في الاعتزال أربعين عاماً يناظر عليه ثم رجع عن ذلك وصرح بتضليل المعتزلة وبالغ في الرد عليهم»[٤].

ثم وفقه الله تعالى بأن رجع عن أقواله في الصفات وغيرها التي سلك فيها مسلك التأويل إلى مسلك أهل السنّة والجماعة وقرر ذلك في كتابه الإبانة عن أصول الديانة[٥].

فالأشاعرة ينسبون إلى أبي الحسن الأشعري بعد خروجه من الاعتزال وقبل التزامه بمنهج أهل السنة والجماعة في الصفات.

وتتلخص أهم آراء الأشاعرة في تأويل الصفات خاصة الصفات الخبرية كاليد والعين والوجه والاستواء والنزول والمجيء والرضا والغضب ونحوها[٦].

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٥/ ٨٥ ـ ٨٦).

(٢) انظر: المصدر السابق (١٥/ ٨٦).

(٣) انظر: تبيين كذب المفتري، ابن عساكر الدمشقي، تعليق زاهد الكوثري، ص (٣٨) وما بعدها.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد (٤/ ٧٢).

(٥) لبيان تفصيل عقيدة أبي الحسن الأشعري التي استقر عليها، راجع كتاب الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري ومقدمة الشيخ حماد الأنصاري على هذا الكتاب، نشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، ١٤٠٩هـ.

(٦) انظر: أساس التقديس، محمد بن عمر الرازي، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤٠٦هـ، ص (١٣٦)، وما بعدها.

ولا يقرون إلا بسبع صفات هي الحياة والكلام والبصر والعلم والإرادة والسمع والقدرة لدلالة العقل عليها[1].

ولهم آراؤهم في التوحيد والقرآن والإيمان والنبوات وغير ذلك مما خالفوا فيه أهل السنة.

وفي عصر الحروب الصليبية كانت العقيدة السائدة التي تدعمها السلطة خاصة في العراق والشام هي العقيدة الأشعرية.

وقد كان من أبرز أئمتها في ذلك العصر الغزالي المتوفّى سنة ٥٠٥هـ ومحمد بن عمر الرازي المتوفّى سنة ٦٠٦هـ والآمدي المتوفّى سنة ٦٣١هـ[2]، بل لا تكاد تخلو مؤلفات كثير من العلماء الأجلاء في هذه الفترة والذين كانت لهم جهود كبيرة في مختلف الفنون والعلوم من ظهور بعض العقائد الأشعرية في مؤلفاتهم كالعز بن عبد السلام، والنووي، وابن عساكر[3]، والقرافي،

---

(١) انظر: التدمرية، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. محمد بن عودة السعوي، ص (٣١ ـ ٣٣).

(٢) هو علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الآمدي الشافعي، ولد سنة نيف وخمسين وخمسمائة، وكانت وفاته بدمشق سنة ٦٣١هـ. برع في الأصول حتى اتهم بمذهب الأوائل والتعطيل، وله مصنفات كثيرة منها: أبكار الأفكار، ومنتهى السول في الأصول وغير ذلك.

انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢٢/ ٣٦٤ ـ ٣٦٥)، والبداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٣/ ١٥١).

(٣) هو علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر، الدمشقي، مؤرخ، محدث، حافظ، ولد بدمشق سنة ٤٩٩هـ ووفاته بها سنة ٥٧١هـ. له الكثير من المصنفات في التاريخ والحديث، منها: تاريخ دمشق والإشراف على معرفة الأطراف في الحديث، وكشف المغطى في فضل الموطأ وغير ذلك.

انظر: طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق عبد الفتاح الحلو وزميله (٧/ ٢١٥)، وما بعدها. وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢٠/ ٥٥٤)، وما بعدها.

والجعفري، والخزرجي وابن العربي[1] وغيرهم.

ولسيادة طريقة الأشاعرة في العقيدة ابتلي أهل السنة المنافحين عن طريقة السلف بذلك حتى ضيق عليهم وأوذوا ووصفوا بالمجسمة والمشبهة وغير ذلك من الأوصاف، وحدثت لذلك الكثير من الفتن. ومن ذلك اجتماع فقهاء الأشاعرة في دمشق لمناقشة عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي المتوفّى سنة ٦٠٠هـ في مسائل من الصفات والذي كان منافحاً عن اعتقاد السلف وله الكثير من المؤلفات في ذلك منها: الصفات واعتقاد الشافعي وغيرهما، ثم استعداء نائب قلعة دمشق عليه الذي أخرجه من البلد حيث ارتحل إلى بعلبك ثم إلى مصر حيث أخذ الأشاعرة هناك ينالون منه ويغرون السلطة به وأنه يفسد عقائد الناس حتى هم الملك الكامل بإخراجه من مصر حيث اعتقل أسبوعاً ثم أطلق[2].

وقبل ذلك في سنة ٥٩٥هـ اشتد فقهاء الأشاعرة في مصر ضد الحنابلة حتى عزم العزيز[3] على إخراجهم من مصر لكنه مات قبل ذلك[4].

وفي سنة ٦٣٣هـ وقعت فتنة كبيرة في دمشق بين الشافعية والحنابلة حيث

---

(١) يقول ابن تيمية عن أمثال هؤلاء من الأشاعرة الأوائل: «... فإن الواحد من هؤلاء له مساع مشكورة في نصر ما نصره من الإسلام والرد على طوائف من المخالفين لما جاء به الرسول، فحمدهم والثناء عليهم بما لهم من السعي الداخل في طاعة الله ورسوله، وإظهار العلم الصحيح... وما من أحد من هؤلاء ومن هو أفضل منه إلا وله غلط في مواضع». درء تعارض العقل والنقل، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. رشاد سالم، إصدار جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٣٩٩هـ، (٨/ ٢٧٥).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢١/ ٤٦٠ ـ ٤٦١).

(٣) هو عثمان بن يوسف بن أيوب التكريتي، ولد سنة ٥٦٧هـ وتملك بعد أبيه صلاح الدين في مصر، وكان لا بأس بسيرته، مات سنة ٥٩٥هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢١/ ٢٩١ ـ ٢٩٤)، والبداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٣/ ٢٠).

(٤) انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٣/ ٢٠).

تعصب العز بن عبد السلام على الحنابلة بسبب العقائد حتى استعدى عليهم السلطة[١].

وامتدت فتنة الناس بالعقيدة الأشعرية إلى بلاد المغرب والأندلس بعد زوال حكم المرابطين وسيطرة الموحدين على هذه المناطق حيث حملوا الناس على هذه العقيدة والقول بالتأويل رغم إنكار علماء المغرب والأندلس لذلك.

حيث جاء داعي الموحدين الأول وهو محمد بن تومرت الملقب بالمهدي إلى شرق الدولة الإسلامية والتقى بالغزالي وغيره من علماء الأشاعرة حيث أعجب بهم وأخذ عنهم، وحينما عاد إلى بلاد المغرب دعىٰ إلى هذه العقيدة وجمع الأنصار حوله حتى أسس دعوة الموحدين ثم قيام دولتهم في المغرب وامتدادها إلى الأندلس. وكان ذلك على إثر إسقاطهم دولة المرابطين السلفية التي وصفوا أئمتها بالتجسيم والتشبيه لتنفير الناس منها، حيث كان ذلك في النصف الأول من المائة السادسة من الهجرة، وكان ابن تومرت في بداية دعوته لما رأى رفض علماء المغرب والأندلس وعامتهم لعقيدته الأشعرية ألف في ذلك كتاباً أسماه ـ أعز ما يطلب ـ ضمنه هذه العقيدة الباطلة حيث كان يدرسه بنفسه ثم من بعده أتباعه، وانتقلت بعد ذلك الدعوة إلى هذه العقيدة ونشرها إلى استخدام سلطات الدولة من قضاء وتدريس وما شابه ذلك[٢].

وما من شك في أن تسلل طريقة أهل الكلام إلى العقائد في هذه الفترة خاصة طريقة الأشاعرة وتأثر كثير من علماء هذا العصر بها كان له أثره في تعويق الدعوة الموجهة من المسلمين إلى النصارى في هذه الفترة وذلك من خلال ما يلي:

أ ـ أن كثيراً من علماء أهل السنّة صرف همه وعلمه ووقته في الرد عليهم ومناظرتهم[٣] لفشو مذهبهم حتى ظن العامة أنه المذهب الحق، ولمناوئة كثير من

---

(١) تاريخ الإسلام، محمد بن أحمد الذهبي، الطبقة الرابعة والستون، ص (٢٥٤).

(٢) انظر: العبر، عبد الرحمن بن خلدون (٦/ ٢٢٥ ـ ٢٣٥).

(٣) سيأتي الحديث عن شيء من جهود علماء السنة ضد الأشاعرة في هذه الفترة.

علمائهم لعلماء أهل السنّة ووصفهم إياهم بالتجسيم والتشبيه، وهذا الأمر قد يكون سبباً في شغل علماء الحق عن دعوة النصارى في هذه الفترة، وذلك لأن هؤلاء النصارى كفرهم لا جدال فيه وضلالهم ظاهر للعامة. أما هؤلاء فلطريقتهم المنحرفة في أهم ما يهم المسلم وهو عقيدته ولتلبيسهم على العامة في التحذير من علماء أهل السنّة فمن هذا الباب قد يكون خطرهم أشد لما يترتب عليه من ضلال وانحراف لا يدركه العامة ثقةً منهم بأمثال هؤلاء العلماء من المسلمين الذين سلكوا هذه الطريقة.

ب ـ وكثير من العلماء الذين تأثروا بطريقة الأشاعرة وكان لهم جهود في دعوة النصارى ورد شبهتهم وفضح ضلالاتهم لم يوفقوا في عرض بعض عقائد الإسلام على النصارى وأهمها التوحيد. وضعُف نقدهم لأهم عقائد النصارى وهو التثليث وذلك للأصول الكلامية التي بنوا عليها مناقشاتهم وردودهم. وما قد يكون في ذلك من قصور في عرض العقيدة الصحيحة على النصارى ومن ثم ما يؤدي إليه ذلك من ضعف الاستجابة.

فمثلاً حينما ناقش الرازي أحد النصارى في توحيد الله سبحانه وتعالى بنى طريقته في تقرير ذلك على أصول المتكلمين من النفي المفصل والإثبات المجمل وذلك في قوله: «. . . ويدل عليه أن الإله عبارة عن موجود واجب الوجود لذاته بحيث لا يكون جسماً ولا متحيزاً ولا عرضاً. . .»(١). هذه الطريقة تؤدي في النهاية إلى النتيجة التي وصل إليها غلاة الفلاسفة من إثبات وجود مطلق بشرط الإطلاق لا حقيقة له عند النظر.

وحينما ناقش القرافي أحد قساوسة النصارى في كلام الله لموسى عليه السلام خلص إلى نتيجة أن هذا الكلام إنما هو كلام نفسي ليس بحرف ولا صوت(٢).

ثم في مناقشته لأحد القساوسة في عقيدة التثليث نفى الصفات عن الله سبحانه وتعالى، فلا يثبت إلا السبع التي دل عليها العقل بناء على طريقته

---

(١) عيون المناظرات، عمر السكوني، تحقيق: سعد غراب، ص (٢٨٤).

(٢) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (٩١).

الكلامية في ذلك وذلك بقوله: «... وإن قلتم إن الإله واحد وصفاته العلم والحياة والإرادة والكلام والقدرة والسمع والبصر»[(١)]. وبمثل ذلك قال الجعفري في مناقشته لعقيدة التثليث[(٢)].

وشبَّه بعضهم في رده على النصارى تحريفهم لكتبهم بعد عيسى عليه السلام بفعل من يثبت الصفات لله سبحانه وتعالى على ما يليق بجلاله جلّ وعلا، وذلك بقوله: «وهذا ـ أي تحريف النصارى ـ كما هفا قوم في لفظ الاستواء والنزول إلى سماء الدنيا، ولفظ الوجه، والعين، واليد، والقدم، وغير ذلك فحملوا الأمر في هذه التسميات على ما يبتدر إلى أفهام العوام فزلوا»[(٣)].

وتتكرر كثير من المصطلحات الفلسفية والكلامية في مناقشات بعض هؤلاء العلماء وردودهم على النصارى كالعرض، والجوهر، والقديم، وواجب الوجود، والسلوب[(٤)] وغير ذلك.

ولا شك أن هذه الطريقة الكلامية تَذهب بصفاء العقيدة وبساطتها الموافقة للفطرة البشرية السليمة إلى تعقيدات فلسفية تزيد من غموضها وعدم فهمها وما يترتب على ذلك من تعمية الحق على المخاطب ـ وهم النصارى ـ، ومن ثم تأخير القبول أو رفضه بالكلية.

جـ ـ وشَغْل هؤلاء العلماء الذين سلكوا طريقة الأشاعرة أنفسهم بمناقشة علماء السنة في الصفات ومضايقتهم والرد عليهم إثباتاً لباطلهم فيه صرف لجهودٍ كبيرةٍ منهم في باطل لا طائل من ورائه كان الأولى أن تصرف هذه الجهود في دعوة النصارى ودحض باطلهم.

---

(١) المصدر السابق، ص (١١١).

(٢) انظر: الرد على النصارى، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمد محمد حسانين، ص (٧٩).

(٣) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (١/ ٩١ ـ ٩٢).

(٤) انظر مثلاً: مناظرة الرازي لأحد قساوسة النصارى في عيون المناظرات، ص (٢٨٤). ومناقشة عقيدة التثليث لدى النصارى للقرافي في كتابه الأجوبة الفاخرة، ص (١١١).

رابعاً: التصوف وانتشار البدع:

التصوف نسبة إلى الصوفية التي ظهرت في المجتمع الإسلامي في بدايتها بلباس الزهد والتواضع والعبادة وذلك في المائة الثانية من الهجرة. حيث غلب على هؤلاء الزهاد لبس الخشن من الصوف. وهذا سبب تسميتهم بالصوفية، وليس نسبة إلى الصفة أو الصفاء أو الصف الأول أو إلى رجل يقال له صوفة(١).

إلا أن هذا المصطلح لم يشتهر إلا بعد القرن الثالث الهجري(٢)، وأول ما ظهرت الصوفية في البصرة، وأول من بنى دويرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد من أصحاب الحسن البصري وكان مبالغاً في الزهد والعبادة والخوف(٣)، والذي مات بعد ١٥٠هـ(٤).

ثم إنه بعد ذلك تشعب التصوف وتنوع متخذاً درجات بين الزهد وكثرة العبادة لله جلّ وعلا وبين بعض صوره ممن خرج عن الإسلام بالكلية ممن يقول بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود(٥).

وفي عصر الحروب الصليبية كان التصوف منتشراً في أجزاء واسعة من البلاد الإسلامية بدرجات متفاوتة، وكان للبدع الصوفية وغيرها ظهور واضح.

فانتشرت زواياهم وخوانقهم وهي التي وضعوها للتخلي فيها من أجل

---

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد (١١/ ٢٩).

(٢) انظر: المصدر السابق (١١/ ٥).

(٣) انظر: المصدر السابق (١١/ ٦).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٧/ ١٨٠).

(٥) للتوسع حول نشأة التصوف وأحوال الصوفية انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، المجلد العاشر، والحادي عشر. وهذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٤م، ودراسات في التصوف، إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور، ١٤٠٩هـ، ونشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، د. عرفان عبد الحميد فتاح، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٤هـ.

العبادة والتصوف[1]. وكان يرتب لساكنيها في الشام مثلاً العطاء والأكل والشرب[2].

وبرز الاتجاه الصوفي الفلسفي والتي من أبرز عقائده القول بالحلول[3] والاتحاد[4]، ووحدة الوجود[5]، والفيض[6]، والكشف[7]، والإشراق[8]، وما إلى ذلك من العقائد الباطلة.

---

(١) انظر: السلوك لمعرفة دول الملوك، أحمد بن علي المقريزي، تحقيق محمد مصطفى زيادة (١/ ١٨٢).

(٢) انظر: المصدر السابق (١/ ١٨٢).

(٣) الحلول هو اختصاص شيء بشيء بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما عين الإشارة إلى الآخر، وهو عند بعض الصوفية يعني أن يحل الله تعالى في العارفين.
انظر: كشاف اصطلاحات الفنون، محمد بن علي التهانوي، وضع حواشيه أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م، (١/ ٤٧٧).

(٤) الاتحاد عند الصوفية هو عبارة عن شهود وجود واحد مطلق من حيث إن جميع الأشياء موجودة بوجود ذلك الواحد معدومة في أنفسها لا من حيث إن لما سوى الله تعالى وجوداً خاصاً به يصير متحداً بالحق، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.
انظر: كشاف اصطلاحات الفنون، محمد بن علي التهانوي (٤/ ٣١٠).

(٥) وحدة الوجود تعني عند الصوفية الغلاة مجلى ظهرت الذات فيها صفة، والصفة ذاتاً، فبهذا الاعتبار ظهر كل من الأوصاف عين الأخرى، فالعالم بما فيه إنما هو التجلي الإلهي الدائم الذي كان ولا يزال. فكل شيء هو الله واختلاف الموجودات هو اختلاف في الصور والصفات مع توحد في الذات.
انظر: كشاف اصطلاحات الفنون، محمد بن علي التهانوي (٤/ ٣٠٨) والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (٢/ ١١٧٨).

(٦) الفيض عند الصوفية عبارة عن ما يفيده التجلي الإلهي. أو هو فيض الحق سبحانه وتعالى الذي هو واسطة الروح العظمى. فمن هذا الفيض ظهرت جميع الأرواح والنفوس.
انظر: كشاف اصطلاحات الفنون، محمد بن علي التهانوي (٣/ ٤٣٩ ـ ٤٤٠).

(٧) الكشف: عند الصوفية هو الكشف عن حقائق الوجود بارتفاع الحجب الحسية عن عين القلب وعين البصر.
انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (١/ ٢٦٥).

(٨) الإشراق: ويعني أن مصدر الكون هو النور فهو يعبر عن الله سبحانه وتعالى بالنور الأعلى

وكان من أعلام هذا الاتجاه شهاب الدين السهروردي الذي قتله صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٧هـ[١]. وكان صاحب مدرسة الإشراق.

ومحمد بن علي بن عربي الملقب بالشيخ الأكبر، ولد بالأندلس ومات بدمشق سنة ٦٣٨هـ، رئيس مدرسة وحدة الوجود، حيث نشر التصوف الفلسفي بالأندلس. ومن أبرز كتبه التي تفصح عن عقيدته الباطلة كتاب الفتوحات المكية، وفصوص الحكم وغير ذلك[٢].

وابن سبعين الصوفي المتفلسف[٣] الذي تشرب عقيدة الحلاج.

وأبو الحسن علي بن عبدالله الشاذلي نسبة إلى شاذلة قرب تونس صاحب الطريقة الشاذلية الذي غلا بالكشف، المتوفّى سنة ٦٥٦هـ[٤].

وعمر بن الفارض المتوفّى في مصر سنة ٦٣٢هـ وهو من أصحاب الحلول والاتحاد ووحدة الوجود كما يتضح ذلك من تائيته المشهورة المملوءة بالزندقة والضلال[٥].

وانتشرت في هذه الفترة الطرق الصوفية في شتى البلاد الإسلامية منها على سبيل المثال:

ويصف العوالم بأنها أنوار مستمدة من النور الأول والمعرفة الإنسانية إلهام من العالم الأعلى يصل بواسطة عقول الأفلاك.

انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (٢/ ٩٦٨).

(١) انظر: ما سبق عرضه في هذا المبحث في أثر انتشار الفلسفة وعلم الكلام.

(٢) انظر: فصوص الحكم، محمد بن علي بن عربي، تعليق د. أبي العلاء العفيفي، دار الكتاب العربي بيروت، والفتوحات المكية للمؤلف نفسه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٥هـ.

(٣) انظر: ما سبق عرضه هذا المبحث في أثر انتشار الفلسفة والفرق الكلامية.

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢٢/ ٣٦٨)، والبداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٣/ ١٥٤).

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢٢/ ٣٦٨)، وما بعدها.

الطريقة القادرية المنسوبة إلى عبد القادر الجيلاني المتوفّى في بغداد سنة ٥٦١هـ. وكانت له أحوال ومكاشفات أكثرها مغالاة[١] وقد انتشرت طريقته في إفريقيا والعراق وبلاد السند[٢].

والطريقة الرفاعية في العراق وصاحبها أحمد بن علي الرفاعي المتوفّى سنة ٥٧٨هـ. ولأتباعه أحوال عجيبة من أكل الحيات وهي حية والدخول في التنانير وهي تضطرم إلى غير ذلك[٣].

والطريقة السهروردية في حلب نسبةً إلى يحيى بن حبشي السهروردي الفيلسوف صاحب مدرسة الإشراق الفلسفية الذي قتل بحلب لضلاله سنة ٥٨٧هـ[٤]. والطريقة المولوية نسبةً إلى محمد بن محمد جلال الدين الرومي المتوفّى في قونية سنة ٦٧٢هـ شاعر متصوف زاهد، وفي شعره ما يدل على قوله بالاتحاد والحلول، وطريقته تنتشر في أجزاء من الأناضول[٥].

والطريقة الشاذلية وصاحبها أبو الحسن الشاذلي المتوفّى سنة ٦٥٦هـ في صحراء عيذاب بمصر في طريقه للحج، وقد بدأت طريقته بالمغرب، وانتشرت في مصر[٦]. إلى غير ذلك من الطرق الصوفية.

---

(١) انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد الحنبلي (٤/ ١٩٨)، وللتعريف بالجيلاني انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢٠/ ٤٣٩)، والمنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله (١٨/ ١٧٣).

(٢) للتوسع حول الطريقة القادرية انظر: دراسات في التصوف، إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور، ١٤٠٩هـ، ص (٢٤٩) وما بعدها.

(٣) انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٢/ ٣٣٣).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢١/ ٢٠٧) وما بعدها.

(٥) انظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، عبد القادر بن محمد القرشي، حيدرآباد، ١٣٣٢هـ، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي (١/ ٣٧١).

(٦) انظر: المدرسة الشاذلية وإمامها أبو الحسن الشاذلي، د. عبد الحليم محمود، دار

وقد كان من أكثر بدع الصوفية انتشاراً في ذلك الوقت بدعة المولد النبويّ ليس على مستوى عامة الناس وجهالهم بل وحتى من قبل بعض الولاة والقادة، حيث تقام في هذه المناسبة الاحتفالات مع ما يصاحب ذلك من بذخ وإسراف وفجور في بعض الأحيان.

فقد كان السلطان كوكبري بن علي بن بكتكين التركماني صاحب إربل المتوفّى سنة ٦٣٠هـ يقيم الاحتفالات العظيمة في ذلك ويقصده الناس من العراق والجزيرة، وتنصب القباب لذلك وتزين[١]، ويعطل للناس بهذه المناسبة ويؤتى بالملاهي وأرباب الخيال وهم الممثلون[٢].

وبدعة البناء على القبور وتزيينها وتعظيمها لا يكاد يسلم منه قطر من الأقطار الإسلامية، فقد وصف ابن جبير كثرة القباب وزخرفتها في بقيع الغرقد في المدينة النبوية حينما زارها في هذه الفترة[٣]. وما يكون عند قبر النبيّ ﷺ من التبرك به وطلب الشفاعة منه. ومن ذلك أن مقدم الشافعية حينما انتهى من مجلس وعظه وبعد أن أبكى الحضور طلب منهم أن يكشفوا رؤوسهم ويبسطوا أيديهم ضارعين للنبيّ ﷺ أن يرضى عنه، ويسترضي الله عزّ وجلّ له. حيث تضرع الناس للنبيّ ﷺ خاشعين باكين[٤].

وقال ابن جبير عما شاهده من ذلك في القاهرة واصفاً مشهد الحسين: «قد بني عليه بنيان حفيل يقصر الوصف عنه ولا يحيط الإدراك به، مجلل بأنواع الديباج... وعلقت عليه قناديل فضة وحف أعلاها كله بأمثال التفافيح ذهباً»[٥].

الكتاب الحديث، القاهرة. ودراسات في التصوف، إحسان إلهي ظهير، ص (٢٣٥) وما بعدها.

(١) انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢٢/٣٣٦) وقال عنه: «كان متواضعاً خيراً... يحب الفقهاء».

(٢) انظر: تاريخ الإسلام، محمد بن أحمد الذهبي، الطبقة الثالثة والستين، ص (٣٧٧).

(٣) انظر: رحلة ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير، ص (١٧٤).

(٤) انظر: المصدر السابق (١٧٧ ـ ١٧٨).

(٥) رحلة ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير، ص (١٩).

ثم تحدث عما يفعله الناس حوله: «وشاهدنا من استلام الناس للقبر المبارك وإحداقهم فيه وانكبابهم عليه وتمسحهم بالكسوة التي عليه وطوافهم حوله مزدحمين داعين باكين متوسلين إلى الله سبحانه وتعالى ببركة التربة المقدسة. . . »(١).

ثم سرد المشاهد الكثيرة في القاهرة وما حولها لآل البيت وبعض الصحابة والعلماء والزهاد. حيث وكل بها من يقوم على شؤونها(٢).

وفي الرملة بفلسطين اشتهر عند العامة قبر يزعمونه لأبي هريرةرضي الله عنه حيث يقصدونه يتيمنون به ويتبركون بتربته(٣).

ومن البدع المنتشرة في هذه الفترة بدعة القراءة عند الجنازة والجلوس للعزاء مدة وتخصيص وعاظ لذلك.

ففي دمشق وغيرها من بلاد الشام ذكر ابن جبير أن لهم تراتيب خاصة في الجنائز. فمن ذلك القراءة بتلحين أمامها والعناية بالعزاء وإقامة ما يشبه الاحتفال في ذلك وجلب الوعاظ لهذا الغرض(٤).

وفي بغداد كانت تقام اجتماعات العزاء، ولها وعاظ تخصصوا لذلك. كنصر بن نصر بن علي بن يونس العكبري المتوفّى سنة ٥٥٢هـ الذي قال عنه ابن الجوزي: «. . . وعظ المشايخ ويتخيره الناس لعمل الأعزية»(٥).

ومن البدع التي رآها ابن جبير في مكة وما حولها العمرة الرجبية التي توارثوها عن الجاهلية تعظيماً لشهر رجب حيث تكون في أوله. ثم بعد الفراغ

---

(١) المصدر السابق، ص (٢٠).

(٢) انظر: المصدر السابق، ص (٢٠ ـ ٢٣).

(٣) انظر: الروضتين في أخبار الدولتين، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي المعروف «أبو شامة» (٢/ ١٩١).

(٤) انظر: رحلة ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير، ص (٢٦٧).

(٥) المنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله (١٨/ ١٢٣).

منها يخرج الجميع في احتفال عظيم وما يصاحب ذلك من اللعب بالرماح والسيوف والسباق وغير ذلك[1].

وعن ليلة النصف من شعبان قال ابن جبير: «فشاهدنا ليلة السبت التي هي ليلة النصف حقيقة احتفالاً عظيماً في الحرم المقدس إثر صلاة العتمة، جعل الناس يصلون فيها جماعات جماعاتٍ، تراويح يقرأون فيها بفاتحة الكتاب وبـ«قل هو الله أحد» عشر مرات في كل ركعةٍ إلى أن يكملوا خمسين تسليمة بمائة ركعة[2].

ومما رآه ابن جبير في بلاد الشام المبالغة في تعظيم الولاة والعلماء وإطلاق الألقاب التي لا يستحقها الكثيرون منهم كقولهم: صدر الدين، أو شمسه، أو بدره، أو نجمه، أو زينه، أو بهاؤه، أو جماله، أو مجده، أو فخره، أو شرفه، أو معينه، أو محييه، أو زكيه، أو نجيبه، إلى غير ذلك. ثم ألقاب الفقهاء: كسيد العلماء، وجمال الأمة، وحجة الإسلام، وفخر الشريعة، وشرف الملة إلى غير ذلك[3].

وفي خطب الجمعة ابتدع الناس في ذلك الوقت أموراً كثيرةً شاهد بعضها ابن جبير في المدينة وبغداد وغيرها. كجمع المال للخطيب أثناء الخطبة، وقراءة القرآن بعد صعود الإمام على المنبر وقبل ابتداء الخطبة[4].

وكان الوعاظ والأئمة بعد انتهاء الوعظ والدروس يتقدم إليهم التائبون فيجزون نواصيهم ويمسحون على رؤوسهم ويدعون لهم[5].

ولما شاهده ابن جبير في رحلته بالحجاز والعراق والشام ومصر من سوء الأحوال وانتشار البدع قال: «. . . وليتحقق المتحقق ويعتقد الصحيح الاعتقاد أنه

(١) انظر: رحلة ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير، ص (١٠٧ ـ ١٠٩).

(٢) المصدر السابق، ص (١١٩ ـ ١٢٠).

(٣) انظر: المصدر السابق، ص (٢٦٨ ـ ٢٦٩).

(٤) انظر: المصدر السابق، ص (١٨٩ ـ ١٩٧).

(٥) انظر: المصدر السابق، ص (١٧٨ ـ ١٩٧).

لا إسلام إلا ببلاد المغرب لأنهم على جادة واضحة لا بنيات لها، وما سوى ذلك مما بهذه الجهات المشرقية فأهواء وبدع وفرق ضالة وشيع إلا من عصم الله عزّ وجلّ من أهلها...»[١].

وهكذا فإن التصوف من عقبات دعوة المسلمين للنصارى في هذه الفترة، وذلك لما يؤدي إليه عند عامة المسلمين من تواكل ودعة وتعلق بأوهام الأولياء والاعتقاد بنفعهم، ومن ثم الركون إلى ذلك وانعدام التوكل على الله وترك الأخذ بالأسباب في مجال الدعوة والجهاد. حتى شاع في ذلك الوقت المبالغة في نسبة الكرامات وخوارق العادات إلى كثير من العلماء والزهاد وأصحاب الطرق.

ومن ذلك الاعتقاد بأن السيد أحمد البدوي المتصوف المتوفّى في طنطا بمصر سنة ٦٧٥هـ[٢] كان قادراً على إحضار الأسرى المسلمين من عكا وتخليصهم من الصليبيين وهو فوق سطح في طنطا، حيث يطير الأسير وفي لحظات يكون عند أهله[٣].

وكان أحدهم من الزهاد المنقطعين، طلب منه أحد أبنائه الصغار غزالاً وألحّ عليه، فقال الأب الزاهد: غداً يأتيك الغزال فلما كان الغد وإذا بالغزال يضرب بقرنيه الباب كرامةً لهذا الزاهد[٤].

وقابل أحد الزهاد نصرانياً معه جرة خمر وبعد مناقشة معه ودعاء له انقلب الخمر في الجرة خلاً، فأسلم النصراني[٥].

ولا شك أن فشو البدع في حياة المسلمين من موانع قبول الإسلام لدى غير

---

(١) المصدر السابق، ص (٥٥ ـ ٥٦).

(٢) انظر: السيد أحمد البدوي شيخ وطريقة، سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، ص (١٦٠).

(٣) انظر: النجوم الزاهرة، يوسف بن تغري بردي، (٧/ ٢٥٢).

(٤) انظر: المنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله (١٧/ ٧١).

(٥) انظر: تاريخ الإسلام، محمد بن أحمد الذهبي، الطبقة الثانية والستون، ص (٣٠٩).

المسلمين، وذلك اعتقاداً من هؤلاء أن هذه البدع هي الإسلام. وكمثال على ذلك ما كان شائعاً لدى الولاة في مصر خصوصاً في عهد العبيديين من تقبيل الأيدي والأرجل بل وتقبيل الأرض في حضرة أحدهم حيث علق أحد قساوسة النصارى في هذه الفترة وكتابهم بقوله: «إن ذلك لا يليق إلا بالمعبود»(١).

ولربما كان اتهام النصارى للمسلمين بالوثنية في فترة الحروب الصليبية لما عهدوه وعرفوه من بدع الصوفية من تقديس الأشخاص والقبور، والأضرحة وما شابه ذلك.

ثم إن التصوف في جوانب منه موافق لرهبانية النصارى التي عرفوها في بلدانهم ونقموا على كثير من رجال الدين بسببها لما عرفوه منهم من الفجور والتكالب على الدنيا وهم يتلبسون بلباس الرهبانية.

والتصوف الفلسفي له أثره السيىء بعقائده الباطلة كالحلول والاتحاد ووحدة الوجود والكشف وغير ذلك في إبراز أصحابه لدى النصارى على أنهم من علماء المسلمين ويمثلون الإسلام بعلمهم وكتاباتهم التي نُقل الكثير منها إلى اللاتينية وراجت لدى النصارى الذين سيفهمون الإسلام من خلالها، ومن ثم ما تعطيه هذه الفلسفات من فهم مغلوط لا يمثل الإسلام الصحيح.

وانتشار الطرق الصوفية ببدعها المختلفة عامل ضعف كبير في المجتمع المسلم، حيث يعمل ذلك على خلخلة بنائه وتماسكه خاصة من الناحية الفكرية، ومن ثم ضعفه عن مقاومة ما قد يتسرب إليه من غيره خصوصاً من النصارى في هذه الفترة.

والصوفية ببدعها المختلفة صرفت جهوداً كبيرةً من علماء السنّة في هذه الفترة في كشف باطلها والتحذير من بدعها، هذه الجهود التي كانت الأمة بأمسّ الحاجة إليها في دعوة غير المسلمين خصوصاً النصارى لظهورهم وتسلطهم في هذه الفترة.

---

(١) الحروب الصليبية، وليم الصوري، ترجمة: د. حسن حبشي، (٤/ ٤٧) وما بعدها.

المطلب الثاني

اضطراب الأحوال الداخليـــة

عانت البلاد الإسلامية خلال فترة الحروب الصليبية في كثير من أجزائها من صراع الولاة والقادة على مناطق النفوذ، وكيد بعضهم لبعض حتى وصل الأمر ببعضهم إلى الاستعانة بالنصارى الغازين للبلاد الإسلامية ضد إخوانهم.

ونتيجة لهذه الخلافات والصراعات بين الولاة والقادة اختل الأمن وتقطعت السبل وخاف الناس حتى في بيوتهم، وعاث المفسدون في الأرض سلباً ونهباً وقتلاً.

ففي العراق مثلاً: يشتد الخلاف أحياناً بين قادة السلاجقة والخلفاء العباسيين، أو بين السلاطين أنفسهم حتى يصل الأمر إلى القتال في بعض الأحيان، وما ينتج عن ذلك من استغلال بعض الطامعين من صغار الأمراء والقادة وحتى الأعراب؛ فيثيرون الشغب ويحصل السلب والنهب والاضطراب.

فمثلاً في سنة ٥٢١هـ دخل عسكر السلطان محمود السلجوقي ببغداد، واقتحموا دار الخليفة المسترشد بالله ونهبوها، وحدث قتال بين عسكر السلطان وعسكر الخليفة وعمت الفوضى مدينة بغداد(١).

---

(١) انظر: المنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله (١٧/ ٢٤٢). والبداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٢/ ٢١١).

وفي سنة ٥٥١هـ قدم السلطان السلجوقي محمد بن محمود بن ملك شاه[(١)] إلى بغداد وحاصرها طلباً للسلطنة ووقع القتال بينه وبين الخليفة العباسي المقتفي[(٢)(٣)]، «وأصاب الناس بعد ذلك القتال مرض شديد، وموت ذريع، وأحرقت محال كثيرة في بغداد»[(٤)].

وفي سنة ٥٦٨هـ زاد الإرجاف بمجيء العسكر من همذان فغلت الأسعار وأخذ الخليفة في التجنيد وعمارة السور[(٥)].

والقتال بين السلاطين والقواد أنفسهم لا يكاد ينقطع تنافساً على السلطة ومواقع النفوذ خاصةً في شرق الدولة الإسلامية.

ففي سنة ٥١٤هـ وقعت معركة عظيمة بين الأخوين السلطان محمود ومسعود[(٦)] ابني محمد بن ملكشاه[(٧)].

---

(١) كانت وفاته مريضاً بالسل سنة ٥٥٤هـ في همذان.
انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٢/٢٥٨).

(٢) هو محمد بن أحمد بن عبدالله العباسي، ولد سنة ٤٨٠هـ، وبويع بالخلافة ٥٣٠هـ، كان عاقلاً لبيباً حميد السيرة، جدد هيبة الخلافة، كانت وفاته سنة ٥٥٥هـ.
انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٩/ ٢٧٠)، وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢٠/ ٣٩٩)، وما بعدها.

(٣) انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٢/ ٢٥١).

(٤) المصدر السابق (١٢/ ٢٥١).

(٥) انظر: المنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله (١٨/ ١٩٩).

(٦) ولد السلطان مسعود سنة ٥٠٢هـ، وتولى السلطنة بعد قتال مع أخيه محمود ثم ابنه داود سنة ٥٢٧هـ، قال ابن الأثير: «كان كريماً عفيفاً عن الأموال التي للرعايا حسن السيرة فيهم» كانت وفاته بهمذان سنة ٥٤٧هـ.
انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٩/ ١٨٦)، وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢٠/ ٣٨٤ ـ ٣٨٦).

(٧) انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٢/ ١٩٨).

وبعد وفاة السلطان السلجوقي محمود بن محمد بن ملك شاه سنة **٥٢٥هـ** آلت السلطنة إلى ابنه داود الذي كان لا يزال صغيراً فخرج عليه عمه مسعود بن محمد بن ملكشاه[١]، ووقع كذلك قتال عظيم. ثم استمر الصراع الذي اشترك فيه كثير من سلاطين السلاجقة وقوادهم انتهى بتولية السلطنة لمسعود سنة **٥٢٧هـ**[٢].

بل إن الأمر تجاوز ذلك حيث صار الخليفة نفسه ألعوبة بيد السلاطين الذين يصل الأمر ببعضهم أن يأسر الخليفة ليفاوض به الآخرين.

فحينما قطع الخليفة المسترشد الخطبة للسلطان السلجوقي مسعود بن محمد بن ملكشاه قدم هذا السلطان وأسر الخليفة فترة ثم أطلقه لما رأى غضب السلاطين الآخرين عليه[٣].

وفي بلاد الشام والجزيرة رغم اشتداد الحروب الصليبية وزحف النصارى على مدن المسلمين الواحدة تلو الأخرى إلا أن ذلك لم يوقف الخلافات والصراعات بين الولاة والقادة.

ففي سنة **٥٢٨هـ** نشب القتال بين أتابك زنكي صاحب الموصل وداود بن سقمان بن أرتق صاحب حصن كيفا[٤][٥].

وفي سنة **٥٢٩هـ** حاصر عماد الدين زنكي دمشق وقاتل صاحبها محمود بن

---

(١) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٩/ ٢٩).

(٢) انظر: المصدر السابق (٩/ ٣٥) وما بعدها.

(٣) انظر: المصدر السابق (٩/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥).

(٤) حصن كيفا يقع حالياً في جنوب شرق تركيا على الحدود السورية.

انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٢/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦)، والمنجد في اللغة والأعلام، ص (٢٢٢).

(٥) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٩/ ٥١ ـ ٥٢).

بوري بن طغتكين[1] حتى أتاه أمر الخليفة بالمصالحة وترك الحصار[2].

وفي سنة ٥٣٠هـ دخل صاحب حمص في طاعة محمود بن بوري بن طغتكين صاحب دمشق لكثرة تعرض صاحب الموصل له وتضييقه على أهلها[3].

وعندما اضطربت أحوال الشام بعد وفاة نور الدين محمود وطمع الصليبيون في مدنه لضعف ولاتها وتناحرهم، تقدم صلاح الدين الأيوبي من مصر إلى الشام لحفظه من الصليبيين حيث سلمت له الكثير من المدن. إلا أن بعض الولاة في مدن أخرى حاولوا الاستقلال بل وقاتلوا صلاح الدين رغم تربص الصليبيين.

فها هو صاحب حلب ابن نور الدين يحرض أهل حلب على مقاتلة صلاح الدين وعدم التسليم له، بل إنه طلب المدد من القومص صاحب طرابلس الإفرنجي الصليبي ضد صلاح الدين، مما اضطر صلاح الدين أن يأخذها بالقوة[4].

وبعد وفاة صلاح الدين الأيوبي اختلف أولاده ووقع بينهم النزاع والخلاف بل والقتال في بعض الأحيان، الأمر الذي أغرى الإفرنج بالبلاد الإسلامية.

فمن ذلك حصار الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين صاحب مصر أخاه الأفضل علي[5]..................................

---

(١) تملك محمود بن بوري دمشق بعد أخيه إسماعيل وقتل غيلة سنة ٥٣٣هـ.
انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٩/ ١٠١)، وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢٠/ ٥٠).

(٢) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٩/ ٥٨ ـ ٥٩).

(٣) انظر: المصدر السابق (٩/ ٧٣).

(٤) انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٢/ ٣٠٨ ـ ٣٠٩).

(٥) هو عليّ بن يوسف بن أيوب التكريتي، تولى دمشق بعد وفاة أبيه، فأخذها منه أخوه عثمان صاحب مصر، واستقر بسمسياط وقنع بها، قال الذهبي: فيه تشيع بلا رفض. كانت وفاته سنة ٦٢٢هـ.

في دمشق طمعاً في ضمها إليه سنة ٥٩٠هـ[1].

وفي سنة ٥٩٢هـ وقع خلاف شديد بين الملك العادل[2] وبين أبناء أخيه صلاح الدين حول دمشق انتهى بملك العادل لها[3].

وفي سنة ٥٩٧هـ حاصر كل من الملك الظاهر[4] صاحب حلب والأفضل أبناء صلاح الدين دمشق، وكانت تابعة لعمهما الملك العادل صاحب مصر[5].

وفي سنة ٦٠٠هـ وقعت الحرب بين نور الدين أرسلان شاه صاحب الموصل[6] وبين جيش الملك العادل صاحب مصر ودمشق[7].

وفي سنة ٦٢٥هـ اشتد الخلاف بل والقتال أحياناً بين ملوك بني أيوب في الشام ومصر حتى غلت الأسعار في بعض المدن وخاف الناس وكثر الخراب

انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢١/٢٩٦)، والبداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٣/١١٦).

(١) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (١٠/١٢٩).

(٢) انظر: المصدر السابق (١٠/١٤٠).

(٣) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (١٠/١٧٣).

(٤) هو غازي بن يوسف بن أيوب التكريتي، تملك حلب بعد وفاة أبيه صلاح الدين، كان مهيباً سائساً دولته عامرة بالعلماء. توفي سنة ٦١٣هـ عن خمس وأربعين سنة.
انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (١٠/٢٩٦)، وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢١/٢٩٦ ـ ٢٩٨).

(٥) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (١٠/١٧٣).

(٦) هو نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن نكسي، كان سفاكاً للدماء، فيه دهاء، دامت دولته ثماني عشرة سنة. مات سنة ٦٠٧هـ.
انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (١٠/٢٧٧)، وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢١/٤٩٦).

(٧) انظر: المصدر السابق (١٠/١٩٨).

وطمع الإفرنج في كثير من بلاد المسلمين[١].

كذلك غرب الدولة الإسلامية لم يسلم من الخلافات والحروب بين المسلمين في هذه الفترة.

فمن ذلك صراع الموحدين مع المرابطين الذي استمر منذ بداية ثورة ابن تومرت سنة ٥١٥هـ[٢] إلى سقوط مدينة فاس بيد الموحدين سنة ٥٤٠هـ ثم مراكش سنة ٥٤١هـ[٣].

وانشقاق الموحدين على أنفسهم بعد تغلب ابن غانية[٤] على إفريقية[٥]، حيث دخلت دولتهم في المغرب وإفريقية في فتن وخلافات وحروب مما جعل عاملهم في الأندلس يستقل بها مزاحماً لدولة الموحدين في المغرب التي كانت تحت إمرة ابن عمه[٦].

واستقلال الحفصيين في إفريقية «تونس» عن الموحدين عام ٦٢٥هـ، بل وامتداد سيطرتهم إلى الأندلس[٧].

---

(١) انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٣/ ١٣٢ ـ ١٣٣).

(٢) انظر: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، محمد بن إبراهيم الزركشي، تحقيق: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ص (٦).

(٣) انظر: المصدر السابق، ص (٨).

(٤) هو علي بن إسحاق بن محمد بن علي المسوفي، من أمراء بني غانية، الذين كانت لهم جزيرة ميورقة من قبل المرابطين، استقل بإمارة في إفريقيا عن الموحدين، ثم ما لبثوا أن قضوا عليه سنة ٥٨٥هـ حيث مات شريداً في الصحراء.
انظر: العبر، عبد الرحمن بن خلدون، (٦/ ٢٤٧)، وتاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، محمد بن إبراهيم الزركشي، تحقيق محمد ماضور، ص (١٥ ـ ١٨).

(٥) انظر: العبر وديوان المبتدأ والخبر، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (٦/ ٢٤٧).

(٦) هو المأمون إدريس بن يعقوب بن يوسف الموحدي، المتوفّى سنة ٦٢٩هـ.
انظر: العبر، عبد الرحمن بن خلدون (٦/ ٣٥٢).

(٧) انظر: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، محمد بن إبراهيم الزركشي، تحقيق محمد ماضور، ص (٢٣)، والمؤنس في أخبار إفريقية وتونس، محمد الرعيني القيرواني،

واستقلال المريين في المغرب عن الموحدين سنة ٦١٠هـ[١]، ثم سقوط دولة الموحدين على يدهم سنة ٦٦٧هـ[٢].

وكل هذه الصراعات صاحبتها الحروب الطاحنة بين ولاة المسلمين وقادتهم في غرب الدولة الإسلامية.

ومن مظاهر اضطراب الأحوال الداخلية في شرق الدولة الإسلامية انعدام الأمن في كثير من الجهات وقطع الطريق.

فمن ذلك انتشار عصابات السطو والسرقة في العراق وفارس، حيث يعرفون في هذه الفترة بالعيارين، وقد أرعبوا الناس بكثرة ما يقومون به من أعمال التخريب والقتل في سبيل الحصول على المال.

قال ابن الجوزي في أحداث سنة ٥٣٤هـ: «وتكاثرت كبسات العيارين وصاروا يأخذون مجاهرةً»[٣]، ثم سرد في أحداث سنة ٥٣٦هـ مجموعة من الوقائع لهم في بغداد[٤].

بل إن لهؤلاء العيارين تنظيم في السطو والسرقة، ولهم عيون تأتيهم بالأخبار ويجدون في بعض الأحيان الدعم والحماية من بعض الولاة والقادة الذين ينتفعون من أعمالهم؛ حيث بين ذلك ابن الجوزي بقوله: «وكان للعيارين عيون على الناس من النساء والرجال يطوفون الخانات والرحبة والصيارف والجوهريين، فإذا عاينوا من قد باع شيئاً تبعوه وأخذوا ما معه، وكانوا يجتمعون

تحقيق محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، ص (٣٠٠).

(١) انظر: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، محمد بن إبراهيم الزركشي، تحقيق محمد ماضور، ص (١٩).

(٢) انظر: العبر وديوان المبتدأ والخبر، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (٦/ ٢٦٠).

(٣) المنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله (١٨/ ٤).

(٤) انظر: المصدر السابق (١٨/ ١٧ ـ ١٨).

في دور الذين يحمونهم، في دار وزير السلطان ودار يرنغش...»[(١)].

ولم يسلم غرب الدولة الإسلامية من مثل هذه الأعمال. حيث كثرت مهاجمة الأعراب للحواضر، وثورات القبائل والمدن على الدول المستقرة وما يصاحب ذلك من سلب ونهب وقتل.

ومن الأمثلة على ذلك اضطراب قرطبة وثورة أهلها على المرابطين سنة ٥١٣هـ[(٢)].

وفي سنتي ٥٤١هـ و٥٤٢هـ ثارت الفتنة بالمغرب من قبائل برغواطة حيث انتقض أهل سبتة على الموحدين ودارت هناك الحروب الطاحنة حتى تمكن الموحدون من إخماد الفتنة[(٣)].

وثورة قبائل غمارة في شمال المغرب سنة ٥٦٢هـ على الموحدين[(٤)].

وفي سنة ٥٨٠هـ ـ ٥٨١هـ زحف الملثم علي بن إسحاق الميورقي «ابن غانية» على إفريقية[(٥)]، حيث قال ابن الأثير عن ذلك: «وانضاف إلى المفسد الملثم كل مفسد في تلك الأرض، ومن يريد الفتنة والنهب والفساد والشر، فخربوا البلاد والحصون والقرى وهتكوا الحرم»[(٦)].

---

(١) المصدر السابق (٨/ ٣٠)، وانظر أمثلة من حوادثهم في المنتظم (١٨/ ١٨٣، ١٨٧)، والكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٤٣٩)، (٩/ ٩٦).

(٢) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٦٤٥).

(٣) انظر: العبر وديوان المبتدأ والخبر، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (٦/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣).

(٤) انظر: المصدر السابق (٦/ ٢٣٩).

(٥) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (١٠/ ١١).

(٦) المصدر السابق (١٠/ ١٢)، وانظر خبر ابن غانية في: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، محمد بن إبراهيم الزركشي، تحقيق محمد ماضور، ص (١٥ ـ ١٨).

ومن اضطراب الأحوال الداخلية في كثير من جهات الدولة الإسلامية قطع الطريق والإغارة على القوافل التجارية وقوافل الحج ونهبها أو فرض الرسوم عليها.

ومن ذلك ما وقع سنة ٥٤٥هـ من إغارة الأعراب على قافلة حجاج العراق بين مكة والمدينة وقتل رجال القافلة ونهب أموالها، ومن هرب من رجالها ونسائها تقطعت بهم السبل فماتوا من الجوع والعطش، وما وصل منهم إلى المدينة إلا أمير القافلة بنفر قليل[١].

وقد ذكر ابن الجوزي أنه حينما حج في سنة ٥٥٣هـ وعندما أرادت القافلة التي هو فيها العودة إلى العراق بعد زيارة المدينة أُخبروا بأن العرب تترصد لهم مما اضطرهم إلى تغيير طريقهم عن طريق الحاج المعروف[٢].

وقافلة حج من خراسان أثناء مرورها بالشام متوجهة إلى مكة تتعرض لإغارة الأعراب عليها حيث تقطعت السبل بأفرادها الذين سلموا من القتل مما جعل بعض أصحاب المروءة في دمشق يحسن عليهم من أجل إعادتهم لبلادهم[٣].

وفصل ابن جبير ما شاهده في رحلته إلى الحج ما يتعرض إليه الحاج سواء من قطاع الطرق، أو من ابتزاز القبائل التي يمرون بها أو حتى من بعض ولاة المدن حيث قال: «وأكثر هذه الجهات الحجازية وسواها فرق وشيع لا دين لهم، قد تفرقوا على مذاهب شتى، وهم يعتقدون في الحاج ما لا يُعتقد في أهل الذمة، قد صيروهم من أعظم غلاتهم التي يستغلونها، ينتهبونهم انتهاباً، ويسببون لاستجلاب ما بأيديهم استجلاباً، فالحاج لا يزال في غرامة ومؤنة إلى أن ييسر

---

(١) انظر: المنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله (١٨/ ٧٦ ـ ٧٨).

(٢) انظر: المصدر السابق (١٨/ ١٢٦).

(٣) انظر: الروضتين في أخبار الدولتين، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (أبو شامة) (١/ ٧٧).

الله رجوعه إلى وطنه»[1]، حيث بين ابن جبير ما لاقاه من ذلك العناء في بعض الأماكن التي مر بها كالإسكندرية وعيذاب، وجدة، ومكة، وغيرها.

هذه الشدة التي يتعرض لها الحاج من ابتزاز وقطع طريق وما شابه ذلك جعل ابن جبير يقول: «... فمن يعتقد من فقهاء أهل الأندلس إسقاط هذه الفريضة عنهم فاعتقاده صحيح لهذا السبب وبما يصنع بالحاج مما لا يرتضيه الله عزّ وجلّ...»[2].

ولا شك أن أوضاع البلاد الإسلامية المضطربة في هذه الفترة نتيجة للخلافات بين الولاة والقادة والحروب التي تقع بينهم، ونتيجة لاختلال الأمن وقطع الطريق، هذه الأوضاع من أهم عقبات دعوة المسلمين للنصارى في هذه الفترة.

وذلك أن استقرار الدولة له أثر كبير في ازدهارها في جميع المجالات ومنه الجانب الدعوي، وبالعكس فإن الاختلاف والتناحر يؤدي إلى الضعف وضياع الجهود بشكل عام ومن ذلك التأثير سلباً على الجانب الدعوي.

والفتن الداخلية واختلاف القادة والسلاطين خاصة في شرق الدولة الإسلامية في العراق وفارس أقعد الخلافة في بغداد عن المشاركة الفعلية في جهاد النصارى الصليبيين في الشام ودعوتهم؛ نتيجة للضعف الذي تعانيه من جراء هذا الاختلاف، والانشغال بهذه الفتن وتوجيه الجهود لمعالجتها.

ولذلك لما استنجد أهل الشام بالخليفة في بغداد إثر اجتياح النصارى للقدس وما فعلوه بالمسلمين من قتل وأسر وتشريد كان قصارى ما فعله أن أمر الفقهاء بتحريض الناس على الجهاد حيث سار عدد كبير منهم لهذا الغرض لكنه لم يفد شيئاً في إقناع الناس بالخروج إلى الشام لانشغالهم بأحوالهم الداخلية[3].

---

(١) رحلة ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني، ص (٥٤).

(٢) المصدر السابق، ص (٥٥).

(٣) انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٢/١٦٦ ـ ١٦٧).

وعندما جاء صاحب طرابلس الشام إلى بغداد طلباً للنجدة ضد الصليبيين سنة ٥٠١هـ لم يستطع الخليفة إلا أن يبالغ في إكرامه وتأييده بالقول ولم يتمكن من إرسال جيشٍ إلى هناك(١).

والخليفة المسترشد بالله لم يستطع المشاركة الفعلية بمواجهة النصارى وإعداد الجيوش لذلك؛ لاضطراب الأحوال في العراق وبلاد فارس مكتفياً بتأييد المسلمين هناك وتقديم الهدايا لقوادهم المجاهدين كما حصل ذلك في سنة ٥١٤هـ(٢).

وكذلك الخليفة المقتفي لأمر الله الذي لم يتجاوز حدود التأييد والتشجيع لنور الدين محمود وتلقيبه بالعادل(٣).

وهكذا الحال مع بقية الخلفاء في العراق، أعجزتهم الأوضاع الداخلية لديهم من حشد الجيوش لمواجهة الصليبيين في الشام.

أما عن مشاركة سلاطين السلاجقة فإن الجهد الكبير في دفع النصارى عن الشام كان لسلاجقة الموصل والشام(٤)، أما العراق وبلاد فارس فتكاد تكون مشاركتهم معدومة؛ لبعدهم عن ساحة الأحداث، ولانشغالهم بخلافاتهم وصراعهم المستمر على مناطق النفوذ، واضطراب الأحوال في تلك الجهات.

ولذلك فإن عامة الناس في هذه الجهات يشعرون بتقصير ولاتهم وانشغالهم بخلافاتهم عن مواجهة النصارى.

فعند احتدام الصراع بين السلطان السلجوقي محمود بن ملكشاه والخليفة

---

(١) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٥٥٨ ـ ٥٥٩).

(٢) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٦٥٣).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢٠/ ٤٠٩).

(٤) سيأتي ذكر نماذج من جهود الولاة والقادة في الشام ضد النصارى في المطلب الثالث من هذا المبحث.

العباسي في بغداد ومحاصرة السلطان للخليفة وما صاحب ذلك من اضطراب في بغداد ثار الناس على السلطان قائلين: يا باطني تترك الإفرنج والروم وتقاتل الخليفة(١).

كذلك الولاة والقادة الذين كانت لهم جهود كثيرة في جهاد النصارى ودعوتهم كانت الخلافات والفتن والحروب تحد من تلك الجهود الموجهة ضد النصارى، بل ربما كانت من أهم أسباب ضعف جهادهم في بعض الأحيان.

ففي غرب الدولة الإسلامية مثلاً حينما عبر أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الموحدي إلى الأندلس نجدة للمسلمين ضد النصارى هناك ونشراً للإسلام في هذه المناطق حيث مكث ثلاث سنين في جهاده هذا لما جاءته الأخبار بتقدم علي بن إسحاق الملثم ـ ابن غانية ـ على بلاد إفريقية قام بمصالحة الإفرنج والعودة إلى مراكش في المغرب لمواجهة ابن غانية وإخراجه من البلاد التي بسط نفوذه عليها(٢).

ولما لمسه صلاح الدين ـ رحمه الله تعالى ـ من بوادر الخلاف في عسكره، وما يعرفه ممن حوله من الولاة والقادة وخشيته حين مرضه من اختلافهم وتقاتلهم في الوقت الذي يتربص فيه النصارى بالمسلمين؛ لذلك فضل الصلح مع النصارى في عام ٥٨٨هـ وعقد في ذلك معاهدة كانت في صالح المسلمين، حيث اتفقت وفاته بعيد الصلح وحدث ما كان يخشاه من الاختلاف بين ولاة الشام بل بين أبنائه في دمشق ومصر وحلب وغيرها(٣).

وفي ذلك قال ابن شداد: «فلو اتفق ذلك في أثناء الوقعات لكان الإسلام

---

(١) انظر: المنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله (١٧/ ٢٤٢)، والبداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٢/ ٢١١).

(٢) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (١٠/ ١٣٦).

(٣) انظر: النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ص (٣٤٨).

على خطر، فما كان الصلح إلا توفيقاً وسعادة»[1].

وكثيراً ما كان يستغل الصليبيون النصارى خلافات القادة المسلمين واضطراب الأحوال الداخلية في توسيع نفوذهم والزحف على المدن الإسلامية.

وقد لمس هذا المؤرخون المسلمون المعاصرون لهذه الفترة. حيث قال ابن شداد في أحداث سنة ٥٧٧هـ حينما تقدم الإفرنج إلى الإسكندرية: «... وذلك أن الإفرنج خذلهم الله تعالى لما علموا تغيرات الأحوال بالديار المصرية وتقلبات الدول بها داخلهم الطمع في البلاد فجردوا عساكرهم في البحر»[2].

ولما سار صلاح الدين الأيوبي من الشام إلى الموصل وما حولها لفتن وقتال بين ولاة هذه المنطقة استغل الفرنج ذلك وقاموا بغارات واسعةٍ على مدن المسلمين، قال ابن شداد: «وجرت غارات من الإفرنج في البلاد بحكم اختلاف العساكر ودفعهم الله...»[3].

وفي سنة ٦٢٦هـ ازداد الخلاف بين ملوك بني أيوب فقويت لذلك نفوس الإفرنج وتكالبوا على المسلمين مستغلين هذا الخلاف، وطالبوا المسلمين بأن يردوا إليهم ما فتحه صلاح الدين ـ رحمه الله تعالى ـ فرضي المسلمون لضعفهم وخلافهم بأن يردوا إليهم بيت المقدس فعظم ذلك على المسلمين وحصل وهن شديد وإرجاف عظيم[4].

بل إن هذه الخلافات بين قادة المسلمين لم تؤدِّ إلى ضعف المسلمين فحسب بل زادت من قوة النصارى وتسلطهم على المسلمين لما انضم إليهم في بعض الأحيان من قادة مسلمين تحالفوا معهم ضد إخوانهم.

---

(١) المصدر السابق، ص (٣٤٨ ـ ٣٤٩).

(٢) المصدر السابق، ص (٩٠).

(٣) المصدر السابق، ص (١٠٤).

(٤) انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٣/ ١٣٣).

ومن ذلك معاضدة أهل دمشق للإفرنج سنة ٥٤٦هـ ضد المسلمين مما جعل نور الدين محمود يحاصرهم تأديباً لهم[١].

ورسل الموصل إلى الإفرنج تغري بالمسلمين وصلاح الدين؛ مما جعل صلاح الدين ينشيء العزم على مقاتلتهم جمعاً للكلمة[٢].

والخلافات بين قادة الأمة وولاتها في هذه الفترة بالإضافة إلى إضعافها لوسيلة مهمة من وسائل الدعوة ألا وهو الجهاد في سبيل الله فإنها من جهة أخرى صورت المسلمين بصورة مشوهة لدى النصارى في هذه الفترة لما يظهر لهم من تناحر وقتال بين ولاتهم وقادتهم وهم أبناء الدين الواحد ومن ثم فلربما كان إظهار المسلمين بهذه الصورة السيئة من موانع تأثر كثير من النصارى الصليبيين في بلاد الشام، بينما كانت الأوضاع المستقرة في أغلب جهات الأندلس مثلاً قبل ذلك عامل جذب للدارسين الإفرنج مكنت الكثيرين منهم من التعرف على الإسلام والاطلاع على حضارة المسلمين ولم يخفوا إعجابهم بما وصل إليه المسلمون من علم وتقدم، لذلك كان انتشار الإسلام بين الإفرنج عن طريق الأندلس وتأثيره على الأوربيين أكثر مما كان في الحروب الصليبية.

واضطراب الأحوال الداخلية في البلدان الإسلامية في هذه الفترة من قطع الطريق وانتشار عصابات السطو على الآمنين له أثره السيىء في انسياب حركة الناس بين مناطق الدولة الإسلامية، ومن ذلك حركة العلماء والدعاة ومن ثم سينعكس ذلك على ضعف الجهود الدعوية بشكل عام ومن ذلك الدعوة للنصارى.

---

(١) انظر: الروضتين في أخبار الدولتين، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي «أبو شامة» (١/ ٧٧).

(٢) انظر: النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ص (١٠١).

المطلب الثالث

الحواجز الفكرية والنفسية واللغوية

أولاً: الحاجز الفكري:

ويتمثل هذا الحاجز في نظرة النصارى خصوصاً الأوربيين للمسلمين في هذه الفترة نظرة ازدراء وأنهم أصحاب ديانة وثنية يتبعون رجلاً يدعي النبوّة أو أنهم يعبدون رجلاً اسمه محمد وهم بديانتهم هذه كفار لا يرقون إلى ديانة إلهية.

يقول البابا أوربان الثاني في مجمع كليرمونت الذي دعا فيه للقيام بالحروب الصليبية: «يا له من عار إذ قام جنس خسيس مثل هذا، جنس منحل تستعبده الشياطين بهزيمة شعب يتحلى بإيمان عظيم بالرب، ويزهو ويتألق باسم المسيح...»[(١)]. ثم قال: «... فليبادر أولئك الذين اعتادوا شن الحرب الخاصة ضد المؤمنين بالمسير ضد الكفار...»[(٢)].

ويقول فوشيه شارتر أحد قساوسة الصليبيين في ثنائه على البابا أوربان الثاني: «... كذلك بذل جهوداً قويةً لطرد الوثنيين من أراضي المسيحيين»[(٣)].

وَوَصْف المسلمين بالكفر والضلال وصف استخدمته الكنيسة شعاراً لها في

---

(١) الوجود الصليبي في الشرق العربي، فوشيه الشارتري، ترجمة د. قاسم عبده قاسم، ص (٩٣).

(٢) المصدر السابق، ص (٩٤).

(٣) المصدر السابق، ص (٩٦).

التعبئة لهذه الحروب في أوربا. وكثيراً ما يتردد هذا الوصف في كتابات قساوسة النصارى ومؤرخيهم في هذه الفترة. كما هي الحال عند فوشيه شارتر ووليم الصوري[1].

بل إن عدداً من قساوسة الأندلس وكتابهم في هذه الفترة ألفوا مجموعة من الكتب باللاتينية عرفت بـ«المجموعة الطليطلية» أو «مجموعة كلوني، تعمدوا فيها تشويه الإسلام وأنه ما هو إلا أكذوبة وتشويه للحقيقة متعمد، وما محمد في أحسن أحواله إلا المسيح الدجال، والمسلمون كفار بتبعيتهم إياه»[2].

ولذلك فالمسلمون ونبيهم وديانتهم لا يستحقون في نظر هؤلاء النصارى أي قدر من الثناء والإعجاب.

حتى إن صاحب كتاب قصة الحضارة وضح أن كتابات وليم الصوري رغم ما فيها من وصف للمسلمين بالكفر والوثنية لو قرأها وسمعها المحاربون الصليبيون الأوائل لصدم مشاعرهم وكبرياءهم لما قد يكون فيها من ثناء على بعض قادة المسلمين[3].

هذه النظرة المتعصبة من الصليبيين النصارى للمسلمين في بداية الحروب الصليبية لا شك أنها انتقلت إليهم من خلال رجال الدين النصارى المتعصبين ضد الإسلام أو من خلال جهل كتابهم النصارى الذين كتبوا عن الإسلام والمسلمين فنقلوا صورة سيئة عن المسلمين للعقلية النصرانية في أوربا.

فها هو الباب أوربان الثاني في دعوته للحروب الصليبية أعلن أمام جموع النصارى في أوربا أن المسلمين جنس خسيس تستعبده الشياطين، ثم أتى بعض الكتاب من قساوسة النصارى الذين اشتركوا في بعض أحداث هذه الحروب

---

(١) انظر: ما سبق بيانه في المبحث الثالث من الفصل الأول في الرد على شبه النصارى.

(٢) انظر: فضل الإسلام على الحضارة الغربية، مونتجمري وات، ترجمة حسين أحمد أمين، ص (٩٩ ـ ١٠٠)، و(١٠٥).

(٣) انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة: محمد بدران، المجلد الرابع، الجزء الرابع، ص (٦٥).

ووصفوا المسلمين بالكفر والضلال كوليم الصوري وفوشيه شارتر وغيرهم، بل إن الأخير حينما نقل مشاهداته عن المسلمين صورهم للأوربيين بالوثنيين حينما قال إنه يراهم ـ أي المسلمين ـ قد اعتادوا عند قبة الصخرة أداء صلاتهم لوثن مُقام باسم محمد[١].

ثم زعم مؤرخ آخر في هذه الفترة ناقلاً عن رواية نصرانية إسبانية أن الشيطان تمثل في صورة الملاك جبريل ونقل له ما سمعه في المدارس النصرانية لينقله إلى العرب ويدعوهم لعبادة الله وترك عبادة الأوثان[٢].

وفي رسالة من بطريرك القدس إلى البابا في روما بعد مضي مائة عام على وجود الصليبيين في بلاد الشام وضح فيها أن المسلمين يزورون يومياً المسجد ويعبدون ربهم محمد[٣]. بل إنه من مبلغ إعجاب النصارى بديانتهم النصرانية وتحقيرهم للإسلام والمسلمين أن يستغرب بعض كتابهم في هذه الفترة أن يظهر في هذا الدين الخاطىء ـ الذي هو الإسلام بزعمهم ـ رجل مثل صلاح الدين بقوته وعدله ورحمته ووفائه[٤].

هذا الشعور بالتميز لدى النصارى واعتقادهم كفر المسلمين وضلالهم دفعهم ليس إلى رفض الإسلام فحسب، بل إلى دعوة المسلمين إلى النصرانية في بعض الأحيان. حيث ظهرت لذلك جهود تنصيرية في هذه الفترة سواء على مستوى الأفراد أو على مستوى المنظمات.

---

(١) انظر: الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، كلود كاهن، ترجمة أحمد الشيخ، ص (٦٧).

(٢) انظر: المحاولات التبشيرية في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، د. حسن عبد الوهاب حسين، بحث ضمن مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، الملجد الثامن والثلاثون، ١٩٩٠ م، ص (١٢٤).

(٣) انظر: المحاولات التبشيرية في بلاد الشام، د. حسن عبد الوهاب حسين، ص (١٢٦).

(٤) انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة محمد بدران، المجلد الرابع، الجزء الرابع، ص (٤٦).

وقد فصل مؤرخون نصارى معاصرون لهذه الفترة شيئاً من ذلك، بل بالغ بعضهم في تقدير أعداد من تحول من المسلمين إلى النصرانية[١].

ومن هذه المحاولات التبشيرية ما ذكره المؤرخ النصراني ألبرت أوف أكس أن بلدوين أحد قادة الحملة الصليبية الأولى ومعه عدد من أمراء النصارى عرضوا النصرانية على أحد قادة المسلمين الذي وقع في أسرهم، فلما رفض قتل جزاءً لذلك[٢].

وتذكر بعض المصادر النصرانية أنه لما استولى النصارى على القدس سنوا نظاماً يقضي بأن كل عبد مسلم يترك دينه ويدخل النصرانية يعتق، وشرع مثل ذلك في عكا التي حينما تنصر فيها جماعة من الأرقاء المسلمين طلباً للحرية وأعتقهم النصارى بموجب ما شرعوه فروا إلى صلاح الدين مما جعل النصارى يسنون أنظمة جديدة لذلك[٣].

وأخطر المحاولات التنصيرية في هذه الفترة ما قام به أحد الرهبان بعد

---

(١) لا شك أثر المحاولات التنصيرية كثيرة جداً، لكن المبالغة في ذكر أعداد من تنصر من المسلمين خلاف الحقيقة، حيث لم تذكر المصادر الإسلامية المعاصرة لهذه الفترة إلا النزر اليسير لا يتجاوز عدد الأصابع. وما ذكرته بعض المصادر الإسلامية كابن الأثير في أحداث سنة ٥٣٢هـ من تنصر قاضي حصن براغة في حلب وجماعة من سكان الحصن بعد حصار النصارى لهم إنما كان من باب من أُكْرِه وقلبه مطمئن بالإيمان وذلك لما رآه هؤلاء فيما فعله النصارى بإخوانهم بعد أن أعطوهم المواثيق والعهود حيث غدروا بهم فقتلوهم. لذلك فعلوا ذلك طلباً للنجاة، ولو كان تنصرهم صحيحاً لأبرزت تلك المصادر النصرانية المعاصرة تشنيعاً على الإسلام وأهله بدلاً من الاقتصار على ذكر حالات فردية يُبالغ في تضخيمها وتهويلها. وانظر: للاستزادة حول نقد المبالغة في ذكر أعداد من تنصر من المسلمين في هذه الفترة: المحاولات التبشيرية في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، د. حسن عبد الوهاب حسين، ص (١٣١ ـ ١٣٢).

(٢) انظر: المحاولات التبشيرية في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، د. حسن عبد الوهاب حسين، ص (١٣٠).

(٣) انظر: المرجع السابق، ص (١٣٢ ـ ١٣٣).

انتصار الصليبيين سنة ٦١٤هـ في بيسان[١] وحصن جبل الطور[٢] حيث أسروا عدداً من أطفال المسلمين فجاء هذا الراهب وطلب تسليمهم إليه حيث قام بإعطائهم لراهبات في عكا يقمن بتعليمهم النصرانية[٣].

وفي مصر بعد استيلاء النصارى على دمياط سنة ٦١٦هـ وأسر عدد كبير من أطفال المسلمين قام بعض الرهبان بتعليمهم النصرانية[٤].

وفي بعض الأحيان كان قادة الصليبيين في هذه الفترة يعرضون النصرانية على القادة المسلمين كشرط لفك حصار أو تعاون أو ما شابه ذلك، خصوصاً في الحملات الصليبية الأولى.

ومن ذلك إجبار حاكم الموصل على اعتناق النصرانية أو الدخول معه في معركة وذلك أثناء تقدم الحملة الصليبية الأولى[٥].

وعرض النصرانية على دقاق صاحب دمشق من قبل رسل صاحب الجليل الصليبي حيث قتل دقاق خمسة من رسله الستة وأسلم سادسهم. وهذا التصرف منه بسبب جرأتهم في عرض النصرانية عليه[٦].

---

(١) بيسان: قرية صغيرة تقع في الوقت الحاضر في شرق فلسطين جنوب بحيرة طبرية.
انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (١/ ٦٢٥)، والمنجد في اللغة والأعلام، ص (١٦١).

(٢) جبل الطور: جبل في فلسطين يعتقد النصارى أن المسيح تجلى فيه. انظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص (٢٥٥)، وهو المقصود في هذا النص.
والطور أيضاً بلدة في سيناء على خليج السويس. انظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص (٢٥٩).

(٣) المحاولات التبشيرية في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، د. حسن عبد الوهاب حسين، ص (١٣٤).

(٤) انظر: المرجع السابق، ص (١٣٥).

(٥) انظر: المرجع السابق، ص (١٣٥).

(٦) انظر: المرجع السابق، ص (١٣٥).

ودعوة فرنسيس الأسيزي[(١)] أحد قساوسة الصليبيين الكامل صاحب مصر لكنه لم يلق إجابة[(٢)].

بل إن حركة التنصير في هذه الفترة أصبح يقوم بها منظمات وهيئات مختلفة تمتلك إمكانيات كبيرة ولها دعم واسع من قبل عامة النصارى كالفرنسكان والدومنيكان وغيرهما[(٣)].

وهكذا فإن النصارى خصوصاً الصليبيين في هذه الفترة؛ لكونهم يعتقدون أنهم أصحاب ديانة صحيحة، ويؤمنون بوجوب تبليغها والتبشير بها؛ ولاعتقادهم أن المسلمين كفار ووثينون نتيجة للصورة المشوهة التي نقلت إليهم من قبل قساوستهم ومؤرخيهم، لا شك أن هذه النظرة من قبل عامة النصارى للمسلمين في هذه الفترة دفعت الكثيرين منهم ليس فقط إلى عدم قبول الإسلام ورفض مبادئه، بل تعدى ذلك إلى دعوة المسلمين إلى النصرانية باعتبارهم كفاراً ووثنيين وأن لا خلاص لهم إلا باعتناق الديانة الصحيحة في زعمهم وهي النصرانية.

ثانياً: الحاجز النفسي:

ويتمثل ذلك في شعور النصارى أن بلاد الشام كانت لهم اغتصبها المسلمون منهم خصوصاً فلسطين حيث بُعث المسيح ﷺ، ولذلك فهم يقدسون هذه الأرض ويحجون إليها، بل ويعتبرونها إرثاً لهم أُغتصبت منهم ويجب أن تعود إليهم.

لذك كان من أبرز شعارات الحروب الصليبية إنقاذ نصارى الشرق الخاضعين

---

(١) فرنسيس الأسيزي قديس إيطالي مؤسس رهبانية الفرنسيسكان كان أثره الديني كثيراً في الغرب خلال فترة العصور الوسطى. عاش بين سنتي ٥٧٧هـ - ١١٨٢م - ٦٢٢هـ - ١٢٢٦م.
انظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص (٤١٢).

(٢) انظر: أرنست باركر، الحروب الصليبية، ترجمة د. السيد الباز العريني، ص (١٤٢).

(٣) انظر: المحاولات التبشيرية في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، د. حسن عبد الوهاب حسين، ص (١٤٠).

لسلطة المسلمين، واستعادة الأراضي التي سيطر عليها المسلمون خصوصاً الأراضي المقدسة في فلسطين.

يقول البابا سلفستر الثاني قبل قيام الحروب الصليبية: «إن تعرض حياتي للخطر في سبيل تخليص الأماكن المقدسة لأفضل عندي من حكم العالم كله»[1].

ثم جاء البابا أوربان الثاني وقال في خطبته التي دعا فيها للقيام بالحروب الصليبية: «. . . وذلك أن الأتراك ـ يعني المسلمين ـ. . . قد توغلوا في الأراضي الرومانية. . . وقد استولوا على المزيد من أرض المسيحيين. . . وإذا سمحتم لهم أن يتمادوا في ذلك فإنهم سوف يهزمون شعب الرب ويوقعون بهم المزيد من الأذى»[2].

وقال وليم الصوري القسيس المشارك في بعض أحداث الحروب الصليبية في مقدمة كتابته لتاريخ الحملات الأولى من هذه الحروب: «. . . فيبدأ الكتاب بسفر أولئك الرجال والزعماء المغاوير الذين أحبهم الله فخرجوا استجابة لنداء السيد من ممالك الغرب واستولوا بيد قوية على أرض الميعاد ومعظم بلاد الشام. . . »[3].

وقال عن القدس: «لقد دانت المدينة المقدسة ـ حبيبة الرب ـ لحكم الأعداء بسبب خطايانا»[4].

وفي ثناء فوشيه شارتر القس الخاص لبلدوين في الحملة الصليبية الأولى على البابا أوربان في دعوته للحروب الصليبية قال: «. . . لقد بذل جهوداً قوية لطرد الوثنيين من أراضي المسيحيين»[5].

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة محمد بدران، المجلد الرابع، الجزء الرابع، ص (١٤).

(٢) الوجود الصليبي في الشرق العربي، فوشيه الشارتري، ترجمة د. قاسم عبده قاسم، ص (٩٢ ـ ٩٣).

(٣) الحروب الصليبية، وليم الصوري، ترجمة د. حسن حبشي (١/ ٥٤).

(٤) المصدر السابق (١/ ٦٧).

(٥) الوجود الصليبي في الشرق العربي، فوشيه شارتر، ترجمة د. قاسم عبده قاسم، ص (٩٦).

ثم بين أنهم إنما جاؤوا ـ أي الصليبيون ـ ليعيدوا للنصرانية مكانتها السابقة التي اغتصبتها المسلمون منذ زمن بعيد[1].

وتحدث صاحب كتاب قصة الحضارة عن وجهة النظر النصرانية السائدة لدى الكثيرين في أوربا إبان الدعوة للحروب الصليبية وأن من أهم أهدافها تخليص أرض عزيزة عليهم بقوله: «وهبَّ الأتقياء المخلصين ليخلصوا الأراضي التي ولد فيها المسيح ومات»[2].

وحينما تحدث عن نتائجها من وجهة النظر النصرانية الصليبية في أوربا قال: «فقد ضاعت هيبة أباطرة الغرب لعجزهم عن استرداد الأراضي المقدسة»[3] حيث إن عامة النصارى هناك يعتقدون أن هذه الأراضي لهم يجب استردادها من الأعداء.

وهكذا فإن غالب النصارى خصوصاً من الصليبيين يعدون المسلمين أعداءهم الألداء الذين اغتصبوا أرضهم، واضطهدوا إخوانهم، ولا شك أن هذا الشعور منهم تجاه المسلمين عائق كبير من أهم معوقات قبولهم الإسلام، وكيف يقبلون من أناس أضافوا إلى كفرهم وعدائهم ـ بزعم النصارى ـ أن اغتصبوا حقاً من حقوقهم، واستولوا على أراضٍ كانت من قبل تابعة لهم.

ثالثاً: الحاجز اللغوي:

اللغة وسيلة تخاطب وتفاهم بين الناس، ومن خلالها يستطيع الإنسان أن يعبر عن أفكاره ويشرحها ويقنع الآخرين بها، وإذا اختلفت اللغات في مجتمع من المجتمعات ولم يكن هناك مجال للاتصال من خلال الترجمة كان ذلك عاملاً من أهم عوامل الفرقة، واحتفاظ كل بمعتقداته وآرائه وعدم التقبل من الآخر بسبب عدم الفهم الصحيح، وعدم وجود الإقناع لضعف اللغة.

---

(١) المصدر السابق، ص (١٤٦).

(٢) قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة محمد بدران، المجلد الرابع، الجزء الرابع، ص (١٨).

(٣) المصدر السابق، المجلد الرابع، الجزء الرابع، ص (٦٢).

وقد كان النصارى من الصليبيين في الشام ومصر، أو في صقلية أو في الأندلس يتحدثون عدة لغات تختلف عن لغة المسلمين السائدة وهي العربية، ففي الشام ومصر كانت اللغة السائدة بين الصليبيين الفرنسية بوجه عام مع وجود لغات خاصة لبعض الأقليات الأوربية[(١)] كالألمانية والإنجليزية والإيطالية[(٢)]، وفي الأندلس كانت تسود الإسبانية.

لذلك صار اختلاف اللغة بين المسلمين والنصارى من أهم معوقات دعوتهم في هذه الفترة. خاصة أن الإفرنج بالإضافة إلى حالة العداء والحرب المستحكمة ضد المسلمين؛ كانت لهم مدنهم ومناطقهم الأمر الذي قلل من اختلاطهم بالمسلمين مع ما يشعرون به من تميز لاعتقادهم بكفر المسلمين ووثنيتهم. حيث قال أحد المؤرخين الأوربيين واصفاً الإفرنج في بلاد الشام: «وكانوا في مجملهم جنساً فخوراً بنفسه لا يختلط بالآخرين»[(٣)].

ولهذه الحواجز كلها تعمق حاجز اللغة بين الفريقين، فلم يكن هناك اندماج شعبي من الفرنج في المجتمع الإسلامي حتى يكتسبوا اللغة العربية كما حصل للمغول الذين اندمجوا بالمسلمين فاكتسبوا اللغة العربية بشكل واسع وأصبحوا جزءاً من المجتمع المسلم.

وحاجز اللغة بين المسلمين والنصارى الإفرنج لم يمنع الاتصالات بين الطرفين عن طريق المترجمين من الجانبين، إلا أن ذلك مهما كان التوسع فيه يظل محدوداً بالنسبة للمجتمع ككل، فطبقة المترجمين تتوجه إلى فئةٍ معينةٍ من المجتمع كالقادة أو العلماء أو التجار، ولا يظهر تأثيرها بشكل واضح على عامة الناس.

---

(١) انظر: الحركة الصليبية، د. سعيد عبد الفتاح عاشور (١/ ٤٨٢).

(٢) انظر: العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، د. حسن حلاق، ص (١٢٧).

(٣) الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، كلود كاهن، ترجمة أحمد الشيخ، ص (١١٣).

ومن الأمثلة على وجود من تعلم لغة الطرف الآخر من الجانبين لمصالح مختلفة أن بعض قادة الإفرنج كان يجيد اللغة العربية.

فهذا صاحب صيدا الإفرنجي أثناء حصار المسلمين لشقيف أرنون سنة ٥٨٥هـ أتى إلى صلاح الدين وتحدث معه دون وسيط حيث كان يجيد اللغة العربية(١).

وريموند كونت طرابلس خلال سنوات أسره عند نور الدين محمود انكب على القراءة والدراسة فتعلم اللغة العربية(٢).

والهنفري صاحب تبنين كان يجيد اللغة العربية، وقام بالترجمة بين ريتشارد قلب الأسد، والملك العادل في المحادثات التي جرت بينهما حول الصلح مع صلاح الدين(٣).

وعندما زار ابن جبير إحدى مدن صقلية وجد أميرها الإفرنجي يتحدث اللغة العربية(٤).

وفي المقابل اهتم المسلمون بتخصيص من يتعلم لغة الإفرنج للقيام بما يتطلبه الاتصال بين الجانبين، والقيام بوظائف الترجمة في بعض دواوين الدولة.

ومن ذلك تعيين المظفر قطز رجلاً يدعى شيرزاد بن معدود ترجماناً له والذي كان قد سافر إلى الروم لتعلم لغتهم حيث مكث عندهم عشر سنين(٥).

---

(١) انظر: النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ص (١٥٥).

(٢) انظر: تاريخ الحروب الصليبية، ستيفن رنسيمان، ترجمة د. السيد الباز العريني (٢/ ٦٥٣).

(٣) انظر: النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ص (٢٧٤).

(٤) انظر: رحلة ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني، ص (٢٩٨).

(٥) انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، طبعة الهند، ١٣٥٠هـ (٣/ ١٩٧).

ووصف القلقشندي إجراءات الترجمة في الديوان مبيناً أنه عقب ورود الرسائل من الفرنجة كان المسؤولون بالديوان يتسلمونها ويفحصون ختمها ثم يفكونها، فيترجمها بعد ذلك الترجمان بالأبواب السلطانية، حيث يكتب الترجمان الترجمة في ورقة مفردة ويلصقها بالكتاب الوارد ثم يكتب الرد من واقع النص[1].

أما على مستوى العلماء والكتاب فإن من يجيدون اللغة العربية وقاموا بجهود في مجال الترجمة من اللغة العربية إلى اللغات اللاتينية فهم كثيرون جداً خصوصاً في الأندلس وصقلية[2].

وحتى في المناطق التجارية بين المسلمين والإفرنج يوجد من الموظفين من يتحدث لغة الطرف الآخر.

حيث شاهد ابن جبير أن موظفي الجمارك في عكا الصليبية وهم من الإفرنج الذين يجيدون اللغة العربية[3].

ومما سبق يتضح أن معرفة كل طرف بلغة الطرف الآخر كان منحصراً في طبقة معينة من القادة والعلماء والمترجمين والموظفين من ذوي العلاقة، أما عامة الناس فلم يتهيأ لكل منهم معرفة لغة الطرف الآخر بشكل يمكن معه التفاهم بسهولة. لذلك أصبحت اللغة في هذه الفترة عائقاً كبيراً من عوائق دعوة عامة النصارى إلى الإسلام، الأمر الذي سبب عدم معرفتهم لمبادئه السمحة، وكل ما عرفوه انتقل إليهم عن طريق ما سطره لهم علماؤهم وقادتهم بلغاتهم، فما يصلهم لذلك إلا معلومات مضللة عن الدين الإسلامي تنفرهم منه وتزيد من عدائهم للمسلمين.

---

(١) انظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد بن أحمد القلقشندي، القاهرة ١٩١٣م، (٨/ ١٢٣).

(٢) انظر: أمثلة على هؤلاء المترجمين في «ثالثاً» من المطلب الأول في المبحث الأول من هذا الفصل، وفضل الإسلام على الحضارة الغربية، مونتجمري وات، ترجمة: حسين أحمد أمين، ص (٨٣ ـ ٨٦). والعلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، د. حسان حلاق، ص (١٤٠ ـ ١٤٢).

(٣) انظر: رحلة ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني، ص (٢٧٥).

المبحث الثاني

الجهود المبذولة
في مواجهة معوقات الدعوة
للنصارى

المطلب الأول

الجهود المبذولة
في مواجهة المذاهب والفرق الهدامة

أولاً: الجهود المبذولة في مواجهة الباطنية:

واجهت الدولة الإسلامية خطر الباطنية منذ بداية انتشاره في الأمة، وحشدت لذلك الكثير من طاقات قادتها وعلمائها، وفي فترة الحروب الصليبية كان من أبرز الجهود المبذولة في ذلك قيام السلطان السلجوقي بركياروق سنة ٤٩٤هـ بقتل أكثر من ثلاثمائة من الباطنية ممن تحقق فيهم هذا المذهب الخبيث(١).

وفي سنة ٤٩٧هـ قام السلطان السلجوقي سنجر بمهاجمة قلاع الباطنية في خراسان حيث انتدب قائده برغش لهذه المهمة والذي أعمل فيهم القتل والسبي حتى ألجأهم إلى طلب الصلح على ألا يتعرضوا للمسلمين وألا يبنوا حصناً أو يدعو إلى مذهبهم(٢). ثم نقضوا ما عاهدهم عليه فجهز لذلك سنة ٥٢٠هـ عدة

---

(١) انظر: المنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله (١٧/ ٦٢). والكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٤٤٨).

(٢) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٥٠٠).

ألوية تتبع فيها قلاعهم في شرق الدولة الإسلامية حيث أعمل فيهم القتل والسبي وغنم الكثير من أموالهم[1]. بل إنه حاصر مركز قوتهم وقلعتهم الحصينة آلموت سنة ٥٢١هـ[2].

وكذلك السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي كانت له جهود بارزة في قتال الباطنية، بل إنه كاد أن يقضي عليهم في شرق الدولة الإسلامية قضاءاً مبرماً إلا أن منيته حالت دون ذلك، حيث أضعفهم كثيراً بحملاته المتكررة التي شتت فيها شملهم وهدم العديد من حصونهم، ومن ذلك قيامه بإرسال شحنة بغداد إلى قلعتهم في تكريت مما جعلهم يسلمونها لصدقة بن منصور بن مزيد الشيعي لتخرج عن سيطرتهم[3].

وفي سنة ٥٠٠هـ قام هذا السلطان بقتل خلق كثير منهم في أصبهان، بل إنه تمكن من رئيسهم ابن عطاش[4] سنة ٥٠٠هـ[5]، ثم أرسل وزيره نظام الملك أحمد بن نظام الملك إلى قلعة آلموت سنة ٥٠٣هـ حيث حاصرها مدة ثم رجع عنها بسبب دخول فصل الشتاء[6]. ثم عاد وأرسل إلى هذه القلعة أحد قواده سنة

---

(١) انظر: المصدر السابق (٨/ ٧٠٢).

(٢) انظر: المصدر السابق (٩/ ١٠).

(٣) انظر: المصدر السابق (٨/ ٥٣٣).

(٤) هو أحمد بن عبد الملك بن عطاش زعيم باطنية أصبهان، تولى بعد أبيه رئاسة هذه الطائفة، وكان جاهلاً وإنما وُلّي لمكانة أبيه، وفي عهده ازداد خط الباطنية مما جعل سلاطين السلاجقة يتتابعون على حربهم، حيث قتل زعيمهم أحمد بن عطاش سنة ٥٠٠هـ.

انظر: المنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله (١٧/ ١٠١ ـ ١٠٢). والكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٥٤١)، وما بعدها.

(٥) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٥٤١)، والمنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله (١٧/ ٦٠١ ـ ٦٠٢).

(٦) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٥٨٠).

٥٠٥هـ الذي استولى في طريقه إليها على عدد من حصونهم، ثم ضرب الحصار على قلعة آلموت حتى سنة ٥١١هـ حيث رحل عنها بسبب موت السلطان محمد بن ملك شاه[١].

ومن جهود الولاة والقادة في بلاد الشام ضد الباطنية قيام صاحب دمشق بوري بن طغتكين سنة ٥٢٣هـ بقتل من كان يرمى بمذهب الباطنية وتعليق رؤوس أكابرهم على باب القلعة[٢].

وفي سنة ٥٧٢هـ قام صلاح الدين الأيوبي بمحاصرة أحد حصونهم في الشام حيث أعمل فيهم القتل والسبي[٣]. بل إنه قضى على أقوى دولة للباطنية في ذلك الوقت وهي دولة بني عبيد في مصر بأمر من نور الدين محمود سنة ٥٦٧هـ حيث قطع الخطبة للعاضد العبيدي وأقامها للعباسيين في بغداد وبذلك انتهت دولة بني عبيد الباطنية[٤].

ولم تقتصر مواجهة الباطنية في الدولة الإسلامية على الولاة والقادة بل إن العلماء كان لهم الدور البارز في التحذير منهم وبيان بطلان نحلتهم وتحصين المجتمع من شبههم.

ومن ذلك قيام مجموعة من العلماء منهم صاعد بن يحيى شيخ الحنفية بأصبهان وقاضيها بمناظرة الباطنية سنة ٥٠٠هـ ودحض شبههم[٥].

وقد عرض الشهرستاني شيئاً من عقائدهم موضحاً بطلانها، وله معهم مناظرات نقض فيها ما يعتقدونه من التسليم لأئمتهم وترك ما جاء به النص، قال: «وكم قد ناظرت القوم على المقدمات المذكورة فلم يتخطوا عن قولهم: أفنحتاج

---

(١) انظر: المصدر السابق (٨/ ٦٢٠ ـ ٦٢١).

(٢) انظر: المصدر السابق (٩/ ١٦ ـ ١٧).

(٣) انظر: المصدر السابق (٩/ ٤٢٣).

(٤) انظر: المصدر السابق (٩/ ٣٦٤).

(٥) انظر: المصدر السابق (٨/ ٥٤٣)، والمنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله (١٧/ ١٠٢).

إليك؟ أو نسمع هذا عنك؟ أو تعلم عنك؟»[1].

وقال منتقداً طريقتهم في منع العامة من الخوض في العلوم ومطالعة الكتب ووجوب التسليم للأئمة دون تبصر: «. . . وفتحهم باب التسليم والتقليد، وليس يرضى عاقل بأن يعتقد مذهباً على غير بصيرةٍ، وأن يسلك طريقاً من غير بينة»[2].

وتحدث ابن الجوزي عن فرقهم وشيء من عقائدهم فاضحاً باطلهم ومحذراً منهم ومبيناً كفرهم وخروجهم عن الدين بالكلية، حيث قال: «ثم إنهم تفلسفوا ولم يزالوا مستهزئين بالنواميس الدينية والأمور الشرعية، وتحصنوا بالحصون، وكثرت شوكتهم. . . وأظهروا إسقاط التكاليف، وإباحة المحرمات، وصاروا كالحيوانات العجماوات بلا ضابط ديني ولا واضع شرعي»[3]. ووصفهم بأنهم قوم تستروا بالإسلام، وعقائدهم وأعمالهم مباينة له وأن حاصل ما يقولون هو تعطيل الصانع، وإبطال النبوّة والعبادات وإنكار البعث[4].

وبين الرازي مبدأ ظهورهم وفصل عقائد فرقهم وأبرز ضلالهم وكفرهم؛ محذراً من شبههم وموضحاً خطرهم على الدين[5]. ومن ذلك قوله: «اعلم أن الفساد اللازم من هؤلاء على الدين الحنيفي أكثر من الفساد اللازم عليه من جميع الكفار. وهم فرق ومقصدهم على الإطلاق إبطال الشريعة بأسرها ونفي الصانع، ولا يؤمنون بشيء من الملل، ولا يعترفون بالقيامة. . .»[6].

وتحدث الشيخ عباس بن منصور السكسكي الحنبلي عن إحدى فرقهم وهم

---

(١) الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق أمير علي مهنا وزميله، (١/ ٢٣٤).

(٢) المصدر السابق (١/ ٢٣٥).

(٣) كيد الشيطان لنفسه قبل خلق آدم عليه السلام، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، ص (١٠٩).

(٤) انظر: تلبيس إبليس، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، ص (١٠٢).

(٥) انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، محمد بن عمر الرازي، ص (١١٩).

(٦) المصدر السابق، ص (١٠٥ ـ ١٠٦).

النصيرية مبيناً تأليههم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وموضحاً بعض مناطق نفوذهم في بلاد الشام[1].

ومن العلماء الذين لهم جهود في مواجهة الباطنية والتحذير منهم وكشف باطلهم وفضح تلبيسهم على العامة الشيخ عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي «أبو شامة» وذلك من خلال كتابه عن العبيديين الذي سماه ـ كشف حال بني عبيد ـ وفي كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، حيث فصل الحديث في تاريخهم مبيناً مبدأ دعوتهم ومؤكداً على عدم صحة نسبتهم إلى فاطمة رضي الله عنها، وفضح نحلتهم الخبيثة حيث يقول: «وذكر جماعة من أكابر العلماء أنهم لم يكونوا لذلك أهلاً ـ أي نسبتهم إلى فاطمة رضي الله عنها ولا نسبهم صحيحاً بل المعروف أنهم بنو عبيد، وكان والد عبيد هذا من نسل القداح الملحد المجوسي، وقيل: كان والد عبيد هذا يهودياً من أهل سلمية من بلاد الشام... وكان زنديقاً خبيثاً عدواً للإسلام... حريصاً على إزالة الملة الإسلامية، قتل من الفقهاء والمحدثين جماعة كثيرة، وكان قصده إعدامهم من الوجود لتبقى العالم كالبهائم، فيتمكن من إفساد عقائدهم وضلالهم»[2].

وقال: «اشتهر لهم ذلك بين العوام فصاروا يقولون: الدولة الفاطمية، والدولة العلوية، وإنما هي الدولة المجوسية أو اليهودية الباطنية الملحدة»[3].

ثم بين أبو شامة صلتهم بإخوانهم باطنية خراسان وبلاد الشام من الحشاشين والدروز والنصيرية[4].

بعد ذلك عرض عرض لجملة من مخازيهم وضلالاتهم تحذيراً منهم وكشفاً لحالهم وتنبيهاً لمن قد ينخدع بهم حيث قال: «ولكن لا بدّ من ذكر شيء من ذلك

---

(١) انظر: البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، عباس بن منصور السكسكي الحنبلي، تحقيق د. بسام علي العموش، ص (٦٧).
(٢) الروضتين في أخبار الدولتين، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (١/ ٢٠١).
(٣) انظر: المصدر السابق (١/ ٢٠١).
(٤) انظر: المصدر السابق (١/ ٢٠١).

ـ أي ضلالاتهم ـ تنفيراً لمن لعله يعتقد إمامتهم ويخفى عنه محالهم ولم يعلم قباحتهم ومكابرتهم وليعذر من أزال دولتهم وأمات بدعتهم»[١].

وبعد زوال دولة بني عبيد الباطنية من مصر على يد صلاح الدين الأيوبي حاولت جماعة منهم إعادة سلطان هذه الدولة الباطنية فقام الشيخ زين الدين علي بن إبراهيم بن نجا ـ ابن النجية ـ بكشف حالهم لدى صلاح الدين الذي تصدى لهم وقام بقتلهم[٢].

وفصل ابن الأثير الحديث في دولة بني عبيد مبيناً أن القصد من نحلتهم إفساد الدين الصحيح بالتأويل والطعن فيه، وأن هذه الطائفة انتشرت في البلاد وتعلموا الشعبذة[٣] والنارنجيات[٤] والنجوم والكيمياء، فهم يحتالون على كل قوم بما يمليون إليه[٥].

وهكذا كان للجهود المباركة التي بذلت في هذه الفترة في مواجهة الباطنية أثرها الواضح في فضح عقائد هذه الطائفة وكشف باطلها بحيث أصبحت ظاهرة الضلال في المجتمع المسلم فلا ينخدع أحد بزيفها وشببها.

ثانياً: الجهود المبذولة في مواجهة الشيعة:

كان التشيع لآل البيت ولا يزال ستاراً تختفي وراءه الكثير من النحل التي

---

(١) المصدر السابق (١/ ٢٠١).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢١/ ٣٩٥).

(٣) الشعبذة «لعب يرى الإنسان منه ما ليس له حقيقة كالسحر» المصباح المنير، أحمد بن محمد المقري، مادة «شعبذ» ص (١٢٠). ويقال: شعوذه وهي خفة في اليد وأخذ كالسر يُرى الشيء بغير ما عليه أصله في رأي العين. انظر: القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مادة «شبذ» ص (٤٢٧).

(٤) النارنجيات جمع نيرنج، أخذٌ كالسحر وليس به. انظر: القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مادة «نرج» ص (٢٦٥).

(٥) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٦/ ٥٨١).

تريد الكيد للإسلام، وما كانت الفرق الباطنية قديماً وحديثاً تروج لمعتقداتها وتنشر ضلالاتها إلا تحت ستار محبة آل البيت، لذلك انخدع كثير من عامة المسلمين خاصة الأعاجم بمثل هذه الدعاوى، وتحت هذا الشعار تسللت الكثير من العقائد الباطلة إلى الشيعة خاصة بغض الصحابة وسبهم، لذلك أصبح الشيعة بسبب ما تسلل إليهم من عقائد باطلة مخالفين لأهل السنة، وبسبب ما لُبِّس على عامتهم صاروا معادين لأهل الحق متميزين عنهم بضلالاتهم المختلفة، وصاروا لذلك مصدر قلاقل في المجتمع المسلم، وعامل ضعف في بنائه بسبب فتنهم المستمرة.

وفي عصر الحروب الصليبية ـ كما سبق بيانه ـ كان التشيع من عقبات دعوة المسلمين للنصارى خاصة في العراق حيث كانت فتن الشيعة مما شغل الخلافة عن مواجهة الصليبيين وحدّ من جهودها في جهادهم ودعوتهم.

وقد توجهت الكثير من جهود قادة الأمة وعلمائها لتذليل هذه العقبة، ففي العراق مثلاً كان من أبرز الجهود المبذولة في هذا المجال قيام الخليفة المسترشد سنة ٥١٧هـ بمقاتلة أكبر زعماء الشيعة في ذلك الوقت في العراق دبيس بن صدقة وهزيمته وتشتيت عسكره لما كان عليه هو وقومه من سب للصحابة، وعدم إقامة الجمع والجماعات وعدم سماع الأذان عندهم، ولفتنهم المتكررة ضد أهل السنة[(١)]؛ حيث قتل دبيس بعد ذلك سنة ٥٢٠هـ[(٢)].

وفي خلافة المقتفي سنة ٥٤٧هـ يُقبض على شخص وجد عنده ألواح كتب فيها أسماء الأئمة الاثني عشر حيث أخذت منه وشُهر به وأدب[(٣)].

واشتد الخليفة المستنجد بالله يوسف بن محمد المتوفّى سنة ٥٦٦هـ[(٤)] على

(١) انظر: المنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله(١٧/ ٢١٦) وما بعدها.
(٢) انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٩/ ٦١٣).
(٣) انظر: المنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله(١٨/ ٨٤).
(٤) انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢٠/ ٤١٨).

بني أسد الشيعة لما ظهر من فسادهم حيث أمر بقتالهم وإجلائهم عن البلاد - الحلة والكرخ - حيث فرقهم وقضى على شوكتهم قضاءً مبرماً، وذلك سنة ٥٥٨هـ[١].

ومن جهود هذا الخليفة في مواجهة الشيعة وكسر شوكتهم والقضاء على بدعهم أنه في سنة ٥٥٩هـ أخذ مجموعة من صانعي الحصر في بغداد وشهر بهم لكتابهم أسماء الأئمة الاثنى عشر على الحصر التي يصنعونها[٢].

ومن الجهود المبذولة في هذا الجانب أَمْر الخليفة العباسي الحسن بن يوسف «المستضيء بأمر الله» المتوفّى سنة ٥٧٥هـ والذي كان قد ضعف الرفض بدولته[٣] بالإعلان أن كل من يسب الصحابة سيعاقب بالسجن، وقوّى لذلك يد ابن الجوزي بالاحتساب على الشيعة فانكف على يده من كان يجاهر بسب الصحابة رضي الله عنهم، وكان ذلك سنة ٥٧١هـ[٤].

ومن مَبلغ مكافحة التشيع أنه في عهد الخليفة المستضيء بالله في سنة ٥٧٢هـ قُبض على طحان من أهل الكرخ أقسم بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه فحبس أياماً وسُود وجهه وشهر به[٥].

وفي سنة ٥٧٤هـ قُبض على رجل يقال له أبو السعادات بن قرايا كان يظهر التشيع حيث وجد عنده كتباً كثيرة فيها سب للصحابة فأخذ وأدب وحرقت كتبه؛ مما جعل كثيراً من الشيعة يحرقون ما عندهم من الكتب خشية الاطلاع عليها[٦].

---

(١) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٩/ ٣٠٣).

(٢) انظر: المنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله(١٨/ ١٥٩).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢١/ ٧٠).

(٤) انظر: المنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله(١٨/ ٢٢٢).

(٥) انظر: المصدر السابق (١٨/ ٢٣٢).

(٦) انظر: المصدر السابق (١٨/ ٢٥١).

ولهذه الجهود المباركة من الولاة والقادة في العراق في هذه الفترة انكسرت شوكة التشيع وذلّ أصحابه حتى وصفهم ابن الجوزي بأنهم أذل من اليهود[1].

ومن جهود الولاة والقادة في الشام ومصر في محاربة التشيع قيام نور الدين محمود سنة ٥٤٣هـ بإبطال الأذان بحي على خير العمل في مدينة حلب حيث يكثر الشيعة[2].

وقيام صلاح الدين الأيوبي بعزل قضاة مصر الشيعة وتولية قضاة من السنة مكانهم.

ففي سنة ٥٦٦هـ عين صلاح الدين الأيوبي القاضي صدر الدين عبد الملك بن درباس المارداني الكردي الشافعي قاضياً للقضاة في مصر والذي استناب في سائر المعاملات قضاة شافعية بدل الشيعة[3]، واستمر في منصبه هذا حتى عام ٥٩٠هـ[4].

ومن جهود صلاح الدين في محاربة التشيع في مصر قيامه بقطع الأذان بحي على خير العمل وإقامة شعار السنّة في الديار المصرية وهو الأذان بحي على الصلاة[5].

وكان للعماء دور مهم في محاربة التشيع والتحذير منه وفضح ضلالات

---

(١) انظر: المصدر السابق (١٨/ ٢٥١).

(٢) انظر: الروضتين في أخبار الدولتين، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي ـ أبو شامة ـ (١/ ٥٧).

(٣) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٩/ ٣٦٢)، والبداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٢/ ٢٨٢).

(٤) انظر: حسن المحاضرة، عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (٢/ ١٥٣).

(٥) انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٢/ ٢٨٣).

الشيعة وأباطيلهم، سواء بالتأليف أو المناظرة أو الاحتساب على بدعهم أو استعداء السلطة عليهم.

ومن ذلك تفصيل ابن الجوزي الحديث في طوائف الشيعة الرئيسة وتقسيمه إياهم إلى غلاة وزيدية وإمامية، ثم عرضه لأهم عقائد كل طائفة وبيان بعض الفرق المنتسبة إلى كل منها(١).

ومن جهود ابن الجوزي في قمع بدع الشيعة ما قام به خلال التدريس والوعظ في بغداد حيث كان يتتبع بدعهم ومن يقوم بإظهار شيء منها فيرفعه للسلطان احتساباً عليه وقمعاً لبدعته، وقد أيده الخليفة المستضيء في ذلك، حيث قال هو عن جهوده في هذا المجال: «... إن أمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ قد بلغه كثرة الرفض وقد خرج توقيعه بتقوية يدي في إزالة البدع فمن سمعتموه من العوام يتنقص بالصحابة فأخبروني حتى أنقض داره وأخلده الحبس، وإن كان من الوعاظ حدرته المشان، فانكف الناس...»(٢).

وذكر ابن الجوزي أن مغالاة الشيعة في حب عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وتكفيرهم للشيخين بل والتبري من كل الصحابة وسبهم أن ذلك من تلبيس إبليس عليهم حتى وصل بهم الأمر أن وضعوا أحاديث في فضل عليّ رضي الله عنه هي في الحقيقة تشينه وتؤذيه وليس فيها شيء من الكرامة التي يريدونها له(٣).

وبعد أن عرض ابن الجوزي شيئاً من تشريعاتهم وأحكامهم بين بطلانها ووضح أنهم فيها خرقوا الإجماع وسول لهم إبليس على وضعها على وجه لا يستندون فيه على أثر ولا قياس(٤).

---

(١) انظر: كيد الشيطان لنفسه قبل خلق آدم عليه السلام، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، ص (٩٢) وما بعدها.

(٢) انظر: المنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله(١٨/ ٢٢٢).

(٣) انظر: تلبيس إبليس، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، ص (٩٩).

(٤) انظر: المصدر السابق، ص (٩٩ ـ ١٠٠).

وتحدث الرازي عن الرافضة مقسماً إياهم إلى طوائف تصل إلى حد الكفر وهم الغلاة بفرقهم المختلفة، وطوائف ضللت ضلالاً بعيداً في عقائدها كالزيدية والإمامية حيث فصل الحديث عن عقائد كل طائفة مبيناً أن هذه العقائد مجرد مزاعهم ليس لهم استناد بها[1].

واستطرد الشهرستاني في بيان طوائف الشيعة مقسماً إياها إلى طوائف رئيسة، ومبيناً عقائد كل منها، ومشيراً إلى بطلان هذه العقائد.

فمثلاً حين تحدث عن عقيدتهم في سب الصحابة قال: «فليت شعري كيف يستجيز ذو دين الطعن فيهم ونسبة الكفر إليهم»[2]. وقد وردت النصوص بعدالتهم، وإن نقل في بعضهم هِنات فليتدبر النقل فإن أكاذيب الرافضة كثيرة، وإحداث المحْدَثين عديدة[3].

وفي ثنايا حديث الشهرستاني عن الشيعة بين أن أغلب أصول فرقهم تميل إلى الاعتزال، وهم يعظمون أئمة المعتزلة ويبجلونهم[4]. وفي حديثه عن إحدى فرق الشيعة الإمامية وهم الباقرية أتباع محمد الباقر بن علي بن زين العابدين المتوفّى بالمدينة سنة ١١٤هـ وضح أن الإمام بريء من حماقاتهم وعقائدهم الباطلة من القول بالغيبة[5]، والرجعة[6]، ....

---

(١) انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، محمد بن عمر الرازي، ص (٧٧) وما بعدها.

(٢) الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق أمير علي مهنا وزميله (١/ ١٩٢).

(٣) انظر: المصدر السابق (١/ ١٩٢).

(٤) انظر مثلاً: المصدر السابق (١/ ١٨٠ ـ ١٨٩).

(٥) الغيبة: تعني قول الباقرية إن الإمامة لما بلغت محمد الباقر ختمت عليه وهو لم يمت لكنه غائب.

انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، محمد بن عمر الرازي، ص (٨٠).

(٦) الرجعة: تعني الاعتقاد أن أئمة الشيعة ابتداءً بالإمام علي رضي الله عنه وانتهاءً بالحسن العسكري الإمام الحادي عشر سيرجعون إلى هذه الدنيا ليحكموا المجتمع الذي أرسي قواعده

والبداء[١]، والاعتزال[٢]، والقدر، وغير ذلك[٣].

وعندما تحدث الشيخ عباس بن منصور السكسكي الحنبلي عن فرق الرافضة المختلفة وبين بعض عقائدهم وضلالاتهم قال: «... وأنا أذكر بعض ما ذهبوا إليه من البواطل والرموز... وإن لم يكن فيه فائدة بل لبيان سوء معتقدهم»[٤].

وفي ثنايا حديثه عن فرقهم تتكرر منه كلمات التحذير من نحلهم والدعاء عليهم كقوله: «فلا وفقهم الله تعالى، بئس الشرع شرعوه لأنفسهم»[٥]، وفي موضع آخر وبعد بيانه لبعض عقائدهم قال: «... فكذبوا في ذلك كله، فلا وفقهم الله تعالى، فما أجمعهم للأقاويل وأحفظهم للأباطيل»[٦]. ويحذر من بدعهم في ثنايا عرضه لبعضها بقوله: «... فالحذر من أهل البدع»[٧]. وفي موضع آخر يقول: «ولهم أقوال كثيرة وأباطيل فأعوذ بالله من سوء مذهبهم»[٨].

بالعدل والقسط الإمام المهدي الذي يظهر قبل رجعة الأئمة.
انظر: الشيعة والتصحيح، د. موسى الموسوي، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م، ص (١٤١).

(١) البداء عند الرافضة: يعني تغيير الإرادة الإلهية في الإمامة. فالإمامة حسب التسلسل الموجود عند الشيعة الإمامية تنتقل من الأب إلى الابن ما عدا انتقالها من الحسن إلى الحسين، فقد حدث أن إسماعيل الابن الأكبر لجعفر الصادق قد توفي في عهد أبيه فانتقلت الإمامة إلى أخيه موسى بن جعفر الصادق ولم تنتقل إلى ابنه. وهذا الانتقال يسمونه بداءً على الله لأن الإمامة لم تأخذ تسلسلها الطبيعي من الأب إلى الابن.
انظر: الشيعة والتصحيح، موسى الموسوي، ص (١٤٨ ـ ١٤٩).

(٢) الاعتزال نسبةً إلى فرقة المعتزلة والقدر نسبةً إلى القدرية وقد سبق التعريف بهما.

(٣) انظر: الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق أمير علي مهنا وزميله، ص (١/ ١٩٤).

(٤) البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، عباس بن منصور السكسكي الحنبلي، تحقيق: د. بسام العموش، ص (٧١ ـ ٧٢).

(٥) المصدر السابق، ص (٨٠).

(٦) المصدر السابق، ص (٨٥).

(٧) المصدر السابق، ص (٨١).

(٨) المصدر السابق، ص (٧٤).

وممن له جهود في محاربة البدع بشكل عام ومنها بدع الشيعة الإمام عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي المتوفّى سنة ٦٢٠هـ وذلك من خلال كتابه فضائل الصحابة[(١)].

وكذا الإمام محمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي المتوفّى سنة ٦٤٣هـ في كتابه النهي عن سب الأصحاب[(٢)].

ولا شك أن هذه الجهود المباركة وأمثالها حفظت لمنهج أهل السنة والجماعة تميزه ووضوحه فلم تخالطه المعتقدات الباطلة أو تداخله شبهات المبتدعة وإن اتخذ أصحاب هذه المعتقدات والشبهات لباطلهم وسائل وأساليب تحببها إلى الناس وتقربها إليهم.

ثالثاً: الجهود المبذولة في مواجهة الفلسفة والفرق الكلامية:

كانت الفلسفة والاشتغال بعلم الكلام من عقبات دعوة المسلمين للنصارى في فترة الحروب الصليبية كما سبق بيانه[(٣)].

وقد هيأ الله للأمة بفضله ورحمته في هذه الفترة من القادة والعلماء المصلحين من واجهوا هذه العقبة، وكان على أيديهم ومن خلال ما بذلوه في هذا المجال الحفاظ على المنهج الحق، وحماية العقيدة والتحذير من هذا الخطر. فبقي الحق لذلك ناصعاً لا تخالطه البدع ولا يشتبه بالضلال، وفيما يلي عرض لبعض هذه الجهود.

١ ـ الجهود المبذولة في مواجهة الفلسفة والمنطق:

وقد كان من جهود بعض ولاة الأمة في هذه الفترة في مواجهة الفلسفة قيام الخليفة الناصر[(٤)] في بغداد سنة ٦٠٣هـ بالقبض على عبد السلام بن عبد

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٦٨/٢٢).

(٢) انظر: المصدر السابق (١٢٨/٢٣).

(٣) انظر: المبحث الأول من هذا الفصل.

(٤) هو أحمد بن الحسن بن يوسف العباسي «الناصر لدين الله» مولده سنة ٥٥٣هـ وتولى

الوهاب بن عبد القادر الجيلي وذلك لفسقه وفجوره وفساد عقيدته إذ وجد عنده شيء من كتب الفلسفة والسحر فأخذت منه وأحرقت[1].

وكان الوزير ابن يونس[2] قد استدعاه وجمع الفقهاء والقضاة وقرىء بحضرته بعض كتبه التي خطها ومما قرىء قوله: «أيها الكوكب الفرد أنت تدبر الأفلاك وتحيي وتميت وأنت إلهنا» فيقرر بذلك فيتعسف الحجج. ثم تُحرق هذه الكتب أمام الناس، والناس يلعنون كاتبها ومعتقدها[3]، وقد توفي الجيلي سنة ٦١١هـ[4].

واشتد الخليفة الناصر في محاربة كتب الفلسفة حيث أمر الشيخ عبدالله التيمي المعروف بابن المارستانية[5] أن يخطب بالناس للتحذير من الفلسفة وبيان خطرها. فقام لذلك ابن المارستانية وخطب خطبة لعن فيها الفلاسفة ومن حذا

الخلافة سنة ٥٧٥هـ وكان شهماً شجاعاً ذا فكرة صائبة. وقد كانت وفاته سنة ٦٢٢هـ وكان أطول خلفاء بني العباس بقاءاً في الخلافة.

انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (١٠/٣٩٨)، وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢٢/١٩٢) وما بعدها.

(١) انظر: الذيل على الروضتين في أخبار الدولتين، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، ص (٥٥).

(٢) هو عبيد الله بن يونس بن أحمد البغدادي، تولى الوزارة للخليفة الناصر، سار بجيوش الناصر لحرب طغرل آخر السلجوقية فأسر ثم هرب، مات سنة ٥٩٣هـ.

انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (١٠/٤٦)، وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢١/٢٩٩ ـ ٣٠٠).

(٣) انظر: الذيل على الروضتين في أخبار الدولتين، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، ص (٥٦).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢٢/٥٥).

(٥) هو عبدالله بن علي بن نصر بن حمزة التيمي، سمع الحديث، وجمعه، وكان طبيباً يعرف علوم الأوائل، مات بتفليس، سنة ٥٩٩هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢١/٣٩٧ ـ ٣٩٨)، والبداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٣/٣٩).

حذوهم، ثم أخذ يخرج كتب الفلسفة كتاباً كتاباً، ويتكلم بمضمونها موضحاً للناس ما فيها من الباطل، ثم يلقيها في النار[1].

وممن له جهود من الولاة في الشام في محاربة الفلسفة السلطان صلاح الدين الأيوبي الذي كتب لولده الظاهر في حلب بأن يقتل الشهاب السهروردي الفيلسوف لمعتقداته الباطلة وسحره وشعوذته وذلك سنة ٥٨٦هـ[2].

وكان الملك الأشرف موسى بن العادل المتوفّى سنة ٦٣٥هـ ـ وكان فيه دين وخوف من الله[3] ـ حينما ملك دمشق سنة ٦٢٦هـ نادى مناديه فيها ألا يشتغل أحد من الفقهاء بشيء من العلوم سوى التفسير والحديث والفقه، ومن اشتغل بالمنطق وعلوم الأوائل نفي من البلد[4].

وفي المغرب الإسلامي كان لولاة المرابطين دور مهم في محاربة الفلسفة والمنطق وعلم الكلام، وكان من أبرزهم في هذا المجال الأمير علي بن يوسف بن تاشفين، الذي أشرب بغض الفلسفة والمنطق وعلم الكلام.

فكان يكتب في كل وقت إلى أنحاء البلاد بالتشديد في نبذ الخوض في شيء من ذلك، وتوعد من وُجد عنده شيء من كتب الفلسفة والمنطق بالعقاب بل وسفك الدم[5].

وقد كان للعلماء في هذه الفترة دور منهم في مجابهة الفلسفة والتحذير منها حماية للمجتمع المسلم من الآثار السيئة المترتبة عليها.

---

(١) انظر: الذيل على الروضتين في أخبار الدولتين، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، ص (٥٦).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢١/ ٢٠٨).

(٣) انظر: المصدر السابق (٢٢/ ١٢٣).

(٤) انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٣/ ١٥٨).

(٥) انظر: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي، تحقيق محمد سعيد العريان، وزميله، المكتب التجارية الكبرى، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٩م، ص (٢٣٦ ـ ٢٣٧).

ففي شرق الدولة الإسلامية كان من العلماء الذين حذروا من الفلسفة والمنطق وعلم الكلام بعد ما خاضوا فيه وندموا على ذلك محمد بن عمر الرازي الذي كان ينشد:

وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وحاصل دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا[1]

وكان من قوله: «لقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فلم أجدها تروي غليلاً ولا تشفي عليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، اقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[2]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[3]، وفي النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[4]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾[5]»[6].

فما أبلغ هذا التحذير من المناهج الفلسفية من عالم خاض تجربة طويلة في هذا المسلك فأدرك الخطر المترتب عليه والضلال الناتج عنه.

وممن تعرض للفلسفة من العلماء في خراسان وبين تأريخها وبعض أعلامها سواء من اليونان أو المسلمين الشهرستاني في كتابه الملل والنحل. وقد كان له ردود على الفلاسفة فضح فيها باطلهم ورد شبهاتهم كما في كتابه مصارعة الفلاسفة، أو المصارعة والمضارعة، وكتاب أرسطاطاليس وابن سينا[7].

---

(١) انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٣/ ٦١).

(٢) سورة طه، الآية: (٥).

(٣) سورة فاطر، الآية: (١٠).

(٤) سورة الشورى، الآية: (١١).

(٥) سورة مريم، الآية: (٦٥).

(٦) البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٣/ ٦٢).

(٧) انظر: الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق أمير علي مهنا وزميله، (٢/ ٣٦٩) وما بعدها.

وممن كان له جهد كبير في محاربة الفلسفة والمنطق في العراق ابن الجوزي الذي فصل الحديث عن الفلسفة مبيناً أشهر أعلامها من المسلمين وغيرهم وموضحاً الكفر البواح والزندقة الصريحة في آراء الفلاسفة ومعتقداتهم في الخالق سبحانه وتعالى وفي الملائكة والكتب والرسل. حيث أكد أن كل فيلسوف لا يكون كذلك إذا كان مؤمناً بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ومتعبداً بشعائر الإسلام. فإذا كان كذلك نُسب إلى الجهل والغباء، أو أن ذلك منه من باب استمالة قلوب العامة[1].

وقال ـ رحمه الله تعالى ـ منتقداً طريقة الفلاسفة وبعدهم بها عن منهج الأنبياء والرسل: «... فرسل الله وأتباعهم في طرف وهؤلاء في طرف، فملاحدتهم أهل التعطيل المحض، فإنهم عطلوا الشرائع، وعطلوا المصنوع عن الصانع، وعطلوا الصانع عن صفات الكمال»[2]. بل إن ابن الجوزي يرى أن اليهود والنصارى أعذر من هؤلاء المتفلسفة؛ لكونهم متمسكين بشرائع دلت عليها معجزات وكذلك المبتدعة في الدين أعذر منهم؛ لأنهم يدّعون النظر في الأدلة وهؤلاء لا مستند لكفرهم إلا علمهم بأن الفلاسفة كانوا حكماء لا يصدر منهم إلا الحكمة[3].

وبين في معرض مناقشته لمسلك الفلاسفة أن من سلك طريقتهم من المسلمين لم يكتسب إلا فساداً في الفهم وزيادة في الحيرة والضلال. وذلك بقوله: «وقد رأينا من المتفلسفة في أمتنا جماعة لم يكسبهم التفلسف إلا التحير فلا هم يعملون بمقتضاه ولا بمقتضى الإسلام، بل فيهم من يصوم رمضان ويصلي ثم يأخذ في الاعتراض على الخالق وعلى النبوات ويتكلم في إنكار بعث الأجساد»[4].

---

(١) انظر: كيد الشيطان لنفسه قبل خلق آدم ﷺ، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، ص (٧٩ ـ ٨٠).

(٢) المصدر السابق، ص (٨٧).

(٣) انظر: تلبيس إبليس، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، ص (٤٩).

(٤) تلبيس إبليس، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، ص (٤٩).

وقد اشتد ابن الجوزي على الفلاسفة المسلمين مبيناً ضلالهم وإضلالهم ومحذراً من شبهاتهم وكفرياتهم[1].

ومن علماء الشام الذين كان لهم جهد بارز في هذه الفترة في التحذير من الفلسفة وفضح شبهات الفلاسفة العلامة ابن الصلاح عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الشهروزي صاحب علوم الحديث، المتوفّى سنة ٦١٨هـ بحلب[2].

فقد كان ـ رحمه الله تعالى ـ شديد التحذير من الفلسفة والمنطق، بل كان يدعو إلى مدافعة الفلاسفة بقوة السلطان إضافة إلى الحجة والبرهان، فقد سئل ذات يوم عمن يشتغل بالفلسفة فقال: «الفلسفة أس السفه والانحلال، ومادة الحيرة والضلال، ومثار الزيغ والزندقة، ومن تفلسف عميت بصيرته عن محاسن الشريعة المؤيدة بالبراهين، ومن تلبس بها قارنه الخذلان والحرمان، واستحوذ عليه الشيطان، وأظلم قلبه عن نبوّة محمد ﷺ»[3].

وكان من قوله: «. . . واستعمال الاصطلاحالت المنطقية في مباحث الأحكام الشرعية من المنكرات المستبشعة، والرقاعات المستحدثة، وليس بالأحكام الشرعية والحمد لله افتقار إلى المنطق أصلاً، . . . فالواجب على السلطان أعزه الله وأعز الإسلام به أن يدفع عن المسلمين شر هؤلاء المشائيم، ويخرجهم من المدارس ويبعدهم، ويعاقب على الاشتغال بفنهم، ويَعْرض من ظهر أنه اعتقد عقائد الفلاسفة على السيف أو الإسلام لتخمد نارهم»[4].

وكان قاضي دمشق ابن الزكي محمد بن علي بن محمد القرشي المتوفّى سنة ٥٩٨هـ ينهي الطلبة عن الاشتغال بالفلسفة والمنطق وعلم الكلام، وإذا رأى كتب

---

(١) انظر: كيد الشيطان لنفسه قبل خلق آدم عليه السلام، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، ص (٧٦).
(٢) انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٤٨/٢٢).
(٣) فتاوى ومسائل ابن الصلاح، جمع وتعليق: د. عبد المعطي أمين قلعجي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، ص (٢١٠).
(٤) المصدر السابق، ص (٢١١).

هذه العلوم مع الدارسين بالمدرسة النورية يمزقها[1].

وفي مصر كان الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي يمقت الفلسفة ومسلك أهل الكلام، ويحذر من ذلك؛ لإدراكه خطر هذا المسلك على العقائد. وكان من أقواله: «... وما مثل من نصر الإسلام بمذاهب الفلاسفة والآراء المنطقية إلا كمن يغسل الثوب بالبول»[2].

٢ ـ بعض الجهود المبذولة في مواجهة الفرق الكلامية:

بدعة الخوض في العقائد على أسس كلامية من أخطر البدع على الدين، بل إنه بسبب هذه البدعة ضلت الكثير من الفرق حتى وصل الأمر ببعضها إلى الخروج عن الإسلام بالكلية.

ولهذا الخطر العظيم لهذا المسلك وما أدى إليه من تفرق واختلاف في الأمة فقد كان لكثير من قادة الأمة وعلمائها في فترة الحروب الصليبية جهود مشكورة في المنافحة ضد الفرق الكلامية المختلفة وقمع أصحابها؛ حماية للدين وحفاظاً على سلامة المجتمع من أخطار الاختلاف والتفرق.

وقد كان من جهود ولاة الأمة وقادتها في هذا المجال قيام الكثيرين منهم بإنشاء المدارس والمراكز العلمية في أنحاء البلاد الإسلامية، والتي كان لبعضها الأثر الكبير في نشر العلم ومحاربة البدع بما خرجته من علماء عملوا على نشر السنة وقمع البدعة وحافظوا على سلامة المجتمع من ضلالات وشبهات الفرق المختلفة.

ومن أشهر هذه المدارس في العراق: المدرسة النظامية وما تفرع عنها، والتي أنشأها الوزير السلجوقي نظام الملك في بغداد سنة ٤٥٧هـ[3]. واستمرت

---

(١) انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٣/ ٣٦).

(٢) سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٩/ ٤٩٥).

(٣) انظر: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، أحمد بن علي المقريزي، دار صادر، بيروت (٢/ ٣٦٣).

خلال فترة الحروب الصليبية تؤدي دورها العلمي من خلال معلميها وطلابها وخريجيها[(١)].

ومن أبرز المدارس في الشام ما شيده نور الدين محمود كالمدرسة الصلاحية في دمشق، ومدرسة الكلاسة، والمدرسة النورية الكبرى التي بنيت سنة ٥٦٣هـ، والمدرسة العادلية التي أكمل بناءها الملك العادل الأيوبي[(٢)].

وفي مصر كان الأزهر الذي حوله صلاح الدين إلى جامعة سنية[(٣)] تعني بنشر العلم الشرعي الصحيح، وتخرج العلماء الذين كان لهم الأثر الملموس في الدفاع عن حوزة الإسلام ومواجهة الفرق المختلفة.

وبالإضافة إلى الأزهر في مصر كانت هناك العشرات من المدارس الأخرى والتي منها المدرسة الناصرية التي أنشأها صلاح الدين سنة ٥٦٦هـ[(٤)]، والمدرسة الصلاحية[(٥)]، وغيرهما.

ومن الجهود المباشرة لبعض الولاة في مواجهة الفرق الكلامية في هذه الفترة قيام السلطان السلجوقي مسعود بإخراج محمد بن الفضل الإسفراييني المتوفّى سنة ٥٣٨هـ من بغداد؛ لحديثه بمذهب الأشعري وما حصل تبعاً لذلك من نزاعات وخصومات وفتن، حيث نودي في البلد بعد إخراجه ألا يذكر أحد

---

(١) للتوسع حول المدرسة النظامية في بغداد انظر: تاريخ دولة آل سلجوق، الفتح بن علي بن محمد البنداري، شركة الكتب العربية، القاهرة، ١٣١٨هـ، ص (٣٢ ـ ٥٤).

(٢) انظر: الدارس في تاريخ المدارس، عبد القادر بن محمد النعيمي، مكتبة الثقافة الدينية، دمشق، ١٩٨٨م، (١/ ٣٣١، ٤٤٧، ٦٠٦، ٦٤٦).

(٣) انظر: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، محمد بن سالم بن واصل، تحقيق د. جمال الدين الشيال (٢/ ٥٤ ـ ٥٥).

(٤) انظر: الروضتين في أخبار الدولتين، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي ص (١/ ٩١)، والكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٩/ ٣٦١).

(٥) انظر: رحلة ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني، ص (٢٢ ـ ٢٣)، والكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٩/ ٤٢٧).

مذهباً ولا يثير فتنةً، فانخزلت الأشاعرة بعد هذه الحادثة[1].

ومن وزراء العباسيين الذين كان لهم جهد في مواجهة البدع الكلامية في بغداد بشكل عام والتمكين لأهل السنّة الوزير يحيى بن محمد بن هبيرة الشيباني الحنبلي المتوفّى سنة ٥٦٠هـ. والذي كان على منهج السلف في الاعتقاد وكان متشدداً في اتباع السنّة وسير السلف[2] «... فارتفع به أهل السنّة غاية الارتفاع»[3].

وفي مصر مكّن الأفضل بن صلاح الدين وعمه العادل للحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي بعد خروجه من الشام إثر فتنته مع الأشاعرة هناك حيث أخذ يدرس ويعظ في مصر وينافح عن عقيدة السلف[4].

ومن أمراء مصر الذين لهم جهود في مواجهة الفرق الكلامية خصوصاً الأشاعرة وذلك بتمكين علماء السنّة من التدري وحمايتهم والوقوف معهم أمير يقال له: شجاع بن أبي زكري.

فحينما كثر الكلام من علماء الأشاعرة حول الحافظ عبد الغني المقدسي وهمّ الملك الكامل بإخراجه من مصر؛ تحدث فيه الأمير عند الملك وأثنى عليه وبين سلامة معتقده وكان مما قال: «هذا الرجل أرفع العلماء كما أنت أرفع الناس» فسمع منه الملك ورجع عن عزمه وقال: «لا يؤذى الحافظ»[5].

---

(١) انظر: المنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله (١٨/ ٣٦).

(٢) انظر: المصدر السابق (١٨/ ١٦٦ ـ ١٦٧).

(٣) المنهج الأحمد في تراجم أصحاب أحمد، عبد الرحمن بن محمد العيلمي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ (٢/ ٣٣٥).

(٤) انظر: ذيل طبقات الحنابلة، عبد الرحمن بن أحمد البغدادي، (٤/ ٢٥)، وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢١/ ٤٦٢).

(٥) انظر: ذيل طبقات الحنابلة، عبد الرحمن بن أحمد البغدادي، (٤/ ٢٦)، وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢١/ ٤٦٢).

وقد كان للعلماء في هذه الفترة جهود بارزة في حماية المجتمع المسلم من خطر الفرق الكلامية المختلفة، حيث كان لجهودهم المباركة الأثر الكبير في فضح هذه الفرق وتعريتها وكشف باطلها وتنفير الناس منها، سواء كان ذلك من خلال حلقاتهم العلمية، أو مؤلفاتهم، أو مناظراتهم مع أصحابها.

ومن أبرز هؤلاء العلماء في العراق ابن الجوزي الذي بين أن الخوض في علم الكلام من تلبيس إبليس على البعض حيث زين لهم أن هذه الطريقة تخرجهم عن مسلك العامة إلى مرتبة العلماء. وأن فقهاء الأمة وعلماؤها كالشافعي وأحمد وغيرهم ما تركوا علم الكلام عجزاً عنه، لكنهم رأوه لا يشفي غليلاً بل يرد الصحيح عليلاً فتركوه وحذروا منه[1].

وقد ناقش ابن الجوزي كثيراً من الفرق التي سلكت هذا الطريق مبيناً طوائفها المختلفة وعقائد كل منها، ومحذراً من ضلالاتها.

حيث عرض لعقائد الاعتزال وفرق المعتزلة مبيناً أنه وصل الأمر ببعضها إلى أن كفرت البعض الآخر شأن أصحاب البدع[2].

وتساءل ابن الجوزي كيف لا يذم علم الكلام وقد أفضى بالمعتزلة إلى أن قالوا: إن الله عزّ وجلّ يعلم جمل الأشياء ولا يعلم تفاصيلها؟ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً[3].

ومن الفرق التي تحدث عنها ابن الجوزي مفصلاً القول في عقائدها وموضحاً ضلالها ومحذراً منها الخوارج[4].

---

(١) انظر: تلبيس إبليس، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، ص (٨٢).

(٢) انظر: كيد الشيطان لنفسه قبل خلق آدم ﷺ، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، ص (١١٣) وما بعدها.

(٣) انظر: المصدر السابق، ص (٨٣).

(٤) انظر: كيد الشيطان لنفسه قبل خلق آدم ﷺ، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، ص (١٣٠)، وما بعدها، وتلبيس إبليس للمؤلف نفسه، ص (٩٠) وما بعدها.

حيث أورد الأحاديث الدالة على كفرهم ومروقهم من الإسلام، ومن ذلك حديث ذي الخويصرة الذي قال فيه النبيّ ﷺ: «**... إن من ضئضئي هذا أو في عقب هذا قوم يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية**»(١)(٢).

وبعد أن ساق ابن الجوزي بعض عقائدهم منتقداً إياها قال: «... ولهم قصص تطول، ومذاهب عجيبة لم أر التطويل بذكرها، وإنما المقصود النظر في حيل إبليس وتلبيسه على هؤلاء الحمقى»(٣).

ومن الفرق التي تحدث عنها ابن الجوزي على سبيل فضح باطلها والتحذير من تضليل أصحابها المرجئة(٤) والجبرية(٥).

ومن احتساب العلماء في بغداد على أصحاب الطرق الكلامية خصوصاً الأشاعرة قيام الشيخ الحسن الغزنوي(٦) الواعظ بالاحتساب على أبي الفتوح الإسفراييني الأشعري الذي كان يتكلم برباطه في بغداد على مذهب الأشاعرة في الصفات حيث حدثت من جراء ذلك فتن وخصومات مما جعل الشيخ أبا الحسن

---

(١) أخرجه البخاري، الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾، حديث رقم (٣٣٤٤)، ص (٦٣٩)، ومسلم، الصحيح، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، حديث رقم (١٠٦٤)، ص (٤٠٩).

(٢) انظر: تلبيس إبليس، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، ص (٩٠).

(٣) المصدر السابق، ص (٩٥).

(٤) انظر: كيد الشيطان لنفسه قبل خلق آدم ﷺ، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، ص (١٤٦).

(٥) انظر: المصدر السابق، ص (١٥٣)، وما بعدها.

(٦) هو الحسن بن ذي النون الشغري النيسابوري، فقيه أديب دائم التشاغل بالعلم، أقام مدة في بغداد يعظ في جامع القصر وغيره حيث أظهر السنة وبالغ في التحذير من الأشاعرة. كانت وفاته سنة ٥٤٥هـ.

انظر: المنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله (١٨ ـ ٧٨ ـ ٧٩)، قيل: إنه يميل إلى الاعتزال. انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٢/ ٢٤٥).

الغزنوي يتقدم إلى السلطان بطلب منعه من الوعظ وإخراجه من البلد حيث تمّ ذلك[1].

وكان الشيخ الحسن عندما جاء إلى بغداد يعظ الناس ويحذرهم من بدعة الأشاعرة[2].

وممن كان له جهد في مواجهة بعض الفرق الكلامية في المشرق الرازي وذلك على طريقته الكلامية.

حيث تحدث عن المعتزلة، وبين طوائف الاعتزال وأبرز عقائدهم على سبيل إبراز فسادها[3].

وفي خلال حديثه عن الخوارج وطوائفهم المختلفة أبرز عقائدهم على أنها بدع محدثة[4].

ومن الفرق التي بين الرازي بعض عقائدها على سبيل الانتقاد لها الجبرية[5] والمرجئة[6].

وقد كان للشيخ عباس بن منصور السكسكي الحنبلي جهد بارز في مواجهة الفرق الكلامية؛ حيث تحدث عن كثير منها مبيناً عقائدها وضلالاتها على سبيل التحذير من خطرها حيث قال: «... فإني لما رأيت أهل العلم والسنة يأخذون في النقصان، وأهل الأهواء والمذاهب يكثرون في الأقطار والبلدان، ويستميلون كثيراً من الجهال والعوام، ويهدمون بتلبيسهم قواعد الإسلام؛ أحببت أن أجمع

---

(١) انظر: المنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله (١٨/ ٣٢).

(٢) انظر: المصدر السابق (١٨/ ٣٦).

(٣) انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، محمد بن عمر الرازي، ص (٢٧) وما بعدها.

(٤) انظر: المصدر السابق، ص (٥٠)، وما بعدها.

(٥) انظر: المصدر السابق، ص (٨٩).

(٦) انظر: المصدر السابق، ص (٩٣).

مختصراً أذكر فيه عقائد الثلاث وسبعين فرقة التي ذكرها رسول الله ﷺ»[1].

ومن الفرق التي تحدث عنها السكسكي الخوارج حيث بين أنهم شر الخلق بإخبار النبيّ ﷺ وأبرز فضل قتالهم وما ورد من النصوص في ذلك[2].

ثم عرض لفرقهم وعقائد كل فرقة موضحاً بطلان ما هم عليه وذلك من خلال تعقيبه بعد ذكر بعض هذه العقائد بأمثال هذه العبارات: «نعوذ بالله من سوء اعتقادهم»[3]. وقوله في إنكار بعض فرقهم سورة يوسف: «ويقولون إن سورة يوسف ليست من القرآن، وإنما هي قصص وهذا كفر، فالحذر منهم»[4]. وفي عرضه لعقائد بعض فرقهم: «وهذا كله ظاهر الفساد»[5]. وفي موضع آخر: «وهذا خلاف الشرع»[6]، وموضع آخر: «وفساد هذا ظاهر لا يحتاج إلى احتجاج»[7]، وأيضاً في موضع آخر: «وهذا خلاف الشرع وخلاف ما نزل به القرآن»[8]. إلى غير ذلك.

وتحدث السكسكي عن المرجئة حيث بين فرقها المختلفة من الجهمية[9]

(١) البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، عباس بن منصور السكسكي الحنبلي، تحقيق د. بسام علي العموش، ص (١٣).

(٢) المصدر السابق، ص (١٨).

(٣) المصدر السابق، ص (٢٢).

(٤) المصدر السابق، ص (٢٤).

(٥) المصدر السابق، ص (٢٤).

(٦) المصدر السابق، ص (٢٦).

(٧) المصدر السابق، ص (٢٦).

(٨) المصدر السابق، ص (٣١).

(٩) الجهم بن صفوان الراسبي الذي قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال وأنكر الاستطاعات كلها وله ضلالات كبيرة من القول بخلق القرآن وأن الإيمان بالقلب إلى غير ذلك. قتل في آخر عصر صغار التابعين.
انظر: الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ص (٢١١ ـ ٢١٢)، وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٦/ ٢٦ ـ ٢٧).

والمريسية[١] والكلابية[٢] وغيرهم[٣]، حيث اشتد السكسكي في الإنكار على هؤلاء وبيان بطلان ما هم عليه والتحذير منهم وفضح تلبيسهم على العامة. ومن ذلك قوله حينما تحدث عن الجهمية: «هم أصحاب جهم بن صفوان... الضال المبتدع»[٤].

ثم بين أن مقالته إلحاد وكفر وخروج عن الإسلام[٥].

ومن الفرق الكلامية التي عرض لها السكسكي وكشف عوارها وبين ضلالها المعتزلة حيث فصل في مبدأ ظهورهم وفرقهم المختلفة ومقالة كل فرقة[٦]، مؤكداً على أن هذه المقالات ما هي إلا سخافات من سخافاتهم الكثيرة[٧].

وفي حديثه عن مقالة إحدى فرقهم علق بقوله: «وهذه خرافات ظاهرة وتكذيب لما ورد به الكتاب والسنّة»[٨]. وعقب أيضاً بعد عرضه لمقالة إحدى فرقهم بقوله: «وهذا كله ظاهر الفساد لا يحتاج إلى دليل»[٩].

---

(١) هم أتباع بشر بن غياث المريسي المتوفّى سنة ٢١٨هـ والذي قال بخلق القرآن، وإن الإيمان تصديق القلب وقول اللسان وغير ذلك من البدع الأخرى.
انظر: الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ص (٢٠٤ ـ ٢٠٧)، وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٠/ ١٩٩) وما بعدها.

(٢) أتباع عبدالله بن سعيد بن كلاب القطان، المتوفّى سنة ٢٤١هـ، أول المنتسبين للسنة ممن خاض في علم الكلام حيث رد على الجهمية والمعتزلة.
انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١١/ ١٧٤ ـ ١٧٦).

(٣) انظر: البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، عباس بن منصور السكسكي الحنبلي، تحقيق د. بسام علي العموش، ص (٣٣) وما بعدها.

(٤) انظر: المصدر السابق، ص (٣٤).

(٥) المصدر السابق، ص (٣٥).

(٦) انظر: المصدر السابق، ص (٤٩) وما بعدها.

(٧) انظر: المصدر السابق، ص (٥٣).

(٨) المصدر السابق، ص (٥٤).

(٩) المصدر السابق، ص (٥٧).

وفي تعقيب آخر على إحدى فرقهم: «وهذا تخليط وكفر ظاهر وتكذيب لما نزل به القرآن ووردت به السنة»[1] إلى غير ذلك من أمثال هذه العبارات التي تبين بطلان مقالاتهم وتحذر من الانخداع بباطلهم.

وقد حذر السكسكي من طريقة الأشاعرة في الصفات خاصة في كلام الله سبحانه وتعالى وذلك بقوله: «... وهم في وقتنا هذا كثير منشورون في البلدان أكثر من أن يحصوا، يُلَبِّسون على العوام والجهال بأن ذلك تنزيه لله تعالى وهو في الحقيقة تعطيل، نعوذ بالله من سوء اعتقادهم»[2].

وللإمام إسماعيل بن محمد الأصبهاني[3] ردود مفحمة على كثير من الفرق الكلامية التي ضلت في صفات الله سبحانه وتعالى كالمعتزلة والأشاعرة وغيرهم[4].

ومن العلماء الأجلاء الذين كانت لهم جهود مباركة في المنافحة عن عقيدة السلف والذب عنها، وتحمل الأذى في سبيل ذلك في الشام ومصر في فترة الحروب الصليبية الشيخ الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد بن علي المقدسي الحنبلي، الذي واجه التيار الكلامي الواسع الانتشار في عهده المتمثل في بدعة الأشاعرة وذلك من خلال أحاديثه ووعظه ومناظراته وتصانيفه.

ومن مؤلفاته في هذا المجال كتاب الصفات، وكتاب محنة الإمام أحمد،

---

(١) المصدر السابق، ص (٥٧).

(٢) البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، عباس بن منصور السكسكي الحنبلي، تحقيق د. بسام علي العموش، ص (٣٧ ـ ٣٨).

(٣) هو إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي التيمي، الأصفهاني، ولد سنة ٤٥٧هـ بأصبهان، وبها كانت وفاته سنة ٥٣٥هـ من أئمة أهل السنة في وقته، من كتبه: الترغيب والترهيب، والحجة، والجامع الكبير في معالم التفسير وغير ذلك.
انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢٠/ ٨٠ ـ ٨٨)، والكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٩/ ١١٣ ـ ١١٤).

(٤) وذلك في كتابه: الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، تحقيق ودراسة محمد ابن ربيع مدخلي، وزميله، دار الراية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.

وكتاب اعتقاد الشافعي[1]. حيث ألف هذه الكتب مواجهةً لبدعة الأشاعرة.

ومن جهوده في نشر عقيدة السلف في الصفات ذكره لها على كرسي الوعظ بجامع دمشق؛ مما أثار عليه علماء الأشاعرة هناك[2].

ولأجل قمع الباطل ومواجهة تضليل الأشاعرة في وقته ناظر ـ رحمه الله تعالى ـ علمائهم في دمشق الذين استعدوا عليه السلطة.

فعندما تكلم الحافظ في أحاديث النزول وفي مسألة الحرف والصوت استعدى عليه عدد من علماء الأشاعرة في دمشق صاحب القلعة فناظرهم الشيخ بحضرته فألجمهم وبين ضلالهم، ولتأثيرهم ونفوذهم في البلد أمر صاحب القلعة بمنع الحافظ من الدرس فخرج إلى بعلبك[3].

وفي مصر كان للحافظ ـ رحمه الله تعالى ـ جهود في مواجهة الأشاعرة هناك مما جعل بعض علمائهم يفتي بإباحة دمه، حيث كتبوا في ذلك كتاباً يستعدون عليه السلطة بحجة إفساده لعقائد الناس فجاء لذلك الأمر بنفيه إلى المغرب لكنه توفي ـ رحمه الله تعالى ـ قبل تنفيذ هذا الأمر[4].

وكان الحافظ قد أمر أن يكتب معتقده بحضرة الملك الكامل في مصر ـ وكان أشعرياً ـ فكتبه مستدلاً عليه بالنصوص من الكتاب والسنّة، فلما رآه الكامل تحير فيه لقوة الحجة وظهور الحق[5].

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢١/ ٤٤٧).

(٢) انظر: الذيل على الروضتين في أخبار الدولتين، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي ـ أبو شامة ـ، ص (٤٦).

(٣) انظر: المصدر السابق، ص (٤٦ ـ ٤٧)، وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢١/ ٤٦٣)، والبداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٣/ ٤٣).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢١/ ٤٦٣ ـ ٤٦٤)، والبداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٣/ ٤٣).

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢١/ ٤٦٢ ـ ٤٦٣).

وفي أصبهان كانت للحافظ مواجهة مع علماء الأشاعرة هناك حيث تعصبوا ضده وعملوا على إخراجه منها[1].

ومن علماء السنة في الشام الذين تصدوا للفرق الكلامية شيخ الإسلام عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي.

وكان من جهوده في هذا المجال تصانيفه الكثيرة في تقرير عقيدة السلف ومواجهة الفرق الكلامية في عصره خاصة الأشاعرة، ومن هذه التصانيف: القدر، ومسألة العلو، والاعتقاد، وذم التأويل[2]، وغير ذلك.

إن هذه الجهود المباركة التي بذلها المسلمون قادة وعلماء في فترة الحروب الصليبية في مواجهة الفلسفة والفرق الكلامية لا شك أن لها أثرها الواضح في الحفاظ على منهج السلف سليماً نقياً من شوائب الفلاسفة والمتكلمين ليس فقط في فترة الحروب الصليبية بل إلى الوقت الحاضر، فلا تزال مؤلفات علماء هذه الفترة يستفاد منها في رد باطل هؤلاء الفلاسفة ونقض شبه المتكلمين حفاظاً على المنهج الحق، وحمايةً للعقيدة، فبقي لذلك الحق ناصعاً لم تخالطه البدع ولم يشتبه بالضلال.

رابعاً: بعض الجهود المبذولة في مواجهة التصوف وانتشار البدع:

كان التصوف في فترة الحروب الصليبية منتشراً في أجزاء واسعة من البلاد الإسلامية بدرجات متفاوتة، وكانت البدع الصوفية تتفاوت بين الكفر المحض المخرج من الملة وبين المحدثات البدعية التي لا أصل لها.

وقد كان ذلك كله من عقبات دعوة المسلمين للنصارى في هذه الفترة. وكان لكثير من قادة الأمة وعلمائها جهود واضحة في مواجهة البدع الصوفية، وحماية عقائد الناس وعباداتهم من شوائب المتصوفة.

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢١/ ٤٥٩).

(٢) انظر: المصدر السابق (٢٢/ ١٦٨)، وذيل طبقات الحنابلة، عبد الرحمن بن أحمد البغدادي (٤/ ١٣٩).

فمن جهود قادة الأمة وولاتها في هذا المجال قيام الكثيرين منهم بإنشاء المدارس والمراكز العلمية في أنحاء البلاد الإسلامية، والتي كان لبعضها الأثر الملموس في نشر العلم ومحاربة البدع بما خرجته من علماء عملوا على نشر السنة وقمع البدعة وحافظوا على سلامة المجتمع المسلم من ضلالات وشبهات الفرق المختلفة.

ومن أبرز هذه المدارس في العراق المدرسة النظامية وما تفر عنها، والتي أنشأها الوزير السلجوقي نظام الملك في بغداد سنة ٤٥٧هـ[١]، واستمرت خلال فترة الحروب الصليبية تؤدي دورها العلمي من خلال مدرسيها وطلابها وخريجيها[٢].

وفي الشام كانت المدارس التي بناها نور الدين محمود تقوم بهذه المهمة الجليلة في بث الوعي الإسلامي وتثقيف المجتمع المسلم ضد الأخطار التي تهدد دينه وسلامة عقيدته. ومن هذه المدارس المدرسة الصلاحية في دمشق، ومدرسة العادلية التي أكمل بناءها الملك العادل الأيوبي[٣] وغيرهما.

وفي مصر كان الأزهر يقوم بهذه المهمة الجليلة ومحاربة الكثير من البدع بعد ما حوله صلاح الدين الأيوبي إلى جامعة سنية[٤]. إضافة إلى أثر المدارس الأخرى التي أنشأها صلاح الدين في مصر ومنها: المدرسة الناصرية التي بنيت

---

(١) انظر: المنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله (١٦/ ٩١).

(٢) للتوسع حول هذه المدرسة انظر: تاريخ دولة آل سلجوق، الفتح بن علي بن محمد البنداري، ص (٣٢ ـ ٥٤).

(٣) انظر: الدارس في تاريخ المدارس، عبد القادر بن محمد النعيمي، (١/ ٣٣١، ٤٤٧، ٦٠٦، ٦٤٦)، وللتوسع حول هذه المدارس وأعلامها انظر: الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، أحمد بدوي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ص (٦٠) وما بعدها.

(٤) انظر: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، محمد بن سالم بن واصل، تحقيق د. جمال الدين الشيال (٢/ ٥٤ ـ ٥٥).

سنة ٥٦٦هـ، والمدرسة الصلاحية[1] وغيرهما.

ومن جهود القادة والولاة المباشرة في مواجهة التصوف والبدع المحدثة قيام الخلفاء العباسيين في بغداد بمراعاة هذا الجانب وإيلائه الاهتمام الأكبر من خلال حرص كثير منهم على التمسك بالسنة والاهتمام بمصالح الرعية، إقامة شعائر الإسلام، ومحاربة البدع ومظاهر الفساد في المجتمع بشكل عام.

ومن ذلك قيام الخليفة العباسي المسترشد بالله بنفسه بإراقة الخمور التي بسوق السلطان سنة ٥١٤هـ[2].

والخليفة المستنجد بالله الذي وصفه ابن كثير بقوله: «... وكان أماراً بالمعروف نهاءً عن المنكر»[3].

والخليفة المستضيء بأمر الله الذي كان من ثناء ابن كثير عليه قوله: «... من خيار الخلفاء، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر... مزيلاً عن الناس المكوسات والضرائب، مبطلاً للبدع والمعايب»[4].

وكان الوزير ابن هبيرة الشيباني الحنبلي عالماً عابداً محباً للعلم والعلماء مناصراً لهم في الدعوة وقمع البدع، «وارتفع به أهل السنّة غاية الارتفاع»[5].

وفي الشام كان نور الدين محمود حريصاً على إقامة شرع الله وقمع البدع والمحدثات من خلال احتسابه المباشر وتشجيعه العلماء في ذلك.

---

(١) وللتوسع حول المدارس في مصر في هذه الفترة: الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام،أحمد بدوي، ص (٤٢).

(٢) انظر: المنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله (١٧/ ١٨٧ ـ ١٨٨).

(٣) البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٢/ ٢٨١).

(٤) المصدر السابق (١٢/ ٣٢٥).

(٥) المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد، عبد الرحمن بن محمد العيلمي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (٢/ ٣٣٥).

وقد كان من أقواله ـ رحمه الله تعالى ـ الدالة على حرصه على حفظ الدين من البدع والمحدثات: «... نحن نحفظ الطرق من لص وقاطع طريق، والأذى الحاصل منهما قريب، أفلا نحفظ الدين ونمنع منه ما يناقضه»[(١)].

ومن أعماله في هذا المجال احتسابه على رجل مبتدع في دمشق كان يظهر الزهد والنسك وقد كثر أتباعه حيث قبض عليه وطيف به في البلد وأدب ثم نفي من دمشق ونودي في الناس: هذا جزاء من أظهر في الدين البدع[(٢)].

وكان لصلاح الدين ـ رحمه الله تعالى ـ جهود واضحة في هذا المجال.

فبعد دخوله دمشق سنة ٥٧٠هـ عامل الرعية بالإحسان، وباشر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقضى على كل البدع المحدثة بعد وفاة نور الدين[(٣)].

وقد قال ابن جبير الذي زار الشام ومصر في عهده لما رآه من إقامة السنة وقمع البدعة والحرص على نصرة الدين: «... ومآثر هذا السلطان ومقاصده في العدل ومقاماته في الذب عن حوزة الدين لا تحصى كثرة»[(٤)].

ومن جهوده ـ رحمه الله تعالى ـ في ذلك قضاؤه على رجل يقال له ابن مهدي مبتدع ضال في اليمن وأحدث مناكير وبدع في الدين[(٥)].

ومن محاربته للصوفية الغالية وقطع دابر أصحابها أمره بقتل السهروردي المتصوف الفيلسوف في حلب[(٦)].

---

(١) الروضتين في أخبار الدولتين، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي ـ أبو شامة ـ (١/ ١٠).
(٢) المصدر السابق (١/ ١٠).
(٣) انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٢/ ٣٠٨).
(٤) رحلة ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني، ص (١٧).
(٥) انظر: الروضتين في أخبار الدولتين، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي «أبو شامة» (١/ ٢٤٢).
(٦) انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٣/ ١٥٨).

أما في بلاد المغرب والأندلس فكان لولاة المرابطين جهد بارز في الحفاظ على عقيدة السلف والمنافحة عنها ومواجهة أعدائها من المبتدعة والمتصوفة وغيرهم.

ومن أبرز ولاتهم الذين كان لهم جهود مشكورة في ذلك علي بن يوسف بن تاشفين الذي تولى الإمارة بعد وفاة أبيه سنة ٥٠٠هـ[١].

ومن أعماله في هذا المجال استدعاؤه شيخ الصوفية في الأندلس ابن العريف أحمد بن محمد الصنهاجي[٢] حيث أنكر عليه آراءه وبين له فساد طريقته الصوفية[٣].

والأهم من ذلك إحراقه كتب الغزالي التي تضمنت بدع الصوفية، خاصة كتاب إحياء علوم الدين[٤].

وهكذا ومن خلال هذه الجهود المباركة لبعض قادة الأمة وولاتها المصلحين انقمعت البدعة، وذل الفساد وأهله، وظهر شعار السنّة، وقوي أمر الدين. وهذا لا شك له أثره الواضح في قوة الأمة وتماسكها ومن ثم وقوفها بقوة في مواجهة الأخطار التي تهدد عقيدتها وأمنها.

وكثير من علماء الأمة في هذه الفترة كانت لهم الجهود المشكورة واليد الطولى في محاربة البدع ومواجهة محدثات الصوفية والتحذير منها وبيان بطلانها.

---

(١) انظر: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، أحمد بن محمد بن عذاري، تحقيق د. إحسان عباس (٤/ ٤٥ ـ ٤٨).

(٢) هو أحمد بن محمد بن موسى بن عطا الله الصنهاجي الأندلسي، كان مولده سنة ٤٥٨هـ، ووفاته بمراكش سنة ٥٣٦هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢٠/ ١١١ ـ ١١٤)، والنجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي، (٥/ ٢٧٠).

(٣) انظر: كتاب الصلة، خلف بن عبدالله بن بشكوال، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة ١٩٦٦م.

(٤) انظر: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي، تصحيح وتعليق محمد سعيد العريان وزميله، ص (٢٣٦ ـ ٢٣٧).

وذلك من خلال التأليف، أو التدريس والوعظ، أو الاحتساب المباشر، أو استعداء السلطة.

ومن أبرز هؤلاء العلماء في العراق ابن الجوزي الذي اشتهر في بغداد بالاحتساب على المبتدعة والتحذير منهم، وفضح مفترياتهم، تنزيهاً للشريعة وغيرة عليها.

فمن أقواله في بيانه لأغلاط الصوفية، في وقته ومن تشبه بهم ووجوب الرد عليهم: «... وقعت من بعض أشياخهم غلطات لبعدهم عن العلم، فإن كان ذلك صحيحاً عنهم توجه الرد عليهم؛ إذ لا محاباة في الحق، وإن لم يصح عنهم حذرنا من مثل هذا القول وذلك المذهب من أي شخص صدر، فأما المشبهون بالقوم وليسوا منهم فأغلاطهم كثيرة، ونحن نذكر بعض ما بلغنا من أغلاط القوم والله يعلم أننا لم نقصد بيان غلط الغالط إلا تنزيه الشريعة والغيرة عليها من الدخل...»(١).

وكان ابن الجوزي من العلماء الذين ارتفع بهم شأن أهل السنّة في هذه الفترة في بغداد حتى مال السلطان إلى الحنابلة وما كانت العادة قد جرت في ذلك فاغتاظ كثير من الناقمين عليهم من أهل المذاهب(٢).

وقد كان من جهوده في مواجهة بدع الصوفية والتحذير منها استطراده في الحديث عن التصوف مبيناً بداية نشأته وتطوره من الزهد وكثرة العبادة إلى الترخص بالسماع والرقص إلى أن آل الأمر ببعضهم إلى أحوال الكشف بل وإلى الإلحاد والكفر والعياذ بالله. حيث قال: «والتصوف طريقته كان ابتداؤها الزهد الكلي، ثم ترخص المنتسبون إليها بالسماع والرقص فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام لما يظهرونه من التزهد»(٣). وقال: «وعلى هذا ـ أي الزهد والعبادة ـ كان

---

(١) تلبيس إبليس، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، ص (١٦٩).

(٢) انظر: المنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله (١٨/٢٤٩).

(٣) تلبيس إبليس، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، ص (١٦١).

أوائل القوم فلبَّس إبليس عليهم في أشياء ثم لبَّس على من بعدهم من تابعيهم فكلما مضى قرن زاد طمعه في القرن الثاني فزاد تلبيسه عليهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن»[١].

وقد عدد ابن الجوزي جملة من مؤلفاتهم التي تحتوي على خرافاتهم محذراً منها ومبيناً عدم استنادها إلى أصل. حيث قال بعد عرضه إياها: «وجمهور هذه التصانيف التي صنفت لهم لا تستند إلى أصل، وإنما هي واقعات تلقفها بعضهم عن بعضٍ ودونوها وقد سموها بالعلم الباطن»[٢].

وتحدث ابن الجوزي وأسهب عن بعض اعتقادات الصوفية وبدعهم كالسماع، والوجد، والعشق الإلهي، والحلول. وبين خرافاتهم وتلبيس الشيطان عليهم في العبادات مما حملهم على الابتداع في الطهارة، والصلاة، وانفرادهم بعبادات ليس لها أصل في الشرع، وإعراضهم عن المال وخروج كثير منهم إلى حد الشهرة في الزهد وخشونة العيش في المطعم والملبس والمراءات في ذلك حيث عرض أمثلة لما كان سائداً من هذا في وقته؛ مبيناً خروج أصحاب هذه البدع عن هدي الإسلام في اعتقاداتهم وأعمالهم، ومبطلاً إياها من الكتاب والسنّة، ومحذراً من مسالكهم والاغترار بهم[٣].

ومن العلماء الذين كان لهم جهد في محاربة البدع والتحذير منها في الشام أبو شامة المقدسي الذي ألف كتابه القيم: الباعث على إنكار البدع والحوادث عرض فيه ما كان سائداً في عصره من بدع على سبيل التحذير منها، ومبيناً بطلانها من الكتاب والسنّة، ومؤكداً على وجوب الالتزام بما ورد وبما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم.

حيث قال أبو شامة في سبب تأليفه هذا الكتاب: «فهذا كتاب جمعته محذراً من البدع، وزاجراً لمن وُفق لذلك وارتدع، متمثلاً به قول رب العالمين: ﴿وَذَكِّرْ

(١) المصدر السابق، ص (١٦٣).

(٢) المصدر السابق، ص (١٦٦).

(٣) انظر: المصدر السابق، ص (١٧٤) وما بعدها.

﴿فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾[١]، وسميته الباعث على إنكار البدع والحوادث، فما على العالم إلا نشر علمه والله يهدي من يشاء إلى مراسم حكمه»[٢].

ثم قال في الحث على الاتباع والنهي عن الابتداع: «وقد حذر النبيّ ﷺ وأصحابه ومن أبعدهم أهل زمانهم البدع ومحدثات الأمور، وأمروهم بالاتباع الذي فيه النجاة من كل محذور»[٣]. حيث ساق النصوص على ذلك ومنها قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[٤].

وفي الحديث عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن النبيّ ﷺ كان يقول في خطبته: خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة[٥]. وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «إنه سيأتي ناس يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله تعالى»[٦].

ومن كلام عمر بن عبد العزيز[٧] ـ رحمه الله تعالى ـ: «أوصيكم بتقوى الله

---

(١) سورة الذاريات، الآية: (٥٥).

(٢) الباعث على إنكار البدع والحوادث، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي «أبو شامة» تحقيق عادل عبد المنعم أبو العباس، مكتبة الساعي، الرياض، ص (١٨).

(٣) المصدر السابق، ص (١٩).

(٤) سورة الأنعام، الآية: (١٥٣).

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، حديث رقم (٨٦٧)، ص (٣٣٥).

(٦) أخرجه الدارمي، سنن الدارمي، المقدمة، باب التورع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنة (١/ ٤٧).

(٧) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، الخليفة الزاهد، العادل، ولد سنة ٦٣هـ في المدينة، وتولى إمرة المدينة من سنة ٨٦هـ إلى سنة ٩٣هـ، ثم تولى الخلافة سنة ٩٩هـ بعهد من سليمان بن عبد الملك وكانت وفاته سنة ١٠١هـ.
انظر: طبقات ابن سعد، محمد بن سعد، (٥/ ٣٣٠)، وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٥/ ١١٤) وما بعدها.

تعالى والاقتصاد في أمره، واتباع سنّة رسول الله ﷺ، وترك ما أحدث المحدثون بعده[1][2].

حيث أظهر أبو شامة من خلال هذه النصوص وغيرها الرفض القاطع في الإسلام للبدع وما يؤدي إليها.

وبعد أن بين أبو شامة تعريف البدعة وأقسامها عرض لبعض البدع المشتهرة في عصره كتزيين الشيطان للعامة تحسين الحيطان، وإضاءة مواضع مخصوصة بالسرج في كل بلد يحكي لهم حاكٍ أنه رأى في منامه بها أحداً ممن اشتهر بالصلاح والولاية، حيث سمى أمثلة على هذه المواضع في دمشق[3].

ومن البدع التي تحدث عنها الصلاة في الأوقات المكروهة، وصيام الأيام التي ورد النهي عن الصيام فيها مبيناً الصواب في ذلك[4].

وفي خلال حديث أبي شامة عن البدع عرض لأمور اشتهرت في معظم بلاد المسلمين وعظم وقعها عند العوام ووُضعت فيها أحاديث كُذب فيها على الله وعلى رسوله ﷺ، واقترنت فيها مفاسد كثيرة، وأدى التمادي في هذه الأمور إلى منكرات عظيمة، فتفاقم أمرها وتطاير شررها.

وأشد هذه الأمور المحدثة: التعريف، والألفية، وصلاة الرغائب[5].

حيث فصل القول في بدعة التعريف وأنها عبارة عن اجتماع الناس عشية يوم عرفة يفعلون ما يفعله الحاج من الدعاء والثناء، ثم بين - رحمه الله تعالى -

---

(١) سنن أبي داود كتاب السنة، باب لزوم السنة، (٥/ ١٩).

(٢) انظر: أمثال هذه النصوص في: الباعث في إنكار البدع والحوادث، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، تحقيق عادل عبد المنعم، ص (١٦) وما بعدها.

(٣) انظر: الباعث في إنكار البدع والحوادث، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، تحقيق: عادل عبد المنعم، ص (٤١).

(٤) انظر: المصدر السابق، ص (٤٤).

(٥) انظر: المصدر السابق، ص (٤٧).

عدم مشروعية ذلك وأنه مما أحدث في الدين ومما يجب اجتنابه والحذر منه[١].

وبدعة الألفية هي صلاة ليلة النصف من شعبان سميت بذلك لأنها تصلىٰ ألف ركعة يقرأ في كل ركعة بقل هو الله أحد[٢]. حيث بين أبو شامة افتتان العامة بذلك وما يصاحب إقامتها من الاحتفال والفسوق واختلاط الرجال بالنساء. ثم بين عام مشروعتيها وفند شبه المتلبسين بهذه البدعة[٣].

وصلاة الرغائب ـ المشهورة بين الناس في ذلك العصر كما وضح أبو شامة ـ أنها هي التي تصلى بين العشاءين ليلة أول جمعة من رجب، وسميت بذلك من أجل العطايا الحاصلة لمصليها ـ بزعمهم ـ أي حصوله على كل ما يرغب به[٤]. ثم أسهب أبو شامة في ذكر تاريخ ابتداع هذه الصلاة وبطلان ما استندت عليه، وتفنيد شبه المقيمين عليها[٥].

وقد أشار أبو شامة أيضاً إلى كثير من البدع الأخرى السائدة في المجتمع الإسلامي آنذاك ومنها ما ابتدعه الناس في قيام رمضان من قراءة سورة الأنعام في آخر ركعة وتخصيصها بذلك[٦]. وبدع الخطبة والجمعة كالتكلف في رفع الصوت في الصلاة على النبيّ ﷺ، ورفع الأيدي من قبل المصلين أثناء دعاء الإمام، وقراءة القرآن قبل الخطبة، والصلاة بين الأذانين، واعتقاد أن ذلك سنة لازمة. وغير ذلك[٧]. وبدع الجنائز كترك الإسراع بدفنها، وقراءة القرآن بالألحان في أثرها، والمباهاة في تزيينها وغير ذلك[٨].

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص (٤٨).

(٢) انظر: المصدر السابق، ص (٥١) وما بعدها.

(٣) انظر: المصدر السابق، ص (٥١) وما بعدها.

(٤) انظر: المصدر السابق، ص (٥٩ ـ ٦٠).

(٥) انظر: المصدر السابق، ص (٦١) وما بعدها.

(٦) انظر: المصدر السابق، ص (١٣٧).

(٧) انظر: المصدر السابق، ص (١١١ ـ ١١٣، ١١٩).

(٨) انظر: المصدر السابق، ص (١١٤ ـ ١١٥).

حيث أسهب الإمام أبو شامة ـ رحمه الله تعالى ـ في إنكار هذه البدع والتحذير منها والرد على من تكلف الأدلة عليها.

وكان للشيخ إبراهيم بن عبد الواحد بن علي المقدسي المتوفّى سنة ٦١٤هـ جهود مشكورة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى السنة في بلاد الشام، حيث كان متلطفاً مع الناس في دعوته إلى الخير حتى أن كثيراً من أصحاب البدع تركوا بدعهم على يده[١].

ومن علماء أهل السنّة الذين لهم عناية كبيرة في محاربة البدع والمحدثات في شرق الدولة الإسلامية الشيخ عباس بن منصور السكسكي الحنبلي...

فمن جهوده في هذا المجال تحذيره من بدع الصوفية التي جعلوها قربة لله وهي خلاف ذلك كالتلذذ بسماع أصوات النساء والصبيان والمزامير والدفوف والرقص وترك الحشمة والغزل بالنساء مدعين إن ذلك كناية عن حب الله، والأشد من ذلك من ضل منهم ضلالاً بعيداً باعتقاد الحلول فخرجوا بذلك إلى مذاهب الباطنية[٢].

ومن العلماء الذين هاجروا إلى مصر واستقروا بها وكان لهم جهد في محاربة التصوف وبدع الصوفية الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي.

وقد كان من جهوده في ذلك تأليفه في البدع والحوادث[٣]. وانتقاده النزعة الصوفية في كتاب إحياء علوم الدين للغزالي وتحذيره منه وتبيين خطره على العقائد. فمن أقواله في هذا الكتاب: «وهو ـ لعمر الله ـ أشبه بإماتة علوم الدين»[٤]. ثم انتقد الشطحات الصوفية فيه معلقاً عليها بقوله: «... وهو تشويش

---

(١) انظر: تاريخ الإسلام، محمد بن أحمد الذهبي، الطبقة الثانية والستون، ص (١٧٣). وذيل طبقات الحنابلة، عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي «ابن رجب» (٤/ ٩٥).

(٢) انظر: البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، عباس بن منصور السكسكي الحنبلي، تحقيق د. بسام علي العموش، ص (١٠١) وما بعدها.

(٣) انظر: الحوادث والبدع، أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي، تحقيق علي بن حسن بن علي، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

(٤) سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٩/ ٤٩٥).

لعقائد القلوب، وتوهين لما عليه كلية الجماعة، فلئن كان الرجل يعتقد ما سطره لم يَبعد تكفيره، وإن كان لا يعتقده فما أقرب تضليله»[١].

وقال في مجال التحذير من بدع الإحياء على العوام: «. . . فلعمري إذا انتشر بين من لا معرفة له بسمومه القاتلة، خيف عليهم أن يعتقدوا صحة ما فيه»[٢].

وكان العز بن عبد السلام في مصر يحذر من أبرز أعلام الصوفية الغالية في ذلك الوقت وهو ابن عربي بقوله: «هو شيخ سوء كذاب»[٣].

وكان علماء المغرب والأندلس منذ وصول المسلمين إلى هذه المناطق يتمسكون بالمذهب المالكي في الفقه وبمنهج السلف في العقيدة. ومع بداية تسلل التصوف وعلم الكلام والفلسفة إلى هذه المناطق وقف المرابطون في مواجهة ذلك بصلابة، وتشدد علماؤهم وقضاتهم في التحذير من هذه البدع.

وكان من أبرز هؤلاء العلماء أبو عبدالله محمد بن علي بن محمد بن حمدين قاضي قرطبة المتوفّى سنة ٥٠٨هـ. والذي ترأس علماء قرطبة في إصدار فتوى بإحراق كتب إحياء علوم الدين للغزالي لما يشتمل عليه من التصوف والبدع المشوشة لعقائد الناس المشتتة لكلمة الجماعة والمبعدة عن الكتاب والسنّة»[٤].

وكان ذلك القاضي ابن حمدين يحط على الغزالي في طريقة التصوف وألف في الرد عليه[٥].

وفي معرض تحذيره من رسالة أنشأها أحد الصوفية المتعصبين لكتاب الإحياء وصف أبا حامد بأنه: «إمام بدعتهم»[٦].

---

(١) المصدر السابق، ص (١٩/ ٤٩٥).
(٢) المصدر السابق، ص (١٩/ ٤٩٥ ـ ٤٩٦).
(٣) المصدر السابق، ص (٢٣/ ٤٩).
(٤) انظر: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، أحمد بن يحيى الونشريسي، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، (١٢/ ١٨٧).
(٥) المصدر السابق، ص (١٩/ ٣٣٢).
(٦) المصدر السابق، ص (١٩/ ٣٣٢).

وفي رده على من يعظم كتاب الإحياء من المتصوفة قال: «... فأين هو من شُنع مناكيره، ومضاليل أساطيره المباينة للدين»[1]. ثم عرض لبعض بدعة مبيناً مخالفتها للكتاب والسنّة[2].

ومن جهود علماء المغرب والأندلس في هذه الفترة في التحذير من بعض البدع السائدة في المجتمع وبيان خطرها قيام أبي العباس العزفي[3] بالإنكار على بعض مسلمي الأندلس استحداثهم بعض الأعياد تقليداً للنصارى في أعيادهم حيث قال: «... أي بدعة أفحش وأسمج من أن يكون المسلمون يحتفلون ويستعدون لدخول شهر أو سنة من شهور ـ كذا ـ العجم وهم أعداؤنا، وإنما عاديناهم على كفرهم بالله وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾[4]. فأي مودة تكون أبين من تعظيم أعيادهم في ضلالهم وكفرهم، يا لها مصيبة ما أجلها، إنا لله وإنا إليه راجعون»[5].

وكان للشيخ أبي عبدالله بن أبي الخصال المتوفّى سنة ٥٤٠هـ في التحذير من هذه البدعة والتنفير منها وحث الناس على الاكتفاء بالأعياد الإسلامية.

فمن قوله في إحدى خطبه: «... أمتنا أيام ملتنا الأوانس، وأحيينا مهرجان الروم وفارس، وجددنا الدائر الدارس، وهجرنا تسبيح تلك وقرآنها...

---

(١) المصدر السابق، ص (١٩/ ٣٣٢).

(٢) انظر: المصدر السابق، ص (١٩/ ٣٣٢).

(٣) هو أحمد بن أبي عبدالله محمد بن أحمد اللخمي العزفي، كان من أهل العلم بالسنة، درس في جامع سبتة، وكانت وفاته سنة ٦٣٣هـ.
انظر: أزهار الرياض في أخبار عياض، أحمد بن محمد المقري، نشر صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية والإمارات العربية المتحدة، الرباط، ١٩٧٨م، (٢/ ٣٧٥).

(٤) سورة الممتحنة، الآية: (١)،

(٥) الدر المنظم في مولد النبيّ المعظم، أحمد بن محمد العزفي وابنه محمد، نشر مقدمة الكتاب فرناندو دي لاجرانخا في مجلة الأندلس الإسبانية، العدد ٣٤، سنة ١٩٦٩م، ص (٢٨).

وضارعناها إلا نيرانها وأوثانها»[(١)].

وبعد أن أشار ابن بشكوال[(٢)] إلى ما شاهده بنفسه من اهتمام المسلمين بالأعياد النصرانية وإقامتها قال: «ولعمري لقد نشبوا في فتنة هوى أوقعتهم في بدعة عمى، وشاقوا الله ورسوله من حيث لا يعلمون، واستسهلوا هذه البدع حتى ألفوها وعظموها حتى صارت عندهم كالسنة المتبعة»[(٣)]. ثم بين ابن بشكوال عدم جواز ذلك وأنه بالإضافة إلى كونه بدعة في الدين فيه مشابهة للنصارى وقد ورد النهي عن التشبه بالكفار[(٤)].

ومن البدع التي ظهرت في مجتمع الأندلس بيع الصور والتماثيل واتخاذها في المجالس والأماكن العامة والحمامات وغيرها. وقد نبه العلماء المسلمون هناك في هذه الفترة إلى خطورة ذلك وفصلوا في عدم جوازه ووجوب تغيير ما أحدث منه.

ومن العلماء الذين احتسبوا على ذلك وحذروا منه الشيخ أبو عبدالله بن المناصف[(٥)] حيث قال: «إن بيع التصاوير والأشكال المتخذة على هيئة الحيوان

---

(١) رسائل ابن أبي الخصال، محمد بن عبدالله بن أبي الخصال، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م، ص (٥٦٦ ـ ٥٦٧).

(٢) هو خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى بن بَشْكوال الأندلسي، المحدث، صاحب تاريخ الأندلس، ولد سنة ٤٩٤هـ وكانت وفاته في قرطبة سنة ٥٧٨هـ. من تصانيفه: كتاب الصلة وكتاب معرفة العلماء الأفاضل، وطرق حديث من كذب عليّ متعمداً. وغير ذلك.

انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢١ ـ ١٣٩ ـ ١٤٣)، والديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، إبراهيم بن علي بن فرحون، تحقيق د. محمد الأحمدي أبو النور (١/ ٣٥٣ ـ ٣٥٤).

(٣) الدر المنظم في مولد النبيّ المعظم، أحمد بن محمد العزفي وابنه محمد، ص (٢٣).

(٤) انظر: المصدر السابق، ص (٢٣ ـ ٢٨).

(٥) هو محمد بن عيسى بن محمد بن أصبغ بن المناصف الأزدي، نزيل إفريقيا، قاضي، متفنن في العلوم، كان مولده سنة ٥٦٣هـ، ووفاته في مراكش سنة ٦٢٠هـ، من كتبه: تنبيه الحكام، وأصول الدين، والسيرة النبويّة، وغير ذلك.

كنحو ما يستعمل مجرى الماء في الحمامات والديار ونحوها على أشكال الأسد وغيره من جنس الحيوان، وكالتصاوير التي تستعمل للصبيان في الأعياد والمواسم كل ذلك منكر لا يحل، ويجب تغييره، والمنع من جميعه»[1].

ومن مكافحة العلماء المسلمين للبدع وما يؤدي إليها تشديد الشيخ أبي عبدالله بن الحاج[2] في المنع من أن يكون لأحد من المسلمين يد في أعياد النصارى ومناسباتهم. حيث قال: «ولا يعارون دابة، ولا يعاونون في شيء من عيدهم... لأن ذلك من تعظيم شركهم وعونهم على شركهم»[3].

ثم بين ابن الحاج أن من أعان النصارى في ذلك وجب منعه بقوة السلطان: «وينبغي للسلاطين أن ينهوا المسلمين عن ذلك»[4].

وهكذا كانت جهود هؤلاء العلماء الأجلاء في أنحاء البلاد الإسلامية من أهم الأسباب التي هيأها الله سبحانه وتعالى لحفظ شرعه من المحدثات؛ ليبقى الإسلام صافياً من شوائب البدع التي تشوه نقاءه؛ فتحول دون قبوله من النصارى، وتضعفه من داخله؛ فتوهن أهله وتبعدهم عن دينهم الصحيح وما يترتب على ذلك من عدم صمودهم أمام هجمات أعدائهم وما يثيرونه من شهبات.

انظر: المغرب في حلى المغرب، ابن سعيد الأندلسي، مصر، ١٩٥٣م، ١٩٥٥م (١/ ١٠٥).

(١) جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى، د. محمد بن إبراهيم أبا الخيل، ص (٤٧٦ ـ ٤٧٧) نقلاً عن تنبيه الحكام، لابن المناصف، ص (٣٤٦).

(٢) هو قاضي الجماعة محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم بن لب ابن الحاج المالكي، الأندلسي، ولد سنة ٤٥٨هـ، وكانت وفاته اغتيالاً وهو ساجد في جامع قرطبة سنة ٥٢٩هـ، من كتبه: نوازل الأحكام.

انظر: الصلة، خلف بن عبدالله بن بشكوال (٢/ ٥٨٠ ـ ٥٨١)، وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٩/ ٦١٤ ـ ٦١٥).

(٣) المعيار المعرب، أحمد بن يحيى الونشريسي (٢/ ٤٨٩).

(٤) المصدر السابق (٢/ ٤٨٩).

المطلب الثاني

بعض الجهود المبذولة
في مواجهة الاضطرابات الداخلية

كانت الاضطرابات الداخلية في البلاد الإسلامية من أهم المشكلات التي عانت منها الأمة، ومن أبرز عقبات تحقيقها النجاح الذي تصبوا إليه في شتى المجالات. ولا شك أنه من أهم عقبات الدعوة بشكل عام ومنها دعوة النصارى في تلك الفترة.

وكان مرد هذا الاضطراب في الأحوال الداخلية للبلاد الإسلامية ـ كما سبق بيانه ـ راجع إلى الخلاف بين الولاة والحكام وما جره ذلك من حروب وفتن فيما بينهم ترتب عليها في كثير من الأحيان اختلال الأمن وانقطاع السبل ونشاط اللصوص وقطاع الطرق.

وقد كان لكثير من ولاة الأمة وعلمائها في هذه الفترة جهود ملموسة في معالجة هذا الاضطراب وتوحيد كلمة المسلمين، والعمل على نبذ الخلاف فيما بينهم، وتأمين البلاد بالضرب على أيدي العابثين والتحذير منهم، وفضح خططهم وأساليبهم في زعزعة الأمن وترويع الناس.

أولاً: بعض جهود الولاة والقادة في مواجهة الاضطرابات الداخلية:

ففي شرق الدولة الإسلامية حينما اشتد النزاع بين السلطان السلجوقي بركياروق وأخيه محمد ووقعت الحرب بينهما وظهرت آثارها على الناس من جوع

وخوف وطمع للأعداء في البلاد الإسلامية اجتهد السلطان بركياروق في طلب الصلح فبعث بعض العلماء إلى أخيه في هذا الصدد حيث نجحت مساعيهم الخيرة في إنهاء الخلاف وتحديد بلد كل منهما[(١)].

وفي سنة ٥٢١هـ بعد القتال الذي دار بين عسكر السلطان السلجوقي محمود وعسكر الخليفة في بغداد وما صاحب ذلك من سلب ونهب ظهرت آثاره على عامة الناس مما جعل الخليفة المسترشد بالله يرسل قاضي القضاة على رأس وفد إلى السلطان محمود من أجل تحقيق الصلح حيث تمّ ذلك فاستبشر الناس بعد طول معاناة[(٢)].

وكان عماد الدين زنكي بن آق سنقر هو الذي وضع أساس الوحدة الإسلامية في الموصل وبلاد الشام والتي كان قد استأثر بحكم أغلب المدن فيهما أمير شبه مستقل، حيث تمكن عماد الدين من ضم مدن شمالي الشام مع ولاية الموصل في وحدة قوية استطاعت مجابهة الصليبيين، بل وبدأت معها القوى الإسلامية تأخذ زمام المبادرة في مواجهة العدوان الصليبي النصراني الزاحف على البلاد الإسلامية.

فبدأ عماد الدين بضم جزيرة ابن عمر ونصبين[(٣)]، وسنجار والخابور وحران[(٤)] وحلب سنة ٥٢٢هـ[(٥)]، ثم حماة سنة ٥٢٣هـ[(٦)]. ولما تكون لديه هذه الجبهة المتحدة بدأ بمنازلة الصليبيين فكان لقاؤه الأول معهم حصاره لحصن

---

(١) انظر: المنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله (١٧/ ٨٥).

(٢) انظر: المصدر السابق (١٧/ ٢٤١ ـ ٢٤٢)، والكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٧٠٥ ـ ٧٠٧).

(٣) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٩/ ٨ ـ ٩).

(٤) انظر: المصدر السابق (٩/ ٩ ـ ١٠).

(٥) انظر: المصدر السابق (٩/ ١١).

(٦) انظر: المصدر السابق (٩/ ١٨).

الأثارب قرب حلب وفتحه بعد معركة قوية مع الفرنج وذلك سنة ٥٢٤هـ[١].

ثم تتالت بعد ذلك وقعات عماد الدين مع الفرنج وكان من أهمها فتحه الرها سنة ٥٣٩هـ[٢] والتي تعد من أهم قواعد الصليبيين في الشام.

وبعد اغتيال عماد الدين زنكي من أحد مماليكه سنة ٥٤١هـ[٣] أثناء حصاره لأحد حصون الصليبيين واصل الجهاد من بعده في الشام ابنه نور الدين محمود إضافة إلى جهوده في سبيل توحيد البلاد والقضاء على الأمراء المحليين المتناحرين فيما بينهم وضمهم في وحدة قوية متكاملة ضد الصليبيين.

وكان من جهوده في ذلك ضمه دمشق إلى هذه الوحدة التي بدأها والده وذلك لما خشي عليها من الإفرنج بسبب ضعف صاحبها وسوء سيرته وكان ذلك سنة ٥٤٩هـ[٤].

ثم تتالت جهوده في هذا المجال حيث وحد بلاد الشام والموصل في جبهة واحدة ضد النصارى.

وحينما حلّ الضعف والوهن في مصر إثر الشقاق والخلاف بين أمراء بني عبيد حتى بلغ بهم الأمر أن ولوا عليهم صبياً صغيراً لا يتجاوز عمره خمسة أشهر وذلك سنة ٥٤٩هـ مما زاد في أطماع الصليبيين وأغراهم بالزحف على مصر. لذلك بدأ نور الدين العمل على ضمها إلى بلاد الشام والموصل تحت إمرته[٥]. فأرسل إليها حملة بقيادة أسد الدين شيركوه سنة ٥٥٩هـ[٦]، ثم أخرى سنة

---

(١) انظر: المصدر السابق (٩/ ٢٢).

(٢) انظر: المصدر السابق (٩/ ١٣١).

(٣) انظر: المصدر السابق (٩/ ١٤١).

(٤) انظر: المصدر السابق (٩/ ٢١٧).

(٥) انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٢/ ٢٤٨).

(٦) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٩/ ٣٠٥).

٥٦٢هـ[١] حيث دانت له مصر سنة ٥٦٤هـ[٢]. مما مهد بعد ذلك للقضاء عل بني عبيد على يد صلاح الدين بأمر من نور الدين سنة ٥٦٧هـ[٣].

وهكذا كانت كل حروب نور الدين الداخلية مع الأمراء المسلمين في الشام أو الموصل أو في مصر من أجل مصلحةٍ راجحةٍ تتمثل في توحيد جهود المسلمين في مواجهة النصارى والقضاء على تناحر هؤلاء الأمراء فيما بينهم في الوقت الذي يتربص بهم النصار لاستغلال مثل هذه الأوضاع للانقضاض على المسلمين.

وقد قال صاحب الروضتين في معرض حديثه عن بعض جهود نور الدين في توحيد البلاد الإسلامية: «... وكانت عادة نور الدين أنه لا يقصد ولاية أحد من المسلمين إلا لضرورة؛ إما ليستعين بها على قتال الفرنج أو للخوف عليها كما فعل بدمشق ومصر وغيرها...»[٤].

وهكذا سار صلاح الدين الأيوبي بعد نور الدين، فما كانت حروبه مع الأمراء المسلمين في الشام والموصل إلا للغرض نفسه وهو تحقيق الوحدة بين المسلمين في مواجهة النصارى، أو للخوف على المدن الإسلامية من السقوط في أيدي الفرنج نتيجة لضعف ولاتها والتناحر فيما بينهم.

فحينما توفي نور الدين وساد الخلاف والشقاق بين كبار رجال نور الدين، وانتشرت المنكرات في الشام، وظهرت البدع، وركن البعض إلى النصارى حتى طمع الصليبيون في بلاد المسلمين؛ أرسل صلاح الدين رسالة إلى الخليفة في بغداد يشرح له فيها ما آلت إليه أحوال بلاد الشام بعد نور الدين وأن ذلك دفعه إلى القدوم إليها وضمها إلى مصر، إضافة إلى رغبته في القرب من بيت المقدس والعمل على فتحها[٥].

---

(١) انظر: المصدر السابق (٩/ ٣٢٧).
(٢) انظر: المصدر السابق (٩/ ٣٣٧).
(٣) انظر: المصدر السابق (٩/ ٣٦٤).
(٤) انظر: الروضتين في أخبار الدولتين، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (١/ ٢١٣).
(٥) انظر: المصدر السابق (١/ ٢٤٣ _ ٢٤٤).

وكان قدوم صلاح الدين من مصر إلى دمشق سنة ٥٧٠هـ حيث دخلها ثم باشر في ضم المدن الأخرى في وحدة متكاملة ضد الصليبيين. وخاض لذلك عدة معارك مع بعض الأمراء المحليين[١].

وبعد أن أتمَّ توحيد الشام واطمأن إلى تماسك الجبهة الداخلية للمسلمين بدأ في محاربة الصليبيين وجهادهم حيث حقق الانتصارات الساحقة عليهم.

ومن ذلك إغارته على الفرنج في عسقلان سنة ٥٧٣هـ[٢]، ثم إلحاقه الهزيمة النكراء بجموع الفرنج وذلك سنة ٥٧٥هـ حيث دارت معركة قوية معهم انتصر عليهم بها وتمكن من أسر عدد من قوادهم[٣].

ثم ظهرت الثمار الطيبة لتوحيد العساكر الإسلامية في حشدها من جميع أنحاء البلاد الإسلامية الخاضعة لحكم صلاح الدين استعداداً لمعركة حطين سنة ٥٨٣هـ وما تلاها من انتصارات ساحقة على الصليبيين انتهت باسترداد بيت المقدس في السنة نفسها[٤].

وكان صلاح الدين ـ حفاظاً على هذه الوحدة ضد النصارى ـ كلما انتقض أمير أو صاحب مدينة أو حصن سارع برده إلى الجبهة الإسلامية ولو أدى ذلك إلى استعمال القوة.

فمثلاً حينما انتقض صاحب الموصل واتصل بالفرنج يغريهم بصلاح الدين سار ـ رحمه الله تعالى ـ إليه وحاصر بلاده حتى دخلت عدة حصون في طاعته.

---

(١) انظر: النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ص (٩٢) وما بعدها. والكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٩/ ٤٠٤) وما بعدها.

(٢) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٩/ ٤٢٨).

(٣) انظر: المصدر السابق (٩/ ٤٣٩).

(٤) انظر: النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ص (١٢٥) وما بعدها. والكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (١٠/ ٢٠ ـ ٢٤) وما بعدها.

وما كان قصده من ذلك كما وضحه ابن شداد إلا توحيد العساكر الإسلامية ضد الفرنج حيث قال: «. . . وبلغه أن رسل الموصل وصلوا إلى الإفرنج يحثونهم على قتال المسلمين، فعلم أنهم نكثوا اليمين وأنشأ العزم على قصدهم لجمع كلمة العساكر الإسلامية على عدو الله. . .»[١]. وقد كان من شروط الصلح مع صاحبها أن إذا استمده ضد الفرنج ألا يتخلف عن ذلك[٢].

وفي غرب الدولة الإسلامية كان لولاة المرابطين جهود كبيرة في إعادة توحيد المسلمين هناك خصوصاً في الأندلس بعد ما فرقتها صراعات ملوك الطوائف وزحف النصارى على كثير من أجزائها.

فقبيل قيام الحروب الصليبية في المشرق كانت الحروب هناك على أشدها ضد المسلمين، واشتدت وطأة النصارى على ملوك الطوائف حتى اضطر بعضهم إلى الاستعانة بهم ضد إخوانه المسلمين.

وإزاء هذه الحالة السيئة للأندلس زحف إليها أمير المرابطين يوسف بن تاشفين سنة ٤٧٨هـ[٣]. حيث هزم الفرنج هناك في معركة الزلاقة المشهورة عام ٤٧٩هـ[٤]. وبدأ يوحد الإمارات الإسلامية تحت سلطة المرابطين ضد النصارى؛ استشعاراً منه لأهمية ذلك في تقوية الجبهة الإسلامية في مواجهة الأعداء. فقد كان من قوله بعد معركة الزلاقة في حشد من أمراء الأندلس: «. . . وأمرنا بالاتفاق والائتلاف وأن تكون الكلمة واحدة، وإن النصارى لم تفترصنا إلا للذي كان من تشتتنا واستعانة البعض بهم على البعض»[٥].

---

(١) النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ص (١٠٠).

(٢) انظر: الروضتين في أخبار الدولتين، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (٢/ ٤١).

(٣) انظر: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي، تحقيق: محمد سعيد العريان وزميله، ص (١٣٠).

(٤) انظر: المصدر السابق، ص (١٣٢) وما بعدها.

(٥) التبيان، عبدالله بن بُلُقِّين بن باديس بن زيري، تحقيق ليفي بروفنسال، القاهرة، ١٩٥٥م، ص (١٠٦).

ومن الأمثلة على هذا التنافس بين ملوك الطوائف في الأندلس على حساب قوة المسلمين في مواجهة النصارى ودور المرابطين في إنهائه؛ ما كان بين محمد بن معن بن صمداح صاحب المرية والمعتمد بن عباد في إشبيلية والذي أخمد جذوته ابن تاشفين بعد عبوره للأندلس(١).

وبعد أن تحدث المراكشي عن أحوال الأندلس تحت إمرة ملوك الطوائف وما بلغته من الضعف وظهور سلطان النصارى فيها قال مثنياً على جهود ولاة المرابطين في توحيد الكلمة وحسم الخلاف والقضاء على هذه الدويلات المتنافسة: «ولم يزالوا ـ أي ملوك الطوائف ـ كذلك ـ أي في الخلاف ـ وأحوال الأندلس تضعف، وثغورها تختل، ومجاوروها من الروم تشتد أطماعهم ويقوى تشوفهم إلى أن جمع الله الكلمة، ورأب الصدع، ونظم الشمل، وحسم الخلاف، وأعز الدين، وأعلى كلمة الإسلام، وقطع طمع العدو بيمن نقيبة أمير المسلمين وناصر الدين أبي يعقوب يوسف بن تاشفين اللمتوني ـ رحمه الله تعالى ـ، ثم استمر على ذلك ابنه علي وأعاد للأندلس معهود أمنها وسالف نظارة عيشها»(٢).

ومن جهود علي بن يوسف بن تاشفين في هذا المجال قضاؤه عن طريق قواده في الأندلس على تنافس أمراء شرقي الأندلس واستعداء بعضهم النصارى على المسلمين خصوصاً عبد الملك بن هود(٣) في سرقسطة(٤).

---

(١) انظر: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي، تحقيق محمد سعيد العريان وزميله، ص (١٣٥) وما بعدها.

(٢) المصدر السابق، ص (٩٣).

(٣) هو عبد الملك بن أحمد بن يوسف بن أحمد الجذامي، أحد أمراء الدولة الهودية في سرقسطة بالأندلس، وليها سنة ٥٠٣هـ واستمر بها إلى أن تغلب عليه ألفونسو ملك أرغونه فاعتصم بأحد الحصون إلى أن مات سنة ٥١٣هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢٠/ ٣٧).

(٤) انظر: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، أحمد بن محمد بن عذاري، تحقيق د. إحسان عباس، ص (٥٣ ـ ٥٤).

وفي مجال جهود الولاة والقادة في مواجهة اضطراب الأحوال الداخلية في الدولة الإسلامية الناتج عن انعدام الأمن وقطع السبل كان لكثير منهم جهود بارزة في ذلك منها قيام الخليفة المسترشد بالله حين تمرد جماعة من العيارين سنة ٥١٤هـ وفتكوا بأهل السواد بقتالهم وجيء برؤوس كثيرين منهم إلى بغداد[١].

وفي سنة ٥٣٠هـ لما كثر فساد هؤلاء العيارين في بغداد رتب شحنتها ـ أي رئيس الشرطة ـ الحرسَ في الدروب حيث قبض على اثنين منهم كانا يجبيان الناس في أحد الطرق وصلبا[٢].

وفي سنة ٥٣١هـ ازدادت سرقاتهم ونهبهم الحبوب والأمتعة مما جعل شحنة بغداد يقبض على جماعة منهم ويصلبهم على جذوع النخل[٣]. وفي سنة ٥٣٢هـ قبض كذلك على أحد عشر عياراً وصلبوا في الأسواق ببغداد[٤].

وكان من جهود الخليفة المستضيء بالله ت ٥٦٦هـ في القضاء على هؤلاء العيارين والحد من نشاطهم أن قام سنة ٥٦٤هـ بالقبض على عدد منهم حيث قتل البعض وحبس البعض الآخر[٥].

ومن أعماله كذلك في حفظ الأمن قيامه بصلب تسعة من اللصوص وقطع اليد للعاشر جزاء ما ارتكبوه من سرقات ونهب وإخلال بالأمن[٦].

وكان الخليفة العباسي يوسف بن محمد العباسي ـ المستنجد بالله ـ المتوفّى سنة ٥٦٦هـ شديد الاهتمام بجانب حفظ الأمن فقد جيء إليه برجل كثر فساده وإيذاؤه الناس، وجاء من يستشفع فيه عنده وبذل لذلك عشرة آلاف، فقال

---

(١) انظر: المنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله، (١٧/ ١٨٥ ـ ١٨٦).

(٢) انظر: المصدر السابق (١٧/ ٣٠٩ ـ ٣١١).

(٣) المصدر السابق (١٧/ ٣٢٤).

(٤) المصدر السابق (١٧/ ٣٢٧).

(٥) انظر: المصدر السابق (١٨/ ١٨٢).

(٦) انظر: المصدر السابق (١٨/ ١٨٢).

الخليفة: «فأنا أبذل عشرة آلاف دينار لتأتيني بآخر مثله أحبسه»[1].

ومن ولاة الشام الذين كان لهم اهتمام كبير بتأمين الطرق والضرب على أيدي العابثين بالأمن نور الدين محمود الذي كان يستشعر هذه المسؤولية الملقاة على عاتقه ويدرك أهمية حفظ الطرق من القطاع والبلد من اللصوص وأن هذه المسؤولية تأتي بالدرجة بعد حفظ الدين من البدع والمحدثات: «... نحن نحفظ الطرق من لص وقاطع طريق... أفلا نحفظ الدين ونمنع عنه ما يناقضه»[2].

ومن اهتمام صلاح الدين الأيوبي بحفظ الأمن وتأمين الطرق خصوصاً ما يتعلق منها بالحج وشؤون الحجيج منعه الولاة على طرق الحج وخصوصاً أمير مكة من ترويع الحاج، وسلبهم، والحيلولة دون إتمامهم مناسكهم، وذلك بأن تكفل بأعطيات من عنده لهم كي يتوقفوا عن تعرضهم للحجاج. «وقد كان يؤخذ من حجاج المغرب شيء كثير ومن عجز عن أدائه حبس فربما فاته الوقوف بعرفة»[3].

وقد لمس ابن جبير أثر صلاح الدين في تأمين طرق الحج وحماية الحاج من أطماع المنتفعين حيث قال: «ولولا ما تلافى الله به المسلمين في هذه الجهات بصلاح الدين لكانوا من الظلم في أمر لا ينادى وليده ولا يلين شديده»[4].

وبين ابن جبير كيف عمل صلاح الدين على منع أمثال هؤلاء المنتفعين من مضايقة الحجاج بأن سن لهم أعطيات يكتفون بها، ومتى تأخرت عنهم عادوا إلى ترويع الحجاج «فمتى أبطأت عنهم تلك الوظيفة المترتبة لهم عاد هذا الأمير - أي

---

(١) سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢٠/ ٤١٤).

(٢) الروضتين في أخبار الدولتين، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (١/ ١٠).

(٣) البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٢/ ٣٢٠).

(٤) رحلة ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير، ص (٥٤).

أمير مكة ـ إلى ترويع الحاج. . .»[١].

وفي غرب الدولة الإسلامية اهتم ولاة المرابطين بتحقيق الأمن وحفظ الأموال والأعراض وتأمين السبل وتخصيص من يقوم بهذه المهمة.

فكان المتولي للأمن في كل مدينة يعرف بصاحب المدينة أو صاحب الليل[٢].

ومن الاهتمام بالأمن في عهد المرابطين إغلاق أبواب المدن أثناء الليل، ويطوف في دروبها من يحفظ الأمن فيها، ويعرف من يقومون بذلك بالدرابين[٣].

وكان الأمير عبدالله بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين من أشد ولاة المرابطين على أصحاب الشر والعابثين بالأمن. «فكان لا يفتر ولا يني عن قتل أهل الشر»[٤]. وكان السارق يتذكر سطوته وشدته فيحجم عن ما هم به من السرقة. فقد هم ابن قزمان الزجال[٥] بخطف رغيف من الخباز وهو لا يدري فمنعه من ذلك خوفه من الملثم الذي هو الأمير عبدالله بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين. وقد صور ذلك في بعض أزجاله فقال:

ونـــراه فـــي الـــفـــرن داخـــل وإذ أخـــــرج نـــــغـــــنـــــي
قـــد خـــرج مـــحـــبـــوب بـــرا ونـــريـــد ولـــيـــس نـــجـــرا

---

(١) المصدر السابق، ص (٥٤).

(٢) انظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الطيب، أحمد بن محمد المقري، تحقيق د. إحسان عباس، (١/ ٢١٨).

(٣) انظر: المصدر السابق (١/ ٢١٩).

(٤) نظم الجمان بترتيب ما سلف من أخبار الزمان، حسن بن علي بن القطان، تحقيق محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م، ص (١٩٧).

(٥) هو محمد بن عيسى بن عبد الملك بن قزمان، إمام الزجالين في الأندلس، من أهل قرطبة انتشرت أزجاله في عصره حتى وصلت إلى بغداد، توفي سنة ٥٥٥هـ.
انظر: المغرب في حلى المغرب، ابن سعيد الأندلسي، (١/ ١٠٠ ـ ١٦٧).

ويــقــل لــي قــلــبــي اهــجــم   ونــخــاف مــن الــمــلــثــم[1]

وهكذا من خلال أمثال هذه الجهود المباركة التي بذلها بعض ولاة الأمة وقادتها في توحيد البلاد وجمع الكلمة وإصلاح ذات البين والضرب على أيدي العابثين بالأمن استطاعت الأمة أن تستجمع قوتها وتستعيد طاقتها بعد ما أضعفها الخلافات والأهواء والتناحر وعدم الأمن، ولا يخفى أثر ذلك في قوة الأمة وقدرتها على الوقوف أمام أطماع أعدائها خصوصاً النصارى في ذلك الوقت. بل إن هذه الوحدة والاستقرار في الأوضاع الداخلية من أهم عوامل النجاح لوسيلة مهمة من وسائل الدعوة الموجهة إلى النصارى في هذه الفترة ألا وهي الجهاد في سبيل الله.

ثانياً: بعض جهود العلماء في مواجهة الاضطرابات الداخلية:

وقد كانت لبعض علماء الأمة في هذه الفترة جهود مباركة في مواجهة الاضطرابات الداخلية وذلك من خلال سعيهم إلى حشد طاقاتها في مواجهة الأعداء، والعمل على حفظ استقرارها الداخلي من خلال قيام الكثيرين منهم بأعمال الصلح بين الولاة المتحاربين، أو المساعدة في قمع بعض الفتن والتحذير من التلبس بها، أو من خلال تولي بعض الأعمال التي لها مساس في مواجهة العابثين بالأمن كالقضاء والحسبة.

ومن ذلك قيام أحد القضاة[2] في شرق الدولة الإسلامية سنة ٤٩٧هـ بالإصلاح بين السلطانين السلجوقيين بركياروق ومحمد ابني ملكشاه حينما طالت الحرب بينهما واشتد ذلك على الناس حيث سار إلى السلطان محمد ورغبه

---

(١) ديوان ابن قزمان، أبو بكر بن قزمان، نشر د. كورينطي، المعهد الإسباني العربي، مدريد، ١٩٨٠ م، زجل (٩٨).

(٢) ويقال له: أبو المظفر الجرجاني الحنفي، توفي بعد سنة ٥٢٢هـ.

انظر: المنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله (١٧/ ٨٥)، والكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٤٩٣).

بالصلح وفضيلته وبين ما شمل البلاد من الفساد والاضطراب وطمع من الأعداء فيها حيث أجابه إلى المصالحة فاستبشر الناس واستقامت أحوالهم[1].

ومن جهود العلماء في هذا المجال قيام الشيخ أبي الحسين الغزنوي[2] في العراق بجهود مشكورة في الصلح وتسكين الفتنة بين بعض الأمراء والقواد بعد ما وقع القتال بينهم في بغداد وكثر السلب والنهب وخاف الناس.

حيث بعث إليهم أبو الحسين الغزنوي مقبحاً ما فعلوا ومبيناً لهم أثر ما هم فيه من خلاف وقتال على العامة الذين لا ذنب لهم، وكان من قوله: «... لو جاء الإفرنج لم يفعلوا هذا، أي ذنب لأهل القرى والرساتيق؟»[3]، ثم قام الشيخ واستنقذ المواشي والأسلاب وجاء بها إلى البلد فمن عرف شيئاً أخذه[4].

وفي خلال جهود نور الدين محمود في توحيد البلاد الشامية ضد الصليبيين وعندما حاصر دمشق سنة ٥٤٦هـ كان الذي تولى الصلح وإنهاء الحصار الشيخ برهان الدين البلخي[5][6].

---

(١) انظر: المنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله (١٧/ ٨٥)، والكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٤٩٣).

(٢) هو علي بن الحسين الغزنوي، واعظ مليح الإيراد، لطيب الأسلوب، كان له رباط في بغداد يحضره كبراء الدولة، كانت وفاته سنة ٥٥١هـ ودفن في بغداد.
انظر: المنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله (١٨/ ١٠٩ ـ ١١٠)، وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢٠/ ٣٢٤ ـ ٣٢٥).

(٣) المنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله (١٨/ ٦٥).

(٤) انظر: المصدر السابق (١٨/ ٦٥).

(٥) هو علي بن الحسين بن محمد البلخي، نزيل دمشق، وكانت وفاته بها سنة ٥٤٨هـ، وكان ذا جلالة وجاهة، درس في دمشق وناظر في الخلاف في عهد نور الدين محمود.
انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢٠/ ٢٧٦)، والفوائد البهية في تراجم الحنفية، محمد عبد الحي اللكهنوي، القاهرة، ١٣٢٤هـ، ص (١٢٠ ـ ١٢١).

(٦) انظر: الروضتين في أخبار الدولتين، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (١/ ٨١).

وفي سنة ٦٥١هـ قام الشيخ نجم الدين البادرائي[1] بجهود كبيرة في سبيل الإصلاح بين جيش الشام وجيش مصر بعد ما احتدم القتال بينها حتى كاد جيش مصر أن يستعين بالفرنجة على الشاميين مقابل تسليمهم القدس. فمنع الله هذه المصيبة عن المسلمين بسبب جهود البادرائي المباركة[2].

وكان يوسف بن رافع بن شداد من المقدمين عند صلاح الدين وتولى قضاء عسكره منذ سنة ٥٨٤هـ[3]، وقام بكثير من الأعمال في خدمته ومنها مساعيه في الإصلاح بين صلاح الدين وبعض الأمراء المخالفين في الشام والموصل وكذلك في مصر.

ومن ذلك نجاح مساعيه في عقد الصلح بين صلاح الدين وصاحب الموصل؛ دعماً للوحدة الإسلامية في مواجهة الصليبيين حيث دام هذا الصلح حتى وفاة صلاح الدين «ومات قدس الله روحه وهو على ذلك الصلح لم يتغير عنه»[4].

ولما اشتد الضعف في الأندلس من جراء تناحر ملوك الطوائف فيها على النفوذ والسلطة وطمع النصارى بالمسلمين نتيجة لذلك كان لكثير من العلماء هناك مواقف مشهودة في إعادة وحدة الأندلس واسترجاع هيبة المسلمين هناك ضد أعدائهم وذلك من خلال بذل المساعي في إدخال دول الطوائف تحت سلطة المرابطين كقيام جماعة من أهل الحل والعقد في بلنسية على رأسهم القاضي

---

(١) هو عبدالله بن محمد بن حسن بن عبدالله البادرائي الشافعي، مولده سنة ٥٩٤هـ، ووفاته سنة ٦٥٥هـ في بغداد، كان فقيهاً عالماً ديناً دمث الأخلاق.
انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢٣/ ٣٣٢ ـ ٣٣٤)، وطبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق عبد الفتاح الحلو وزميله (٨/ ١٥٩).

(٢) انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٣/ ١٩٦).

(٣) انظر: النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ص (١٣٩).

(٤) المصدر السابق، ص (١٢٠).

جعفر بن جحاف[1] بالاتصال بالمرابطين ودعوتهم لدخول بلنسية وتمهيد السبيل أمامهم حفاظاً عليها من زحف النصارى[2].

ومن جهود علماء الأندلس في هذا المجال إصدار الفتاوى بوجوب انضواء جميع ملوك الطوائف في الأندلس تحت سلطة المرابطين الداعين للخلافة العباسية في المشرق.

ومن ذلك نشر القاضي محمد بن عبدالله بن العربي الأندلسي المتوفّى سنة ٥٤٣هـ فتوى الغزالي في الأندلس حين عودته من المشرق في حوالي سنة ٤٩٥هـ[3] إلى إشبيلية، حيث تتضمن هذه الفتوى وجوب قتال ملوك الطوائف في سبيل توحيد الأندلس ضد الأعداء، وتزكية حكم المرابطين ما داموا داعين للخلافة العباسية، وأن من خرج عليهم يعد باغياً يجب قتاله وتحرم طاعته[4].

ومما قام به علماء فترة الحروب الصليبية أيضاً في مجال دعم الوحدة بين المسلمين في الأندلس عمل كثير منهم على تثبيت حكم المرابطين فيها ودعمه وتزكيته والوقوف أمام محاولات الثورة عليه؛ حفاظاً على قوة المسلمين في مواجهة أعدائهم النصارى، وقطعاً لأهم أسباب الضعف المتمثل بطمع بعض

---

(١) هو جعفر بن عبدالله بن جعفر بن عبد الرحمن بن جحاف، تولى قضاء بلنسية في الأندلس، ثم ولايتها من قبل المرابطين حتى استولى عليها النصارى وقتل ابن جحاف بعد حصار مرير سنة ٤٨٥هـ.

انظر: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، علي بن بسام الشنتريني، تحقيق د. إحسان عباس، القسم الثالث، المجلد الأول، ص (٩٥ ـ ٩٩).

(٢) انظر: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، أحمد بن محمد بن عذاري، تحقيق د. إحسان عباس (٤/ ٣١).

(٣) انظر: الغنية، عياض بن موسى، تحقيق محمد بن عبد الكريم، الدار العربية للكتاب، ليبيا ـ تونس، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م، ص (١٣٥).

(٤) انظر: رسائل أبي بكر بن العربي، تحقيق د. عصمت عبد اللطيف دندش، (ملحق بكتاب دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا للمحققة، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، ص (١٩٦ ـ ١٩٨).

الأمراء الاستقلال في حكم بعض الولايات حتى لو أدى ذلك إلى الاستعانة بالنصارى. حيث عمل بعض العلماء على بث الدعاية الحسنة عن حكام المرابطين وتزكيتهم في المجتمع الأندلسي. فمثلاً حينما سئل ابن رشد الجد[(١)] عن اللثام ـ والذي كان من عادة المرابطين الالتزام به ـ أجاب مثنياً عليهم بقوله: «قاموا بدعوة الحق ونصرة الدين»[(٢)]. وحين يلتزمون بذلك اللثام تظهر كثرتهم ويتوفر في أعين الناس عددهم، وهذا غيظ للمشركين وعز للمسلمين لأنهم حماتهم الذابون عنهم والمجاهدون دونهم[(٣)].

كذلك امتدح القاضي أبو بكر بن العربي المرابطين بقوله: «المرابطون قاموا بدعوة الحق، ونصرة الدين، وهم حماة المسلمين الذابون عنهم والمجاهدون دونهم...»[(٤)].

وحينما ثار أحدهم في بلنسية في أواخر أيام المرابطين وطلب البيعة لنفسه من قاضي المدينة أبي بكر جعفر بن حسين الأموي[(٥)] رفض وقال: «والله لا أفعل

---

(١) هو محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبي، شيخ المالكية، وقاضي الجماعة في قرطبة، كان فقيهاً عارفاً بالفتوى، نافذاً في علم الفرائض والأصول، من تصانيفه: المقدمات، والبيان والتحصيل، وغير ذلك، كانت وفاته سنة ٥٢٠هـ.

انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، إبراهيم بن علي بن فرحون، تحقيق د. محمد الأحمدي أبو النور (٢/٢٤٨ ـ ٢٥٠)، وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٩/٥٠١ ـ ٥٠٢).

(٢) فتاوى ابن رشد، محمد بن أحمد بن رشد «الجد»، تحقيق المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م، (٢/ ٩٦٥).

(٣) انظر: المصدر السابق (٢/ ٩٦٥).

(٤) الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، لمؤلف مجهول من أهل القرن الثامن الهجري، تحقيق د. سهيل زكار وزميله، دار الرشاد الحديثة، الرباط، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، ص (١٤٠).

(٥) هو جعفر بن الحسين بن أبي البقاء الأموي، من أهل أنده قرب مدينة بلنسية في الأندلس، وقد ولي الصلاة والخطبة والقضاء في بلدته، وكانت وفاته سنة ٥٤٠هـ.

وبيعة تاشفين في عنقي»[1].

وحينما قامت دولة الموحدين على أنقاض دولة المرابطين في المغرب وانفرطت مدن الأندلس حتى كادت ترجع إلى سابق عهدها إبان حكم ملوك الطوائف؛ عمل كثير من العلماء الأندلسيين على انضواء مدنهم تحت حكم الموحدين جمعاً لكلمة المسلمين في مواجهة النصارى.

ومن ذلك مثلاً قدوم وفد إشبيلية إلى مراكش وكان على رئاستهم مجموعة من العلماء في مقدمتهم القاضي أبو بكر بن العربي لتقديم البيعة للأمير الموحدي سنة ٥٤١هـ[2]. وذلك خشية عليها من النصارى وقطعاً لأطماع بعض الأفراد المحليين الراغبين بالاستقلال مهما كانت نتائج ذلك على المسلمين.

وهكذا كانت جهود كثير من العلماء في فترة الحروب الصليبية في مواجهة الاضطرابات الداخلية، مكملة لجهود القادة والولاة ومتممة لها ومساعدة على نجاحها؛ وذلك من خلال ما قاموا به من إصلاح بين الأفراد المتنازعين الذين أصاب الناس بسبب حروبهم فيما بينهم الضر وطمع الأعداء بالمسلمين من جراء خلافاتهم. أو من خلال حفاظهم على سلامة المجتمع المسلم وتماسكه بالضرب على أيدي العابثين بأمنه من خلال أعمالهم ووظائفهم الرسمية في القضاء والحسبة إلى غير ذلك.

انظر: التكملة لكتاب الصلة، محمد بن عبدالله بن الأبار، نشر عزت العطار الحسيني، مصر، ١٣٧٥هـ (١/ ٢٤١).

(١) المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا «تاريخ قضاة الأندلس» علي بن عبدالله النباهي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ص (١٦).

(٢) انظر: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، أحمد بن محمد بن عذاري، قسم الموحدين تحقيق د. محمد إبراهيم الكتاني وآخرين، ص (٣٣).

المطلب الثالث

بعض الجهود المبذولة في مواجهة الحواجز الفكرية والنفسية واللغوية

ويتمثل الحاجز الفكري كما سبق بيانه في ازدراء النصارى للمسلمين خصوصاً الأوربيين منهم وذلك نتيجة للفكرة السيئة والمغلوطة لديهم عن الإسلام والمسلمين من الاعتقاد بأن الإسلام ديانة وثنية، والمسلمون وثنيون يعبدون محمداً، وأنهم بوثنيتهم استنزلتهم الشياطين فلا يرقون إلى ديانة النصارى الإلهية بزعمهم.

أما الحاجز النفسي فكما سبق أيضاً فإنه يتمثل في اعتقادهم أن المسلمين اغتصبوا أرضهم وسيطروا على مناطق كانوا يعدونها لهم خاصة القدس، وما نشأ عن ذلك من عداوة شديدة من قبلهم للمسلمين.

والحاجز اللغوي يتمثل باختلاف اللغة مع نصارى الفرنج حيث شكل ذلك حاجزاً من حواجز الدعوة الموجهة إليهم.

وقد كانت هناك جهود كبيرة في فترة الحروب الصليبية من المسلمين على كافة المستويات من أجل التخفيف من أثر هذه الحواجز وذلك من خلال وسائل الاتصال المختلفة بين الفريقين سواء اللقاءات المباشرة بين القادة والرسل، أو المكاتبات أو اتخاذ المترجمين، أو من خلال المعاملات المختلفة في الحياة العامة.

فمن الجهود المبذولة لإزالة الحاجزين الفكري والنفسي حسن المعاملة من كثير من المسلمين وما لمسه النصارى منهم من الأخلاق الفاضلة والرحمة والعطف خصوصاً لدى بعض القادة في لقاءاتهم ومكاتباتهم وجهادهم حيث كان لذلك أثر واضح في تغيير كثير من النصارى مواقفهم من الإسلام وإزالة الفكرة المشوهة في أذهانهم عنه بل وكان ذلك سبب إسلام الكثيرين منهم.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما كان من صلاح الدين ـ رحمه الله تعالى ـ. فرغم جهاده النصارى وقتاله لهم وفتحه القدس وزحفه على معظم بلاد الشام وطردهم منها رغم كل ذلك فقد كان لحسن معاملته وما يتحلى به من أخلاق فاضلة أكبر الأثر في تغيير نظرتهم للمسلمين.

فمن الوقائع التي تدل على نبل صلاح الدين وكان لها أثر في نفوس الصليبيين أن خطف بعض المسلمين من معسكر الصليبيين بعض الأشخاص وكان من ضمنهم طفل رضيع، فلما فقدته أمه اشتدت حسرتها عليه فشكت ذلك إلى بعض قوادهم الذين لم يكن بأيديهم ما يستطيعون عمله؛ لذلك أشاروا عليها بالذهاب إلى صلاح الدين بنفسها فإنه رحيم القلب. فقدمت آمنة واشتكت كربها إليه فرق لها حتى دمعت عينه لحرقتها على طفلها، ثم أمر بالبحث عنه فوجده قد بيع فاشتراه وقدمه إليها، فأخذته وأرضعته وهي تبكي من شدة فرحها به، ثم أمر بحملها إلى قومها آمنة هي وطفلها[1].

وبعد فتح القدس سنة ٥٨٣هـ ظهر نبل صلاح الدين بأوضح صوره. فرغم ما فعله الصليبيون بالمسلمين عند دخولهم القدس من السبي والتشريد ورغم ما كان لكثير من قادتهم من عداوة صلاح الدين وحربه له ونقضه للعهود والمواثيق رغم كل ذلك فإنه عفى عن الكثيرين منهم وأمن من استسلم ومنَّ على من أسر.

فبعد الفتح جاءه بعض قادة الفرنج واستوهبوا منه جماعات من بني جلدتهم فوهبهم لهم، وكان بالقدس بعض نساء الملوك من الروم قد ترهبن وأقمن بالمدينة

---

(١) انظر: النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ص (٢٤٠).

ومعهن الحشم والأموال الطائلة، فطلبن الأمان لأنفسهن ومن معهن فوهبهن ذلك[1].

وخرج البطريرك الكبير للفرنج في القدس ومعه أموال طائلة لا يعلمها إلا الله فلم يعرض له صلاح الدين رغم مطالبة كثير من المسلمين الاستفادة من هذه الأموال[2].

ونقل صاحب قصة الحضارة من نبل صلاح الدين عن بعض الإخباريين النصارى المعاصرين لهذه الأحداث قوله: «... ثم أعتق كل من لم يستطع أداء الفدية من كبار السن... ورق قلب صلاح الدين لدموع أولئك النساء والبنات فأطلق سراح من كان في أسر المسلمين من أزواجهن وآبائهن... أما النساء والبنات اللاتي قتل أزواجهن وآباؤهن فقد وزع من ماله الخاص ما أطلق ألسنتهن بحمد الله، وبالثناء على ما عاملهن به صلاح الدين من معاملة رحيمة نبيلة»[3].

وأثناء محاولته ـ رحمه الله تعالى ـ فك الحصار عن عكا سنة ٥٨٧هـ والقتال على أشده مع جموع الفرنج طلب ملك الإنجليز ماءً وثلجاً وفاكهة فأرسل له صلاح الدين ما طلبه كرماً وإحساناً[4].

وكان يستغل لقاءاته واجتماعاته بقادة الفرنج ورسلهم فيعرفهم الإسلام ويبرز محاسنه لهم بل ويدعوهم إلى اعتناقه.

ومن ذلك مثلاً مبالغته في إكرام صاحب صيدا الإفرنجي ثم ذكر محاسن الإسلام له وحثه على اعتناقه حيث شاهد ذلك منه قاضي عسكره ابن شداد الذي

---

(١) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (١٠/ ٣٦).

(٢) انظر: المصدر السابق (١٠/ ٣٧).

(٣) قصة الحضارة، ول وإيريل ديورانت، ترجمة محمد بدران، المجلد الرابع، الجزء الرابع، ص (٣٨).

(٤) انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٢/ ٣٦٥).

قال: «. . . ولقد رأيته وقد دخل عليه صاحب صيدا بالناصرة فاحترمه وأكرمه وأكل الطعام معه، ومع ذلك عرض عليه الإسلام فذكر له طرفاً من محاسنه وحثه عليه»[١].

وكان للاتصالات التي تمت بين المسلمين والنصارى عن طريق الرسل أو المكاتبات دور في إزالة هذه الحواجز، حيث كانت الاتصالات مستمرة بين الفريقين طوال فترة الحروب الصليبية، ولم تكن كلها تدور حول الأمور العسكرية بين الجانبين بل في مجالات كثيرة في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية.

ومن ذلك رسائل صلاح الدين الكثيرة إلى قادة النصارى الصليبيين في أغراض مختلفة سواء كانت هذه الرسائل ابتداءً أو جواباً على رسائل بعث بها النصارى.

ومن ذلك كتاب صلاح الدين لملك القسطنطينية حول تقرير بعض القواعد وتنظيم العلاقة بين الطرفين وإقامة الخطبة في جامع القسطنطينية حيث تمّ ذلك. وكان رد ملك القسطنطينية على هذا الكتاب بلطف وتودد لصلاح الدين وإظهار معاداة قومه النصارى واعتذاره عن مسير ملك الألمان في أرضه مجتازاً إلى المسلمين[٢].

ورسالة أخرى إلى ملك الإنجليز في شأن القدس وحق المسلمين فيها وأن جميع البلاد التي استولى عليها النصارى إنما هي في الأصل للمسلمين «. . . وهو ـ أي بيت المقدس ـ عندنا أعظم مما هو عندكم فإنه مسرى نبيّنا، ومجتمع الملائكة، فلا يتصور أن ننزل عنه ولا نقدر على التلفظ بذلك بين المسلمين، وأما البلاد فهي أيضاً في الأصل لنا، واستيلاؤكم كان طارئاً لضعف من كان فيها من المسلمين في ذلك الوقت. . .»[٣].

ومن رسائل صلاح الدين إلى بعض قادة الفرنج رسالة إلى بلدوين الرابع في

---

(١) النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ص (٦٦).

(٢) انظر: المصدر السابق (٢٠٢ ـ ٢٠٣).

(٣) المصدر السابق، ص (٢٩٠).

بيت المقدس قبل فتحها بشأن تعزيته في وفاة أبيه وتهنئته بخلافته وما تضمنته هذه الرسالة من المجاملة ولين العبارة على الرغم من حالة الحرب المستمرة بين الطرفين[1].

ورسالة للملك الجواد أحد أمراء الملك الكامل في مصر إلى فريدريك الثاني ملك صقلية سنة ٦٣٠هـ رداً على رسالة بعث بها فريدريك إليه[2]. حيث أظهرت رسالة فريدريك بعباراتها اللطيفة مدى احترامه للمسلمين.

ورد الملك الكامل على رسالة فريدريك الثاني ملك صقلية بشأن أسئلة علمية بعث بها إليه[3].

أما تبادل السفراء والرسل بين المسلمين والصليبيين النصارى فأكثر من أن يحصر، فمن الأمثلة على ذلك وصول رسل ملك إنجلترا إلى صلاح الدين ولقاؤهم بأخيه الملك العادل وتبادل الهدايا بين الطرفين[4].

ورسول الملك العادل إلى ملك إنجلترا بشأن الصلح سنة ٥٨٧هـ[5].

ووصول رسول المركيس صاحب صيدا بطلب الصلح والتودد للمسلمين وما لقيه من إكرام وشَرْط صلاح الدين لقبول عرضه أن يظهر معاداة قومه[6].

وقدوم رسول صاحب القسطنطينية سنة ٥٨٨هـ ومقابلته صلاح الدين حيث أكرمه واحترمه وكان وفوده بشأن صليب الصلبوت وكنيسة القيامة والقدس وغير

---

(١) انظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أبو العباس أحمد القلقشندي، (٧/ ١١٥ ـ ١١٦).

(٢) انظر: المصدر السابق (٧/ ١١٧ ـ ١١٨).

(٣) انظر: السلوك لمعرفة دول الملوك، أحمد بن علي المقريزي، تحقيق محمد مصطفى زيادة (١/ ٢٣٣).

(٤) انظر: النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ص (٢٥٠).

(٥) المصدر السابق، ص (٢٩٠).

(٦) انظر: المصدر السابق، ص (٣٠٨).

ذلك، حيث أنفذ صلاح الدين من قبله رسولاً رداً على ذلك إلى صاحب القسطنطينية[1].

ومن تبادل الرسل بين الطرفين قدوم رسول ملك الإنجليز إلى صلاح الدين وما أظهره من التودد والتلطف في أداء رسالته على لسان ملكه وكان مما قال: «... إن الملك راغب في مودتك وصداقتك...»[2] حيث عاد هذا الرسول برد لطيف حسن من صلاح الدين إلى صاحبه[3].

وفي السنة نفسها تكرر تبادل الرسل بين صلاح الدين وملك الإنجليز بشأن الصلح[4].

أما اللقاءات المباشرة بين قادة الطرفين فكانت كثيرة في هذه الفترة، ومنها لقاءات الملك العادل المتكررة برسل الملك الإنجليزي وتبادل عبارات المجاملة والهدايا خلال هذه اللقاءات[5]. ثم لقاء الملك العادل نفسه بملك الإنجليز ومباحثاته معه في شأن الصلح[6].

ثم تكرر اللقاء مرة أخرى سنة ٥٨٧هـ حيث ساد الاجتماع جو من الود أزال من نفرة الصليبيين الشديدة من المسلمين حيث قال ابن شداد عن ذلك الاجتماع ـ وهو شاهد عيان ـ: «وتحادثا معظم ذلك النهار وتفاصلا عن تواد ومطايبة ومحبة أكيدة»[7].

ولا شك أن للعلماء في هذه الفترة جهود بارزة في هذا المجال وكان لها أثرها في تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة عن الإسلام من قبل النصارى، وذلك

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص (٣١١).
(٢) المصدر السابق، ص (٣٢٦).
(٣) انظر: المصدر السابق، ص (٣٢٦).
(٤) انظر: المصدر السابق، ص (٣٢٨).
(٥) انظر: المصدر السابق، ص (٢٥٠).
(٦) انظر: المصدر السابق، ص (٢٩٠).
(٧) المصدر السابق، ص (٣٠٠).

من خلال تأليف الكتب في محاسن الإسلام، أو الرد على شبههم، أو اللقاءات المباشرة معهم، أو المناظرات والرسائل وما شابه ذلك[1].

ومن الأمثلة على ذلك رد بعض طلاب العلم في الأندلس على مجموعة من الأسئلة التي بعث بها الفرنج هناك إلى المسلمين[2].

وكتاب الرد على النصارى للجعفري وما تضمنته بعض فصوله من إبراز لبعض العقائد الإسلامية التي ظل بها النصارى كنبوة المسيح عليه السلام ونبوّة محمد ﷺ[3]. كذلك ما تضمنته كتبه الأخرى من رد على بعض شبه النصارى وإبراز لمحاسن الإسلام ككتابي تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، والواضح المشهود.

ومن الكتب أيضاً في هذا المجال كتاب القرافي «الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة، وكتاب الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإثبات نبوّة محمد عليه الصلاة والسلام وغير ذلك من الكتب.

ومن رسائل بعض العلماء في هذه الفترة في الرد على شبه النصارى وإبراز محاسن الإسلام رسالة أبي عبيدة الخزرجي رداً على رسالة قسيس طليطلة وإبطال شبهه وتفنيد ادعاءاته[4].

ورد القرافي على رسالة لأحد النصارى مفنداً فيها مفترياته، ومزيلاً تلبيسه، ومصححاً تأويلاته لشرائع الإسلام وتشويهه لها[5].

أما المناظرات مع النصارى لعلماء هذه الفترة فكثيرة جداً في مختلف أنحاء البلاد الإسلامية.

---

(١) انظر: تفصيل ذلك في الفصل الثالث.

(٢) انظر: الرد على النصارى، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمد محمد حسانين، ص (٥٦).

(٣) انظر: المصدر السابق، ص (٨٧ ـ ٩٥).

(٤) انظر: مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، ص (١٢٠) وما بعدها.

(٥) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (٣).

ففي شرق البلاد الإسلامية كان الرازي كثير المناظرة للنصارى[1]. وكان لغيره من العلماء كذلك نشاط واضح في هذا المجال أمام كيوك خان ملك المغول في فارس[2]. وكذلك أمام الملك المغولي بركة خان الذي كان مسلماً[3].

وفي الشام كانت تجري المناظرات بين بعض علماء المسلمين ومقدمي الصليبيين. ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره ابن شداد عن أحد قواد النصارى الذي كان في ضيافة صلاح الدين حيث قال: «... ويناظرنا في دينه ونناظره في بطلانه»[4].

أما في مصر فكان من أبرز المناظرين للنصارى القرافي حيث أشار إلى كثرة وقوع ذلك منه معهم[5].

وفي صقلية كانت المناظرات أيضاً تقع بين بعض علماء المسلمين وعلماء من النصارى أمام ملك صقلية[6].

أما في الأندلس فنتيجة لطول فترة تعايش المسلمين والنصارى فكان وقوع المناظرات بين الطرفين أكثر من غيره من بقية أنحاء البلاد الإسلامية. ومن ذلك مناظرات الشيخ عبدالله بن محمد بن سهل الغرناطي المتوفّى في مرسية سنة ٥٧١هـ مع النصارى[7]. ومناظرات الجعفري[8] وغير ذلك.

---

(١) انظر: على سبيل المثال مناظرته مع أحد القساوسة في خوارزم في عيون المناظرات، عمر السكوني، تحقيق سعد غراب، ص (٢٨٣، ٢٨٥).

(٢) انظر: الدعوة إلى الإسلام، توماس أرنولد، ترجمة د. حسن إبراهيم حسن وآخرين، ص (٢٥٦ ـ ٢٥٧).

(٣) انظر: المرجع السابق، ص (٢٥٩).

(٤) النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ص (١٥٥).

(٥) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (١١١).

(٦) انظر: المصدر السابق، ص (١٠٢).

(٧) انظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، محمد بن عبدالله بن الخطيب، (٣/ ٤٠٤).

(٨) انظر: مثلاً تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (١/ ٢٣٣ ـ ٢٥٣).

أما التعايش والمخالطة بين المسلمين والنصارى فكان له دور هام في إزالة هذين الحاجزين الفكري والنفسي بين الفريقين، بل وتأثر كثير من النصارى بالمسلمين حتى إن بعضهم اعتنق الإسلام.

ومن أمثلة المخالطة والمعايشة بين الفريقين خضوع بعض قرى المسلمين في الشام لسيطرة الصليبيين وممارسة المسلمين فيها لشعائرهم الدينية وتحاكمهم إلى قاضٍ منهم تحت الحكم الصليبي، كما في قرية جبلة التابعة لصاحب أنطاكية الفرنجي حيث كان أهل هذه القرية مسلمون ولهم قاض منهم يحكم بينهم وفق الشريعة الإسلامية(١).

وفي بعض الأحيان كانت بعض القرى مناصفة بين المسلمين والفرنج لا يحيف أحد على الآخر ومواشي الفريقين مختلطة وما يؤدي إليه ذلك من ضرورة اللقاء والمعاملة(٢).

ومن الأمثلة أيضاً على كثرة المخالطة والتعايش بين الفريقين تردد بعض المسلمين على بيت المقدس وهو تحت حكم الصليبيين بل وبعض العلماء كأبي شامة المقدسي(٣) وأسامة بن منقذ(٤) وغيرهم.

بل إنه في فترات السلم كانت هناك بعض المؤسسات بين الفريقين فقد ذكر ابن شداد أنه في حصار عكا لما طال الحصار أنس البعض بالبعض حتى جرت بينهم بعض الألعاب لطول المعاشرة(٥). بل إن ابن جبير شاهد عرساً إفرنجياً

---

(١) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (١٠/٤٨).

(٢) انظر: رحلة ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني، ص (٢٧٣).

(٣) انظر: الذيل على الروضتين في أخبار الدولتين، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، ص (١٥١).

(٤) انظر: الاعتبار، أسامة بن مرشد بن منقذ، ص (١٣٤).

(٥) انظر: النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ص (١٦٩).

حضره بعض المسلمين[1].

أما نصارى البلاد الإسلامية فكان اختلاطهم أكثر واتصالهم أوثق بالمسلمين، حيث كان لهم وجود واسع بين المسلمين في بغداد وكثير من مدن الشام كطرابلس وعكا وأنطاكية وطوروس وقنسرين وأجزاء من جبال لبنان، والإسكندرية في مصر وغيرها[2].

أما في غرب الدولة الإسلامية فكان في الأندلس الاختلاط والمعايشة بين المسلمين والنصارى أكثر من أي جهة أخرى في البلاد الإسلامية لكون الغالبية العظمى من سكان الأندلس قبل الفتح الإسلامي من النصارى ثم بقاء الكثيرين منهم بعد الفتح معاهدين تحت سلطة الدولة الإسلامية يشاركون المسلمين في الحياة العامة.

ومن الشواهد على وجود النصارى بأعداد كبيرة بين المسلمين بالأندلس في فترة الحروب الصليبية عبور ابن رشد الجد إلى مراكش سنة ٥٢٠هـ للقاء أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين حيث «بين له أمر الأندلس وما بليت به من معاهدتها وما جروه إليها»[3]. وذلك باستدعائهم بعض ملوك النصارى في الأندلس ضد المسلمين.

وفي مراكش كان للنصارى وجود أيضاً حيث يدل عليه قول صاحب كتاب الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام: «. . . إن أهل مراكش قحطوا في زمان يعقوب المنصور ـ رحمه الله تعالى ـ فأمر الناس بالخروج حتى لم يبق في المدينة أحد، وخرج إليها اليهود والنصارى والبهائم والنساء وأولادهم»[4].

---

(١) انظر: رحلة ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني، ص (٢٧٨).

(٢) انظر: المبحث الثالث من الفصل التمهيدي.

(٣) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، أحمد بن محمد بن عذاري، الجزء الرابع، تحقيق د. إحسان عباس، ص (٤/ ٧٢).

(٤) الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، عباس بن إبراهيم المراكشي، المغرب، فاس، الطبعة الأولى ١٩٣٦م، ص (١٨٧).

وذكر صاحب كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وجود طائفة من النصارى في تلمسان حيث قال: «وفيها ـ أي تلمسان ـ للأول آثار قديمة وبها بقية من النصارى إلى وقتنا هذا...»[١].

ولا شك أن هؤلاء النصارى داخل المجتمع الإسلامي في بلاد المغرب والأندلس كانوا يشاركون المسلمين في كثير من الأنشطة خاصة في التجارة والصناعة والبناء.

بل إنه في بعض الأحيان يجري إشراكهم بالجيش كفرق تقاتل مع المسلمين، حيث قال ابن عذاري: «وفي سنة ٥٣٤هـ خرج تاشفين بعسكر كبير من لمتونة والحشم وزنانة لقتال الموحدين ومعه جمع من النصارى مع قائدهم الربرتير...»[٢].

وكان كثير منهم يعمل بالصيرفة[٣]، ومنهم أعداد كبيرة تعمل بالقصور بأعمال الخدمة والطب، بل ويعملون بالجيش حتى برز منهم بعض القادة[٤].

وفي بعض الأحيان تتخذ منهم الجواري بل الزوجات لكثير من المسلمين، فعلى سبيل المثال كانت أم علي بن يوسف بن تاشفين أبرز قادة المرابطين ومن أكثرهم جهاداً للنصارى في الأندلس نصرانية[٥].

ولهذه المخالطة والمعايشة نتيجة لوجود النصارى بأعداد كبيرة بين المسلمين

---

(١) المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب عبدالله بن عبد العزيز البكري، تحقيق دي سلان، باريس، الطبعة الثانية ١٩١١م، ص (٧٦).

(٢) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، أحمد بن محمد بن عذاري، تحقيق د. إحسان عباس (٤/ ٩٨).

(٣) انظر: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، د. عصمت دندش، ص (٢٠١).

(٤) انظر: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، أحمد بن محمد بن عذاري، الأجزاء الثلاثة الأولى، تحقيق كولان وليفي (٢/ ٤٠).

(٥) انظر: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب، علي بن عبدالله الفاسي «ابن أبي زرع»، طبعة فاس، ١٣٠٥هـ، ص (١٥٣).

في الأندلس خاصةً وصل الحال ببعض المسلمين إلى مشاركة النصارى في بعض احتفالاتهم وأعيادهم.

ومن ذلك احتفال بعض المسلمين ببعض أعياد النصارى كالعنصرة وخميس إبريل وغيرهما حيث علل ذلك الأمير أبو القاسم العزفي بمجاورة النصارى وكثرة مخالطتهم(١).

ومن خلال ما سبق يتضح أن هناك جهوداً كبيرة ومتعددة على كافة المستويات بذلها المسلمون في سبيل إزالة هذين الحاجزين الفكري والنفسي أو على الأقل التخفيف من أثرهما، واللذان يعدان من أبرز العقبات المانعة من قبول الدعوة الموجهة للنصارى.

ولا شك أن هذه الجهود المباركة والاتصالات المختلفة بين المسلمين والنصارى في هذه الفترة كان لها دورها في إزالة أو تخفيف أثر هذين الحاجزين الفكري والنفسي خاصة لدى الصليبيين في الشام ومصر وصقلية حيث يظهر ذلك من خلال تغير نظرة كثير من النصارى للمسلمين، وتصحيح بعض المفاهيم المغلوطة لديهم عن الإسلام، وتبدل لهجة كثير من قوادهم العدائية وتحولها إلى ملاطفة وتودد من قبلهم للقادة المسلمين وإبداء الإعجاب أحياناً ببعضهم، واحترامهم، وتأثر أعداد كبيرة منهم بعادات المسلمين وتقاليدهم بل وإسلام الكثيرين منهم.

فعندما قابل رسول إمبراطور ألمانيا صلاح الدين سنة ٥٧٠هـ ـ ١١٧٥م وكان قد حمل في ذهنه صورة سيئة عن الإسلام وأنه لا يتعدى كونه معتقدات وثنية وتعرف من خلال أدائه لمهمته وحديث صلاح الدين ـ رحمه الله تعالى ـ إليه على معتقدات المسلمين وأنهم يؤمنون بإله واحد هو خالق كل شيء وأن نبيّهم محمدﷺ هو رسول الله، فعاد هذا الرسول وشرح لقومه ذلك وأخبرهم أن

---

(١) انظر: الدر المنظم في مولد النبيّ المعظم، أحمد بن محمد العزفي، ص (٢١)، وأمثال العوام في الأندلس، عبيد الله بن أحمد الزجالي، تحقيق د. محمد بنشريفة، فاس، ١٩٧٥م، ص (٢٤١).

المسلمين يتمتعون بحرية دينية لا يوجد لها مثيلاً في المجتمع الأوربي[١].

حيث تبين هذه المقابلة مدى جهل النصارى الأوربيين بالإسلام والصورة المشوهة عنه في أذهانهم وكيف أن هذا الرسول بمجرد اتصاله بالمسلمين وتعرفه على معتقداتهم عن قرب غير فكرته بل وطالب قومه بذلك.

ويظهر أيضاً تبدل هذه النظرة للنصارى عن المسلمين من خلال تغير اللهجة العدائية لبعض قادتهم تجاه المسلمين، ومن الأمثلة على ذلك قول ملك الإنجليز للملك العادل في بداية مفاوضات الصلح وطلبه الاجتماع بصلاح الدين «. . . وعادة الملوك إذا تقاربت منازلهم أن يتهادوا، وعندي ما يصلح للسلطان وأنا أستخرج الإذن في إيصاله إليه»[٢].

ومرة أخرى رسول من الملك الإنجليزي إلى صلاح الدين وفي رسالته تودد وتلطف وكان من قوله: «. . . إن الملك يسألك ويخضع لك. . .»[٣].

ولم يتوقف الأمر عند عبارات الاحترام والتودد لصلاح الدين من قبل بعض قادة الصليبيين، بل إن عدد منهم جاء لخدمته وانضم إليه ضد قومه كصاحب أنطاكية[٤] وصاحب صور[٥] وغيرهم.

وكان للمعاملة الحسنة مع النصارى الصليبيين من قبل بعض القادة المسلمين ولين الجانب ودماثة الأخلاق خاصة من قبل صلاح الدين أثر في هذا الجانب.

فبعد معركة حطين خاصة وانتصار المسلمين فيها وما كان من صلاح الدين من حسن المعاملة والعفو وتأليف القلوب لذلك أقسم البعض من قوادهم ألا

---

(١) انظر: التاريخ الإسلامي وأثره في الفكر الأوربي في عصر النهضة، تأليف: جمال الدين الشيال، دار الثقافة، القاهرة، ص (٦٧).

(٢) النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ص (٢٥٠).

(٣) المصدر السابق، ص (٣٢٨).

(٤) انظر: المصدر السابق، ص (٣٥٥).

(٥) انظر: المصدر السابق، ص (٢٩٨).

يقاتل صلاح الدين[1]، والبعض بلغ به الإعجاب أن سموا أبناءهم باسمه[2].

ولا شك أن هذا الإعجاب من قبل النصارى بأحد القادة المسلمين ما كان موجوداً عند الدعوة للحروب الصليبية وقيامها، الأمر الذي يعني التغير الواضح في نظرة النصارى للمسلمين.

بل إن حسن المعاملة التي لقيها الصليبيون من بعض القادة المسلمين أدت ببعضهم ليس فقط إلى تغيير فكرته عن المسلمين بل إلى اعتناق الإسلام.

حيث ذكر أحد قساوسة النصارى ـ وهو شاهد عيان شارك في بعض أحداث الحروب الصليبية ـ أنه لما تقطعت السبل بإحدى فرق الحملة الصليبية الثانية أثناء اجتيازهم لآسيا الصغرى وهزيمتهم من السلاجقة المسلمين وتشتتهم، لاقوا أشد أنواع الذل والأذى من إخوانهم النصارى الإغريق مما جعل السلاجقة المسلمين يعطفون عليهم، حيث قال هذا القسيس مبيناً حالهم وموضحاً حسن معاملة المسلمين لهم وأثر هذه المعاملة فيهم: «... وكان موقف من نجا من الموت منهم قد بلغ حد اليأس لو أن منظر شقائهم لم يذب قلوب المسلمين ويستدر شفقتهم فواسوا المرضى وأغاثوا الفقير والجائع الذي أشرف على الهلاك، وبذلوا لهم العطاء في كرم وسخاء... فكان البون شاسعاً بين المعاملة الرحيمة التي لقيها الحجاج من الكفار وبين ما عانوه من قسوة إخوانهم المسيحيين من الإغريق الذين فرضوا عليهم سخرة وضربوهم وابتزوا منهم ما ترك لهم من متاع قليل حتى إن كثيراً منهم دخلوا في دين منقذيهم بمحض إرادتهم»[3].

ويقول كاتب أوربي معاصر للأحداث[4] عن ذلك: «لقد جفوا إخوانهم في

---

(١) انظر: قصة الحضارة، ول وإيريل ديورانت، ترجمة محمد بدران، المجلد الرابع، الجزء الأول، ص (٣٨).

(٢) انظر: الأوضاع الحضارية في بلاد الشام، د. محمود محمد الحويري، ص (٢٥٦).

(٣) الدعوة إلى الإسلام، توماس أرنولد، ترجمة د. حسن إبراهيم حسن وآخرين، ص (١٠٨ ـ ١٠٩).

(٤) هو أودو الدويلي أحد الرهبان النصارى وكان يشغل وظيفة قسيس خاص للويس السابع في حملته الصليبية.

الدين الذين كانوا قساة عليهم، ووجدوا الأمان بين الكفار الذين كانوا رحماء عليهم، ولقد بلغنا أن ما يربوا على ثلاثة آلاف قد انضموا بعد أن تقهقروا إلى صفوف الأتراك ـ يعني المسلمين ـ آه إنها لرحمة أقسى من العذر، لقد منحوهم الخبز ولكنهم سلبوهم عقيدتهم ولو أن من المؤكد أنهم لم يكرهوا أحداً من بينهم على نبذ دينه»[١].

حيث يلاحظ من ذلك أن هؤلاء الصليبيين كانوا في الحملة الصليبية الثانية التي اجتازت آسيا الصغرى في حدود عام ٥٤٢هـ[٢]. والتي انطلقت من أوربا بدعاية قوية من رجال الدين النصارى وتحريض منهم على المسلمين انتقاماً من سيطرة المسلمين على الرها وطرد النصارى منها حيث جاؤوا بنفوس مشحونة على المسلمين وبنظرة متعالية عليهم، وبمجرد وصولهم إلى البلاد الإسلامية واحتكاكهم بالمسلمين على الرغم من أن ذلك الاحتكاك كان في حالة حرب فإنهم ليس فقط غيروا هذه الفكرة المغلوطة لديهم عن المسلمين بل واعتنق كثير منهم الإسلام. ولا شك أن هذا ليس من أجل حسن المعاملة فقط رغم أهميته، بل المؤكد أنه ظهرت لهم أشياء عن المسلمين خلاف ما صور لهم قبل قدومهم.

وكان للقاءات بعض قادة المسلمين وقادة الصليبيين في هذه الفترة والمراسلات بينهم أثر في الحد من هذين الحاجزين الفكري والنفسي، بل أدت هذه اللقاءات والمراسلات إلى كسب بعض قادة النصارى مع المسلمين ضد بني ملتهم، وكمثال على ذلك صاحب طرابلس ريموند الثالث الذي أدت لقاءاته المتعددة ومراسلاته مع صلاح الدين إلى أن صار شوكة في حلوق بني ملته، بل إنه كاد أن يسلم[٣]. وكان قد تفاهم مع صلاح الدين أن يعمل بهدوء على نشر

---

(١) الدعوة إلى الإسلام، توماس أرنولد، ترجمة د. حسن إبراهيم حسن وآخرين، ص (١٠٩).

(٢) انظر: الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، محمد العروسي المطوي، ص (٦٩ ـ ٧٠).

(٣) انظر: الروضتين في أخبار الدولتين، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي «أبو شامة» (٢/ ٧٤).

الإسلام بين أتباعه لولا أن المنية عاجلته[١].

وقد حولت هذه اللقاءات والمراسلات بعض قادة النصارى من أعداء للإسلام والمسلمين محاربين للمسلمين ناقمين على كل شيء يمت إلى الإسلام بصلة إلى أشخاص يتشوقون إلى علوم المسلمين حريصين على تعلمها بل واتخاذ المترجمين لذلك.

حيث كان صاحب حصن الشقيف الصليبي يفد إلى صلاح الدين ويقابل بعض العلماء المسلمين حيث قال عنه ابن شداد: «... ويناظرنا في دينه ونناظره في بطلانه، وكان حسن المحاورة ومتأدباً في كلامه»[٢]. ولهذا الاهتمام بعلوم المسلمين اتخذ ترجماناً له يقرأ عليه وكان على اطلاع بالتواريخ والأحاديث[٣].

وكان بعض ملوك صقلية أيضاً مولعين بحضارة المسلمين، فكان وليم الثاني يتشبه بملوك المسلمين ويقرأ بالعربية ويكتب بها وعلامته وختمه الحمد لله حق حمده[٤].

وروجر الثاني الذي كان يستقدم العلماء المسلمين من الشام ومصر للبحث والتعليم لديه. ومن هؤلاء العلماء محمد بن محمد الإدريسي[٥] حيث كلفه أن

---

(١) انظر: الدعوة إلى الإسلام، توماس أرنولد، ترجمة د. حسن إبراهيم حسن وآخرين، ص (١١١).

(٢) النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ص (١٥٥).

(٣) انظر: المصدر السابق، ص (١٥٥).

(٤) انظر: رحلة ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني، ص (٢٩٨).

(٥) هو محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس الإدريسي، مؤرخ جغرافي ولد في سبتة سنة ٤٩٣هـ ورحل رحلة طويلة إلى أن استقر بصقلية، حيث وضع كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، كانت وفاته في سبتة سنة ٥٦٠هـ.
انظر: الوافي بالوفيات، خليل بن أيبك الصفدي، باعتناء هلموت روبرتير، إصدار جمعية المستشرقين الألمان، ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م (١/ ١٦٣).

يصنع له صورة للأرض[١].

وفريدريك الثاني الذي بلغ من ولعه بالعلوم الإسلامية واستقطابه العلماء المسلمين أن وصفه البابا بأنه ـ من أتباع محمد[٢] ـ.

ثم بعد ذلك فإن تقبل بعض عادات المسلمين وطباعهم من قبل عامة النصارى الصليبيين في مصر والشام من أبرز الأدلة على تبدل هذه الروح الحاقدة منهم على المسلمين.

فنتيجة لمخالطة كثير منهم المسلمين أخذوا من عادات المسلمين وتقاليدهم الشيء الكثير كإطلاق اللحى، وبعض أنواع اللباس[٣]، والطهارة، وعدم أكل لحم الخنزير[٤] والحجاب[٥]، بل وحسن التعامل ودماثة الأخلاق.

وقد لاحظ هذا التغير فيهم إسامة بن منقذ وعزاه إلى مخالطتهم المسلمين حيث وضح أن الذين خالطوا المسلمين أحسن طباعاً وأقل حقداً من الذين قدموا حديثاً من بلادهم ولم يخالطوا المسلمين[٦].

وأي شاهد على هذا التغير أكبر من إسلام مجموعات كبيرة منهم.

وحتى نصارى البلاد الإسلامية خصوصاً في مصر والشام فقد فضلوا سيطرة المسلمين على حكم الصليبيين النصارى نتيجة لما لاقوه من اضطهاد من إخوانهم

---

(١) انظر: تاريخ الحضارة الإسلامية في صقلية وأثرها على أوربا، د. حامد زيان غانم، ص (١٠٩).

(٢) انظر: المرجع السابق، ص (١١٠).

(٣) انظر: حضارة الإسلام، جرونياوم، ترجمة عبد العزيز جاويد، القاهرة، ١٩٥٦م، ص (٨٢).

(٤) انظر: الاعتبار، أسامة بن مرشد بن منقذ، حرره فليب حتي، ص (١٣٦)، و(١٤٠).

(٥) انظر: رحلة ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني، ص (٣٠٧).

(٦) انظر: الاعتبار، أسامة بن مرشد بن منقذ، حرره فليب حتي، ص (١٣٤)، وانظر مزيداً من هذه التأثيرات الإسلامية على الفرنج في: الأوضاع الحضارية في بلاد الشام، د. محمود محمد الحويري، ص (٢٤٢) وما بعدها.

خلاف ما عهدوه من تسامح المسلمين إبان سيطرتهم على البلاد؛ لذلك تمنوا زوال الحكم الصليبي وعودة سيطرة المسلمين[١]. حيث وضح ذلك مؤرخ إفرنجي وبين أن هدف الحروب الصليبية هو إنقاذ نصارى الشرق فلما انتهت هذه الحروب أضحى النصارى في الشرق أكثر خضوعاً وولاءً للمسلمين[٢].

وهكذا فإن هذه الحروب ومواقف المسلمين المختلفة فيها على كافة المستويات جعلت الغالبية من نصارى الشرق يقفون هذا الموقف من إخوانهم الصليبيين.

ثم بعد ذلك إذا تمت مقارنة ما سبق بقول البابا أوربان الثاني مثلاً في دعوته للحروب الصليبية عن المسلمين: «... يا له من عار إذ قام جنس خسيس مثل هذا، جنس منحل تستعبده الشياطين بهزيمة شعب يتحلى بإيمان عظيم بالرب...»[٣].

ويقول فوشيه شارتر أحد قساوسة الحملة الصليبية الأولى عن المسلمين أثناء حصار الصليبيين لنيقية: «كان الأتراك وأميرهم سليمان الذي كان يسيطر على مدينة نيقية ورومانيا وحوله الأتراك والفرس الوثنيون»[٤].

ويقوله كذلك أثناء حصار الصليبيين لأنطاكية وما يدل عليه من جهل شديد بتعاليم الإسلام: «... لأنهم - أي المسلمين - لم يكن لديهم أمل في مساعدة أحد سوى نبيّهم محمد...»[٥].

---

(١) انظر: قصة الحضارة، ول وإيريل ديورانت، ترجمة محمد بدران، المجلد الرابع، الجزء الرابع، ص (٢٧).

(٢) انظر: العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، د. حسان حلاق، ص (٢٧٠).

(٣) الوجود الصليبي في الشرق العربي، فوشيه شارتر، ترجمة د. قاسم عبده قاسم، ص (٩٣).

(٤) المصدر السابق، ص (١١٢).

(٥) المصدر السابق، ص (١٢٢).

وبحديثه ـ مفتخراً ـ عن أعمال الصليبيين الوحشية بالمسلمين وما يدل عليه من حقد شديد على المسلمين يمثل الفكر السائد بهذه الجملة: «أما النساء اللاتي وجدن في خيام الأتراك ـ يعني المسلمين ـ فإن الفرنج لم يرتكبوا شراً معهن، وإنما بقروا بطونهن بحرابهم فحسب»[١].

وكذلك إذا تمت المقارنة أيضاً بأفعال الصليبيين وجرائمهم التي ارتكبوها بعد دخولهم القدس والتي تعبر عن حقدهم وعداوتهم الشديدة للمسلمين هذه الجرائم التي اعترف بها مؤرخوهم وكتابهم. وتحدث عنها فوشيه شارتر القسيس بفخر واعتزاز يَنِمُّ عن روح حاقدة على المسلمين وجهل بتعاليم الإسلام ومن ذلك قوله: «... ترى ماذا أقول؟ إننا لم نترك أحداً منهم على قيد الحياة، ولم ينج حتى النساء والأطفال»[٢]. وقال: «... كم يكون المنظر مدهشاً لو أنك رأيت فرساننا ومشاتنا بعد أن اكتشفوا خداع المسلمين فشقوا بطون الذين ذبحوهم لكي يستخرجوا من المعدة والأمعاء العملات الذهبية التي كان المسلمون قد ابتلعوها وهم أحياء...»[٣]، وقوله عن المسلمين في المسجد الأقصى: «... فقد كان المسلمون يمارسون عبادة الأصنام هناك مع الخرافات»[٤].

وهكذا يتضح من خلال هذه المقارنة مدى التغير الكبير في نظرة النصارى خصوصاً الصليبيين للمسلمين وتبدلها من حقد وعداوة شديدة وجهل بتعاليم الإسلام إلى لين وتسامح وتودد من قبل غالبيتهم بل وتأثر بالمسلمين حتى وصل الحال بكثير منهم إلى اعتناق الإسلام.

وما من شك إن للاتصالات المختلفة من المسلمين وجهودهم على كافة المستويات تجاه النصارى الأثر الأكبر في ذلك.

أما بالنسبة لأثر هذه الجهود والاتصالات في إضعاف مطالبة الصليبيين

---

(١) المصدر السابق، ص (١٣٦).

(٢) المصدر السابق، ص (١٥٣).

(٣) المصدر السابق، ص (١٥٤).

(٤) المصدر السابق، ص (١٥٤).

بالقدس بل وتنازلهم عنها ـ وهم ما جاؤوا من بلادهم إلا لتخليص قبر المسيح واستعادة مدينتهم الحبيبة بزعمهم من أيدي الأعداء ـ فقد كان لجهود كثير من القادة خاصة صلاح الدين ومفاوضاته ومباحثاته مع النصارى دور كبير في ذلك، حيث تشدد ـ رحمه الله تعالى ـ في حق المسلمين بالقدس وحرص على استعادتها منهم حتى تمكن من فتحها سنة ٥٨٣هـ.

فمن جهوده المثمرة في ذلك أنه كان لا يعترف بمخاطباته لقادة النصارى بحقهم فيها، ولا يسمي قادتهم ملوكاً عليها رغم تسميتهم أنفسهم بذلك.

ففي رسالة تعزية منه ـ رحمه الله تعالى ـ للملك الفرنجي بلدوين الرابع ملك بيت المقدس خاطبه بحافظ بيت المقدس: «. . . خص الله الملك المعظم حافظ بيت المقدس بالجد الصاعد. . .»(١). حيث لم يعترف له بالملك على القدس وهذه إشارة إلى حق المسلمين فيها وعدم شرعية سيطرته عليها.

وفي مفاوضاته ـ رحمه الله تعالى ـ مع ملك إنجلترا كان مصراً على حق المسلمين في القدس ولم يبد أي تنازل عن ذلك «. . . وهو ـ أي بيت المقدس ـ عندنا أعظم مما هو عندكم، فإنه مسرى نبيّنا، ومجتمع الملائكة، فلا يتصور أن ننزل عنه، ولا نقدر على التلفظ بذلك بين المسلمين»(٢).

بل إنه مُصِرٌّ ـ رحمه الله تعالى ـ في مفاوضاته على عدم شرعية وجود الصليبيين في جميع بلاد الشام ومصر حيث وضح ذلك بجهاده ومفاوضاته مع قادة الفرنج، ومن ذلك قوله لملك إنجلترا: «. . . وأما البلاد فهي أيضاً لنا في الأصل واستيلاؤكم كان طارئاً لضعف من كان فيها من المسلمين في ذلك الوقت. . .»(٣).

وليس جهاد نور الدين محمود قبل ذلك ثم صلاح الدين وغيرهم من قادة

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد بن علي القلقشندي (٧/ ١١٥ ـ ١١٦).

(٢) النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ص (٢٩٠).

(٣) المصدر السابق، ص (٢٩٠).

المسلمين في الشام ومصر إلا تعبير واضح عن تمسكهم بالحق الشرعي للمسلمين في البلاد، وتعبير عملي عن عدم شرعية وجود النصارى فيها.

وهكذا أدى هذا التمسك الشديد من قادة المسلمين بحقهم في البلاد الإسلامية، وعدم اعترافهم بسيطرة النصارى عليها خاصة القدس، وما بذله صلاح الدين ـ رحمه الله تعالى ـ خاصةً في ذلك من خلال جهوده المختلفة كل ذلك أدى إلى إذعان النصارى إلى الأمر الواقع وتنازلهم عن دعواهم الأولى التي أقاموا الحروب الصليبية من أجلها حيث يتضح ذلك من خلال ما صرح به بعض ملوكهم وقادتهم.

فبعد مفاوضات صلاح الدين وجهوده مع ملك إنجلترا وتمسكه ـ رحمه الله تعالى ـ في مباحثاته ورسائله ومحادثاته معه بحق المسلمين في البلاد الإسلامية خاصة القدس؛ أبدى الملك الإنجليزي تنازلاً واضحاً عن دعوى النصارى الأول بالقدس بل صرح بذلك بقوله: «. . . الذي أطلبه منك أن يكون لنا في القدس عشرون نفراً، وأن من سكن من النصارى والفرنج في البلد لا يتعرض إليهم. . .»[1]. ووضح رسوله لصلاح الدين تنازله عن المطالبة بالقدس وذلك بقوله: «قد نزلوا عن حديث القدس ما عدا الزيارة. . .»[2]. وكان هذا الملك في مفاوضاته الأولى مع صلاح الدين يشدد على تمسك النصارى بالقدس فمن ذلك قوله مثلاً: «. . . وليس هناك حديث سوى القدس والصليب والبلاد. . .»[3]. وهكذا لم يكن النصارى قبله يتجرأون على الاعتراف بحق المسلمين في البلاد أو يستطيعون التصريح بتنازلهم عن القدس للمسلمين، حيث اكتفوا فقط بحق الزيارة والحج إليها وأذعنوا لقول صلاح الدين: «. . . إن القدس ليس لكم فيه حديث سوى الزيارة. . .»[4].

---

(١) النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ص (٣٢٧).

(٢) المصدر السابق، ص (٣٢٧).

(٣) المصدر السابق، ص (٢٩٠).

(٤) المصدر السابق، ص (٣٢٧).

وهكذا كان للجهود المباركة من قبل المسلمين واتصالاتهم المختلفة بالنصارى خصوصاً الصليبيين في هذه الفترة الأثر الأكبر في إزالة الحاجزين الفكري والنفسي بين المسلمين والنصارى، فهدأت النظرة العدائية لكثير منهم تجاه المسلمين وحل بدلاً عنها بعض الود والتلطف مع المسلمين بل وأسلم أعداد كبيرة منه، واعترف أكابر قادتهم بحق المسلمين في حكم القدس والسيطرة على البلاد واكتفوا بالحج والزيارة لكنائسهم فقط.

وفيما يتعلق باختلاف اللغة مع النصارى الفرنج خلال هذه الفترة فقد كانت هناك جهود كبيرة أيضاً من قبل المسلمين في محاولة التخفيف من أثر هذا الحاجز وذلك من خلال الاطلاع على لغات الفرنج، أو اتخاذ المترجمين، أو من خلال طريق غير مباشر يتمثل في الضغط العسكري والاقتصادي والاجتماعي على النصارى الأمر الذي دفعهم من ذات أنفسهم إلى تعلم اللغة العربية للتعامل مع المسلمين.

فمن اتجاه بعض المسلمين لتعلم لغات الفرنج سفر رجل يقال له: شيرزاد بن معدود إلى الروم حيث أقام عندهم سنوات لتعلم لغتهم حيث عاد ترجماناً للدولة في سلطة المظفر قطز(١).

وكان الظاهر بيبرس قد اتخذ كاتباً إفرنجياً يجيد العربية ليكتب له رسائله إليهم كما حدث سنة ٦٦٦هـ(٢).

وقد كان وجود المترجم بين الطرفين في الاجتماعات واللقاءات التي تتم بين المسلمين والفرنج أمراً ضرورياً لنجاحها.

فعندما اجتمع الملك العادل وملك إنجلترا كان المترجم بينهما ابن الهنفري(٣). صاحب حصن تبنين الذي كان يجيد العربية.

---

(١) انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن علي بن حجر، (٣/ ١٩٧).

(٢) انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٣/ ٢٦٥).

(٣) انظر: النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ص (٢٧٣).

ولشعور صلاح الدين بهذه المشكلة وضحها للملك الإنجليزي حين طلب الأخير الاجتماع به وبين له ضرورة وجود المترجم الذي يوثق به. حيث قال: «والاجتماع لا يكون إلا لمفاوضة في فهم، وأنا لا أفهم بلسانك، وأنت لا تفهم بلساني، ولا بدّ من ترجمان بيننا تثق به وأثق به»[1].

ولذلك كانت الرسل بين الطرفين في الغالب يتم اختيارهم ممن يجيدون لغة الطرف الآخر، وهذا ما بينه صلاح الدين لملك الإنجليز حيث قال: «ولا بدّ من ترجمان بيننا... فليكن ذلك الترجمان رسولاً»[2].

وهكذا كانت الرسل بين الطرفين في كثير من الأحيان على تلك الصفة، فمن هؤلاء على سبيل المثال: رسول ملك الإنجليز إلى الملك العادل الذي بين ابن شداد أنه يجيد العربية[3]، وكذلك رسول صلاح الدين إلى هذا الملك الإنجليزي وكان يدعى بابن النحال[4]. إلى غير ذلك.

بل إنه للتغلب على هذه العقبة أصبح هناك موظفون في دواوين المسلمين ممن يجيدون لغات الفرنج. وكانت لهم إجراءاتهم وأنظمتهم المتعارف عليها في استقبال رسائل الفرنج وترجمتها ورفعها إلى السلطان.

حيث إنه بعد استلام الرسائل من الفرنج تفحص أختامها ثم تكشف وتسلم للترجمان الذي يكتب الترجمة بورقة مفردة يلصقها بالكتاب الوارد ثم تعرض على السلطان[5].

ويظهر من خلال تتبع كثير من لقاءات المسلمين والفرنج ومحادثاتهم واجتماعاتهم أن للمترجم وجود وحضور بل إنه عضو أساسي في مثل ذلك.

---

(١) المصدر السابق، ص (٣٠١).

(٢) المصدر السابق، ص (٣٠١).

(٣) انظر: المصدر السابق، ص (٢٩٠).

(٤) انظر: المصدر السابق، ص (٢٩٣).

(٥) انظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد بن علي القلقشندي (٨/ ١٢٣).

يقول القلقشندي عن بعض الاجتماعات بين الطرفين مبيناً دور المترجمين فيها: «... الفرنج كانوا مجاورين للمسلمين يومئذٍ ببلاد الشام، فيقع الاتفاق والتراضي بين الجهتين على فصل فيكتبه كاتب من كل جهةٍ من جهتي المسلمين والفرنج بألفاظ مبتذلة غير رائقة طلباً للسرعة، إلى أن ينتهي بهم الحال في الاتفاق والتراضي إلى آخر فصول الهدنة، فيكتبها كاتب الملك على صورة ما جرى في المسودة ليطابق ما كتب به كاتب الفرنج...»[(١)].

ومما يدل على أن الاهتمام بتعلم لغات الفرنج من قبل المسلمين أمرٌ يكاد يكون منتشراً حتى بين طبقة العامة من الناس الذين يخالطون الفرنج قول صاحب اللسان وهو معاصر لهذه الفترة: «... وتنافس الناس في تصانيف الترجمانات في اللغة الأعجمية وتفاصحوا في غير اللغة العربية»[(٢)].

ومن الجهود المبذولة في التغلب على هذه العقبة وهو من أهم الجهود وأكثرها أثراً وإن لم يكن بطريق مباشر هو مجموع الجهود الأخرى المبذولة من قبل المسلمين في شتى المجالات والموجهة إلى الفرنج سواء في الناحية العسكرية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو غيرها[(٣)] مما ولد ضغطاً على الفرنج أجبرهم على تعلم اللغة العربية والاهتمام بها حتى من قبل ملوكهم وقادتهم وعلمائهم.

ومن الأمثلة على أثر ذلك فريدريك الثاني الذي كان يتحدث العربية[(٤)]، وعرف بميله للمسلمين لأن مقامه في صقلية التي كان غالب أهلها في ذلك الوقت من المسلمين[(٥)]، وكان هذا الملك شديد الاهتمام بعلوم المسلمين محباً

---

(١) المصدر السابق (١٤/ ٧٠ ـ ٧١).

(٢) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور (١/ ٤).

(٣) انظر: ما سبق بيانه في هذا المطلب وكذلك الفصل الثالث.

(٤) انظر: تاريخ الحضارة الإسلامية في صقلية، د. حامد زيان غانم، ص (١١٧).

(٥) انظر: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، محمد بن سالم بن واصل، تحقيق د. جمال الدين الشيال (٤/ ٢٣٤).

لعلمائهم. حيث كان كثير الاتصال بهم ومدارسة بعض العلوم معهم، ومن ذلك احتفاؤه بأحد علماء مصر وتدارس بعض العلوم معه[1].

وكذلك ابن الهنفري صاحب حصن تبنين الذي كان يجيد اللغة العربية[2]، وصاحب صيدا[3]، وصاحب طرابلس وغيرهم[4].

كذلك ومن نتائج حضارة المسلمين في الأندلس وتفوق المسلمين في كثير من العلوم أن أغرى ذلك أعداداً كبيرة من علماء الفرنج هناك بتعلم العربية وترجمة كثير من علوم المسلمين[5].

بل إن هذه الجهود المبذولة من المسلمين بشكل عام وفي شتى المجالات والموجهة إلى النصارى لم يقتصر تأثيرها في دفع بعض من القادة والعلماء إلى تعلم اللغة العربية بل إن أعداداً كبيرة من عامة النصارى اتجهت لتعلمها حتى أصبحت هي اللغة الدارجة بينهم في المعاملات المختلفة كما في الأندلس[6].

وفي الشام أيضاً كان كثير من تجار النصارى[7] بل وعامتهم يتحدثون العربية، فحينما دخل أسامة بن منقذ المسجد الأقصى يريد الصلاة فيه وهو تحت

---

(١) انظر: تاريخ الحضارة الإسلامية في صقلية، د. حامد زيان غانم، ص (١٢٠).

(٢) انظر: النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ص (٢٧٣).

(٣) انظر: المصدر السابق، ص (١٥٥).

(٤) انظر: تاريخ الحروب الصليبية، ستيفن رانسيمان، ترجمة د. السيد الباز العريني (٢/ ٦٥٣).

(٥) انظر أمثلة على هؤلاء العلماء في: فضل الإسلام على الحضارة الغربية، مونتجمري وات، ترجمة حسين أحمد أمين، ص (٨٣ ـ ٨٦)، والعلاقات الحضارية بين الشرق والغرب، د. حسان حلاق، ص (١٤٠ ـ ١٤٢).

(٦) انظر: العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، د. حسان حلاق، ص (٩٤ ـ ٩٩).

(٧) انظر: رحلة ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني، ص (٢٧٥).

سيطرة الفرنج واتجه إلى القبلة جاء أحد الفرنج تعصباً وحوله إلى جهة الشرق عدة مرات، فجاء أصدقاء أسامة من الفرنج واعتذروا له وأخبروه أن هذا الفرنجي حديث عهد بالبلاد الإفرنجية[1]. وبطبيعة الحال كانت اللغة التي أُفهم بها أسامة العربية حيث لم يكن يتحدث غيرها.

وهكذا كان لجهود المسلمين المختلفة على كافة المستويات أثر واضح في التخفيف من مشكلة اختلاف اللغة بين الفريقين، ولم تقف هذه العقبة حائلاً دون وصول تأثيرات المسلمين المختلفة إلى الفرنج.

---

(١) انظر: الاعتبار، أسامة بن منقذ حرره فليب حتي، ص (١٣٤ ـ ١٣٥).

الفصل الخامس

آثار دعوة المسلمين للنصارى
في عصر الحروب الصليبية
وأوجه الاستفادة منها في الوقت الحاضر

تمهيـــد

لا شك أن إخلاص العبادة لله وحده جلّ وعلا واهتداء الناس إلى الدين الحق الذي ارتضاه سبحانه وتعالى لخلقه هو الغاية العظمى والهدف الأسمى الذي بُعث من أجله محمدﷺ. فقام عليه الصلاة والسلام على تحقيق هذه الغاية وعمل من أجلها، وتابعه خلفاؤه وأصحابه في ذلك رضوان الله عليهم.

وكان تحقيق هذه الغاية السامية هي مهمة هذه الأمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. قال سبحانه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾(1). لذلك تضافرت الجهود المختلفة عبر تاريخ الأمة لإعلاء كلمة الله، والدعوة إلى سبيله، ونصرة دينه والتمكين له.

وعصر الحروب الصليبية بصفته حلقة مهمة من حلقات تاريخ الأمة برزت فيه الجهود الجليلة لتحقيق هذه الغاية والتي كان منها كما سبق بيانه في الفصول السابقة الجهود الدعوية الموجهة إلى النصارى. حيث تمّ إلقاء الضوء على جوانب منها تتعلق بموضوعاتها، والقائمين بها مع استعراض لأبرز وسائلها وأساليبها، وبيان لأهم عقباتها وسبل مواجهة هذه العقبات.

ولكي تكتمل جوانب الدراسة حول هذه الجهود لا بدّ من استعراض شيء من آثارها وأوجه الاستفادة منها في الوقت الحاضر.

والمبحثان التاليان عرض لهذه الآثار في البلاد الإسلامية وأوربا منشأ العدوان النصراني على المسلمين، ثم إبراز لأهم أوجه الاستفادة من هذه الجهود في الوقت الحاضر.

---

(1) سورة آل عمران، الآية: (١٠٤).

المبحـــث الأول

آثار دعوة المسلمين للنصارى
في عصر الحروب الصليبية

المطلب الأول

آثار دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية في البلاد الإسلامية

لا شك أن الجهود الدعوية المباركة الموجهة من المسلمين إلى النصارى في هذه الفترة كانت لها آثارها الجليلة في البلاد الإسلامية، والتي عادت بشكل عام على المسلمين بالعز والظهور حيث سبقت الإشارة إلى بعض هذه الآثار في الفصول السابقة. وفيما يلي تفصيل لأبرزها.

أ ـ دخول أعداد كبيرة من النصارى في الإسلام:

من أعظم آثار الجهود الدعوية التي بذلها المسلمون تجاه النصارى في تلك الفترة دخول أعداد كبيرة منهم في الإسلام.

وعلى الرغم من أنه ليس هناك إحصائيات لهذه الأعداد، مع عدم توسع المصادر التاريخية المعاصرة لهذه الفترة في التفصيل في ذلك؛ إلا أنه من خلال تتبع هذه المصادر يمكن جمع إشارات عامة توضح حجم الأعداد الكبيرة من النصارى التي اعتنقت الإسلام في فترة الحروب الصليبية من مختلف طبقات المجتمع.

فمن ذلك مثلاً على مستوى القادة والعلماء النصارى إسلام أحد ملوكهم في

شرق الدولة الإسلامية على يد الشيخ مختار بن محمود الزاهدي[١]، وإسلام كاتب الديوان في بغداد واسمه جبرائيل بن منصور ت ٦٢٦هـ[٢]، ويحيى بن عيسى بن جزلة الطبيب البغدادي المتوفّى سنة ٤٩٣هـ[٣]، وكاتب الإنشاء للملك العادل ويقال له: ابن النحال حيث أسلم على يديه في حلب[٤]، وشيخ نصراني ذو أتباع أسلم على يد أبي شامة المقدسي سنة ٦٦١هـ[٥].

ومن مقدمي الصليبيين الذين اعتنقوا الإسلام عدد من فرسانهم انضموا إلى جيش صلاح الدين معلنين اعتناقهم الدين الإسلامي[٦]، وفارس صليبي يدعى روبرت أوف سانت ألبانس أحد مقدمي فرسان المعبد أسلم سنة ١١٥٨م - ٥٨٠هـ، وتزوج بإحدى حفيدات صلاح الدين[٧]، بل إن ابني أخت الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد هربا من معسكر الفرنج والتحقا بجيش صلاح الدين معلنين اعتناقهم الإسلام وذلك سنة ٥٨٧هـ حيث أكرمهما - رحمه الله تعالى -[٨]، وفارس صليبي مشهور يدعى رانيود أسلم وانضم بفرقته العسكرية إلى المسلمين[٩].

وكان سفير سلطان مصر إلى الملك الصليبي لويس إفرنجياً اعتنق الإسلام

(١) انظر: الرسالة الناصرية، مختار بن محمود الزاهدي، تحقيق محمد المصري، ص (٥٦).

(٢) انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٣/ ١٣٥).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٩/ ١٨٨).

(٤) انظر: الروضتين في أخبار الدولتين، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (٢/ ٥٢).

(٥) انظر: المصدر السابق، ص (٢٢١).

(٦) انظر: الدعوة إلى الإسلام، توماس أرنولد، ترجمة د. حسن إبراهيم حسن وآخرين، ص (١١١).

(٧) المصدر السابق، ص (١١١).

(٨) انظر: النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ص (٢٤٨).

(٩) انظر: الدعوة إلى الإسلام، توماس أرنولد، ترجمة د. حسن إبراهيم حسن وآخرين، ص (١٠٨).

وصار ذا مكانةٍ عند السلطان[1].

أما اعتناق رجال الدين النصارى للإسلام فإن هناك إشارات تدل على كثرتهم في هذه الفترة.

فمن ذلك مثلاً: إسلام الراهب عبدالله الأرمني على يد الشيخ عبدالله اليونيني المتوفّى سنة ٦١٧هـ، وكان زاهداً ورعاً فيه تصوف[2]، حيث أسلم أيضاً على يد عبدالله الأرمني راهب آخر كان معتزلاً في صومعةٍ له[3]، وإسلام أحد علماء النصارى على يد الشيخ مختار بن محمود الزاهدي في خوارزم[4]، وإسلام عبد الواحد الصوفي ت ٦٣٩هـ والذي كان قساً في كنيسة مريم بدمشق نحواً من سبعين سنة[5]. وكذلك إسلام دانيال أسقف خابور في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي[6].

وقد أشار توماس أرنولد نقلاً عن بعض المصادر اللاتينية إلى خلو كثير من الأسقفيات القبطية في بداية القرن الثالث عشر الميلادي في مصر من الأساقفة. فمثلاً: «في دير القديس مكاريوس وحده لم يبق غير أربعة من القسس بعد أن كان عددهم تجاوز الثمانين في عهد البطريق السابق...»[7].

بل إن بعض رجال الدين الصليبيين اعتنق الإسلام، ومن ذلك مثلاً إسلام

---

(١) مذكرات جوانفيل، جان جوانفيل، ترجمة د. حسن حبشي، دار المعارف، مصر ١٩٦٨م، ص (١٦٨).

(٢) انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٣/ ١٠٠ ـ ١٠١).

(٣) انظر: المصدر السابق (١٣/ ١٥٢ ـ ١٥٣).

(٤) انظر: الرسالة الناصرية، مختار بن محمود الزاهدي، تحقيق محمد المصري، ص (٤٧).

(٥) انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٣/ ١٦٩).

(٦) انظر: الدعوة إلى الإسلام، توماس أرنولد، ترجمة د. حسن إبراهيم حسن وآخرين، ص (١٠٧).

(٧) المرجع السابق، ص (٦٢٩).

أحد المبشرين الفرنسيسكان الذي أرسل إلى إفريقية لهذه المهمة فعاد مسلماً[١].

وقد ذكر توماس آرنولد نقلاً عن بعض المصادر الغربية كثرة اعتناق القساوسة الصليبيين الإسلام في هذه الفترة[٢].

أما اعتناق الإسلام من قبل عامة النصارى فإنه لا إشكال أن العراق وبلاد الشام ومصر وشمال إفريقيا والأندلس وغيرها من البلاد كانت الديانة الغالبة فيها قبل ظهور الإسلام هي النصرانية، ومع انتشار الإسلام دخل الناس فيه من أهل هذه البلاد أفواجاً حتى أصبح الإسلام دين الغالبية، وأصحاب الديانات الأخرى أقلية بالنسبة إليه.

وفي عصر الحروب الصليبية كانت هناك تحولات كبيرة من هذه الأقلية النسبية خاصةً من النصارى إلى الإسلام. حيث يدل على ذلك الإشارات المتناثرة في المصادر والمراجع المختلفة.

فمن ذلك مثلاً قول سبط ابن الجوزي: «... سمعت جدي على المنبر يقول: بأصبعي هاتين كتب ألفي مجلدة، وتاب على يدي مائة ألف، وأسلم على يدي عشرون ألفاً...»[٣]، وأسلم على يدي نحو مائتين من أهل الكتاب[٤].

وفي عهد صلاح الدين الأيوبي ـ رحمه الله تعالى ـ ولحسن معاملته لأقباط مصر تحول أعداد كبيرة منهم إلى الإسلام كما ذلك ذكر أحد مؤرخيهم[٥].

---

(١) انظر: الأوضاع الحضارية في بلاد الشام «عصر الحروب الصليبية»، د. محمود محمد الحويري، ص (٢٣٣).

(٢) انظر: الدعوة إلى الإسلام، توماس أرنولد، ترجمة د. حسن إبراهيم حسن وآخرين، ص (١١٢).

(٣) سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (٢١/ ٣٧٠).

(٤) لفتة الكبد إلى نصيحة الولد، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق مروان العبد، ص (٣٢).

(٥) انظر: الدعوة إلى الإسلام، توماس أرنولد، ترجمة د. حسن إبراهيم حسن وآخرين، ص (١٣٠).

وقد قال توماس آرنولد عن كثرة اعتناق القبط للدين الإسلامي: «... ولكثرة عدد القبط الذين كانوا يعتنقون الإسلام من حين إلى حين أخذ أتباع النبيّ يعتبرونهم أشد ميلاً لقبول الدين الإسلامي من أية طائفة أخرى...»[(١)]، وبين أنه حتى القرن التاسع عشر الميلادي لم تخل سنة من السنوات لم يتحول فيها القبط إلى الإسلام[(٢)].

أما إسلام العامة من النصارى الصليبيين فكان كثير جداً في هذه الفترة. ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره توماس آرنولد نقلاً عن بعض المصادر الغربية أنه في الحملة الصليبية الأولى انفصلت جماعة كبيرة من الألمان وغيرهم من الطائفة الرئيسة لتنضم إلى الجيش السلجوقي المسلم معتنقة الإسلام[(٣)].

وفي الحملة الصليبية الثانية انضمت فرقة كبيرة من الجيش الصليبي قوامها أربعة آلاف مقاتل تقريباً إلى جيش المسلمين وذلك بعد فشل هذه الحملة، ولحسن المعاملة التي قوبلت بها هذه الفرقة اعتنق عدد كبير من أفرادها الإسلام بمحض إرادتهم وذلك سنة ٥٤٢هـ ـ ١١٤٨م[(٤)].

وكذلك كانت أخلاق صلاح الدين ـ رحمه الله تعالى ـ وحسن معاملته للنصارى الصليبيين دافعاً لأعداد كبيرة منهم إلى اعتناق الإسلام كما حدث بعد معركة حطين[(٥)] بشكل خاص. وقد قال أحد الكتاب الغربيين عن ذلك: «... حتى أن نفراً من الفرسان المسيحيين بلغ من قوة انجذابهم إليه أن هجروا ديانتهم المسيحية»[(٦)].

---

(١) المرجع السابق، ص (١٢٦ ـ ١٢٧).
(٢) انظر: المرجع السابق، ص (١٢٧).
(٣) انظر: المرجع السابق، ص (١٠٨).
(٤) انظر: المرجع السابق، ص (١٠٩).
(٥) انظر: شفاء القلوب في أخبار بني أيوب، أحمد بن إبراهيم الحنبلي، ص (١٢١).
(٦) الدعوة إلى الإسلام، توماس أرنولد، ترجمة د. حسن إبراهيم حسن وآخرين، ص (١١١).

ونقل توماس آرنولد عن بعض المصادر الغربية أنه في الحملة الصليبية الثالثة انضمت أعداد كبيرة من الجيش الصليبي إلى المسلمين حيث اعتنق البعض منهم الإسلام. وقد ساق توماس شهادة مؤرخ غربي على ذلك رافق هذه الحملة، حيث قال هذا المؤرخ: «... وفريق من رجالنا... تراهم يهجرون بني جلدتهم ويفرون إلى الأتراك فلم يترددوا أن يصبحوا في زمرة المرتدين، ولكي يطيلوا أعمارهم الموقوتة زمناً قصيراً اشتروا موتاً أبدياً بهذا الكفر المفزع...»(١).

وقد أشار كذلك توماس نفسه إلى كثرة تحول الصليبيين إلى الإسلام في فترة الحروب الصليبية حيث قال: «ولكن بانتهاء القرن الحادي عشر الميلادي انضم إلى أهالي الشام وفلسطين من المسيحيين عنصر جديد يتألف من هذه الجموع الهائلة من الصليبيين الذين كانوا يدينون بشعائر الأمم اللاتينية... وظلت تعيش مهددة قرابة قرنين من الزمن، وفي غضون هذه الفترة كانت تحدث من حين لآخر تحولات إلى الإسلام من بين هؤلاء المهاجرين الغرباء...»(٢).

وقال أيضاً: «... وكان عدد المرتدين عن المسيحية في القرن الثالث عشر الميلادي كثيراً كثرة نلاحظها في سجلات الصليبيين القانونية التي يطلق عليها مجالس قضاء بيت المقدس...»(٣).

ومما يدل على كثرة اعتناق النصارى من الصليبيين الإسلام في هذه الفترة فزع أحد قساوستهم في الشام من ذلك وإرساله رسائل إلى البابا ورجال الدين في أوربا يطلب فيها ألا يرسلوا الضعفاء والفقراء لأنهم أكثر عرضة لأن يفتنهم المسلمون فيعتنقوا الإسلام(٤).

وفي الأندلس لم يكن المسلمون فيها بطبيعة الحال من المهاجرين إليها من المغرب وشمال إفريقيا بل إنه منذ الفتح الإسلامي لها وكثير من سكانها النصارى

---

(١) المرجع السابق، ص (١١٢).

(٢) المرجع السابق، ص (١٠٨).

(٣) المرجع السابق، ص (١١٠).

(٤) انظر: المرجع السابق، ص (١١٢).

يعتنقون الإسلام حتى امتزجوا بالفاتحين والمهاجرين.

وفي عصر الحروب الصليبية كانت أيضاً هناك أعداد كبيرة من نصارى الأندلس تدخل في الإسلام وإن لم تكن هناك إحصائيات لذلك فإن بعض الإشارات تدل عليه، ومنها على سبيل المثال تحول أعداد كبيرة من المعاهدين في عهد الأمير المرابطي علي بن يوسف(١). وكذلك إسلام جماعات نصرانية كبيرة في عهد الموحدين(٢).

ولا شك أن ما ذكرته المصادر التاريخية حول اعتناق النصارى في فترة الحروب الصليبية الدين الإسلامي لا يمثل إلا قدراً يسيراً من العدد الحقيقي؛ وذلك لعدم اهتمام المصادر المعاصرة للفترة بهذا الجانب، ولتركيز أغلبها على الصراع العسكري بين الفريقين، أو التفصيل في سير القادة والعلماء وما شابه ذلك.

ب ـ تأثر كثير من النصارى ببعض عادات المسلمين وتقاليدهم وأخلاقهم وآدابهم:

ومن آثار الجهود الدعوية الموجهة من المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية أن انتقلت بعض عادات المسلمين وتقاليدهم إلى كثير من النصارى في البلاد الإسلامية، وصار كثير منهم يتشبه بالمسلمين ويتخلق بأخلاقهم.

فمن ذلك مثلاً ما يتعلق باللباس والذي كان في غالب الأحيان لدى نصارى البلاد الإسلامية لا يختلف عن لباس المسلمين. حيث يدل على ذلك بعض القرارات أو الفتاوى التي تظهر أحياناً لإلزام النصارى بالتميز عن المسلمين في ملابسهم.

---

(١) انظر: المعيار المعرب، أحمد بن يحيى الونشريسي، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، (٨/ ٢٠).

(٢) انظر: تاريخ النصارى في الأندلس، د. عبادة عبد الرحمن كحيلة، ص (٢٤٧).

فمن ذلك مثلاً: مطالبة ابن العربي إلزام المعاهدين بالأندلس بغيار يكون عليهم تمييزاً لهم عن المسلمين(١). وكذلك أحد كتّاب الأندلس في هذه الفترة(٢) قد نقل في معرض بيانه لوجوب تميز المسلم عن غيره في حديثه ومخاطباته بعض الفتاوى في ضرورة إلزام المعاهدين بالأندلس ألا يتشبهوا بالمسلمين في اللباس ووجوب تميزهم في ذلك(٣).

وكان أحد الأساقفة الصليبيين والذي بُعث إلى عكا قد أرسل رسالة إلى البابا في روما اشتكى فيها تشبه النصارى الصليبيين بالمسلمين في زيهم وطريقة حياتهم(٤).

وحتى بعض النصارى من الصليبيين كانوا يتشبهون بالمسلمين بالزي واللباس.

فمن ذلك مثلاً تقليد النساء الصليبيات لنساء المسلمين بالحجاب واللباس المحتشم. حيث قال أحد الكتاب الأوربيين في ذلك: «... وكانت النساء الصليبيات يقلدن المسلمات في لبس الحجاب الذي يضفي على المرأة الحشمة والوقار»(٥).

وليس هذا التشبه مقصوراً على النساء فحسب بل وحتى الرجال أيضاً.

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، محمد بن عبدالله بن العربي، تحقيق عبد الكريم العلوي المدغري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، (٢/ ٣٢١).

(٢) وهو محمد بن عبد الغفور الكلاعي.

(٣) انظر: إحكام صنعة الكلام في فنون النثر ومذاهبه في المشرق والأندلس، محمد بن عبد الغفور الكلاعي، تحقيق محمد رضوان الداية، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، ص (٩٣).

(٤) انظر: الأوضاع الحضارية في بلاد الشام «عصر الحروب الصليبية» د. محمود محمد الحويري، ص (٩٧ ـ ٩٨).

(٥) تاريخ الحروب الصليبية، ستيفن رانسيمان، ترجمة د. السيد الباز العريني (٢/ ٥٠٩).

فهذا أحد قادة الصليبيين في الشام واسمه الكندهري يلبس القباء والشربوش مع مخالفته في ذلك لعادة قومه وعلمه بانتقادهم إياه. ففي رسالة من هذا القائد لصلاح الدين قال: «. . . أنت تعلم أن لبس القباء والشربوش عندنا عيب، وأنا ألبسهما منك محبةً لك. . .»[1].

وقد بين ذلك أحد الكتاب الغربيين بقوله: «. . . ذلك أن الأوربيين الذين استوطنوا هذين البلدين ـ يعني سوريا وفلسطين ـ منذ عام **٤٩٢هـ، ١٠٩٩م** قد تزيوا شيئاً فشيئاً بالزي الشرقي، فلبسوا العمامة والقفطان. . .»[2].

ومن عادات المسلمين التي اكتسبها النصارى الصليبيون في هذه الفترة النظافة، وكانت ليست بذات أهمية لديهم.

وقد نقل أحد الباحثين رأياً في ذلك لمؤرخ أوربي معاصر لفترة الحروب الصليبية وهو قوله: «ولكنهم ـ أي الصليبيين ـ يعيشون كالحيوانات، لا يغسلون أبدانهم ولا ثيابهم التي لا ينزعونها إلا إذا تمزقت. . .»[3].

وبعد مخالطة الصليبيين للمسلمين اكتسبوا هذه العادة الحميدة فتردد الكثيرون منهم على الحمامات العامة المنتشرة في الشام ومصر حتى الرهبان والراهبات الذين يعتكفون في كنائسهم وأديرتهم، مما جعل أحد مقدميهم واسمه جاك دوفتري يحتج على الراهبات لخروجهن من الأديرة مخالفات بذلك تعاليم شريعتهم ليذهبن إلى الحمامات العامة[4].

---

(١) الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (١٠/ ١٠٦).

(٢) قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة محمد بدران، المجلد الرابع، الجزء الرابع، ص (٣٤).

(٣) الخيبة الأدبية للسياسة الغربية في الشرق، أحمد رضا بك، ترجمة محمد بو رقيبة وزميله، دار أبو سلامة للطباعة والنشر، تونس، الطبعة الثانية، ص (٢١٧).

(٤) انظر: العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والإفرنج خلال الحروب الصليبية، د. زكي نقاش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٥٨م، ص (١٥٠).

وقد ساق أسامة بن منقذ نماذج تدل على استغرابهم اهتمام المسلمين بالنظافة ومحاولتهم التشبه في ذلك وترددهم على الحمامات العامة للمسلمين رجالاً ونساءً لهذا الغرض[1].

ومن العادات الإسلامية التي اكتسبها الصليبيون النصارى الغيرة على النساء، وكانت هذه الغيرة مفقودة جداً لديهم حيث قال أسامة بن منقذ في سياق عرضه لمشاهداته وقائع في حياتهم وعرضه لنماذج منها تدل على ذلك بقوله: «. . . ليس عندهم شيء من النخوة والغيرة، يكون الرجل منهم يمشي هو وامرأته يلقاه رجل آخر يأخذ المرأة ويعتزل بها ويتحدثا معاً والزوج واقف ناحية ينتظر فراغها من الحديث، فإذا طولت عليه خلاها مع المتحدث ومضى»[2].

وقد أشار أحد الباحثين إلى تغير هذه العادة القبيحة نسبياً في الجيل الثاني من الصليبيين بعد إقامتهم في البلاد الإسلامية[3].

ومن الصليبيين من تشبه بالمسلمين حتى في الطعام فترك أكل الخنزير مثلاً[4].

ومن أهم ما اكتسبه بعض الصليبيين النصارى من المسلمين لين الطباع وحسن التعامل وهذا ما لاحظه أسامة بن منقذ من خلال تعامله معهم وسبره لهذا الجانب فيهم بين من قدموا حديثاً من بلادهم وبين من عاشروا المسلمين وتعاملوا معهم واكتسبوا شيئاً من أخلاقهم. حيث قال أسامة عن ذلك: «فكل من هو قريب العهد بالبلاد الإفرنجية أجفى أخلاقاً من الذين تبلدوا وعاشروا المسلمين. . .»[5].

---

(١) انظر: الاعتبار، أسامة بن منقذ حرره فليب حتي، ص (١٣٦ ـ ١٣٧).

(٢) المصدر السابق، ص (١٣٥).

(٣) انظر: العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، د. حسان حلاق، ص (١٩٢).

(٤) انظر: الاعتبار، أسامة بن منقذ، حرره فليب حتي، ص (١٤٠).

(٥) انظر: المصدر السابق، ص (١٣٤).

ومن المعروف في النصرانية تحريم التعدد بزعمهم ومع ذلك فبعضهم قلد المسلمين وتزوج أكثر من واحدة خاصة بعض زعماؤهم وقوادهم[1].

ومن مظاهر تأثر كثير من النصارى بالمسلمين في هذه الفترة اتجاه كثير منهم إلى تعلم اللغة العربية.

فالصليبيون في الشام اهتموا بذلك فكان بعض قادتهم يتحدث العربية كريموند صاحب طرابلس[2]، وبعضهم وضع له قارئاً بها كصاحب صيدا[3]. وحرص بعض قادتهم كذلك بأن يتعلم موظفوه ومن تحت يده في بعض الأعمال اللغة العربية كما في موظفي الجمارك في عكا والذين قابلهم ابن جبير في زيارته للشام في هذه الفترة[4]، وأسامة بن منقذ كان يربطه مع بعض فرسان الفرنج نوع من الصداقات، وكان يتعامل معهم وهو لا يجيد لغاتهم مما يدل على أن منهم أعداد تتحدث باللغة العربية[5].

وفي الأندلس كان تأثر النصارى باللغة العربية ـ لغة المسلمين ـ أكثر وضوحاً؛ إذ صارت هي لغة الحياة العامة في المجتمع الأندلسي[6].

وهكذا فكما أن الشخص لا يتأثر بشيء ويقلده إلا من باب الإعجاب به

---

(١) انظر أمثلة على ذلك في: تاريخ الحروب الصليبية، وليم الصوري، ترجمة د. حسن حبش، (٢/ ٢٩٤)، و(٢/ ٣٢٦). والبداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين (١٢/ ٣٦٢)، والشرق والغرب في الحروب الصليبية، كلود كاهن، ترجمة أحمد الشيخ، ص (١٢٨).

(٢) انظر: تاريخ الحروب الصليبية، سيتفن رانسيمان، ترجمة د. السيد الباز العريني (٢/ ٦٥٣).

(٣) انظر: النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ص (١٥٥).

(٤) انظر: رحلة ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني، ص (٢٧٥ ـ ٢٧٦).

(٥) انظر مثلاً: الاعتبار، أسامة بن منقذ، حرره فليب حتي، ص (٨٧).

(٦) انظر: المسلمون في تاريخ الحضارة، ستانو ودكب، ترجمة د. محمد فتحي عثمان، الدار السعودية، جدة، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥ ، ص (٧٩).

والاقتناع بقيمته فإن بعض النصارى بتشبههم بالمسلمين في بعض الصفات وتأثرهم بها دليل على الإعجاب بها ونوعاً من الرضا عنها واعترافاً ضمنياً بقيمة الدين الذي جاء بها وحث عليها.

جـ ـ تغير نظرة كثير من النصارى للإسلام والمسلمين:

وللجهود الدعوية التي بذلت تجاه النصارى في هذه الفترة أثر مهم أيضاً تمثل في تغيير كثير منهم نظرته الحاقدة العدائية إلى الإسلام والمسلمين بنظرة أكثر إنصافاً بل وإعجاب في بعض الأحيان بالدين الإسلامي، وتفضيل للحياة في ظل حكم المسلمين من قبل كثير منهم.

فالجهود الدعوية المختلفة في فترة الحروب الصليبية جعلت كثيراً من النصارى المحليين الذين في أنفسهم شيء من سيطرة المسلمين على البلاد وبقائهم تحت الحكم الإسلامي قبل قدوم الصليبيين وكانوا قد استبشروا بوصول إخوانهم في الديانة إليهم جعلتهم يغيرون نظرتهم إلى المسلمين ويدركون مدى عدل الإسلام وإنصاف الحكم الإسلامي الذي كانوا يعيشون تحت ظله. فهذه الجهود الدعوية المختلفة، مع ما لمسوه من ظلم إخوانهم في الديانة وتسلطهم عليهم أبرز لهم بعض ما يتميز به الحكم الإسلامي وتشريعات الإسلام من عدل ورحمة وتسامح.

وقد نقل توماس آرنولد عن بعض الكتّاب الغربيين ما يؤيد ذلك، كقول أحدهم: «... ومن المؤكد أن المسيحيين من أهالي هذه البلاد قد آثروا حكم المسلمين على حكم الصليبيين»(١).

وقول أحدهم: «... ويظهر أن أهالي فلسطين من المسيحيين لما وقع بيت المقدس في أيدي المسلمين نهائياً سنة ٦٤١هـ ـ ١٢٤٤م رحبوا بالسادة الجدد واطمأنوا إليهم ورضوا بحكمهم»(٢).

---

(١) الدعوة إلى الإسلام، توماس أرنولد، ترجمة د. حسن إبراهيم حسن وآخرين، ص (١١٦).

(٢) المرجع السابق، ص (١١٦).

كذلك الحال بالنسبة لكثير من نصارى آسيا الصغرى في هذه الفترة الذين فضلوا حكم السلاجقة المسلمين على سيطرة إخوانهم النصارى من البيزنطيين(١).

أما بالنسبة للنصارى الصليبيين فقد كانت نظرتهم الأولى قبل اختلاطهم بالمسلمين نظرة عدائية حاقدة على الإسلام والمسلمين وذلك بسبب ما كان لديهم من أفكار مغلوطة في هذا الشأن. فكانوا يعدون المسلمين كفاراً، ودياناتهم ديانة وثنية، ونبيّهم كاذب فيما يدعيه من النبوّة، حيث ظهر ذلك من خلال تصريح قساوستهم وقوادهم ومؤرخيهم قبيل بداية الحروب الصليبية وفي حملاتها الأولى.

ففي خطبة البابا أوربان الثاني في الدعوة لهذه الحروب، وفي كتابات مؤرخيهم المشاركين في حملاتها الأولى كفوشيه شارتر ووليم الصوري وغيرهم تظهر هذه النظرة بشكل واضح(٢).

وانطلاقاً من هذه النظرة المتطرفة قدم الصليبيون النصارى إلى البلاد الإسلامية بعداء شديد للمسلمين وهاجسهم تخليص أماكنهم المقدسة من رجس الكفار المارقين.

هكذا فالمسلمون في تصورهم وثنيون، كفار، يعبدون الشيطان، فهم أمة منحطة لا ترقى إلى الحضارة النصرانية التي تؤمن بالرب ـ في زعمهم ـ.

وقد تغيرت هذه النظرة لدى الكثيرين منهم لما خالطوا المسلمين نتيجة للجهود الدعوية المختلفة الموجهة إليهم في هذه الفترة.

ومما يدل على ذلك مثلاً أن أحد رسلهم ويدعى بركارد حينما قابل صلاح الدين ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ٥٨٠هـ ـ ١١٧٥م عاد إلى قومه وأخبرهم بما لاحظه من أن المسلمين يؤمنون بإله واحد خالق كل شيء، وأن محمداً ﷺ نبيّ مرسل من الله جلّ وعلا(٣).

---

(١) المرجع السابق، ص (١١٦).

(٢) انظر تفصيل ذلك في: الفصل الأول، المبحث الثالث.

(٣) انظر: التاريخ الإسلامي وأثره في الفكر الأوربي في عصر النهضة، د. جمال الدين الشيال، ص (٦٧).

ومن مظاهر تغير هذه النظرة الحاقدة لدى النصارى تجاه المسلمين وجود نوع من الصداقات بين مسلمين ونصارى، ومن ذلك مثلاً ما كان لأسامة بن منقذ من أفراد منهم يعدهم أصدقاء له وكانوا يمكنونه من الصلاة في المسجد الأقصى حينما كان تحت سيطرة النصارى[1].

وابن جبير الذي زار المنطقة في هذه الفترة رأى عرساً إفرنجياً حضره جمع من المسلمين، وكان من مشاهداته أن بعض النصارى إذا رأى أحداً من المسلمين انقطع للعبادة أتوه بالماء والزاد[2].

بل إنه في بعض جبهات القتال لطول المخالطة والمواجهة بين الفريقين أنس البعض بالبعض بل وتجري في بعض الأحيان ألعاب ومسابقات على سبيل الترفيه بين الطرفين[3].

وكان التجار المسلمون والنصارى على حال من الاختلاط والمعاملة التي أزالت كثيراً من الحدة والحقد والعداء الشديد الذي كان يحمله غالب الصليبيين في بداية قدومهم. وقد قال ابن جبير عن ذلك: «... واختلاط القوافل من مصر إلى دمشق على بلاد الإفرنج غير منقطع، واختلاف المسلمين إلى عكا كذلك، ... والاتفاق بينهم والاعتدال في جميع الأحوال، وأهل الحرب مشتغلون في حربهم... ولا تعترض الرعايا ولا التجار فالأمن لا يفارقهم في جميع الأحوال سلماً وحرباً...»[4].

قال أحد الكتّاب الغربيين مبيناً تبدل النظرة لدى متأخري الصليبيين عن سابقيهم: «... ولقد تحدث بعض المؤرخين أمثال وليم كبير أساقفة صور عن الحضارة الإسلامية حديثاً ملؤه الإجلال بل الإعجاب في بعض الأحيان لو سمعه

---

(١) انظر: الاعتبار، أسامة بن مرشد بن منقذ، حرره فليب حتي، ص (١٣٤ ـ ١٣٥).

(٢) انظر: رحلة ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني، ص (٢٥٩ ـ ٢٦٠).

(٣) انظر: النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ص (١٦٩ ـ ١٧٠).

(٤) رحلة ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني، ص (٢٥٩ ـ ٢٦٠).

المحاربون في الحملة الصليبية الأولى لهزمهم وصدم مشاعرهم وكبرياءهم»[1].

ومما يؤكد ذلك ما ذكره غوستاف لوبون[2] من قول جيمس فيتري أسقف عكا الذي عاش في الفترة الصليبية: «... خرج من الصليبيين الأولين الأتقياء المتدينين جيل من الفجرة الأشرار الفاسدين المنحلين الفاسقين...»[3].

وبطبيعة الحال هذه الأوصاف المتطرفة من قبل الأسقف المتعصب لإخوانه النصارى جاءت لنقمته عليهم نتيجة لاتصالهم بالمسلمين وتغير نظرتهم إليهم بل والتأثر بهم في بعض الأحيان.

ولذلك كان الحجاج الصليبيون الجدد يتجنبون التعامل مع كثير من المتبلدين لأنهم في رأيهم أنصاف مسلمين[4].

ولا أدل على تبدل هذه النظرة من سماح الصليبيين للمسلمين الخاضعين لحكمهم من ممارسة شعائرهم الدينية كما في عكا[5]، وطرابلس، وأنطاكية[6]، وجبلة[7] وغيرها.

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة محمد بدران، المجلد الرابع، الجزء الرابع، ص (٦٥).

(٢) مستشرق وفيلسوف مادي لا يؤمن بالأديان مطلقاً، وقد جاءت بحوثه وكتبه متسمة بإنصاف الحضارة الإسلامية مما دفع الغربيين إلى إهماله وعدم تقديره، وكان من أشهر كتبه: حضارة العرب الذي قام بترجمته عادل زعيتر.

انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (٢/ ٦٩٩).

(٣) حضارة العرب، غوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٤٥م، ص (٣٢٨).

(٤) انظر: صلاح الدين الأيوبي، قصة الصراع بين الشرق والغرب خلال القرنين الثاني والثالث عشر للميلاد، قدري قلعجي، دار الكتاب العربي، ١٩٦٦م، ص (٨١).

(٥) انظر: رحلة ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني، ص (٢٧٥).

(٦) قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة محمد بدران، المجلد الرابع، الجزء الرابع، ص (٣٤).

(٧) انظر: النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ص (١٤٤).

بل إنه في بعض المواضع في عكا يوجد مبنى واحد لمسجد قديم في جهته محراب تؤدى به الصلاة، وفي جهته الأخرى يأتي بعض النصارى لتأدية بعض طقوسهم[1]. وكان أسلاف هؤلاء في حملتهم الأولى حينما رأوا لأول مرة مسجداً في القسطنطينية تقام فيه الصلاة أحرقوه بمن فيه[2].

وقد بين توماس آرنولد هذه الحقيقة وهي أنه ليس عامة الصليبيين فحسب هم الذين تغيرت نظرتهم إلى المسلمين بل إن علماء اللاهوت المسيحي قد أدى اختلاطهم بالمسلمين إلى تكوين رأي أكثر إنصافاً عن الإسلام[3].

ولا شك أن ما سبق من أمثلة يدل على مدى تغير نظرة النصارى الصليبيين إلى المسلمين، وهذا التغير بطبيعة الحال راجع إلى الجهود الدعوية المختلفة التي بذلها المسلمون في هذه الفترة تجاههم.

د ـ كف أذى كثير من النصارى الصليبيين عن المسلمين وكسب بعضهم ضد بني ملتهم:

لا شك أن من أبرز آثار الجهود الدعوية الموجهة إلى النصارى في هذه الفترة نجاحها في كف أذى كثير من قادة النصارى الصليبيين ممن كانت لهم شوكة وقوة عن المسلمين مما ساعد في عدم اتفاقهم وتكاتفهم فكان ذلك من أهم أسباب إزالة كياناتهم التي أقاموها في البلاد الإسلامية.

فقد كان من حسن سياسة نور الدين محمود مثلاً مع بعض قادة النصارى أن كسبهم إلى جانبه ضد بني ملتهم ودرأ بذلك خطراً عظيماً عن الإسلام بعد ما كادوا أن يتفقوا ضد المسلمين وذلك سنة ٥٥٤هـ[4].

---

(١) انظر: رحلة ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني، ص (٢٧٦).

(٢) انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة محمد بدران، المجلد الرابع، الجزء الرابع، ص (٥٠).

(٣) انظر: الدعوة إلى الإسلام، توماس أرنولد، ترجمة د. حسن إبراهيم حسن وآخرين، ص (١١٠).

(٤) انظر: الروضتين في أخبار الدولتين، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (١/ ١٢٣).

وكذلك صلاح الدين ـ رحمه الله تعالى ـ حينما صالح صاحب صيدا حتى جعله يقاتل في صف المسلمين ضد بني ملته وكان له أثر موجع عليهم[1]. وكذلك صاحب صور الذي جاهر بعداء بني ملته[2].

وبعد معركة حطين وما ظهر من نبله ـ رحمه الله تعالى ـ وكرمه وصفحه عن بعض قادة الصليبيين أن أقسم بعضهم ألا يواجهه في قتال[3].

وكثير من نصارى الصليبيين فرادى وجماعات انفصلوا عن بني ملتهم وانضموا إلى جيوش المسلمين للقتال معهم ضد بني ملتهم، بل إن بعضهم كان والحال هذه على نصرانيته، ومن ذلك مثلاً ما حدث سنة ٥٨٦هـ أن استأمنت فرقة كبيرة من الصليبيين بعضهم أسلم وبعضهم على نصرانيته وانضموا إلى جيش صلاح الدين واشتركوا معه في حصار عكا ضد ملك إنجلترا[4].

وفي هذا السياق أيضاً ما أدت إليه مفاوضات الصلح أخيراً مع ملك إنجلترا بأن انسحب بجيشه وأزاح بذلك أذى كبيراً عن المسلمين بدعمه للنصارى في بلاد الشام[5].

هـ ـ حسن معاملة النصارى لمن تحت أيديهم من المسلمين:

حينما قدم النصارى الصليبيون إلى البلاد الإسلامية وأقاموا كياناتهم

---

(١) انظر: النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ص (٣٠٤).

(٢) انظر: المصدر السابق، ص (٢٩٨).

(٣) انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة محمد بدران، المجلد الرابع، الجزء الرابع، ص (٣٨).

(٤) انظر: الروضتين في أخبار الدولتين، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (٢/ ١٨٥)، والدعوة إلى الإسلام، توماس أرنولد، ترجمة د. حسن إبراهيم حسن وآخرين، ص (١١١).

(٥) انظر: النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ص (٢٩٠ ـ ٢٩٣)، و(٣٢٥ ـ ٣٢٨).

السياسية فيها وامتد نفوذهم إلى أجزاء واسعة من بلاد الشام ومصر هجر لذلك كثير من المسلمين مدنهم وقراهم كما حدث مثلاً في الرملة[(١)] ويافا[(٢)] وغيرهما، وبقي منهم أعداد كبيرة أيضاً تحت سيطرة النصارى.

وقد انعكست آثار الجهود الدعوية المباركة الموجهة إلى النصارى على هؤلاء بشكل إيجابي نتج عنه نوعاً من المعاملة الحسنة لهم. وهم بطبيعة الحال لا حول لهم ولا قوة تحت سلطة الصليبيين، ولا يستطيعون رد الاعتداء والظلم عن أنفسهم وقد تعرض كثير منهم لشيء من ذلك، كمذابح الصليبيين للمسلمين من أهل أنطاكية حينما دخلوها بشهادة أحد مؤرخيهم المشاركين في ذلك حيث قال: «... أما النساء اللاتي وجدن في خيام الأتراك فإن الفرنج لم يرتكبوا شراً معهن، وإنما بقروا بطونهن بحرابهم فحسب»[(٣)].

ومن هذا القبيل مذابح الصليبيين المروعة حينما احتلوا القدس[(٤)].

وبعد فترة من بقاء الصليبيين في البلاد الإسلامية تحسنت أحوال كثير من المسلمين الذين يرزحون تحت الحكم الصليبي؛ فخفف اضطهادهم، وتركت لهم حرية العبادة وممارسة شعائرهم الدينية، بل إن لهم في بعض الأحيان حاكم منهم يرجعون إليه من دون الصليبيين.

وقد كان هذا التحسن في أحوالهم بطبيعة الحال من آثار الجهود الدعوية المختلفة التي بذلها المسلمون تجاه الصليبيين في هذه الفترة من جهاد، ورسائل ومعاهدات وغيرها.

ومن مظاهر هذا التحسن مثلاً أنه في بعض القرى الواقعة تحت النفوذ

---

(١) انظر: تاريخ الحروب الصليبية، وليم الصوري، ترجمة د. حسن حبشي (٢/ ٦٦).
(٢) انظر: المصدر السابق (٢/ ١٠٧).
(٣) الوجود الصليبي في الشرق العربي، فوشيه شارتر، ترجمة د. قاسم عبده قاسم، ص (١٣٦).
(٤) انظر: تاريخ الحروب الصليبية، وليم الصوري، ترجمة د. حسن حبشي (٢/ ١٢٦).

الصليبي يتمتع أهلها المسلمون بحكم ذاتي لهم يحكمهم واحد منهم كما هي الحال في مدينة جبلية[1].

وقد لمس الأحوال المعيشية الهادئة التي تعيشها بعض القرى والمدن الإسلامية تحت الحكم الصليبي ابن جبير حتى أنه خشي على أهلها من الفتنة مقابل بعض الاضطهاد الذي يلاقيه إخوانهم من قبل بعض الولاة المسلمين في بعض المناطق الإسلامية، حيث قال: «... وطريقنا كله ضياع متصلة وعمائر منتظمة سكانها كلها مسلمون، وهم مع الإفرنج على حالة ترفيه ـ نعوذ بالله من الفتنة ـ... ومساكنهم بأيديهم وجميع أحوالهم متروكة لهم، وكل ما بأيدي الفرنج من المدن بساحل الشام على هذا السبيل...»[2].

ثم وصف ابن جبير استقرار أحوالهم وخشيته عليهم من الفتنة بالنصارى لذلك، حيث قال: «... وقد أشربت الفتنة قلوب أكثرهم لما يبصرون عليه إخوانهم من أهل الرساتيق المسلمين وعمالهم لأنهم ضد أحوالهم في الترفيه والرفق، وهذه من الفجائع الطارئة على المسلمين...»[3].

ولا شك أن الفرق شاسع بين هذه الأحوال التي وصفها ابن جبير لكثير من المدن والقرى الإسلامية تحت الحكم الصليبي وبين أحوال بعض المسلمين وما لقوه في بداية تقدم الصليبيين ودخولهم البلاد الإسلامية.

وبطبيعة الحال فإن هذا التغير الكبير في معاملة الصليبيين لمن تحت يدهم من المسلمين كان من آثار الجهود الدعوية المختلفة التي بذلها المسلمون في هذه الفترة تجاههم.

---

(١) انظر: النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ص (١٤٤).

(٢) رحلة ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني، ص (٢٧٤ ـ ٢٧٥).

(٣) المصدر السابق، ص (٢٧٥).

و ـ إعادة راية الإسلام إلى المناطق التي زحف عليها النصارى وطردهم منها، وإظهار عزة المسلمين:

لا شك أن الغاية من كل الجهود الدعوية هو أن يكون الدين كله لله، وذلك بإقامة شرعه على أرضه وإرشاد الناس إلى سبيله.

وكان من أهم آثار الجهود الدعوية المختلفة خاصة الجهاد في سبيل الله في هذه الفترة إزالة الحكم الصليبي النصراني من المناطق التي زحف عليها وطرده كلياً وإعادة الحكم الإسلامي فيها وما ترتب على ذلك من إظهار لعزة الإسلام وقوة المسلمين[1].

وهذا ما جعل الأعداء المتربصين من النصارى الصليبيين يعيدون تخطيطهم ويغيرون أساليبهم في محاربة المسلمين وفتنتهم عن دينهم فقرروا لذلك التركيز على الناحية الفكرية بعد ما لم تجد الجحافل العسكرية في صرف المسلمين عن دينهم وإقامة دولة نصرانية في قلب البلاد الإسلامية؛ لذلك تكونت بدايات ما يسمّى بالغزو الفكري للشعوب الإسلامية. فاتجهت الجهود إلى إرسال جحافل من المبشرين الذين يتسللون إلى الشعوب الإسلامية بشكل سلمي ليفتنوهم عن دينهم بالإقناع والتفاهم تحت ستار العمل الخيري؛ فكان لذلك تأسيس المدارس النصرانية، والجماعات التنصيرية لتحقيق هذا الهدف بعد ما عجزت عنه القوة العسكرية.

وقد كان من أول هذه المؤسسات التبشيرية الرهبنة الكرملية التي تأسست في عام ٥٤٨هـ ـ ١١٥٤م في طرابلس لبنان، ثم الفرنسيسكان والدومنيكان في مطلع القرن الثالث عشر[2].

ومنذ ذلك الوقت تتابع الدعاة لبث أفكارهم التنصيرية في العالم الإسلامي. وقد قال أحد الكتاب الأوربيين عن ذلك: «إذ حدث في القرن الثالث عشر أن

---

(١) انظر تفصيل ذلك في: الفصل الثالث، المبحث الأول، «وسيلة الجهاد».

(٢) انظر: الأوضاع الحضارية في بلاد الشام «عصر الحروب الصليبية»، د. محمود الحويري، ص (١٣٦).

بدأ نشاط تبشيري ضخم، وهذا النشاط إنما نجم عن الحروب الصليبية والاتصال بالمسلمين...»[1].

وكانت البداية العملية المنظمة لهذا العمل على يد ريموند لل وهو إسباني تعلم اللغة العربية وكرس حياته لتنظيم العمل التبشيري حيث استصدر قراراً من البابا تعمل بموجبه الكنيسة على كسب المسلمين وأرضهم بواسطة دراسة لغتهم والتنصير بينهم ثم إرسال الجيوش العسكرية بعد ذلك[2].

ز ـ تأجيل إخراج المسلمين من الأندلس:

ساءت أحوال المسلمين في الأندلس من جراء ضعف الخلافة الأموية فيها ومن ثم انتهاؤها سنة ٤٢٢هـ حين أعلن أهل قرطبة إلغاءها وعلى رأسهم جهور بن محمد بن جهور[3]؛ فقامت لذلك على أنقاضها ما يسمى بدول الطوائف التي بلغت عشرين دولة تقريباً، حيث تغلب كلٌّ على جهة وتلقب بالإمارة بل والخلافة، فمنهم من تسمى بالمعتضد وبعضهم تسمى بالمأمون وآخر تسمى بالمستعين، والمقتدر والمتوكل والموفق إلى غير ذلك من الألقاب التي قال عنها الشاعر الحسن بن رشيق:

مما يزهدني في أرض أندلس سماع مقتدر فيها ومعتضد
ألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد[4][5]

---

(١) الحروب الصليبية، آرنست باركر، ترجمة: د. السيد الباز العريني، ص (١٤٢).

(٢) انظر: أثر العامل الديني في توجيه الحركة الصليبية، د. محمد صالح منصور، ص (٢٣٤ ـ ٢٣٩).

(٣) انظر: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، أحمد بن محمد بن عذاري، تحقيق د. إحسان عباس.

(٤) هو الحسن بن رشيق القيرواني، أديب ناقد باحث، ولد بالمغرب في مدينة مسيلة سنة ٣٩٠هـ، وهاجر إلى قيروان، ولما سيطر عليها العرب هاجر إلى صقلية حيث مات بها سنة ٤٦٣هـ، من كتبه: العمدة في صناعة الشعر ونقده، وغيره.
انظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي، دار المستشرق، بيروت، ١٩٢٣م، (٨/ ١١٠ ـ ١٢١). وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (١٨/ ٣٢٤ ـ ٣٢٦).

(٥) انظر: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد بن علي المراكشي، تحقيق

ومع هذا الوضع المتردي لدول الطوائف أخذت الممالك النصرانية تتوسع على حسابها، فسقطت طليطلة بيد الإذفونش ملك قشتالة وليون وذلك سنة ٤٧٨هـ[١]. ولم تلق المساندة الكافية لصد العدوان النصراني عليها من قبل أمراء الدويلات الإسلامية الأخرى التي كانت تتصارع فيما بينها وتخطب ود النصارى حفاظاً على الطموحات الشخصية لبعض أمرائها الذين بلغ الحال بعدد منهم أن استعانوا بالنصارى ضد إخوانهم المسلمين.

لذلك ساد الفزع بين مسلمي الأندلس لسرعة تقدم النصارى وما يتوقعونه من نهاية سيئة لهم من جراء ذلك حتى عبر أحد الشعراء عن هذه الحالة بعد سقوط طليطلة بقوله:

يا أهل أندلس شدوا رحالكم ... فما المقام بها إلا من الغلط
السلك ينثر من أطرافه وأرى ... سلك الجزيرة منثوراً من الوسط
من جاور الشر لا يأمن بوائقه ... كيف الحياة مع الحيات في سفط[٢]

ولهذا الوضع المفزع في الأندلس دبت الغيرة في بعض أمراء الطوائف وبعض العلماء لحماية المناطق الإسلامية من النصارى فكانت الدعوة للمرابطين لدخول الأندلس حيث تغيرت الكفة وانحصر نفوذ النصارى، فكان قدوم المرابطين منقذاً للمسلمين في الأندلس من طمع النصارى ومحافظاً على بقائهم فيها بعد أن أوشك على الزوال، وقد قال عن ذلك أحد المؤرخين الأندلسيين بعدما وصف الأوضاع المضطربة فيها قبل النجدة المرابطية: «... إلى أن جمع الله الكلمة ورأب الصدع ونظم الشمل، وحسم الخلاف وأعز الدين، وأعلى كلمة الإسلام، وقطع طمع العدو بيمن نقيبه أمير المسلمين وناصر الدين أبي يعقوب يوسف بن تاشفين»[٣].

محمد سعيد العريان، ص (٢٠).

(١) انظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الطيب، أحمد بن محمد المقري، تحقيق د. إحسان عباس (٤/ ٣٥٢ ـ ٣٥٤).

(٢) انظر: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، أحمد بن محمد المقري، (١/ ٤٦).

(٣) المعجب في تلخيص المغرب، عبد الواحد بن علي المراكشي، تحقيق د. محمد سعيد العريان، ص (١٤٧).

وعبور المرابطين لنجدة إخوانهم مسلمي الأندلس كان في سنة ٤٧٩هـ حيث جرت معركة الزلاقة المشهورة مع النصارى والتي انتصروا فيها واندحر الزحف النصراني على المناطق الإسلامية آخذاً بالتقهقر[١].

ومنذ ذلك الحين عمل المرابطون على تثبيت سلطانهم في الأندلس وتوحيد ملوك الطوائف فيها تحت سيطرتهم والوقوف في مواجهة النصارى وجهادهم في البلاد الأندلسية حتى كان تضعضعهم وضعف سلطانهم إثر سقوط عاصمتهم في المغرب مدينة مراكش سنة ٥٤١هـ.

وبعد اضطراب أحوال الأندلس طمع النصارى في استغلال ذلك فاجتاز الموحدون إليها وكان لهم الجهد المشكور في مواجهتهم وكبح جماحهم ومن ثم الحفاظ على البقاء الإسلامي في الأندلس[٢]. حتى ضعف سلطانهم ثم سقوط دولتهم في سنة ٦٦٨هـ[٣]؛ فورثها مجموعة من الدويلات التي تساقطت في أيدي النصارى الواحدة تلو الأخرى حتى كان آخرها سقوط غرناطة سنة ٨٩٧هـ[٤].

وهكذا فإن جهاد المرابطين ثم الموحدين في فترة الحروب الصليبية كان من أبرز العوامل بل أهمها في الحفاظ على الوجود الإسلامي في الأندلس وتأخير إخراج المسلمين منها.

---

(١) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٣٠٧ ـ ٣١٠)، والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، علي بن يسام الشنتريني، تحقيق د. إحسان عباس، القسم الثاني، المجلد الأول، ص (٢٥٤ ـ ٢٥٥).

(٢) انظر نماذج من جهادهم ضد النصارى في الأندلس في: الفصل الثاني، المبحث الأول.

(٣) انظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري، تحقيق د. إحسان عباس (١/ ٤٤٦).

(٤) انظر تفاصيل هذه الأوضاع حتى سقوط غرناطة في: التاريخ الأندلسي، د. عبد الرحمن علي الحجي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م، ص (٥١٣) وما بعدها.

المطلب الثاني

آثار الدعوة الموجهة إلى النصارى في عصر الحروب الصليبية في أوربا

لم تقتصر آثار الجهود الدعوية المباركة التي بذلها المسلمون في عصر الحروب الصليبية تجاه النصارى على البلاد الإسلامية فحسب بل امتدت آثارها إلى أوربا نفسها منطلق العدوان الصليبي الحاقد على البلاد الإسلامية. حيث تفاوتت هذه الآثار قوة وضعفاً بين الجهات الأوربية. فبينما كانت أكثر وضوحاً في الجهات الجنوبية من أوربا وفي الممالك النصرانية المحاذية للمسلمين في الأندلس فإنها أقل وضوحاً في الجهات الشمالية والغربية من أوربا.

وفيما يلي عرض لشيء من هذه الآثار:

أ ـ تأثر بعض الأوربيين بشيء من العادات والتقاليد الإسلامية:

ففي صقلية مثلاً: ـ وكانت السلطة والدولة للنصارى فيها بعد أن كانت للمسلمين ـ امتدت آثار الجهود الدعوية المختلفة إلى نصارى هذه البلاد فمنها على سبيل المثال تقليد بعضهم للمسلمين في اللباس والنظافة، بل وصل الأمر بالبعض منهم إلى اعتناق الإسلام.

فمما شاهده ابن جبير في حاضرة صقلية من ذلك قوله: «... وزي

النصرانيات في هذه المدينة زي نساء المسلمين، فصيحات الألسن، ملتحفات، منتقبات. . .»[1].

وذكر أثر ذلك في إسلام بعض النساء النصرانيات[2].

وقد لاحظ أحد الرحالة التشيك إلى الأندلس في القرن الخامس عشر الميلادي ـ أي بعد فترة الحروب الصليبية بقرنين تقريباً ـ شيئاً من هذه التأثيرات في مملكة قشتالة النصرانية. ففي إحدى القرى رأى مجموعة من النساء النصرانيات حضرن محفلاً «وعليهن أفخر الثياب لبسنها على نحو ما يلبس المسلمات ثيابهن. . .»[3].

ومما يتصل بذلك انتشار بعض الأزياء الإسلامية في أوربا في تلك الفترة والتي منها ما يحتفظ باسمه العربي إلى الوقت الحاضر كأنواع من القمصان والمعاطف والعباءات وغيرها[4].

بل إن بعض القادة الأوربيين كانوا يقلدون قادة المسلمين في اللباس وبعض العادات، كروجر الثاني، وفريدريك الثاني في صقلية[5]، وألفونسو السادس ملك قشتالة وغيرهم[6].

ومن العادات الحميدة التي نقلها الصليبيون إلى أوربا متأثرين بالمسلمين بها الاهتمام بالنظافة الجسمية وكانوا لا يلقون لها بالاً، فانتشرت في البلاد الأوربية

---

(١) رحلة ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني، ص (٣٠٧).

(٢) انظر: المصدر السابق، ص (٣٠٧).

(٣) الإسلام في إسبانيا، د. لطفي عبد البديع، مكتبة النهضة العصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٨م، ص (١٠٠).

(٤) انظر: أثر الحروب الصليبية في الحضارة الأوربية، ممدوح حسين علي حسين، ص (٨٠).

(٥) انظر: رحلة ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني، ص (٢٩٨).

(٦) انظر: الإسلام في إسبانيا، د. لطفي عبد البديع، ص (٩٨).

الحمامات العامة وأخذ الناس يترددون عليها طلباً للنظافة[١].

وانتشرت أيضاً هذه الحمامات في الممالك النصرانية في الأندلس كمملكة ليون وقشتالة وغيرها[٢].

ومن الشعائر الإسلامية التي تشبه النصارى بالمسلمين فيها كذلك غسل الميت خاصةً في الممالك النصرانية في الأندلس[٣].

ولم يقتصر تشبه النصارى بالمسلمين باللباس وما شابهه فقط، بل تعداه إلى التأثير الإيماني من قبل كثير من الأوربيين العائدين من البلاد الإسلامية إلى أوطانهم، الأمر الذي دعا بعض المتعصبين من الملوك ورجال الدين في أوربا إلى عقد المحاكمات لهم وإعدام الكثيرين منهم بدعوى: «أنهم فقدوا إيمانهم بالدين المسيحي لطول اختلاطهم بالمسلمين...»[٤].

بل إن أحد أبرز قادة أوربا في هذه الفترة وهو روجار الثاني ملك صقلية كان يتهم لتقديمه المسلمين والاعتماد عليهم بأنه مسلم[٥]. كذلك خلفاؤه من ملوك صقلية خاصةً الإمبراطور فريدريك الثاني الذي أصدر البابا بحقه قراراً بالحرمان لتقريبه للمسلمين وتأثره بالحضارة الإسلامية واتهم لذلك بأنه مسلم. وكان بعض القريبين منه قد سمعه يتحدث بشيء يوحي بذلك حيث قال ابن جبير: «وأعلمنا أنه كان في هذه الجزيرة زلازل مرجفة ذعر لها هذا المشرك، فكان يتطلع في قصره فلا يسمع إلا ذاكراً لله ولرسوله من نسائه وفتيانه وربما لحقتهم

---

(١) انظر: أثر الحروب الصليبية في الحضارة الأوربية، ممدوح حسين علي حسين، ص (٨٣).

(٢) انظر: الإسلام في إسبانيا، د. لطفي عبد البديع، ص (٩٣ ـ ٩٤).

(٣) انظر: المرجع السابق، ص (٩٣ ـ ٩٤).

(٤) قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة محمد بدران، المجلد الرابع، الجزء الرابع، ص (٦٣).

(٥) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٩/ ١٣٣).

دهشة عند رؤيته فكان يقول لهم: ليذكر كل أحد منكم معبوده ومن يدين به تسكيناً لهم...»[١].

ولذلك فإن بعض الكتاب الأوربيين عدّ الحروب الصليبية من أهم أسباب امتداد النفوذ الإسلامي في أوربا واكتساحه لكامل آسيا الصغرى وبلاد الشام وقد كان قبل هذه الفترة جزء كبير من آسيا الصغرى ينتمي إلى الكنيسة اليونانية، مع وجود بعض الدويلات النصرانية في الشام[٢].

ولا شك أن هذا الانحسار في النصرانية واعتناق شعوب هذه المناطق للإسلام جاء نتيجة للجهود الدعوية المختلفة التي بذلها المسلمون في هذه الفترة.

ب ـ إعجاب بعض القادة الأوربيين بالحضارة الإسلامية:

ومن آثار الجهود الدعوية المختلفة التي بذلها المسلمون في هذه الفترة تجاه النصارى أن لفتت انتباه بعض القادة الأوربيين إلى ازدهار الحضارة الإسلامية فاهتموا بها وحرصوا على الاستفادة منها، فقربوا لذلك كثيراً من العلماء المسلمين.

ومن الأمثلة على هؤلاء القادة روجر الثاني أحد ملوك صقلية الذي استحضر كثيراً من الكتب العربية وأمر بترجمتها[٣]. وكان يجل العلماء المسلمين ويقدرهم، فكان الإدريسي إذا جاء إلى مجلسه أكرمه واحترمه ووسع له[٤].

ومن ملوك صقلية المعجبين بالحضارة الإسلامية كذلك الإمبراطور فريدريك الثاني الذي كان متأثراً بكل ما هو عربي[٥]، وكان يجيد اللغة العربية كما لو

---

(١) رحلة ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني، ص (٢٩٩).

(٢) انظر: الحروب الصليبية، آرنست باركر، ترجمة: د. السيد الباز العريني، ص (١٤٢).

(٣) انظر: العرب في صقلية، د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ص (١٥٨).

(٤) انظر: الوافي بالوفيات، ص (٦٥٧).

(٥) انظر: شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكه، ترجمة فاروق بيضون وآخرين، ص (٤٣١).

كانت لغته الأم، وخلال طفولته كان على علاقة بقاضي المسلمين في مدينة بالرمو الذي قدم له عدداً من الكتب العربية في مختلف العلوم[1].

وكان الإمبراطور فريدريك كثير الاتصال بالملك الكامل في مصر بشأن بعض المسائل العلمية، ومن ذلك مثلاً إرساله بعض الأسئلة إليه ليجيب العلماء المسلمون عليها[2].

ثم محاوراته العلمية مع أحد سفراء الملك الكامل إليه والذي كان من العلماء المسلمين في مصر[3].

وهذا الإعجاب الشديد من قبل ملوك صقلية خاصة روجر الثاني والإمبراطور فريدريك الثاني بالحضارة الإسلامية والتأثر بها جعل بعض الكتّاب الأوربيين المعاصرين لفترة الحروب الصليبية ولما رأوه في حياة هذين الملكين من مظاهر الحياة الإسلامية أن وصفوا كل منهما «بصفة سلطان صقلية المعمد»[4] أي المسلم.

وقد قال أحد الكتاب الأوربيين في ذلك: «... فإن مما يدل على إعجاب المسيحيين بالثقافة العربية غط الحياة في البلاط الصقلي خاصة خلال حكم روجر الثاني وفريدريك الثاني...»[5].

«وكان لدى الملكين موظفون ومستشارون من المسلمين، كما أنهما شملا بعطفهما علماء وافدين من الشام وبغداد»[6].

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص (٤٣٣).

(٢) انظر: السلوك لمعرفة دول الملوك، أحمد بن علي المقريزي، تحقيق محمد مصطفى زيادة الجزء الأول، القسم الأول، ص (٢٣٢).

(٣) انظر: تاريخ الحروب الصليبية، ستيفن رانسيمان، ترجمة د. السيد الباز العريني (٣/ ٣٢٧) وكذلك المطلب الثالث، من المبحث الأول في الفصل الثالث.

(٤) انظر: فضل الإسلام على الحضارة الغربية، مونتجمري وات، ترجمة حسين أحمد أمين، ص (١٣).

(٥) المصدر السابق، ص (٤٣ ـ ٤٤).

(٦) المصدر السابق، ص (٤٤).

ومن القادة النصارى الذين أعجبوا بالحضارة الإسلامية بعض ملوك الدول النصرانية في الأندلس.

فقد كان ألفونسو السادس في طليطلة يحب العلماء المسلمين، بل إن أكثر مستشاريه ومعاونيه من المسلمين(١).

وكذلك ألفونسو العاشر ملك قشتالة كان مقرباً للعلماء المسلمين ومستخدماً لهم في كثير من المهام(٢).

وهكذا فإن الجهود الدعوية المختلفة أبرزت الحضارة الإسلامية في هذه الفترة بشكل أدهش بعض قادة أوربا إلى درجة لم يستطيعوا معه أن يخفوا إعجابهم بها، بل دفعهم إلى الاستفادة منها بصور متعددة.

جـ - حسن معاملة بعض قادة أوربا للمسلمين الخاضعين لحكمهم:

وقد امتدت آثار الجهود الدعوية المختلفة التي بذلت تجاه النصارى في هذه الفترة بشكل إيجابي إلى المسلمين الخاضعين للحكم النصراني في بعض الدول الأوربية، فتحسنت في كثير من الأحيان معاملتهم من قبل السلطات النصرانية، ونعموا بحياة مستقرة يمارسون فيها شعائرهم الدينية بحرية تامة.

ومن ذلك مثلاً ما لقيه المسلمون في صقلية من تسامح وهدوء تحت سلطة بعض حكامها كروجر الثاني الذي قال عنه ابن الأثير: «... فسلك طريق ملوك المسلمين... وجعل له ديوان المظالم ترفع إليه شكوى المظلومين، فينصفهم ولو من ولده، وأكرم المسلمين وقربهم ومنع عنهم الإفرنج، فأحبوه»(٣).

ونقل أحد الباحثين عن مصادر غربية معاصرة لفترة الحروب الصليبية في

---

(١) انظر: الإسلام في إسبانيا، د. لطفي عبد البديع، ص (١٦٨).

(٢) انظر: فضل الإسلام على الحضارة الغربية، مونتجمري وات، ترجمة حسين أحمد أمين، ص (٧٦).

(٣) الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٣٤٩).

بيان حال المسلمين تحت سلطة روجار الثاني ما نصه: «. . . إن عقيدة المسلمين لم تمس بسوء ولا أصابهم رهق ولا أذى»[1].

وشاهد ابن جبير جانباً من الأوضاع الحسنة للمسلمين في صقلية تحت حكم فريدريك الثاني.

ففي حاضرة صقلية قال ابن جبير عن أوضاع المسلمين: «. . . وللمسلمين بهذه المدينة رسم باقٍ من الإيمان يعمرون أكثر مساجدهم، ويقيمون الصلاة بأذان مسموع، ولهم أرباض قد انفردوا فيها بسكناهم عن النصارى. . .»[2].

وقال: «وأما المساجد فكثيرة لا تحصى، وأكثرها محاضر لمعلمي القرآن»[3].

وفي مدينة ترمة قال: «وللمسلمين فيها ربض كبير لهم فيه المساجد»[4].

وعن حسن معاملة النصارى للمسلمين في هذه المدينة قال ابن جبير: «. . . وطوائف النصارى يتلقوننا فيبادرونا بالسلام علينا ويؤنسوننا، فرأينا من سياستهم ولين مقصدهم مع المسلمين ما يوقع الفتنة في نفوس أهل الجهل. . .»[5].

وفي إحدى القرى الصقلية وتسمى ـ قصر سعد ـ ذكر ابن جبير أن جميع أهلها مسلمون وبها مسجد يؤذن ويصلى فيه[6].

وفي الأندلس كانت هناك أعداد كبيرة من المسلمين تعيش في الممالك النصرانية وكان يطلق عليهم ـ المدجنون ـ وأحوالهم في كثير من الأحيان مستقرة وهادئة في هذه الفترة.

---

(١) العرب في صقلية، د. إحسان عباس، ص (١٤٧).

(٢) رحلة ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني، ص (٣٠٥).

(٣) المصدر السابق، ص (٣٠٥ ـ ٣٠٦).

(٤) المصدر السابق، ص (٣٠٢).

(٥) المصدر السابق، ص (٣٠٢).

(٦) انظر: المصدر السابق، ص (٣٠٣).

ففي قرطبة ـ بعد سقوطها بأيدي النصارى ـ تعهد الفونسو الحكيم سنة ٦٧٨هـ ـ ١٢٨٠م ألا يتعرض لأحد من المسلمين بأذى، بل إنه أشاد بأعمالهم في مجال البناء والحرف المختلفة في المدينة(١).

وكذلك الحال في طليطلة وقشتاله ووادي الحجارة ومرسية وغيرها(٢).

ومما يدل على الأوضاع الحسنة للمسلمين نسبياً في بعض الممالك النصرانية في الأندلس أثرهم في الحياة العامة فيها، إذ لو لم يكن لهم نفوذ وقدرة على إظهار دينهم وإبراز شخصيتهم ما كان لهم ذلك الأثر، حيث برز منهم العديد من الأدباء والعلماء في مجالات مختلفة.

وقد قال أحد الباحثين الغربيين عن ذلك: «. . . وبقي الكثير من الأهالي المسلمين في ديارهم، ودخلوا في حكم المسيحيين فزاد انتشار مظاهر المدينة العربية الإسبانية في الممالك الشمالية. . .»(٣).

وكان المسلمون المقيمون في القسطنطينية في هذه الفترة ينعمون بشيء من الحرية وإظهار شعائرهم الدينية، وكان لهم جامع يؤذن ويصلى فيه(٤).

ولم يقتصر الأمر على تمتع المسلمين في بعض الدول النصرانية بالحرية والأمن، بل إن أعداداً منهم بلغت حضوة ومكانةً لدى بعض القادة النصارى.

ومن ذلك مثلاً ما ذكره ابن الأثير عن روجار الثاني صاحب صقلية من أنه اتخذ رجلاً من أهل الصلاح يستشيره ويقدمه على الرهبان ويكرمه، ولذلك يتهم بأنه مسلم(٥).

---

(١) انظر: الإسلام في إسبانيا، د. لطفي عبد البديع، ص (١٦٧).

(٢) انظر: المرجع السابق، ص (١٦٨).

(٣) فضل الإسلام على الحضارة الغربية، مونتجمري وات، ترجمة حسين أحمد أمين، ص (٦٩).

(٤) انظر: النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ص (٢٠٢).

(٥) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٩/ ١٣٣).

وكان ابن غليام الأول يحيط نفسه بحرس من المسلمين[1].

أما فريدريك الثاني فقد قال عنه ابن جبير: «وهو كثير الثقة بالمسلمين وساكن إليهم في أحوالهم والمهم من أشغاله»[2].

وقال عنه أيضاً: «أما فتيانه الذين هم عيون دولته وأهل عمالته في ملكه فهم مسلمون، ما منهم إلا من يصوم الأشهر تطوعاً وتأجراً، ويتصدق تقرباً إلى الله وتزلفاً . . .»[3].

وهكذا فإن هذه الأوضاع الحسنة للمسلمين في بعض الدول النصرانية قد كان للجهود الدعوية المبذولة من المسلمين في هذه الفترة أثر كبير في تحقيقها.

د ـ اهتمام كثير من علماء الغرب بدراسة علوم الشرق ونقلها إلى اللغات الأوربية:

وكان من آثار الجهود الدعوية المختلفة التي بذلها المسلمون في هذه الفترة اهتمام كثير من علماء أوربا بعلوم الشرق واتجاههم إلى ترجمتها والاستفادة منها.

فاتصالات المسلمين المختلفة على كافة المستويات مع النصارى أطلعت النابهين من علمائهم على المستوى الراقي للحضارة الإسلامية، وأن لدى المسلمين الكثير من العلماء الأفذاذ في مختلف العلوم مما حفزهم إلى العمل على الاستفادة من ذلك. ومن هؤلاء مثلاً أديلا ردأوف بات الذي زار الأندلس في النصف الأول من القرن الثاني عشر الميلادي ثم سافر إلى مصر وآسيا الصغرى واطلع على كثير من العلوم في البلاد الإسلامية وانتقلت بواسطته إلى الغرب معلومات مهمة عن الشرق الإسلامي[4].

---

(١) انظر: العرب في صقلية، د. إحسان عباس، ص (١٤٦).

(٢) رحلة ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني، ص (٢٩٨).

(٣) المصدر السابق، ص (٢٩٩).

(٤) انظر: فضل الإسلام على الحضارة الغربية، مونتجمري وات، ترجمة حسين أحمد أمين، ص (٨٥).

وكذلك ليونارد فيوناشي الذي زار مصر والشام وكان معاصراً لفريدريك الثاني ملك صقلية[١].

وجيرارد الكريموني الذي قدم من إيطاليا سنة ٥٤٥هـ وبقي في طليطلة حتى وفاته سنة ٥٨٢هـ ـ ١١٨٧م وكان له جهود كبيرة في الترجمة[٢]، حيث ترجم أكثر من مائة كتاب من الكتب الإسلامية إلى اللاتينية[٣].

وكان للأسقف رايموند الذي تولى أسقفية طليطلة بين سنتي ٥٢٦هـ و٥٤٧هـ دور كبير وجهود بارزة في ترجمة الكتب العربية إلى اللاتينية والتشجيع على ذلك، بل إنه كان يتولى رئاسة طائفة من المترجمين عرفت بمدرسة المترجمين الطليطليين[٤].

ومن العلماء الأوربيين في الأندلس الذين اهتموا بنقل الكثير من الكتب العربية إلى اللغات الأوربية براهام برحيه هانس[٥] في برشلونة[٦]، ويوحنا

---

(١) انظر: قنوات الاتصال بين الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية، محمد المكي الناصري، بحث ضمن ندوة الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية الأخذ والعطاء، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٤١١هـ، ص (٤٨).

(٢) انظر: فضل الإسلام على الحضارة الغربية، مونتجمري وات، ترجمة حسين أحمد أمين، ص (٨٤).

(٣) انظر: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، د. سعد البشري، ص (٥٤٢).

(٤) انظر: المرجع السابق، ص (٥٤١)، وفضل الإسلام على الحضارة الغربية، مونتجمري وات، ترجمة حسين أحمد أمين، ص (٨٤).

(٥) عالم رياضي يهودي في مدينة برشلونة ويعرف عادة باسم سافاسوردا.
انظر: فضل الإسلام على الحضارة الغربية، مونتجمري وات، ترجمة حسين أحمد أمين، ص (٥٢ ـ ٥٣).

(٦) انظر: فضل الإسلام على الحضارة الغربية، مونتجمري وات، ترجمة حسين أحمد أمين، ص (٥٢ ـ ٥٣).

اليهودي[١] في طليطلة[٢]، ودومنيك جونديسالفي[٣]، وهرمان الدلماسي، وروبرت أوف كيتون[٤]، وغيرهم[٥].

وكذلك في جنوب إيطاليا وصقلية اتجه كثير من العلماء النصارى إلى ترجمة الكتب العربية ومن أشهرهم ميخائيل اسكت الإسكتلندي الأصل[٦][٧].

---

(١) ويعرف بابن داود وهو يهودي تنصر. وسكن طليطلة، تولى أسقفتها بعد ريموند.
انظر: فضل الإسلام على الحضارة الغربية، مونتجمري وات، ترجمة حسين أحمد أمين، ص (٨٤)، والحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، د. سعد البشري، ص (٥٤٢).

(٢) انظر: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، د. سعد البشري، ص (٥٤٢).

(٣) هو من كبار رجال الكنيسة طليطلة ومن أشهر المترجمين فيها.
انظر: فضل الإسلام على الحضارة الغربية، مونتجمري وات، ترجمة حسين أحمد أمين، ص (٨٤).

(٤) هرمان الدلماسي، وروبرت أوف كيتون، كانا من طلاب علم الفلك في بلدة صغيرة قرب سرقسطة فحولهما الراهب بطرس المكرم إلى التخصص في علم اللاهوت وكلفهما لمعرفتهما بالعربية بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الإسبانية سنة ٦٣٣هـ ـ ١٢٣٦م.
انظر: فضل الإسلام على الحضارة الغربية، مونتجمري وات، ترجمة حسين أحمد أمين، ص (٨٥)، و(٩٩).

(٥) انظر: فضل الإسلام على الحضارة الغربية، مونتجمري وات، ترجمة حسين أحمد أمين، ص (٨٤ ـ ٨٥).

(٦) ويسمى مايكل سكوت المتوفّى في إسكتلندا سنة ٦٣٣هـ ـ ١٢٣٦م، وقد نشأت حوله أساطير كثيرة فاتهم بالسحر والقوى الخارقة، وقد تنقل بين روما وصقلية وإسبانيا، وخلال مقامه بصقلية كلفه فريدريك الثاني ملك صقلية بترجمة بعض كتب ابن رشد وابن سينا إلى اللاتينية.
انظر: فضل الإسلام على الحضارة الغربية، مونتجمري وات، ترجمة حسين أحمد أمين، ص (٨٦).

(٧) انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة محمد بدران، المجلد الرابع، الجزء السادس، ص (١٩).

وهذا الاهتمام الأوربي بترجمة الكتب العربية لم يقتصر على جهود فردية يقوم بها بعض العلماء بمبادرات ذاتية منهم، بل إن ذلك لقي تشجيعاً ودعماً من بعض القادة الأوربيين كالإمبراطور فريدريك الثاني ملك صقلية الذي جمع حوله عدداً من العلماء المسلمين وشجع على الترجمة[1] «وكان شديد الاهتمام بالفروع المختلفة للعلوم العربية»[2].

والفونسو العاشر ملك قشتالة المعروف بالحكيم والذي حكم بين سنتي ٦٥٠هـ إلى ٦٨٣هـ كان لديه عدد من العلماء المسلمين وغيرهم للترجمة من العربية إلى اللاتينية والقشتالية. وقد أنشأ معهداً لهذا الغرض سنة ٦٥٢هـ[3].

ولا شك أن اتجاه العلماء الأوربيين لترجمة الكتب العربية في هذه الفترة إلى اللغات اللاتينية، وتشجيع بعض قادتهم على ذلك - وإن لم تكن هذه الكتب لها علاقة مباشرة في العلوم الإسلامية - إلا أن مؤلفيها علماء مسلمون لهم شخصيتهم في الكتابة وأسلوبهم في التعبير المتأثر بالدين الإسلامي فينعكس ذلك في عباراتهم وتناولهم للموضوعات التي كتبوا عنها.

وعندما تترجم مثل هذه الكتب إلى اللغات الأوربية سوف تنساب معها مثل هذه العبارات والمفاهيم إلى ثقافة الأوربيين. ولذلك قال أحد الباحثين الغربيين بعد عرضه لشيء من جهود علماء الغرب في هذا المجال: «غير أن الترجمات السابقة هي التي كان لها الفضل في فتح المجال أمام التأثير العظيم لعلوم العرب وفلسفتهم في الحياة الفكرية في أوربا الغربية...»[4].

---

(١) انظر: المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، أحمد توفيق المدني، ص (١٧٩).

(٢) فضل الإسلام على الحضارة الغربية، مونتجمري وات، ترجمة حسين أحمد أمين، ص (٨٦).

(٣) انظر: المرجع السابق، ص (٧٦)، والحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، د. سعد البشري، ص (٥٤٣).

(٤) فضل الإسلام على الحضارة الغربية، مونتجمري وات، ترجمة حسين أحمد أمين، ص (٨٦).

وقال كاتب غربي عن أثر ما نقله هؤلاء العلماء الأوربيين عن المسلمين عن طريق الترجمة: «وقد أحدثت هذه التراجم كلها في أوربا اللاتينية ثورة عظيمة الخطر، ذلك أن تدفق النصوص العلمية من بلاد الإسلام واليونان كان له أعمق الأثر في استثارة العلماء الذين بدأوا يستيقظون من سباتهم...»[(١)].

وقال: «... كذلك أثارت هذه التراجم عقل أوربا وحفزته إلى البحث والتفكير»[(٢)].

وكأمثلة عما انساب من خلال ترجمة الكتب العربية إلى اللغات الأوربية من العبارات والمفاهيم الإسلامية حدوث شيء من التفكير لدى بعض العلماء الأوربيين حول الإله وعدم قبولهم لعقيدة النصارى في ذلك والتي يرفضها العقل السليم، ولهذا قال أحد الباحثين الغربيين عن ذلك: «وكان لا بدّ أن يحدث توسعاً في علوم الدين وفي تعديل أفكار العلماء عن الإله»[(٣)].

وشاع لدى النصارى في بعض مناطق أوربا خاصة في الممالك النصرانية في الأندلس بعض الكلمات العربية ذات المدلول الديني الإسلامي. ومن ذلك مثلاً قولهم: Si Dios Quiere ومعناه: قول المسلم: إن شاء الله[(٤)].

ويتردد كثيراً في أحاديثهم Ojala للتعبير عن العجب أو الدهشة وما شابه ذلك ومعناه الحرفي أيضاً ما شاء الله. كذلك بعض ألفاظ التحية والسلام وغير ذلك[(٥)].

وفي صقلية وجنوب إيطاليا انتشرت عملات نصرانية كتب عليها آيات

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة محمد بدران، المجلد الرابع، الجزء السادس، ص (٢١).

(٢) المصدر السابق، الجزء السادس، المجلد الرابع، ص (٢٢).

(٣) المصدر السابق، الجزء السادس، المجلد الرابع، ص (٢٢).

(٤) انظر: الإسلام في إسبانيا، د. لطفي عبد البديع، ص (٩٥).

(٥) انظر: المرجع السابق، ص (٩٦).

قرآنية، منها قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٩﴾(١)(٢).

وكانت علامة أحد ملوك صقلية «الحمد لله حق حمده» وعلامة أبيه «الحمد لله شكر لأنعمه»(٣).

ولا شك أن هذه العبارات والمفاهيم وأمثالها وهي تتردد بين عامة النصارى الأوربيين لها أثرها على المدى الطويل في تنبيه المتأمل النصراني عن أصلها ومضامينها مما يدفعه إلى البحث وربما يكون ذلك الخطوة الأولى للاهتداء إلى الحق.

هـ ـ اكتساب كثير من النصارى الأوربيين اللغة العربية:

ومن مظاهر تأثر الأوربيين النصارى في هذه الفترة بالمسلمين اكتساب كثير منهم اللغة العربية، وشيوع استخدامها في كثير من جهات أوربا.

فكان البعض من الصليبيين الذين قدموا من أوربا وعاشوا فترة في البلاد الإسلامية قد اكتسبوا اللغة العربية(٤)، ولا شك أن هؤلاء عند عودتهم إلى بلدانهم لم ينسوا اللغة العربية التي اكتسبوها في البلاد الإسلامية وما نقلته مفرداتها إليهم من بعض المفاهيم الدينية عن الإسلام والتي كانوا يجهلونها قبل ذلك فنقلوها هم بدورهم إلى أفراد مجتمعاتهم في البلاد الأوربية.

ولكثرة المتحدثين باللغة العربية في بعض البلاد الأوربية، ولكثرة المقبلين على تعلمها أُتخذت لغة رسمية في بعض المناطق بجانب اللغات الأوربية.

ففي صقلية مثلاً كانت اللغة العربية إحدى اللغات الثلاث التي أقرتها الدولة

---

(١) سورة الصف، الآية: (٩).

(٢) انظر: العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، د. حسان حلاق، ص (١١٧).

(٣) انظر: رحلة ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني، ص (٢٩٨).

(٤) انظر: المطلب الأول من هذا المبحث.

في سجلاتها بجانب اليونانية واللاتينية[١].

وفي بعض المناطق التي زحف عليها النصارى في الأندلس كطليطلة وقرطبة والمناطق الشمالية والغربية وغيرها كانت هناك لغتان الإسبانية والعربية، بل إن بعض المفكرين الأوربيين المتعصبين تأسف كثيراً على هجر كثير من النصارى لغتهم اللاتينية وولعهم باللغة العربية وثقافتها[٢].

ولم يقتصر الإقبال على اللغة العربية من عامة الناس في أوربا، بل إن أعداداً من القادة الأوربيين تعلموها وتحدثوا بها رغبة منهم في الاطلاع على الحضارة الإسلامية ومن أبرز هؤلاء روجر الثاني[٣] وفريدريك الثاني في صقلية وقد قال ابن جبير عن الأخير: «ومن عجيب شأنه المتحدث به أنه يقرأ ويكتب بالعربية»[٤].

أما أعداد العلماء الأوربيين الذين حرصوا على اكتساب اللغة العربية وتعلمها والحديث بها بغرض ترجمة الكتب العربية كما سبق بيانه أكثر من أن يحصر في هذه الفترة.

ولذلك فإن شيوع اللغة العربية نسبياً في المجتمعات الأوربية وكثرة الإقبال على تعلمها جعل أحد رجال الدين النصارى في مجتمع فينا سنة ٧١٠هـ ـ ١٣١١م يدعو إلى إنشاء ست مدارس لتعليم اللغات الشرقية في أوربا[٥].

ولهذا الانتشار للغة العربية في أوربا ـ وكان للجهود الدعوية المختلفة التي بذلها المسلمون في هذه الفترة تجاه النصارى دور في ذلك ـ تسللت مئات الكلمات العربية إلى اللغات الأوربية خاصةً اللغتين الإنجليزية والإسبانية[٦].

---

(١) انظر: العرب في صقلية، د. إحسان عباس، ص (١٤٦).

(٢) انظر: الإسلام في إسبانيا، د. لطفي عبد البديع، ص (١١٠).

(٣) انظر: المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، أحمد توفيق المدني، ص (١٧٩).

(٤) رحلة ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني، ص (٢٩٨).

(٥) انظر: الحروب الصليبية، آرنست باركر، ترجمة د. السيد الباز العريني، ص (١٥٠).

(٦) انظر أمثلة على الكلمات الإنجليزية ذات الأصل العربي في: فضل الإسلام على الحضارة

و ـ ضعف سلطة الكنيسة وفقد الثقة بالبابا ورجال الدين النصارى:

كانت الكنيسة مهيمنة على الحياة العامة في أوربا محاربة لكل ما يهدد هذه الهيمنة من الملوك أو المفكرين.

فالبابا ـ وهو رأس الكنيسة ـ أصبحت بيده السلطة الدينية وحتى السياسية في هذه الفترة مما جعل المعاصرين يعتبرونه ملك الملوك وأمير الأمراء[١]؛ لنفوذه القوي على ملوك أوربا في تلك الفترة.

فكان من حق البابا أن يفرض الضرائب على رعايا الملوك وأن يحولها إلى روما، وكانت صكوك الغفران وصكوك الحرمان أداة للضغط بيده في مواجهة معارضيه[٢].

لذلك خضعت شعوب أوربا لسلطة الكنيسة التي دعت للقيام بالحروب الصليبية لتخليص الأماكن المقدسة من المسلمين، واستجابت الشعوب الأوربية لهذه الدعوة التي أطلقها البابا أوربان الثاني فضغطت على حكامها للمشاركة فيها فانطلقت الحملة الصليبية الأولى ثم ما تلاها بعد ذلك من حملات والتي لم يستطع بعض القادة الأوربيين المعارضين لها منعها أو حتى التخلف عن دعمها وتشجيعها[٣].

«فكان منظر الشعوب المختلفة الأشراف العظام والفرسان ذوي الكبرياء

الغربية، مونتجمري وات، ترجمة حسين أحمد أمين، ص (١١٥)، وما بعدها، وأمثلة على الكلمات الإسبانية ذات الأصل العربي في: الإسلام في إسبانيا، د. لطفي عبد البديع، ص (١١٢) وما بعدها.

(١) انظر: أوربا العصور الوسطى، د. سعيد عبد الفتاح عاشور (٢/ ٢١٦).

(٢) انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة محمد بدران، المجلد الرابع، الجزء الرابع، ص (٦٦).

(٣) انظر: الوجود الصليبي في الشرق العربي، فوشيه شارتر، ترجمة د. قاسم عبده قاسم، ص (٩٢) وما بعدها. وأثر العامل الديني في توجيه الحركة الصليبية، د. محمد صالح منصور، ص (١٧٥) وما بعدها.

والأباطرة والملوك في بعض الأحيان متحدين جميعاً للدفاع عن قضية دينية بزعامة الكنيسة»[١].

هذه الهيمنة الدينية والسياسية لسلطة الكنيسة تضاءلت كثيراً في أوربا بعد نهاية الحرب الصليبية، وقد قال أحد الكتاب الغربيين عن ذلك: «. . . وعظم سلطان الكنيسة وعلت مكانتها إلى أبعد حدٍ بسبب الحملة الصليبية الأولى ثم أخذت تضعف بالتدريج بسبب الحملات التي تلتها»[٢].

وما من شك أنه كان للجهود الدعوية المختلفة التي بذلها المسلمون في هذه الفترة من سفارة ورسائل ورسل ومخالطة وكتابة ولقاءات وجهاد أثر كبير في ذلك.

فهذا ملك فرنسا فيليب الثاني أغطس عندما طلّق زوجته وتزوج بأخرى أصدر البابا قرار الحرمان بحقه سنة ٦١٦هـ ـ ١٢٢٠م فلم يمتثل الملك الفرنسي وأعلن عصيانه للبابا وقال: ما أسعد صلاح الدين الذي ليس فوقه بابا. وهدد باعتناق الإسلام[٣].

ومما يوضح تململ كثير من ملوك أوربا وقادتها من سلطة الكنيسة ونقمتهم عليها، وكذلك ضعف مكانتها بالنسبة إليهم تأثراً بالمسلمين مناقشة الإمبراطور فريدريك الثاني ملك صقلية مع أحد الأمراء المسلمين حيث سأل الإمبراطور فريدريك الثاني الأمير المسلم عن أصل الخليفة العباسي فأخبره الأمير بأنه ابن عم النبيّ ﷺ. فقال الإمبراطور: «ما أحسن هذا، لكن هؤلاء قليلو العقل ـ يعني الفرنج ـ يأخذون رجلاً من المزبلة ليس بينه وبين المسيح نسبة ولا سبب، جاهلاً مذماً أحمقاً يجعلونه خليفة عليهم، قائماً مقام المسيح فيهم، وأنتم خليفتكم ابن عم نبيّكم»[٤].

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة محمد بدران، المجلد الرابع، الجزء الرابع، ص (٦٥).

(٢) المصدر السابق، الجزء الرابع، المجلد الأول، ص (٦٥).

(٣) المصدر السابق، الجزء الخامس، المجلد الرابع، ص (٢٢٦).

(٤) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، محمد بن سالم بن واصل، تحقيق د. حسنين محمد ربيع (٤/ ٢٥١).

بل إن هيبة الكنيسة ومكانتها قلت كثيراً حتى في نفوس العامة، وأدركت الشعوب الأوربية كذب ما يدعيه البابا من أنه نائب عن الله في الأرض وأنه معصوم عن الخطأ. فقلت الثقة به وسائر رجال الدين النصارى.

ومن الشواهد على ذلك مثلاً: أنه عندما دعا بعض الرهبان في أوربا إلى حملة صليبية جديدة سخر الناس منه وعمِد بعضهم إلى توزيع الصدقات على الفقراء باسم محمدﷺ على سبيل السخرية من هؤلاء الرهبان وذلك أن محمداًﷺ تفوق على المسيح في هذه الحروب[١].

بل إن بعض المثقفين والكتاب وحتى رجال الدين بدأوا بنقد بعض معتقدات الكنيسة الخاصة بالتثليث والعشاء الرباني وصكوك الغفران وغيرهما اعتماداً على شيء من أقوال علماء المسلمين في ذلك[٢].

كذلك ظهرت بعض الجماعات والفرق الدينية في أوربا التي تنادي بمحاربة الفساد المستشري بالكنيسة، بل والدعوة إلى معاداة رجال الدين وانتقاد بعض الطقوس النصرانية.

ومن ذلك مثلاً قيام أحد رجال الدين في جامعة أكسفورد في بريطانيا في هذه الفترة بحملة ضد بعض العقائد النصرانية حيث كان له أتباع ومؤيدون، وكان من أقواله: «إنه ليس ثمة ما هو أشبه بالوثنية من القربان عند المذبح»[٣].

ورجل آخر يدعى أبلار في الفترة نفسها نحى منحى عقلياً في تفسير بعض المعتقدات النصرانية، وكان له أتباع ومؤيدون الأمر الذي أغضب رجال الكنيسة في عصره حتى كفروه[٤]. وكان قد ألف كتاباً عن التثليث خالف فيه الاعتقاد

---

(١) انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة محمد بدران، المجلد الرابع، الجزء الرابع، ص (٦٧).

(٢) انظر: الخيبة الأدبية للسياسة الغربية في الشرق، أحمد رضا بك، ترجمة محمد بورقيبة وآخرين، ص (١٠١).

(٣) قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة محمد بدران، المجلد الرابع، الجزء السادس، ص (١٠٥).

(٤) انظر: المصدر السابق، الجزء السادس، المجلد الرابع، ص (٥٨) وما بعدها.

السائد في عصره بين في مقدمته أنه كتبه لطلابه قائلاً: «لأنهم كانوا على الدوام يبحثون عن المعقول وعن الشروح الفلسفية ويسألون عما يستطيعون فهمه من الأسباب لا عن الألفاظ دون غيرها ويقولون: إن من العبث أن ينطق بألفاظ لا يستطيع العقل تتبعها، وأنه لا شيء يمكن تصديقه إلا إذا أمكن فهمه أولاً، إن من أسخف الأشياء أن يعظ إنسان غيره بشيء لا يستطيع هو نفسه أن يفهمه ولا يستطيع من يسعى لتعليمهم أن يفهموه»(١).

وقد أشار صاحب قصة الحضارة إلى كثرة المشككين في هذه الفترة في صحة بعض المعتقدات الكنسية وطقوس الديانة النصرانية وأن ذلك مرده بشكل كبير إلى تأثير ما ترجم من الكتب العربية إلى اللغات الأوربية(٢).

وقال أيضاً في موضع آخر عن ذلك: «... ولقد لاحظنا من قبل وجود نزعة عدم الإيمان بين أقلية ضئيلة من سكان أوربا وزادت هذه الأقلية في القرن الثالث عشر على أثر اتصال الأوربيين بالمسلمين عن طريق الحروب الصليبية وتراجم الكتب العربية، ولما تبين الأوربيون وجود دين عظيم أخرج رجالاً عظاماً مثل صلاح الدين... كان ذلك في حد ذاته كشفاً اضطربت له نفوسهم...»(٣).

وإشارة إلى شدة ضعف الكنيسة وانحسار نفوذها في المجتمع الأوربي بعد الحروب الصليبية قال أحد الكتاب الغربيين: «... لقد فشل البابا نقولا في إثارة الغرب بعد سقوط طرابلس، كما أنه كان بالغ العجز بعد الكارثة الكبرى التي حلت بعكا...»(٤).

وبطبيعة الحال فإن هذا العجز راجع إلى اضمحلال مكانة الكنيسة ورجال الدين لدى طبقات المجتمع الأوربي مقارنة بالقوة التي كانت عليها الكنيسة عند

---

(١) المصدر السابق، الجزء السادس، المجلد الرابع، ص (٧٦).

(٢) انظر: المصدر السابق، الجزء السادس، المجلد الرابع، ص (١٠٥ ـ ١٠٦).

(٣) المصدر السابق، الجزء السادس، المجلد الرابع، ص (١٠٤).

(٤) تاريخ الحروب الصليبية، ستيفن رانسيمان، ترجمة د. السيد الباز العريني (٣/ ٧٢١).

بداية الحروب الصليبية وتأثيرها البالغ في حشد مختلف قوى المجمع الأوربي ضد المسلمين.

وهذا بلا شك كان من أسبابه الجهود الدعوية المختلفة التي بذلها المسلمون تجاه النصارى في فترة الحروب الصليبية.

المبحث الثاني

أوجه الاستفادة من دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية في الوقت الحاضر

تمهيـــد

إن فترة الحروب الصليبية التي امتدت مائتي سنة تمثل حلقة مهمة من حلقات التاريخ الإسلامي تميزت بأحداثها الجسام، واجهت فيها الأمة الكثير من التحديات في الداخل والخارج.

وكان أبرز أحداث هذه المرحلة تسلط النصارى على بلاد المسلمين ومواجهة الأمة لهذا العدوان وحشد إمكانياتها في مختلف الجوانب ـ ومنها الجانب الدعوي ـ لرده ودفعه عن البلاد الإسلامية.

بل إن الجانب الدعوي الموجه إلى النصارى يعد علامة بارزة في مواجهة هذا العدوان وسبب رئيسي في قمعه وصده عن البلاد الإسلامية بل إنه أدى إلى تحول عداء كثير من النصارى إلى مهادنة للمسلمين وإعجاب من بعضهم بالحضارة الإسلامية حتى وصل الأمر بالكثيرين منهم إلى اعتناق الإسلام.

ولا شك أن دراسة هذه الفترة من الجانب الدعوي فيها الكثير من العبر والدروس التي يمكن للأمة أن تفيد منها في عصرها الحاضر.

والصفحات التالية استجلاء لبعض أوجه الاستفادة من دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية والتي يمكن للأمة الإفادة منها في العصر الحاضر.

أولاً: وجوب الحذر من كيد أعداء الإسلام في كل زمان ومكان وإن اختلفت الوسائل وتنوعت الأساليب:

إن كيد أعداء الإسلام منذ مبعث النبيّ ﷺ إلى الوقت الحاضر للمسلمين

حقيقة لا تقبل الشك، وأمر واقع تؤيده شواهد التاريخ. ومبعث ذلك حقدهم على هذا الدين وأتباعه ورغبتهم الشديدة في تحجيم نفوذه بل والقضاء عليه وإزالته من واقع الحياة، ولكن هيهات لن يفلحوا أبداً كما قال سبحانه وتعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾[(١)].

فبعد ما بدأ النبيّ ﷺ الدعوة لهذا الدين في مكة وقف المشركون فيها أمامه ﷺ عقبة كأداء يمنعونه من تبليغ دعوته ويحذرون منه ويصرفون الناس عنه بل تحول الأمر إلى إيذاء معنوي وحسي حتى أظهره الله عليهم بهجرته إلى المدينة، ثم واجه بعد ذلك اليهود والمنافقين الذين ما لبثوا بمكرهم وحيلهم يكيدون للمسلمين حتى فضحهم الله وأذلهم ونصر رسوله وأعلى كلمته.

وبعد انتقال النبيّ ﷺ للرفيق الأعلى واجه المسلمون كيد أعداء آخرين من المجوس والنصارى. حيث اضمحل العداء المجوسي بشكل كبير بعد القضاء على دولة الفرس. أما الكيد النصراني فلا يزال إلى الوقت الحاضر ابتداءً من حروب المسلمين في صدر الإسلام مع الروم ثم مع الدولة البيزنطية خلال فترة الدولتين الأموية والعباسية في صدرها الأول. بعد ذلك عصر الحروب الصليبية في المشرق وفي الأندلس ثم حروب الدولة العثمانية في أوربا، ثم ما يسمى بحركة الاستعمار الحديث التي قامت بها دول أوربا النصرانية لبلاد المسلمين.

حيث يظهر من ذلك أن النصارى منذ مبعث النبيّ ﷺ إلى الوقت الحاضر أكثر أعداء الإسلام خطراً وأقواهم أثراً على الإسلام والمسلمين؛ لقوتهم العسكرية وكثرتهم العددية وطول فترة الصراع معهم، والتي كانت فترة الحروب الصليبية حلقة من حلقاتها ظهر فيها الحقد الديني النصراني ضد المسلمين بشكل حملات عسكرية أعلن فيها القواد النصارى عداءهم للإسلام ورغبتهم الشديدة في القضاء على المسلمين[(٢)]، بل إن شدة الحقد ببعض قوادهم دفعته إلى أن يسير

---

(١) سورة الصف، الآية: (٨).

(٢) انظر: الفصل التمهيدي، المبحث الرابع، المطلب الأول.

حملة للمدينة المنورة لينبش قبر المصطفى ﷺ[١].

وبعد مائتي سنة من الصراع العسكري في فترة الحروب الصليبية وكذلك ما سبقها من صراع وفشل النصارى في تحقيق أهدافهم قرروا تغيير سياستهم في الكيد للمسلمين وحربهم فاستبدلوا الحرب العسكرية بما يسمى بالتبشير وإرسال حملات كبيرة إلى البلاد الإسلامية أفرادها من المبشرين وليس العسكريين. فتحول الصراع بذلك من صراع عسكري إلى صراع فكري أقوى تأثيراً وأشد خطراً.

ومن ذلك مثلاً ما قام به أحد رجال الدين النصارى قبيل نهاية فترة الحروب الصليبية حيث قام هذا الرجل واسمه ريموند لول بإنشاء معاهد ومدارس بالأندلس سنة ٦٧٥هـ وذلك بغرض إعداد رجال مؤهلين للعمل التنصيري بين المسلمين[٢].

بل إن لول قام بنفسه سنة ٦٩٣هـ بالتجوال في تونس بغرض حث المسلمين على اعتناق النصرانية وزعزعة الثقة لديهم بالدين الإسلامي حيث فشل في مهمته وعاد أدراجه إلى إيطاليا مما دعاه أن يلح على البابا في روما أن يتبنى سياسة التنصير في البلاد الإسلامية فأصدر الأخير قراراً ينص على أن تعمل الكنيسة على كسب المسلمين وأرضهم بواسطة دراسة لغتهم والتنصير بينهم[٣].

ومنذ ذلك الوقت إلى العصر الحاضر والإرساليات النصرانية الدينية تفتتح في كثير من بلاد المسلمين ناهيك عن المؤسسات التي تتخذ ستارات أخرى وتبدو بمظهر مؤسسات تعليمية ثقافية أو صحية أو غير ذلك وهدفها في النهاية هدف الحملات العسكرية السابقة التي فشلت في تحقيقه ألا وهو حرب الإسلام وتنصير المسلمين والسيطرة على بلادهم وخيراتهم.

---

(١) انظر: السلوك لمعرفة دول الملوك، أحمد بن علي المقريزي، تحقيق محمد مصطفى زيادة (١/ ٧٨ ـ ٧٩).

(٢) انظر: أثر العامل الديني في توجيه الحركة الصليبية، د. محمد صالح منصور، ص (٢٣٦ ـ ٢٣٧).

(٣) انظر: المرجع السابق، ص (٢٣٧).

إن في ذلك درس للأمة في عصرها الحاضر لتعي الأهداف الحقيقية للنصارى تجاه المسلمين وألا تنخدع بشعاراتهم التي تخفي وراءها الكيد للإسلام والمسلمين.

إن ما تثيره كثير من المؤسسات والجمعيات في الوقت الحاضر في بلاد الغرب ضد الإسلام والمسلمين تحت شعارات براقة من حرية وتمدن ومساواة وحقوق للإنسان وحقوق للمرأة وغير ذلك ويلقى له صدىً واسعاً في البلاد الإسلامية من المنخدعين بهذه الشعارات هدفه ولا شك القضاء على الإسلام وإقصاؤه من واقع الحياة، واستبدال تعاليمه السمحة بقوانين وأنظمة تحقق أهداف الغرب النصراني في بلاد الإسلام.

إن هذه الشعارات غطاء براق لأهداف خبيثة تمكن الغرب من خلالها من التأثير على بعض المجتمعات الإسلامية فأبعدها عن دينها وأخلاقها حتى أفقدها تميزها بل أصبحت لا تختلف كثيراً عن المجتمعات الكافرة في بلاد الغرب.

إن نصارى اليوم هم أبناء نصارى الأمس، وأهدافهم الخبيثة لم تتغير تجاه الإسلام والمسلمين وإن تغيرات الأساليب وتنوعت الوسائل. بل إن الحقد النصراني ضد الإسلام والمسلمين في العصر الحاضر يظهر أحياناً بشكل صريح من بعض قادتهم وزعمائهم.

فهذا قائد قوات الحلفاء عندما دخل القدس سنة ١٣٣٥هـ ـ ١٩١٧م قال: «الآن انتهت الحروب الصليبية يا صلاح الدين»[١].

وعندما دخل القائد الفرنسي دمشق سنة ١٣٣٨هـ ـ ١٩٢٠م جاء إلى قبر صلاح الدين وركله برجله قائلاً: «ها نحن عدنا يا صلاح الدين»[٢].

وعبر أحد المسؤولين الغربيين[٣] عن هذا العداء الصريح للإسلام بقوله:

---

(١) المرجع السابق، ص (٣٢٤).

(٢) المرجع السابق، ص (٣٢٥).

(٣) هو دان كويل أحد كبار المسؤولين في الحكومة الأمريكية في بداية التسعينات الميلادية.

«إن أخطر ثلاث حركات في القرن العشرين هي النازية والشيوعية والحركة الإسلامية»[١].

وبطبيعة الحال فقد انتهت النازية وتفككت الشيوعية ولم يبق إلا الإسلام.

وقال أحد الكتاب النصارى[٢] معبراً عن هذا الحقد: «إنه لا يمكن حدوث مصالحة بين العالم المتمدن والإسلام؛ لأنه دين وثني وعدواني وعنيف ومتشدد مثل البولشفية والفاشية والنازية»[٣].

وقال أحد المسؤولين الغربيين[٤]: «إن الإسلام يمثل تهديداً كبيراً للاستقرار العالمي»[٥].

وأُعلن عن هذا العداء السافر للإسلام بشكل لا يقبل التأويل في تصريحات زعماء الصرب خلال محنة المسلمين في البوسنة والهرسك حيث قال وزير إعلامهم في تلك الفترة: «إن القوات الصربية التي تذبح المسلمين وتبيدهم تؤدي دور فرسان الصليبيين الذين ذهبوا لتخليص بيت المقدس من أيدي المسلمين إبان الحروب الصليبية»[٦].

وقال زعيم الصرب في كوسوفو في الفترة نفسها: «الصرب حاربوا هنا لإنقاذ أوربا من الإسلام، وما زلنا نحارب لمنع الإسلام من الانتشار في قلب أوربا»[٧].

وما دعم الغرب النصراني لليهود وتوطينهم في فلسطين إلا من منطلق العداء للإسلام وتكوين قاعدة له في البلاد الإسلامية.

---

(١) جريدة الأهرام المصرية، (١٠/٩/١٩٩٢م).

(٢) هو الكاتب الأمريكي المعاصر عاموس بيرلماتر.

(٣) جريدة الأهرام المصرية، (١٠/٩/١٩٩٢م).

(٤) هو ريتشارد شيفتر من كبار المسؤولين في وزارة الخارجية الأمريكية في بداية التسعينات الميلادية.

(٥) جريدة الأهرام المصرية، (١٠/٩/١٩٩٢م).

(٦) جريدة الشرق الأوسط السعودية (٧/٩/١٩٩٢م).

(٧) جريدة الأهرام المصرية، (٧/٩/١٩٩٢م).

هذا ما يظهر من زعماء نصارى اليوم ومفكريهم وما تخفي صدورهم أكثر.

إن مهمة القادة الصالحين والدعاة الناصحين في الوقت الحاضر أن يبصروا الأمة بمخططات أعدائها ووسائلهم وحيلهم وأن يحذروا المسلمين من الوقوع في حبائل أعدائهم أو أن ينخدعوا بدعاواهم وشعاراتهم؛ لتحافظ الأمة على دينها وأخلاقها وتتمكن من صد الحملات الشرسة الموجهة إليها من الأعداء في مختلف المجالات.

ولا يعني بطبيعة الحال الحذر من مخططات الأعداء مقاطعتهم ورفض كل ما يأتي من قبلهم، بل تقتضي الحكمة الاستفادة من كل ما يمكن الاستفادة منه مما في الخير للأمة في تقدمها ورقيها وقوتها حتى وإن كان من الأعداء على أن يكون ذلك وفق الضوابط الشرعية فلا يؤثر من قريب أو بعيد على الدين والأخلاق.

ثانياً: وجوب الدعوة على بصيرة ودور العلماء في ذلك:

لا شك أن العلماء الصادقين الناصحين هم مشاعل النور للأمة في كل وقت، وهم بما آتاهم الله من علم حراس للأمة يرشدونها إلى الهدى ويدلونها على الخير ويحذرونها مما قد يطرأ من خلل في شتى أمورها.

وبغياب دور العلماء يجتهد من ليس له الأهلية في التوجيه وإن كان ذلك بحسن نية وسلامة قصد، ولكنه باجتهاده المفتقر إلى العلم قد يورد الأمة إلى المهالك ويوقعها في الخطر.

وبغياب دور العلماء أيضاً يجد أصحاب الأهواء والمناهج الباطلة فرصتهم في تحقيق مآربهم فيسعون جاهدين إلى نشر الباطل وتزيينه وتغرير الأمة به.

وفي فترة الحروب الصليبية ظهر جلياً في كثير من المواقف دور العلماء في ضبط كثير من الأمور وفق المعيار الشرعي خصوصاً ما يتعلق ببعض الجهود الدعوية. وظهر كذلك أثر غيابهم أو قلة نشاط البعض منهم في ظهور الخلل في مثل هذه الجهود.

فمن الأمثلة على أثر توجيه العلماء في تصحيح بعض المواقف ما كان منهم تجاه ما رأوه من عزم عامة أهل عكا حينما اشتد بهم حصار الصليبيين وتعذر ناصرهم فهموا أن يجمعوا نساءهم وأطفالهم في مسجد المدينة ويقتلونهم ثم يزحفون على الصليبيين بسيوفهم ورماحهم حتى يقضي الله بينهم، ولما كان أهل عكا على وشك تنفيذ ما عزموا عليه منعهم العلماء من ذلك وبينوا لهم عدم جوازه وأن تسليم البلد مع الأمان لأنفسهم أولى لهم بل هو المتعين في حقهم[1].

وفي المقابل موقف آخر يتضح من خلاله أثر غياب دور العلماء الناصحين في الضبط والتوجيه.

ذلك الموقف هو غضب العامة في بغداد لإخوانهم المسلمين في بلاد الشام خلال صلاة الجمعة حيث سار الناس وخرجوا في شوارع المدينة قاصدين دار السلطان وما صاحب ذلك من شغب واضطراب خرج عن الضبط[2].

إن في هذين المثالين من عصر الحروب الصليبية وغيرهما كثير درس عظيم للأمة في عصرها الحاضر خصوصاً مع كثرة المشتغلين بالدعوة من الأفراد والمؤسسات واختلاف المناهج وتباين الوسائل والأساليب حتى وصل الأمر بالبعض إلى استعمال ما لا يحل منها بدعوى سلامة الغاية وسمو الهدف، أو بتأويلات سقيمة سوغوا بها استعمال مثل ذلك.

وفي هذا السياق أيضاً ما يلاحظ في العصر الحاضر من انتشار الرغبة في الخير لدى عامة المسلمين وحرص الكثيرين منهم في البلاد الإسلامية على خدمة هذا الدين والدعوة إليه والمطالبة بقوة إلى تحكيمه والعودة إليه.

ونتيجة لغياب دور العلماء الصادقين الناصحين سلك الكثيرون منهم طرقاً شتى لتحقيق هذه الغاية انحرفوا من خلالها نتيجة لجهلهم وغياب التوجيه عنهم

---

(١) انظر: الفصل الثاني، المبحث الثالث، ص ٣٨٠.

(٢) انظر: الفصل الثاني، المبحث الثالث، ص ٣٨٠.

مما أوقعهم في الكثير من الفتن، فأساؤوا لشعوبهم وأوطانهم من حيث أنهم أرادوا الإصلاح، بل إنهم في بعض الجهات قدموا صورة مشوهة للإسلام تنفر منه وتصد عنه.

لذلك يظهر جلياً حاجة الأمة في عصرها الحاضر للعلماء المخلصين الناصحين الذين يوجهون بعلمهم الأمة في سائر أمورها خصوصاً فيما يتعلق بالنواحي الدعوية فتسلم بذلك كثير من المجتمعات الإسلامية مما تعيشه من فتن واضطراب نتيجة لذلك، وتنجح الجهود الدعوية المختلفة والتي يعوقها نقص التوجيه السليم.

ثالثاً: أهمية العمل الدؤوب وعدم استعجال النتائج خاصةً في المجال الدعوي:

إن أي عمل يقاس نجاحه بمدى تحقق النتائج المرجوة منه، إلا أن هذه النتائج تختلف سرعة تحققها تبعاً لطبيعة هذه الأعمال.

فالبعض من الأعمال تظهر نتائجها مباشرة بعد الانتهاء من تنفيذها ويمكن الحكم على نجاحها من عدمه من خلال هذه النتائج. والبعض الآخر يتأخر ظهور آثارها وتحقق نتائجها سنوات وسنوات بل ربما يصل إلى عقود وأجيال.

وإن الخلط في التخطيط بين هذين النوعين من الأعمال أو النظر إلى أي منها بمنظار الآخر يؤثر تأثيراً سلبياً على نجاح نتائجها.

والأعمال الدعوية في غالبها من الأعمال التي يستغرق تحقق نتائجها وقتاً طويلاً كي تكون هذه النتائج مؤثرة وليست ذات تأثير وقتي ينتهي بزوالها.

والأمثلة من تاريخ الدعوة الإسلامية تؤكد ذلك وتؤيده:

فهذا مثلاً نوح عليه السلام مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وإبراهيم عليه السلام ثابر على دعوة قومه في أرض بابل وقتاً طويلاً ولم يجد منهم استجابة ثم هاجر إلى حران ودعا أهلها فوجدهم أشد جحوداً وعصياناً، وطوال هذه المدة لم يؤمن له سوى ابن أخيه لوط عليه السلام وزوجه سارة.

وهكذا حال كثير من الأنبياء مع أقوامهم.

ثم جاء محمدﷺ الذي مكث في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو إلى التوحيد ويرشد إلى هذا الدين القويم وكانت النتائج مع ذلك بطيئة ومحدودة، لكنها ذات أثر عميق، ثم كانت الهجرة وظهرت آثار دعوته في العهد المكي بشكل واضح ومؤثر نتج عنها بناء الدولة الإسلامية في المدينة ثم توسعها لتشمل الجزيرة العربية، لتقضي بعد ذلك في عهد الخلفاء الراشدين على دولتي الفرس والروم وتمتد إلى مناطق شاسعة.

وفي فترة الحروب الصليبية التي امتدت إلى مائتين سنة كانت هناك طوال هذه الفترة أعمال دعوية مختلفة موجهة إلى النصارى وكان لها نتائج مباشرة وسريعة كإسلام بعض النصارى بسبب مناظرة أو كتاب أو دعوة فردية، أو إعجاب من بعضهم بالإسلام أو كفٍ للأذى من البعض الآخر.

لكن هذه الجهود المختلفة بالإضافة إلى نتائجها المباشرة سريعة الظهور فإن لها نتائج أعمق وأكثر تأثيراً لم تظهر إلا بعد أجيال وأجيال.

فمن ذلك مثلاً: أعمال صلاح الدين في جهاد الصليبيين وطردهم من بلاد الإسلام وإعلاء راية هذا الدين والتي نتج عنها تحرير المسجد الأقصى وحصر النصارى في شريط ساحلي ضيق في بلاد الشام.

هذه الأعمال ما كانت ابتداءً من صلاح الدين؛ وإنما هي إتمام لما بدأه عماد الدين زنكي ثم ابنه نور الدين محمود حيث استمرت لأكثر من ثمانين سنة ابتداءً من قدوم الصليبيين وبداية تكوين الوحدة الإسلامية على يد عماد الدين زنكي ثم إتمامها في عهد نور الدين محمود ثم تقويتها واستثمارها في عهد صلاح الدين واستعادة المسجد الأقصى سنة ٥٨٣هـ. وما نتج عن هذه الفترة الدعوية الطويلة أيضاً من تغير في وجهة نظر كثير من النصارى الأوربيين حول الإسلام وإعجاب البعض منهم بتشريعاته وأحكامه.

لا شك إن ذلك ما كان وليد أعمال دعوية في فترة محدودة، وإنما هو نتيجة لجهود عظيمة بذلت في فترة زمنية طويلة، هذه الجهود أثرت بمجموعها في

نجاح عملية الجهاد ضد النصارى في البلاد الإسلامية، وأثرت كذلك إيجابياً على العقلية الأوربية النصرانية في تلك الفترة تجاه الإسلام والمسلمين.

بل إن آثار تلك الجهود الدعوية المختلفة التي بذلت في عهد الحروب الصليبية أو قبله أو بعده لا تزال ممتدة إلى الوقت الحاضر، فالاستفادة مما سطره العلماء مستمرة كلما اطلع عليها باحث واستفاد منها واستثمرها في دعوة غير المسلمين أو إزالة شبهة أو إبراز لمحاسن هذا الدين أو غير ذلك.

إن أعظم درس في ذلك للعاملين في مجال الدعوة أفراداً ومؤسسات في الوقت الحاضر هو عدم استعجال النتائج والحكم على الأعمال بالفشل والقنوط من عدم الاستجابة وتثبيط الهمم لقلة الإقبال على الخير خصوصاً فيما يتعلق بالأعمال الدعوية في بلاد الكفر.

فلا يستهان مثلاً بأثر المراكز الإسلامية المنتشرة في البلاد الكافرة ولو لم يكن لها من الأنشطة إلا إقامة الصلاة فيها، ولا يقلل من أثر النشرات والكتيبات الدعوية التي تعرض الإسلام عرضاً صحيحاً وتزيل الشبه وتخاطب الشعوب الكافرة بلغاتها الأصلية. ولا يقلل أيضاً من شأن الدورات العلمية التي تقام بين غير المسلمين فإن آثارها الحقيقية لا تظهر إلا بعد أجيال وأجيال.

ومما يؤكد ذلك ما يشاهد في العصر الحاضر من انتشار الإسلام في البلاد غير الإسلامية وإقبال الكثيرين على اعتناقه. ولا شك إن ذلك ليس وليد أعمال دعوية وقتية فحسب بل نتاج أعمال مختلفة عايشها غير المسلمين في بلادهم لفترة طويلة فكان لها هذا التأثير.

رابعاً: إن الدعوة على منهج سليم أساس لتحقيق النجاح المأمول:

إن من أهم الدروس المتكررة في تأريخ الأمة هو أن نجاح الجهود الدعوية وتحقيقها لأهدافها مرهون بسلامة المنهج المتبع، وكل خلل بالمنهج يعود أثره سلباً على تحقيق النتائج.

وفي عصر الحروب الصليبية كان ولا شك هناك جهود دعوية كبيرة من العلماء والقادة تجاه النصارى ـ كما سبق بيانه ـ بداية من وصول الصليبيين إلى

البلاد الإسلامية حتى رحيلهم منها. وكان لهذه الجهود الأثر الملموس في إسلام بعض النصارى، أو تغيير نظرتهم للإسلام والمسلمين، أو إعجاب البعض منهم بالحضارة الإسلامية، أو انتقال شيء من أخلاق المسلمين وعاداتهم إليهم.

لكنه في واقع الأمر قد شاب مناهج بعض العلماء في دعوتهم للنصارى شيء من التأثر بالطرق الكلامية؛ فبنوا نقاشاتهم وردودهم ومحاوراتهم مع النصارى في كثير من الأحيان على شيء من قواعد المتكلمين خصوصاً ما يتعلق بالدعوة إلى التوحيد مما كان له أثره سلباً في تحقيق هذه الجهود النتائج المرجوة.

ومن الأمثلة على ذلك تأثر الجعفري في بعض ردوده ومناقشاته مع النصارى بمنهج الأشاعرة في باب الصفات، فلا يثبت إلا سبع صفات، فيبني بعض هذه الردود على هذا الأساس(١).

وكذلك نفيه أن يكون للشيء من أفعال الله تعالى علة مشتملة على حكمة تقتضي إيجاد الفعل من عدمه وأن ذلك من لوازم التنزيه(٢).

وجعله أيضاً الحركة والسكون من أدلة حدوث العالم ومن ثم فإن الله جلّ وعلا له يجوز عليه شيء من ذلك ونفيه على هذا الأساس صفة النزول والاستواء وما شابه ذلك.

فمن خلال طريقته هذه التي ناقش على أساسها النصارى عطل صفات الباري سبحانه وتعالى(٣).

يضاف إلى ذلك شيوع بعض مفردات المتكلمين في ثنايا مناقشاته وردوده كلفظ القديم والجوهر وغيرها(٤).

---

(١) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح (١/ ٣٥٧).

(٢) انظر: المصدر السابق (١/ ٣٧٩).

(٣) انظر: المصدر السابق (٢/ ٦٠٩).

(٤) انظر: أمثلة على ذلك في المصدر السابق.

ولم يسلم القرافي من التأثر بهذا المنهج حيث يظهر ذلك مثلاً في معرض رده على شبهة لأحد النصارى الذي مثل قولهم: «باسم الأب والابن وروح القدس» بقول المسلمين: «بسم الله الرحمن الرحيم».

حيث كان رد القرافي على هذا النصراني على أساس طريقة المتكلمين من إنكار بعض الصفات وتعطيل معاني بعضها أورد معاني البعض منها إلى البعض الآخر واقتصاره أيضاً على الصفات السبع التي يثبتها الأشاعرة وهي العلم والإرادة والقدرة والحياة والكلام والسمع والبصر. ثم تفسيره لكلام الله جلّ وعلا بالكلام النفسي[1]. وأن موسى عليه السلام سمع من الله الكلام النفسي القائم بذاته سبحانه من غير حرف ولا صوت وذلك في معرض رده على استدلال النصراني على عقيدة الاتحاد بوقوع كلامه جلّ وعلا على الشجرة فاتحد معها[2].

حيث يظهر الاضطراب والغموض في رد القرافي بناءً على الطريقة التي انتهجها فلا هو أزال شبهة النصراني ولا هو عرض له معتقد المسلمين في كلام الله جلّ وعلا عرضاً صحيحاً سليماً وفق النصوص الشرعية الثابتة.

وكذلك القرطبي أيضاً في ردوده ومناقشاته مع النصارى قد تأثر بهذا المنهج. ففي بيانه لشيء من محاسن الإسلام فيما يتعلق باعتقاد المسلمين سلك إحدى طرق المتكلمين وهي النفي المفصل والإثبات المجمل فقال عن اعتقاد المسلمين في الله سبحانه وتعالى: «... فليس بجسم ولا يحل في الأجسام، ولا جوهر ولا يحل في الجواهر، ولا عرض ولا تحله الأعراض...»[3]، ومعلوم أن طريقة السلف في ذلك إثبات مفصل ونفي مجمل كما قال سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[4].

---

(١) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (٣٥).

(٢) انظر: المصدر السابق، ص (٩٠ ـ ٩١).

(٣) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٤٤٠).

(٤) سورة الشورى، الآية: (١١).

كذلك جرى القرطبي مجرى الأشاعرة في باب الصفات، فشاب بعض مناقشاته للنصارى التأثر بذلك[1].

وفي رده كذلك على قول أحد قساوسة النصارى إن موسى سمع الله وكلمه تكليماً قال: «إن الله تعالى كلم موسى بكلامه الذي هو صفته وسمعه موسى بالإدراك الذي خلقه الله له»[2]. فأول القرطبي كلام الله بأنه كلام نفسي، وأنكر أن يكون الله سبحانه وتعالى متكلماً بحرف وصوت، ثم استطرد في مناقشاته لهذا القسيس في تلك القضية على أساس هذا المنهج.

وكثير من العلماء المسلمين الذين ترجمت بعض كتبهم إلى لغات الفرنج واطلع عليها بعض قادتهم وعلمائهم وأبدى بعضهم إعجابه بها، كبعض مؤلفات ابن رشد الحفيد كانت هذه المؤلفات ذات صبغة فلسفية صورت بعض المفاهيم الإسلامية بصورة بعيدة عن الوضوح.

حيث يظهر الأثر السلبي لبناء مناقشات المسلمين وردودهم وحواراتهم مع النصارى على شيء من قواعد المتكلمين وأساليبهم في كون هذه المناقشات والردود والحوارات لم تؤد في كثير من الأحيان إلى الوصول للغاية المرجوة وهي إيضاح الحق للنصارى وإقناعهم فيه؛ بل إنها أدت إلى الغموض والحيرة والاستطراد في نقاش قضايا لا سبيل إلى الإيمان بها إلا من خلال النص والوقوف عند دلالته.

وهذا الغموض ولا شك هو من سمات العقائد النصرانية المحرفة كالتثليث والخطيئة وما شابه ذلك، وهو الذي أدى بمفكريهم أن يعدوها قضايا خارجة عن التصور البشري.

فانتقل هذا الغموض بسبب استخدام مناهج المتكلمين من قبل بعض علماء المسلمين إلى القضايا مدار النقاش مع النصارى؛ فعرضت بعض المفاهيم

---

(١) انظر مثلاً: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ص (٤٤٠).

(٢) المصدر السابق، ص (١٠٦ ـ ١٠٧).

الإسلامية عرضاً مشوهاً غامضاً مما قلل من دواعي الاستجابة والاقتناع.

وفي العصر الحاضر وعلى ساحة الأمة الإسلامية ما أكثر العلماء والدعاة والمفكرين العاملين في مجال الدعوة، وما أكثر المؤسسات الدعوية العاملة في هذا المجال، ومع ذلك فإن النتائج ليست بقدر الجهود المبذولة.

إن من أهم أسباب ذلك ولا شك اختلاف المناهج وتعددها وبعدها بدرجات مختلفة عن منهج السلف في الدعوة.

إن على العاملين في مجال الدعوة أفراداً ومؤسسات أن يأخذوا العبرة من تاريخ الأمة ولا سيما فترة الحروب الصليبية فيعلموا أن سلامة المنهج من أعظم أسباب النجاح فيعودوا بمناهجهم وأساليبهم وطرقهم في الدعوة وفق منهج السلف الصالح، ذلك المنهج المنضبط بتعاليم الشرع المطهر. عند ذلك ستحقق النتائج المرجوة بإذن الله وستنجح الجهود الدعوية كما نجحت في صدر تاريخ هذه الأمة.

خامساً: أهمية العناية بشؤون الأقليات الإسلامية في البلاد الكافرة والأثر الإيجابي لذلك على المدى الطويل:

إن المسلمين الذين يعيشون في ظل دولة غير مسلمة لا شك أنهم على خطر عظيم يتهدد وجودهم، وإن لم يتهيأ لهم عون ومدد يساعدهم على حفظ هويتهم الإسلامية فمآلهم إلى الاضمحلال.

وشواهد التاريخ ناطقة بذلك.

فعندما آل النفوذ السياسي في صقلية للأوربيين واضمحلت قوة المسلمين فيها سنة ٤٨٤هـ[(١)] بقيت جموع كثيرة من المسلمين في هذه الجزيرة تحت سلطة النصارى حتى سنة ٦٤٧هـ تقريباً حينما أخرجوا من آخر مناطقهم في مدينة نصيرة

---

(١) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٨/ ٣٤٥).

ثم مالطة بعد ذلك حيث هجّرهم النصارى إلى شمال إفريقيا فخلت البلاد منهم تماماً[1].

وقد زار الرحالة ابن جبير كثيراً من المناطق الإسلامية في صقلية في نهاية القرن السادس الهجري وهي تحت سيطرة النصارى واطلع على أحوالهم وأشفق على وضعهم فيها وما يلاقيه كثير منهم نتيجة لقلة الناصر واندماج أعداد منهم في المجتمع النصراني[2].

وكذلك الحال بالأندلس حينما زال كيان المسلمين السياسي بسقوط غرناطة سنة ٨٩٧هـ[3]. حيث بقيت أعداد كبيرة من المسلمين تحت سلطة النصارى أطلق عليهم ـ المدجنون ـ أو الموركسيون[4].

هذه الأعداد الكبيرة استضعفهم النصارى في الأندلس بعد ذلك فعقدوا لهم محاكم التفتيش وأجبروهم على التنصر أو ترك البلاد إلى المغرب أو القتل؛ حتى لم يبق منهم بقية في بلاد الأندلس إلا أشتاتاً يعبدون الله خفية.

قال صاحب نفح الطيب: «... ثم إن النصارى نكثوا العهد ونقضوا الشروط عروة عروة، إلى أن آل الحال لحملهم المسلمين على التنصر سنة أربع وتسعمائة»[5]، ثم قال: «ثم بعد ذلك كله كان من أظهر التنصر من المسلمين يعبد الله خفية ويصلي فشدد عليهم النصارى في البحث حتى أنهم أحرقوا منهم كثيراً بسبب ذلك ومنعوهم من حمل السكين مراراً ولم يقيض الله لهم ناصراً إلى أن

---

(١) انظر: المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، أحمد توفيق المدني، ص (١٨٢ - ١٨٣).

(٢) انظر: رحلة ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني، ص (٣١٣).

(٣) انظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الطيب، أحمد بن محمد المقري، تحقيق د. إحسان عباس (٤/ ٥٢٥).

(٤) انظر: التاريخ الأندلسي، د. عبد الرحمن علي الحجي، ص (٥٦٨)، وما بعدها، وص (٥٧٣).

(٥) نفح الطيب من غصن الأندلس الطيب، أحمد بن محمد المقري، تحقيق د. إحسان عباس (٤/ ٥٢٧).

كان إخراج النصارى إياهم بهذا العصر القريب أعوام سبعة عشر وألف، فخرجت ألوف بفاس وألوف أخرى بتلمسان من وهران وجمهورهم خرج بتونس»[١].

وبطبيعة الحال فإن خلو الأندلس من المسلمين بعد اضمحلال نفوذهم السياسي فيها ناتج عن أمرين هما: استجابتهم لضغوط النصارى النفسية والعسكرية عليهم فتركوا ديارهم وهجروها فخلت بعد ذلك من المسلمين وتمكن النصارى منها.

والأمر الثاني: ضعف اتصال المسلمين في بقية البلاد الإسلامية خصوصاً في شمال إفريقيا بإخوانهم المسلمين في الأندلس وعجزهم عن مد يد العون لإخوانهم.

ولو كان لهم مدد ونجدة لساعدهم ذلك كثيراً على الصمود والبقاء في أراضيهم ولتغيرت الأوضاع في الوقت الحاضر وظهر كيان سياسي للمسلمين في بلاد الأندلس في العصر الحديث.

وما قيل عن صقلية والأندلس ينطبق على جزائر البحر المتوسط التي كانت في وقت سابق جزائر إسلامية كميورقة ورودس وغيرها.

إن في ذلك درس مهم للأمة في عصرها الحاضر خصوصاً بعد انتشار الإسلام في مناطق واسعة من الأرض ووجود كثير من المسلمين في البلاد غير الإسلامية بشكل أقليات مغلوب على أمرها بين غير المسلمين، ولا شك أن هناك في كثير من تلك البلاد الكافرة جهات تسعى للضغط على المسلمين بشتى الطرق لتهجيرهم وإبعادهم عن تلك البلاد، أو للتأثير عليهم من النواحي الفكرية بحيث ينسلخون عن الإسلام ويندمجون في تلك المجتمعات الكافرة.

إن مسؤولية الأمة عن هذه الأقليات مسؤولية عظيمة حتى لا تتكرر مأساة المسلمين في الأندلس أو في صقلية أو في غيرها.

وتتلخص هذه المسؤولية في دعم الاتصال بهذه الأقليات والتواصل معهم

---

(١) المصدر السابق (٤/ ٥٢٧ ـ ٥٢٨).

ومدهم بما يحفظ وجودهم ويحافظ على هويتهم الإسلامية؛ لكي لا تنصهر في المجتمعات الكافرة.

إن دعم هذه الأقليات بالتعليم والتوعية له أثر عظيم في حياة الأمة من حيث تمكين هذه الأقليات من المحافظة على هويتها الإسلامية في المجتمعات الكافرة.

بل ويمتد الأثر إلى أن تصبح هذه الأقليات قنوات اتصال وتأثير على المجتمعات التي توجد فيها؛ فتنتشر الإسلام في هذه المجتمعات وهذا ولا شك له أثره الإيجابي على الدعوة الإسلامية في المستقبل البعيد.

ومما يؤكد هذا الأمر أثر المراكز الإسلامية المنتشرة في أنحاء العالم ـ ولو كان محدوداً في بعض البلاد ـ وذلك بربط الجاليات الإسلامية بدينها، وكذلك جذب أعداد ليست بالقليلة من غير المسلمين إلى الإسلام.

إن مثل هذه المراكز إذا دعمت مادياً ومعنوياً ووجهت التوجيه الصحيح تكاد تكون في العصر الحاضر أنسب وسائل الدعوة في المجتمعات الكافرة وذلك بالنظر إلى تغير الظروف وتعدد الأنظمة واختلاف الدول.

إن هذه المراكز في الوقت الحاضر وسيلة مهمة لدى المسلمين للتواصل مع إخوانهم في المجتمعات غير الإسلامية يجب على الجميع العناية بها للتمكين للإسلام في هذه المجتمعات. وإن قصر المسلمون في هذا الشأن فسيصيب إخوانهم في بلاد الكفر مثل ما أصاب المسلمين في الأندلس وصقلية وغيرها، لما قل ناصرهم وانقطعوا من دعم إخوانهم في بقية البلاد الإسلامية.

سادساً: إن بقاء المسلمين في أوطانهم وعدم تركها أمام زحف العدو من أهم أسباب بقاء الإسلام فيها ومن ثم رحيل العدو منها:

كان كثير من المسلمين في بعض الجهات في البلاد الإسلامية التي زحف عليها النصارى خلال فترة الحروب الصليبية يهجر مدينته أو قريته إلى مناطق أخرى تحت سلطة المسلمين، وهذا ساعد النصارى كثيراً في تمكين سيطرتهم على البلاد وإحكام قبضتهم عليها.

بل إنه كان في بعض البلاد كما هي الحال في الأندلس تهجير جماعي للمسلمين من المدن التي يسيطر عليها النصارى واستجابة من المسلمين لذلك كما في مدينة طليطلة التي وقعت تحت سيطرة النصارى سنة ٤٧٨ هـ .

وكان هذا ديدن النصارى خاصة في الأندلس، وحتى بعد انتهاء فترة الحروب الصليبية سنة ٦٩١هـ مارس النصارى في الأندلس هذه الطريقة فكونوا محاكم التفتيش لطرد المسلمين وملاحقتهم وإجبارهم على مغادرة الأندلس واستجاب المسلمون لهذا الإرهاب وهاجروا إلى بلاد المغرب وشمال إفريقية حتى خلت الأندلس منهم ولم يبق إلا بقية قليلة لا شوكة لهم اندمجوا مع مرور الوقت في المجتمع النصراني، وهذا بلا شك من أهم أسباب زوال الإسلام بشكل نهائي من بلاد الأندلس.

ولو بقي المسلمون في مناطقهم ولم يستجيبوا لإرهاب النصارى وتهجيرهم وصبروا تحت حكمهم بشكل تجمعات سكانية كبيرة لتغير الحال في العصر الحاضر ولظهر لهم كيان سياسي يجمعهم في تلك البلاد.

في مقابل ذلك كان النصارى يتقدمون في شرق الدولة الإسلامية ويحتلون المنطقة تلو الأخرى ويقيمون كياناتهم السياسية وصار لهم بذلك قوة وشوكة خلال فترة الحروب الصليبية، وخضع كثير من المسلمين لسلطانهم، ومع كثرة من هجروا قراهم ومدنهم أثناء تقدم النصارى إلا أنه بقيت أعداد كبيرة لم تبرح أماكنها. وهذا لا شك ساعد كثيراً على ضعف السيطرة النصرانية على البلاد؛ بل إنه بعد زوال دولتهم وسلطتهم عادت البلاد إسلامية كما كانت.

وشاهد آخر على هذه الحقيقة بعد فترة الحروب الصليبية.

فبعد زوال نفوذ الدولة العثمانية عن إقليم البلقان وبسط الصرب نفرده على تلك المناطق وحربهم الشرسة للمسلمين هناك إلا أن أكثر المسلمين بقوا في مناطقهم ولم يهجروها، وحينما زال النفوذ الصربي ثم الشيوعي في الوقت الحاضر ظهر بعض الكيانات السياسية للمسلمين كما في البوسنة والهرسك وألبانيا وغيرها.

ومثال آخر في الاتحاد السوفيتي السابق الذي مد نفوذه على كثير من الجمهوريات الإسلامية في آسيا وأحكم قبضته عليها فترة تجاوزت السبعين سنة، وحاول بشتى السبل القضاء على الانتماء الإسلامي لهذه الشعوب بل وعمل على تهجير كثير منهم إلى المناطق الشمالية في روسيا.

لكنه مع ذلك أيضاً بقيت أعداد كبيرة من هذه الشعوب في مواطنها وبعد ضعف السلطة الشيوعية وتفكك الاتحاد السوفيتي عادت كيانات سياسية للمسلمين.

إن في هذه الشواهد والأمثلة درس مهم للأمة في عصرها الحاضر، فكثيراً ما يصاحب غارات الأعداء على المسلمين في كثير من الجهات ممارسة لتهجيرهم من مواطنهم بشتى الوسائل من إرهاب أو دعاية أو إغراء كما هي الحال في فلسطين أو ما حدث في البوسنة والهرسك أو في بعض المناطق من شرق آسيا.

إن الاستجابة لهذه الرغبة الحاقدة من الأعداء لا شك فيها تمكين لهم من إحكام سيطرتهم على البلاد ومحو آثار المسلمين منها، وأن تمسك المسلمين بأرضهم وبقائهم بها وصبرهم على ما ينالهم من أذى واحتسابهم الأجر في ذلك لأعظم أسباب النظر والتمكين للإسلام، فما يلبث العدو أن يضعف وتضمحل سيطرته إلا وتعود قوة المسلمين وتعمر المدن بإقامة شرع الله. والتي لو كانت خالية منهم ـ وإن ضعف العدو أو زالت سلطته ـ فمن الصعب عودة المسلمين إليها.

سابعاً: إن التصميم على المطالبة بالحق وعدم التنازل عنه حتى في حالات الضعف من أهم أسباب تحصيله:

إن التصميم على المطالبة بالحق وعدم التنازل عنه والاعتراف للعدو الذي سلبه بأي وجه من الشرعية فيه حتى مع عدم القدرة على المدافعة من أهم الأسباب التي تعين على تحصيله وإن امتد الوقت.

وإن من أعظم مكاسب أعداء الأمة الاعتراف لهم بشرعية ما حققوه من مكاسب عن طرق الاعتداء على المسلمين في أي مجال، حتى وإن استطاعوا

بحال من القوة لهم وضعف من المسلمين بسط سيطرتهم وتنفيذ مآربهم.

إن هذا الاعتراف بأي صورة كانت مما يسعى الأعداء إلى تحقيقه بشتى الطرق، وإنه إن حصل أي نوع منه من قبل بعض المسلمين تحت إرهاب أو إغراء فإن ذلك مما يزيد من صعوبة استرجاع الحق المغتصب بعد ذلك.

وقد ظهر ذلك جلياً في عصر الحروب الصليبية في مسألة القدس بين المسلمين والنصارى.

فقد كان أبرز أهداف الصليبيين حين قدومهم للبلاد الإسلامية السيطرة على القدس وتخليصها بزعمهم من المسلمين وقد تحقق لهم ما أرادوا ومكثت القدس تحت سلطانهم أكثر من تسعين سنة، والمسلمون هاجسهم الأول قادة وعلماء وعامة تخليص المسجد الأقصى واستعادة هذه المدينة المقدسة وعدم الاعتراف بأي نوع من الحق أو أي صفة من الشرعية للنصارى فيها.

وعلى الرغم من استماتة النصارى في سبيل ذلك وتمكنهم من السيطرة على هذه المدينة المقدسة وطول مكثهم فيها وعلى الرغم من فترات الضعف الشديد والفرقة التي مرت بالمسلمين إلا أن ذلك كله لم يؤدي بالمسلمين إلى القنوط من استعادة هذه المدينة ونسيان أنهم الأحق بها حتى كان هذا الشعور من أهم أسباب قوة المسلمين وتمكنهم من فتح المدينة المقدسة وبسط السيطرة الإسلامية عليها.

ويظهر أيضاً هذا التصميم على الحق وعدم التنازل عنه في مفاوضات صلاح الدين ـ رحمه الله تعالى ـ مع أقوى ملوك أوربا في تلك الفترة في مسألة القدس.

فبعد أن تمكن المسلمون من فتح المدينة المقدسة بعد معركة حطين وضج النصارى في أوربا لذلك وجاء أعظم ملوكهم في تلك الفترة وهو ريتشارد قلب الأسد لتخليص القدس بزعمه وحشد لذلك الجيوش العظيمة والحال لديه لا تقبل المساومة أو المفاوضة في ذلك، عندما وصل هذا الملك ودارت المراسلات بينه وبين صلاح الدين بهذا الشأن وكان صلاح الدين ـ رحمه الله تعالى ـ ليس بكامل

استعداده لمواجهة عدوه المتربص مع وجود شيء من الاختلاف في بعض النواحي الإسلامية، على الرغم من ذلك كله إلا أن صلاح الدين رفض رفضاً قاطعاً مبدأ المساومة على القدس، وقال: «. . . وهو ـ أي القدس ـ عندنا أعظم مما هو عندكم، فإنه مسرى نبيّنا ومجتمع الملائكة، فلا يتصور أن نزل عنه ولا نقدر على التلفظ بذلك بين المسلمين. . .»[١].

بل إنه ـ رحمه الله تعالى ـ رفض أن يجتمع بالملك الإنجليزي في هذا الشأن وكان الملك يصر على مقابلته وهو ينيب عنه من يقوم بالمفاوضة.

وبعد طول مراسلات ومفاوضات تصطدم خلالها اقتراحات الملك الإنجليزي حول القدس بالرفض من صلاح الدين وعدم القبول بأي شرعية للنصارى في هذه المدينة انتهى هذا الملك إلى نتيجة مفادها أنه حتى لو تمكن من أخذ القدس بالقوة ومكث فيها ما مكث فإنه مع هذه الصلابة من المسلمين وقادتهم في شأن هذه المدينة والتمسك بحقوقهم فيها فإن النتيجة في النهاية ستكون كما كانت في الاحتلال السابق لها؛ انسحاب وفشل للنصارى وعودة للمسلمين إليها بسيطرة أقوى مما كانت عليه. لذلك فضل الملك الإنجليزي بل اقتنع أن يرجع إلى بلاده ويقبل بما عرضه عليه صلاح الدين وينزل على شروط المسلمين في ذلك.

إن هذا الموقف الصلب من صلاح الدين ـ رحمه الله تعالى ـ حول القدس لأعظم درس للأمة في عصرها الحاضر والمسلمون يواجهون احتلال اليهود لهذه المدينة المقدسة وسعيهم على الرغم من سيطرتهم عليها وتمكنهم منها إلى كسب أي اعتراف من المسلمين لهم عليها، واستخدام كافة الوسائل في هذا الشأن.

لذلك يجب على الأمة في الوقت الحاضر أن تعي هذا الدرس وتتنبه لهذه المخططات وتستفيد من مواقف صلاح الدين والمسلمين في فترة الحروب الصليبية حول هذه المدينة.

---

(١) النوادر السلطانية، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ص (٢٩٠).

يجب أن يكون الرفض القاطع لأي مساومة حول المدينة المقدسة مع اليهود وإن كان المسلمون في موقف ضعف فلا يحصل اليهود على أي اعتراف لأي حق لهم في هذه المدينة.

وإنه وإن طال احتلال اليهود لها ولم يظفر المسلمون منهم اليوم بأي نتيجة حولها فقد طال قبل ذلك احتلال الصليبيين لها ولم يتنازل المسلمون عنها أو يعترفوا للنصارى بأي شرعية فيها، وكان ذلك من أهم أسباب استعادتها منهم بل وصرف أنظارهم عنها بعد ذلك.

لذلك فإنه لو طال احتلال اليهود للقدس فإن عدم إعطائهم أي اعتراف بشرعية عليها من أهم الأسباب التي تهيىء إن شاء الله تعالى استعادتها وطردهم منها وإن كان ذلك في الأجيال القادمة.

ثامناً: ضرورة العناية بنشر الكتب العلمية في مجال تقرير العقيدة وبيان السنة، وإبراز محاسن الإسلام، وإبطال شبهات الأعداء حوله بمختلف اللغات:

مما لا شك فيه أن الكتب العلمية من أهم وسائل الدعوة قديماً وحديثاً لما تتميز به من سهولة الانتشار وعمق الأثر وقلة التكاليف.

وفي عصر الحروب الصليبية كانت هناك عناية كبيرة بالتأليف في مختلف العلوم الإسلامية وكان لها أثرها الإيجابي على الأمة في مختلف شؤونها. سواء كان ذلك في تقرير العقيدة، أو التحذير من البدع والمخالفات، أو حفظ العلوم الإسلامية المختلفة وخدمتها. إلى غير ذلك.

وفي هذا المجال كانت هناك أيضاً عناية كبيرة بالكتب الموجهة إلى النصارى سواء في مناقشة عقائدهم وإبطالها، أو الرد على شبهاتهم حول الإسلام، أو إبراز محاسنه إليهم[١].

---

(١) انظر: وسيلة الكتب في المبحث الأول من الفصل الثالث.

ولا شك أن لهذه الكتب الأثر الملموس في الجهود الدعوية المختلفة الموجهة إلى النصارى. إلا أن هذا الأثر يظل أقل من القدر المأمول منها؛ نتيجة لقلة الكتب في تلك الفترة نسبة إلى انتشار النصارى وكثرتهم وتسلطهم، مع إغفال غالب العلماء المسلمين لكتابة بعضها بلغات النصارى في عصرهم ليسهل اطلاعهم عليها واستفادتهم منها.

إن للأمة في عصرها الحاضر درساً مهماً في ذلك. حيث تتأكد العناية بهذه الوسيلة الدعوية المهمة فتوفر الأسباب المختلفة لنجاحها وتحقيقها الهدف المنشود منها.

إن الاهتمام بالتأليف ونشر الكتاب خاصةً في مجال تقرير العقيدة وبيان السنة والتحذير من البدع له أثره الكبير في سلامة المجتمع المسلم من أي انحراف فكري عارض خاصةً مع كثرة الفرق واختلاف المناهج وتربص الأعداء. وهذا ما يعود على المجتمع بالقوة والتماسك مما يمكنه من مواجهة الأخطار المحدقة به.

والعناية كذلك بالكتب في مجال إبراز محاسن الإسلام في تشريعاته المختلفة سواء في الأسرة، أو المعاملات، أو العبادات خاصةً مع ما تعيشه كثير من المجتمعات الغربية الكافرة من خلل كبير في النواحي الاجتماعية والاقتصادية والفكرية، وتطلع قادتها ومفكريها إلى حلول ناجعة لما تعانيه في هذه المجالات.

والتأليف كذلك في الرد على شبه أعداء الإسلام خاصةً النصارى حول بعض التشريعات الإسلامية في مجال المرأة مثلاً، أو القصاص، أو الإرث أو غير ذلك. ولا شك أن لذلك أثره في إبراز الصورة الصحيحة لهذه التشريعات وعرضها كما جاء بها الإسلام من غير تلبيس المضللين؛ مما يؤدي إلى إيصال الفكرة للعقل النصراني أو غيره سليمة صحيحة موافقة للفطرة البشرية وذلك من أهم أسباب قبولها.

ومما يجب العناية به في مجال نشر الكتب الموجهة إلى النصارى أو سواهم من غير المسلمين ترجمتها لهم بلغاتهم التي يتحدثون بها مع التوسع في

ذلك على أوسع نطاق؛ لتكون في متناول الجميع، مع الاهتمام بحسن العرض واختيار الموضوعات المناسبة.

إن الكتاب إذا صار بهذه الصورة تسلل إلى كل مكتبة وكل مكتب في المجتمعات غير الإسلامية، بل ربما إلى كل بيت، وفي هذه الحالة سيطلع عليه أعداد كبيرة منهم وتفيد منه.

ومما يقوي أثر التأليف في محاسن الإسلام والرد على شبه أعدائه ويساعد على نشره في أوسع نطاق الإفادة من وسائل الاتصال الحديثة التي تتميز بالسرعة والمرونة وخفض التكاليف، حيث تتأكد الإفادة منها في الوقت الحاضر وتهيئة المتخصصين فيها، إذ أن هذه الوسائل بما تتميز به من سعة الانتشار وسهولة الاستخدام ستمكن أعداداً كبيرةً من غير المسلمين من الاطلاع على ما يرغبون معرفته عن الإسلام. وإذا وجد من يقدم لهم ما يرغبون معرفته عنه بصورة صحيحة سيكون ذلك عامل مهم في إزالة شبهة لديهم، أو تلبية حاجة فكرية أو نفسية يفتقدونها ولا يخفى أثر ذلك في تغيير مواقفهم تجاه الإسلام والمسلمين. بل ربما اقتناعهم بهذا الدين العظيم ومن ثم اعتناقه.

تاسعاً: ضرورة إعداد المتخصصين بمعرفة شبهات الأعداء حول الإسلام وأساليبهم وطرق الرد عليهم:

إن الاهتمام بطلب العلم الشرعي وتحصيله والتأليف فيه وكثرة المتأهلين لذلك فيه الخير الكثير للأمة في مختلف شؤونها.

لكنه مع كثرة فروع العلم وصعوبة الإحاطة به وانتشار الأمة وكثرة الأعداء المتربصين واختلاف ثقافتهم وتعدد وسائلهم وأساليبهم في النيل من الإسلام وإثارة الشبه حوله كل ذلك يتطلب إعداد متخصصين في استيعاب هذه الشبه بكل تفاصيلها وكيفية مناقشتها والرد عليها، مع الإحاطة التامة بدوافع مثيريها وأهدافهم وتفاصيل أديانهم أو اتجاهاتهم الفكرية مما يعين على إلجامهم ودحض شبههم.

وللدلالة على ذلك أثر أبي عبيدة الخزرجي في مواجهة قساوسة طليطلة بالأندلس.

فقد اعتاد نفر منهم إثارة الشبه حول الإسلام عند عامة المسلمين فيحار المسلمون في الإجابة عليها مما يزعزع اليقين لديهم ويزيد من انخداع عامة النصارى بباطلهم. حتى هيأ الله أبا عبيدة الخزرجي فصار المسلمون يحملون إليه تلك الشبه فيجيب عليها ويفندها ثم يرجعون بالإجابة على مثيريها من قساوسة النصارى فيلجمونهم بهذه الإجابات(١).

والقرافي كذلك في مصر وضع فصلاً في كتابه الأجوبة الفاخرة لتفنيد شبه تعود النصارى إثارتها في محافل المسلمين وذلك لشعوره بضرورة التصدي لهذا الأمر. ففصل الردود على هذه الشبه ووضع ذلك بين أيدي المسلمين مساعدة لهم في مواجهة كيد النصارى(٢).

وفي العصر الحاضر يواجه الإسلام حملة دعائية شرسة تستهدف تشويه أحكامه وتشريعاته والتنفير منها بدعاوى مختلفة من عدم ملاءمتها لثقافة العصر وحضارته أو بدعوى ما يسمى بالعولمة، أو الحرية، أو المساواة، أو الإنسانية، أو غير ذلك.

إن هذه الحملات المضللة جعلت الإسلام عند كثير من الشعوب غير الإسلامية في قفص الاتهام فأصبح ذلك حاجزاً دون قبوله أو حتى اطلاعهم على شيء من تعاليمه وأحكامه لذلك صارت أحكامهم متطرفة حول هذا الدين العظيم؛ لذلك فإن مواجهة هذه الحملات من خلال متخصصين ليس فقط بالعلوم الإسلامية فحسب بل وفي لغات مصدري هذه الحملات وثقافاتهم وإلمام تام بمنطلقاتهم الفكرية، يساعد كثيراً في عرض الصورة الصحيحة للإسلام وفضح أهداف أصحاب هذه الحملات مما يحد كثيراً من قبول ما يصدر عنهم حول الإسلام لدى شعوبهم.

إضافة إلى أن ذلك يؤدي بالضرورة إلى زعزعة الثقة في ثقافات أصحاب

---

(١) انظر: مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية، ص (٥٣).

(٢) انظر: الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص (٣ ـ ٥٠) وما بعدها.

تلك الحملات من خلال بيان مثالبها ولفت أنظار الشعوب المنخدعة بها إلى غير ذلك مما يقلل من قبولها ويكون له أثره أيضاً في دفع مثل هذه الشعوب إلى عدم الانسياق وراء هذه الدعايات عن الإسلام وحفزهم إلى التعرف على تشريعاته وأحكامه من مصادر موثوقة.

ومن الآثار الإيجابية لمواجهة هذه الحملات والشبه حول أحكام الإسلام وتشريعاته من قبل متخصصين في ذلك لا يقصر على غير المسلمين فقط، بل ويمتد إلى الشعوب الإسلامية نفسها من خلال تقوية يقينها بدينها وتحصينها ضد هذه الشبه فلا تتأثر بذلك ومن ثم لا يجد الأعداء مجالاً لقبول إطروحاتهم ومبادئهم التي يقدمونها بديلاً للتشريعات الإسلامية في زعمهم.

عاشراً: أهمية التزام المسلمين بأحكام دينهم وأثر ذلك في نشر الإسلام وقبوله لدى الآخرين:

إن تشريعات الإسلام المختلفة في شتى مناحي الحياة موافقة للفطرة البشرية السليمة. كيف لا وهذه التشريعات من خالق البشر العالم بخصائصهم وما يناسب ما جبلهم عليه. لذلك فإن المجتمعات التي تعيش في ظل هذه التشريعات وتلتزم بها تتحقق مصالحها الدينية والدنيوية، وتستقيم أحوالها، وتستقر شؤونها في مناخ هادىء لا تتعارض مصالح أفراده ولا يبغي أحد فيه على أحد.

وهذه سمة المجتمع الإسلامي في عصر النبوّة والخلافة الراشدة. وقد كان لذلك أثره في دخول الناس أفواجاً في دين الله لما يعكسه أفراد هذا المجتمع من صورة صادقة للإسلام من خلال سماحتهم وخلقهم وحسن تعاملهم.

وهكذا الحال في حلقات التاريخ الإسلامي ومنها عصر الحروب الصليبية، فقد كان التزام المسلمين بأحكام دينهم وتأدبهم بآدابه من أبرز العوامل التي دفعت البعض من النصارى إلى اعتناق الإسلام، أو بدلت النظرة الخاطئة لدى الكثيرين منهم عن هذا الدين العظيم[1].

---

(١) انظر: تأثير المجاورة والمعاملة الحسنة على النصارى في المبحث الثالث من الفصل الثاني، وكذلك المبحث الأول من الفصل الخامس.

وإن في ذلك عبر للأمة في عصرها الحاضر خاصةً مع ما تعيشه كثير من المجتمعات غير الإسلامية من أمراض اقتصادية واجتماعية وفكرية وبحثها جاهدة عن علاج لهذه الأمراض.

وكذلك مع كثرة اختلاط المسلمين بغيرهم سواء في البلاد الإسلامية أو في البلاد الكافرة.

إن المسلمين بالتزامهم بأحكام دينهم يقدمون المجتمع النموذج بين مجتمعات غارقة في مشاكلها؛ فيجعل أفراد مثل هذه المجتمعات يتلمسون الحل لما هم فيه من المجتمع المسلم لما يرونه في هذا المجتمع من استقرار وهدوء وسلام في مقابل ما يعانونه في مجتمعاتهم الأمر الذي يدفعهم إلى التأثر بفكر هذا المجتمع وأخلاقه بل قد يصل الأمر بهم إلى اعتناق الإسلام لما يشاهدونه أمامهم من آثاره الإيجابية على معتنقيه.

إن كثيراً من الشبه التي توجه للإسلام في العصر الحاضر كالإرهاب، والعنف، والعنصرية، وما إلى ذلك. إنما تؤخذ في الغالب من خلال النظرة للمسلمين غير المتلزمين بأحكام دينهم، فيحاكم الإسلام بذنب أهله المقصرين.

ولو رأى غير المسلمين ما ينقمونه على الإسلام مطبقاً بشكله الصحيح لتغيرت نظرتهم وتبدلت الصورة الخاطئة في أذهانهم عنه.

إن ذلك يوجب على المسلمين خاصةً في المجتمعات الكافرة مراعاة ذلك وأنهم إنما يمثلون الإسلام في كل تصرفاتهم وسيحكم على هذا الدين العظيم من خلال الصورة التي يقدمونها عنه للمجتمعات التي يعيشون فيها.

والمسؤولية كذلك على الجهات التربوية في المجتمع المسلم من أسرة ومدرسة وغيرها وكذلك على المؤسسات الدعوية المختلفة بضرورة العناية بهذا الجانب والعمل الدؤوب على ربط المسلمين بدينهم وحثهم على الالتزام بأحكامه وآدابه السمحة؛ ليكونوا بأنفسهم مسلمين صالحين، ويعطوا صورة صادقة صحيحة عن الإسلام وتشريعاته السامية وما يؤدي إليه ذلك من جذب لأفراد المجتمعات غير الإسلامية إلى الإسلام.

الحادي عشر: خطورة الاختلاف والتناحر على الأمة، وأثر الوحدة في عزتها وقوتها:

إن الخلافات السياسية والتناحر والفرقة بين قوى العالم الإسلامي من أهم أسباب ضعف الأمة وقعودها عن مواجهة أعدائها، وفي المقابل فإن الوحدة بين المسلمين ونبذ الخلافات وتقديم مصلحة الإسلام لمن أهم أسباب قوة الأمة وعزتها وصمودها أمام مخططات أعدائها، وإن فترة الحروب الصليبية من أبرز الشواهد على ذلك.

فإنه ما من شك في أن البلاد الإسلامية قبيل قدوم الصليبيين كانت تعيش في كثير من أجزائها سواء في الشرق أو الغرب صراعات وخلافات بين بعض الولاة والقادة على مناطق النفوذ حتى أدى الأمر بينهم إلى القتال بل الاستعانة بالأعداء ضد بعضهم(١).

وكانت لهذه الخلافات والاضطرابات أثر واضح في ضعف الأمة وعجزها عن مواجهة أعدائها المتربصين بها، فكانت جيوش الصليبيين تتقدم بسهولة في البلاد الإسلامية حتى استولت على القدس دون مقاومة كبيرة من جيوس المسلمين لانشغال بعضهم بعض.

وقد ظهر هذا الضعف جلياً في عجز الخلفاء في بغداد عن نجدة المسلمين في الشام ضد الصليبيين نتيجة لانشغالهم بشغب بعض السلاطين والقادة واستقلالهم ببعض النواحي(٢).

كذلك توقف الموحدين عن التقدم في الأندلس وسحب كثير من جيوشهم منها نتيجة لثورة ابن غانية في إفريقية وزحفه على كثير من البلاد فيها(٣).

---

(١) انظر: الفصل الرابع، المبحث الأول، المطلب الثاني، ص (٥٥٧).

(٢) انظر: مواقف بعض الخلفاء وعجزهم عن نجدة المسلمين في الشام في: الفصل الرابع، المبحث الأول، المطلب الثاني، ص ٥٦٥.

(٣) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (١٠/١٣٦).

وفي مقابل ذلك الضعف الناتج عن الخلاف والفرقة ظهر جلياً أثر الوحدة والاجتماع في قوة الأمة، بداية من قيام عماد الدين زنكي بتوحيد الجبهة الإسلامية في الموصل وشمال بلاد الشام والتي أسفرت عن دحر الصليبيين في عدة مواقع، بل وتحطيم أهم معاقلهم في بلاد الشام وهي الرها التي فتحت سنة ٥٣٩هـ[١].

ثم متابعة ابنه نور الدين محمود من بعده توحيد الموصل والشام ومصر في جبهة واحدة ضد الصليبيين تمكن بعدها من حفظ البلاد الإسلامية من تقدم النصارى، بل وبدأت الجيوش الإسلامية بالمبادرة الفعلية القوية في طرد النصارى من البلاد التي زحفوا عليها[٢].

وأخيراً هيأت هذه الوحدة بعد ذلك السبيل لصلاح الدين الانتصار على الصليبيين في المعركة الحاسمة معهم معركة حطين سنة ٥٨٣هـ ثم فتح بيت المقدس والزحف على المناطق التي امتد إليها نفوذ النصارى حتى لم يبق لهم إلا شريط ساحلي ضيق على البحر المتوسط[٣].

وهكذا كانت ثمار الوحدة الإسلامية في غرب الدولة الإسلامية حيث أوقف المرابطون زحف النصارى على بلاد المسلمين في الأندلس بل وأخذ المسلمون هناك زمام المبادرة فطردوا النصارى من مناطق إسلامية مدوا نفوذهم عليها وتمكنوا من فتح مناطق جديدة أيضاً[٤].

ثم لما تضعضعت أحوال الأندلس بعد سقوط دولة المرابطين وقويت شوكة النصارى فيها فزحفوا على كثير من المناطق الإسلامية وضعف المسلمون كثيراً عن مواجهتهم لم يتمكن المسلمون من إيقاف زحف أعدائهم إلا باتحادهم مع المسلمين في بلاد المغرب من خلال قدوم الموحدين ومساندة إخوانهم في

---

(١) انظر: الفصل الرابع، المبحث الثاني، المطلب الثاني، ص (٦٢٠).
(٢) انظر: الفصل الرابع، المبحث الثاني، المطلب الثاني، ص (٦٢٠ ـ ٦٢١).
(٣) انظر: الفصل الرابع، المبحث الثاني، المطلب الثاني، ص (٢٣٠ ـ ٢٣١)، و(٦٢١).
(٤) انظر: الفصل الرابع، المبحث الثاني، المطلب الثاني، ص (٦٢٣).

الأندلس ضد النصارى، بل إنهم من خلال هذه الوحدة ظهروا على أعدائهم وصارت لهم المبادرة في فتح مناطق جديدة[1].

إن في حال الأمة في عصر الحروب الصليبية بين الضعف عن مواجهة الأعداء نتيجة للخلاف والفرقة وبين القوة ودحر الأعداء نتيجة للوحدة وتغليب مصلحة الإسلام لأعظم درس للأمة في عصرها الحاضر.

فإنه ما من شك في أن الأمة اليوم تعيش في كثير من البلاد الإسلامية ظروفاً مشابهة لما كانت تعيشه في بعض فترات الحروب الصليبية من الفرقة والخلاف في الوقت الذي يتربص الأعداء بالمسلمين؛ فتسلب أراضيهم، وتدنس مقدساتهم، وتنتهك أعراضهم، وتقام المجازر لهم وإخوانهم في بقية البلاد ضعفوا عن المدافعة عنهم ورد الاعتداء الواقع بهم بسبب الفرقة والخلاف وعدم اجتماع الكلمة.

إنه كما كانت الوحدة في عصر الحروب الصليبية ونبذ الخلاف وتغليب مصلحة الإسلام على المصالح الأخرى سبباً في عزة المسلمين وظهورهم واستعادة بيت المقدس وطرد الصليبيين منه؛ بل ورفع راية الإسلام على مناطق أخرى؛ فإن ذلك في الوقت الحاضر أنجع علاج لهذا الضعف والوهن الذي تعيشه الأمة.

فلا سبيل للوقوف أمام أطماع الأعداء وتربصهم بالمسلمين إلا باجتماع الكلمة تحت راية الإسلام وتغليب مصلحة الأمة فوق كل غرض آخر.

الثاني عشر: عدم القنوط واليأس مهما كبرت الرزايا وكثرت الفتن:

عاشت الأمة الإسلامية خلال فترات من عصر الحروب الصليبية ظروفاً عصيبةً اجتمعت عليها، سواء ما تعيشه من فتن واضطراب في داخلها أو ما تواجهه من تسلط الأعداء عليها من الخارج. حتى ليخيل لكثير من اليائسين من

---

(١) انظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (٩/ ٢٤١)، والفصل الرابع، المطلب الثاني.

رحمة الله أن الأمة اضمحلت شخصيتها وأنها تسير من ضعف إلى أن تتلاشى وينتهي وجودها في هذه الأرض، وأنه لا يمكن مع هذه الظروف السيئة أن تستعيد الأمة وحدتها وتستجمع قواها لتصد العدوان عنها وتعود مرهوبة الجانب كما كانت.

ذلك أنه في فترات من عصر الحروب الصليبية تكالب العدو الخارجي على الأمة في عدة جهات، فمثلاً في غرب الدولة الإسلامية خاصة في الأندلس اكتسح النصارى مناطق واسعة للمسلمين حتى كادوا ليخرجونهم منها.

وفي جزيرة صقلية في البحر المتوسط عادت سيطرة النصارى عليها بعد أن كانت جزيرة إسلامية.

والصليبيون في شرق الدولة الإسلامية زحفوا على مناطق واسعة في الشام ومصر في الوقت الذي كان المغول فيه يمدون نفوذهم في أقصى الشرق الإسلامي على حساب المسلمين، بل إنهم وصلوا إلى عاصمة الدولة الإسلامية في ذلك الوقت بغداد واجتاحوها سنة ٦٥٦هـ[(١)] وقتلوا الخليفة العباسي وأفسدوا في الأرض ثم توجهوا إلى الشام ليتحالفوا مع الصليبيين ضد المسلمين.

وعلى المستوى الداخلي عاشت الأمة في بعض فترات الحروب الصليبية تمزقاً شديداً وتناحراً بين بعض القادة والولاة حتى استقل كثير منهم بمناطقهم وكانت لذلك تدور الحروب الطاحنة فيما بينهم في أحيان كثيرة[(٢)].

وخلال هذه الظروف السيئة كان اختلال الأمن وقطع الطريق وإرهاب الناس، ووجد لذلك أصحاب الأهواء والنحل المجال مناسباً لهم لنشر باطلهم وإضلال العامة بمعتقداتهم المنحرفة.

لا شك إن مثل هذه الظروف التي عاشتها الأمة في فترات من عصر

---

(١) انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين، ص (١٣/ ٢١٣).

(٢) انظر: الفصل الرابع، المبحث الأول، المطلب الثاني.

الحروب الصليبية أثرت كثيراً على قوتها وأعجزتها عن مواجهة أعدائها. ولكن في الشدة يتولد الفرج، فتمكنت الأمة بفضل من الله ثم بجهود قادة مخلصين وعلماء صالحين ناصحين لا يعرف اليأس سبيلاً إلى قلوبهم تمكنت من استعادة وحدتها واستجماع قوتها فدحرت أعداءها بل وأخذت زمام المبادرة مرة أخرى ضد المتربصين بها.

إن في ذلك درس عظيم للأمة في عصرها الحاضر. فليست الظروف التي يعيشها المسلمون الآن أكثر سوءاً من بعض فترات الحروب الصليبية. فلا يزال في الأمة قادة مصلحين، وعلماء صادقين ناصحين، ولا يزال الخير ينتشر والمقبلون عليه يكثرون، ومقومات القوة المادية والمعنوية متوافرة في البلاد الإسلامية، ولا شك أن هذه ركائز أساسية لنهضة الأمة مرة أخرى واستعادة مجدها وريادتها بين الأمم، لكنها تحتاج إلى تكاتف الجهود من الجميع لكي يتحقق ذلك.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير خلقه وآله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين.

وبعد:

ففي ختام هذه الدراسة أعرض أهم النتائج التي توصلت إليها وبعض التوصيات في ضوئها.

حيث كان من أبرز نتائج هذه الدراسة تأكيدها بما لا يدع مجالاً للشك في أن العامل الديني المتمثل في الحقد النصراني على الإسلام والمسلمين هو العامل الأساسي الذي حرك جموع الصليبيين لاحتلال البلاد الإسلامية، وأن كل ما يقال عن عوامل أخرى سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية فما هي إلا عوامل ثانوية لا تشكل شيئاً في مقابل العامل الديني.

كما بينت هذه الدراسة أن هناك جهوداً كبيرةً بذلت في مواجهة هذا الغزو الصليبي من قبل قادة الأمة وعلمائها على امتداد رقعة البلاد الإسلامية.

حيث برز أثر الاستشعار الشخصي لدى قادة الأمة لمسؤوليتهم العظيمة تجاه المسلمين في نجاح جهودهم في التصدي لهذا العدوان.

كما أكدت هذه الدراسة أن تهيئة الأسباب المعينة على النصر من قبل القادة من الاعتماد على الله جلّ وعلا واللجوء إليه ونبذ الفرقة والاختلاف والقضاء على المنكرات والعمل الدؤوب من أهم أسباب تحقيقه.

وأظهرت هذه الدراسة كذلك وجود أعداد كبيرة من العلماء في هذه الفترة

والذين كانت لهم جهود كبيرة في دعوة النصارى حيث ألقت الضوء على نماذج من هؤلاء العلماء ممن استشعروا أهمية دعوة النصارى إلى الإسلام كالجعفري مثلاً الذي قال: «نحن مأمورون بدعائهم ـ أي النصارى ـ إلى سبيل ربنا بالحكمة والموعظة...» ومبينة كذلك دور هؤلاء العلماء في حراسة الدين من البدعة والضلالة وأثر ذلك في تماسك الأمة وتحصينها من شبه الأعداء وتضليل الفرق المنحرفة.

كما أظهرت هذه الدراسة جوانب من جهودهم في دعوة النصارى سواء بالتأليف أو المناظرة أو الردود أو اللقاءات المباشرة أو غير ذلك.

وقد أكدت هذه الدراسة كذلك الأثر الإيجابي الناتج من التفاف العلماء الناصحين مع القادة الصالحين ودور ذلك في نجاح الجهود المختلفة ومنها الجهود الدعوية الموجهة إلى النصارى.

وقد أبرزت هذه الدراسة أيضاً أهم الموضوعات التي تمّ تناولها في الدعوة الموجهة إلى النصارى والتي تمثلت في موضوعات تتعلق بالدعوة إلى العقيدة الإسلامية وذلك بالدعوة إلى التوحيد وقبول الدين الإسلامي بشكل عام، وكذلك التصديق بالقرآن والإيمان بنبوّة محمد ﷺ ونبوّة عيسى عليه السلام.

كما وضحت هذه الدراسة أن أبرز عقائد النصارى وتشريعاتهم التي ناقشها المسلمون في هذه الفترة تتمثل في قانون الأمانة الذي وضعوه أصلاً لديانتهم، وعقيدة التثليث، وتحريف الأناجيل، مع مناقشة اعتقادهم بالمسيح عليه السلام.

ثم بينت هذه الدراسة أن أبرز شعائر النصارى التي تمت مناقشتها في هذه الفترة هي المعمودية والاعتراف وصكوك الغفران والأعياد النصرانية، وطقوسهم في الصلاة والصيام والزواج وتركهم الختان وميلهم للتبتل وتعظيمهم الصور والتماثيل مع بيان نماذج للجهود المبذولة في إبطال هذه الشعائر وتفنيد ما يتشبثون به من أدلة وحجج واهية عليها.

ثم أظهرت هذه الدراسة أن كثيراً من النصارى في فترة الحروب الصليبية اتجه للتأليف في الإسلام بقصد الطعن فيه وتشويه تشريعاته والتنفير منه، حيث

اطلع على ذلك عدد من العلماء المسلمين كالقرطبي والقرافي وأبو عبيدة الخزرجي وغيرهم مما دفع الكثير من العلماء المسلمين إلى التصدي لهذه الشبه وتفنيدها والتي كان من أبرزها ادعاؤهم أن الإسلام دين الوثنية، وخصوصية رسالة محمدﷺ بالعرب، وأن القرآن ورد بتعظيم النصارى والثناء عليهم، وانتقادهم تعدد الزوجات في الإسلام، وتشريعه في الطلاق، ودعواهم أن هذا الدين العظيم قد انتشر بالسيف إلى غير ذلك.

ومن نتائج هذه الدراسة أنها كشفت مدى اهتمام القادة والعلماء من المسلمين في هذه الفترة بتنويع أساليبهم ووسائلهم وذلك في جهودهم الدعوية الموجهة إلى النصارى. فكان هناك اهتمام بتعدد الوسائل من جهاد ورسل وكتب ورسائل، وكان هناك عناية بتنويع الأساليب من أساليب عقلية تخاطب العقل وتقيم الحجة إلى أساليب عاطفية تثير الشعور وتعتمد على الغرائز الفطرية بالنفس البشرية من رغبة ورهبة، واستغلال كل ذلك وحشده من أجل إيصال الحق والإقناع به.

كما أظهرت هذه الدراسة تركيز كثير من العلماء المسلمين في مناقشاتهم ومناظراتهم وردودهم على النصارى على الأساليب العقلية من أقيسة، وسير وتقسيم، ومحاكمات عقلية وما شابه ذلك مراعات لهؤلاء النصارى لكونهم أهل الكتاب ويؤمنون بأمور يعتقدونها صحيحة ويقيمون الحجج عليها من كتبهم المحرفة، ولا يعترفون برسالة محمدﷺ التي نسخت ما قبلها.

كما كشفت هذه الدراسة عن وجود عقبات كثيرة واجهت الدعوة بشكل عام في هذه الفترة ودعوة النصارى على وجه الخصوص.

ومن هذه العقبات انتشار الفرق الكلامية والمناهج الفلسفية التي شابت بعض ردود العلماء المسلمين ومناقشاتهم مع النصارى فقللت كثيراً من أثرها عليهم.

وكان من عقبات الدعوة التي أظهرتها الدراسة الفرق الباطنية التي صرفت كثيراً من الجهود من قادة الأمة وعلمائها في منافحة شبههم والقضاء عليهم

وتخليص الأمة من خطرهم. خاصةً في شرق البلاد الإسلامية تلك الجهود التي كان الأولى حشدها لمواجهة النصارى في هذه الفترة.

كما كانت الصوفية وانتشار البدع من عوامل تعويق الدعوة بشكل عام بما فيها دعوة النصارى.

ومن أهم عقبات الدعوة التي تجلت من خلال هذه الدراسة الخلافات بين قادة الأمة وما ترتب على ذلك من اختلال في الأمن وهدر للإمكانات ومن ثم ضعف الأمة وعجزها عن مواجهة أعدائها المتربصين بها بل واستغلال الأعداء هذه الخلافات في توسيع نفوذهم والزحف على المناطق الإسلامية سواء في المشرق أو المغرب.

ومن العقبات التي أظهرتها هذه الدراسة وكان لها أثر في الحد من سرعة تأثير الجهود الدعوية المختلفة ما يتعلق بالحواجز النفسية والفكرية واللغوية بين المسلمين والنصارى في هذه الفترة.

ثم بينت هذه الدراسة بعد ذلك أن هناك جهوداً كبيرةً بذلها قادة الأمة وعلماؤها في مواجهة هذه العقبات.

فكانت المواجهة للباطنية فكرياً وعسكرياً وكان لذلك أثره في الحد من نشاط هذه الفرقة وتحجيم خطرها على الأمة.

كما بينت الدراسة حرص كثير من القادة على استتباب الأمن والعمل على تحقيقه واستقراره إدراكاً منهم لأهميته في تهيئة الأمة لمواجهة عدوها المتربص بها، وانعكاس ذلك على الازدهار في جميع المجالات الأخرى ومنها الجانب الدعوي.

وقد أكدت هذه الدراسة الآثار الإيجابية المهمة الناتجة من تعاون العلماء والقادة وتكاتفهم في سبيل مصلحة الأمة، حيث أظهرت أن جهود العلماء مكملة بل وداعمة لجهود القادة في العمل لكل ما فيه مصلحة الأمة ووحدتها ومواجهة الأخطار المحدقة بها داخلياً وخارجياً.

ثم بينت هذه الدراسة شيئاً من الجهود المبذولة في مواجهة الحواجز الفكرية والنفسية واللغوية والتي كان لها الدور المهم في التقليل من تأثير هذه الحواجز.

وقد كان من أبرز نتائج هذه الدراسة أن كشفت عن شيء من آثار الجهود الدعوية المختلفة الموجهة إلى النصارى في هذه الفترة. والتي منها إسلام الكثيرين منهم في البلاد الإسلامية، وتأثر البعض بشيء من عادات المسلمين وتقاليدهم والتخلق بأخلاقهم واكتساب لغتهم.

كما أبرزت هذه الدراسة أثر الجهود الدعوية المبذولة تجاه النصارى في تغيير نظرة كثير منهم للإسلام والمسلمين وتبدلها من نظرة حاقدة متعصبة مشوهة إلى نظرة أكثر واقعية وإنصاف بل إعجاب في بعض الأحيان بالحضارة الإسلامية والحكم الإسلامي حتى فضل كثير منهم وهم على نصرانيتهم حكم المسلمين على إخوانهم النصارى، كما أدت هذه الجهود في كثير من الأحيان إلى كف أذى كثير من النصارى عن المسلمين بل وكسب بعضهم ضد بعض، وتحسين معاملتهم لمن تحت سلطتهم من المسلمين.

وكشفت الدراسة كذلك عن الأثر الحاسم لوسيلة الجهاد في التمكين للوسائل الدعوية الأخرى، وإعادة هيبة المسلمين، ورد الاعتداء عن بلادهم، حتى أدت هذه الوسيلة بالنصارى في فترة الحروب الصليبية إلى تغيير خططهم وتعديل أساليبهم في غزو المسلمين فتحول ذلك الغزو من غزو عسكري بجيوش أفرادها من المقاتلين إلى غزو فكري يتسلل إلى الشعوب الإسلامية بشعارات مختلفة هدفه في النهاية فتنتهم عن دينهم والسيطرة على خيرات بلدانهم.

ومما وضحته هذه الدراسة أن الجهود الدعوية المختلفة التي بذلت في هذه الفترة تجاه النصارى لم يقتصر أثرها فقط على النصارى في البلاد الإسلامية بل امتدت آثارها إلى أوربا خاصة في مناطقها الجنوبية المحاذية للمسلمين في إيطاليا وجزر البحر المتوسط وشمال إسبانيا، متمثلاً ذلك التأثير في إسلام أعداد منهم واكتساب بعضهم شيئاً من عادات المسلمين وتقاليدهم في اللباس والحجاب والنظافة، بل إن هذا التأثير وصل إلى تغيير مفاهيم الكثيرين منهم عن الإسلام وزعزعة الثقة لدى البعض بدياناتهم النصرانية مما جعل بعض المتعصبين من

قادتهم وقساوستهم يعقدون لهم المحاكمات بدعوى فقدهم الإيمان المسيحي وتأثرهم بالمسلمين، وإصدار قرارات الحرمان في حق بعض القادة الأوربيين المعجبين بالحضارة الإسلامية والمتأثرين بشيء منها.

وأخيراً أبرزت هذه الدراسة أهم أوجه الاستفادة من الجهود الدعوية المختلفة الموجهة إلى النصارى في عصر الحروب الصليبية في العصر الحاضر والتي تمثل في حقيقة الأمر توصيات يحسن الاطلاع عليها والعمل على تحقيقها والتي منها:

١ ـ ضرورة العناية بدعوة النصارى في العصر الحاضر وتكثيف البرامج الدعوية الموجهة إليهم.

٢ ـ ضرورة العناية بأن تكون جميع الجهود الدعوية على منهج سليم وأهمية اقتفاء منهج السلف في ذلك وإدراك أن نجاح هذه الجهود مرهون بسلامة المنهج المتبع، وأن كل خلل بالمنهج يعود أثره سلباً على تحقيق النتائج.

٣ ـ أهمية العمل الدؤوب وعدم استعجال النتائج في الجهود الدعوية.

٤ ـ أهمية العناية بشؤون الأقليات المسلمة في البلاد الكافرة والأثر الإيجابي لذلك على المدى الطويل.

٥ ـ إن بقاء المسلمين في أوطانهم وعدم تركها أمام زحف الأعداء من أهم أسباب بقاء الإسلام فيها ومن ثم رحيل العدو منها ولذلك يتوجب دعم المسلمين لإخوانهم الذين يعانون من حملات تهجير من أوطانهم لإخلائها وتركها لينفرد العدو فيها.

٦ ـ ضرورة التصميم على المطالبة بالحق وعدم التنازل عنه حتى في حالات الضعف وأن ذلك من أهم أسباب تحصيله.

٧ ـ ضرورة العناية بنشر الكتب في مجال تقرير العقيدة وبيان السنة وإبراز محاسن الإسلام وإبطال شبهات الأعداء بمختلف اللغات.

٨ ـ أهمية العناية بإعداد المتخصصين في مجال معرفة شبهات الأعداء حول

الإسلام واستيعاب حيلهم وأساليبهم في ذلك ليكون الرد عليهم أكثر عمقاً وأقوى أثراً.

٩ ـ أهمية التزام المسلمين بأحكام دينهم وأثر ذلك في نشر الإسلام وقبوله لدى الآخرين وهنا تتأكد مسؤولية الجهات الدعوية المختلفة بالعناية بهذا الأمر.

١٠ ـ خطورة الاختلاف والتناحر على الأمة وأثر الوحدة في عزتها وقوتها وأهمية إبراز ذلك للأجيال المسلمة في العصر الحاضر.

١١ ـ عدم القنوط واليأس مهما كبرت الرزايا وكثرت الفتن وضرورة غرس ذلك في النفوس لتقوية أفراد الأمة لمواجهة ما تعانيه من نكبات في عصرها الحاضر.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

الآيــة	رقم الآية	الصفحة
سـور البقـرة		
﴿وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾	٢٤	١٩١
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾	٦٢	١٧
﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾	١١٣	١٧
﴿إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾	١٣١	١٢
﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾	١٣٢	١٣
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾	١٤٣	٥٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾	١٨٣	٣٠٠
﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾	١٩٠	٣٣٢
﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾	١٩٣	٣٣٢
﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ﴾	١٩٦	٣٣٨
﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾﴾	٢٤٢	٤٩٤
﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ﴾	٢٦٦	٤٩٤

الآيــة	رقم الآية	الصفحة
سـورة آل عمران		
﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾	١٨	٣٩٧
﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُۗ﴾	١٩	١٣، ٥٩، ١٧٧
﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾	٤٢	٢٢٣
﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾	٤٩	٢٢٤
﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾	٥٥	٢٢٤، ٢٥١، ٢٨٥
﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾	٦٤	٦٤
﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾	٦٧	١٧٩
﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾	٧٠	٦٤
﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾	٧١	٦٤
﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ﴾	٨١	٥٢
﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾	٨٣	١٢
﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾	٨٥	١٣، ٥٩، ١٧٧، ٣٨٦
﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	٩٩	٦٤

الصفحة	رقم الآية	الآيـــة
٥	١٠٢	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٢﴾
٧٣٩	١٠٤	﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ١٠٤﴾
٥٣١	١٥٩	﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ﴾
٣٢١، ٣٢٣	١٨٤	﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ١٨٤﴾
		سورة النساء
٥	١	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءًۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ١﴾
٣٢٨، ٣٣١	٣	﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ٣﴾
٣٤٩	٣٦	﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ﴾
٣٥٠	٤٨	﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾
٣٥٩	٥٩	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾
٣٣٣	٧٥	﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ٧٥﴾
٤٥٨	٧٦	﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦﴾

الآيـــة	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾	١١٦	١٧٣، ٣٥٠
﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ﴾	١٥٧	٢٢٤، ٢٨٣، ٢٨٥
﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا﴾	١٥٧	٢٥١
﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ﴾	١٧١	٢٠٨
﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾	١٧٢	٢٢٧، ٤٨٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾	١٧٤	٥٠
سـورة المائـدة		
﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾	٣	١٤، ٥٨، ٤٨٠
﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾	١٣	٢٤٥
﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ﴾	١٧	٢٢٤، ٢٦٩
﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ﴾	١٩	٦٤
﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾	٤٤	٥٧
﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾	٤٦	٢٤١، ٣٢١، ٣٢٤
﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ﴾	٤٧	٣٢٥
﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ﴾	٤٨	٣٢٢، ٣٢٥
﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ﴾	١٨	٢٨١

الآيــة	رقم الآية	الصفحة
﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾﴾	٧٣ ـ ٧٤	٢٥٥
﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾	٧٥	٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٥١
﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾	٨٢	٣٢٢، ٣٢٦
﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾	١١١	١٣
﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚ﴾	١١٧	٢٥١
سورة الأنعام		
﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾	١٩	٥٣، ٥٩
﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾	٩٠	٤٩
﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾	١٥٣	٦٨٦
﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزْرَ أُخْرَىٰۚ﴾	١٦٤	٢٨٧
سورة الأعراف		
﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾	١٥٧	٤١٠
﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾	١٥٨	٥٠، ٥٢، ٦٣
﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾	١٧٦	٥٤٤
﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾	١٩٩	١٩١

الآيــة	رقم الآية	الصفحة
سـورة الأنفـال		
﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾﴾	٧	١٩٥
﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾	٣٠	٢٨٣
﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾	٣٩	٤٥٨
سـورة التوبـة		
﴿وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾﴾	١٢	٣٣٢
﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ﴾	٣٠	٢٢٧
﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾	١١١	٣٥٩
﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾	١٢٢	٣٩٨
سـورة يونـس		
﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾	٢٤	٤٩٤
﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾	٢٥	٨
﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾	٣٨	١٩١

الآيــة	رقم الآية	الصفحة
﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾	١٠٨	٥٠
سـورة هـود		
﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾	١٣	١٩١
سـورة يوسـف		
﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾	٢	٣١٥
﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾	٣	٥٤٤
﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ﴾	٣٣	٨
﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾	١٠١	١٣
﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾	١٠٨	١٠، ١٧٧، ٣٩٨
سـورة الرعـد		
﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾	٤	٤٩٤
سـورة إبراهيـم		
﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾	١	١٨٤
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾	٤	٣١٥، ٣١٦، ٣١٧
﴿۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾	١٠	٥٢٢
﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ﴾	٢٦	٢٢٧
﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾	٥٢	٥٠
سـورة الحجـر		
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾	٩	٥٦، ٥٧، ١٩٠، ٣٣٨

الآيــة	رقم الآية	الصفحة
سـورة النحـل		
﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾	٩٠	١٩٢
﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾	٣٦	١٧٣
﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾	٨٩	٥٨
سـورة الإسـراء		
﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾	١٠	٣٥١
﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾	٨٨	١٩١، ٣١٧
سـورة الكهـف		
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾﴾	١	٦١
﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾	١١٠	٣٤٩
سـورة طـه		
﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾	٥	٦٦٦
﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾	٤٤	٥٣١
سـورة مريـم		
﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾﴾	١٦	١٩٤
﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾	٣٠ ـ ٣١	١٩٤، ٢٢٤، ٢٥١
﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾	٣٢	٢٢٤
﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾	٣٣	١٩٤
﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾	٦٥	٦٦٦
﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾	٢٨	٣٤١

الآيـــة	رقم الآية	الصفحة
سـورة الشعـراء		
﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾	٢٣ ـ ٢٤	٤٩
﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾	٢١٤	٣١٥، ٣١٩
سـورة القصـص		
﴿إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾	٢٥	٧
﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾	٤٦	٣١٥، ٣١٧
سـورة العنكبـوت		
﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾	٤٦	٦٤، ٣٢٢، ٣٢٦، ٣٢٧، ٥٤١
﴿وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ﴾	٤٨	٣١٧
سـورة الـروم		
﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾	١ ـ ٦	١٩٤
سـورة لقمـان		
﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾	٧	٥٢٧
سـورة الأحـزاب		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ﴾	٧٠ ـ ٧١	٥

الآيــة	رقم الآية	الصفحة
سـورة سبـأ		
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾	٢٨	٥، ٥٢، ٣١٦، ٣١٨
سـورة فاطـر		
﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾	١٠	٦٦٦
﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾	٢٨	٣٩٨
سـورة يـس		
﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ٦﴾	٦	٣١٧
سـورة الزمـر		
﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾	٣	٥١٦
﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾	٩	٣٩٧
﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢١﴾	٢١	٤٩٤
﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥﴾	٦٥	٣٤٩
سـورة غافـر		
﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾	٦٠	٧
سـورة فصلـت		
﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢﴾	٤٢	٦١

الآيـــة	رقم الآية	الصفحة
سورة الشورى		
﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾	١١	٦٦٦
سورة الزخرف		
﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٥٩﴾	٥٩	٢٢٣، ٢٥٠
سورة الأحقاف		
﴿يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾	٣١	٥١
سورة الفتح		
﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحٗا قَرِيبًا ٢٧﴾	٢٧	١٩٤
سورة الذاريات		
﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٥﴾	٥٥	٦٨٦
سورة القمر		
﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ٢﴾	١ ـ ٢	٢١٤
سورة الحشر		
﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾	٧	١٨٥
سورة الممتحنة		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ﴾	١	٦٩١

الصفحة	رقم الآية	الآيـــة
		سورة الصف
٣١٣، ٧٩٠	٨	﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾
٧٧٩	٩	﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾
١٦	١٤	﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾
		سورة الجمعة
٣١٥، ٣١٧	٢	﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾
٣١٧، ٣١٨	٣	﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾﴾
		سورة التغابن
٥٣٣	٧	﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ﴾
		سورة التحريم
٥٣٤	٦	﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾
٢٢٣	١٢	﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَـٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَـٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾
		سورة القلم
٢١٣	٤	﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾
		سورة نوح
٥٢٢	١٠ ـ ١٢	﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا﴾
٣٠٨، ٣٥٣	٢٣	﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾

الآيــة	رقم الآية	الصفحة
ســورة الجــن		
﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا (١) يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا (٢)﴾	١ ـ ٢	٥٢
﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا (١٨)﴾	١٨	٤٧٦
ســورة المزمــل		
﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَـٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا (١٥) فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَـٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا (١٦) فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا (١٧)﴾	١٥ ـ ١٧	٥٢٢
ســورة النبــأ		
﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِّلطَّـٰغِينَ مَـَٔابًا (٢٢) لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا (٢٣) لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَآءً وِفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا (٢٨) وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا (٢٩) فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠)﴾	٢١ ـ ٣٠	٥٢٢
﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا (٣٥) جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا (٣٦)﴾	٣١ ـ ٣٦	٥٢٢
ســورة التكويــر		
﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٦) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ (٢٧)﴾	٢٦ ـ ٢٧	٤٩
ســورة الليــل		
﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ (١) وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (٢) وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ (٤)﴾	١ ـ ٤	٥٣٣
ســورة الإخــلاص		
﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ (١) ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ (٤)﴾	١ ـ ٤	٣٤٨

فهــــرس الأحاديــــث

فهرس الأعلام

م	الأعـــلام	الصفحة
١٨	أرغش النظامي	٨٨
١٩	أريوس المصري	١١٠
٢٠	أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ	٤٧٨
٢١	إسماعيل بن جعفر الصادق	٥٧٦
٢٢	إسماعيل بن علي بن الحسين بن زنجويه	٩٥
٢٣	إسماعيل بن عمر بن كثير	٣٣
٢٤	إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصفهاني	٦٧٧
٢٥	الإمبراطور فريدريك الثاني	٣٧٩
٢٦	إيستاس الثالث	١٥٩
٢٧	أيوب بن محمد بن أبي بكر «الملك الصالح نجم الدين»	٣٨٠
٢٨	البابا أروبان الثاني	٢٣
٢٩	البابا إسكندر الثاني	٢١
٣٠	البابا أنوسنت الرابع	١٧٤
٣١	البابا بيندكت الثامن	٢١
٣٢	البابا جريجوري السابع	٢٢
٣٣	البابا سلفستر الثاني	٢٠
٣٤	البابا نيقولا الثاني	١٠٧
٣٥	البابا يوجنيوس الثالث	١٣٣
٣٦	باديس بن منصور بن بلكين الصنهاجي	٧٦
٣٧	بحيرا الراهب	٥٤٦
٣٨	بختنصر «الملك»	٥٦٩
٣٩	براهام بن برحية	٧٧٥
٤٠	برسق الأمير	٨٨
٤١	بركة خان	٤٠٨

م	الأعـــلام	الصفحة
١٤٠	فوشيه شارتر	١١٧
١٤١	الفونسو السادس «الإذفونش»	٧٧٣
١٤٢	قاروت بن داود بن ميكائيل السلجوقي «قاروت بك»	٨٢
١٤٣	القاسم بن علي بن محمد الحريري	١٩٢
١٤٤	قتادة بن دعامة البصري	٤٨
١٤٥	قسطنطيـن	٢٥٢
١٤٦	قطز بن عبدالله المملوكي	٣٨١
١٤٧	قلاوون بن عبدالله التركي	٤٦٢
١٤٨	كونرار دي مونتفرات «المركيس صاحب صور»	١٥١
١٤٩	لويس التاسع «ملك فرنسا»	١٥٨،٣٢
١٥٠	لويس السابع «ملك فرنسا»	١٣٣
١٥١	المؤلف المجهول	٣١
١٥٢	مالك بن أنس بن مالك الأصبحي	٦٠٧
١٥٣	محمد بن أبي بكر «ابن القيم»	٢٤٢
١٥٤	محمد بن أحمد الأبيوردي	١٤٧
١٥٥	محمد بن أحمد الذهبي	٣٦٣
١٥٦	محمد بن أحمد العباسي «الخليفة»	٦٢٤
١٥٧	محمد بن أحمد الكناني «ابن جبير»	٨٧
١٥٨	محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد «الجد»	٧٠٨
١٥٩	محمد بن أحمد بن خلف ابن الحاج الأندلسي	٦٩٣
١٦٠	محمد بن أحمد بن عبدالله «المقتفي» الخليفة العباسي	٦٢٤
١٦١	محمد بن أحمد بن عبدالله بن الوليد المعتزلي	٩٥
١٦٢	محمد بن أحمد بن محمد بن رشد «الحفيد»	٣٩١

م	الأعـــلام	الصفحة
١٦٣	محمد بن إدريس الشافعي	٥٨
١٦٤	محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق	٥٧٦
١٦٥	محمد بن الحسين بن محمد الأزدي السلمي	٩٥
١٦٦	محمد بن الطيب بن محمد «أبو بكر الباقلاني»	٩٣
١٦٧	محمد بن جرير الطبري	١٥
١٦٨	محمد بن داود بن ميكائيل السلجوقي «ألب أرسلان»	٨٢
١٦٩	محمد بن سالم بن نصر الله بن واصل الحموي	٣١
١٧٠	محمد بن عباد اللخمي «المعتمد بن عباد»	٨١
١٧١	محمد بن عبد الكريم الشهرستاني	٤٥٤
١٧٢	محمد بن عبدالله بن القاسم الشهرزوري	٣٦٦
١٧٣	محمد بن علي ابن الزكي	٤٧٩
١٧٤	محمد بن علي الشوكاني	١٠
١٧٥	محمد بن علي بن الخطيب البصري	٩٤
١٧٦	محمد بن عيسى بن قزمان	٧٠٧
١٧٧	محمد بن عيسى بن المناصف	٦٩٢
١٧٨	محمد بن محمد بن عبدالله الإدريسي	٧٢٥
١٧٩	محمد بن محمد بن محمد الطوسي الغزالي	٩٣
١٨٠	محمد بن محمد بن مصطفى العمادي «أبو السعود»	٥٠
١٨١	محمد بن محمود بن محمد الأصفهاني «العماد الأصفهاني»	١٤٦
١٨٢	محمد بن يحيى الهتاني «من ملوك الدولة الحفصية»	٤٦٢
١٨٣	محمود بن أبي بكر الأرموي	٤٧٣
١٨٤	محمود بن بوري «صاحب دمشق»	٦٢٦
١٨٥	محمود بن عمر بن محمد الزمخشري	٩٥
١٨٦	محمود بن محمد بن ملكشاه	٣٦٢

فهـــرس الأماكـــن

فهرس المصادر والمراجع

١ ـ **الإبانة عن أصول الديانة**، علي بن إسماعيل الأشعري «أبو الحسن الأشعري»، تقديم وتعليق حماد الأنصاري، نشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٠٩هـ.

٢ ـ **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الحنفاء**، أحمد بن علي المقريزي، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

٣ ـ **الإتقان في علوم القرآن**، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تقديم وتعليق محمد شريف سكر وزميله، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٤ ـ **أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوربي خلال الحروب الصليبية**، عبدالله بن عبد الرحمن الربيعي، الرياض، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٥ ـ **أثر العامل الديني في توجيه الحركة الصليبية**، محمد صالح منصور، جامعة قارينوس، بنغازي، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

٦ ـ **أثر العرب في الحضارة الأوربية**، جلال مظهر، دار الرائد، بيروت، ١٩٦٧م.

٧ ـ **أثر العرب في الحضارة الأوربية**، عباس محمود العقاد، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٣م.

٨ ـ **الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة**، أحمد بن إدريس القرافي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٩ ـ **الإحاطة في أخبار غرناطة**، محمد بن عبدالله الخطيب، «لسان الدين»، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

١٠ ـ **الإحاطة في أخبار غرناطة**، محمد بن عبدالله بن الخطيب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

١١ ـ **أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية**، أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق عبد الرحمن دمشقية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٢ ـ **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، محمد بن محمد العمادي «أبو السعود» دار إحياء التراث، بيروت.

١٣ ـ **أزهار الرياض في أخبار عياض**، أحمد بن محمد المقري، نشر صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية والإمارات العربية المتحدة، الرباط، ١٩٧٨م.

١٤ ـ **أساس التقديس**، محمد بن عمر الرازي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهري، ١٤٠٦هـ.

١٥ ـ **الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى**، أحمد بن خالد الناصري السلاوي، تحقيق جعفر الناصري وزميله، مطبعة دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٤م.

١٦ ـ **الأسرى الصليبيون في أيدي الحكام المسلمين**، محمود سعيد عمران، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

١٧ ـ **الإسلام في إسبانيا**، لطفي عبد البديع، مكتبة النهضة العصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٨م.

١٨ ـ **الإسلام والمسيحية وصراع القوى بينهما في العصور الوسطى**، حوزيف نسيم، دار الفكر الجامعي، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

١٩ ـ **الأسلوب**، محمد كامل أحمد جمعة، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٣م.

٢٠ ـ **أصول الدعوة**. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت. الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

٢١ ـ **أطلس العالم**، محمد سيد نصر وآخرون، مكتبة لبنان، بيروت.

٢٢ ـ **أطلس تاريخ العالم**، حسين مؤنس، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٢٣ ـ **الاعتبار**، أسامة بن مرشد بن منقذ، حرره فليب حتي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

٢٤ ـ **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**، محمد بن عمر الرازي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٩٨هـ.

٢٥ ـ **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، محمد بن أبي بكر «ابن القيم»، تعليق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت.

٢٦ ـ **الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام**، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، مكتبة الحرمين، الرياض.

٢٧ ـ **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، عباس بن إبراهيم المراكشي، المغرب، فاس، الطبعة الأولى، ١٩٣٦م.

٢٨ ـ **الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على بلاد المسلمين**، أحمد بن علي بن أحمد الحريري، تحقيق د. مهدي رزق الله أحمد، دار الدعوة، الإسكندرية، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٢٩ ـ **الأعلام**، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٩٩٠م.

٣٠ ـ **أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس**، المؤلف المجهول، ترجمة د. حسن حبشي، دار الهناء للطباعة، القاهرة، ١٩٥٨م.

٣١ ـ **الأمالي**، علي بن الحسين المرتضي الموسوي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتاب العربي، بيروت.

٣٢ ـ **الإمبراطور نقفور فوكاس واسترجاع الأراضي المقدسة**، عمر كمال توفيق، القاهرة، ١٩٧٩م.

٣٣ ـ **أمثال العوام في الأندلس**، عبدالله بن أحمد الزجالي، تحقيق د. محمد بنشريفة، فاس، ١٩٧٥م.

٣٤ ـ **الأمثال في القرآن**، محمد بن أبي بكر «ابن القيم»، تحقيق سيد الخطيب، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية.

٣٥ ـ **الأمور المتيقنة عندنا**، القس كارل س وزميله، مكتبة إيزيس، الإسكندرية.

٣٦ ـ **الأنباء في تاريخ الخلفاء**، محمد بن علي بن العمراني، تحقيق قاسم السامرائي، دار العلوم، الرياض، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م.

٣٧ ـ **إنجيل برنابا**، برنابا، ترجمة د. خليل سعادة، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة.

٣٨ ـ **الأنساب**، عبد الكريم بن محمد السمعاني، تحقيق عبدالله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٩٨م.

٣٩ ـ **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، علي بن عبدالله بن أبي زرع، دار المنصور، الرباط، ١٩٧٢م.

٤٠ ـ **أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية**، علي نفيع العلياني، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٤١ ـ **أوربا العصور الوسطى**، سعيد عبد الفتاح عاشور، مكتبة الإنجلو مصرية، القاهرة، الطبعة العاشرة، ١٩٨٦م.

٤٢ ـ **الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر**، محمود محمد علي الحويري، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م.

٤٣ ـ **إيماني**، القس إلياس مقار، دار الثقافة، القاهرة.

٤٤ ـ **الباعث على إنكار البدع والحوادث**، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي «أبو شامة»، تحقيق عادل عبد المنعم أبو العباس، مكتبة الساعي، الرياض.

٤٥ ـ **ببلوجرافيا عن مؤلفات ابن الجوزي**، عبد الحميد العلوجي، بغداد، ١٩٦٥م.

٤٦ ـ **البحث العلمي مفهومه**، أدواته، أساليبه، ذوقان عبيدات وآخرون، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٩م.

٤٧ ـ **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، محمد بن أحمد الحنفي، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٤٨ ـ **البداية والنهاية**، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٤٩ ـ **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، محمد بن علي الشوكاني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

٥٠ ـ **البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان**، عباس بن منصور السكسكي الحنبلي، تحقيق د. بسام العموش، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.

٥١ ـ **بغية الطلب في تاريخ حلب**، عمر بن أحمد بن هبة الله «ابن العديم العقيلي» مطبعة الجمعية التاريخية التركية، أنقره، ١٩٧٦م.

٥٢ ـ **بناء الجبهة الإسلامية المتحدة وأثرها في التصدي للصليبيين**، محمود محمد الحويري، دار المعارف، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

٥٣ ـ **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، «قسم المرابطين» أحمد بن محمد بن عذاري، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣م.

٥٤ ـ **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، «قسم الموحدين»، أحمد بن محمد بن عذاري، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٥٥ ـ **بيان الواضح المشهود في فضائح النصارى واليهود**، صالح بن الحسين الجعفري، مخطوط في المتحف البريطاني بلندن، ضمن مجموعة تحمل رقم (أ.د.د ١٦٦٦١).

٥٦ ـ **بيان مذهب الباطنية وبطلانه**، محمد بن الحسن الديلمي، إدارة ترجمان السنة، لاهور، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٥٧ ـ **تاريخ الإسلام**، محمدبن أحمد الذهبي، تحقيق عمر عبد السلام تدمري وآخرين، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٥٨ - **تاريخ الإسلام**، محمد بن أحمد الذهبي، مخطوطة بمكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تحت رقم (١٨٢٣).

٥٩ - **التاريخ الأندلسي**، عبد الرحمن علي الحجي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

٦٠ - **تاريخ الحروب الصليبية**، ستيفن رانسيمان، ترجمة د. السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٨م.

٦١ - **تاريخ الحروب الصليبية**، محمود سعيد عمران، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، ١٩٩٨م.

٦٢ - **تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى**، عبد المنعم ماجد، مكتبة الإنجلو مصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٢م.

٦٣ - **تاريخ الحضارة الإسلامية في صقلية وأثرها على أوربا**، حامد زيان غانم، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٧م.

٦٤ - **تاريخ الدولة العثمانية**، أورتايلماز، ترجمة عدنان محمود سليمان وزميله، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، إستانبول.

٦٥ - **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، محمد بن إبراهيم الزركشي، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس.

٦٦ - **تاريخ الطائفة المارونية**، أسطفان الدويهي، بيروت، ١٨٩٠م.

٦٧ - **تاريح العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى**، سعيد عبد الفتاح عاشور، بيروت، ١٩٧٦م.

٦٨ - **التاريخ المجموع**، سعيد بن البطريق، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٥م.

٦٩ - **تاريخ النصارى في الأندلس**، عبادة عبد الرحمن كحيلة، المطبعة الإسلامية الحديثة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٧٠ - **تاريخ أوربا في العصور الوسطى**، هـ.ا.ل فشر، ترجمة محمد مصطفى وزميله، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٠م.

٧١ ـ **تاريخ دولة آل سلجوق**، الفتح بن علي بن محمد البنداري، شركة الكتب العربية، القاهرة، ١٣١٨هـ.

٧٢ ـ **تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين**، فليب حتي، ترجمة كمال اليازجي، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٢م.

٧٣ ـ **تبيين كذب المفتري**، علي بن الحسن بن عساكر الدمشقي، تعليق زاهد الكوثري، دار الكتاب العربي، ١٣٩٩هـ.

٧٤ ـ **تخجيل من حرف التوراة والإنجيل**، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٧٥ ـ **التدمرية**، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، تحقيق محمد بن عودة السعوي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٥٨م.

٧٧ ـ **تسهيل الحصول على قواعد الأصول**، محمد أمين الدمشقي، تحقيق د. مصطفى الخن، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ ـ ٩٩١م.

٧٨ ـ **تشريف الأيام والعصور في سيرة المنصور**، محيي الدين بن عبد الظاهر، القاهرة، ١٩٦١م.

٧٩ ـ **تفسير المنار**، محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت.

٨٠ ـ **تقريب التهذيب**، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، «ابن حجر»، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٨١ ـ **التكملة لكتاب الصلة**، عبدالله بن محمد بن الأبار، طبعة فرانسسكو كوديرا، مدريد، ١٨٨٧م.

٨٢ ـ **التكملة لكتاب الصلة**، محمد بن عبدالله بن الأبار، نشر عزت العطار الحسيني، مصر، ١٣٧٥هـ.

٨٣ ـ **تلبيس إبليس**، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، دار الفكر.

٨٤ ـ **التوراة والإنجيل والقرآن والعلم**، موريس بوكاي، ترجمة حسن خالد، المكتب الإسلامي، بيروت. الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.

٨٥ ـ **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، طبع مركز صالح الثقافي، عنيزة، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٨٦ ـ **جامع البيان**، «تفسير الطبري» محمد بن جرير الطبري، المكتبة التجارية، مكة المكرم، ١٤٠٨هـ.

٨٧ ـ **جامع الدروس العربية**، مصطفى الغلاييني، راجعه عبد المنعم خفاجه، المكتبة العصرية، صيدا وبيروت، الطبعة الحادية والعشرون، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

٨٨ ـ **الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور**، محمد بن محمد بن الأثير، تحقيق مصطفى جواد وزميله، المجمع العلمي العراقي، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م.

٨٩ ـ **الجامع المفصل في تاريخ الموارنة المفصل**، يوسف الدبس، بيروت، ١٩٠٥م.

٩٠ ـ **الجامع لأحكام القرآن**، محمد بن أحمد القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٩١ ـ **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**، أحمد بن محمد بن القاضي، دار الأخبار المصرية، ٧/ ٩/ ١٩٩٢م.

٩٢ ـ **جريدة الأخبار المصرية**، ٧/ ٩/ ١٩٩٢م.

٩٣ ـ **جريدة الأهرام المصرية**، ١٠/ ٩/ ١٩٩٢م.

٩٤ ـ **جريدة الشرق الأوسط السعودية**، ٧/ ٩/ ١٩٩٢م.

٩٥ ـ **جريدة المدينة**، ٤/ ٢/ ١٤٢٠هـ.

٩٦ ـ **جهاد المسلمين في الحروب الصليبية**، فايد حماد عاشور، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٩٧ ـ **جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عصري المرابطين والموحدين**، محمد بن إبراهيم أبا الخيل، دار أصداء المجتمع، المملكة العربية السعودية، بريدة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٩٨ ـ **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، تحقيق د. علي بن حسن بن ناصر، وآخرين، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

٩٩ ـ **جوانب من تاريخ أهل الذمة في الأندلس الإسلامية**، عمر بنميرة، مجلة دراسات أندلسية، العدد ١٤، محرم ١٤١٦هـ.

١٠٠ ـ **جواهر البلاغة**، السيد أحمد الهاشمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠١ ـ **الجواهر المضية في طبقات الحنفية**، عبد القادر بن محمد القرشي، حيدرآباد، ١٣٣٢هـ.

١٠٢ ـ **الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية**، محمد عبدالله عنان، دار النشر الحديث، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٧٩هـ.

١٠٣ ـ **الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة**، إسماعيل بن محمد الأصبهاني، تحقيق ودراسة محمد بن ربيع مدخلي وزميله، دار الراية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.

١٠٤ ـ **الحرب الصليبية الأولى**، حسن حبشي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٤٧م.

١٠٥ ـ **الحركة الصليبية**، سعيد عبد الفتاح عاشور، مكتبة الإنجلو مصرية، القاهرة، الطبعة السادسة، ١٩٩٤م.

١٠٦ ـ **الحروب الصليبية في المشرق والمغرب**، محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٢م.

١٠٧ ـ **الحروب الصليبية**، آرنست باركر، ترجمة د. السيد الباز العريني، دار النهضة، بيروت، الطبعة الرابعة.

١٠٨ ـ **الحروب الصليبية**، وليم الصوري، ترجمة د. حسن حبشي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩١م.

١٠٩ ـ **حضارة الإسلام**، جرونباوم، ترجمة عبد العزيز جاويد، القاهرة، ١٩٥٦م.

١١٠ ـ **حضارة العرب**، غوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٤٥م.

١١١ ـ **الحضارة العربية الإسلامية**، علي حسن الخربوطلي، القاهرة، ١٩٦٣م.

١١٢ ـ **حقائق أساسية في الإيمان المسيحي**، القس فايز فارس، دار الثقافة المسيحية، القاهرة.

١١٣ ـ **الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية**، شكيب أرسلان، المطبعة الرحمانية، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٥هـ ـ ١٩٣٦م.

١١٤ ـ **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، مؤلف مجهول من أهل القرن الثامن الهجري، تحقيق د. سهيل زكار وزميله، دار الرشاد الحديثة، الرباط، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

١١٥ ـ **الحوادث والبدع، محمد بن الوليد الطرطوشي**، تحقيق علي بن حسن بن علي، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١١٦ ـ **الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام**، أحمد بدوي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة.

١١٧ ـ **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس**، سعد بن عبدالله البشري، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

١١٨ ـ **الخلفية الأيديلوجية للحروب الصليبية**، قاسم عبده قاسم، دراسة عن الحملة الأولى، دار المعارف، ١٩٨٣م.

١١٩ ـ **الخيبة الأدبية للسياسة الغربية في الشرق**، أحمد رضا بك، ترجمة محمد بورقيبة وزميله، دار بو سلامة، تونس، الطبعة الثانية.

١٢٠ ـ **دائرة المعارف**، بطرس البستاني، مؤسسة مطبوعاتي، إسماعيليان، طهران، ١٨٨٢م.

١٢١ ـ **الدارس في تاريخ المدارس**، عبد القادر بن محمد النعيمي، مكتبة الثقافة الدينية، دمشق، ١٩٨٨م.

١٢٢ ـ **الداعي إلى الإسلام**، عبد الرحمن بن محمد الأنباري، تحقيق سيد حسين با غجوان، دار البشائر، بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

١٢٣ ـ **الدر المنظم في مولد النبي المعظم**، أحمد بن محمد العزفي وابنه محمد،

نشر مقدمة الكتاب فرناندودي لانجرانخا في مجلة الأندلس الإسبانية، العدد ٣٤ سنة ١٩٦٩م.

١٢٤ ـ **درء تعارض العقل والنقل**، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام «ابن تيمية»، تحقيق د. رشاد سالم، إصدار جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٣٩٩هـ.

١٢٥ ـ **دراسات في التصوف**، إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور، ١٤٠٩هـ.

١٢٦ ـ **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، «ابن حجر»، حيدرآباد، ١٩٤٥م.

١٢٧ ـ **الدعوة الإسلامية دعوة عالمية**، محمد الراوي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ.

١٢٩ ـ **الدعوة إلى الإسلام**، توماس أرنولد، ترجمة د. حسن إبراهيم حسن وآخرين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٧٠م.

١٣٠ ـ **الدعوة إلى الله**، توفيق الواعي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

١٣١ ـ **الدعوة والإنسان**، عبدالله الشاذلي، المكتبة القومية الحديثة، طنطا، مصر، الطبعة الأولى.

١٣٢ ـ **دول الإسلام**، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق محمد شلتوت وزميله، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.

١٣٣ ـ **دولة الإسلام في الأندلس**، محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

١٣٤ ـ **ديوان ابن حزم**، علي بن أحمد الأندلسي، «ابن حزم الظاهري»، تحقيق صبحي رشاد عبد الكريم، دار الصحابة، طنطا، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

١٣٥ ـ **ديوان أبي العلاء المعري**، أحمد بن عبد العزيز التنوخي «أبو العلاء المعري» طبعة دار صادر، بيروت، ١٣٨١هـ.

١٣٦ ـ **ديوان الحطيئة**، جرول بن أوس، شرح أبي سعيد السكري، دار صادر، بيروت.

١٣٧ ـ **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، علي بن بسام الشنتريني، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

١٣٨ ـ **ذم الكلام وأهله**، عبدالله بن محمد الهروي، تحقيق عبدالله بن محمد الأنصاري، دار الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

١٣٩ ـ **ذيل تاريخ دمشق**، حمزة بن أسد بن علي «ابن القلانسي»، تحقيق د. سهيل زكار، نشر دار حسان، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

١٤٠ ـ **الذيل على الروضتين**، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٤م.

١٤١ ـ **الذيل على طبقات الحنابلة**، عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي، «ابن رجب»، دار المعرف، بيروت.

١٤٢ ـ **ذيل مرآة الزمان**، موسى بن محمد اليونيني، مطبعة مجلس دائر المعارف العثمانية، حيدرآباد، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٤م.

١٤٣ ـ **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشي، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٣م.

١٤٤ ـ **رحلة ابن جبير**، محمد بن أحمد الكناني، دار صادر، بيروت، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

١٤٥ ـ **الرد على النصارى**، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمد محمد حسانين، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الألألى، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

١٤٦ ـ **رسائل ابن أبي الخصال**، محمد بن عبدالله بن أبي الخصال، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

١٤٧ ـ **رسائل أبي بكر ابن العربي**، محمد بن عبدالله بن العربي، تحقيق د.

عصمت عبد اللطيف دندش، (ملحق بكتاب دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا للمحقق)، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٤٨ ـ **الرسالة الناصرية**، مختار بن محمد الزاهدي، تحقيق محمد المصري، منشورات مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

١٤٩ ـ **الرسالة**، محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق أحمد محمد شاكر، المكتبة العلمية، بيروت.

١٥٠ ـ **الروضتين في أخبار الدولتين**، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، «أبو شامة»، دار الجيل، بيروت.

١٥١ ـ **زاد المعاد في هدي خير العباد**، محمد بن أبي بكر «ابن القيم» تحقيق شعيب الأرناؤوط وزميله، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السادسة عشر، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٥٢ ـ **زبدة الحلب في تاريخ حلب**، عمر بن أحمد بن هبة الله العقيلي، «ابن العديم»، تحقيق سامي الدهان، دمشق.

١٥٣ ـ **سراج الملوك**، محمد بن الوليد الطرطوشي، تحقيق محمد فتحي أبو بكر، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

١٥٤ ـ **السلوك لمعرفة دول الملوك، الجزء الأول والثاني**، أحمد بن علي المقريزي، بتحقيق محمد مصطفى زيادة، نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٧١م، والجزء الثالث والرابع بتحقيق د. سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٢م.

١٥٥ ـ **سنن أبي داود**، سليمان بن الأشعث السجستاني، إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس وزميله، دار الحديث، حمص، الطبعة الأولى، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

١٥٦ ـ **سنن الترمذي**، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق أحمد شاكر وزميله، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ.

١٥٧ ـ **سنن الدارمي**، عبدالله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق عبدالله هاشم يماني، حديث أكاديمي، باكستان، ١٤٠٤هـ.

١٥٨ ـ **السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية**، تحقيق أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، محمد إبراهيم البنا وزميله، القاهرة، ١٩٧٠م.

١٥٩ ـ **السيد أحمد البدوي شيخ وطريقة**، سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة.

١٦٠ ـ **سير أعلام النبلاء**، محمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الحادية عشرة، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١٦١ ـ **شجرة النور الزكية**، في طبقات المالكية، محمد بن محمد مخلوف، القاهرة، ١٣٤٩هـ.

١٦٢ ـ **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، عبد الحي بن العماد الحنبلي، تحقيق محمد الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

١٦٣ ـ **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، عبدالله بن عقيل العقيلي، المكتبة العصرية، صيدا وبيروت، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

١٦٤ ـ **شرح النووي على صحيح مسلم**، يحيى بن شرف النووي، المطبعة المصرية الأزهرية، الطبعة الأولى، ١٣٤٧هـ.

١٦٥ ـ **شرح لمعة الاعتقاد**، محمد بن صالح العثيمين، تحقيق أشرف بن عبد المقصود، مكتبة دار طبرية، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

١٦٦ ـ **شرح مختصر الروضة**، سليمان بن عبد القوي الطوفي، تحقيق د. عبدالله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

١٦٧ ـ **شرح مقامات الحريري**، أحمد بن عبد المؤمن الشريسي، تحقيق د. محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

١٦٨ ـ **الشرق الإسلامي والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين**، زبيدة محمد عطا، دار الأمين، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

١٦٩ ـ **الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية**، كلود كاهن، ترجمة أحمد شيخ، سينا للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

١٧٠ ـ **شفاء القلوب في مناقب بني أيوب**، أحمد بن إبراهيم الحنبلي، تحقيق ناظم رشيد، وزارة الثقافة والفنون، العراق، ١٩٧٨م.

١٧١ ـ **شمس العرب تسطع على الغرب**، زيغريد هونكه، ترجمة فاروق بيضون وزميله، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨١م.

١٧٢ ـ **الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة**، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

١٧٣ ـ **الشيخ عبد العزيز بن باز نموذج من الرعيل الأول**، عبد المحسن بن حمد العباد البدر، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٧٤ ـ **الشيعة والتصحيح**، موسى الموسوي، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

١٧٥ ـ **صحيح البخاري**، عبدالله بن محمد بن إسماعيل البخاري، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

١٧٦ ـ **صحيح سنن أبي داود**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبع الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

١٧٧ ـ **صحيح مسلم**، مسلم بن حجاج القشيري، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

١٧٨ ـ **صلاح الدين الأيوبي «قصة الصراع بين الشرق والغرب خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد»**، قدري القلعجي، دار الكتاب العربي، ١٩٦٦م.

١٧٩ ـ **الصلة**، خلف بن عبدالله بن بشكوال، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦م.

١٨٠ ـ **صلة الصلة**، أحمد بن إبراهيم بن الزبير، تحقيق ليفي بروفنسال، مكتبة خياط، بيروت.

١٨١ ـ **صيد الخاطر**، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٨٢ ـ **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، القاهرة، ١٣٥٣هـ.

١٨٣ ـ **طبقات الأطباء والحكماء**، سليمان بن حسان الأندلسي «ابن جلجل»، تحقيق فؤاد السيد، القاهرة، ١٩٥٥م.

١٨٤ ـ **طبقات الشافعية الكبرى**، عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق عبد الفتاح الحلول وزميله، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

١٨٥ ـ **طبقات الصوفية**، محمد بن الحسين السلمي، تحقيق نور الدين شريبه، القاهرة.

١٨٦ ـ **الطبقات الكبرى**، محمد بن سعد، دار صادر، بيروت.

١٨٧ ـ **طبقات المفسرين**، أحمد بن محمد الأدنة وي، تحقيق د. سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

١٨٨ ـ **طبقات النحويين واللغويين**، محمد بن الحسن الزبيدي، القاهرة، ١٩٥٤م.

١٨٩ ـ **العبر وديوان المبتدأ والخبر**، عبد الرحمن بن خلدون، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١م.

١٩٠ ـ **العدوان الصليبي على بلاد الشام**، جوزيف نسيم، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م.

١٩١ ـ **العدوان الصليبي على مصر**، جوزيف نسيم، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م.

١٩٢ ـ **العرب في إسبانيا**، لين بول، ترجمة علي الجارم، طبعة دار المعارف، مصر.

١٩٣ ـ **العرب والروم واللاتين في الحروب الصليبية الأولى**، جوزيف نسيم، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م.

١٩٤ ـ **العصور الوسطى الأوربية**، عبد القادر أحمد اليوسف، المكتبة العصرية، صيدا، وبيورت، ١٩٦٧م.

١٩٥ ـ **العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى**، حسان حلاق، الدار الجامعية ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

١٩٦ ـ **العلاقات بين الشرق والغرب**، عزيز سريال عطية، ترجمة فليب جابر سيف، دار الثقافة، ١٩٧٢م.

١٩٧ ـ **علم البديع**، عبد العزيز عتيق، دار النهضة، بيروت، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٧٥م.

١٩٨ ـ **علم اللاهوت النظامي**، مؤلف مجهول، دار الثقافة المسيحية، القاهرة، ١٩٧١م.

١٩٩ ـ **علم دراسة الأديان عند المسلمين**، محمود قدح، نشر دار البخاري، المدينة المنورة.

٢٠٠ ـ **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق د. محمد قرقزان، دار المعرفة، بيروت، الطعة الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٢٠١ ـ **عيون المناظرات، عمر السكوني**، تحقيق سعد غراب، منشورات الجامعة التونسية، ١٩٧٦م.

٢٠٢ ـ **الغزو الصليبي والعالم الإسلامي**، علي عبد الحميد محمود، شركة عكاظ للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٢٠٣ ـ **غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام**، فتحي محمد الزعبي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٢٠٤ ـ **الغنية**، عياض بن موسى، تحقيق محمد بن عبد الكريم، الدار الغربية للكتاب، ليبيا، وتونس، ١٣٩٨ ـ ١٩٧٨م.

٢٠٥ ـ **فتاوى ابن رشد الجد**، محمد بن أحمد بن رشد «الجد» تحقيق المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٢٠٦ ـ **فتاوى ومسائل ابن الصلاح**، عثمان بن عبد الرحمن «ابن الصلاح» جمع

وتعليق د. عبد المعطي أمين قلعجي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٢٠٧ ـ **فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني**، تعليق سعيد بن محمد اللحام، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.

٢٠٨ ـ **فتوح البلدان**، أحمد بن يحيى البلاذري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ.

٢٠٩ ـ **الفتوحات المكية**، محمد بن علي بن عربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٥هـ.

٢١٠ ـ **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**، محمد بن علي بن طباطبا، دار صادر، بيروت.

٢١١ ـ **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي**، ألفرد بل، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م.

٢١٢ ـ **فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر**، نبيلة إبراهيم مقامي، مطبعة جامعة القاهرة، الكتاب الجامعي، القاهرة، ١٩٩٤م.

٢١٣ ـ **الفرق بين الفرق**، عبد القاهر بن طاهر البغدادي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٦هـ.

٢١٤ ـ **الفصل في الملل والنحل**، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، مكتبة الخانجي، مصر.

٢١٥ ـ **فصوص الحكم**، محمد بن علي بن عربي، تعليق أبي العلاء العفيفي، دار الكتاب العربي، بيروت.

٢١٦ ـ **فضل الإسلام على الحضارة الغربية**، مونتجمري وات، ترجمة حسين أحمد أمين، دار الشرق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٢١٧ ـ **الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع الهجري**، عبد المجيد الشرفي، الدار التونسية للنشر، ١٩٩٦م.

٢١٨ ـ **فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم**

وأنواع المعارف، محمد بن خير الأموي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٢١٩ ـ **الفهرست**، محمد بن إسحاق البغدادي «ابن النديم»، طبعة دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ.

٢٢٠ ـ **الفوائد البهية في تراجم الحنفية**، محمد عبد الحي اللكهنوي، مصر، ١٣٢٤هـ.

٢٢١ ـ **الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن وعلم البيان**، الكتاب منسوب إلى محمد بن أبي بكر «ابن القيم»، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٢م.

٢٢٢ ـ **قاموس الكتاب المقدس**، نخبة من علماء اللاهوت النصارى، دار الثقافة المسيحية، الطبعة الثانية.

٢٢٣ ـ **القاموس المحيط**، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٢٢٤ ـ **قنوات الاتصال بين الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية**، محمد المكي الناصري، بحث ضمن ندوة الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية، الأخذ والعطاء، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٤١٢هـ.

٢٢٥ ـ **القول المفيد على كتاب التوحيد**، محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب د. سليمان أبا الخيل وزميله، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٢٦ ـ **الكامل في التاريخ**، علي بن محمد الشيباني، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٢٢٧ ـ **كتاب الخراج**، يعقوب بن إبراهيم «أبو يوسف» دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٩هـ.

٢٢٨ ـ **كشاف اصطلاحات الفنون**، محمد بن علي التهانوي، وضع حواشيه أحمد

حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

٢٢٩ ـ **كشف الظنون**، مصطفى بن عبدالله «حاجي خليفة» دار العلوم الحديثة، بيروت، ١٣٦٠هـ ـ ١٩٤١م.

٢٣٠ ـ **الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة**، نجم الدين محمد الغزي، تحقيق جرائيل سليمان جبور، نشر محمد أمين دمج وشركاه، بيروت.

٢٣١ ـ **كيد الشيطان لنفسه قبل خلق آدم. ومعه بيان مذاهب الفرق الضالة**، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٢٣٢ ـ **لبنان في التاريخ**، فليب حتي، ترجمة د. أنيس فريحة، بيروت، ١٩٥٩م.

٢٣٣ ـ **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٢٣٤ ـ **لويس التاسع وحملته على مصر والشام**، جان دي جوانفيل، ترجمة د. حسن حبشي، القاهرة.

٢٣٥ ـ **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، محمد الرعيني القيرواني، تحقيق محمد شماس، المكتبة العتيقة، تونس.

٢٣٦ ـ **مباحث في علوم القرآن**، مناع القطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثاني، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٢٣٧ ـ **المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية**، أحمد رمضان محمد، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٧م.

٢٣٨ ـ **المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر**، رياض سوريال، مكتبة المحبة، القاهرة.

٢٣٩ ـ **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة.

٢٤٠ ـ **مجموع فتاوى مقالات متنوعة**، عبد العزيز بن عبدالله بن باز، جمع وإشراف محمد بن سعد الشويعر، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤١٢هـ.

٢٤١ ـ **مجموعة الشرع الكنسي**، حنانيا إلياس كساب، منشورات النور، بيروت.

٢٤٢ ـ **محاضرات في النصرانية**، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، الطبعة الثالثة، ١٩٦٦م.

٢٤٣ ـ **المحاولات التبشيرية في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية**، حسن عبد الوهاب حسين، بحث ضمن مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، المجلد الثامن والثلاثون، ١٩٩٠م.

٢٤٤ ـ **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق المجلس العلمي بفاس، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٢٤٥ ـ **محمد كما ورد في كتاب اليهود والنصارى**، عبد الأحد داود، ترجمة محمد فاروق الزين، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٢٤٦ ـ **محيط المحيط**، بطرس البستاني، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٧م.

٢٤٧ ـ **مختصر التحفة الاثني عشرية**، شاه عبد العزيز الدهلوي، ترجمة غلام محمد الأسلمي، اختصار وتهذيب محمود شكري الألوسي، تحقيق محب الدين الخطيب، طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية، الرياض، ١٤٠٤هـ.

٢٤٨ ـ **المدارس في بيت المقدس في العصر الأيوبي والمملوكي**، عبد الجليل حسن عبد المهدي، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٨١م.

٢٤٩ ـ **المدرسة الشاذلية وإمامها أبو الحسن الشاذلي**، عبد الحليم محمود، دار الكتاب الحديث، القاهرة.

٢٥٠ ـ **مذكرات جوانفيل**، جان جوانفيل، ترجمة د. حسن حبشي، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨م.

٢٥١ ـ **مرآة الزمان**، يوسف بن قز أوغلي «سبط ابن الجوزي»، حيدرآباد، ١٩٥١م.

٢٥٢ ـ **المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا**، «تاريخ قضاة الأندلس»، علي بن عبدالله النباهي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

٢٥٣ ـ **المستدرك على الصحيحين**، الحاكم النيسابوري، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي، دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٥٤ ـ **مستلزمات الدعوة في الوقت الحاضر**، علي صالح المرشد، مكتبة لينة دمنهور، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

٢٥٥ ـ **المسلمون في تاريخ الحضارة**، ستانودكب، ترجمة د. محمد فتحي عثمان، الدار السعودية، جدة، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٢٥٦ ـ **المسند**، أحمد بن حنبل الشيباني، حققه جماعة من الباحثين بإشراف د. عبدالله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٤٢٠م.

٢٥٧ ـ **المسيح في الفكر الإسلامي الحديث وفي المسيحية**، منير خوام، مؤسسة خليفة للطباعة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.

٢٥٨ ـ **المسيحية نشأتها وتطورها**، شارل جنيبير، ترجمة د. عبد الحليم محمود، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت.

٢٥٩ ـ **المسيحية، أحمد شلبي**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثامنة، ١٩٨٤م.

٢٦٠ ـ **معالم التنزيل**، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق محمد عبدالله النمر وآخرين، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

٢٦١ ـ **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، عبد الواحد بن علي المراكشي، تحقيق محمد سعيد العريان وزميله، مطبعة الاستقامة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٩م.

٢٦٢ ـ **معجم الأدباء**، ياقوت الحموي، دار المستشرق، بيروت، ١٩٢٣م.

٢٦٣ ـ **معجم البلدان**، ياقوت الحموي، تحقيق فريد الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٢٦٤ ـ **معجم الحضارات السامية**، هنري س عبودي، جروس برس، طرابلس، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٢٦٥ ـ **معجم المؤلفين في تراجم مصنفي الكتب العربية**، عمر رضا كحالة، مكتبة المتنبي، بيروت.

٢٦٦ ـ **معجم المفسرين من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر**، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٢٦٧ ـ **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية.

٢٦٨ ـ **معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ**، صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.

٢٦٩ ـ **معجم مصنفات القرآن الكريم**، علي شواخ، دار الرفاعي، الرياض، ١٤٠٣هـ.

٢٧٠ ـ **معجم مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس، تحقيق د. عبد السلام هارون، دار الفكر.

٢٧١ ـ **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب**، أحمد بن يحيى الونشريسي، خرجه جماعة من الفقهاء، بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٢٧٢ ـ **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، عبدالله بن عبد العزيز البكري، تحقيق دي سلان، باريس، الطبعة الثانية، ١٩١١م.

٢٧٣ ـ **المغني**، عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق د. عبدالله التركي وزميله، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٢٧٤ ـ **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، محمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٧٥ ـ **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، محمد بن سالم بن واصل، تحقيق د. جمال الدين الشيال، دار العلم، القاهرة.

٢٧٦ ـ **مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان**، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة، تحت عنوان: بين الإسلام والمسيحية، مكتبة وهبة، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

٢٧٧ ـ **مقدمة ابن خلدون**، عبد الرحمن بن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

٢٧٨ ـ **الملل والنحل**، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق أمير علي مهنا وزميله، دار المعرفة، بيورت.

٢٧٩ ـ **مناهج البحث في التربية وعلم النفس**، ديوبولدب فان دالين، ترجمة د. محمد نبيل فضل وآخرين، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.

٢٨٠ ـ **مناهج الجدل في القرآن الكريم**، زاهر بن عواض الألمعي، الرياض، مطابع الفرزدق، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

٢٨١ ـ **مناهل العرفان في علوم القرآن**، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

٢٨٢ ـ **المنتظم**، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٢٨٣ ـ **المنجد في اللغة والأعلام**، مجموعة من ذوي الاختصاص اللغوي والفني، دار الشرق، بيروت، الطبعة الحادية والعشرون.

٢٨٤ ـ **منظومة البوصيري في الرد على النصارى واليهود**، محمد بن سعيد الأبوصيري، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، مطبعة دار البيان، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٢٨٥ ـ **منهاج السنة في نقض كلام الشيعة والقدرية**، أحمد بن عبد الحليم بن

عبد السلام «ابن تيمية»، تحقيق د. محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٠٦هـ.

٢٨٦ ـ **منهج ابن تيمية في الدعوة**، عبدالله بن رشيد الحوشاني، دار إشبيليا، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٢٨٧ ـ **المنهج الأحمد في تراجم أصحاب أحمد**، عبد الرحمن بن محمد العليمي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.

٢٨٨ ـ **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، أحمد بن علي المقريزي، دار صادر، بيروت.

٢٨٩ ـ **الموسوعة العربية العالمية**، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

٢٩٠ ـ **الموسوعة العربية الميسرة**، محمد شفيق غربال، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥م.

٢٩١ ـ **الموسوعة الفلسفية العربية**، معن زيادة، معهد الإنماء العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

٢٩٢ ـ **موقف ابن تيمية من النصرانية**، مريم عبد الرحمن زامل، نشر جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٢٩٣ ـ **الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم**، محمد بن عبدالله بن العربي، تحقيق عبد الكريم العلوي، المدغري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٢٩٤ ـ **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، يوسف بن تغري بردي الأتابكي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة.

٢٩٥ ـ **الندوة العالمية للشباب الإسلامي**، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.

٢٩٦ ـ **نشأة الصوفية وتطورها**، عرفان عبد الحميد فتاح، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٤هـ.

٢٩٧ ـ **النصرانية من التوحيد إلى التثليث**، محمد الحاج، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٢٩٨ ـ **النصرانية والإسلام**، محمد عزت طهطاوي، دار الأنصار، القاهرة.

٢٩٩ ـ **النصيحة الإيمانية**، نصر بن يحيى المتطبب، تحقيق د. الشرقاوي، دار الصحوة، القاهرة، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٣٠٠ ـ **نظرية المسيح في الشرائع السماوية**، شعبان إسماعيل، مطابع الدجوي، القاهرة.

٣٠١ ـ **نظم الجمان بترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، حسن بن علي بن القطان، تحقيق محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

٣٠٢ ـ **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، أحمد بن محمد المقري، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

٣٠٣ ـ **النهاية في غريب الحديث والأثر**، المبارك بن محمد الجزري، «ابن الأثير»، تحقيق طاهر أحمد الزاوي وزميله، دار الباز، مكة المكرمة.

٣٠٤ ـ **النوادر السلطانية**، يوسف بن رافع بن شداد، تحقيق: د. جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٣٠٥ ـ **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**، محمد بن أبي بكر «ابن القيم»، مطبوعات الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

٣٠٦ ـ **هدية العارفين بأسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، إسماعيل باشا البغدادي، دار العلوم الحديثة، بيروت.

٣٠٧ ـ **هذه هي الصوفية**، عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٤م.

٣٠٨ ـ **الوافي بالوفيات**، خليل بن أيبك الصفدي، إصدار جمعية المستشرقين

الألمانية، بعناية جماعة من العرب والمستشرقين، بيروت، ١٩٦٢م - ١٩٨٣م.

٣٠٩ - **وتلك الأمثال نضربها للناس، عبد الوهاب العثمان، الدار السلفية.**

٣١٠ - **وثيقة القدس**، منظمة المؤتمر الإسلامي، ١٩٨٤م.

٣١١ - **الوجود الصليبي في الشرق العربي**، فوشيه شارتر، ترجمة د. قاسم عبده قاسم، ذات السلاسل، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٣١٢ - **الوحدة وحركات اليقظة العربية إبان العدوان الصليبي**، جوزيف نسيم، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م.

٣١٣ - **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر بيروت، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧ .

٣١٤ - **الوفيات**، محمد بن رافع السلامي، تحقيق صالح مهدي عباس ود. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٣١٥ - **اليهودية والمسيحية**، محمد ضياء الرحمن الأعظمى، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٣١٦ - **اليهودية والنصرانية**، سعود الخلف، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

فهرس الموضوعات

الفصل الأول: موضوعات دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية

الفصل الثاني
القائمون بدعوة المسلمين للنصارى
في عصر الحروب الصليبية

الفصل الثالث: وسائل دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية وأساليبها

الفصل الرابع
معوقات دعوة المسلمين للنصارى
في عصر الحروب الصليبية وكيف كانت مواجهتها

الفصل الخامس
آثار دعوة المسلمين للنصارى
في عصر الحروب الصليبية
وأوجه الاستفادة منها في الوقت الحاضر